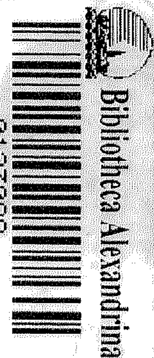
الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء

محمد كامل عبد الصمد

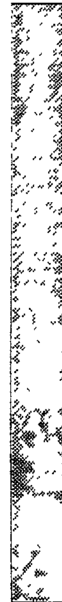
الجزء الأول



الدار المصرية اللبنانية

الجانب الخفي

وراء إسلام هؤلاء



الناشــر : الــدار المصريــة اللبنانيــة
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٣٦٢٤/ ٩٥
الترقيم الدولى : 8 - 192 - 271 - 977
جمـــع : آر ـ تك
العنوان : ٤ ش بنى كعب متفرع من السودان ـ الكيت كات
تليفون : ٣٤٦٣٦٣٢
طبـع : آمــــون
العنوان : ٤ عطفة فيروز ـ متفرع من اسماعيل أباظة
تليفون : ٣٥٤٤٣٥٦ـ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الأولى : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م

محمد كامل عبد الصمد

الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء

الجزء الأول



الناشر
الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ »

سورة يونس الآية ١٠٠

الإهداء

إلى روح الداعية الإسلامى محمد توفيق بن أحمد سعد. . . .

الذى عاش حياة خصبة عامرة بالعمل الخالص للدعوة الإسلامية، قرابة الستين عاماً من عمره الذى امتد تسعين ربيعاً، حيث اعتنق الإسلام على يديه أكثر من ثلاثة آلاف شخص، كانوا يسعون إليه سائلين عن الإسلام، مستطلعين ما يقدمه هذا الدين للنفس الإنسانية من إيمان وسكينة، فاستجاب له الكثيرون من مختلف بلاد العالم، وكُلٌ له قصة وحكاية.

إلى الذى لم يتوقف أمره عند هذا الحد، بل ظل يتابع أحوال هؤلاء الإخوة بعد إسلامهم، بالتعرف على مشاكلهم فى مجتمعاتهم، ليتسنى له قضاء حوائجهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ولد فى هذا المجال روايات كثيرة حدثنى عنها، من أطرفها حكاية رسالة جاءته من صبى ألمانى بعث إليه يريد اعتناق الإسلام كما فعل والده، فقال له: انتظر حتى يكبر سنك فأرسل إليه الصبى ردا غاضبا يقول فيه وهل قال محمد ﷺ لعلى بن ابى طالب انتظر حتى يكبر سنك حينما اراد أن يدخل الإسلام. . . ويعقب على ذلك رحمه الله قائلا: لقد افحمنى هذا الصبى وعلمنى درسا عظيما لا أنساه.

إلى الذى كان عالماً نفسياً مُلِماً بمشاعر مَنْ يقبلون عليه لإعلان إسلامهم،

فيؤخرهم قليلا، أو يدعوهم إلى بعض الكتب ليتثبت من أنهم جادون فى دخولهم الإسلام، لا تدفعهم إلى ذلك حاجة عارضة.

إلى الذى افتقدته نفسى معلماً، وصديقاً صدوقا، أسعد بزياراته التى أظفر منها بعلم فى الدين، وتجارب فى الدنيا.

إلى الذى افتقدته «دار تبليغ الإسلام» التى أسسها بمدينة «بادن» بسويسرا عام ١٩٢٩، ثم انتقل بها إلى مصر لتصحح مفهوم الإسلام ومبادئَه وتعاليمه لدى الأجانب من خلال رسائل مبسطة نشرها بمعظم اللغات الحية.

إلى الذى افتقده من رآه وجلس إليه مرة واحدة، فضلاً عن الذين خالطوه وعاشروه طويلاً من محبيه ومريديه وأهله..

إلى روحه الطيبة.. أحنى هامتى إجلالاً وإكباراً.. وإلى الله إذعاناً وتسليماً لقضائه.

محمد كامل عبد الصمد

المقدمة

يهمنى ـ عزيزى القارئ ـ وأنت تطالع تلك الصفحات أن تعلم أن فكرة هذا الكتاب بدأت تتسرب إلى نفسى بصورة لا شعورية ـ منذ عهد بعيد، وأنا أطالع بين الحين والآخر أخبار الذين يعتنقون الدين الإسلامى من شعوب العالم المختلفة. . . . وكيف استطاع الإسلام أن ينتشر ويجذب كبار العلماء والمفكرين والكُتاب إلى اعتناقه، فضلا عن غيرهم من العديد من الأفراد والجماعات، إلى حد اعتناق قرى بأكملها، كما حدث لقرية فى «الهند» تسمى «ميناكشيورام» دخل جميع سُكانها دفعة واحدة فى دين الإسلام. . وبالمثل حدث فى قرية أخرى بكوريا الشمالية. . كما تحولت مجموعة كبيرة من طائفة «الهاريجان» الهندية للإسلام، والتى يبلغ تعداد سكانها نحو ٣٢ ألف نسمة. . . وغير ذلك من أمثلة تبرهن على أن للإسلام قوة ذاتية برغم الهجوم عليه، وما تعترض طريقه من صعوبات وعقبات.

وأخذت منذ ذلك العهد أفكر فى الأسباب التى جعلت هؤلاء يتخلون عن ديانتهم ومعتقداتهم ودفعتهم إلى اعتناق الإسلام كدين ارتضوه لأنفسهم دون غيره من الديانات والمذاهب الوضعية الأخرى. . غير أنه قد صرفتنى كتابات قد أعددتها لمؤلفات أخرى عن التركيز فى التفكير المستغرق لهذا الموضوع. . ومضت السنون. . فكلما فكرت فى هذا الأمر صرفتنى شواغل وأعمال

أخرى، حتى اشتدت الهجمة الشرسة على الإسلام - فى الآونة الأخيرة - من أعدائه وأدعيائه على السواء.. من المستشرقين والكُتّاب المتفرنجين الذين لا ينتمون للإسلام إلا اسماً..، فلم أجد بُداً من التصدى لتلك الهجمات المسعورة بسلاح الواقع الملموس، وهو «وشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أهلها».... وذلك باستعراض عدة نماذج من هؤلاء الذين اهتدوا إلى دين الحق فأسلموا، وهم يتحدثون عن العوامل والدوافع التى دفعتهم لذلك، وجعلتهم يذودون - بغيرة وقوة - عن الإسلام.

فمن هذا الأساس ننطلق ونسير فى هذا الكتاب حسب واقع بالفعل.. أى أننا نصور واقعاً لا نخترعه أو نؤلفه من الخيال الأدبى.. وإنما من حقائق نبرزها ولا نبتدعها ليحق الله الحق ويُبْطل الباطل ولو كَرِه الكافرون.

إن هناك مفكرين مُنصفين درسوا الإسلام دراسة متأنية عميقة، فجرى فى نفوسهم تيار تَفَهُّمِهم له حتى لقد أخذنا نسمع مدحاً منهم للإسلام.. بل فريق كبير منهم أعلن إسلامه فى غير لبس ولا مُرَاءاة، وجَابَه الرأى العام فى بيئته بعقيدته، ولم يكتف بذلك، فأخذ يدعو إليها مكرساً وقته وجهده لنشرها.... أمَّا الفريق الذى أحب الإسلام واكتفى بمدحه فيصفه «اللورد هدلى» بقوله: «إننى أعتقد أن هناك آلافاً من الرجال والنساء مسلمين قلباً، ولكن خوفَ الانتقاد والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشئ عن التغيير منعهم من إظهار معتقداتهم».

وسواء أكان هؤلاء الكُتّاب المفكرون اعتنقوا الإسلام وأعلنوه أمام الجميع أم أحبوه وأُعجبوا بما فيه من مبادئ وتعاليم، ولم يجرءوا على إشهاره، فيكفى أن الإسلام قوة عالمية يدعو الناس كافة إلى عبادة إله واحد، هو الله الواحد الأحد.. وهذا ما دفع «اللورد هدلى» أن يبدى دهشته من عالمية الإسلام، فيعتنق الإسلام ويقول عنه:

«إنه دين يُمكِّن العالم الإنسانى من أن يجمع أمره على عبادة الله الواحد الحقيقى الذى هو فوق الجميع، وأمام الجميع، بطريقة سهلة خالية من الحشو والتبلبل».

ويعبر عن ذلك «الكونت هنرى كاسترى» فى كتابه: «الإسلام خواطر وسوانح».

«وهكذا جذب الإسلام قسماً عظيماً من العالم بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس».

ومن عالمية الإسلام كما يقول الباحث الكبير «سنكس»: «إن المسلمين يزدادون كل يوم عدداً، وذلك دليل على حيوية دين الإسلام وعظمته».

ومصداقاً لذلك فقد جاء فى «مجلة التلجراف البريطانية» : «أن الإسلام سيصبح القوة المؤثرة فى الأحداث خلال القرون القادمة بفعل انتشاره بين شعوب العالم، فضلاً عن تزايد عدد المسلمين أنفسهم بنسبة خمسين مليون نسمة سنوياً».

ومما ساعد على عالمية الإسلام ـ وبالتالى على انتشاره واعتناقه ـ أن تعاليمه سهلة ميسورة، تنسجم مع العقل والمنطق، وتتفق مع فطرة وميول معتنقيه، كما عبر عن ذلك المفكر الفرنسى «إتيين دينيه» بقوله: «الحق يُقال، إن الإسلام يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم، فهو ببساطته المتناهية يهدى إلى الطريق المستقيم».

ولكن قد يتساءل البعض: إذن ما الذى يمنع أهل الكتاب والملحدين والوثنيين من اعتناق الإسلام؟ ونجيب فنقول: هناك عوامل كثيرة، بعضها يرجع إلى المسلمين أنفسهم. فمن المعروف أن أية دعوة مهما كانت من

السمو لا يمكن أن تجتذب إليها الأنصار والمؤيدين لها إلا إذا هُيِّئتْ لها دعاية مميزة تأخذ من اهتمام المسئولين الحيز الكبير. . . فأين دعاتنا فى الشرق أو فى الغرب؟. . أين مبعوثونا؟. . . أين الدعاة منها؟ يقول الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله: «لا شئ من ذلك مطلقاً». . . ومن المعروف أن مبعوثى الحكومة ومبعوثى الأزهر إلى الأقطار الخارجية إنما بعثوا لتعليم الحساب، والخط، والإملاء، واللغة العربية فى مدارس إسلامية، ابتدائية، أو إعدادية، أو ثانوية، ليس لنا فى الخارج قط مبعوثون، وإذا كان الدين الإسلامى ينتشر فإنما ينتشر بقوته الذاتية برغم الهجوم عليه»(*).

إن من الهيئات الرسمية كمجمع البحوث الإسلامية يضع قيوداً وعراقيل، من أبسطها أن المبعوث للدعوة الإسلامية لا بد أن يكون أزهرياً أصيلاً، وغير ذلك فلا يصلح أن يكون داعياً، ولو تحصل من العلم والدراسات أكثر مما تحصل الأزهرى، وهذا ما صرح به أمينها العام لى ذات يوم.

وإذا كان البعض يأخذ علىَّ مثل هذا النقد. . فلأدعوه إلى وضع مقارنة بسيطة بين حال دعوتنا للإسلام ونحن أمة قد أنعم الله عليها بالخير الكثير، ومن ذلك البترول على سبيل المثال، هل أخرجنا نسبة زكاته فى سبيل الله؟!. . . . وبين الإرساليات التبشيرية التى أخذت قناع المستشفيات والملاجئ والمدارس وغير ذلك من الأعمال الخيرية. . . . ولنتصور كفتى الميزان. . نجد كفة المسلمين بالنسبة لدعوتهم لدينهم قد خفت فى حين أن الكفة الأخرى قد رجحت، وهى التى لغير المسلمين.

وسبب ثان تحدث عنه المجاهد جمال الدين الأفغانى. . وكان ـ يرحمه الله ـ يراه أنه من أقوى الأسباب، وذلك هو حال المسلمين فيقول:

«إن الغربيين يستمدون فكرتهم عن الإسلام من مجرد رؤيتهم للمسلمين،

(*) أوروبا والإسلام: د. عبد الحليم محمود (بتصرف).

فإنهم يرون المسلمين متخاذلين، ضعفاء، أذلاء، مستكينين، فرقت بينهم الأهواء والشهوات، وقعدت بهم الصغائر، وانصرفوا عن عظائم الأمور، وأصبحوا مستعبدين مستذلين، ولو كان الإسلام ديناً قوياً لما كان المسلمون هكذا. . . ولا عجب فخذ آداب الإسلام وتعاليمه واحداً فواحداً، وانظر إلى حال المسلمين، هل تجد توافقاً وانسجاماً بين المسلمين ودينهم الإسلام.

ولذا يعود جمال الدين الأفغانى ليقول ساخراً:

«إذا أردنا أن ندعو للإسلام، فليكن أول ما نبدأ به أن نبرهن للغربيين أننا لسنا مسلمين».

وسب ثالث لعدم انتشار الإسلام كما ينبغى أن يكون، هو أسلوب عرض الإسلام، والكتب التى تناولته، لم تأخذ من كثير من حكام المسلمين والمسئولين الاهتمام الكافى، وذلك من حيث عدم العناية بنوعية الكتب التى تقوم بتعريف الإسلام ومبادئه وتعاليمه، وتخاطب المستويات العقلية والفكرية بما يتناسب معها. . فهل الذين يبتغون معرفة شىء عن الإسلام من حديثى العهد به يتجهون إلى المراجع الثقيلة والعلوم المتخصصة، كعلم الكلام وما شابهه من قراءات لا تفيد إلا المتخصصين من القراء. . . . هل يستطيع أن يستفيد غير المسلم من كتب علم الكلام مثلا بدون تبسيط لقضاياه؟ . . هل نستطيع أن نخدم الإسلام بالاهتمام بعرض الكتب التى تهتم بسرد نقاط الاختلاف ووجهات النظر بين الفقهاء والمجتهدين وإبراز صور الجدال؟

إنَّ عَرْضَنَا الدين الإسلامى على هذا النمط من العرض، جعل كُتبنا لا يتيسر فهمها للأجانب عنا، ولو لم يكن فى الإسلام تلك القوة الذاتية التى تستولى على القلوب لضاق بهذه الكتب المسلمون أنفسهم، فما بالنا بغير المسلمين ونحن ندعوهم للإسلام؟!

ولذا فالإسلام بحاجة إلى عرضه عرضاً سهلاً ميسوراً، وبأساليب محببة مقنعة، حتى نستطيع أن ننجح فى دعوتنا له.

ثم نأتى إلى دور العلماء كسبب جوهرى فى انتشار الدعوة الإسلامية، فنجد أن الإسلام قد عهد إلى العلماء بتقويم عِوَج الأمراء(*).. وكانوا فى الدول الإسلامية بمثابة المجالس النيابية فى هذا العصر، يسددون خطوات الحاكم، ويرفعون أصواتهم عند طغيان أى مسئول من ولاة الأمور، وهكذا كانت تستقيم الأمور، لأن العلماء كانوا متحققين بالزهد، متحلين بالورع، مما ساعد بالتالى على قوة الأمة وقيامها بدورها فى تبليغ الإسلام للأمم الأخرى... أما الآن ـ كما يقول الإمام الغزالى: «فقد قيدت الأطماع أَلْسُنَ العلماء، فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم، فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففساد الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على محاسبة الأرْذَال، فكيف بمواجهة الملوك والحكام؟».

وبالتالى هل نستطيع أن تعقد عليهم آمالا فى الدعوة للإسلام لغير المسلمين؟!

وإذا نظرنا إلى نشاط الجهات المعادية للإسلام، ومن تلك الكنيسة، التى أتقنت فن الدعوة، فلا ارتجال فيها فكل شئ مُعَدٌّ ومرتب ومنسق، قد تم إعداده تماماً.. واستعانت لذلك بوسيلتين، أحدهما: التبشير.. والثانية: صد الهجوم عن الديانة المسيحية.

أما فيما يتعلق بالتبشير فهو من الأوليات لديها، اهتمامها بأن يعرف المبعوث لغة المرسل إليهم، ويدرس عاداتهم وتقاليدهم، وديانتهم، ومواطن الضعف فيهم، والوسائل التى تجذبهم إليه.

(*) نعنى هنا الحكام وولاة الأمر فى أى موقع.

أما الوسيلة الأخرى. وهى التى تعنينا على وجه الخصوص هنا ـ فهو تركيزهم على دراسات مستمرة متجددة على أحدث الوسائل لتشويه ديانات الآخرين فى ذلك. . ولذا نجد ما نُشِرَ من أضاليل عن الإسلام كان من ذلك المنطلق الذى به يعكسون الحقائق عكساً تاماً، فعلى سبيل المثال يشيعون عن الدين الإسلامى ـ وهو دين التوحيد الخالص ـ أنه دين عبادة الأوثان، ويكررون ذلك حتى ينتهى المسيحيون بالتالى إلى الاعتقاد بأن الإسلام هو عبادة الأوثان، وهكذا تسير الدعاية تضليلاً وتشويهاً.

. . وقد يلجئون إلى نظام يسمى «نظام الحرمان»، وهو نظام بمقتضاه يسهل على الكنيسة أن تحرم قراءة أى كتاب ترى فيه خطراً على المسيحية(*) كتحصين لها، سواء كان هذا الكتاب هجوماً على المسيحية أو دعاية بارعة للإسلام، أو حتى نمطاً مميزاً من الدعاية القوية لسعة الأفق وتحرير الفكر.

إننا نقرر هنا أن التبشير بالمسيحية قائم على قدم وساق فى نشاط لايفتر، برغم أننا نقرأ ـ بين الحين والآخر ـ فى الصحف العربية أن التبشير فى إفريقيا قد أخفق. . ولك أن تتأمل هذا الموقف: فقد حدث أنْ جلس أحد الأشخاص مع زعيم من زعماء التبشير وجرهما الحديث عن التبشير، فقال الشخص ـ وكان مسلماً بدون أن يظهر ذلك: ولم تتمسكون بالتبشير فى إفريقيا ونحن نسمع من آن لآخر أن التبشير فى إفريقيا قد أخفق؟ . . . فضحك الزعيم المبشر وقال:

إننا نحن الذين ننشر هذه الأخبار، وننشرها فى مقابل دفع أجرة لها، وذلك أن التبشير فى إفريقيا ناجح كل النجاح، وبلغ من نجاحه أن أصبح شوكة فى ظهر السودان، شوكة تقلقه وتضج مضجعه. . .

(*) مثال كتاب «الغارة» التى حرصت الهيئات الكنَسِيَّة على جمعه من الأسواق للتخلص منه، حتى لا يقع فى أيدى أحد من المسيحيين.

أما إذا أرَدْتَ معرفة السر، فذلك لفائدتين محققتين:

إحداهما: أن المسلمين حينما يقرءونها يستمرون فى نومهم قائلين: «وكَفَى الله المؤمنين القتالَ».. فلا ينالنا من جانبهم أذىً.

والأخرى: أن تنهال علينا التبرعات من أغنياء المسيحيين، لأن المسيحيين - إينما كانوا - إنما يسرهم أن ينجح التبشير.

أيها المسلمون من الأثرياء.. ماذا أنفقتم من أجل دعوة الحق.. دعوة الإسلام؟ أيها الحكام وولاة الأمر فى الأمة الإسلامية. ولا سيما الدول المنتجة للبترول، والتى هيأ الله لها هذا الخير الوفير - هل ما تُنفقونه من أجل تبليغ الدعوة الإسلامية يكفى أو يتناسب مع زكاة البترول التى تنفق فى سبيل الله.. سبيل الإسلام؟!

وبعد؛ فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون... ولذا فما زال هناك الأمل الكبير لأن تضطلع الأمة الإسلامية - حكاماً ومحكومين - بمسئولياتهم نحو دينهم الإسلامى.

من ذلك كله أستطيع القول بأننى هدفت من هذا الكتاب إلى:

* التصدى للهجمات الشرسة من أعداء الإسلام وأدعيائه بِشْهِر سلاح «وشَهِدَ شاهدٌ من أهلها» باستعراض تلك النماذج الطيبة من الذين اعتنقوا الإسلام عن اقتناع ودراسة.

* أن أبين أن الإسلام ما زال مستهدفاً بالتشويه والتشكيك فى تعاليمه، مما ينبغى علنا جميعاً أن نقوم بدورنا للذود عنه ونُصرته، واثقين فى الله حين يقول لنا:

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾(1).

والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل، وأن يُهَيِّئَ لنا من أمرنا رشدا.

محمد كامل عبد الصمد

(1) سورة الحج آية ٤٠.

الفصل الأول

شخصيات عالمية اعتنقت الإسلام

* إسلام رئيس جمهورية «جامبيا» الذي أدرك حقيقة الإسلام فخر ساجداً ثم ينهض قائلاً: الله أكبر مني ومن كل شيء...

* «هيرالال» ابن الزعيم الهندي «غاندي» الذي تحدى الجميع في سبيل تمسكه بإسلامه قائلاً: لقد عشقت الإسلام وآمنت بالله وحده وبرسوله محمد ﷺ.

* مع «اللورد هدلى» سليل الأسرة المالكة البريطانية الذي كان لإشهار إسلامه صدى واسع في بريطانيا.

* مع بطل العالم في الملاكمة «محمد علي كلاى» الذي صار داعية إسلامي لم يعقه المرض الذي أُصيب به من القيام بواجب الدعوة الإسلامية.

* مع القائد الروسي الجنرال «أناتولي» الذي عُرف بالصرامة والقسوة في قتال المسلمين الأفغان ثم أصبح مؤذناً في مسجد.

* ... وشخصيات عالمية أخرى.

إسلام رئيس جمهورية «جامبيا»[1]

هذه قصة من قصص الإيمان، بطلها ليس فرداً عادياً، إنه يمثل أعلى سلطة فى بلاده، أدرك الحقيقة فَخَرَّ ساجداً،ثم نهض قائلاً: الله أكبر.. الله أكبر منى ومن كل شئ فى الأرض والسماء.. إنه رئيس جمهورية«جامبيا»..
ولا تكمن غرابة القصة فى كونه رئيساً لجمهورية، وإنما لأن هذا الرئيس وُلِدَ مسلماً ثم أبحر إلى الغرب، وتَشَرَّب من فكره وقيمه وعقيدته، ودخل عالَم السياسة، فدانت له، واستهوته لعبة وشهوة المناصب التى وصل إلى أقصاها. ولكن حين اقترب من القصر الرئاسى اكتشف أنه قد نسى شيئاً مهما.. نسى فطرته، فعاد إليها مسرعاً، يعبر عن ذلك بقوله:

«كنت أشعر دائماً أن لى قلبين فى جوفى.. قلب لى وقلب علىَّ.. أما القلب الذى لى فكان يدفعنى إلى الدراسة والسياسة وخوض معركة الحياة... وأما القلب الذى علىّ فكان ما يفتأ يلقى على عقلى وقلبى سؤالاً لم يبرحه قط، هو: مَنْ أنت؟....

وما بين القلبين مضت بى الرحلة طويلة.. طويلة. استطعت معها ومن خلالها أن أحقق كل ما كنت أصبو إليه، تحرير وطنٍ إفريقى أسود، ووضعه على خريطة الدنيا كدولة مستقلة ذات سيادة»[2].

---

(١) تقع «جامبيا» على المحيط الأطلسى من جهة، وتحيط بها «السنغال» من بقية الجهات.. وعدد سكانها مليون ونصف المليون نسمة، ونسبة المسلمين أكثر من ٩٠٪.

(٢) من تحقيق أجراه الأستاذ «شريف قنديل» المحرر بصحيفة المسلمين، والمنشور بها فى عددها الصادر ٣/ ١/ ١٩٩٢ (بتصرف).

واستطرد قائلاً:

«وكان هذا نصراً منتزعاً من فم الأسد، يكفى لأن يدير الرءوس، ويصيب الشبان الحالمين من أمثالنا فى هذا الوقت بدوار السلطة.. كانت تلك معركة كبرى، سلخت من أعمارنا نصف قرن من الزمان مع الحرب والنضال، والمفاوضات، وتكوين الأحزاب، وخسارة المعارك والفوز بها أيضاً. وما كان أسعدنا حينئذ ونحن ننتشل وطناً من وَهْدَة الاحتلال والتخلف والضياع الفكرى والاقتصادى.. امتلأت نفوسنا بنشوة النصر ونسينا معها كل شئ.. ولم يكن هذا الفوز سوى إرضاء للنفس وغرورها.... أما فطرة النفس فراحت تحضنى على خوض المعركة الكبرى.. كانت تهتف بى قائلة: لقد كسبت معركتك مع الحياة فاكسب معركتك مع نفسك.... عد إلى ذاتك.. اكتشف هذا الجوهر الصافى الثمين فى داخلك.. أزح من عليه هذا الركام من التغريب والعلمانية والدراسة فى مدارس اللاهوت.

كان الصوت يخرج من داخلى صادقاً وحميماً أنْ عُدْ إلى الطفل البرئ المؤمن الذى كنته يوماً وأنت تجلس بين أيدى شيوخك ومعلميك.. أين ترتيلك الشجى لآيات القرآن؟! أين سعيك للصلاة خلف شيخك ذاهباً إلى المسجد أو عائداً منه؟! تلك هى فطرتك السليمة، لأنها هى الفطرة التى فَطَرَ الله الناس عليها...

هنا أحسست أن قلبى يصدقنى، وأن لا شئ فى الدنيا يعدل أن يكسب الإنسان العالم ويخسر نفسه... وببساطة قررت أن أكسب نفسى.. أن أعود إلى إسلامى الذى ضاع أو كاد أن يضيع منى وأنا فى خضم الحياة ومشاغلها ومباهجها... أستشعر - الآن - أننى قد كسبت نفسى، وربحت تجارتى مع الله، وتعلمتُ درساً لا يتعلمه إلا مَنْ كان فى قلبه حِسٌّ نابض، وعقلٌ واعٍ»[1].

(١) نتأمل جمال بيان تلك الاعترافات التى انسابت كالمياه الرقراقة لها طعم العذوبة، ويبدو أن الشخصية التى نحن بصددها تتميز برومانسية فى التعبير.

وعاد الرئيس الجامبى إلى فطرته السليمة.. إلى الإسلام متسمياً باسم «داود جاوارا» أو «الحاج داود»، تاركاً ما يُذَكِّرُه بماضٍ قد غشاه بريق الأضواء والسياسة.. اسمه قبل رحلة إيمانه «ديڤيد كيربا».

وللرئيس «داود» رؤية حكيمة متميزة صاغتها التجارب التى خاضها فى عالم السياسة. فهو يدعو للوحدة الإسلامية بين الشعوب التى تدين بالإسلام فيقول:

«إنَّ المسلمين فى جميع أنحاء العالم يجمعهم شئ واحد هو الإسلام الذى ليس مجرد مفاهيم نظرية... إنه سلوك وحضارة، وما أحوجنا هذه الأيام لكى نطبق سلوكيات الإسلام ونأخذ بحضارته.

لقد أصبحنا الآن فى مأزق خطير.. إن العالم كله يتحد، والشعوب الأخرى تتحالف فى كيانات يصنعونها بأيديهم.

نحن نمتلك كل أسباب القوة والحضارة، ومع ذلك لم نتحد بعد... هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن المجال الاقتصادى - الذى هو أيسر المجالات للتضامن - ما زال بحاجة إلى جهود مخلصة، ولا بد أن يكون التعاون شاملاً لكل من يجمعهم الإسلام، سواء أكانوا فى إفريقيا، أم فى آسيا، أم فى أوربا وأمريكا».

ثم يضيف:

«إننا لو بدأنا بالمجال الاقتصادى فإن نجاحنا فى المجال الاجتماعى سيكون مضموناً... هذا هو التضامن الحق الذى تدفعنا التغيرات الدولية .لأن نطالب به فى كل مؤتمر وفى كل مكان.

إننى أرى أن الحديث عن الوحدة الإسلامية لم يعد خيالاً أو وَهْماً بعد أن شاهدنا منظومة المجموعة الأوربية.. إن ما يجمعنا أكثر مما يجمعهم، فلنجعلهم نموذجاً لنا برغم أن تراثنا مملوء بالنماذج المشرفة.. ولتكن «منظمة المؤتمر الإسلامى» هى الإطار الذى يجمعنا، والذى ننطلق منه فى طريق الوحدة الإسلامية.

وهكذا نجد أنفسنا أمام شخصية سياسية محنكة استفادت من تجاربها فى عالم السياسية للخوض فى مجال الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والأخذ بمقوماتها، وذلك بعد أن تغربت واستقت من منابع المدرسة البروتستانتية والفكر الغربى المعادى للإسلام.

* * *

مع ابن الزعيم غاندى
الذى تحدى الجميع وتمسك بإسلامه

والده هو الزعيم الهندى الكبير «المهاتما غاندى» الذى انشغل بالنضال من أجل استقلال بلاده، ومن ثَمَّ تَرَبَّى ابنه «هيرالال» فى بيته على يد مدرسين تولوا التدريس له، وبدأ يعرف الكثير عن ديانته «الهندوسية»[1] وطائفته «البراهمية»[2] التى تعد من أرقى الطوائف فى الهند. تعمق «هيرالال» فى دراسة ديانته الهندوسية. ودرس آلهتها المتعددة وشرائعها وكتبها القديمة مثل «الفيدا».. و «البرهمانا».. و«اليجفادجيتا» وغيرها، وضراع هذه الديانة الوثنية مع غيرها، مثل «البوذية»[3].

فى بداية الأمر لم يكن «هيرالال» يلقى بالاً للتناقضات التى تزخر بها الديانة الهندوسية، مثل تعدد الآلهة والظلم الاجتماعى، ولم يفكر فى أن هذه الديانة باطلة، ولا سيما أنه أحد المستفيدين منها، باعتباره من طائفة «البراهما»، واندمج فى دراسته حتى تخرج ـ كوالده ـ محامياً، وتزوج وكَوَّن أُسرة، وشغف بالمحاماة وبالأدب.

وقد أتاح له عمله بالمحاماة فرصة التعرف على الظروف الاجتماعية السيئة

(١) تعود جذور هذه الديانة إلى ما قبل نحو ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد.

(٢) هى قائمة على عبادة ثالوث مكون من «براهما» و «شيفا» و «فشنو» والأول أعلى الآلهة الثلاثة عندهم، فهو ـ حسب زعمهم ـ إله سامٍ، خَلَق العالم واتحد به، ولا يقترب منه الإنسان.. أما «شيفا» فهو الإله الواقى و «فشنو» هو الإله الهادم.

(٣) وهو الصراع الذى تمخض عام ٥٠٠ قبل الميلاد عن انتصار «البراهمية» وحلولها محل الدين الفيدى، حيث صاغت قواعدها وشعائرها فى قوانين «مانو».

التى يحياها الناس فى بلاده، ومدى الظلم الذى يمارسه الهندوس ضد غيرهم من الطوائف، بل مع بعض أبناء طائفتهم ذاتها ممن يطلقون عليهم اسم «المنبوذين»، ويرون أن على هؤلاء الأخيرين أن يقوموا بخدمة البراهمة، وبدون هذه الخدمة ليس لهم أجر أو ثواب.

وأدت هذه التفرقة الظالمة بهيرالال إلى مراجعة نفسه حول مدى صحة هذه الديانة التى تفرق بين الناس، بل وتفرق بين أتباعها أنفسهم، وآلَمَهُ أن يرى المسلمين ـ وهم أهل الديانة الثانية فى بلاده من حيث تعدادهم ـ لا يفرقون بين غنى وفقير، وسليل عائلة كبيرة وصعلوك، فاشتدت رغبته فى دراسة الدين الإسلامى والتعمق فيه، وخاصة بعد ما لاحظ أن هناك كتباً للهندوس تتكلم عن نبى له نفس صفات النبى محمد ﷺ[1].

وكان يعلم «هيرالال» الكثير عن الدين الإسلامى من جراء إطلاعاته على ما كُتب عنه، وطاف بذهنه قوله تعالىٰ:

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[2].

آمن «هيرالال» أن شيئاً من الحق يسطع أمامه، وأنه قد وجد بداية طريقه نحو الحقيقة التى يبحث عنها، ومن ثم عزم على إشهار إسلامه بعد أن قرأ

(١) فى الفقرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثانى من كتاب «السامافيدا» جاءت تلك العبارة «أحمد تلقى الشريعة عن ربه وهى مملوءة بالحكمة وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس»... وفى كتاب «يهوشيابران» جاء أن رجلا قدم فى المنام إلى الملك «يهوج» ملك السند فقال له: «عليك أن تلحق بدين رجل ظهر فى الصحراء وهو مختون له كلام يسمع، اصطفاه «براهما» يأكل الطيبات من اللحوم، تظهر على يديه معجزات كثيرة، وهو محفوظ من اعدائه اسمه «محامد» يعنى كثير الحمد.... من دراسة منشورة بمجلة الوعى الاسلامى عدد يناير ١٩٨٦ بعنوان هل بشرت بنبى الإسلام أسفار الهندوس والمجوس؟ للأستاذ محمد عزت الطهطاوى.

(٢) سورة النساء: ١٦٤، ١٦٥.

قوله تعالى:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

ثم حدث أن التقى بالشيخين الجليلين «زكريا منيار» و«نذير أحمد خجندى» - من أعضاء جمعية التبليغ الإسلامى. اللَّذْين أقنعاه بأن ما تبحث عنه روحه الحيرى موجود فى الإسلام، ومازالا به حتى اقتنع بعدما شرح الله صدره للإسلام. وفى يوم الجمعة التالى ارتدى «هيرالال» قميصاً أبيض وعمامة بيضاء خفيفة، وتوجه إلى الجامع الكبير فى مدينة «بومباى»، وأمام أكثر من عشرين ألف مسلم حضروا للصلاة فى الجامع، أعلن «هيرالال غاندى» إسلامه، وتسمى باسم: «عبد الله هيرالال غاندى». وصعد على المنبر وألقى كلمة من ضمن ما جاء فيها قوله:

«كلكم يعلم بأنى أنا «هيرالال» ابن الزعيم الوثنى الكبير «غاندى»، فأنا أعلن على رُءُوس الأشهاد، وفى وسط هذا الجمع العظيم من المسلمين، بأنى قد عشقت الإسلام، وأحببت القرآن، وآمنت بالله وحده، وبالرسول الأطهر سيدنا محمد صلوات الله تعالى عليه، وأنه خاتم النبيين، وأنه لا نَبىَّ بعده، وأن ما جاء به القرآن حق، والبعث والنشور حق، والملائكة والقضاء والقَدَر حق، والكتب المنزلة كلها حق، وأنبياء الله ورسله حق، فللإسلام وللقرآن سأحيا وأموت وسأدافع وسأناضل، وسأكون إحدى دعاماته الكبرى، وسأكون مُبَشِّراً به، وداعياً له بين قومى وعشيرتى، ألا إن هذا الدين الحنيف هو دين العلم والثقافة، والعدل والأمانة، والرحمة والمساواة»[2].

واستقبل المسلمون إعلان «هيرالال» إسلامه بالتكبير والهتاف: «الله أكبر. . الله أكبر. .» . . ووقف «الشيخ زكريا منيار» وشرح للجماهير المحتشدة

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

(٢) مجلة الإسلام - عدد يوليو ١٩٣٦.

الأدوار التى مرت عليه فى قيامه بواجب الدعوة والتبليغ، واقتناع المهتدى الجديد «عبد الله هيرالال» بالدين الإسلامى باعتباره أشرف الأديان وأقومها عند الله.

وطلب الشيخ «زكريا» من المصلين أن يصافحوا أخاهم الجديد فى الإسلام مهنئين، فأقبلت الجماهير تصافحه فرداً فرداً ثم حملته على الأعناق إلى سيارته بين الهتاف بأن لا إلـه إلا الله، والتكبير.

هذا، وتناقلت الصحف ووكالات الأنباء خبر إسلام ابن الزعيم «غاندى»، فكان وقعه على «الهندوس» كنزول الصاعقة، وتشنج له الزعيم «غاندى» تشنجاً كبيراً، حتى إنه امتنع عن الطعام والشراب لمدة يومين كاملين، كما غضب زعماء الهندوسية، وأُغلقت معظم المحالّ التجارية الهندوسية المتصلة بأحياء المسلمين استياءً وحُزناً.

وانهالت حملات «المهاتما غاندى» على ولده، كما هاجمته الجمعيات والصحف الوثنية، وصاحبت هجومها بالوعيد الشديد والتهديد، ولكن «عبد الله هيرالال» لم يبال لهذا الهجوم، وتحدى الجميع متمسكاً بإسلامه.

وبعد ذلك بأسابيع دُعِىَ الأخ المسلم «عبد الله هيرالال» إلى اجتماع إسلامى فى مدينة «سورت»، حيث ألقى كلمة أوضح فيها ما يتعرض له من حملات ومضايقات، وكان من بين ما قاله:

«لست بنادم ولا متأسف لاعتناقى الدين الإسلامى الحنيف كما يقولون ويشيعون، والله يعلم ويشهد أنى ما فعلت أكثر من تلبيتى نداء الحق ونداء ضميرى... ورضُوخى واستسلامى إلى الضالة المنشودة، والحلقة المفقودة التى كانت ضائعة منى، قد وجدتها أمامى أخيراً متمثلة فى كتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفى سيرة رسوله الأعظم صلوات الله عليه»[1].

(١) المرجع السابق.

واختتم «عبد الله هيرالال» كلمته مخاطباً الهندوس بضمير الغائب: «خيرلهؤلاء القوم إذا رغبوا فى التخلص من حياتهم المريرة هذه أن يلقوا بنظرة بسيطة خالية من التعصب، ويدرسوا حقيقة الإخاء الإسلامى - وإنْ لم يعتنقوا الإسلام - ثم لينصفوا بعد ذلك من تلقاء أنفسهم، وليعلنوا النتيجة لنا ولأمة «المهاتما غاندى» ثم إلى العالم الشرقى والغربى»[1].

* * *

(١) المرجع السابق.

مع «اللورد هدلي» سليل الأسرة الملكية البريطانية الذي صار المسلم «رحمة الله فاروق»

برغم مولد «لورد هدلى» فى بيت نصرانى عريق. فإنه لم يشعر يوماً فى قرارة نفسه بإيمان صادق نحو النصرانية، بل طالما راودته الشكوك فى صحة التعاليم التى تروج لها الكنيسة، والطقوس التى يمارسها الآباء القُسُس فى صلواتهم وأقداسهم، وطالما توقف بفكره عند أسرار الكنيسة السبعة. إذ لم يستطع - وهو الإنسان المثقف الواعى - أن يهضم فكرة أكل جسد المسيح عليه السلام أو شرب دمه كما يتوهم النصارى وهم يأكلون خبز الكنيسة ويشربون نبيذها، كذلك لم يقتنع بفكرة فداء البشرية التى هى من أسس عقيدة الكنيسة... وشاء قَدَرُ اللّه أن يسافر إلى منطقة «كشمير» التى يدين أهلها بالإسلام، وذلك من أجل مشروعات هندسية، حيث كان يعمل ضابطاً فى الجيش البريطانى ومهندساً... وهناك أهدى إليه صديق ضابط بالجيش نسخة من المصحف الشريف حين لمس انبهاره بسلوكيات المسلمين، وكان هذا الإهداء بداية تعرفه الحقيقى عل الإسلام، إذْ وجد فى كتاب الله ما يوافق طبيعة نفسه ويلائم روحه... وجد أن مفهوم الألوهية - كما جاء فى القرآن الكريم - يتوافق مع المنطق والفطرة، ويتميز ببساطة شديدة، كما لمس فى الدين الإسلامى سمة التسامح، تلك السمة التى لم يلمس لها وجوداً بين أهله من النصارى الذين عُرِفُوا بتعصبهم ضد الديانات الأخرى، بل ضد بعضهم بعضاً، فالكاثوليك يتعصبون ضد البروتستانت، وهؤلاء بدورهم

يتعصبون ضد الأرثوزكس، الذين لا يقلون عن الطائفتين السابقتين تعصباً ضدهما، فكل فريق يزعم أن مذهبه هو الحق وما عداه باطل، ويسوق فى سبيل ذلك من الحجج أسفاراً يناقض بعضُها بعضاً[1].

ولم يكن بوسع «لورد هدلى» إلا أن يميل للإسلام بعد اطلاعه على ترجمة معانى القرآن الكريم، وما قرأه عن العقيدة الإسلامية، وأبطال الإسلام الأوائل الذين استطاعوا أن يصيروا أعظم قواد العالم، وبقوة عقيدتهم أسسوا حضارة عظيمة ازدهرت لقرون طويلة، فى وقت كانت أورُبا ترزح تحت وطأة الجهل وطُغيان البابوات والكرادلة. كما وجد «لورد هدلى» فى الشريعة الاسلامية وسيرة الرسول محمد ﷺ وصحابته ومن تلاهم من التابعين القدوة الحسنة التى تروى روحه العطشى للحق، ولم يصعب عليه أن يدرك أن الإسلام عقيدة وسلوك.

وبرغم اقتناعْ «لورد هدلى» بالإسلام فإنه ظل قرابة عشرين عاماً يكتم إسلامه لأسباب عائلية، حتى كتب له الله أن يعلنه على الملأ فى حفل للجمعية الإسلامية فى لندن.. وكان مما قاله:

«إننى بإعلانى إسلامى الآن لم أحدْ مطلقاً عمَّا اعتقدته منذ عشرين سنة، ولما دعتنى الجمعية الإسلامية لوليمتها سُرِرْتُ جداً، لأتمكن من الذهاب إليهم وإخبارهم بالتصاقى الشديد بدينهم، وأنا لم أهتم بعمل أى شئ لإظهار نبذى لعلاقتى بالكنيسة الإنجليزية التى نشأت فى حجرها، كما أنى لم أحفل بالرسميات فى إعلان إسلامى، وإن كان هو الدين الذى أتمسك به الآن[2].

ومضى «لورد هدلى» قائلاً:

«إن عدم تسامح المتمسكين بالنصرانية كان أكبر سبب فى خروجى عن

(١) مجلة المنار ـ عدد ديسمبر ١٩١٣ (بتصرف).
(٢) المرجع السابق.

جامعتهم، فإنك لا تسمع أحداً من المسلمين يذم أحداً من أتباع الأديان الأخرى، كما نسمع ذلك من النصارى بعضهم فى بعض». واستطرد متحدثاً عن الجوانب العديدة التي شدته إلي الاسلام فقال:

«إن طهارة الإسلام وسهولته وبُعده عن الأهواء والمذاهب الكهنوتية ووضوح حجته - كانت كل هذه الأمور أكبر ما أثَّرَ فى نفسى، وقد رأيت فى المسلمين من الاهتمام بدينهم والإخلاص له ما لم أرَ مثله بين النصارى، فإن النصرانى يحترم دينه - عادة - يوم الأحد، حتى إذا ما مضى يوم الأحد نسى دينه طول الأسبوع... وأما المسلم فبعكس ذلك، يحب دينه دائماً، سواء عنده أكان اليوم هو الجمعة أو غيره، ولا يفتر لحظة عن التفكير فى كل عمل يكون فيه عبادة الله».

وبعد أن اعتنق «لورد هدلى» الإسلام تسمى باسم «رحمة الله فاروق»... وكان لإشهار إسلامه صَدىً واسع فى بريطانيا، نظراً لِلَّقَبِ الكبير الذى يحمله، ولكونه سياسيًا بارزاً، وعضواً قيادياً فى مَجلسَ اللوردات، حيث انتقدته الصحف البريطانية، واتهمته فى صدق دينه محاولة إظهار موضوع إشهار إسلامه على أنه يهدف لتحقيق مكسب رخيص، بأن يصبح ممثل المسلمين فى مجلس اللوردات وزعيماً لهم.. مما دفع المهتدى الجديد «رحمة الله فاروق» إلى الرد على منتقديه بمقال عنوانه «لماذا أسلمت؟»[1]. ومما جاء فيه قوله:

«نحن - البريطانيين - تعودنا أن نفخر بحبنا للإنصاف والعدل، ولكن أى ظلم أعظم من أن نحكم - كما يفعل أكثرنا - بفساد الإسلام قبل أن نلم بشئ من عقائده، بل قبل أن نفهم معنى كلمة إسلام؟!.

ثم استرسل يقول:

« من المحتمل أن بعض أصدقائى يتوهم أن المسلمين هم الذين أثروا فىَّ، ولكن هذا الوهم لا حقيقة له، فإن اعتقاداتى الحاضرة ليست إلا نتيجة تفكير

(١) نشرته صحيفة «الأوبزرفر» الأسبوعية يوم ٢٣ نوفمبر ١٩١٣.

قضيتُ فيه عدة سنين... ولا حاجة بى إلى القول بأنى مُلِئْتُ سروراً حينما وجدتُ نظرياتى ونتائجى متفقة تمام الاتفاق مع الدين الإسلامى».

ومن الجدير بالذكر أنه قد كان لإسلام «رحمة الله فاروق» أو «اللورد هدلى» أكبر الأثر فى تقوية الحركة الإسلامية فى بريطانيا، إذْ لم تكد تمر أشهر قليلة على إعلان إسلامه حتى اقتفى أثره أكثر من أربعمائة بريطانى وبريطانية، بعد ما استرعى انتباههم ما تَحَدَّثَ به عن محاسن الإسلام، فأقبلوا على قراءة الكتب الإسلامية، ودخلوا فى دين الله أفواجاً.

ومن الطريف أن يترأس «رحمة الله فاروق» الجمعية البريطانية الإسلامية، ويتصدى لهجمات الحاقدين على الإسلام، وينبرى بقلمه مدافعاً عن دين الله، راداً الكيد إلى نحور الكائدين الذين يحاولون تصوير الإسلام على أنه دين الشهوات، وأن القرآن الكريم ما هو إلا مجموعة من الحكايات اليهودية والمسيحية المسروقة من التوراة وغير الموثوق بها، كما زعم القس «وليم ميور» الذى أُنْعِمَ عليه بلقب «سير» مكافأة له على تعصبه ضد الإسلام، وجهوده المستميتة فى محاولة تشويه صورة الرسول محمدﷺ.

ومن ردوده على هؤلاء ما نشرته مجلة « إسلاميك رفيو» حيث قال:

«إن كل هذه المحاولات العقيمة والوسائل الدنيئة التى يقوم بها المُنَصَّرُونَ لتحقير شريعة النبى العظيم ﷺ، بالبذاءة وبالسفاسف لا تمسه بأذي، ولا تغير عقيدة تابعيه قِيْدَ أُصْبُعٍ».

ومضى يرد الكيد إلى نحور المنصرين قائلا:

« لا عَجَبَ أن يكذب المنصرون وقد افتروا على الله كذباً، فكم تظاهر اللص بالأمانة والداعر بالاستقامة والزنديق بالتدين، ولكن لا عجَبَ، فقد غاض من وجههم ماء الحياء، وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام: « إذَا لَمْ تَسْتَحِ فاصنع ما شِئْتَ»: فلو كانوا يستحيون من أنفسهم - أو على الأقل من الناس - لما أقدموا على هذا الادعاء الباطل، والافتراء الواضح.

ولسنوات عديدة ظل «رحمة الله فاروق» يدافع من خلال كتاباته وخُطبه عن الإسلام، ،ووضع عدة مؤلفات، لعل أشهرها وأهمها كتابه «يقظة غربية على الإسلام»[1]. . .

وقد نال «رحمة الله فاروق» شُهرة بين المسلمين داخل بريطانيا وخارجها، حيث كان يُلْقَى بالترحاب فى بلاد المسلمين أينما حل، ومن ذلك استقباله فى مصر بهتاف الترحاب والحب.

رَحِمَ الله «لورد هدلى» الذى آمَنَ برحمة الله، فتسمى برحمة الله.. وعرف الحق من الباطل فكان فاروقاً.

* * *

(١) مجلة الفيصل - عدد فبراير ١٩٩٣ (بتصرف).

مع الدبلوماسى الألمانى المسلم
السفير الدكتور «مراد ولفريد هوفمان»

رحلته إلى الإيمان بعقيدة الإسلام تختلف عن الآخرين الذين اعتنقوه، إذ أنه باعتباره دبلوماسياً تعوَّدَ على التأنى فى اتخاذ القرارات، فلا يتخذ قراراً إلا بعد دراسة دقيقة عميقة لكل جوانبه، وقراءة متأنية لكل ما يحيط بها من ملابسات، وهذا ما فعله السفير الدكتور «مراد ولفريد هوفمان» سفير ألمانيا الاتحادية فى الجزائر، إذْ دامت رحلته إلى عالم الإيمان ما يزيد على العشرين عاماً من القراءة وإمعان الفكر، قرأ خلالها قرابة مائتى كتاب عن الإسلام.. فى مقدمتها «القرآن الكريم» مترجماً لمعانيه باللغة الفرنسية والألمانية، وكذا كتب الصحاح.

عوامل كثيرة أسهمت فى إحداث هذه النقلة فى حياة السفير، فالقراءة وحدها لم تكن بكافية ما لم تؤازرها روح مشرئبة إلى الإيمان، تقود صاحبها إلى سبيل الرشاد والهدى، حيث إن الاقتناع العقلى لا يكتمل إلا بإيمان القلب، فضلاً عن أن الانتقال من عقيدة نشأ عليها المرء وتربى على تعاليمها إلى عقيدة تختلف عنها ليس أمراً سهلاً، وبخاصة فى بلد مثل ألمانيا يتعصب لمسيحيته وعِرْقه، ويربط بينهما ربطاً وثيقاً محكماً، وذلك كما يصرح «د. مراد هوفمان» نفسه.

وبلا شك أن العمل الدبلوماسى قد أتاح له عاملاً مهما أثَّرَ - فيما بعد -

فى اتخاذه أهم قرار فى حياته، إذ أمكنه من خلال العمل الدبلوماسى، التعرف على الكثير من الشخصيات المسلمة من مختلف الجنسيات، ولم تغب عن فطنته وذهنه الحاضر أن يلحظ ما يتحلى به هؤلاء من خُلُق متْين يرتكز على قيم ومبادئ الإسلام، مما حفزه على محاولة تفهم طبيعة تلك العقيدة، ويضرب مثالاً على ذلك فيقول:

«لقد ترك الأستاذ محمد أسدا[1] ـ رحمه الله ـ أثراً طيباً فى نفسى حين التقيتُ به فى ألمانيا الغربية عام ١٩٥٠، كما عزز هذا الأثر لقائى مع المترجم المسلم «محمد حبوت» الذى قام بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية ـ كذلك أسهم مسلم مصرى مغترب يسمى «محمد رسول»[2] فى تعريفى الكثير عن الإسلام وتعاليمه، فضلاً عن إذكاء الانطباع الجيد عن الإسلام والمسلمين فى نفسى»[3].

وبدأت فطرة الحق التى فَطَرَ الله عز وجل الناس عليها تستيقظ داخل نفس «هوفمان» وتاقت إلى الإيمان الصحيح بالله عز وجل، ولا سيما أنه يذكر حادثَيْنِ مؤثرين، أحدهما: عندما كان يعمل فى قنصلية بلاده فى الجزائر عام ١٩٦١.. فبينما كانت شوارع العاصمة الجزائرية تموج بطلقات الرصاص لتخمد المقاومة الجزائرية ضد المستعمر الفرنسى، فاجأت آلام المخاض زوجته، فخرج مهرولاً ليبحث عن سيارة تقل زوجته إلى المستشفى، واليأس يعصر نفسه، كيف سيجد سيارة إسعاف وسط هذا الجو الملبد بدخان البنادق وطلقاتها، وأجساد القتلى والجرحى.. غير أن يذكر أن هاتفاً كان يصرخ فى داخله: ثِقْ بالله.. ثق بالله... ولم يصدق نفسه وهو يرى أمامه سيارة إسعاف، وكأنما أرسلتها العناية الإلـهية لإنقاذ زوجته التى كُتِبَتْ لها حياة جديدة من حيث لا يدرى.

---

(١) هو أول مندوب لباكستان فى الأمم المتحدة.

(٢) يدير هناك مركزاً للكتاب الإسلامى فى كولونيا ومتزوج من ألمانية.

(٣) يلاحظ هنا كيف تكون القدوة الحسنة لها التأثير الكبير فى نفوس غير المسلمين.

والحادث الآخر: وقع فى العام نفسه فى أثناء سيره فى أحد شوارع الجزائر يرافقه شخص فرنسى، إذ انطلق فجأة وابل من الرصاص نحوهما سقط على إثْره رفيقه غارقاً فى دمائه فى حين لم يُصَبْ هو بأدنى أذىً.

يتذكر «هوفمان» هذين الحادثين وأثرهما فى إذكاء إيمانه بالله، ويقينه بعظمته عز وجل الذى أراد له أن يحيا مؤمناً به، وبما جاء به من رسالات سماوية ختمها برسالة الإسلام التى أنزلها على رسوله محمد ﷺ.

وبالفعل عزم على أن يعلن إسلامه بعد ما شرح الله صدره للإسلام ليبدأ حياة جديدة.. ففى خريف عام ١٩٨٠ وقف الدكتور «مراد ولفيرد هوفمان» أمام صديقه المسلم «محمد رسول» مدير مركز الكتاب الإسلامى فى «كولونيا» لينطق بملء فيه:

«أشهد أن لا إلـه إلا اللّه وأن محمداً رسول الله».

وبعد هذه النقلة من عالم الضلال إلى عـالـم الإيمـان، تغيـرت حيـاة «د. مراد» كلياً، إذْ توقف عن تناول الخمور وكل المحرمات المنتشرة فى المجتمعات الغربية، والتى نهى عنها دين الإسلام، وبالتالى التزم بالقيم والمبادئ والتعاليم الإسلامية سلوكاً وعملاً... فمن الطريف مثلاً.. أنه لِتَجَنُّب المواقف المحرجة التى كان يتعرض لها بحكم عمله الدبلوماسى مثل اضطراره حضور حفلات الغداء الدبلوماسية وهو صائم، أو حضور حفلات يتناول خلالها المدعوون الخمر أو ما شابه ذلك ـ طلب «د. مراد» نقله للعمل فى إحدى السفارات الألمانية بالدول العربية أو الإسلامية، باعتباره السفير المسلم الوحيد بين سفراء ألمانيا الاتحادية.. وكان أن عاد للعمل فى الجزائر بصفته سفيراً هذه المرة.

ولم يكتف السفير «هوفمان» باعتناق الإسلام والتزامه بالتعاليم الإسلامية، وإنما أراد أن يساهم فى خدمة الدعوة الإسلامية، فوضع كل ما يملك من

خبرة وثقافة وعلاقات واسعة عبر عشرات من الكتابات، والعديد من الكتب[1] التى توضح للرأى العام الغربى حقيقة الإسلام، بعد أن يكشف زيف وأباطيل ما يُوَجَّه إلى تلك العقيدة السماوية من اتهامات باطلة مغرضة كما أنه يعمل جاداً من أجل خدمة إخوانه المسلمين فى ألمانيا[2] وزيادة عددهم حيث يتمنى أن يتمكن من توسيع دائرة الإسلام فى صفوف الشعب الألمانى، ولذلك فهو لا يهدأ أو يستكين عن توضيح حقيقة الدعوة الإسلامية وما تدعو إليه من قيم ومبادئ سامية لينظر الرأى العام الغربى إلى الإسلام نظرة واقعية بعيدة عن روح التعصب البغيض التى يروج لها أناس لا يعرفون شيئاً عن الإسلام أو يحقدون عليه وعلى أهله، ومن هنا صارت أمنية «د. مراد هوفمان» أن يستكشف الغرب وغيره ممن لا يدينون بالإسلام عظمة هذا الدين، الذى وضع قواعد متكاملة لحياة الإنسان يسترشد بها فى دنياه ليفوز بها فى أخراه ـ على حد تعبيره.

وهكذا عرف «د. مراد» طريقه إلى الله، وإلى دينه الحق الذى صار يدعو إليه فى غيرة وحماسة المؤمن.. فهل من مُدَّكِر؟.

ومن الجدير بالذكر أنه قد أُثيرت ضجة فى ألمانيا، وزاد طنينها الإعلامى أن السفير الألمانى فى الجزائر «فيلفريد هوفمان» قد اعتنق الإسلام، وغير اسمه إلى «مراد هوفمان».

وتتركز الأزمة على كتاب وضعه السفير «مراد» ـ وهو دبلوماسى محنك فى الواحدة والستين من العمر، ومتزوج من تركية ـ بعنوان «الإسلام كبديل» يصف فيه الإسلام بأنه أكثر الأنظمة شمولاً لحقوق الإنسان فى العالم.. هذا، وقد صدر له قبل ذلك كتاب «يوميات ألمانى مسلم» فى عام ١٩٨٥.

---

(١) لعل أشهر تلك الكتب وأهمها كتابه «الطريق إلى مكة» الذى ترجم إلى ثلاثين لغة.

(٢) توجد هناك جالية مسلمة معظمها من الأتراك، لا يقل تعدادها عن ١٥ الف مسلم، فضلاً عن ثلاثين الف مسلم ألمانى قد أسلموا عن اقتناع.

وقدم التليفزيون الألمانى برنامجاً خاصاً حول السفير «مراد هوفمان» ظهر فيه وهو يصلى ويصوم حسب القواعد الإسلامية. وقد طلب الحزب الديمقراطى الاشتراكى المعارض من وزارة الخارجية عزل السفير «مراد» من منصبه، بحجة أن عقيدته الإسلامية تتعارض مع ما ينص عليه الدستور الألمانى.

والجدير بالإشارة أن الحملة على السفير الذى أنار الله قلبه بالإسلام تأتى أيضاً من ساسة ونواب فى الحزب المسيحى الألمانى تقدموا بطلبات كثيرة بفصله عن عمله، وشاركت فى تلك الحملة الصحافة الصهيونية الميول، مثل صحيفة «بيلد أم زونتاج» التى دعت إلى سحب السفير من وظيفته، لأنه سيتسبب بإلحاق خطر كبير بالأمة الألمانية[1].

* * *

(١) مجلة الوعى الإسلامى الصادرة فى يونيو ١٩٩٢ (بتصرف).

مع بطل العالم في الملاكمة «كاسيوس كلاى»[1]
الذى صار «محمد علي كلاى»

ولد «كاسيوس كلاى» فى «كونتاجى» بالولايات المتحدة الأمريكية، تلك المنطقة التى اشتهرت بأبشع ألوان التفرقة العنصرية.. وكان طبيعياً أن يعانى الصغير «كاسيوس» منذ طفولته من التفرقة العنصرية بسبب لونه، ولعل تلك المعاناة كانت حافزه لتعلم الملاكمة حتى يمكنه الرد على من يسيئ إليه من أقرانه البيض... ولأنه يملك قواماً رياضياً وعضلات مفتولة، فقد وجد طريقه نحو هذه الرياضة ممهداً بقوة ساعديه.. ولم يكد يبلغ العشرين من عمره حتى تمكن من تحقيق بطولة الوزن الثقيل فى دورة روما الأوليمبية عام ١٩٦٠.

ولم تمر سنوات قليلة حتى تمكن «كلاى» من انتزاع بطولة العالم للمحترفين من شرير الحلبة «سونى ليستون» فى واحدة من أقصر مباريات الملاكمة، إذ لم تستغرق سوى ثوانٍ معدودة، تُوِّجَ بعدها «كلاى» بطلاً للعالم فى الملاكمة[2].

---

(١) «كاسيوس كلاى» اسم يعود إلى أكثر من مائة سنة، حيث كان جده لوالده يعمل عند رجل ثرى يحمل اسم «كاسيوس كلاى» فحمل الاسم جده، ومن بعده والده، وبالتالى حملت العائلة اسم سيدها.

ومما هو جدير بالذكر أن «محمد على كلاى» قد اكتسب شهرة وذاع صيته كملاكم، واستمر فترة طويلة فى حلبة الملاكمة حتى اعتزل منذ سنوات ليتفرغ للدعوة الإسلامية.

(٢) مجلة الفيصل ـ العدد ١٧٠ الصادرة فى مارس ١٩٩١ (بتصرف).

وبين ضجيج هتافات المعجبين، وبريق فلاشات آلات التصوير، وقف البطل ليعلن أمام ملايين الشهود الذين تحلقوا حول الحلبة، وأمام أجهزة الإعلام المختلفة إسلامه مروداً:

«أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله».

بعدها قام البطل «كاسيوس» بتغيير اسمه إلى «محمد على كلاى» ليبدأ وسط دهشة المشاهدين معركة أخرى مع الباطل، وبالفعل، فكل من تَابَعَ سيرة «محمد على» منذ إشهار إسلامه يعلم الكثير عن المضايقات والمتاعب التى تعرض لها بطلنا المسلم، والتى وصلت حد الحكم عليه بالسجن، وسحب لقب البطولة منه أكثر من مرة.

غير أن شيئاً من هذا لم يحول دون مواصلة رحلته للإيمان بعقيدة الإسلام التى بدأت فى أحد أيام عام ١٩٦٠.. هذا اليوم لا ينساه «كلاى» لأنه كان اليوم الذى فك فيه قيوده بقوة الإسلام الذى اعتنقه، فتحرر من أول دلائل رِقّة.. من اسم «كاسيوس» الذى حمل دلالة العبد، حيث كان والده عبداً يحمل اسم من يعمل لديه.. واختار بدلا منه اسم «محمد» تيمناً باسم الرسول محمدﷺ، الذى اختاره الله نبياً ورسولاً للناس أجمعين.

وقبل أن نخوض فى تفاصيل الرحلة، نجد سؤالاً مُلحّاً يبحث عن إجابة هو: هل كانت معاناة «محمد على» من العنصرية سبباً لنفوره من المسيحية واعتناقه الإسلام؟.

لقد حرصت الدعاية الكنيسية على إثارة هذه النقطة بغية إلقاء شُبهات على قصة إسلام البطل، ونَفْيِ أن يكون الإيمان وراء قراره. فالتفرقة العنصرية وإن جعلت «كلاى» فى صباه يحتقر الكنيسة التى لم تفعل شيئاً لإزالتها، ولم تكن وراء قراره إشهار إسلامه. ولكنها كانت سبباً فى تساؤله عن مدى صحة العقيدة المسيحية التى تسمح بمثل هذه الممارسات.. ذلك التساؤل

الذى قاده إلى التعرف على الإسلام، وبالتالى معرفة محاسنه وتعاليمه السمحاء، ومن ثم اعتناقه بعد ما وجد فيه ما لم يجده فى أى ديانة أخرى.

إن اتجاه «محمد على كلاى» نحو الإسلام كان أمراً طبيعياً يتفق مع الفطرة... فطرة الله التى فطر الناس عليها، ولا سيما بعد أن استغرقت رحلته الإيمانية سنوات من المقارنة بين الإسلام والمسيحية.. وكانت رحلة شاقة، فالكل من حوله ما بين مثبط ومضلل، فى حين أن المجتمع نفسه من حوله يشيع فيه الفساد، ويختلط الباطل بالحق، فضلاً عن أن الدعاية الكنسية تصور المسلمين فى صورة هَمَج. وترجع أسباب تخلفهم إلى الإسلام ولكن «محمد على كلاى» وقد نوَّر الله بصيرته عمدَ إلى التمييزْ بين واقع المسلمين اليوم، وحقيقة الإسلام الخالدة... إذ وجد فى الإسلام ديناً يحقق السعادة للبشر جميعاً، فهو لا يميز بين لونٍ وجنس وعرق، فالكل متساوون أمام الله عز وجل أفضلهم عند ربهم أتقاهم.. فآمن أنه أمام دين عظيم يؤمن بإله واحد، بعيداً عن تثليث المسيحية التى لم يؤمن عقله الواعى بها، حيث لا يعقل أن يدبر ثلاثة آلهة كوناً واحداً بمثل هذا النظام المتفرد البديع..

ثم لمس «محمد على» كيف يوقر المسلمون «عيسى عليه السلام» وأمه السيدة العذراء ويرفعونهما إلى المقام اللائق بهما. فأدرك أن لاعداء من الإسلام تجاه المسيح عليه السلام، أو المسيحية فى حقيقتها النقية وعقيدتها الأصلية.. وأن ما يشيعه القُسس والرهبان حول ذلك محض افتراء وأكاذيب.

ولم يكتف «كلاى» بارتياحه العميق لعقيدة الإسلام، فعمل أن يخطو عملياً نحو ترجمتها فى نفسه، فطلب من صديق مسلم له أن يصحبه إلى أحد المساجد ليسمع حديثاً عن الإسلام.... وعن ذلك يقول:

«أخذنى صديق مسلم من ولاية ميامى الأمريكية إلى مسجد بها لأول مرة لأسمع حديثاً عن الإسلام وتعاليمه، وذلك فى أحد أيام[1] عام

(١) لم يذكر التاريخ بالتحديد لم تسعفه الذاكرة.

١٩٦٠. . . . . . وبينما أنا أستمع إلى خطيب المسجد أحسست بالصدق لأول مرة وهو يتحدث عن حقيقة الإسلام والمسيحية. .

وعرفت من شيخ المسجد أن الإسلام هو المساواة. . وأنه لافرق بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى، ليس هناك تفرقة على الإطلاق بين مسلم ومسلم. . وكانت هذه أول معرفتى بالإسلام.

ثم يستطرد قائلاً:

«لقد قرأت معانى القرآن الكريم مترجمة، فما ازددت مع كل سطر قرأته إلا اقتناعاً بأن هذا الدين حقيقة ربانية محال أن يخترعه بشر. .»

ويذكر «محمد على كلاى» أنه عمد إلى الاختلاط أكثر بجماعات المسلمين، فلم يجد منهم سوى طِيب العِشْرَة والتسامح، والمحبة التى افتقدها فى تعامله مع المسيحيين الذين نظروا إلى لونه ولم ينظروا إلى جوهره.

وحملته هذه القناعات لأن يحيا مع القرآن الكريم بقلبه وفكره. . وعن ذلك يقول:

«بدأت أعيش مع القرآن، والفاتحة أول سورة حفظتها منه. . . . وبدأت رحلة الإسلام التى هى رحلة طمأنينة، ورحلة إيمان.يعيشها صاحبها بتعاليم خالقه، سبحانه وتعالى».

. . . .ثم يعترف محمد على كلاى أنه لم يكن يعرف حقيقة نفسه كإنسان، فلم يكن يعرف الحلال من الحرام. . ويعبر عن ذلك فيقول:

«إننى لم أكن أعرف حقيقة الإنسان، ولم أكن أعرف الحلال والحرام، ولذلك فالإسلام مكسب نفسى لا يفهمه من لم يعرفوه. . .لقد علمنى الإسلام التواضع ومحبة الناس».

---

(١) المرجع السابق (بتصرف).

ولم يسلم كلاى من إيذاء أعداء الإسلام له، وعلى رأسها الصهيونية التى جندت ضده الدعاية المغرضة السيئة التى تحاول النَّيْلَ من كل مسلم يدافع عن دين الإسلام بصوت قوى، كما فعل محمد على كلاى عندما أعلن إسلامه وبأنه سيدعو لدين الإسلام فى كل مكان ينتقل إليه داخل الولايات المتحدة الأمريكية أو خارجها. . . . ولكن لم يكن يضيره ما يناله من إيذاء وتشويه لصورته، ولا سيما من الجماعات التبشيرية المضللة فى أورُبا، وأمزيكا بالذات وذلك بعد أن لمست مدى تأثير اسلامه على الشباب فى الغرب. .

وهذا ما فطن إليه «كلاى» وصار يلح على أن الشباب فى الغرب يحتاج إلى الداعية المسلم الحق الذى يشرح لهم شريعة الإسلام الحقيقية. . . فيقول مؤكداً على ذلك:

«إننا لو قمنا بهذه الدعوة سنجد حشوداً كبيرة تدخل إلى الإسلام، الذى عندما نقارنه بغيره من الأديان نعرف أنه الدين الهادى إلى القلوب، دين الحق والنقاء».

وظل «كلاى» يؤكد لكل من يتحدث معه أن مشاكل الشباب المستفحلة وغيرها لن تجد حلولاً إلا فى الإسلام وحده، ويشير إلى المجمعات الغربية التى تعيش فى حالات من الضياع والانحرافات والتفكك الأسرى الرهيب التى لو اتجهت إلى تعاليم الإسلام ومنهجه لأمكنها أن تنجو بنفسها مما هى فيه[1].

ولم يكتف كلاى بذلك بل أخذ يحذر المسلمين من الجماعات التبشيرية المتعصبة التى تريد بكل الطرق والوسائل أن توقف المد الإسلامى الزاحف. كما أخذ يحذر من الصراعات التى يحاول أن يصدرها أعداء الإسلام بسمومه المدمرة فى الأوساط الإسلامية.

---

(١) جريدة المسلمين فى عددها الأول فبراير ١٩٨٥ (بتصرف).

وهكذا نرى أن «كلاى» قد انتقل من مرحلة اعتناقه للإسلام إلى مرحلة الدعوة إليه بحماس المؤمن وإصرار وعناد من عرف طريق الحق فلم يتزحزح عنه. . . .

لقد أخذ يدعو الناس فى الأماكن التى ينتقل إليها إلى دين الإسلام، موضحاً لهم عظمته كدين يحمى من التخبط والضياع الذى يعيشه الشباب فى كل ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية أو خارجها.

كما سعى إلى توسيع رقعة نشر الدعوة الإسلامية من خلال إقامته للمساجد فى كل ولاية أمريكية. . كما اهتم بطبع ونشر المطبوعات الإسلامية التى تبين تعاليم الإسلام وأركانه وسلوكياته.

وحث على مداومة قراءة القرآن فقال:

«إنه كلما قرأ المسلم القرآن بعمق، وقام بتأدية الشعائر الإسلامية بصدق وعمق، ركب بَرَّ الأمان فى رحلة الإسلام، وركب قطار الاستقرار والطمأنينة، ويبعد عنه خبث الشيطان».

لقد كان «محمد على كلاى» يُطَأطِئُ رأسه فى عزة المؤمن الذى يسمع من يسئ إليه، فيردد قائلا:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾(١).

وهكذا تغلغل الإيمان فى نفس «كلاى» حتى صار داعياً للإسلام الذى اعتنقه بعد ضلال، وحرص على أن يكون نموذجاً طيباً فى ذلك قبل أن يدعو غيره. . . ولا عجب، فالإسلام قوة تغير نَفْس مَنْ تغلغل فيها، فلقد بدأ «كلاى» يشعر أنه إنسان آخر، وأنه خُلقَ من جديد، وآمن أن اهتدائه للإسلام ما كان ليتم لولا رحمة الله به، مما نَمَّى فى داخله شعوراً ورغبة جارفة فى التعبير عن شكره للخالق سبحانه وتعالى الذى هداه لذلك، فاتخذت رغبته اتجاهاً إيجابياً تجلى فى ممارسته للدعوة إلى الله ودينه الجديد، ـ أعنى الإسلام

(١) سورة القصص الآية: ٥٦.

ـ متخذاً ـ من سلوكه ومنهاج حياته وقيم وتعاليم وآداب الإسلام ـ سبيلاً وغاية.

لقد صار «محمد على كلاى» نموذجاً طيباً للمسلم الداعية الذى لا يدع فرصة إلا ويدعو للإسلام.. ولم يعقه المرض الذى أصيب به قبل سنوات نتيجة لممارسة الملاكمة من القيام بواجب الدعوة إلى الله.. فبرغم ما يعانيه الآن ـ من آلام المرض إلا أن رحلاته إلى بلاد العالم شرقاً وغرباً من أجل الدعوة الإسلامية لم تتوقف.. حتى يمكننا أنه نعده من أنشط رجال الدعوة الإسلامية فى أمريكا، وأكثرهم عطاء.

ومما هو جدير بالذكر أن دعوّته للإسلام بدأت بمن حوله.. وهو رب أسرة مسلمة، حرص على أن يسمى أبناءه من الأولاد والبنات بأسماء إسلامية أصيلة، فلديه: محمد، ومريم، ورشيدة، وخليلة، وجميلة، وهناء، وليلى.... وجميع أبنائه يتلقون تعليماً إسلامياً، ويذهبون للمسجد، باستمرار حتى يكونوا على صلة دائمة بربهم وتعاليم دينهم، كما يذكر أباهم «محمد على كلاى».

وهكذا وصلت رحلة إيمان الملاكم العالمى «كاسيوس كلاى» إلى منتهاها، ليصير المسلم الداعية «محمد على كلاى».

لقد كان يُعْرَفُ قبل إسلامه بـ «الأعظم» إذْ كان أفضل ملاكمى عصره، بل إن النقاد الرياضيين عَدُّوُه أفضل ملاكمى القرن الحالى كله[1].... ولكنه حين أسلم نبذ لقب «الأعظم» إذْ لم يعد ميالاً للتعالى، فقد صار بسيطاً هادئاً وديعاً متمثلا بساطة الروح الإسلامية.

* * *

(١) يعرف ذلك الذين كانوا يتابعون مبارياته حين كان يتراقص على الحلبة برشاقة ثم ينقض على خصمه انقضاض الوحش الكاسر، ويلدغه بلكمة سريعة لا يملك منها خصمه هرباً أو فكاكاً يسقط على أثرها صريعاً.

مع «كريستوفر شامونت»
أشهر رجل اقتصادى في العالم

بعد دراسة عميقة لدين الإسلام اعتنقه أشهر رجل اقتصادى فى العالم «كريستوفر شامونت»... وسمى نفسه «أحمد»، تيمناً باسم رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، والذى ورد اسمه فى القرآن الكريم على لسان السيد المسيح ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾(1).

وعن المقدمات والمسببات التى دفعته لاعتناق دين يخاطب العقل والتفكير المنطقى، يمر بمرحلة شكوكه فى مسألة «التثليث» التى لم يجد لها تفسيراً مقنعاً إلا فى القرآن الكريم.... فيعبر عن ذلك قائلا:

«كنت أشك دائماً فى أن هناك أكثر من إلـه... ولم أعتقد بعملية «التثليث»، برغم أننى كنت متعصباً لدينى.. واشتدت بى الحيرة والشك عندما تقدمتُ فى السن، وبدأت أبحث عن أصل مسألة «التثليث» فى القرآن الكريم لَعلّى أجد الإجابة.

وبدأت القراءة المتعمقة للقرآن، وفهمتُ ماهية وعظمة الإسلام وقُدْرَته الفائقة على مخاطبة عقل الإنسان وإقناعه.... ووجدتُ أخيراً ما كنت أبحث عنه بشأن عملية «التثليث» حينما قرأت فى القرآن الكريم أن المسيح رسول الله، وأنه بشر... وأن هناك إلـهاً واحداً فقط هو المستحق للعبادة والطاعة».

(1) سورة الصف ـ من الآية السادسة.

وبدأ «كريستوفر شامونت» يضع يده على بداية الطريق لفهم الإسلام باتجاهه لقراءة القرآن الكريم المترجم بالإنجليزية. . . وفى البداية كان فهم معانيه يمثل صعوبة كبيرة بالنسبة له، ولكنه استطاع فهم بعض آياته البسيطة الواضحة المعانى على حد تعبيره.

واتجه أيضاً ـ لقراءة بعض الكتب المترجمة عن الإسلام التى حصل عليها من خلال عمله فى المملكة العربية السعودية واختلاطه بالمسلمين من مختلف الجنسيات والمناقشات التى دارت بينه وبينهم. . . وعن ذلك يقول:

«لقد كان لإختلاطى بالمسلمين من مختلف الجنسيات والمناقشات التى دارت معهم أثر كبير فى معرفتى بالإسلام، بعد أن وجدتُ نفسى مدفوعاً إلى الرغبة فى التعرف على فلسفة الدين الإسلامى».

ثم يردف كلامه وهو يهز برأسه ويشير بأصبعه ليقول مؤكداً:

«كل ما قرأته فى القرآن كان يعلق بذهنى طوال الوقت. . فالله سبحانه وتعالى يخاطب عباده مباشرة بدون أى وساطة، عكس الكتاب المقدس، فالكلام فيه دائماً على لسان الرسل».

ويصمت للحظات ـ يسترجع فيها الفترات التى استغرق فيها بحثه ودراسته لتفهم القرآن ومعانيه ـ ليقول بعدها.

«لقد قرأت ست سور من القرآن الكريم بدأتها بسورة البقرة. . وكنت أعيد قراءة هذه السور عدة مرات حتى أفهمها بعمق، لأنها تشمل مفهوم الإسلام. . .

وفى كل مرة كنت أجد فى نفسى صدىً كبيراً بعظمة الله سبحانه وتعالى ورحمته التى لا يمكن أن توجد فى أى مخلوق. . فهو غفورٌ رحيم، يغفر لعباده كل الذنوب ـ مهما تكن ـ إذا لجأ إليه العبد وطلب التوبة والغفران». . . . ثم يستدرك حديثه موضحاً ما تعنيه رحمة الله وغفرانه كما فهما فيقول:

«ولكن ذلك لا يعنى أن يتمادى الإنسان فى ارتكاب الخطأ معتمداً على أن الله سيغفر له ما ارتكب من ذنوب».

كما فهم عظمة الخالق من خلال تأملاته وتفكيره لما فى الوجود من مخلوقات تشير إلى عظمته وقُدرته.. كما عبر عن ذلك بقوله:

«كل شئ فى الوجود، من نبات، أو جماد، أو إنسان، وكل ما يشير إلى دلائل قدرة الله وقوته وعظمته، جَلَّ وعَلاَ... ولذلك ينبغى على المسلم الحق أن يحافظ على النبات والجماد، وأن يحسن التعامل معهما.. فمن مبادئ الإسلام العظيمة دعوة الإنسان إلى عدم الإيذاء أو الإضرار بأحد ولو كان جماداً».

وينظر «كريستوفر شامونت» إلى بعيد ثم يضيف قائلاً:

«إن تعاليم الإسلام عظيمة، لو تمسك بها المسلمون لبلغوا أقصى درجات التقدم والرُّقى.. لأن الإسلام يملك كل أسباب التقدم والقوة والحضارة. ولكن المسلمين متقوقعون.. وهو ما جعل غيرهم يتفوق عليهم... مع أن المسلمين الأوائل كانوا أول من سلك طريق الحضارة والتقدم العلمى والاجتماعى والاقتصادى».

ثم يعاود نظره إلى الأفق البعيد، وهو يشير بأصبعه بقوة وحماس قائلاً:

«ومن هنا أعلنتُ إسلامى، وآمنت بأركان الإسلام الخمسة.. وأولها: أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأن مَحَمدا رسول الله».

وعن التعاليم الإسلامية التى بدأ فى تطبيقها وممارستها بالفعل يقول البروفيسور «أحمد شامونت».

«إننى الآن أحرص على تأدية الصلاة فى أوقاتها... وغيرها من فرائض... إلا أننى أتمنى أن أؤدى فريضة الحج، لأننى أعلم أن هذا ركن

عظيم من أركان الإسلام الخمسة، وبأدائه يغفر الله للإنسان جميع ذنوبه إذا ما تقبل الله منه. . .».

ثم يستطرد بعد برهة استكشف فيها أعماق نفسه وما تتمناه قائلاً:

«كما أتمنى أن أتعلم اللغة العربية. . لغة القرآن الكريم، حتى أستطيع قراءة كتاب الله بسهولة، ومخاطبة المسلمين والتفاهم معهم، فاللغة العربية هى وسيلة الاتصال الفعالة، لكى تكسبنى قدرة أكثر على الفهم الصحيح للدين الإسلامى العظيم. . . . وأتمنى أيضاً أن يتوافر فى العالم الإسلامى كتب وصحف دينية باللغة الإنجليزية».

ثم بَلْوَرَ البروفيسور «أحمد شامونت» العالم الاقتصادى الشهير نظرته للإسلام فقال:

«إن الإسلام هو الدين الذى يُخاطب عقل الإنسان. . . ويضع يده على بداية الطريق ليحقق السعادة فى الدنيا والآخرة. . . . هذه حقيقة، فلقد وجدت فى الإسلام ما كنت أبحث عنه. . . وأى مشكلة يواجهها الإنسان يجد حلها فى القرآن الكريم».

* * *

مع أول رائد فضاء يهبط علي القمر
«نيل أرمسترونج»

سمع الأذان فى القاهرة، فقال: «سمعتُ هذا فوق القمر»!!... إنه رائد الفضاء الأمريكى «نيل أرمسترونج» أول من هبط على سطح القمر فأشهر إسلامه.

ذكرت الصحف[1] أن مصر وراء إسلام رائد الفضاء الأمريكى...... وقصة هذا الخبر تعود بدايتها إلى عدة سنوات عندما كان فى زيارة للقاهرة ضمن جولة له حول العالم.

وبينما كان رائد الفضاء «نيل أرمسترونج» يتجول فى أحياء القاهرة الشعبية إذْ سمع أذانَ الظهر ينطلق من المساجد، فأصابه الذهول. وتساءل وسط دهشته البالغة عن هذا الصوت، فأجابه مرافقوه وهم متعجبون من ذهوله: «إنه الأذان الذى ينبه المسلمين إلى الصلاة».

ولم يجب عليهم رائد الفضاء الأمريكى بأى تعليق، واستمر فى ذهوله الشديد وسط دهشته المرافقين له..... وبعد أيام قليلة ألقى بتصريح أحدث دوياً شديداً كقنبلة، أعلن فيه لكل من حوله فى صراحة واضحة وبدون تردد أن كلمات الأذان التى رنَّت فى أذنه بدون أن يفهمها هى نفس الكلمات التى سمعها عند هبوط أقدامه لأول مرة على سطح القمر!!

(١) نشرت ذلك الصحف الماليزية، ونقلته عنها بعض الصحف التى تصدر فى سيلان، وكثير من الدول، ومنها مصر التى نشرت الخبر فى أحد اعداد صحيفة أخبار اليوم الأسبوعية.

وعقب عودته إلى بلده «الولايات المتحدة الأمريكية» عكف على دراسة الدين الإسلامى دراسة متأنية، عرف فيها قواعد الدين وتعاليمه. . . ولم يلبث بعدها إلا أن يعلن عن إسلامه.

الغريب فى الأمر أنه كان من جراء هذا الموقف واعتناقه للإسلام أن تم فَصْلُه من عمله فى مركز الفضاء، ولكنه لم يَأْبَه لذلك، بل قال فى قوة إيمان: «فقدت وظيفتى ولكننى وجدت الله».

* * *

مع الرحالة السويسري المسلم
«يوهان لودفيل بروكهارت» [إبراهيم المهدي بن عبد الله]

فى عام ١٧٨٤م ولد «يوهان لودفيل بروكهارت»(١) فى مدينة «لوزان» بسويسرا.. وتلقى دراساته العليا بألمانيا حيث درس الكيمياء.

وفى عام ١٨٠٦م رحل إلى إنجلترا، فدرس علوم الطب والفَلَك فى جامعة «كمبردج»، وساقته دراسته لأصول هذه العلوم فى مراجعها الأولى التى تنبثق عن العرب إلى دراسة اللغة العربية، فأحب هذه اللغة، كما أعجب بأهلها ومآثرهم وفضلهم على الحضارة العالمية، فشعر برغبة جارفة فى الاستزادة من تعلم العلوم العربية والتعرف على العرب فى مواطنهم،. ودراسة طباعهم وأحوالهم الاجتماعية والأخلاقية.. فرحل إلى مدينة «حلب» بسوريه لدراسة العلوم العربية فأتقن اللغة العربية، مما ساعده على أن يدرس القرآن الكريم، ويتعرف على ما يدعو إليه الإسلام من مبادئ وتعاليم، فازداد إعجابه به، وخاصة بعد أن تفقه فى علومه، وتمعن فى معانيه وأبعاده الواسعة.

وفى عام ١٨٠٩م لم يملك الباحث العالم الكبير «يوهان بروكهارت» إلا

(١) قد وصفه الدكتور محمد محمود الصياد فى مقدمته لكتاب «رحلات بروكهارت فى بلاد النوبة والسودان» الذى تُرجم إلى اللغة العربية ونشر عام ١٩٥٩ بانه كان طالباً مثالياً، أكسبته مواهبه الممتازة ورغبته الصادقة فى المعرفة وتمسكه بقواعد الشرف تقدير أساتذته، واحترام زملائه، وصارت له مجموعة كبيرة من الأصدقاء يحبون فيه صراحته الكاملة، ومَرَحَهُ المعتدل، وصفاء طبعه. (مجلة منبر الإسلام عدد سبتمبر ١٩٧٣) (بتصرف).

أن يعلن عن اعتناقه للدين الإسلامى بعد دراسة جادة مضنية،أوصلته إلى اقتناع كامل بتعاليم الإسلام كدين واقعى يتمشى مع فطرة الإنسان وطبيعته، وتسمى بعد ذلك باسم «إبراهيم المهدى بن عبد الله».

وفى عام ١٨١٤م أراد أن يستكمل أركان الإسلام فى نفسه، فذهب إلى الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج، وقضى فى «مكة المكرمة» ثلاثة أشهر. ذهب بعدها إلى مصر ليتعايش مع المسلمين فيها ويسجل انطباعاته ومشاهداته عنها، كما فعل فى جميع رحلاته السابقة التى أسفرت عن كثير من الحقائق العلمية المجهولة تكيد فى سبيلها مخاطر شتى، تغلب عليها بشجاعة وصبر لَفَتَ أنظار من حوله.

واستمر وجوده فى مصر التى أحبها فترة طويلة استغرقت عدة أعوام، حتى وافته المنية على أرضها عام ١٩١٧ ودفن بها بناء على وصيته[١].

وقد ترك مؤلفات عديدة عن مشاهداته فى رحلاته وتحليله لها[٢].

ومن أقواله فى المجتمع الإسلامى، وأثر الإسلام فى معتنقيه: «إن المجتمع الإسلامى الصحيح، هو مجتمع المحبة والتعاطف والصفاء، وفى ظلاله لا يُعْرَف شئ يسمى العوز أو الحقد، أو التنافر الطبقى، إذ يحظى الفقير، والضعيف، والعاجز من عطف الأغنياء والأقوياء، والقادرين ومعونتهم التى يبذلونها طواعية، ومن غير ترفع ولا تعال، مما يقضى تمام القضاء على تلك الفوارق الاجتماعية، والصراعات النفسيةً التى تعانيها المجتمعات الأوربية وتهدد روابط الناس فيها بأفدح الأخطار».

***

(١) دفن فى المكان الذى أُوصى به، بالقرب من «باب النصر»، وكتب على قبره «هذا قبر المرحوم إلى رحمة الله تعالى الشيخ حاج إبراهيم المهدى ابن عبد الله بروكهارت اللوزانى، تاريخ ولادته ١٠ المحرم سنة ١١٩٩هـ وتاريخ وفاته إلى رحمة الله بمصر المحروسة فى ١٦ ذى الحجة سنة ١٢٣٢هـ».

(٢) منها «رحلة إلى بلاد الشام» . . و «رحلة إلى الجزيرة العربية». . . و «مجموعة الأشكال العربية». . وغيرها.

مع الضابط الألماني المسلم
«جوزيف كليمنس» [الحاج محمد الألماني]

فى عام ١٩١٢م رحل الشاب الألمانى «جوزيف كليمنس» من موطنه «دوسلدرف» إلى المغرب هرباً من زيف الحضارة الأوربية الحديثة التى تَتَّسِم - كما وصفها - بالخداع والتضليل.

ولما كان شغوفاً بالحياة العسكرية، وحب المغامرة، ومواجهة الأخطار، فقد انخرط فى سلك الفرقة الفرنسية التى كانت تعمل على تدعيم الاحتلال الفرنسى، وقمع الثورات المحلية. . . . غير أنه فى النهاية - وبرغم حظوته بإعجاب رؤسائه من القادة الفرنسيين - بدأ يشعر بالضيق وعدم الرضا عن نفسه، وعن الجريمة الإنسانية التى يشارك فى أدائها فى تلك البلاد، فى إحكام قبضتهم على رقاب أصحاب البلاد الشرعيين، وإخماد أى صوت يرتفع مطالباً بأبسط حقوق الإنسان . . . وبدأ إعجابه بالمجاهدين المسلمين يتزايد يوماً بعد يوم، وقد بهره بصفة خاصة استبسالهم فى الدفاع عن وطنهم، وتهافتهم على الظفر بالاستشهاد، ومواجهة الموت بكل شجاعة وثبات، مع التمسك بكل صلابة بالقيم الأخلاقية والمثل العليا، حتى فى أحرج الظروف.

وفى ذات يوم، تسلل من معسكره تحت جنح الظلام، إلى حيث انضم إلى معسكر إحدى القبائل الثائرة فى جبال أطلس، وأعلن لقائدها رغبته فى الانضواء تحت لوائه وإشهار إسلامه، فقابله بالترحاب، وتسمى باسم

«محمد» وارتدى الزى العربى، وتشبه بالعرب فى كل عاداتهم وسلوكياتهم. . . واشترك معهم فى أكثر من غارة على المعسكرات الفرنسية، فأظهر إخلاصاً وبسالة نادرة.

ثم اجتذبته أنباء الانتصارات الرائعة، التى كان يحققها المجاهدون المسلمون، تحت لواء الأمير عبد الكريم الخطابى فى منطقة «الريف»، فتوجه إلى معسكره، حيث انضم إليه فى عام ١٩٢١، وأصبح من أخلص رجاله المقربين، وأهدى إليه عبد الكريم حصاناً، واعتمد عليه فى رسم الخرائط، وتصوير مواقع الأعداء، كما كلفه بترجمة الرسائل التى كانت ترد إليه من بعض الجماعات السياسية الأوربية التى كانت تعطف على حركته وتؤازرها، وخاصة من فرنسا وإنجلترا.

وعندما جاء مراسل صحيفة «الديلى نيوز» إلى منطقة الريف التقى «بجوزيف كليمنس»، والذى كان يطلق عليه فى ذلك الوقت «الحاج محمد الألمانى»، وأعجب به هو وكثيرون من الصحفيين بشجاعته وإخلاصه للمجاهدين المسلمين الذين تشبه بهم فى كل شئ، حتى فى اللباس الوطنى المؤلَّف من طربوش وجلباب من الصوف.

وتناقلت الصحف ووكالات الأنباء ـ حينئذ ـ الروايات التى كانت تشبه الأساطير فى غرابتها عنه، وأصدرت بعض دور النشر كُتباً عن شخصيته التى إسترعت انتباه المؤلفين والمحققين.

ومما يذكر عن «جوزيف كليمنس» أو «الحاج محمد الألمانى» إعجابه المطلق بمبادئ الإسلام وتعاليمه التى تدعو إلى الذود عن الحق والحرية والكرامة بكل سلاح مشروع، وتنهى عن الخنوع والرضا بالقهر والهوان. . . . وفى الوقت نفسه تأمر بالعفو عند المقدرة، وحماية الضعفاء، والإحسان إلى النساء، والحنو على اليتامى والمساكين. . . كان يرى أنها ترضى نزعات

الرجولة فى النفس.... كما أبدى إعجابه بالمجتمع الإسلامى الذى يتسم بهذه المبادئ ولا يبتعد عنها.

وتدور الأحداث، ويقع «جوزيف كليمنس» فى أَسْر القوات الفرنسية بعد سقوط الأمير عبد الكريم الخطابى فى نضال مرير اكتسب إعجاب الرأى العام العالمى.../ وقُدِّمَ «كليمنس» للمحاكمة العسكرية باعتباره هارباً من الجندية، فحكم عليه بالإعدام الذى خُفف فيما بعد إلى الأشغال الشاقة المؤبدة فى معسكر يسمى «جزيرة الشيطان»، الذى يتميز بسوء العذاب لمن يُرَحَّلُ إليه.

والغريب فى الأمر أن أحد الصحفيين الأوربيين قد ألتقى به قبل ترحيله، فوجده رابط الجأش، قوى الإيمان، غير آبِهٍ بالمصير الذى ينتظره.

وأمضى «كليمنس» سنوات طويلة قاسية فى معسكرات التعذيب فى صبر، وأمل، وشجاعة، حتى توفى عام ١٩٦٣.

وطُويت بذلك صفحة حافلة بأروع مواقف البطولة والشجاعة والكفاح، لبطلٍ آمن بالإسلام، فاعتنقه، ونَاضَلَ من أجله حتى الموت.

* * *

مع القائد الروسى الجنرال «أناتولى أندربوتش» الذى أصبح مؤذناً فى مسجد

ولد «أناتولى» فى «باكو» بأذربيجان. . كانت اللينينية محور فكره وأسلوبه الوحيد فى التعامل مع المسلمين الذين يكرههم أشد الكراهية، فهو أحد القواد الروس الملاحدة الكبار، الذى حارب المجاهدين الأفغان واستشهد على يديه الكثيرون منهم. . . وفجأة تغير مساره بعد عامين قضاهما فى جبهة «جلال آباد» وأصبح شخصاً آخر غير الذى عرفه زملاؤه الجنرالات فى الجيش السوفيتى سابقاً. . لقد ترك منصبه الرفيع وما يحيط به من مغريات ليصبح مجرد مؤذن فى مسجد «ألما ـ آتا» ولكن كيف حدث ذلك؟!

قبل أن يجيب أناتولى ـ الذى أصبح اسمه بعد اعتناقه الإسلام «على» ـ على هذا التساؤل، يسترجع ماضيه عندما كان ملحداً حتى «الثمالة» شديد التعصب ضد الإسلام فيتحدث عن نفسه قائلا:

«لم أكن أؤمن بأى دين على الإطلاق، برغم أن أسرتى مسيحية، فقد كنت ملحداً، شديد التعصب ضد الإسلام، لدرجة أنه كان معى فى المدرسة الإعدادية طلبة مسلمون كنت أشعر بكراهية شديدة تجاههم، وأصب عليهم جام حقدى. . . . وكنت أضحك على هؤلاء الطلبة عندما يحدثوننى عن أمور غيبية. . . وأتساءل: كيف يعتقد المرء فى شئ غير موجود؟! وكيف يصير الإنسان تراباً ثم يعود إلى الحياة ليحاسبه الله، ويدخله الجنة أو النار؟!

لم أكن أبحث عن اليقين، ولم أشك فى صحة أفكارى، لذلك كنت أكتفى بالحقد على المسلمين والسخرية منهم. وبعد أن انخرطت فى الجيش،

وترقيت في الرتب، تم إرسالي إلى منطقة «جلال آباد» لأكون قائداً للقوات الروسية في جبهة «قندهار».. وكان هدف هذه القوات تصفية المجاهدين الأفغان في هذه المنطقة.. فوجدتها فرصة لكي أترجم انفعالاتي ضد المسلمين إلى سلوك عملي، بالإضافة إلى ذلك، فإنني كنت أحمل الضغينة والكراهية لهؤلاء المجاهدين.

كنت أطلب من جنودي أن يتعاملوا مع المسلمين بقسوة، وأن يقتلوا منهم ما يستطيعون، وأن يعاملوا أسراهم بعنف... قاتلناهم بأحدث ما لدينا من أسلحة وصواريخ... قذفناهم من الجو بأحدث ما أنتجته مصانع الترسانه العسكرية.... الغريب أنهم كانوا لا يملكون شيئاً سوى ملابسهم الجهادية المميزة، وبنادق بدائية لا تصيد غزالاً... وكنت أجلس مع أركان قواتي وأتحدث عن هؤلاء المجاهدين، وأصفهم بالمجانين، حيث كيف يجابهون أحدث معدات الحرب، وليس لديهم ما يحاربون به؟!

وتزداد دهشته وهو يضيف:

«..لقد فُوجئت بأن هؤلاء المجاهدين لا يخشون الموت، حيث يرون من يتقدمهم يسقط في أتون الحمم التي نرميها عليهم، فلا يبالون، وإنما يتقدمون ليأخذوا دورهم.. وفي النهاية يفر جنودي من أمامهم، برغم فارق القدرات العسكرية بين الجانبين، بل أن جنودي هم الذين يستغيثون هرباً من الموت وأمام من؟!..... أمام أُناس عُزل من أي سلاح!!

وأخذت أفكر مرات ومرات في هؤلاء الذين ينتصرون علينا، برغم أننا نفوقهم عدداً وقوة.. لا بد أن هناك قوة أكبر تحميهم - وأن سلاحاً أقوى يساندهم..... ومن هذه الزاوية دخلت مرحلة الشك لأول مرة، وكانت هذه المرحلة هي بداية طريقي إلى البحث والاستقصاء.

ويستطرد الجنرال السابق «علي»:

«لم يكن أمامي إلا أن أعطى أمراً لجنودى بأن يُحضروا الأسرى المجاهدين الذين يتحدثون الروسية ليمثلوا أمامى، وللعلم فإن عدداً ليس قليلاً منهم يتحدث هذه اللغة، حيث قد حرصوا على تعلمها، فهم فى الميدان لا يكتفون بالقتال فقط، بل يدعون إلى الإسلام أيضاً، فقد كانوا يدعون الجنود الروس للإيمان.

وجاءوا ببعضهم عندى، وأصبحت - لأول مرة - أتودد إليهم... كنت أقضى معهم الساعات نشرب الشاى وأستمع إلى أحاديثهم التى كانت فى مجملها دعوة صريحة إلى الإسلام».

ويصمت برهة ليتنهد ليقول بعدها:

«تحرك قلبى، وشعرت أننى كلما عرفت شيئاً أهفو إلى المزيد... وعندما أختلى بنفسى أفكر فيما قالوه لىَ». تغير حالى تماماً وأصابنى الأرَق... وأخيراً جاءتنى النجدة بقرار الانسحاب السوفيتى، فعدت إلى بلدتى «باكو»، وبحثت عن دعاة مسلمين لأسألهم، ولأحصل منهم على إجابات عمّا يدور في نفسى.. ولم يكن الأمر سهلاً، لأننى رجل عسكرى، ويخشون الكلام معى وأنا بهذه الصفة...

ثم جاءتنى النجدة مرة أخرى عندما نُقلت إلى منطقة «ألما - آتا»... وهناك أرشدونى إلى الشيخ «محمد حسين» الذى فهم على الفور أننى أعيش مرحلة الشك، فرَحَّب بالإجابة على كل تساؤلاتى، بل وأَمَدَّنى بالكتب التى تساعدنى وتجيب على ما قد يعتمل فى نفسى من تساؤلات أخرى.

وذات صباح بعد أن استيقظت من النوم، شعرت أننى قد وصلت إلى مرحلة اليقين التى أفتقدتها، وهى أن الدين الإسلامى هو الحقيقة التى غابت منى طوال سنوات عمرى..

أخبرت زملائى بما توصلت إليه، فنصحونى ألا أفعل، وألحوا علىَّ فى ذلك، ولكننى رفضتُ أن أستمع لنصائحهم، فقد امتلأت نفسى بالإيمان،

ونداء الحق يستحثنى ألا أخشى أحداً فى الدنيا. .

وذهبت على الفور إلى مكتب الشيخ «محمد حسين» بالإدارة الدينية، وطلبت منه أن أُشْهِرَ إسلامى، ففرح فرحاً كبيراً وهو يكبر فى حين انهمك بعض الحاضرين فى البكاء من فَرْطَ الفرحة».

ويمضى «على» فى حديثه بوجه مضئ بالإيمان وهو يقول:

«إننى شعرت لأول مرة فى حياتى بالأمان والطمأنينة، وأن هناك قيمة لحياتى. . . . لقد عرفت معنى أن الله الذى لا تراه يراك أينما كنت، ويراقب أفعالك ويزنها بميزان عادل لتنال جزاءك الحق يوم القيامة».

ثم يتحدث «على» عند رد فعل إسلامه على أسرته المكونة من زوجته وابنه وابنته فيقول:

«فى البداية ارتسمت الدهشة على وجوههم، لم يفهموا معنى أن أكون مسلماً. . كانوا يستغربون ذهابى إلى المسجد خمس مرات فى اليوم لأدعو الناس إلى الصلاة من خلال الأذان. . . لقد سألتنى زوجتى: كيف تفضل هذه المهمة على منصبك الرفيع وما كنت فيه من مغريات؟!

لم تكن تعرف فى ذلك الوقت أننى تركت حياة الباطل إلى حياة أخرى مضيئة بالخير. .

كانت أسرتى تتابع مرحلة الشك التى اجتزتها فى طريقى إلى الايمان وأنا ألتهم كل كتاب يعطينى معلومات عن الديانات الثلاث:

الإسلام والمسيحية واليهودية، ولكن لم يكن يدور بخلدهم يوماً أننى سأعتنق الإسلام».

وقد بدأت مع أفراد أسرتى طريق الهداية من أوله حيث قمت بواجبات الداعية، كما فعل معى المجاهدون الأفغان، وكما فعل الشيخ محمد حسين،

فقلت لنفسي: فلأغرس ثمرات الدعوة في بيتي. والحمدلله جاء مذاقها حلواً، فلم يمض وقت طويل حتى كانت زوجتي تُسِرُّ إليَّ بأنها تريد أن تعتنق الإسلام، وكذلك ابني وابنتي.. وكانت فرحة أخرى ملأت مسجد «ألما ـ آتا»(١).

***

(١) يذكر المحرر الصحفي لصحيفة المسلمين الدولية، الذي أجرى مقابلة مع القائد الروسي السابق «أناتولي أندريوتش» أنه لم يصدق أن الدموع التي أمامه هي دموع قائد جيش كان معروفاً بالصرامة والقسوة في معاملته لجنوده أو خصومه.

ولم يصدق أن رجلا ارتدى قبعة «الجنرالات» في ثاني أقوى جيش في العالم (سابقا) يرتعد قلبه ـ الذي اشتهر بأنه لا يعرف الرحمة ـ عندما يذكر أمامه لفظ «الجلالة» وأحاديث الجنة والنار، أو عندما يتذكر ما مضى من سنوات عمره.

[انظر العدد رقم ٣٥٠ من صحيفة المسلمين].

مع داعية القاديانية الذى أسلم

برغم أن اسمه من الأسماء الإسلامية «حسن محمود أحمد عودة».. ويشغل رئيساً لتحرير مجلة تسمى بـ «التقوى» فإنه كان بعيداً عن معانى اسمه واسم مجلته.. فقد كان أحد الرموز الكافرة بالإسلام.. ولا عجب فى ذلك فقد وُلد لأسرة تدين بالقاديانية، برغم أن أجداده أصلاً مسلمون، غير أن جده «والد والده» وقع فريسة للدعاية القاديانية[1]، فارتد عن الإسلام، وبالتالى أدخل أولاده وأقاربه معه فى نِحْلته الضَّالة، فارتدوا وسَعَوْا إلى نشر تعاليم القاديانية فى ربوع فلسطين، وإغواء من يتلمسون فيهم ضعف الإيمان للارتداد عن دين الإسلام.

وعلى دَيْدَن جده ووالده نشأ «حسن عودة» قاديانيا، وأرادت له أسرته أن يكون واحداً من الدعاة إلى القاديانية فأرسلوه إلى «قاديان» معقل القاديانية، وفيها تلقى على مدى ستة أشهر تعاليم تلك النحلة الباطلة، وتَشَرَّبَ من الأفكار المسمومة التى رَوَّجَ لها نبيهم المزعوم «الميرزاغلام أحمد».. كما زار القبر الموجود فى بلدة «سرى نجر» فى كشمير الذى يزعمون أنه قبر المسيح[2] عليه السلام.

---

(١) القاديانية نِحْلَة ضالة، تزعم بأن نبيهم «الميرزاغلام أحمد» هو المسيح المعهود، والمهدى المنتظر... والقاديانيون لا يؤمنون بتعاليم الإسلام ومبادئه، بل إنهم يشككون فى صحة دعوة محمد ﷺ، هذا بوجه عام، حيث لا يتسع المجال للإسهاب فى عرضها كمذهب من المذاهب الهدامة.

(٢) من الغريب المضحك أن القاديانيين لم يخجلوا من استمرار هذا الادعاء برغم أن بعثة علمية ألمانية قد أثبتت كذبه وزيفه بالأدلة والبراهين الدامغة.

وكانت ثمرة رحلة «حسن عودة» «إلى قاديان» أن تعمقت معارفه فى النحلة القاديانية الضالة عبر عمليات غسيل المخ التى مُورِست معه. . فعاد منها وكله حماسة للعمل فى مجال الدعوة للقاديانية والترويج لتعاليمها، ولذلك، أُسندت إليه مهمة الإشراف على مجلة «التقوى» ورئاستها، فضلاً عن العمل مترجماً خاصّاً لزعيم القاديانيين «الميرزا غلام أحمد». . فمارس عمله، بإخلاص واقتدار، متوجهاً بجهوده نحو إخوانه العرب، فى محاولة منه لإفساد عقيدتهم الصحيحة، إن لم ينجح فى كسبهم لنحلته الضالة. ولكن حدث أن تحدى زعيم القاديانية مسلمى العالم أن يدخلوا معه فى مناظرة حول نبوة جده المدعى «الميرزا غلام أحمد» ولم يضع زعيم القاديانيين فى اعتباره أن علماء المسلمين لن يتركوا فرصة مثل هذه تمر بدون اغتنامها لإثبات كذب وأباطيل «غلام أحمد». . وإنما أرادها نوعاً من التحدى الزائف بقصد إحداث ضجيج إعلامى ليس إلا، لذلك كان خوفه كبيراً، وصدمته أكبر حين جاءته الردود من علماء المسلمين ترحب بالمناظرة. . . فآثر زعيم القاديانيين المماطلة والتهرب متعللا بحجة وراء حجة، فى حين كانت رسائل علماء المسلمين ما زالت تتوالى معلنة قبول دعوته للتحدى. . ومن بينها رسالة من داعية إسلامى باكستانى كبير هو «الشيخ منظور أحمد جنيوتى» الذى يُعَدُّ أحد كبار العلماء الذين نذروا حياتهم للدعوة، والرد على أباطيل القاديانية. وتوقف «حسن عودة» مليّاً أمام رسالة الشيخ «جنيوتى» المتحدية، وما تضمنته من حقائق أفحمت «الميرزا طاهر أحمد» وجعلته يهرب من الرد، أو تحديد موعد للمناظرة التى كان هو الداعى إليها. .

أضيف هذا الموقف إلى ما لاحظه «حسن عودة» من وجود صلة مشبوهة بين القاديانية كحركة وبين الصهيونية، إذ وجد القاديانيين يعملون بتعليمات من «الميرزا أحمد» شخصياً لصالح الاحتلال الإسرائيلى لفلسطين العربية المسلمة، بتعاونهم مع سلطات الاحتلال تعاوناً كاملاً لإجهاض المقاومة

---

(١) رئيس إدارة الدعوة والإرشاد، كما أنه عضو بالبرلمان الباكستانى.

الفلسطينية، فضلاً عن محاربتهم للمواطنين الفلسطينيين ممن يُعْرَفُون بكراهتهم للاحتلال، وانتمائهم لمنظمة التحرير الفلسطينية، التى يعتبرونها منظمة إرهابية تخريبية. . الأمر الذى زاد الشك فى نفس «حسن عودة» ـ كما يذكر ـ وهو يرى خليفة القاديانية يَدَّعِى فى خطبه العلنية أنه حامى حمى الإسلام، فى حين أنه يكيد للإسلام وأهله بتعاونه مع أعدائه. .

وقاد الشك «حسن عودة» إلى محاولة الالتقاء بالعديد من الشخصيات الإسلامية المعارضة للقاديانية كى تبين بنفسه حقيقة ما هو فيه، ومن هؤلاء الشيخ «منظور أحمد حينوتى» الذى لم يبخل عليه بإيضاح ما ثار فى نفسه من تساؤلات وشكوك أزالت الغشاوة عن عينيه، فبدأ يتلمس طريقه إلى النور. . . نور الإيمان بالعقيدة التى لا يأتيها الباطل من بين يديها أو خلفها. . بالإسلام الذى أخذ يقرأ عنه باستفاضة، ويقارن بينه وبين القاديانية كحركة وعقيدة مارقة.

وفى أكتوبر عام ١٩٨٩ حضر «حسن عودة» المؤتمر العالمى حول ختم النبوة[١] ليبحث عن إجابة لسؤاله الأخير.

«هل حقاً محمد رسول الله به اختتمت النبوة والرسل»؟

وما كاد المؤتمر يبدأ وينصت «حسن عودة» للعلماء وهم يسردون بالدليل الشافى الوافى أدلة كون الرسالة التى حملها وبلغها رسول الله ﷺ قد اكتملت قبل انتقاله عليه الصلاة والسلام للرفيق الأعلى، وأنه لا نبى بعد محمد ﷺ. . . لم يكد «حسن عودة» يسمع كل تلك الأقوال المقنعة للعقل والمنطق، والشافية لحيرة النفس والروح، حتى وقف وأعلن إسلامه مُتَبَرِّئاً من الضلال الذى كان يحياه. . . ثم هتف بأعلى صوته مدوياً فى أرجاء قاعة المؤتمر:

«أشهد أن لا إلـه إلا الله ـ وأن محمداً رسول الله».

(١) نظمه فى لندن مجلس تحفظ ختم النبوة.

عندئذ علت تكبيرات الحاضرين حامدة الله أنْ هَدَى للإيمان روحاً قد ضلت ردحاً من الزمان، وما كانت لتهتدى لولا أنْ هداها الله.

إن يوم إشهار إسلامه لم ولن ينساه - حسن عوده - كما يقول، لأنه كان يوم ولادة جديدة له.. واليوم يعتبر «حسن عوده» من الدُّعاة الإسلاميين الذين أوْقَفُوا حياتهم للدعوة الإسلامية، فضلاً عن ذلك يسعى حثيثاً لفضح زيف القاديانية كمذهب من المذاهب الهدامة للإسلام، بما تضمره من شر للإسلام والمسلمين، محاولاً فى ذلك أن يتسلل إلى من يعرفهم من الشباب الذين خدعتهم الدعاية القاديانية، ليأخذ بأيديهم وينجيهم من الهلاك فى ضلال تلك العقيدة المارقة، وقد ساعده على ذلك معايشته عن قرب لزعيمهم «الميرزا أحمد» وما تكشف له من شذوذ وضلال يحياه هذا الزعيم الذى يدعى أنه خليفة وإمام المؤمنين.. ولذلك كان إعلان «حسن عودة» إسلامه صدمة كبرى لخليفة القاديانيين بوجه خاص، وكان بمثابة السهم الذى ارتد إلى الرَّامى، ذلك أن القاديانيين الذين رأوا فى «حسن» مكسباً لهم لكونه عربياً وهذا يجلعه أقدر على استمالة العرب المسلمين وجذبهم إلى نحلتهم.. وبالتالى يفقد الإسلام أهم أنصاره، وهم العرب، الذين يشكلون بمعرفتهم الواعية لدينهم الحنيف الصخرة التى تتحطم عليها أكاذيب القاديانية.(١)..

نعم.. لقد رأوا ذلك ولكن نسوا أن الحق سينتصر وأن الفطرة الصحيحة هى التى تسود فى النهاية، فتطفو على السطح ولو كره الكافرون.

---

(١) مجلة الفيصل العدد (١٦٢) بتصرف.

الفصل الثاني

مفكرون عالميون اعتنقوا الإسلام

* مع المفكر النمساوى «ليوبولد فايس» (محمد أسد) : «إن الاسلام لا يزال أعظم قوة عرفتها البشرية على الإطلاق...» .

* مع المفكر الفرنسى «إتيين دينيه» (ناصر الدين) : «لو كان الإسلام الحقيقى معروفاً فى أوربا لنال - أكثر من أى دين آخر - من العطف والتأييد...» .

* مع المفكر الفرنسى «روجيه جارودى» (رجاء جارودى) : «إننى أعتقد أن الإسلام هو الدين الوحيد القادر علي حل مشاكلنا، ولهذا أسلمت بسعادة وحماسة» .

* مع المفكر الإنجليزى «مارتن لنجز» (أبو بكر سراج الدين) : «لقد وجدت فى الإسلام ذاتى التى افتقدتها طوال حياتى...» .

* .... وآخرين......

مع الكاتب النمساوى الكبير
«ليوبولد فايس» الذى صار «محمد أسد»

عندما قام «ليوبولد فايس» بمجموعة من الرحلات فى بعض البلاد الآسيوية والأفريقية لتفقد أحوالها، ويوافى بانطباعاته عنها صحيفة «فرانكفورتر زيتنج» الألمانية، أدهشه أحوال كثير من الشعوب الإسلامية المعاصرة، وما تعانيه من تخلف وخضوع للهيمنة الأجنبية التى تستغلها. . . . وبين ما كان عليه أسلافهم من رفاهية وسؤدد ومنذ بضعة قرون. ومما زاده دهشة، أنه لم يجد فى تعاليم الإسلام ذاتها، ما يبرر تلك الأحوال المؤسفة التى تعانيها تلك المجتمعات الإسلامية المغلوبة على أمرها. . . فلم يجد فى الإسلام ما يدعو إلى التواكل أو الخنوع والاستسلام. . ولم يجد فى الإسلام ما يُنَفّر من العلم، أو يخمد الهمم، أو يطفئ جذوة الأمل والكفاح فى نفوس أتباعه، بل وجد فيه خير داعية إلى التحرر والأخذ بأسباب التقدم والازدهار.

ولذلك فإنه لم يلبث أن أيقن ـ وبعد دراسات مستفيضة لجوهر الاسلام، ولأحوال المسلمين فى ماضيهم وحاضرهم ـ أن السر فيما تعانيه كثير من الشعوب الإسلامية من التخلف، إنما يرجع إلى جهلها بأحكام شرع دينها، وعدم تمكسها بها، وليس كما يزعم أعداء الإسلام، من أن التمسك بأحكامه، هوالسبب الرئيسى فى تأخر هذه الشعوب.

وقد عبر عن رأيه هذا بقوله:

«إن كل ما كان فى الإسلام تقدماً وحيوية، أصبح بين المسلمين اليوم تراخياً وركوداً، وكل ما كان فى الإسلام من قبل كرماً وإيثاراً، أصبح بين المسلمين ضيقاً فى النظر، وحبّاً للحياة الهينة».

ثم أردف يقول:

«لقد شجعنى هذا الاكتشاف، ولكن الذى حيرنى ذلك التباعد البين، بين الماضى والحاضر، من أجل ذلك حاولت الاقتراب من هذه المشكلة البادية أمامى.. لقد تخيلتُ نفسى واحداً من الذين يضمهم الإسلام، وتحققت أن هناك سبباً واحداً للانحلال الاجتماعى والثقافى بين المسلمين، ذلك السبب يرجع إلى الحقيقة الدالة على أن المسلمين أخذوا شيئاً فشيئاً يتركون اتباع روح التعاليم الإسلامية».

.. وبدأ «ليوبولد فايس» ينظر إلى الشعوب الإسلامية المستضعفة الواقعة فى براثن التخلف، نظرته إلى أناس مسئولين عن سوء أحوالهم، فرأى أنهم يستطيعون - لو أرادوا - أن يتخلصوا من أحوالهم هذه، ويستردوا حريتهم ومجدهم وازدهارهم، لو عملوا - كاسلافهم الأوائل - بكتاب الله وسُنة نبيه ﷺ.

وكان «فايس» لا يكف عن إبداء دهشته - لكل من يلقاه من حُكام المسلمين، وأُولى الأمر منهم - من تراخيهم وتقاعسهم المشين فى إصلاح أمورهم، واسترداد مجد آبائهم.

وفى ذلك يقول:

«كنت كلما ازددتُ فهماً لتعاليم الإسلام وعظيم أحكامه ومبادئه، ازددت رغبة فى التساؤل عَمَّا دفع المسلمين إلى هجر تطبيقها تطبيقاً تامّاً فى حياتهم اليومية... لقد ناقشت هذه المشكلة مع كثير من المسلمين المفكرين فى جميع

البلاد. . . ثم زادت رغبتى فى ذلك شدة، حتى أنى ـ وأنا غير مسلم ـ أصبحت أتكلم إلى المسلمين مشفقا على دين الإسلام من إهمال المسلمين أنفسهم وتراخيهم. . ».

ثم استطرد فى حديثه قائلا:

«. . وحدث يوماً عندما كنت أناقش هذا الموضوع مع أحد رجال الأعمال الشبان فى أفغانستان، ولمس منى غيرتى على الإسلام، وتحمسى لتعاليمه، وأيمانى بمبادئه وأحكامه. قال لى: إنه طالما كان هذا رأيك فى الإسلام وإيمانك به، فلا شك أنك فى الحقيقة مسلم وإن كنت لا تدرى».

ثم تنهد برهة ليعاود قوله:

«وأثَّرَتْ تلك الكلمات فى نفسى، وأطرقت صامتاً أتأملها بعد أن أيقنتُ بصدقها، فلا شك أنه ما دمت قد آمنت بصحة تعاليم الإسلام، فإننى فى الحقيقة قد أسلمت بقلبى، ولا ينقصنى سوى التعبير العملى عن ذلك بإشهار إسلامى. . . ولذا لم أكد أعود إلى بلدى حتى أشهرت إسلامى»[1]. .

وتسمى «ليوبولد فايس» بـ «محمد أسد».

ويتحدث فايس (أو محمد أسد) عن الإسلام، وعَمَّا جذبه إليه فيقول:

«يجب أن أعترف بأننى لا أعرف جوابا شافياً، فلم يكن الذى جذبنى تعليماً خاصّاً من التعاليم، بل ذلك البناء المجموع العجيب المتراص، بما لا نستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية، بالإضافة إلى منهاج الحياة الأخلاقية، ولا أستطيع اليوم أن أقول أى النواحى قد استهوتنى أكثر من غيرها. . فإن الإسلام على ما يبدو لى بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليشد بعضها بعضاً، فليس هناك شئ لا حاجة إليه، وليس هناك نقص فى شئ، فنتج من ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص.

(١) الإسلام فى مفترق الطرق: ليوبولد فايس (بتصرف).

ولعل هذا الشعور من أن جميع ما فى الإسلام من تعاليم وفرائض قد وُضِعَتْ فى مواضعها، هو الذى كان له أقوى الأثر فى نفسى».

ثم تحدث عن دراساته عن الإسلام، وعن انطباعاته بزيارة الأراضى المقدسة، فقال:

« منذ ذلك الحين سعيت إلى أن أتعلم من الإسلام كل ما أقدر عليه، لقد درستُ القرآن الكريم، وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام.. لقد درست لغة الإسلام، وتاريخ الإسلام وكثيراً مما كُتِبَ عنه، أو كتب فى الرد عليه..... لقد قضيت أكثر من خمس سنوات فى الأراضى الحجازية ليطمئن قلبى بشئ من البيئة الأصلية للدين الذى قام النبى العربى بالدعوة إليه فيها.... وبما أن الحجاز ملتقى المسلمين من جميع الأقطار، فقد تمكنت من المقارنة بين أكثر وجهات النظر الدينية والاجتماعية التى تسود العالم الإسلامى فى أيامنا الحالية... وهذه الدراسات والمقارنات خلقت فى عقيدتى أن الإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية، لا يزال - بالرغم من جميع العقبات التى خلّفها تأخر المسلمين - محتفظاً بحيويته»[1].

ويعود «فايس» فى طرح آرائه عن الإسلام وأسباب اعتناقه له فيقول:

«يختلف إدراك العبادة فى الإسلام عمّا هو فى كل دين آخر، إذ أن العبادة فى الإسلام ليست مقصورة على أعمال الخشوع الخاص فى الصلوات والصيام مثلاً، ولكنها تتناول كل حياة الإنسان العملية أيضاً.... وليس من الضرورى أن نستشهد بآيات القرآن الكريم، أو بأحاديث الرسول ﷺ للدفاع عن موقف الإسلام من العلم.... يكفى أنه ما من دين أبداً حث على التقدم العلمى، كما حث عليه الإسلام.. نحن نعد الإسلام اسمى من سائر

(١) قد بلغ من تبحر «ليوبولد فايس» فى العلوم الإسلامية أن اختير - عند إنشاء دولة الباكستان - ليشغل وظيفة مدير «دائرة تجديد الدين».. ثم صار فيما بعد مندوباً للباكستان فى الأمم المتحدة.. وقد ألف كتابين هما: «الإسلام فى مفترق الطرق»، و «الطريق إلى مكة» كما أصدر مجلة إسلامية شهرية باسم «عرفات».. وشرع فى إنجاز ترجمة لمعانى القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية.

النظم الحديثة، لأنه يشمل الحياة بأسرها، أنه يهتم اهتماماً واحداً بالدنيا والآخرة، وبالنفس والجسد، وبالفرد والمجتمع. . . . إنه لا يحملنا على طلب المحال، ولكنه يهدينا إلى أن نستفيد أحسن الإستفادة مما فينا من استعداد، وإلى أن نصل إلى مستوى أسمى من الحقيقة حيث لاشقاق ولا عداء بين الرأى وبين العمل».

ثم يستطرد فى حديثه قائلاً:

«لقد اقتنعت أن الإسلام بشطريه الروحانى والاجتماعى لا يزال أعظم قوة عرفتها البشرية على الإطلاق، وقد ركزت اهتمامى بالعمل أن أكون جندياً من جنود الإسلام، أدافع عنه حتى يستعيد أمجاده من جديد. . . إن الإسلام نور الله فى الأرض يضعه فى قلوب عباده المخلصين لدينه»[1].

(١) المرجع السابق (بتصرف).

مع المفكر الفرنسى المسلم
«اتيين دينيه» [ناصر الدين]

وُلد فى «باريس» عام ١٨٦١ . . وتوفى وقد بلغ من العمر سبعين عاماً[١] . . أحب حياة العرب، وهو ذلك الفنان الكبير، الذى يعد واحداً من كبار رجال الفن والتصوير، فهو صاحب اللوحات الكبيرة النفيسة التى تحتفظ بها المتاحف الفرنسية الكبيرة، وغيرها من متاحف العالم[٢].

ولكنه كان فناناً يتملكه شعور دينى، فامتزج فيه الفن بالدين، فكان مثالاً واضحاً للإنسان الملْهَم، غير أنه كان يستولى عليه شعور بالقلق والحيرة من الناحية الدينية.

وكما كان «دينيه» يفكر فى لوحاته، كان يفكر فى مصيره . . . بحث عن علاج لطبيعته الدينية القلقة فى النصوص المقدسة، وفى العقائد التى يدين بها الوسط المحيط به . . . فكر فى المسيحية والكنيسة . . وفى البابا المعصوم . . وفى عقيدة التثليث والصلب، والفداء، والغفران . . أخذ يفكر: هل صحيح أن المسيح ابن الله؟ . . وهل صُلب ليطهر بنى البشر من اللعنة التى حلت بهم بسبب خطيئة آدم؟ . . كيف صُلب ليفتدى البشر وهو ابن الله؟!».

(١) يذكر أنه قد احتشد حوله لتوديعه الوداع الأخير عدد كبير من الناس، ومن كبار المسئولين وعارفى فضله من أهله ومن غير أهله من ممثلى الشعوب . . وقد دفن فى مدينة «بوسعادة» بالجزائر بناء على وصيته.

(٢) من تلك اللوحات الشهيرة لوحة باسم «غداة رمضان» فى متحف باريس كذلك لوحاته الأخرى التى فى «لوكسمبرج» و «سدنى»، وغير ذلك كثير . . . وجميع صوره تدل على المقدرة الفنية الكبيرة فى دقة التعبير عن الحالات النفسية المختلفة كما يذكر النقاد. [يرجع إلى ترجمة «المسيو دينيه» فى معجم «لاروس الكبير»].

أعاد قراءة الأناجيل من جديد محاولاً جهده أن يراها تتسم بسمة الحق، فيؤمن بابن الله، ولكنه رأى فيها ما يتنافى مع الصورة المثلى للإنسان الكامل، فضلاً عن الصورة التى تريد المسيحية أن توحى بها. . . قرأ أقوالاً غريبة فى الأناجيل نُسبتْ للمسيح، من ذلك:

«فى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل، وكانت أم يسوع هناك، ودعى يسوع تلاميذه إلى العرس ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر. . . . قال يسوع: مالى ومالك يا امرأة!»(١).

ومن أقواله التى توجب كراهية الأقرباء:

«إن كان أحد يأتى إلىَّ ولا يبغض أباه وأمه، وامرأته وأولاده، وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضاً، فلا يقدر أن يكون تلميذاً لى»(٢).

. . . كذلك من الأقوال الغريبة التى نسبت للمسيح وقرأها «دينيه».

«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء، ولا الابن إلا الأب»(٣).

وغير ذلك من نصوص بعثت فى نفسه شكوكاً فى صحة الأناجيل التى اطلع عليها. . الأمر الوحيد الذى لم يشك فيه أن الله قد أنزل الإنجيل على عيسى بلغته ولغة قومه، ولكن هذا الإنجيل ضاع واندثر، ووجد مكانه «توليفات» أربعة(٤) مشكوك فى أمرها، يكفى أنها مكتوبة باللغة اليونانية، وهى لغة غريبة عن لغة عيسى الأصلية التى هى لغة سامية. .

وثار شعوره الدينى على أوضاع مبهمة، وألفاظ غامضة لا يستطيع فهمها، وانتهى به المطاف بعد بحث وجدل ومناظرات طويلة إلى رفض المسيحية، بعد

(١) إنجيل يوحنا: الإصحاح الثانى عشر . هذا ما يقوله الإنجيل فيما يتعلق بصلة المسيح بأمه، أما القرآن الكريم فإنه يقول« . . . وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا. . ».

(٢) إنجيل لوقا: الإصحاح الرابع عشر.

(٣) إنجيل مرقص: الإصحاح الثالث عشر.

(٤) يقصد الأناجيل الأربعة.

أن تيقن أن المسيحية الحالية ليست هى مسيحية عيسى، بل لا تمت إليه بصلة، اللهم إلا اسماً.

ورأى «دينيه» أن يتجه إلى العقل يستمد منه الهداية إلى الطريق المستقيم ولكنه انتهى إلى أن العقل عاجز عن إشباع غريزته الدينية.. والتفت حوله: ماذا فعل أمثاله ممن شكوا فى المسيحية؟!.. لقد رأى أن كثيراً منهم قد اتجه إلى الإسلام، فاتجه إليه يستكشفه، فلم يجد ـ بعد دراسة عميقة ـ سوى القرآن، ذلك الكتاب الوحيد الذى لم ينله التحريف ولا التبديل، وحاول الاستزادة، فعرف الكثير عن الإسلام بحكم معايشته للبيئة الإسلامية، وقد تمخضت هذه المعرفة عن اعتناقه للإسلام باقتناع تام.. بل تمخض عنه أكثر، قيامه بالدعوة الإسلامية، ووضعه لعدة مؤلفات قيمة مثل «محمد رسول الله»[(١)]..، وأشعة خاصة بنور الإسلام»[(٢)]... «والحج إلى بيت الله الحرام».. و «الشرق فى نظر الغرب»... وغيرها.

ويمضى دينيه فى أكثر من كتاب من مؤلفاته لكى يتحدث عن العقيدة الإسلامية وخصائصها، فيقول عنها:

«عقيدة التوحيد الإلهية العليا، تملك تلك المبادئ السامية التى تقوم عليها تلك العقيدة»[(٣)].

ويعلن عن تحديه لأعداء الإسلام وخصومه، بتعبيره المعتد الواثق: «عليهم أن يدلونا على هذه المبادئ فى الإنجيل، أو فى كتاب مقدس آخر إن كانوا صادقين».

والرجل مقتنع أشد الاقتناع بأن هذا الدين متميز بعقيدته، متميز بالتالى بمبادئه، فليس هناك شبه أو استمداد من أديان أخرى، بل على العكس، إنه

(١) بالاشتراك مع سليمان الجزائرى وقام بترجمته الدكتور عبد الحليم محمود، ومحمد عبد الحليم محمود
(٢) ترجمة راشد رستم.
(٣) أشعة خاصة بنور الإسلام: إيتين دينيه ـ ترجمة راشد رستم.

يجابه منذ اللحظة الأولى انحرافاتها ويدينها، فيرفض الوساطة بين العبد وربه فيقول:

« إنه شئ مهم هذا الذى وجدته العقول العملية فى الإسلام، ذلك هو انتفاء الوساطة بين العبد وربه، لخُلُوِّه من الأسرار وعبادة القديسين، ولا حاجة به إلى الهياكل والمعابد، لأن الأرض كلها مسجد لله»(١).

ثم يضيف قائلا:

«.. وبإلغاء الإسلام للوساطة وجه ضربة قاصمة لنظام القداسة البشرية وفكرة الولاية، وهى من تلك الخرافات الضارة، والمعتقدات الفاسدة، فليس للمسلم أن يدعو أحداً من الناس ويتضرع إليه، إنما له أن يدعو الله وحده لا شريك له، كذلك يحرم القرآن الشفاعة، وينكر الشفعاء، ويوم القيامة لا تُسأل نفسٌ إلا عن نفسها، وبذلك تتأكد المسئولية الشخصية كما لم تتأكد فى دين آخر»(٢).

وامتداد لهذه الرؤية التوحيدية الواضحة يعلن «دينيه»:

«إن الدين الإسلامى هو الدين الوحيد الذى لم يتخذ فيه الإله شكلا بشرياً، أو ما إلى ذلك من الأشكال»(٣):

وعن المساواة فى الإسلام يقول دينيه:

«لقد حقق الإسلام نظرية المساواة بين القبائل والشعوب، وهى النظرية التى لم تأت أخيراً إلا على يد الثورة الفرنسية»(٤).

ومع المساواة هناك خصيصة الإيجابية، التى تنبثق عن المنظور الإسلامى للقضاء والقَدَر، على العكس من هجوم خصوم الإسلام له، فيقول:

«كيف نقول إن عقيدة القضاء والقدر تشل كل عمل عند المسلمين، والرسول ﷺ كان أنشط الناس وأكثرهم مثابرة وجهاداً، والإسلام هو الدين

(١) محمد رسول الله: إيتين دينيه، ترجمة عبد الحليم محمود وآخر.

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام: إيتين دينيه، ترجمة راشد رستم..

(٣) المرجع السابق (بتصرف).

(٤) المرجع السابق (بتصرف)

الوحيد الذى جاء عقب نشأته بالفتوح الواسعة العجيبة، والحضارة السامية العظيمة؟

إن كلمة «إسلام» تعنى الرضا بأوامر الله عز وجل، أى بما لا يمكن لأى قوة إنسانية أن تحول دونه، ولكن ليس من معانيها الخضوع للأمور التى يبدو أنها يمكن أن يغير مجراها العمل والإقدام... فهذه العقيدة إذن بعيدة كل البعد عن أن تكون مصدر ضعف، إنها ـ على العكس من ذلك ـ مصدر قوة نفسية لا تضارع بالنسبة إلى المسلم، تعينه على احتمال المحن والشدائد»(١).

ويرى «دينية» أن الإسلام دين علم وإقناع ومنطق، ينكر البدع والخرافات، وإلى جانب ذلك هو دين مَرِنٌ شامل، صالح لكل زمان ومكان، قادر على التأثير، والتعامل مع شتى الطبائع والاهتمامات، فيقول:

«... فكما أن الإسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس، فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات، وجميع درجات المدنيات... وبينما تجد الإسلام يهيج من نفس الرجل العملى، حيث مبدأ القوم «الوقت من ذهب»، إذ هو يأخذ بلب ذلك الفيلسوف الروحانى، كما يتقبله عن رضا ذلك الشرقى ذو التأملات، كذا يهواه ذلك الغربى الذى أفناه الفن وتملكه الشعر»(٢).

ثم أردف يقول:

«من أهم ميزات الإسلام الأصلية ملاءمته لجميع الأجناس البشرية، فلم يكن العرب وحدهم هم الذين اتبعوا الإسلام.. لقد أكد هذا الدين من الساعة الأولى لظهوره أنه دين عام، صالح لكل زمان ومكان، وإذا كان

---

(١) محمد رسول الله: إيتين دينيه.

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام: إيتين دينيه، ترجمة راشد رستم.

صالحاً بالضرورة لكل جنس كان صالحاً بالضرورة لكل عقل، إذ هو دين الفطرة، والفطرة لا تختلف فى إنسان عن آخر، وهو لكل هذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة»[1].

ويقف «دينيه» مندهشاً مبهوراً إزاء العبادة الإسلامية، فيتحدث عن الصلاة، فيجد كيف أن الإسلام متميز منذ اللحظة الأولى، لحظة الدعوة إليها، وتذكير المؤمنين بأن ميعادها قد حان... حتى إذا ما بدأت الصلاة لحظ «دينيه» كيف أن الحركة والإشارات التى تتضمنها هى ذات بساطة ولطافة ونبل لم يسبق لها مثيل من نوعها فى صلاة غيرها، كما أنها لا تدعو الوجوه بالتظاهر والتكلف، ولا العيون بالشخوص إلى السماء واستنزال الدموع.. حقاً إن الصلاة الإسلامية خالية من تلك الأمور الشائنة التى خصتها النصاري بالصور النصرانية، مما جعلها فى غير جمال ولا جلال ولا وقار.. فى حين يجد الأقوال والحركات فى الصلاة الإسلامية ذات دلالة على الرزانة والهدوء والاطمئنان، وهى خالية من مبالغات وتكلفات الخضوع والتظاهر بذلك، لأن الله تعالى عليم بما فى الصدور، وهو الغنى العزيز.

ثم يتحدث عن حكمة الوضوء الذى يسبق الصلوات، فيرى فيه انتعاشا وصحة، ونظافة للبدن، لأن النظافة من الإيمان.

أما فريضة «الصيام» فقد كانت نتيجتها ـ كما يقول عنها دينيه ـ «الخير الكثير، ذلك أن الإنسان مجبول على الإنسانية وبرياضة الصيام الروحية تتقوى أواصر الأُخُوة بين المسلمين، فيصبحون أكثر استعداداً وأوثق تعاوناً لمجابهة أشد أعدائهم مراساً من بنى البشر، فضلاً على أنه يقوى الأجسام»[2].

---

(١) محمد رسول الله: إيتين دينيه، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود وآخر.

(٢) المرجع السابق.

وأما الحج فيقول دينيه فى شعور فياض بعظمته:

«إن احتشاد الناس فى «عرفات» موقف الحشر حقًا، إن جميع أجناس الإنس - على تباينها تحتشد فى ذلك المكان الذى اعتاد الإقفار... ولن ترى فى العالم فى غير هذا المكان جمعاً اجتمع يعرض فى آن واحد كل تلك الوجوه الآدمية المختلفة الشبه، وكل تلك اللهجات واللغات المتباينة... لقد تآخى هؤلاء جميعاً فى تلك الساعة العظيمة، تآخوا لغةً وقلباً، ونسوا فروق الأجناس والدرجات والطبقات، ونسوا أحقادهم، مذهبية كانت أم سياسية... فى عرفات يرجع الإسلام إلى اتحاده الشامل وحماسته القوية كما كان فى أيامه الأولى»(١).

ويخلص دينيه إلى القول:

«كما أن الإسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس، فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات، فكما يتقبله - عن رضاً - ذلك الشرقى ذو التأملات والخيال.. يهواه ذلك الغربى الذى أفناه الفن، وتملكه مبدأ الوقت من ذهب»(٢).

ويؤكد هذا المعنى فى موضع آخر من كتبه(٤) قائلا:

«لو كان الإسلام الحقيقى معروفاً فى أورُبا لكان من المحتمل أن ينال - أكثر من أى دين آخر - من العطف والتأييد، من جَراء روح التدين الموجودة فى النفس.. فإنه - والحق يقال - يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم، فهو ببساطته المتناهية يهدى علماء أوربا وآسيا وأفريقيا إلى الطريق المستقيم، ويجدون فيه تعزية وسلوى، من غير أن يحول بينهم وبين حريتهم التامة فى آرائهم وأفكارهم.. إن الإسلام دين عام خالد».

* * *

(١) المرجع السابق.

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام: إيتين دينيه، ترجمة راشد رستم.

(٣) الحج إلى بيت الله الحرام: إيتين دينيه، ترجمة محمد توفيق أحمد.

مع الفيلسوف الفرنسى المسلم
«رينيه جينو»

نشأ «رينيه جينو» فى فرنسا من أسرة كاثوليكية ثرية محافظة... دوّى اسمه فى أورُبا قاطبة وأمريكا، فضلاً على أنه معروف لدى الذين يتصلون بالدراسات الفلسفية والدينية.

... وقد كان إسلامه ثورة كبرى هزت ضمائر الكثيرين من ذوى البصائر العاقلة، فاقتدوا به، واعتنقوا الإسلام، وكَوّنوا جماعات مؤمنة مخلصة تعبد الله على يقين داخل معاقل الكاثوليكية فى الغرب.

وكان سبب إسلامه بسيطاً ومنطقياً فى آن واحد...

لقد أراد أن يعتصم بنص مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم يجد ـ بعد دراسة عميقة ـ سوى القرآن، فهو الكتاب الوحيد الذى لم ينله التحريف ولا التبديل، لأن الله تكفّل بحفظه فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(1).

أجل.. لم يجد سوى القرآن نصاً مقدساً صحيحاً، فاعتصم به، وسار تحت لوائه، فغمره الأمن النفسى، بل أصبح من المدافعين بقوة وحماسة عن الدين الإسلامى، الذى وضع عنه عدة مؤلفات مشهورة، من بينها كتاب «أزمة العالم الحديث» تناول فيه الإنحراف والضلال الذى تعانى منه أورُبا

(1) سورة الحجر (9).

الآن، وكيفية التخلص منه بتطبيق تعاليم الإسلام التى فيها الحل الأمثل لشتى المشاكل التى تعترض الأمم والشعوب.

كذلك قام بوضع كتاب أسماه «الشرق والغرب» وهو يعد من الكتب النفيسة التى رد فيها إلى الشرق اعتباره، مبيناً أصالته فى الحضارة التى لها فضل على الغرب.

وقد حرَّمت الكنيسة قراءة كتبه، والكنيسة لا تفعل هذا إلا مع كبار المفكرين الذين تخشى خطرهم، وقد وضعته بذلك بجوار عباقرة الفكر الذين اتخذت تجاههم نفس المسْلَك، ولكنها رأت فى «رينيه جينو» خطراً يكبر كل خطر سابق، فحرمت حتى الحديث عنه[1].

وبعد أن توصل «رينيه جينو» إلى الحقيقة وأسلم أطلق على نفسه اسمه الذى هز العالم بإسلامه[2]، وأصبح يسمى بالشيخ «عبد الواحد يحيى» الذى صار واحداً من الدعاة الشديدى التمسك بالإسلام وتعاليمه، فأخذ يفند المزاعم الصهيونية، والافتراءات التى يقوم بها الكارهون للدين الإسلامى.. وكانت كتاباته فى كل الصحف شيئاً فريداً من نوعه.

ومما كتبه «الشيخ عبد الواحد يحيى» عن أثر الثقافة الإسلامية وأظهر فيه فضل الثقافة الإسلامية على أوربا قوله:

«إن كثيراً من الغربيين لم يدركوا قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الإسلامية ولم يفقهوا حقيقة ما أخذوه من الحضارة العربية فى القرون الماضية، بل ربما لم يدركوا منهما شيئاً مطلقاً، وذلك لأن الحقائق التى تُلقى إليهم مشوهة، تحط من قيمة الثقافة الإسلامية وتقلل من قدر المدنية العربية»:

(١) مما هو جدير بالذكر أن كتب «رينيه جينو» برغم تحريم الكنيسة لقراءتها، فقد انتشرت فى جميع أرجاء العالم، وطُبعت عدة مرات، وتُرجم الكثير منها إلى كثير من اللغات.

(٢) هذا هو «رينيه جينو» العالم الفرنسى الذى أثار أوربا بإسلامه، وقد اهتمت الأوساط الصحفية والعلمية بهذا العالم الذى أشهر إسلامه.. وخصصت له الصحف والمجلات العلمية والأدبية صفحات وصفحات ليكتب فيها عن الدين الإسلامى الحنيف.

ويستمر «رينيه جينو» أو الشيخ عبد الواحد يحيى. كما يحب أن يسمى - فى بيان مكانة الإسلام والثقافة الإسلامية وما لها من شأن كبير على الغرب فى الطب، والهندسة، والفَلَك، والرياضة، والفنون، والعلوم الأخرى.... ولم يكتف بذلك، فأخذ يُظهر عظمة القرآن وإعجازه العلمى بعد أن وجد ارتباطاً بين الآيات القرآنية وما جاءت به كثير من العلوم الطبية والطبيعية والعلمية بوجه عام... ويعبر عن ذلك بقوله:

«لقد تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبية والعلمية والطبيعية، والتى درستها فى صغرى وأعلمها جيداً، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت، لأنى أيقنت أن محمداً ﷺ أتى بالحق الصراح من قبل ١٠٠٠ سنة، من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر... ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيداً، كما قارنت لأسلم بلا شك، إن كان عاقلاً خالياً من الأغراض».

* * *

مع المفكر الفرنسى المسلم
«رجاء جارودى»(١)

عن رحلته للإسلام.. كيف بدأت يقول:

«هى قصة طويلة مرتبطة بحياتى كلها، حيث إن شغلى الشاغل طوال حياتى كان محاولة العثور على معنى للحياة.. ووجدت فى الإسلام دين التفتح والعمل والجمال... هو دين التفتح لأنه يختلف عن اليهودية التى انغلقت على مفاهيم التعصب العنصرى، وهى الأفكار التى تتبناها اليوم إسرائيل.. فالإسلام منفتح على باقى الحضارات، وهذا ما يجذبنى إلى الحضارة الإسلامية، كما أن الإسلام قد بعث الحياة فى الثقافات المختلفة... والإسلام دين الجمال كما نراه فى الأعمال التى تركها من المساجد العظيمة(٢) التى لا يشك أحد فى أنها تعبر عن عقيدة واحدة تجدها ذات معمار مختلف تمام الاختلاف، وتعبر عن ثقافات مختلفة، ولكننا نشعر بأننا فى مجال روحانى إسلامى.. أقول ذلك بحكم أننى كنت أقوم بتدريس علم الجمال فى الجامعة».

---

(١) دخل فى الإسلام حديثا، واتخذ لنفسه اسم رجاء.. وكان أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى، وعضو مكتبه السياسى حتى عام ١٩٦٩ حينما خرج عن الحزب وبدأ مسيرته الفكرية إلى الإسلام، وفيها كتب كتابه «وعود الإسلام».. أسس مركزاً للدراسات والأبحاث الفكرية والمذهبية عام ١٩٦٠، وأداره حتى عام ١٩٧٠.. وألف حوالى ٣٠ كتاباً على مدى أربعين عاماً، اختتمها بكتبه الأخيرة عن الحضارتين العربية والإسلامية.

(٢) يقصد المساجد الأثرية التى زارها فى القاهرة، مثل جامع ابن طولون وغيره من المساجد فى أسطنبول وطهران والمغرب، فضلاً عن ذلك المسجد النبوى الشريف بالسعودية.

ثم أردف بعدها قائلا:

«لقد وجدت فى الإسلام التوافق بين العمل السياسى والإيمان.. وأعتقد أن الإسلام سيكون له مستقبل باهر، كما كان فى ماضيه[1] أمام انهيار وإفلاس الغرب الرأسمالى والشيوعية الشمولية... كما أن الإسلام دين الأخلاقيات والعمل، ولذا فإننى أعتقد أن الإسلام هوالدين الوحيد اليوم القادر على حل مشاكلنا، ولهذا أسلمت بسعادة وحماسة».

ويذكر «جارودى» كيف كانت معرفته بالإسلام وإعجابه بقادته، ومنهم «الأمير عبد القادر الجزائرى» فيقول:

«إن معرفتى بالإسلام ليست حديثة، فقد عرفته منذ فترة طويلة، وفى ظروف حَرِجَة، فقد كنت أشارك فى قوات المقاومة ضد النازى عام ١٩٤٠.

وفى صحراء الجزائر ـ بعد محاولة للفرار من معسكر الاعتقال ـ أصدر النازى حكماً بإعدامى رمياً بالرصاص، فرفض الجنود الجزائريون إطلاق الرصاص علىَّ.. عندما سألتهم عن السبب قالوا: إن تعاليم الإسلام تحرم إطلاق النار على رجل أعزل..

ثم التقيت فيما بعد «بالشيخ الإبراهيمى» شيخ العلماء فى الجزائر الذى استقبلنى فى بيته الذى رأيت فيه صورة كبيرة معلقة للأمير عبد القادر الجزائرى الذى قاد حركة الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسى» ثم يصمت برهة ليقول بعدها:

«لقد أعجبت كثيراً بالأمير عبد القادر الجزائرى الذى كافح الاستعمار الفرنسى، ليس فقط كرجل حرب، ولكن كرجل دولة إسلامى.... فلقد كان الجنود الفرنسيون يقاسمونه مأكله، وينامون فى خيمته، وكانوا يندهشون لذلك، فضلاً عن أنهم كانوا يرونه يُصلى طوال الليل قبل أن يخوض الحرب

(١) يعنى القرن الثامن.

فى اليوم التالى. . . أنه يجسد صورة الرجل الكامل الذى لا ينغلق على نفسه».

ويستكمل حديثه عن رحلة إسلامه فيقول:

وبعد ثلاث سنوات من حرب التحرير فى الجزائر ألتقيت مرة أخرى بالمسلمين، وحاولت أن أفهم جذور الإسلام وحضارته[1] حتى آمنت بالبعد الإسلامى، فإن ما يجذبنى إلى رسالة النبى محمد ﷺ أنه كان على عكس التعاليم المسيحية التى كانت تفصل بين «ما لقيصر لقيصر «ومالله لله»[2]، فقد كان الرسول ينتهج منهجاً آخر إذ يعلمنا بالإسلام ما يجب أن يفعله قيصر، وهذا هو سر تفوق الإسلام»

إن إعادة إدخال هذا البعد الإسلامى هو فى الحقيقة إعادة إعطاء معنى للحياة. . ولذا يجب أن نستلهم اليوم روح الإسلام وتعاليم الرسول ﷺ والأئمة[3].

ثم يستطرد «جارودى» قائلا:

«إن عبارة «الله أكبر» التى يُطلقها المسلم للتعبير عن عقيدته، تجعل من كل سلطان، ومن كل ملك، ومن كل علم أمراً نسبياً. . . إن هذا النداء هو تعبير عن الحرية الحقيقية، لأنه تأكيد للبعد المتسامى للإنسان، أى تأكيد لقدرته على الخروج من حتمية طبيعته وغرائزه وعاداته، وتجاوزها جميعاً».

وينتقل للحديث عن نظرته للإسلام ككل فيقول:

«كل نبى أُرسِلَ فى مرحلة تاريخية قد مهد لمن جاء بعده، وانتهت أصول هذه الديانات السماوية إلى الرسالة الكاملة الخاتمة، كما جاء بها محمد

---

(١) يلاحظ أنه قد نشرت سلسلة «دراسات عن فضل الحضارة الإسلامية العربية» لجارودى وقد ترجمت إلى العربية.

(٢) أى الفصل ما بين الدين والدنيا.

(٣) جريدة «المسلمون» الصادرة فى ٣١ أغسطس ١٩٨٥ (بتصرف).

ﷺ، باعتبار أن الإسلام قد اكتمل بنزول القرآن الكريم، والقرآن قد أورد هذا، وسمى الأنبياء السابقين كلهم ملسمين.

وبالنسبة للإسلام فهو الدين الوحيد الذى يعترف بالأديان السابقة، ويعتبر إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام كلهم أنبياء مسلمين. . . . ورسول الله محمد ﷺ - كما جاء فى القرآن - لم يقل فى الأحاديث الشريفة إنه جاء بعقيدة جديدة، ولكنه أوضح أنه جاء ليذكر بملة أبينا إبراهيم. . . كما بين أن تعاليم هؤلاء الأنبياء المرسلين من قبله قد حرفت، وأن التحريف بدأ من أيام اليهودية. أما بالنسبة للنصرانية فإن التحريف بدأ بإعلان «نيسيه»، وتضمن فكرة أن المسيح ابن الله التى لم ترد فى الإنجيل، ولكن وُضِعَت وضعاً، ولذلك فأنا أؤمن بأن محمداً ﷺ قد جاء بالملة الأولى - ملة إبراهيم - وهى أكثر صور العقيدة تكاملا، فاليهود يكفرون بالمسيح عليه السلام، ويكفرون بمحمد ﷺ، والنصارى بدورهم يكفرون به. . . أما محمد ﷺ فإنه يؤمن بإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام[1].

ويستكمل نظرته للإسلام فى أحد مؤلفاته فيقول[2]:

«إن الإسلام دعوة لتحرير الشعوب المقهورة سياسياً واقتصاديا ودينياً، فقد منح الأمل لجميع المضطهدين، وطمأن قلوبهم، فسرعان ما انضموا إلى صفوفه وساعدوه على مناهضة إمبراطوريات كبرى، مثل فارس، وبيزنطة، فانهارت الواحدة تلو الأخرى أمامه، ولم تكن قوته تقارب قوة تلك الممالك عدداً ولا عدة، فمن السذاجة حقاً تصور انهيار تلك الكيانات أمام المسلمين بفعل السلاح. .

وفضلاً عمّا سبق فإن الفتح الإسلامى لم يشكل استعماراً، فقد استقبل - مثلاً - شعب أسبانيا الفاتحين المسلمين الذين أنقذوهم من طغيان وغطرسة

(١) ملف إسرائيل: رجاء جارودى (تحت الطبع) كما صرح بذلك فى إحدى لقاءاته مع مسئول إعلامى بمجلة الأمة.

(٢) مبشرات الإسلام: رجاء جارودى.

سلطات بلادهم الروحية والزمنية، فلم يقاوموهم.. ولعل أصدق صورة تعكس هذه الحقيقة هى أن العرب فتحوا الأندلس فى قرابة سنتين فقط، فى حين تطلبت استعادتها منهم سبعة قرون».

وعندما يستكمل «جارودى» نظرته للإسلام يرى أنه يدور حول محور معين يكشف عنه يقوله:

«وحدانية الله تعالى هى محور الإسلام، وهى مبدأ يحول دون عبادة الطواغيت المنتشرة فى المجتمع الأوربى «طاغوت النمو والتقدم وطاغوت العلمانية والتقنيات ـ وطاغوت الفردية ـ وطاغوت الوطنية».. فيجيب الإسلام عن كل أولئك بـ «لا إله إلا الله»... المبدأ الذى يقضى بوضع الخالق سبحانه وتعالى فوق كل شئ»[1].

وتبرز فلسفة المفكر «رجاء جارودى» عندما يُخضع الفلسفة للدين الحنيف فيقول:

«... والصلاة تربط الإنسان بالخالق سبحانه وتعالى، ثم تربطه كذلك بالبشر جميعاً، فإن قبلة جميع مساجد العالم تشكل حول الأرض دوائر متحدة المركز ترمى إلى الوحدانية العليا.. وتتغير مواقيت الصلاة بتغير

(١) المرجع السابق.. وقد تأثر أحد الشعراء بكتاب «مبشرات الإسلام» للمفكر العالمى رجاء جارودى، فضلا عن تأثره بإسلامه، فكتب يعبر عن شعوره بهذه الأبيات التى اقتطفنا بعضاً منها من مجلة الأمة القطرية عدد فبراير ١٩٨٣:

يا أيها العملاق فى تفكيره — لم تأتِ إلا قانعـاً متبصراً
عايشبت كل مبادئ الدنيا وقد — طلقتها متخيراً لا مُجْبرا
قد كنت فيهم قوة مرجوة — قد كنت فى أفكارهم متبختراً
لكن وصلت إلى الحقيقة آخرا — وعرفت أن الغرب كان مُزَوَّرَا
فأتيت يدفعك الحنين إلى العُلا — ووجَدْتَ فى القرآن خيراً وافراً
يا مرحباً بك يا أخى فى أمَّة — إن أمسكت بكتابها لن تُقْهَرَا
والله أسأل أن يثبت قلبكم — ويزيدنا نفعاً بكم بين الـوَرَى

خطوط الطول ليكون هناك فى كل لحظة جبهة تسجد وأخرى تَرْفَعُ من السجود فى موجة عظيمة من العبادة تتدفق بلا انقطاع فى أرجاء الأرض».

ثم يبرز تأكيد أن ما جاء به رسول الله ﷺ إنما جاءه من عند ربه، وأن الوحى الإلـهى لا ينبغى علينا أن نضعه فى إطار زمنى من تاريخ أو من ثقافة، أو من حياة شعب... ومن الخطأ الفادح أن نفصل شريعة الله عن حياتنا، لأن الإسلام بقرآنه وسُنَّة نبيه ﷺ، حركة وحياة إلى يوم القيامة».

ثم يقرر «جارودى» حقيقة تاريخية وإنسانية مستمرة عندما يعلن أن الإسلام أنقذ العالم من الانحطاط العام والفوضى، وأن القرآن الكريم أعاد إلى ملايين البشر وعياً وروحاً جماعية جديدة.

وبعد أن اعتنق جارودى الإسلام لم يكتف بذلك، فأخذ يدعو له فى حماس وغيرة، فوضع أكثر من كتاب عن الإسلام، من ذلك كتابه «الإسلام وأزمة الغرب»، الذى كشف فيه النقاب عن الوسائل التى استخدمها أعداء الإسلام لتشويه صورة الإسلام... وعندما يكشفها رجل مثل «رجاء جارودى» فإنه علينا أن نلتفت إلى قوله جيداً، لأنه قبل أن يهديه الله إلى الإسلام ـ كان نصرانياً ثم شيوعياً[1].

يقول جارودى:

«لقد إنتُقص حق التراث العربى الإسلامى نتيجة خداع مضاعف»:

* أرادوا[2] أن لا يروا فيه إلا أداة نقل للثقافات أو الأديان الماضية، مترجماً للفكر اليونانى ومعلقاً عليه.

---

(١) يقول جارودى عن نفسه: ولدتُ ونشأت فى عائلة علمانية محافظة، اعتنقتُ النصرانية فى الرابعة عشرة من عمرى، وصرت شيوعياً فى العشرين، وكان ذلك عام ١٩٣٣ إبان الأزمة التى أصابت أوربا فى الاقتصاد والاجتماع والثقافة عساى أجد فيها ما يساعدنى على تحقيق أهدافى فى معاداة النازية الهتلرية، لكن هذا كان سبباً فى معاناتى من متاعب ومآس جمة ليزج بى أخيراً فى السجن.... وفى الحزب الشيوعى ارتكبنا أخطاءً أدت إلى قطيعتى الثانية مع الشيوعية عام ١٩٦٨.. وبعد ذلك تم طردى من الحزب عام ١٩٧٠.

(٢) يقصد أعداء الإسلام.

* وأرادوا ألا يروا فيه إلا تاريخاً سابقاً على تاريخ ثقافتنا، مما أدى إلى ترك دراسته لمختصين مكلفين بدراسة ما يرجع إلى الماضى.

* وعلى هذا فالإسلام ـ فى نظر الأعداء ـ لا يأتى بشئ فيه جديد، ولا يشتمل اليوم على شئ فيه حياة، ولا يبشر بشئ فيه خير.

ويرد «جارودى» على ماتقدم فيقول مقرراً الحقائق التى أثبتها التاريخ، بأنه ليس صحيحاً أن الفكر الإسلامى لم يكن إلا أداة نقل وترجمة للفكر الإغريقى فالرياضيات الإغريقية كانت تقوم على مفهوم النهائى، والرياضيات العربية على مفهوم غير النهائى.... وأن المنطق الإغريقى كان نظرياً فى حين أن العلم العربى كان تجريبياً إلى حد كبير.... وأنه ليس صحيحاً أن العلم العربى مجرد تاريخ انتهى، فالعلم العربى لم ينته، لأنه لا يفصل العلم عن الحكمة، كما أن نهضة الغرب بدأت مع إشعاعات علوم العرب المسلمين وثقافتهم»[1].

وهكذا نرى المفكر الفرنسى «رجاء جارودى» الذى كانت تحفل المكتبة الغربية والعربية بمؤلفاته عن الماركسية يعلن عن إسلامه بعد طول تفكير واقتناع تام... بعد أن طاف بكل الأفكار والفلسفات باحثاً ودارساً للمذاهب والديانات.. فلم يجد ضالته إلا فى الإسلام الذى يعتنقه، ويصير واحداً من دعاته.

إن الاستجابة لدين الله من قادة الفكر والعلماء فى العالم تحمل المسلمين مسئولية أكبر فى وجوب العمل المتواصل فى الدعوة ونشر الدين الإسلامى فى كل أنحاء العالم

وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[2].

* * *

(1) أوردنا هذا المثال من مدافعته الجاسرة عن الإسلام، لكى يعلم المسلمون ـ لا سيما العلماء منهم ـ اليوم كيف ينبروا للدفاع عن الإسلام ضد الهجمات الشرسة عليه الآن.

(2) سورة فصلت: من الآية ٥٣.

مع المفكر الفرنسى «فانسان مونتيه» الذى صار مفكراً إسلامياً يسمى المنصور بالله الشافعى[1]

بكل اقتناع ورضاً اختار الإسلام ديناً، واتخذ من العرب المسلمين إخوة له فى الإسلام، بدون أن يتخلى عن جنسيته الفرنسية إذ كان مؤمناً بأنه لا تناقض بين عقيدته الإسلامية وجنسيته الفرنسية.

وعن اختياره للإسلام ديناً أوضح قائلاً:

«لقد اخترت الإسلام ديناً، ألقى به وجه ربى لأسباب شتى، منها الأسباب الدينية، والأسباب الأخلاقية، والاجتماعية، والثقافية والعاطفية».

ثم استطرد فى تفصيل ما أجمله.. فقال:

«لقد اخترتُ دين الفطرة.. وهو الإسلام، وكنت فيما مضى كاثوليكياً.. وفى الكاثوليكية أمور كثيرة لم أقتنع بها، ولم أفهمها، «مثل كرسى الاعتراف». والوسيط لدى الإله، فضلاً عن اعتمادها على أسرار، وقربان، وغير ذلك من أمور لم أستطع الإيمان بها.... فى حين أن دين الإسلام برئ من هذا كله، فيكفى المسلم أن يتوجه إلى ربه مباشرة بدون وسيط، وبدون كرسى اعتراف، فيستجيب الله دعاءه.

(١) كان يشغل منصب أستاذ اللغة العربية والتاريخ الاسلامى بجامعة باريس... والآن يشغل منصب رئيس «مؤسسة الدراسات الاسلامية فى «داكار».... وله عدة مؤلفات منها: كتاب «الارهاب الصهيونى».. «والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى»... وكتاب «الإسلام فى افريقيا السوداء»... وكتاب «مفاتيح الفكر العربى».. كما قد قام بترجمة مقدمة ابن خلدون إلى الفرنسية.

لقد كانوا يُعلموننى كما يُعلمون غيرى أن عيسى إلـه ابن الله الوحيد، وكانوا يزعمون أن محمداً ليس نبيّاً، وبالتالى ينكرون الإسلام[١]. . . ثم حدث أن وقع بين يدى - لأول مرة فى حياتى - ترجمة لمعانى القرآن الكريم، واستوقفتنى معانى كلماته، مثل:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾.

واستَوقَفَه كما يذكر ترجمة قول الله تعالى:

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

كما يذكر أيضاً أنه قرأ حديثاً لرسول الله ﷺ، قد شعر تجاهه بأن الإسلام دين الفطرة بحق، لأنه يعترف بذلك فى قوله:

«كل مولود يُولَدُ على الفِطْرة، فأبواه يُهَوِّدانِه أو يُنَصِّرانِه، أو يُمَجِّسَانِه»[٣].

ولذلك يقول «فانسان مونتيه» أو «المنصور بالله الشافعى» كما يعتز باسمه الجديد بعد أن أشهر إسلامه. «لقد آمنت برسالة محمد ومصداقيتها، مثلما آمنتُ تماماً بوحدانية الله. . إن محمداً رسول الله حقّاً. . والقرآن الكريم مُوحًى به من عند الله وليس من إنشاء محمد أو صُنعه. . . . ورسالته السماوية السمحاء ليست مقصورة على العرب. . وإنما هى للناس كافة.

وعمَّا استلفت نظره فى الإسلام أيضاً يقول:

«رأيت فى الإسلام تسامحاً مدهشاً، والأخلاق الرفيعة هدف كل مسلم. . كما رأيت رفضاً للرهبنة التى تجافى طبيعة الإنسان البشرية، فالإسلام يحفظ

---

(١) صحيفة الاتحاد التى تصدر فى «الإمارات العربية المتحدة»، الصادرة فى العاشر من نوفمبر ١٩٨٩ (بتصرف).

(٢) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٣) أخرجه البخارى.

للإنسان إنسانيته، فيمنع عليه الرهبنة، ويدفعه إلى التمتع بالحياة وطيباتها، ما لم تتعارض المتعة مع تعاليم الله تعالى.. ثم أخذ يُطَأطِئُ رأسه، ووجهه قد أشرق بابتسامة عريضة وهو يتلو قوله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[1].

ثم غابت ابتسامته فجأة وهو يتذكر الحاقدين على الإسلام، وما يرمونه بتهم باطلة لا صحة لها على الإطلاق، فيستعرضها مفنداً إياها فيقول:

إن أعداء الإسلام يَدَّعُون أن المسلمين لا يرضون من غيرهم إلا أن يكونوا مسلمين، فإذا لم يكونوا مسلمين أشهروا عليهم سيف الجهاد... في حين أنهم لو عقلوا ذلك جيداً لعلموا أن الجهاد الإسلامي مفروض، ولكن من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

ثم يستطرد قائلاً:

«ثم أليس الإسلام يقول لنا: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان؟»[2].

ثم يواصل المفكر الإسلامي «المنصور باللّه الشافعي» تفنيده لادعاءات الحاقدين على الإسلام فيقول:

«أنهم يتهمون الإسلام بالقسوة المفرطة، مع أن الإسلام هو دين السلام، والتسامح، والعفو، والمغفرة.... لقد تناسى هؤلاء كل العقوبات النصرانية فيما مضى، والتي أفرطت في القسوة، والتعذيب الذي وصل إلى حد الإحراق، وفصل أجزاء الجسد، فضلاً عن كثرة حالات الإعدام، وهو ما لم يشهده الإسلام في تاريخه الناصع النقي...

كما أنهم يتهمون الإسلام بظاهرة الرَقّ التي وُجِدَتْ قبل الإسلام وليس بعده، بل حين انتشر الإسلام وطُبقت تعاليمه كان يسعى لإلغاء الرّق، بَل إن

(١) سورة الحج: من الآية ٧٨.

(٢) اخرجه الإمام أحمد.

كثيراً من الكفَّارات للذنوب التى يقدم عليها المرء هو تحرير الرقاب الذى عَدَّه الإسلام تقرباً وطاعة لله.

ثم يحاولون الإساءة إلى الإسلام من زاوية تعدد الزوجات، ولو عقلوا لوَجَدُوا أنه وأن سمح حقّاً بذلك فإنه فى الوقت ذاته وضع شروطاً دقيقة أساسها العدل المطلق، والمعاملة الطيبة، كما نظر إلى النساء التى حالت ظروفهن دون الزواج، أو لمرض الزوجة، أو لأسباب أخرى.

ثم يصمت برهة ليجزم بالقول:

«أن الإسلام بعظمته وعمقه، وبنقائه ورُقيه، وبتسامحه ودعوته لكرامة الإنسان فى كل زمان ومكان ـ لن يستطيع أحدٌ أن ينال منه.. لأن الإسلام فى ذاته قوى.. وتعاليمه تدعو إلى القوة بعدم ارتكاب المعاصى والذنوب التى تضعف القوة، مثل الزنَى، وشُرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، وغير ذلك مما يحرمه الدين الحنيف».

ثم يختتم كلامه وقد غمرته سعادة إيمانية وهو يقول:

«لهذا اخترت الإسلام.. من أجل أن أشعر بالراحة فى رحابه وظلاله... نعم، اعتنقتُ الإسلام لأشعر وأدرك أننى اعتنقت ديناً لا يفصل بين البدن والروح، بين النفس والجسد... يكفينى أن الإسلام دين نقى، يدفع إلى الأخلاق والتحلى بها، وإلى الكرامة الإنسانية والتمسك بها، من أجل ذلك شهدت أن لا إله إلا اللّه، وأن محمداً عبده ورسوله... وعلى ذلك ألقى ربى».

* * *

مع المفكر السويسرى «روجيه دوباكييه»[1]

نشأ فى بيئة مسيحية بروتستانتية، غير أنه تأثر بالفلسفة الحديثة، ولا سيما الفلسفة الوجودية، فقد كان يعتقد أن الأديان معتقدات خرافية.

وعندما اشتغل بالصحافة بدأ يسافر إلى أكثر من بلد... فسافر إلى السويد، وعمل بها مراسلاً صحفيّاً فى نهاية الحرب العالمية الثانية لأكثر من خمس سنوات لكنه اكتشف أن الناس تعساء، برغم التقدم والرخاء الذى يعيشون فيه.... على حين اكتشف عكس ذلك عندما سافر إلى بعض الدول الإسلامية فى الشرق، فقد وجد المسلمين - برغم فقرهم الشديد - يشعرون بسعادة أكثر، وأن حياتهم لها معنى... هذه الملاحظة جعلته يفكر مليّاً فى معنى الحياة ويتأملها من خلال هذين النموذجين.... فيقول فى ذلك:

«كنت أسأل نفسى: لماذا يشعر المسلمون بسعادة تغمر حياتهم برغم فقرهم وتخلفهم؟!.. ولماذا يشعر السويديون بالتعاسة والضيق برغم سعة العيش والرفاهية والتقدم الذى يعيشون فيه؟! حتى بلدى «سويسرا» كنت أشعر فيها بنفس ما شعرت به فى السويد، برغم أنها بلد ذات رخاء، ومستوى المعيشة فيها مرتفع!

وأمام هذا كله وجدت نفسى فى حاجة لأن أدرس ديانات الشرق.... وبدأت بدراسة الديانة الهندوكية فلم أقتنع كثيراً بها، حتى بدأت أدرس الدين الإسلامى فشدنى إليه أنه لا يتعارض مع الديانات الأخرى، بل إنه يتسع لها

(١) اللواء الإسلامى: من حديث أجراه محمد صبره ورضا عكاشه فى إحدى أعدادها الأسبوعية.

جميعاً. . . فهو خاتم الأديان. . . وهذه حقيقة كانت تزداد يقيناً عندى باتساع قراءاتى، حتى رسخت فى ذهنى تماماً بعد ما اطلعت على مؤلفات الفيلسوف الفرنسى المعاصر «رينيه جينو»(١) الذى اعتنق الإسلام لقد اكتشفت كما اكتشف الكثيرون مما تأثروا بكتابات الفليسوف الفرنسى الذى أسلم وتحولوا إلى الإسلام. . . اكتشفت أن الإسلام يعطى معنى للحياة، على عكس الحضارة الغربية التى تسيطر عليها المادية، ولا تؤمن بالآخرة، وإنما تؤمن بهذه الدنيا فقط».

وهكذا فقد تأثر «روجيه دوباكييه» بفكر الفيلسوف الفرنسى «رينيه جينو» الذى أسلم، مثلما تأثر سابقا بزياراته للدول الإسلامية، فبرغم الظروف المادية السيئة فى تلك الدول فإن أهلها يتمتعون بقدر كبير من الإيمان الراسخ فى نفوسهم، ولا توجد عندهم أزمات أخلاقية كالتى توجد بالغرب، وجعلت كثيراً من الشباب ينتحر أو يهرب من الحياة بتعاطى المخدرات، مما يعنى فى نظرهم أن الحياة ليس لها معنى أو قيمة. . . ويصل إلى نتيجة يعبر عنها بقوله:

«لقد تبينتُ أن الإسلام بمبادئه يَبْسُط السكينة فى النفس. . . أما الحضارة المادية فتقود أصحابها إلى اليأس، لأنهم لا يؤمنون بأى شئ. . . كما تبينت أن الأوربيين لم يدركوا حقيقة الإسلام، لأنهم يحكمون عليه بمقاييسهم المادية».

ولذلك كان من المنطقى والتسلسل الطبيعى أن يجيب عندما سُئل: ما الذى جذبك نحو الإسلام؟. . . فيقول على الفور:

«فى البداية، إن الذى جذبنى إلى الإسلام هو شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدا رسول الله. . فقد اكتشفت أن الاسلام دين متكامل، وكل شئ فيه مرتبط بالقرآن والسنة. . وفى اعتقادى أن الشهادة يمكن الإنسان أن يتأمل طيلة الحياة، فهى لن تنتهى أبدا خصوصا المعانى التى تتضمنها. . .

(١) هذا الفيلسوف قد أسلم وأصبح اسمه «عبد الواحد يحيى» وقد تعرضنا له فى كتابنا هذا.

الشهادة تقول لا إله إلا الله... وهذا يعنى أنه ليس هناك حقيقة نهائية ودائمة سوى الله... أما الفلسفة الحديثة فتقول إنه ليس هناك حقيقة سوى هذه الدنيا، ذلك ما تقوله الفلسفة الوجودية وغيرها...

وقد دهشت لأن الإسلام يعبر عن الحقيقة التى تناساها العلم والفلسفة الحديثة».

ثم يستطرد حديثه بعد لحظة تأمل إلى بعيد ليقول:

« لقد تأثرتُ بالقرآن الكريم كثيراً عندما بدأت أدرسه، وتعلمتُ وحفظتُ بعض آياته.. والحمد لله فأنا أستطيع أن أقرأ فيه[1]: وتستوقفنى كثيراً الآية الكريمة: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[2]... وقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾[3].

ثم يضيف فى سعادة غامرة قائلاً:

« والسنة النبوية الشريفة قرأتها أيضاً، وتأثرت بما فيها من حُكم وبيان دقيق».

ولم يجد «روجيه دوباكييه» مناصاً من أن يُعلن إسلامه أمام الملأ، فيقول:

«لمَّا عُدْتُ إلى سويسرا لم يكن هناك مبرر لأن أخفى إسلامى، لذلك فقد نشرتُ مقالات كثيرة عن الإسلام فى «جورنال دى جنيف».. وصحيفة «جازيت دى لوزان»، وهى صحف غير إسلامية.. كما ترجمت بعض الكتب التى تتناول موضوعات إسلامية.. ودافعتُ فى كتاباتى كلها عن قضايا الإسلام كمسلم وَجَدَ طريقه فى دين الإسلام.

---

(١) برغم أن لديه ترجمات بالإنجليزية والفرنسية للقرآن، فإنه يحرص على قراءة القرآن باللغة العربية التى يحرص على تعلمها وحذقها كما يذكر.

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ٨٥.

(٣) سورة البقرة ـ من الآية ٢٥٦.

وأنا أحاول ـ الآن ـ أن أكثف كتاباتى عن الإسلام، وأشرح للقراء الغربيين ما يدور فى العالم الإسلامى. . . وأنا أركز على مسألة أن الإسلام يُقَدم حُلولاً لمشاكل كثيرة وصلوا معها إلى طريق مسدود، فى حين فتح الإسلام لها أبواباً كثيرة».

وعن نظرته للمسلمين كأشخاص يؤمنون بالإسلام باعتباره قومية أو أيديولوجية، قال فى غضب جَمٍّ:

«أنا أختلف مع بعض الأشخاص الذين ينظرون إلى الإسلام باعتباره قومية ـ وهذا اعتقاد خاطئ لدى كثير من المسلمين. . . إنهم يعتبرون الإسلام أيديولوجية وهو خطأ. . . إنّما الإسلام طريق إلى الله، وأفضل طريقة للوصول إلى معرفة الله والتصالح والوئام بين الخالق والخلق».

وعن رأيه فى النقد الموَجَّه للإسلام بأنه دين تخلف لا يقود إلى التقدم، قال ساخراً:

«الحمد لله أن الإسلام ليس متقدماً بمعنى التقدم الذى يعيشون فيه ويقودهم إلى الهاوية. . والحمد لله أن الإسلام لم يتجه إلى هذا التقدم المادى الذى يقصدونه. . . ولو كان كذلك لما أثار انتباهى ولا انتباه هؤلاء المفكرين الذين وجدوا فيه الخير والسعادة للبشرية، أمثال «رجاء جارودى» وغيره. .

إن الإسلام يعبر عن شئ خالد، ومن السخف أن نقول إنه متخلف، ولذلك يجب تغييره أو استبداله. . إن التقدم الذى ينادون به قادهم إلى اليأس والضياع. . . الحضارة والمدنية الحديثة تعبر عن صراع الإنسان مع المادة والحياة. . . فى حين يعبر الإسلام عن الحقيقة، ولذلك فلا داعى لأن يتجه الإسلام نحو التقدم بالمعنى الذى يريدونه، وهو الفوضى والدمار واليأس»:(١)

(١) تأمل إلى أى مدى وصل إيمان هذا المفكر بالإسلام لدرجة أن يصير غيوراً عليه فى حماس المؤمن الصادق.

وعن رأيه فيما يُثار من أن هناك فرقاً بين الإسلام كدين، والمسلمين كأشخاص. . . هَزَّ رأسه فى ابتسامة مقتضبة قائلاً:

هناك قصة فيها رد على ذلك. . . فأنا أعرف صديقاً منذ فترة اعتنق الإسلام فى السادسة والعشرين من عمره اسمه «محمد أسعد» كان يهودياً واعتنق الإسلام عام ١٩٢٦، وألف كتاباً بعنوان «الطريق إلى مكة» وأصبح من علماء الإسلام، وله مؤلفات أخرى كثيرة. . . . قابلته منذ فترة فى باكستان حيث يعيش هناك. . وسألته نفس هذا السؤال: هل هناك فرق بين الإسلام كدين والمسلمين كأشخاص؟

فقال لى: إذا كنا قد اعتنقنا الإسلام فليس هذا بسبب المسلمين. . ولكن السبب أن الإسلام حقيقة لا ينكرها أحد.

صحيح هناك تدهور فى حال المسلمين. . ولكنى أصارحك القول بأن التدهور فى حال أصحاب الأديان الأخرى أكثر مما هو فى المسلمين. . . إن الإسلام آخر تعبير عن الرحمة الإلهية. . . وما زال قادراً على العطاء. . عطاء كل ما يُخَلّص الإنسان من شقاء الحياة وآلامها ومتاعبها. . إن الإسلام يجدد الصلة بين المرء وربه التى قطعها إنسان اليوم.

حتى إذا كان المسلمون فى حالة تدهور أو انهيار، فإن دينهم قادر على منحهم الحياة السعيدة المطمئنة التى تعينهم على التغلب على تلك الأزمات الأخلاقية التى يعيشها الغرب».

وعن تفسيره لظاهرة الإقبال على اعتناق الإسلام من جانب الأورُبيين أجاب قائلاً:

«السبب كما قلت الأزمة التى قادتهم إليها الحضارة والمدنية الحديثة. . لقد أصبح الأوربيون يعيشون فى حالة يأس لأنهم لا يؤمنون بشئ، ولذلك فهم يبحثون عن معنى لحياتهم، وقد وجدوا هذا المعنى فى الإسلام فأقبلوا عليه.

ومن الأمور التى تسعد النفس ألا يكتفى هذا المفكر بإسلامه، بل يتصدى للقيام بالدعوة الإسلامية فى محاولة منه لنشر الإسلام بين قومه فى أورُبا، ومن ذلك وضعه لكتاب «اكتشاف الإسلام» الذى نال إعجاب الكثيرين لموضوعاته التى تضمنته...

إنه يستحث المسلمين أن يضطلعوا بمسئولياتهم نحو دين الإسلام، ومن أبسط ذلك كما يقول بالمساعدة بالكتب والمنشورات التى تتحدث عن الإسلام بلغات الأوربيين، ولا سيما أن السُّبُلَ والفُرص لشرح الإسلام للأوربيين متاحة ويسيرة الآن.

* * *

مع الكاتب الأمريكى المسلم
الكولونيل «دونالدس روكويل»

كانت هناك دوافع قوية وراء اعتناق «الكولونيل دونالدس روكويل» للإسلام فيقول:

«إن بساطة الإسلام، ومساجد المسلمين بجاذبيتها، وبما فى أجوائها من روعة وجلال ووقار، وما يتميز به المسلمون المؤمنون من ثقة باعثة على اليقين تجعلهم يستجيبون لنداء الصلاة خمس مرات فى اليوم، كل هذه الأمور ملكت علىَّ مشاعرى منذ البداية. . . . على أننى بعد أن قررت أن أنضم إلى ركب المسلمين، وجدت أن هناك أسباباً كثيرة أخرى أهم وأعمق من هذه الدوافع، قد زادتنى يقيناً وتصميماً، وهى:

* هذا الإدراك الناضج للحياة، والذى هو من ثمار السنة المحمدية التى تجمع بين الرأى السديد، والقدوة العملية، فى أسلوب من التوجيه الحكيم فى أمور كثيرة تدلل على واقعية هذا الدين، وحكمة أخَّاذة سديدة فى أقوال محمد ﷺ، . . . خُذْ مثلا قوله «اعقلها وتوكل». . . لقد قرر فى هاتين الكلمتين نظاماً دينياً فى أعمالنا المعتادة، فلم يطلب إلينا التصديق الأعمى بوجود قوى غيبية تحفظنا برغم تقصيرنا وإهمالنا، بل يدعونا إلى الثقة فى الله، والرضا بإرادته فى عاقبة أمرنا، إذا نحن طرقنا الأمور من أبوابها الصحيحة، وبذلنا فى ذلك قصارى جهدنا.

* سماحة الإسلام مع الأديان الأخرى - والذى هو نابع من اتساع الأفق الفكرى - تجعله قريباً إلى قلوب أولئك الذين يتعشقون الحرية، فقد دعا محمد ﷺ أتباعه إلى أن يحسنوا معاملة المؤمنين بالتوراة والإنجيل، وإلى الإيمان بأن إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام رُسُلٌ من عند الله الواحد الأحد. . . هذه سماحة يمتاز بها الإسلام عن الأديان الأخرى.

* التحرر الكامل من عبادة الأوثان، دليل على سلامة دعائم العقيدة الإسلامية، وعلى نقائها، فالتعاليم الأصلية التى جاء بها محمد ﷺ لم يغيرها المشرعون بتعديلات أو إضافات، فها هو ذا القرآن الكريم على الحالة التى أنزل بها على محمد ﷺ لهداية المشركين والكفار فى بداية دعوته ظل ثابتاً راسخاً حتى الآن.

* الاعتدال والتوسط فى كل شئ هما دعامتان أساسيتان فى الإسلام، قد استحوذتا على كل إعجابى وتقديرى.

لقد أمنت أن الرسول محمد كان جريصاً على صحة قومه، فأمرهم بالتزام النظافة إلى أبعد الحدود، كما أمرهم بالصوم والسيطرة على الشهوات الجنسية. . . وأذكر أننى كنت - عندما أقف فى مساجد أسطنبول ودمشق وبيت المقدس والقاهرة وغيرها من المدن - أحس شعوراً عميقاً بقدرة الإسلام فى بساطته، على الارتفاع بروح البشر إلى الآفاق العليا، بدون حاجة إلى زخارف أنيقة، أو تماثيل، أو صور، أو موسيقى، أو طقوس رسمية. . فالمسجد مكان للتأمل الهادئ، ونسيان الذات وفنائها، واندماجها فى الحقيقة الكبرى، فى ذكر الله الأحد:

* تتجلى ديمقراطية الإسلام التى أثارت إعجابى فى تساوى الحقوق بين الملك صاحب السلطان، وبين الفقير المتسول داخل جدران المسجد، فهم يسجدون جميعاً لله، ليست هناك مقاعد تستأجر، ولا أماكن تحجز لفئة دون أخرى.

* لا يؤمن المسلم بوسيط بينه وبين ربه، بل يتجه رأساً إلى الله، خالق الخلق، وواهب الحياة، وهو لايراه دون التجاء إلى صكوك غفران، أو إلى أحد لمنحه منحة الخلاص.

* الإخوة العالمية الشاملة فى الإسلام، بغض النظر عن اختلاف العنصر أو المذهب السياسى أو اللون أو الإقليم فقد ثبت ذلك عندى بكل يقين واقتناع مرات ومرات... وهذه ظاهرة أخرى كانت ضمن الدوافع التى قادتنى إلى الإيمان بالإسلام.

* * *

مع المفكر الإنجليزي «مارتن لنجز»
الذى صار مفكراً إسلامياً

كان يدين بالمسيحية شأن أسرته التى لا تعرف عن الدين شيئاً إلا أنها مسيحية بالوراثة.. وهكذا نشأ هو خالى النفس من أية عقيدة يؤمن بها حق الإيمان.. ولكن بدأت سمات نضجه الفكرى تتضح بعد حصوله على شهادة الـ "A - B" فى الآداب الإنجليزية حيث كان يدرس الأدب الإنجليزى فى جامعة «أكسفورد» إنجلترا.. فقد أخذ ينقب فى كتب التراث عن الديانات المنتشرة فى العالم ليقرأ عنها جميعاً، فاستوقفه دين الإسلام كشريعة لها منهاج يتفق مع المنطق والعقل، وآداب تستسيغها النفس والوجدان، فاستشعر حينئذ أنه قد وجد نفسه مع هذا الدين الذى يتفق مع فطرة الإنسان حيث يعبر عن ذلك بقوله:

«لقد وجَدْتُ فى الإسلام ذاتى التى افتقدتها طوال حياتى، وأحسست وقتها أنى إنسان لأول مرة، فهو دين يرجع بالإنسان إلى طبيعته حيث يتفق مع فطرة الإنسان».

ثم أردف قائلاً ـ وقد أنارت الابتسامة وجهه:

«شاء الله لى أن أكون مسلماً، وعندما يشاء الله فلا رَادَّ لقضائه ... وهذا هو سبب إسلامى أولاً وقبل كل شئ».

ويذكر أنه قد أشهر إسلامه على يد شيخ جزائرى اسمه الشيخ «أحمد

العلوى»، التقى به فى سويسرا التى كان يعمل بها مدرساً، بعدها قام بتغيير اسمه من «مارتن لنجز» إلى اسم «أبى بكر سراج الدين».

ثم ماذا. . .؟ ونعنى بذلك سؤاله هل هناك أسباب أو دوافع أخرى وراء اعتناقه الإسلام؟. . . . . فيهز برأسه وهو يرد قائلاً: نعم. . . إن ما أثر علىَّ وجعلنى أهتم بالإسلام هو كتب مؤلف كبير كان مثلى واعتنق الإسلام، وأصبح من قمم المتصوفة، والذى يعرف بالشيخ «عبد الواحد يحيى». . لقد تأثرت بكتبه التى صنفها عن الإسلام، حتى أننى لم أقرأ كتباً من قبل فى مثل عظمة كُتُبِه، مما دفعنى لأن أسعى لمقابلة مَنْ كان سبباً فى إسلامى، فجئتُ إلى مصر حيث كان يعيش فيها وقتئذ».

ثم يضيف فيقول: «لقد استفدت منه كثيراً. . . فقد كان بحق عالماً عاملاً بعلمه. . . وأكثر ما تعلمته منه الزهد فى الدنيا وهو ما تسمونه أنتم بـ «التصوف».

هل أنت متصوف؟ سؤالا يُطرح عليه ليجيب عنه بقوله:

«نعم. . . ولكن مفهومى للتصوف أنه ليس انعزالاً عن الدنيا، ولكنه أخْذٌ بأسباب الحياة فى الظاهر، والإعراض عنها بالقلب».

ثم يصمت برهة ليوضح بعدها ما يعنيه فيقول: «إن الرسول محمد ﷺ قد لخص معنى التصوف كله فى حديثه الشريف: «كُنْ فى الدُّنْيَا كأَنَّكَ غَرِيبٌ أو كعابر سبيل». . . أو ما قاله فى حديث شريف آخر: «. . إنَّمَا أنا والدُّنْيَا كَرَاكِبٍ استَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَة ثُمَّ رَاحَ وتَرَكَها». . هذا هو مفهوم التصوف الذى تعلمته من الشيخ عبد الواحد يحيى»[1].

ولكن إلى أى شئ قَادَكَ التصوف؟. . . . سؤال آخر يُطرح عليه ليجيب عنه أيضاً على الفور فى تحمس المتيقن بالإيمان:

(١) يلاحظ أنه كان من العلماء البارزين الذين شاركوا فى المؤتمر العالمى الرابع للسيرة النبوية (صحيفة اللواء الإسلامى الصادرة فى ١٤/ ١١/ ١٩٨٥).

«إلى العبودية الخالصة لله».

وهكذا صار المفكر البريطانى المسْلم الدكتور «أبو بكر سراج الدين» الذى كان يدين بغير الإسلام، ثم هداه الله للحنيفية السمحاء، فاعتنق الإسلام عن اقتناع تام... ثم علا بإيمانه فزهد فى الدنيا، وأصبح متصوفاً فى مجتمعات تموج بالفتن وإغراء الملذات.. وتفرغ للدعوة إلى الله فى بلاده التى ناصبت الإسلام العداء، يحدوه الإيمان العميق بأن المستقبل للإسلام الذى هو الدين الحق المرسل لكل بقاع الأرض.

* * *

مع الكاتب والصحفي الهندى
«خالد لطيف جابا»

ينحدر من أسرة هندوكية ثرية، وكان ينعم بكل ما فى الحياة من مباهج ومتاع، غير أنه كان يستشعر أنه يفتقد كل شئ. . يفتقد الطمأنينة وسكينة الروح، حتى وجدها فى الإسلام الذى تحول إليه.

ولكن قبل أن يصف لنا التحول الذى حدث فى حياته حتى أشهر إسلامه، وأصبح واحداً من دُعاته. . . يقول:

«عندما يُولَدُ أى إنسان يمر بمراحل عديدة. . . فى المرحلة الأولى يكون باسماً بريئاً، بوسعه أن يلمس الأشياء ويشم الروائح، فتنشأ حواسه الخمس، غير أنه لا يتمتع بالكثير من الإحساس، صحيح أنه يرى كل الأشيـاء، لكنه لا يستطيع التمييز بين الخير والشر، وكذلك حياة الإنسان الروحية، لها هى الأخرى طفولتها، التى يصل فى نهايتها إلى النضج وكامل النمو الروحى. . .».

ثم يتذكر كيف كانت بداية نضجه الروحى وتعرفه على الإسلام، فيستطرد قائلا:

«إن حُبّى للإسلام ليس بالشئ الجديد، فالشعلة الأولى التى قبستها من الإيمان بالإسلام جاءتنى قبل خمسة عشر عاماً حين كنت فى مصر، حيث تركت الحضارة والثقافة الإسلامية انطباعاً لا ينمحى من نفسى، حيث تأثرت

على وجه الخصوص ببساطة المجتمع الإسلامى، وإحساسه بكرامته، وبالحب الإنسانى المتبادل بين أفراده، مما زاد من اتقاد شعلة الإيمان بالإسلام فى نفسى بشكل تدريجى مطرد، حتى رسخ فيها نهائياً.

لقد كنتُ كلما مررت بأحد المساجد أشعر أن المؤذن وهو ينادى إلى الصلاة كأنه يقصدنى أنا بالذات بندائه الذى كنت أستشعر بقوته، لدرجة أننى لم أتمالك نفسى من الدخول إلى المسجد، والوقوف والانتظام فى صُفُوف المصلين، وظللتُ أفعل ذلك فترة طويلة من الزمن قبل أن أُشْهِرَ إسلامى».

وعندما سُئِلَ هذا السؤال: «لماذا فَضَّلْتَ الإسلام على سائر الأديان الأخرى؟... أجاب على الفور بقوله:

«إنَّ ما جذبنى إلى الإسلام هو بساطته وصراحته التامة، فالإسلام يقوم على مبدأين أساسيين من اليسير جداً تقبلهما لرجل الشارع العادى.. المبدأ الأول هو أن الله واحد لا شريك له.. والمبدأ الثانى أن محمداً عبده ورسوله...

وهناك سبب آخر حببنى فى الإسلام، هو مبدأ المساواة فى الإسلام، فالناس سواسية كأسنان المشط، الجميع يقف بين يدى الله فى الصلاة سواسية، لا فرق بين إنسان وإنسان... كما لا توجد شعائر أو طقوس أو إجراءات معقدة يقوم بها المرء عند اعتناقه لدين الإسلام ، يكفى أن ينطق بالشهادتين حتى يصبح واحداً من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم.

ولقد شدنى للإسلام سيرة رجاله العظام، مثل الخليفة عمر بن الخطاب الذى دخل بيت المقدس بصحبة خادمه، فلم يستطع الذين كانوا فى انتظاره أن يميزوا الخليفة عمر من خادمه، حتى سألوا أى الرجلين هو».

ويضيف الأخ المسلم «خالد لطيف جابا»:

«إن الإسلام دين عظيم، فهو بوسعه أيضاً تلبية كافة احتياجات الإنسان المعاصر من مبادئ وفضائل لم أجدها مجتمعة إلا فى الإسلام، ولذا كانت

الإخوة والمساواة والعلاقات الإنسانية المتميزة من الأمور التى حث الإسلام على مراعاتها والتمسك بأدابها الرفيعة».

كذلك وجدت للتشريع الإسلامى ميزة يتميز بها بين غيره من الشرائع الأخرى، وهى أنه وُضِعَ ليلائم طبيعة البشر الخطَّائين لا الملائكة المعصومين... من هنا كان الإسلام هو أفضل دين للبشرية».

* * *

مع الصحفى البريطانى «روبرت»
الذى صار «أبا القاسم»

البداية عندما كان صغيراً لم يكن يؤمن «بالثالوث» كما تدعو إليه الكنيسة.. وإنما كان يؤمن بالله الواحد الأحد وبأن المسيح نبى أرسله الله وليس ابناً لله.... فقد كان لا يرى أن هناك علاقة أُبوة بين الله عز وجل وعيسى ابن مريم عليه السلام...

إنه يتذكر أنه كان يشاركه فى هذا الاعتقاد أناس عديدون فى مثل سنه آنَ ذاك.

وتمر الأيام والسنون، وتنضج عقلية روبرت أكثر، فيذكر أنه قد أخذ يبدأ فى قراءة ترجمات مختلفة لمعانى القرآن الكريم، وترجمات لبعض الأحاديث النبوية، كما قرأ كثيراً من الكتب التى تتناول الإسلام: مفهوماً، وتعاليماً وسلوكاً.

ولا يستغرب روبرت أو «أبو القاسم» من نفسه أن تجد ميلاً ورغبة للإسلام... فيعبر عن هذا المعنى بقوله:

«إن هنا أشخاصاً يجدون فى داخلهم الرغبة فى الدخول فى الدين الإسلامى، ولكنهم لوعرفوا الحقيقة ـ حقيقة الدين الإسلامى العظيم ـ لَدَخَل العديدون فى دين الله أفواجاً، ولكن الصعوبة التى تواجه الناس فى الغرب هو أنهم يُخَاطَبُون شفهيّاً عن الإسلام فى حين أن الناس تريد شيئاً عمليّاً

شيئا واضحا كى يقتنعوا». ولذلك يستطرد «أبو القاسم» فى قوله مستحضرا مثلا حيا قد أثار إعجابه فيقول:

لقد كان هناك مشروع يثير الاهتمام، وهو مشروع «نيو مكسيكو» الذى أقيم فى أمريكا وسُمّىَ «دار الإسلام»، فإذا زُرْتَ هذا المكان أو هذه الدار تستطيع أن ترى الواقع الحى للسلوك الإسلامى من خلال مشروع مثل هذا، يستطيع الناس أن يتعرفوا جيداً على عظمة الدين الإسلامى فى تطبيقاته العملية.

ولذلك يدعو[1] «أبو القاسم» إلى ضرورة تبنى البلاد الإسلامية الغنية لمثل هذه المشروعات الحيوية، وتزويدها بالعلماء الواعين الذين يجيدون اللغات الغربية، بالإضافة إلى فهمهم الصحيح لدين الإسلام»[2].

كما يطلب أبو القاسم من أجهزة الإعلام فى العالم الإسلامى أن يوظفوا وسائل الإعلام كسلاح قوى ضد الهجمات الشرسة التى يشنها أعداء الإسلام ضد المسلمين. . . كما عليها أن تواجه التيارات الهدامة التى يخطط لها أعداء الإسلام من أجل ضرب الإسلام فى معاقله. . ثم يصرخ فى ندائه لحكام المسلمين:

«فَلْنُنفِق الأموال فى خدمة الإسلام وفى سبيل الدعوة».

ومن الطريف أن شخصاً كان غريباً عن الإسلام آمن به، ولم يكتف بإيمانه، وإنما يطلق صيحاته وصرخاته للدعوة لنشر الإسلام والذود عنه. . . ثم أخذ يسخر قلمه فى الدعوة لاعتناق الإسلام، فمن ذلك يقول للذين لم يسلموا: تعالوا إلى الإسلام، وإلى المجتمع الإسلامى، وجربوا بأنفسكم ثم احكموا. .

---

(١) المسلمون ـ العدد الحادى عشر، الصادر فى أبريل ١٩٨٥ (بتصرف).

(٢) نهدى هذه الفقرة لأجهزة الدعوة الإسلامية، ولكل المسئولين والمسلمين الأثرياء فى بقاع الأرض.

. . . ثم لا تغادره طبيعته كصحفى فيقول: إنه يكون فى غاية السعادة لو قابل أى أخ من الذين أسلموا حديثاً لنقيم معه حواراً مفيداً.

ويبدو أننا كمسلمين نحتاج إلى أن نتعلم من الذين أسلموا حديثاً لصدق إسلامهم الذى دلَّلوا عليه بصدق فِعَالهم وسلوكهم.

* * *

الفصل الثالث

أساتذة أكاديميون اعتنقوا الإسلام

* مع البروفيسور البريطاني «آرثر أليسون» الذى أعلن فى مؤتمر علمي أن كل ما يسمعه عن الإسلام يدلل بأنه دين العلم ودين العقل.

* مع البروفيسور الفرنسى «روبيرت بير جوزيف» الذى اعتنق الإسلام بعد دراسة جادة مضنية أوصلته إلى اقتناع كامل به كدين.

* مع العالم الإيطالى «أندريه رومانى» الذى نبذ عقيدة «التثليث» التى لا تتفق مع العقل والمنطق السليم، واتجه نحو الإسلام الذي أقر بالوحدانية.

* مع البروفيسور الأمريكي «مارك شليفر» الذي لم يتمالك نفسه ووجد الدموع تنهمر من عينيه وهو يطالع تفسير آيتين من القرآن الكريم.

* ..... وآخـــــرون.

مع العالم البريطانى «آرثر أليسون»
أو عبد الله أليسون

عندما حضر البروفيسور «آرثر أليسون» رئيس قسم الهندسة الكهربائية والإلكترونية بجامعة لندن إلى القاهرة عام ١٩٨٥ ليشارك فى أعمال المؤتمر الطبى الإسلامى الدولى حول الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم[(١)] كان يحمل معه بحثه الذى ألقاه، وتناول فيه أساليب العلاج النفسى والروحانى فى ضوء القرآن الكريم، بالإضافة إلى بحث آخر حول النوم والموت والعلاقة بينهما فى ضوء الآية القرآنية الكريمة: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(٢)].

الغريب فى الأمر أنه لم يكن ـ وقتئذ ـ قد اعتنق الإسلام، وإنما كانت مشاعره تجاهه لا تتعدى الإعجاب به كدين.

وبعد أن ألقى بحثه جلس يشارك فى أعمال المؤتمر، ويستمع إلى باقى البحوث التى تناولت الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، فتملكه الانبهار، وقد ازداد يقينه بأن هذا هو الدين الحق.. فكل ما يسمعه عن الإسلام يدلل بأنه دين العلم ودين العقل.

---

(١) قد نظمته نقابة الأطباء بالقاهرة.

(٢) سورة الزمر: ٤٢.

فلقد رأى هذا الحشد الهائل من الحقائق القرآنية والنبوية، والتى تتكلم عن المخلوقات والكائنات، والتى جاء العلم فأيدها، فأدرك أن هذا لا يمكن أن يكون من عند بشر.. وما جاء به رسوله محمد ﷺ من أربعة عشر قرناً يؤكد أنه رسول الله حَقّاً..

وأخذ «أليسون» يستفسر ويستوضح من كل مَنْ جلس معه عن كل ما يهمه أن يعرفه عن الإسلام كعقيدة ومنهج للحياة فى الدنيا..... حتى لم يجد بُدّاً من أن يعلن عن إيمانه بالإسلام...

وفى الليلة الختامية للمؤتمر، وأمام مراسلى وكالات الأنباء العالمية، وعلى شاشات التليفزيون، وقف البروفيسور «آرثر أليسون» ليعلن أمام الجميع أن الإسلام هو دين الحق... ودين الفطرة التى فطر الناس عليها... ثم نطق بالشهادتين أمام الجميع بصوت قوى مؤمن:

«أشهد أن لا إلـه إلا اللّه، وأشهد أن محمداً رسول الله».

وفى تلك اللحظات كانت تكبيرات المسلمين من حوله ترتفع، ودموع البعض قد انهمرت خشوعاً ورهبة أمام هذا الموقف الجليل.

ثم أعلن البروفيسور البريطانى عن اسمه الجديد «عبد اللّه أليسون»... وأخذ يحكى قصته مع الإسلام فقال:

إنه من خلال اهتماماتى بعلم النفس، وعلم ما وراء النفس، حيث كنت رئيساً لجمعية الدراسات النفسية والروحية البريطانية لسنوات طويلة.... أردت أن أتعرف على الأديان، فدرستها كعقائد، ومن تلك العقائد عقيدة الإسلام، الذى وجدته أكثر العقائد تمشياً مع الفطرة التى ينشأ عليها الإنسان.... وأكثر العقائد تمشياً مع العقل، من أن هناك إلـهاً واحداً مهيمناً ومسيطراً على هذا الوجود... ثم إن الحقائق العلمية التى جاءت فى القرآن الكريم والسنة النبوية من قبل أربعة عشر قرناً قد أثبتها العلم الحديث الآن،

وبالتالى تؤكد أن ذلك لم يكن من عند بشر على الإطلاق، وأن النبى محمد ﷺ هو رسول الله.

ثم تناول «عبد الله أليسون» جزئية من بحثه الذى شارك به فى أعمال المؤتمر، والتى دارت حول حالة النوم والموت من خلال الآية الكريمة: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى .... ﴾[1].
فأثبت «أليسون» أن الآية الكريمة تذكر أن الوفاة تعنى الموت، وتعنى النوم، وأن الموت وفاة غير راجعة فى حين أن النوم وفاة راجعة.... وقد ثبت ذلك من خلال الدراسات الباراسيكولوجية[2] والفحوص الإكلنيكية[3] من خلال رسم المخ، ورسم القلب، فضلاً عن توقف التنفس الذى يجعل الطبيب يعلن عن موت هذا الشخص، أم عدم موته فى حالة غيبوبته أو نومه.

وبذلك أثبت العلم أن النوم والموت عملية متشابهة، تخرج فيها النَّفْسُ وتعود فى حالة النوم ولا تعود فى حالة الموت[4].

ثم قرر العالم البريطانى المسلم البروفيسور «عبد الله أليسون» أن الحقائق العلمية فى الإسلام هى أمثل وأفضل أسلوب للدعوة الإسلامية، ولا سيما للذين يحتجون بالعلم والعقل.

(١) سورة الزمر: ٤٢.

(٢) الدراسات الباراسيكولوجية هى دراسات تتعلق بثلاث مجالات رئيسية:

* مجال ما يسمى بتجارب خارج الجسم.
* مجال حالات الغيبوبة التى تشابه الموت.
* مجال الأحلام والرُّؤى.

(٣) أى التشخيصية.

(٤) يرجع إلى بحوث المؤتمر الطبى الإسلامى الدولى الأول حول الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم الذى عُقد بالقاهرة عام ١٩٨٥.

ولذلك أعلن البروفيسور «عبد الله»... أنه سيقوم بإنشاء معهد للدراسات النفسية الإسلامية فى لندن على ضوء القرآن المجيد والسنة النبوية... والاهتمام بدراسات الإعجاز الطبى فى الإسلام، وذلك لكى يوصل تلك الحقائق إلى العالم الغربى الذى لا يعرف شيئاً عن الإسلام.

كما وعد بإنشاء مكتبة إسلامية ضخمة باللغتين العربية والإنجليزية للمساعدة فى إجراء البحوث العلمية على ضوء الإسلام.

* * *

مع الأستاذ الدكتور «روبيرت بير جوزيف» (الحاج إبراهيم محمد)

إنه أستاذ سابق للفلسفة بالجامعات الفرنسية، وله العديد من الكتب فى مجال الفلسفة والتوحيد. . . اعتنق الإسلام بعد دراسة جادة مضنية أوصلته إلى اقتناع كامل به كدين قائم على التوحيد ـ على عبادة اللّه الأحد. . .

وعلى حد تعبيره كان من فضل الله عليه أن مَنَّ الله عليه بالإسلام مكافأة من الله له على ما بذله فى سبيل تحصل العلوم المختلفة، وخاصة اجتهاده فى الفلسفة والتوحيد، فضلاً عن إلمامه الكبير فى مختلف فروع المعرفة .

ويسترسل الدكتور فى حديثه فيقول:

«إنه بلا شك أن الإسلام ـ وهو دين العلم والمعرفة ـ يدعو معتنقيه إلى التزود بالعلم والعمل به، ولا غَرْوَ فى ذلك، فإن أول آية من القرآن الكريم هى قوله تعالى لرسوله الكريم: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[1]. والنبى الكريم يقول: «اطلبوا العلِم ولو كان فى الصين»، فمن تجاربى الشخصية، فإنى أؤمن إيماناً لا يتزعزع بأن الفرد الذى يخلص فى أبحاثه للحصول على العلم فى أى فرع من فروعه لخدمة المجتمع، ولخير البشرية جمعاء، فإن الله سبحانه وتعالى سيجازيه خير الجزاء على كل ما يقدمه من خير لمجتمعه، فالله يقول فى سورة الزلزلة:

(١) سورة العلق من الآية ١ .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ... ﴾[1]

وبالنسبة لى فإننى لم أكتف بدراستى الخاصة في الفلسفة، بل إننى حاولت في شتى فروع المعرفة، وخاصة فى إثبات وحدانية الله خالق كل شئ، ومدبر كل شئ فى هذا الكون، الذى تهدده الحضارة المادية الإلحادية التى تكاد تقضى على كل ما توارثته الأجيال الماضية والحاضرة من تقدم وازدهار. فسلاح العلم وحده لا يُستخدم إلا فى الخير والبناء، لا فى الدمار والخراب، وذلك هو الأمل لأبناء البشرية جمعاء للوصول إلى الحقيقة الكبرى، وإلى خلاص العالم من مشاكله.

فالعلم والبحث كانا سبباً فى انبثاق إشراقة الأمل ونور الحق، وإنارة الطريق أمامى.. ويهدنى ربى إلى الصراط المستقيم، ويرشدنى إلى بر الأمان، وينقذنى من العذاب الشديد الذى كنت أعانيه نتيجة الصراع العنيف الذى كان يدور فى نفسى، ولا ريب فى هذا الكلام، فإننى أعتقد بأن الإسلام ـ وهو شريعة الله والحق ـ معناه السلام، بكل ما تحتويه هذه الكلمة من معانٍ كبيرة، وأولها السلام بين الشخص ونفسه.

فالنفس ـ وهى الأمارة بالسوء ـ لا تستطيع أن تسيطر عليها وتوجهها إلى خير الفرد والمجتمع، إلا الشريعة الإسلامية ومبادئها السمحاء.

فالشهادة تعنى أن لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.. تعنى أن الناس جميعاً متساوون، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى....

واتصال العبد مباشرة بخالقه خمس مرات يومياً ـ فى صلاته ـ زَادٌ يومى يُذَكِّرَهَ بوجود الخالق، ويدعوه إلى اتباع مَا دَعَا إليه، واجتناب ما نَهَى عنه.... ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[2].

---

(١) سورة الزلزلة آخر الآية.

(٢) سورة آل عمران ـ من الآية ١١٠.

والزكاة تُوحّدُ بين القلوب، وتقضى على الحقد والبغض والحسد، فتقرب بين المسلمين وتجعلهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

وصيام رمضان يعتبر تدريباً للنفس لكبح جماحها. . .

وخروج الفرد من زينة الدنيا فى الحج يذكره بيوم الحشر والحساب. . .

فهذه المبادئ تستطيع إقامة المجتمع المثالى الذى ظل يبحث عنه منذ نشأته. . . ولذا فإننى أدعو كل إنسان أن يبحث عن حقيقة الإسلام ومبادئه المختلفة، ولا يتأثر بالادعاءات الكاذبة التى يرددها المغرضون وأصحاب الأغراض الشخصية، فالطريق مفتوح أمام كل إنسان للنظر فى كتاب الله وسُنة رسوله، وليحكم بعد ذلك بما يمليه عليه ضميره.

ثم يقول الدكتور الجامعى الذى أسلم: إن شيئاً فعلته بعد اعتناقى للإسلام، هو محاولة زيارة الدول الإسلامية لدراسة أحوال معيشتهم، والتعرف عليهم، ولقد سعدت كثيراً بزيارة المملكة العربية السعودية، والكويت، ومصر وغيرها، وكنت دائماً أحس بالبيئة الإسلامية التى أفتقدها ويفتقدها كل مسلم يعيش فى بلاد الغرب.

ثم يستطرد قائلا: إننى الآن أقوم بمحاولة إعداد كتاب باللغة الفرنسية عن الشريعة الإسلامية، وتاريخ الإسلام والمسلمين، ودور علماء المسلمين الأوائل فى العلوم والفنون المختلفة.

ثم اختتم حديثه وهو فى حالة من النشوة والزهو وهو يقول:

أود أن أطلب من المسلمين أن يفتخروا بأنهم مسلمون، وأن يكونوا خير مثل لهذه الشريعة الخالدة، وأن يكونوا جديرين بأن يحملوا هذه العقيدة.

وأحب أن أذكر هنا مثلاً يبين لهم أهمية تمسكهم بدينهم دون التأثر بما يجرى من حولهم، وهو أن أصحاب الأعمال هنا يفضلون المسلمين المتمسكين بدينهم، نظراً لأنهم يكونون على خُلُق طَيِّبٍ، وإخلاص تام

للأعمال التى يقومون بها، فضلاً عن أن سلوكهم الاجتماعى يجبر الجميع على احترامهم وتقديرهم، واحترام وتقدير عقيدتهم.

كما أطلب من الدول الإسلامية ـ وخاصة مصر ـ أن تتحمل المسئولية الكبرى لخدمة الإسلام والمسلمين فى العالم أجمع، كأن تهتم مثلاً بتوزيع المطبوعات الإسلامية التى تتناول الأسس والمبادئ الإسلامية بالأسلوب العلمى المبسط، وباللغات المختلفة. . . وأن تهتم بالقرآن الكريم وترجمته للشعوب غير الناطقة بالعربية، والاهتمام أيضاً بأسطوانات وتسجيلات تعليم الصلاة للمسلمين فى الدول الغربية بصفة عامة، وفى فرنسا بصفة خاصة، حتى يمكننا ـ نحن الأوربيين دراسة ومعرفة هذا الدين الحنيف. . كما يمكننا نحن الذين أسلمنا أن نُعَرِّفَ إخواننا غير المسلمين به، ولكل طالب علم ومعرفة، والله يهدى من يشاء من عباده[1].

* * *

(١) منبر الإسلام ـ عدد يونيو ١٩٧١ (بتصرف).

مع البروفيسور البريطاني المسلم
«جون مونرو»[1]

عاش بين المسلمين فى لبنان عشرين عاماً بحكم عمله رئيساً لقسم الأدب الإنجليزى فى الجامعة الأمريكية فى بيروت. . . عرف فى أثنائها طبيعة وسلوك المسلمين، وتبين له خطأ التصور الذى كان يحمله معه عند ذهابه إلى لبنان، فقد كان يسيطر على مخيلته بعض الأضاليل والافتراءات على الإسلام والمسلمين، والتى كانت منتشرة بصورة كبيرة فى الغرب، مثال ذلك أن الحرب المقدسة عند المسلمين هى العدوان على كل من لا يؤمن بعقيدتهم الإسلامية. . . . ولكنه بعد أن قرأ بإمعان التاريخ الإسلامى، اتضح له بجلاء أن الإسلام عقيدة متسامحة، ودين لا يُفْرض على الآخرين بالإكراه[2].

ولقد تأكد من ذلك بالمعايشة الفعلية التى يعبر عنها قائلا:

«أريد القول: إن حظى كان كبيراً، لأن الفرصة قد أتاحت لى الدراسة، ولكن ليس بطريقة أكاديمية، وإنما عن طريق اتصالات الصداقة مع مجموعة من الناس الذين كانت مهمتهم تنوير الناطقين بالإنجليزية بحقيقة طبيعة العقيدة الإسلامية، فضلا عن ذلك أننى قرأت كل ما وصلت إليه يداى، كما أننى

---

(١) أستاذ الأدب الإنجليزى فى الجامعة الأمريكية ببيروت. . . درس فى جامعات «نورث كارولينا» و «لندن» و «تورنتو». . . ووضع خمسة عشر كتاباً معظمها يدور حول المواضع التى يدرسها، فضلاً عن أنه كتب حول موضوعات متنوعة تتعلق بالحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى منطقة الشرق الأوسط. . . وآخر كتبه هو «التجارة والإسلام فى منطقة الشرق الأوسط».

(٢) المجلة العربية ـ عدد يونيو ١٩٨٧ (بتصرف).

ناقشتُ مع الذين أعمل معهم بعض القضايا التى يُثار الجدل حولها. . . وبهذه الطريقة توصلت إلى طبيعة وحقيقة الإسلام، ليس على أنه نظام يجب دراسته ـ وهى الطريقة التى يتبعها معظم الغربيين فى معرفة الإسلام، ولكن كعقيدة فعالة، ومنهج وطريق للحياة، وكنت فى بداية الأمر مهتماً بهذه الأمور. . . أمَّا الآن فإننى أُكِنُّ كل احترام وتقدير للإسلام وأتعاطف معه.

وعن تأثير الإسلام على حياته يقول:

«إننى أعتقد أن تجربتى المشتركة مع المسلمين قد جعلتنى أكثر تسامحاً من قبل. . . كما أن تلك التجربة قد جعلتنى مدركاً لبعض الأمور التى تحيط بى أكثر من الماضى.

بالإضافة إلى هذا، أصبحتُ متفهماً لوضع المرأة فى الإسلام، على عكس ما يعتقد الغربيون ـ بصورة خاطئة ـ أن المسلمين يعتبرون النساء كائنات دنيا ووضيعة، فى حين أن الحقيقة أن النساء فى ظل الإسلام يتمتعن بتلك الحقوق والامتيازات التى يجب أن يتمتعن بها، يكفى أن هناك سُوَراً عديدة فى القرآن الكريم تثبت وجهة نظرى هذه.

وأخيراً ـ فإن أهم درس تعلمته من الإسلام هو عدم الجدوى من التذمر من أمور هى فوق طاقتنا لتغييرها أو تبديلها، فالإنسان ليس قادراً على كل شئ، مع أنه يتمتع بصفات خارقة تميزه عن بقية المخلوقات، ولكن عليه إدراك ضرورة الإذعان إلى قوة خارج طاقته، وأن التذمر من ذلك يؤدى إلى الفشل والإخفاق والحزن، فى حين أن الإنسان الذى يدرك مكانه الحقيقى فى هذا الكون يكون هادئاً مطمئناً يشعر بالراحة مع نفسه وعالمه المحيط به».

ثم عاد يكرر: إنَّ فَهْمَ الإسلام لا يكون إلا بمعايشته. ويأخذ على الأوربيين أنهم لا يُعايشونه، لذلك فعندما يصلون إلى مرحلة التقييم الفكرى للإسلام فإنهم يصلون إلى ذلك بواسطة طريقة أكاديمية، ولذلك فإن العديد

من علماء الغرب الذين يعتنقون الإسلام يعتبرهم الإسلام زملاؤهم بأنهم شواذ، وذلك لأن الأوربى العادى يعتبر الإسلام دينا دخيلاً وغريباً أكثر من اعتباره عقيدة حيوية.

ويرى «مونرو» أنه عندما يتم استيعاب وفهم مبادئ الإسلام النبيلة يكون التعاطف معه وانتشاره[1].

* * *

(١) المرجع السابق (بتصرف).

مع أستاذ علم النفس المسلم
فيلي بوتولو (أبو الحسن بوتولو)

هو أستاذ علم النفس بجامعة «ميونخ» بألمانيا الغربية... درس القرآن، وتعمق فى دراسة التصوف الإسلامى بحكم تخصصه كباحث فى الظواهر المختلفة فى الأديان.. جذبه الإسلام الذى شعر تجاهه براحة نفسية، ويعبر عن ذلك بقوله:

«إننى وجدتُ فى الإسلام راحة نفسية، لم تفتقدها ألمانيا الغربية فحسب، وإنما تفتقدها أوربا كلها».

ثم يسرد قصة إسلامه فيقول:

«إن شعورى بالانجذاب للإسلام كان منذ فترة طويلة.. ولكن أراد الله تعالى أن يكون عملى كأستاذ لعلم النفس بجامعة «ميونخ» مدخلاً لاعتناقى دين الإسلام... فمن خلال عملى بدأت مرحلة البحث والدراسة حول الأديان كافة لمختلف دول العالم، والظواهر الغريبة فى كل الأديان.

وعند دراسة الإسلام شد انتباهى ما وجدته فى القرآن أولا، وفى التصوف ثانياً، من شرح لأصول العقيدة ومناهج الإسلام، فعكفتُ على دراسة التصوف فترة غير قصيرة، حتى انتهيت إلى حقيقة مهمة وهى أن الإسلام يهتم بعلاج الإنسان ظاهراً وباطناً.. فهو دين يدعو إلى نظافة الظاهر وطهارة الباطن، ويربى فى الإنسان حب الأخوة والترابط والتآلف، بعكس ما نجده

فى المجتمعات الغربية، حيث يعيش كل إنسان فى عالمه الخاص، لا تربطه بالمجتمع روابط روحية أو علاقات دينية، كما يحدث عند المسلمين.

وعرفت من خلال دراستى للتصوف أن المتصوفة يجتمعون لذكر الله، ويلتقون على حُبِّه، ويسيرون فى طريق النقاء الروحى والوجدانى، ويتلون أوراداً معينة بعد كل صلاة، مما يجعلهم مشدودين دائماً إلي تعاليم السماء.

ثم يصمت برهة ليتأمل ما حوله ليقول بعدها:

«من الصعب أن تجد فى أوربا مجتمعاً يتسم بهذه الصفات، ولهذا وجدتُ نفسى مدفوعاً إلى اعتناق الإسلام... ولكننى رأيت من الضرورى - والضرورى جداً - أن أظل مسلماً فى السر لمدة عامٍ كامل، لأنك إن أَرَدْتَ أن تدخل الإسلام فى بلد كل وسائل الإعلام فيه موجهة ضد هذا الدين الحنيف، لكان ذلك صعباً جداً... ولكن بعد أن رسخت العقيدة فى نفسى أعلنت إسلامى بصراحة، ولم أَخْش الذين يُحاربون الإسلام.

ثم اختتم قوله بحماس - وهو يشير بأصبعه إلى بعيد:

«إننى أؤكد أنه بدون القرآن، وبدون التصوف(1) الذى يُعَدُّ فرعاً من علم النفس الذى أدرسه فى الجامعة لم يكن بمستطاعى أن أُغَيِّرَ دينى.... ولذا فلقد غيرت دينى عن ثقة واقتناع تام..»

ثم ابتسم ابتسامة عريضة وهو يقول:

«لقد تغيرت حياتى اليومية بعد الإسلام تماماً، وانتظمت انتظاماً عجيباً، فقد كانت فى الماضى بلا هدف، أما الآن فقد أصبح لها معنىً، ولها هدف ولها حلاوة... لقد أصبحتُ أخاف الله فى كل تصرفاتى، وأعرف أن لى رباً سوف يحاسبنى فيما أفعله فى أى وقت».

* * *

(1) يلاحظ أن اختياره لاسم «أبى الحسن» بالذات لأنه أَحَبَّ القطب الصوفى الكبير أبا الحسن الشاذلى، كما أوضح فى ثنايا حديثه.

مع الإيطالى الدكتور «أندريه رومانى» الذى أسلم وسط أجواء التعصب الكاثوليكى

فى مدينة «روما» معقل «الفاتيكان» ولد «أندريه رومانى» لأبوين كاثوليكيين شديدى التعصب لمذهبهم، فقد كانت أسرته تجبره فى طفولته وصباه على القيام بالواجبات والطقوس الكاثوليكية، والتردد على الكنيسة كل يوم أحد، والركوع على ركبتيه أمام تلك التماثيل الوثنية التى لم يؤمن بها قط، وأمام القسس ليمنحوه «بركاتهم».

يحكى الدكتور «رومانى» كيف اعتنق الإسلام فيقول[1]:

«كنت أشعر دائماً بنفور شديد وكراهية لبعض الطقوس القائمة أساساً على الاعتقاد فى الصور والتماثيل التى تركت فى نفسى فراغاً روحياً حاداً، وعدم رضاء متواصلاً دائما غير أننى لم يكن بإمكانى أن أجهر أو أبوح لأحد بما يعتملُ فى صدرى، إذ كنت لا أزال طالباً أعتمد على أهلى لإكمال تعليمى، إضافة إلى ذلك كنت أعلم أن القسس والرهبان ومتعصبى الكاثوليك لن يتركونى وشأنى لو تجرأت على مجرد التفوه بما يجول فى عقلى من رفض للنصرانية.

وانكببت على دراساتى فى محاولة للهروب من الفراغ الروحى الذى أعيشه، واستطعت أن أحصل على درجة الدكتوراه فى الطب وأخرى فى علم النفس.. بعدها بدأت أسعى إلى القراءة الواعية للكتب التى تتناول

(١) من مقال له تحت عنوان «كيف دخلت إلى الإسلام» نشرته مجلة الأزهر فى القاهرة فى نوفمبر ١٩٦١ (بتصرف).

عقيدة التثليث فى محاولة منى لاستجلاء الحقيقة، وفى مقدمتها ما كتبه «توما الإكوينى» عن عقيدة «التثليث» على المذهب الكاثوليكى. . وهالنى أن أجد تلك الكتابات تدفعنى دفعاً بما حفلت من متناقضات إلى الإيمان بوحدانية الله، ونبذ عقيدة «التثليث» التى لا تتفق مع العقل والمنطق السليم. . ومن ثم أخذت أخطو بخطواتى الأولى نحو الإسلام الذى أقر الوحدانية، فَنَزَّهَ خالق الكون عن الشريك، وقد يسر لى ذلك اطلاعاتى على ما كتبه «سوشينوداسينيا» و «سيرفيتو» و «وبيتشى ديلا ميراندولا» وغيرهم من المفكرين الاوربيين الذين أنكروا فكرة تثليث الإله، وهاجموا مذهب الصور والتماثيل الذى يعلى الوثنية تحت راية النصرانية».

ثم طافت بذاكرة «أندريه رومانى» تلك الدروس التى كان يتابعها فى الجامعة للمفكر «الدوبراندينو» أستاذ الشريعة والتاريخ الإسلامى، والتى من خلالها تَعَرَّف على عناصر كثيرة من مقومات شريعة الإسلام.

وبدأ يستزيد من مطالعاته عن الإسلام، فرأى فيه بساطة غير متناهية ووضوحَ عقيدة بعيداً عن أى غموض، حتى وصل إلى قناعة تامة بالإسلام، ومن ثَمَّ بادر إلى إشهار إسلامه.

ويصف «د. أندريه رومانى» رحلته من الضلال إلى الهدى بقوله»[1]:

«لقد كان طريقاً طويلاً ذلك الذى أدى بى إلى الإسلام، وأستطيع أن أؤكد أن لتحولى جذوراً دينية عميقة وأسباباً ثابتة».

ثم يضيف فاضحاً تعصب النصارى:

«فى أوربا يتحدث الناس عمَّا يسمى بالتعصب الإسلامى، وينسون أن يقولوا أن النصارى قد استطاعوا الحياة بين المسلمين، فى حين لم يقدر المسلمون قط على أن ينالوا حظّاً من ذلك، ولنفكر فقط فيما حدث للمسلمين فى أسبانيا وصقلية لنصمت عمَّا بقى كله».

(١) مجلة الفيصل ـ عدد أبريل ١٩٩٣ (بتصرف).

لقد كان إسلام «د. أندريه روماني» ـ كما عبر بنفسه ـ نقلة أسبغت على وجوده صفاءً ووضوحاً، ولا سيما أن الصلاة في الإسلام تُرضى روحه تماماً وتسكنها بجعلها على اتصال مباشر بالله. . وأن في صلاة الجماعة بالمسجد راحة له وطمأنينة تشعره بتضامن الأخوة الإسلامية.

ويذكر أيضاً أنه قد استطاع أن يتعلم اللغة العربية كى يتمكن من قراءة القرآن الكريم بلسانه العربى الذى نزل به الوحى على محمد ﷺ، وأنه حريص على أن يضع كتابَ الله على منضدة صغيرة بالقرب من فراشه ليكون دائماً فى متناول يده.

إن قصة إسلام «أندريه روماني» تعيد إلى الأذهان ما تعرض له المسلمون الأوائل من تعذيب واضطهاد، مما اضطرهم إلى الهجرة حتى أعَزَّ الله دينه ونَصَرَ نبيه،حيث أنه قد اضطر «روماني» أن يترك بلدته التى لاحقته بالأذى والاضطهاد ويعيش فى «الصومال» ويتزوج ويستقر فى ربوعها.

* * *

مع البروفيسور الأسبانى «ميجيل بيرو»
الذى اعتنق الإسلام عن حب واقتناع

قرأ «ميجيل بيرو» عن الإسلام الذى وضع ضوابط للسلوك ومعايير أخلاقية فى المعاملات، فى الوقت الذى كره الحرية المنفلتة فى أوربا، والانحلال، وعدم الترابط الأسرى، وكثرة الجرائم والانحرافات التى سادت المجتمعات الغربية.

ثم حدث أن التقى بمجموعة من الأسبانيين المسلمين، وعن طريقهم أُتيح له إمكانية قراءة ترجمة معانى القرآن بالأسبانية، فاستشعر بميل قوى ودبيب حُبٍّ تجاه هذا الدين، فواصل قراءاته المكثفة عنه حتى اقتنع تماماً بتعاليمه ومنهاجه، بعدها قرر أن يشهر إسلامه، ويختار لنفسه اسم «نصر الدين».

يقول فى مجمل حديثه عن إسلامه:

«لقد التقيت بمجموعة من الأسبانيين المسلمين، وعن طريقهم أُتيحت لى إمكانية قراءة ترجمة معانى القرآن، كما قرأت عن التراث العربى القديم فأُعجبت به، بعدها قررت أن يكون الإسلام دينى.

وقد قام أحد أصدقائى بترجمة كتاب «المحظورات» للشيخ «ياسين رشدى» واستفدت فيه كثيراً، وسمعت صوت الشيخ «عبد الباسط عبد الصمد» فى قراءة القرآن وأحببته كثيراً».

ويضيف:

«وبالرغم من القليل الذى عرفته عن الإسلام فإننى أتمنى من كل قلبى أن يهتدى إليه الناسُ أجمعون، وسأعمل على الدعوة إلى الإسلام، وسوف ابتدئ بعائلتى والمقربين إلىَّ إن شاء الله.

ثم يستطرد قائلا:

«إننى أحافظ على أداء الفروض فى مواقيتها، وعلى صلاة الجمعة التى أشعر براحة نفسية كبيرة عند أدائها... وأننى أعرف أهمية خطيب المسجد، والدور الكبير الذى يقوم به تجاه المسلمين، مثل مساعدتهم على فهم القرآن الكريم، وشرح الأحاديث النبوية، بجانب إرشادهم وتجميعهم على طريق الخير والصلاح».

وعن تصوراته المستقبلية كمسلم يسعى للمزيد من العلم بدينه قال:

«إننى حريص على تعلم اللغة العربية وإتقانها حتى يتسنى لى قراءة القرآن بلغته الأصلية، وبالتالى محاولة فهم معانيه، لأن ترجمته إلى اللغات المختلفة تؤدى إلى تضارب المعنى وعدم الوضوح».

ثم صمت فجأة ليسترجع شيئاً دفينا فى نفسه ليقول بعدها:

«إننى أنبه إلى أن الكتب التى تُرجمت إلى الأسبانية عن الإسلام ليست دقيقة فى مضمونها، خصوصاً بعد ما ترجم أحد الأسبان - وهو مسيحى يدعى «چان فونت» - معانى القرآن إلى الأسبانية بطريقة بعيدة كل البعد عن النص القرآنى أو معناه.. مما جعل الذين اطلعوا على هذه الترجمة من الأسبان يقولون: إن الإسلام دين غريب، ومما يدعو للأسف والأسى ما جاء فى تلك الترجمة الأسبانية على يد ذلك المترجم، وعلى الأخص سورة «الناس» التى ترجمها إلى سورة «الرجال» وأخَلَّ بمعناها وبمضمونها».

وعن المسلمين فى أسبانيا يقول الدكتور «نصر الدين» الذى يعمل أستاذاً بجامعة القاهرة.

«بالرغم من أن المسيحية هى الديانة المنتشرة فى أسبانيا، فإن حرية الأديان متاحة للجميع، ولكن الإسلام - كما فى كثير من الدول الأوربية - يظل محدود الانتشار، مما يتطلب تنشيط حركة الدعوة الإسلامية ودعم أنشطتها، ووضع كافة الإمكانيات فى سبيلها»[1].

* * *

(١) المجلة العربية فى عددها الصادر فى سبتمبر ١٩٩٢ (بتصرف).

مع أستاذ الصحافة المسلم
«مارك شليفر»

هو أستاذ علم الصحافة بجامعة «نيويورك»... لم يكن ملتزماً بدين معين، مع أنه ينتمى إلى أسرة مسيحية كاثوليكية.... كان يعمل بالمغرب مراسلاً للإذاعة الأمريكية، ولعدد من المجلات فى «نيويورك».... وعن إقامته بالمغرب يقول:

«.. كانت فترة إقامتى بالمغرب مفتاح السعادة لى ولأسرتى، فقد رأيتُ عالماً جديداً يختلف كلية عن العالم الذى تركته خلفى فى الولايات المتحدة الأمريكية، وما لمسته عن كثب من جمال وروعة السلوك الإسلامى شدنى إلى شريعة الحق...»

ويستطرد فى حديثه ليذكر موقفاً قد تعرض له فيقول:

«تعثرت قدمى فى حفرة ذات يوم حينما خرجت لأول مرة إلى سُوق شعبىٍّ بمدينة الرباط. وعلى الفور وجدتُ عدداً من المغاربة يسارعون إلىَّ لمساعدتى على النهوض، ويسألوننى فى لهفة عمَّا إذا كنت قد أُصبت بسوء!!».

ثم أردف هذا الموقف بما حدث له أثناء فترة مرضه قائلاً:

«ومرضتُ ذات مرة فوجدت عشرات من جيرانى ومعارفى يأتون لزيارتى، ويحاول كل منهم أن يصنع لى شيئاً، فدهشت لهذا السلوك الإنسانى الذى

لم أجد له نظيراً فى بلدى أمريكا، حيث الكل لا يهتم إلا بنفسه، وطابع الحياة المادية البحتة هناك يصبغهم جيمعاً بالأنانية، ولهذا لا يكترثون بما يصب الآخرين، فالمرء عندنا يكون محظوظاً إذا ساعده أحدٌ أو زاره أهله فى أثناء مرضه، أو حتى سألوا عنه. . . .ولذا فإننى حين سألتهم عن الدافع الذى يحملهم على صنع كل هذا من أجلى بدون مقابل؟!. . . أجابوا جيمعا: إن هذا هو ما يفرضه عليهم دينهم الإسلامى، ويأمرهم به رسولهم العظيم محمد ﷺ».

ثم يستطرد قائلاً:

«إنه بعد مناقشات طويلة واسعة مع عشرات من علماء الإسلام تعلمت خلالها الكثير من أمور الإسلام، فازداد إعجابى به أكثر، ومع مرور الوقت وجدت عقيدة التوحيد تملأ عقلى وقلبى. . . ومن ثم انكببت أدرس ترجمة لمعانى القرآن الكريم، وأستوعب ما بها حتى وجدت نفسى تتوجه إلى الله أن يهدينى إلى الطريق المستقيم».

ويمتد نظره إلى بعيد سارحاً فى أعماق نفسه وكأنه يسير أغوارها ليقول وهو يهز رأسه:

«. . وبينما أقلب صفحات القرآن الكريم[1] إذا بى أطالع تفسير الآيتين الكريمتين:

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[2].

(١) يقصد به ترجمة معانى القرآن الكريم

(٢) سورة الأنعام ـ الآيتان ١٠٣، ١٠٤.

عندئذٍ لم أتمالك نفسى، ووجدت الدموع تنهمر من عينى، ومن ثم أيقنت أن هذه إشارة صريحة من الله عز وجل ترشدنى إلى الإسراع فى اعتناق الدين الإسلامى الحنيف، واللحاق بركب الموحدين، وعلى الفور حزمت حقائبى، وسافرت إلى أمريكا حيث أشهرتُ إسلامى أنا وزوجتى وولدى بالمسجد الكبير فى «نيويورك»(١).

* * *

(١) مجلة الضياء (دبى) عدد ديسمبر ١٩٨٧ (بتصرف).

مع العالم الاجتماعى الإنجليزى المسلم
«حسين روف»

كان «حسين روف» واحداً من الاجتماعيين الإنجليز، الذين درسوا الأديان والمذاهب الاجتماعية المختلفة، دراسة متأنية متعمقة[1] فبهرته عظمة الإسلام، وسمو أهدافه ومبادئه، وقدرته الخارقة على مواجهة المتاعب والمشكلات التى يعانيها الأفراد والمجتمعات، وملاءمته العجيبة لمختلف البيئات والحضارات على تباينها واختلافها.

وكان طبيعيّاً أن يبادر إلى اعتناق هذا الدين الحنيف، والدعوة ـ بكل طاقته ـ إليه، وتبصير مواطنيه بمبادئه وأهدافه، وتفنيد ما يوجهه إليه أعداؤه ـ كذباً وبهتاناً ـ من تُهَم باطلة.

وقد بدأ «روف» بدراسة عقيدتى أبويه.... وكان أحدهما مسيحيّاً والآخر يهوديّاً.... ثم انتقل إلى دراسة العقيدة الهندوسية، وفلسفتها، وخاصة تعاليمها الحديثة عند «يوبانيشادو فيدانتا».... ثم درس العقيدة البوذية، مع

(١) يلاحظ المتتبع لحركة انتشار العقيدة الإسلامية، فى الدول الأوربية والأمريكية، أن نسبة كبيرة من الذين استجابوا لدعوتها فى هذه الدول، من علماء الاجتماع، والعاملين فى مجالات الإصلاح الاجتماعى وذلك لما تتطلبه الدراسات التى يتناولها أولئك العلماء والمصلحون الاجتماعيون من تعرض دائم للعقائد والمذاهب الاجتماعية، وخاصة من حيث تأثيرها فى المجتمعات، وقدرتها على معالجة المشكلات التى تعرض للأفراد والجماعات، والإسهام فى تخفيف حدتها، والارتقاء بالقيم والسلوكيات الاجتماعية.
وفى معرض هذه الدراسات التى تستخدم فيها طريقة التحليل، وأسلوب الموازنة والمقارنة تتجلى أهداف الإسلام السامية، وفضائله الكبرى فتجتذب النفوس العاقلة، وتتفتح لها القلوب الواعية.

مقارنتها ببعض المذاهب اليونانية القديمة. كما درس بعض النظريات والمذاهب الاجتماعية الحديثة، وخاصة أفكار الفيلسوف الروسى «ليوتولستوى».

ومن العجيب حقّاً أن اهتمامه بدراسة الإسلام جاءت متأخرة، بالنسبة للأديان والعقائد الأخرى، برغم إقامته فى بعض البلاد العربية. . . . وكان أول تعرّف له عليه خلال قراءاته لترجمة للقرآن الكريم وضعها «رودويل» إلا أنه لم يتأثر بها، لأنها لم تكن ترجمة أمينة صادقة، وكان شأنها فى ذلك شأن كثير من الترجمات المماثلة التى يشوبها الجهل أو الأغراض الخبيثة، والتى صدرت بعدة لغات أجنبية.

غير أنه ـ لحسن حظه ـ التقى بأحد الدعاة المثقفين إلى الاسلام، الذين يتقدون حماساً له، وإخلاصا فى تبليغه للناس، فقام بتعريفه لبعض حقائق الإسلام، وأرشده إلى إحدى النسخ المترجمة لمعانى القرآن الكريم، ترجمها أحد العلماء المسلمين، وأضاف إليها تفسيراً واضحاً مقنعاً بُنِىَ على المنطق والعقل، فضلاً عن توضيح المعانى الحقيقية التى تعجز عن إبرازها اللغة الإنجليزية. . . . كما أرشده إلى بعض الكتب الإسلامية الأخرى التى تتسم بالصدق والبرهان الساطع. . فأتاح له كل ذلك أن يُكوّن فكرة مبدئية عن حقيقة الإسلام قد أثارت رغبته فى الاستزادة من المعرفة به وبمبادئه وأهدافه عن طريق المصادر العلمية غير المغرضة.

وقد أكدت صلاته ببعض الجماعات الإسلامية، ودراسة لأحوالهم عن كثب، ومدى تأثير الإسلام فى سلوكهم وروابطهم، فكرته المبدئية عن عظمة الإسلام، فآمن به كل الإيمان. . .

وتعالوا معنا نستمتع بما قاله فى وصفه لتلك التجربة التى شجعته على اعتناق هذا الدين الحنيف:

«ذات يوم من عام ١٩٤٥ دُعيت لمشاهدة صلاة العيد، وتناول الطعام بعد الصلاة، فكان فى ذلك مناسبة طيبة لأرى عن كثب ذلك الحشد العالمى من

مختلف بلاد العالم، ومختلف الطبقات الاجتماعية، ومن مختلف الألوان. . . . هناك قابلت أميراً تركيّاً وإلى جواره كثير من المعدمين، جلسوا جميعاً لتناول الطعام معاً، لا تلمح فى وجوه الأغنياء امتعاضاً أو تظاهراً كاذباً بالمساواة، كذلك الذى يبدو على الرجل الأبيض فى حديثه إلى جاره الأسود، ولا ترى بينهم من يعتزل الجماعة أو ينتحى فيها ركناً قَصِياً، كما لا تلمح بينهم ذلك الشعور الطبقى السخيف الذى يمكن أن يتخفى وراء أستار مزيفة من المساواة».

ثم استطرد يقول:

«ليس هناك مجال لشرح كل أمور الحياة التى وجدت فى شرائع الإسلام من حلول، لم أجده فى غيره، ويكفى أن أقول إننى ـ بعد تفكير وتدبر ـ رأيتنى أهتدى إلى الإيمان بهذا الدين، بعد دراستى لجميع الأديان الأخرى المعروفة فى العالم، بدون أن أقتنع بأى واحد منها».

ثم مضى فى بيان سبب إسلامه، فقال:

«قد بينتُ فيما ذكرت، لماذا أصبحت مسلماً، ولكن ذلك لا يكفى مطلقاً لبيان دواعى فخرى واعتزازى بذلك، فإن هذا الشعور نما وازداد مع مرور الزمن وازدياد تجاربى. . . . فقد درست الحضارة الإسلامية فى جامعة إنجليزية، وأدركت لأول مرة أنها ـ وبكل تأكيد ـ هي التي أخرجت أوربا من العصور المظلمة واستقرأت التاريخ، فرأيت أن كثيراً من الإمبراطوريات العظيمة كانت إسلامية، وأن كثيراً من العلوم الحديثة، يعود الفضل فيها إلى الإسلام. . . .

ولما جاء بعض الناس ليقول لى: إنى باعتناقى للإسلام أكون قد سلكتُ طريق التخلف، ابتسمت سخرية لجهلهم، وخلطهم بين المقدمات والنتائج».

ثم تساءل قائلا:

«هل يجوز للعالم أن يحكم على الإسلام بمقتضى ما أصابه من انحلال لظروف خارجة عنه؟... وهل يجوز الحط من قيمة الفن العظيم الذى صاحب عصر النهضة الأوربية، بسبب اللوحات الممسوخة فى أرجاء المعمورة فى أيامنا هذه؟... حسبنا أن نعلم أن أعظم العقول وأكثرها تقدماً فى جميع العصور كانت كلها تنظر بكل تقدير إلى الثقافة الإسلامية، التى لا تزال أكثر لآلئها مكنوزة لم يتوصل الغرب بعد إليها».

ثم أشاد بأخلاق المسلمين الحقيقيين وكرمهم، وقدرة الإسلام على علاج مشكلة التفاوت الاجتماعى بقوله:

«لقد سافرت إلى أقطار كثيرة فى أنحاء المعمورة، وأُتيحت لى الفرصة لأرى كيف يستقبل الغريب فى كل مكان، وأن أعرف كيف يكون إكرامه أول ما يخطر على البال.. وكيف يكوَن التصرف معه؟.. وعن الفائدة التى قد تأتى من مساعدته، فلم أجد من غير المسلمين من يدانيهم فى إكرام الغريب والعطف عليه من غير مقابل...

ومن الناحية الاقتصادية، وجدت أن الجماعات الإسلامية وحدها هى التى أزالت الفاصل بين الأغنياء والفقراء بطريقة لا تدفع الفقراء إلى السخط والبغض على الأغنياء، وقلب كيان المجتمع، وخلق الفوضى».

* * *

«مع الأستاذ الجامعى محمد ميشال غريب»

هو أستاذ جامعى معروف فى الأوساط الأكاديمية، داخل لبنان وخارجه. . . ومن أبناء مدينة «الدامور» المارونية المعروف عنها شدة تعصبها للمسيحية، وبرغم ذلك فكثير من أفراد عائلته اعتنقت الإسلام، حيث يقول عنهم:

«كثيرون من عائلتى اعتنقوا الإسلام قبلى، ولكن على فترات متقطعة، فضلاً عن أن أحد أقاربى تزوج فتاة مسلمة، ثم ما لبث أن تخلى عن المسيحية واعتنق الإسلام، وكانت له ذرية مسلمة من صلبه. . .».

ثم يضيف قائلاً:

«لو أُتيحت لى الفرصة اليوم لإقناع أقربائى بالإسلام لفعلتُ دون أدنى تردد، وهذا بنظرى أضعف الإيمان».

ونعود إلى البداية عند تبلور فكرة اعتناقه للإسلام، بعد أن تكونت فى نفسه القناعة التامة به كعقيدة يدين بها فيعبر عن ذلك بقوله:

«كنت مارونيّاً، ومكان إقامتى منطقة «الدامور» المتعصبة لهذا المذهب. . . وفى فترة ما شعرت فجأة برغبة ملحة فى تلمس الحقيقة، وفى نفس الوقت بانجذاب مزودج إلى الفكر الإسلامى وحضارة الإسلام وثقافته. . . وكانت

هذه الفترة يوم أن ارتكب الموارنة الفظائع بحق الفلسطينيين والعرب المسلمين.

وهذه الحقيقة سارعت فى نضج فكرة الاهتداء إلى الإسلام لدىَّ.

وعندما توفرت القناعة التامة أشهرتُ إسلامى وكان ذلك فى فبراير عام ١٩٨٥ . . . ومنذ ذلك اليوم أعيش حياة جديدة بكل معنى الكلمة، فأنا الآن ـ والحق يقال ـ منسجم تماماً مع نفسى وقناعتى بإسلامى، والحمد لله الذى أذهب عنى الحيرة والتردد».

ثم يصمت برهة ليعود مندفعاً فى الكلام، وكأنه يتخلص من جمود لحظة الصمت، فيقول:

«على العموم، أننى تربيت فى بيت احترم الإسلام، فضلاً عن ذلك فأنا شخصيّاً قد شدنى وسحرنى القرآن الكريم منذ الصغر، وقد درسته بنفسى لضيق ذات اليد بالنسبة لوالدى. . . بل أننى أدين بثقافتى اللغوية إلى القرآن، ذلك الكتاب العزيز الذى بهرتنى آياته البينات وحكمته الجليلة، وذلك كله قبل أن تراودنى فكرة اعتناق الإسلام والعمل بشريعته السمحاء».

لقد كان يعتبر الدكتور ميشال غريب من أشد المؤيدين للعلمانية فى أعقاب تأسيسه لمنظمة المسيحيين الديمقراطيين التى تكونت من لفيف من المفكرين المسيحيين، وذلك فى محاولة لتلمس الطريق إلى الحقيقة الإيمانية التى تنبع من عقيدة الحق. . . فهل وصل إليها مع رفاقه المفكرين؟

يجيب الدكتور ميشال قائلاً:

«نعم. . أخيراً بعد أن اجتزت هذه المراحل بقناعة تامة رأيتنى فى حضن الإسلام عن قناعة تامة، ولذلك أقول: ليس لَدَىَّ ما أكسبه سوى رحمة الله سبحانه وتعالى. . . إننى والحمد لله الذى ألهمنى وأعطانى هذا السلام الداخلى لا أطلب من هذه الدنيا جاهاً ولا مالاً، بل التقرب من رضوانه عز وجل عسى أن نكون من المسلمين».

إن ما يثيره الدكتور ميشال غريب من قول يعنى أنه لم يجد فى المسيحية ما وجده فى الإسلام بعد أن استشعر بأن تحولاً فكرياً هائلاً قد أصابه من جراء ذلك. . . فيوضح ذلك بقوله:

«لقد وجدتُ فارقاً عظيماً فباعتناقى الإسلام زدت إيماناً بالواحد الأحد. . وبت أكثر انسجاماً مع نفسى وتيقنت بالفعل أن الدين عند الله الإسلام.

لقد شعرت أن تحولاً فكرياً هائلا قد أدركنى، لدرجة أننى أحرص على متابعة برامج التفقه فى الدين الذى وضعته لنفسى. . والحمد لله أنى أمارس واجباتى كمسلم فى البيت وخارجه».

وعن أمنياته كمسلم. . يقول على الفور:

«. . . أن تقوم الدول الإسلامية بحملات إعلامية منظمة لشرح معانى الإسلام وعظمته الخالدة فى حل المشكلات التى تعترضنا الآن».

* * *

الفصل الرابع



قساوسة ومنصرون اعتنقوا الإسلام

* مع الأسقف الأمريكي.... «في لحظة اعتناقي للإسلام شعرت أنني أدخل عالماً نورانياً يسمو بالروح والنفس، وأحسست في الوقت ذاته أنني ألقيت عن كاهلي عبئاً ثقيلاً من الهموم والقلق والشكوك والشقاء...»

* مع الأسقف الأثيوبي.... والرؤيا المنامية التي تكررت ثلاث ليال متتالية وقادته إلي الإيمان!

* مع رئيس الأساقفة التنزانى الذى أقنع خمسة آلاف شخص بالدخول فى الإسلام!

* مع رئيس بعثة التنصير الألمانى الذى رفض الاستجابة لتعليمات رئاسته.. وسر البرقية التي بعثها.

* ..... وآخــــرون.

مع الأسقف الأمريكى الذى اعتنق الإسلام

جاء إلى مصر بعد أن استقال من منصبه كأسقف فى إحدى الولايات الأمريكية ليدرس الإسلام على يد شيوخ الأزهر وعلمائه.

كان يشعر بالشك فى عقيدته بعد أن درس الفلسفة واللاهوت.. وبعد أن كان يقوم بتدريس المواد الدينية فى إحدى المدارس الثانوية الكاثوليكية.. فقد كان مشغوفاً بالبحث والدراسة حتى يستطيع أن يقوم بعمله خير قيام.. ولكن دراساته وبحوثه لم تزده إلا شكّاً فى عقيدته وطبيعة عمله.

وقبل أن يسرد فى حكايته قصة اتجاهه للإسلام واعتناقه يتناول بالحديث طبيعة نشأته ومراحل دراسته وتطورها التى أوصلته للعمل كأسقف بولاية «نيو جيرسى».... فيقول:

«أنا شاب إيرلندى الأصل، نشأت فى بيئة كاثوليكية متمسكة بعقيدتها... وكل الأباء هناك يتمنون أن يكون من أبنائهم قسيس يخدم الدين المسيحى، لأن هذا شرف كبير للعائلة، لذلك درست فى مدرسة ثانوية دينية، ثم التحقت بكلية خاصة بالقسس بجامعة «سانت باتريك» لدراسة الفلسفة واللاهوت لمدة ست سنوات.. وخلال فترة دراستى لم أسمع كلمة واحدة عن الإسلام.

وبعد تخرجى بشهرين فقط عام ١٩٧١ ذهبت إلى أمريكا للتبشير، حيث تُخرج الكلية مائتى قسيس كل عام... ويأتى الأساقفة الأمريكيون فيأخذون

أغلبهم إلى أمريكا للعمل بالتبشير فى مناطق مختلفة... وعملت أسقفاً بولاية «نيو جيرسى».. وأصبحت مسئولاً عن إعداد برامج التوجيه الدينى لكل المستويات وتدريب القائمين بهذا العمل، وإلى جانب ذلك عملت مدرساً للمواد الدينية بالمدرسة الثانوية الكاثوليكية... وكنت مشغوفاً بالبحث والدراسة حتى أستطيع أن أؤدى واجبى تجاه إرشاد الناس.

.... وكنت كلما تعمقت فى البحث والدراسة انتابنى شعور غريب بالشك فى عقيدتى... ولم أستطع أن أكتم شكوكى، فقررت مفاتحة رئيس الأساقفة وقلت له: لدى شك فى عملى، بل وفى إيمانى بالله حسب عقيدتنا. فنصحنى بالتريث والتفكير، وأعطانى مهلة لمدة عام ريثما أفكر فى الموضوع بهدوء»

ويتنهد ويزفر بزفرات حارة وهو يهز رأسه قائلاً:

«... وخلال هذا العام عكفتُ على البحث والدراسة، وتوجت بحثى بالحصول على درجتين للماجستير، إحداهما فى التربية الدينية، والأخرى فى اللاهوت والكتاب.. ولكن هذه الدراسات والبحوث لم تزدنى إلا شكّاً فى عقيدتى وعملى... وعدت إلى رئيس الأساقفة ومعى استقالتى من عملى فوافق...»

ثم يلتقط أنفاسه ليعود مستدركاً ما بدا له أنه قد فاته توضيحه فيقول:

«ولكن حتى هذه اللحظة لم أكن قد عرفت أى شئ عن الإسلام»

ويبدو أن هناك أسباباً وراء شكوكه فى عقيدته كانت وراء استقالته من عمله دون أن يكون واقعاً تحت تأثير أى عقيدة أخرى.. فيحدثنا عنها قائلاً:

«هناك أسباب كثيرة، فقد كان انتقالى من «إيرلندا» حيث المجتمع الريفى المتماسك، إلى «أمريكا» حيث المجتمع الصناعى المادى، وما يتميز به من أمور غريبة من ذلك مثلاً عدد المذاهب المسيحية الذى يربو على ثلثمائة

مذهب. . . كل واحد منها يزعم أنه على الحق دون غيره، مما جعلنى أشك فى صدق هؤلاء.

كما أن هناك أشياء أخرى لم أكن مقتنعاً بها، مثل السلطة البابوية المطلقة على الناس. . والتعسف، فى معالجة الأمور، مثلما حدث من جدال طويل قد ثار حول موقف البابا من تنظيم النسل. . فهم يرفضون التنـظيم مع أنه لا يوجد فى الأناجيل ما يمنع ذلك.

كما أننى لم أكن مقتنعاً بفكرة الرهبنة، حيث كثير من رجال الدين فى المسيحية ممنوعون من الزواج بأمر البابا. . . وهذا شئ ضد طبيعة الإنسان وفطرته.

هذه هى بعض الأسباب التى ضاعفت شكوكى، وجعلتنى أعيش فى حيرة. . . كيف أعظ الناس وأنا غير مقتنع بما أقول. . . . لذلك قررت الاستقالة دون أن أعرف شيئاً عن الإسلام».

وبعد أن استقال قرر أن يستأنف دراسته للحصول على الدكتوراه من جامعة «هارفارد»، وذلك بعد أن اشتغل فى الكنيسة تسع سنوات.

وفى فترة دراسته تلك كانت توافيه معلومات وبيانات عن الإسلام، فأراد أن يستزيد منها. . . فماذا يفعل؟. . . يجيب عن ذلك بقوله:

«أَرَدَت أن أعرف المزيد عن الإسلام، فدرست تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية. . كما حرصت على حضور بعض المحاضرات لعدد من علماء المسلمين الذين يحاضرون فى القرآن والحديث وأركان الإسلام، وكل ما يتصل به. وذلك من باب حب الاستطلاع.

ويصمت برهة ليسترجع ذكريات حبيسة فى نفسه فيقول:

«أذكر فى ذلك الوقت أننى قد سمعتُ عن مصر والأزهر ودروه الإسلامى الكبير. . . والغريب الذى أعجب منه كلما استرجعه أن بداية معرفتى بالأزهر

جاءت بعد رؤيتى لعرض تقدَّمه شيخان من الأزهر بزيهما الدينى المميز اعترافاً وتقديراً لدور الأزهر كأقدم جامعة فى العالم، وذلك فى أثناء الاحتفال بمرور ثلاثمائة عام على إنشاء جامعة «هارفارد»، حضره مندوبون عن جامعات العالم العريقة...

وهذه الصورة محفوظة فى سجل الجامعة هناك.... ولذلك قررت أن يكون موضوع رسالتى للدكتوراه عن علماء الدين الإسلامى.. أهميتهم ودورهم فى المجتمع المصرى من أيام الشيخ عبد المجيد سليم وحتى الآن».

وحتى ذلك الوقت لم يكن قد قرر اعتناق الإسلام، وإنما كان اهتمامه بالدراسة فقط، والتى كانت تستدعى منه مجيئه إلى مصر ليقوم بدراسة الإسلام من كليات الأزهر المتخصصة، مثل كلية أصول الدين، والتقائه بأساتذتها، وعلماء الإسلام، فضلاً عن قراءاته المستفيضة لعدد كبير من الكتب الإسلامية.

وعندما حضر إلى مصر وشاء قَدَرُ الله أن يكون ذلك فى شهر رمضان، استرعى انتباهه ظاهرة غريبة بالنسبة له كأجنبى.... عنها يقول:

«حين جئت إلى مصر فى شهر رمضان.. شاهدت المجتمع المصرى منتظماً فى أسلوب حياته القائم على أساس من الدين.. فالناس يذهبون إلى المسجد عند سماع الأذان، ويتطهرون بماء الوضوء، ثم يقفون فى صفوف منتظمة.. وعند الإفطار تخلو الشوارع من المارة».

عندئذ يضحك ساخراً من نفسه عندما فسر فى البداية خلو الشوارع من المارة بوجود تعليمات بحظر التجوال فى ذلك الوقت.. فيعبر عن ذلك بقوله:

«ظننت فى بداية الأمر أن هناك قانوناً يقضى بحظر التجوال بعد الغروب.. ولكننى عرفت السبب بعد ذلك».

ثم يعود ليستكمل روايته عن تلك الظاهرة التى استرعت انتباهه فى شهر رمضان فيقول:

«ورأيت أيضاً المسلمين يُصَلُّون العشاء والتراويح. . ويذهب بعضهم إلى أعمالهم ومتاجرهم حتى ساعة متأخرة، يقال عنها «السحور». . . ثم يصلون الفجر وينامون. . .»

ثم يندفع فى كلامه ليؤكد حكماً استخلصه من مشاهداته فى المجتمع المصرى كمجتمع مسلم فيقول:

«فالمجتمع إذن منظم على أساس من الدين. . . . يكفى أنه قد شد انتباهى أن الأمن والأمان سائدان - فى شوارع القاهرة - بشكل لم أرهما من قبل فى أى مكان. . فالناس يسيرون فى الشوارع ليلاً فى أمن واطمئنان بدون أن يتعرضوا للاعتداء عليهم بالقتل أو غيره. . . فى حين أنَّ عندنا فى نيويورك مثلاً يوجد كل يوم ثمانية قتلى فى الشوارع، مع أن الأمريكيين لا يسيرون فى الشوارع والطرقات ليلاً خوفاً على حياتهم ليس ذلك فى نيويورك وحدها، بل فى باقى الولايات الأمريكية. . فبرغم القوانين والعقوبات تنتشر الجرائم والانحرافات انتشاراً مخيفاً، ولكن الأمر يختلف فى المجتمع المسلم، كما هو الحال فى مصر، فإيمان الناس بدينهم يجعلهم يطبقون تعاليمه بدون خوف من عقوبة أو قانون، بل احتراماً لمبادئهم وعقيدتهم. وهذا هو الفرق بين المجتمع هنا والمجتمع فى الغرب حيث لا أمن ولا أمان».

وبرغم اقتناعه بالإسلام كمنهج حياة ينظم للبشر أسلوب معيشتهم وسلوكياتهم - كما رأى بعينه من انتظام الناس فى العبادة فى شهر رمضان. . . وبرغم قراءاته فى الكتب الإسلامية المترجمة، ولا سيما ترجمة معانى القرآن الكريم وغيرها من كتب، ككتاب «حياة محمد» للدكتور محمد حسين هيكل، الذى استخدم فيه الأسلوب العلمى الدقيق فى الرد على شبهات المستشرقين حول الرسول وزوجاته الطاهرات. . . . وبرغم مقابلاته مع شيوخ وعلماء الأزهر. . برغم ذلك كله لم يعلن إسلامه على الفور. . ليس عن عناد فكرٍ وغشاوة قلب. . وإنما لسبب آخر. . . . عن ذلك يقول موضحاً:

«إنه برغم اقتناعى الكامل بالإسلام كدين خاتم يجب أن يؤمن به الناس جيمعاً، فإننى ترددت أربعة أشهر قبل أن أعلن إسلامى، لأدرس القرار فى تأنٍ من جميع جوانبه. . لأنه من الصعب على الإنسان أن يغير دينه. . .

بعدها شرح الله صدرى للإسلام، فدخلت فى دين الله الحق. . وسميت نفسى «مصطفى مولانى» تيمناً باسم الرسول محمد ﷺ».

وفى نبرة سعادة خفية كشفتها عيناه وهى تلمع كوميض الضوء وهو يصرخ قائلاً:

«فى لحظة اعتناقى للإسلام شعرتُ أننى أدخل عالماً نورانيا يسمو بالروح والنفس. . وذلك حينما تسلمت شهادة إشهارى الإسلام. . . قد شعرت بأننى حصلت على أعلى شهادة فى الدنيا. . وأحسست فى الوقت ذاته أننى ألقيتُ عن كاهلى عبئاً ثقيلاً من الهموم والقلق والشكوك والشقاء. . . نعم شعرت بسعادة غامرة لم أشعر بها من قبل».

وعن الرسول محمد ﷺ الذى هاجمه عندما كان قسيساً قال:

«لقد اقتنعتُ تماماً بأن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين. . واقتنعت بسنته وتشريعاته التى اتخذها الغرب مدخلاً للطعن فى رسالته مثل تعدد الزوجات التى اقتنعت تماماً بحكمتها».

ثم أضاف قائلا:

«لقد قمت بعمل عُمرة، وزُرْتُ البيت الحرام، والروضة الشريفة، وفاضت عيناى بالدموع أمام قبر المصطفى ﷺ وقلت لنفسى حنيئذ: من أنا حتى أقف أمام قبر أعظم إنسان عرفته البشرية. . . وشكرت الله تعالى أن هدانى للإسلام».

إن قصة اعتناق الأسقف الأمريكى للإسلام تبين إلى أى مدى ينتشر دين

الله.. فى قلعة الكفر التى لا تعترف بالإسلام ولا برسوله وتناصبهما العداء... ولكن عندما تشاء إرادة الله فى هداية أحد من عباده فلا رادَّ لمشيئته[1].

* * *

(١) صحيفة اللواء الإسلامى الأسبوعية، فى عددها الصادر فى ٢٧/ ١٠/ ١٩٨٨ (بتصرف).

مع القس الأثيوبى «ملقاه» الذى أصبح داعية للإسلام

ولد «ملقاه» لأب يهودى وأم نصرانية - فى إحدى قرى أثيوبيا . . . . درس فى صباه المبكر التوراة والإنجيل، واختار أن يصير نصرانياً كأمه، ولم يكن اختياره نابعاً عن قناعة بالديانة النصرانية، ولكن للأفضلية التى يحظى بها أتباع هذه العقيدة فى بلاده، التى تُعَدُّ أحَدَ معاقل النصرانية فى إفريقيا.

ولم يجد «ملقاه» ذاته فى التوراة أو الإنجيل، إذ رأى فى الأولى مجموعة من الأقاصيص والأساطير التى عمد الكُهان والأحبار إلى حشوها بكل ما هو غريب، بعد أن حرفوا الكلم عن مواضعه، فلم يتقبل عقل «ملقاه» ما فى التوراة المحرفة من خرافات وأباطيل، فنبذها إلى دراسة الإنجيل الذى تؤمن به والدته، فوجد أن التناقض بين نصوص الأناجيل واضح، فضلا عن كونها لا تقدم تفسيراً للحياة والكون، ولا تحاول أن تنظم أية علاقة فى شئون الدنيا والآخرة، فأدرك أنها ليست الكتاب المنزل على عيسى عليه السلام. . . أما الإسلام فلم يحاول «ملقاه» أن يدرسه، ولم يَسْعَ إليه لحظة، فالدعاية الكنسية القوية والمؤثرة تصور الإسلام على أنه دين للمتخلفين، وتنسب العديد من الافتراءات والأكاذيب عليه وعلى المسلمين. . ومن ثم كبر «ملقاه» على بعض الإسلام، وبحث عن مهنة تليق بمستوى أسرته الاجتماعى، وتتيح له أن يحيا حياته فى بحبوحة ورغد عيش، فلم يجد أفضل من السلك الكنسى، حيث سيحظى بالاحترام، وبالمرتب الكبير، وبالسيارة. . وقد ساعده على الالتحاق بالعمل فى الكنيسة حفظه التوراة. وصار الشاب «ملقاه» قساً يُشار إليه بالبنان، وتقبل العامة يديه وينادونه «أبانا». . واستمر

عمله فى الكنيسة ست سنوات، اجتهد خلالها فى الدعوة إلى النصرانية دونما كللٍ أو مَلَل، ولا سيما أنه ينعم بمميزات عدة من راتب سخيّ، وسكن أنيق، وسيارة فاخرة، فى بلد تهدده المجاعة كل يوم، وتفتك بالكثيرين من مواطنيه.

وظل هكذا يعمل بجد فى خدمة الكنيسة والدعوة لمعتقداتها، حتى كانت ليلة فاصلة، إذْ رأى فيها - فيما يرى النائم - رجلاً يقترب منه فى المنام ويوقظه هاتفاً به أن يقرأ شهادتى: «لا إلـه إلاَّ الله، محمد رسول الله»، وسورة الإخلاص.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾

فقام من نومه فَزِعاً وقد روعته تلك الرؤيا التى لم يستوعبها، وإنما فسرها بفهمه القاصر على أنها من الشيطان.

وتكررت الرؤيا ليلتين أُخريين، ورأى فى الليلة الثالثة نوراً يضئ أمامه الطريق، ورجلاً يُقْرِئه الشهادتين وسورة الإخلاص، فأدرك من فوره أن هذه رؤيا حق، وليست من عمل شيطان رجيم كما كان يتوهم، فالنور الذى أضاء سبيله فى الرؤيا قد تسرب فى وجدانه، وأنار بصيرته، فأصبح من يومه وفى قرارة نفسه إيمان عميق بأن عقيدة الإسلام هى الحق، وما دونها باطل، ولم يطل به التفكير، لأنه بحكم دراسته اللاهوتية كان مطلعاً على البشارات العديدة برسالة محمد ﷺ، ولذا أشهر إسلامه عن اقتناع تام.

وعندما حدث زوجته فى الأمر عارضاً عليها الدخول فى الإسلام، جاوبته بالإيجاب، ودخلت معه فى عقيدة التوحيد، وكذلك فعل أطفاله الثلاثة.

وكان أول ما فعله «ملقاه» بعد إشهار إسلامه أن قام بتغيير اسمه إلى «محمد سعيد»، معتبراً ذلك اليوم يوم ميلاده الحقيقى، شاكراً اللـه تعالـى ما أنعم به عليه من نعمة الهداية إلى دين الحق.

أما بالنسبة للأوساط الكَنَسِيَّة الأثيوبية فقد استقبلت نبأ إسلام «محمد سعيد» بغضب شديد، ولم تكتفِ بحرمانه من الامتيازات التى كان ينعم بها، من مسكن راقٍ، وسيارة فاخرة، وراتب ضخم، وغير ذلك، بل سعت حتى أدخلته السجن، ليلقى صنوفاً وألواناً من التعذيب فى محاولة لرده عن إيمانه، وليكون عبرة وعظة لكل من يفكر فى ترك النصرانية والالتحاق بركب الإسلام..

وتحمل «محمد سعيد» كل ذلك صابراً محتسباً أجره عند الله، ولم يتزحزح إيمانه قيد أُنملة، ولسانه يلهج بالقول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إلـه إلا الله»....

وحين لم تُجْدِ معه وسائل التعذيب ـ وما أكثرها! ـ اضطر القساوسة إلى تركه لكيلا يتحول إلى رمز وقدوة تنير الطريق لكثير من رعايا الكنيسة إلى درب دين الحق.

وخرج «محمد سعيد» من السجن أقوى إيماناً وأشد تصميماً على إيصال دعوة الحق إلى غيره، إذ زادته محنة السجن ثباتاً وحرصاً على أن يصبح داعية للإسلام بعد ما كان قسّاً يدعو إلى النصرانية، وجعله الله سبباً فى هداية نحو ٢٨٠ شخصاً اعتنقوا الإسلام على يديه.

ويذكر «محمد سعيد» أنه قد استفاد من دراسته العميقة للتوراة والإنجيل فى استكشاف الكثير من أوجه الإعجاز القرآنى، وأنه بحكم عمله السابق كقس يدرك الأساليب غير السوية التى يلجأ إليها المُنَصِّرُون من أجل جذب الفقراء والمحتاجين إلى الديانة النصرانية، حيث يستغلون فقر الناس وعوزهم بالتظاهر بمواساتهم مادياً ومعنوياً، والاهتمام بهم صحيّاً وتعليميّاً، فى محاولة لاكتساب ودهم ومحبتهم، ومن ثم السيطرة على عقولهم، وإقناعهم بأن فى النصرانية خلاصهم من عذاب الآخرة وفقر الدنيا!

هذا، ويفضى «محمد سعيد» أوقاته فى حفظ القرآن الكريم، مع ما فى ذلك من مشقة، لكونه من غير الناطقين باللغة العربية، ليتمكن من الدعوة الإسلامية.

وعن أسلوبه فى الدعوة إلى الله يقول:

«أعتمد على معرفة عقيدة من أدعوه من غير المسلمين، ومن ثم مناقشته فى عقيدته وإظهار بطلانها ومخالفتها للفطرة والعقل، ثم بعد ذلك أقوم بشرح مافى الإسلام من نواحٍ خَيِّرَةَ عديدة، مبيناً أنه الدين الحق الذى اختاره الله للبشرية منذ بدأ الخليقة، فالإسلام يعنى التسليم لله بالربوبية، والطاعة والانقياد لأوامره - عز وجل - واجتناب نواهيه».

وعن أمنية «محمد سعيد» يقول:

«أمنيتى الخاصة أن أتمكن من هداية والدى ووالدتى إلى دين الحق... أما أمنيتى العامة فهى أن أستطيع أن أكون أحد فرسان الدعوة الإسلامية، وأن يوفقنى الله لما فيه خير أُمة الإسلام، وأن ينصرها ويعلى شأن دينه».

أجل.. أمنيات تدلل على صدق إيمان القس السابق «ملقاه» بدين محمد ﷺ، الذى صار سعيداً باعتناقه له، فتسمى باسم نبى الإسلام، ويقرنه بكونه سعيداً[1].

* * *

(١) مجلة الفيصل - عدد أبريل ١٩٩٢ (بتصرف).

مع رئيس الأساقفة التنزانى «چون موايبوبو» الذى أقنع خمسة آلاف شخص بالدخول فى الإسلام

ولد فى إحدى قرى تنزانيا. . ورغبت أسرته أن يتبحر فى علوم النصرانية ليكون أسقفاً فى الكنيسة، فسافر لدراسة النصرانية فى الولايات المتحدة الأمريكية، وفى الوقت نفسه كان قد بدأ فى قراءة ترجمة معانى القرآن الكريم وبعض الكتب الإسلامية المترجمة، حيث كانت تدور فى ذهنه تساؤلات وشكوك كثيرة، جعلته ـ كما يقول ـ يقارن بين القرآن الكريم والإنجيل، وبالتالى وجد أنه من الضرورى أن يفكر أكثر إلى أى مدى يستطيع أن يكون قريباً من الله، وبالتالى كان عليه أن يدرس ويتعمق أكثر وهو يتساءل: لماذا لا نَمْتَثِل لأوامر الله ولا نلتزم بها؟!

وبدأ يتابع ما يفعله المسلمون، ويواظب على قراءة تفاسير القرآن وترجماته حتى استشعر بقناعة تامة بأن الدين الإسلامى هو الدين الحق، فلم يجد بُدّاً من أن يعتنقه ويشهر إسلامه فى ديسمبر عام ١٩٨٦.

الغريب فى الأمر أن «چون موايبوبو» الذى تدرج فى مراتب الكنيسة حتى وصل إلى رتبة رئيس الأساقفة فى تنزانيا بعد أن اعتنق الإسلام وتسمى باسم «أبى بكر». . . لم يكتف بإسلامه، بل اجتهد فى أن يأخذ بيد غيره من النصارى، ولا سيما الذين كانوا يترددون على الكنيسة، ويلقى عليهم المواعظ والدروس، حتى استطاع أن يقنع أكثر من خمسة آلاف شخص للدخول فى دين الإسلام.

ويذكر الداعية المسلم «أبو بكر» أنه قد صادفه كثير من المشكلات التى استهدفت أن تثنيه وترده عن دينه الجديد، غير أنه لم يعيرها أى اهتمام، فحسبه الله مؤيدا ونصيراً. . . . فقد حدث أن قام بعض المتطرفين النصارى بإحراق منزله حين كان فى المملكة العربية السعودية، وراح ضحيةً لهذا الحريق طفلاه التَّوْءَم من إحدى زوجتيه المسلمتين اللتين اقترن بهما بعد أن افترقت عنه زوجته النصرانية.

كما تعرض منزله لحريق آخر تم خلاله إحراق جميع الأشرطة التى سجل عليها مراحل حياته من الرهبانية إلى الإسلام، إضافة إلى حديثه عن الرسول ﷺ فى الإنجيل، وأعماله فى مجال الدعوة الإسلامية، فضلا عن أنه قد تعرض للموت أكثر من ثلاث مرات، وما زالت المحاولات تتواصل لقتله، ومع ذلك فإنه يردد قائلاً: «أنا أشعر براحة واطمئنان، لأننى أستشعر ـ الآن ـ أن الله معى»[1].

* * *

(١) صحيفة المسلمين ـ الصادرة فى ١٩/ ٦/ ١٩٩٢ (بتصرف).

مع القُمَّص «عزت إسحاق معوض» الذى صار داعية مسلماً

كان أحد الدعاة للالتزام بالنصرانية، لا يهدأ ولا يسكن عن مهمته التى يستعين بكل الوسائل من كتب وشرائط وغيرها فى الدعوة إليها وتدرج فى المناصب الكنسية حتى أصبح «قُمَّصاً».. ولكن بعد أن تعمق فى دراسة النصرانية بدأت مشاعر الشك تراوده فى العقيدة التى يدعو إليها، فى الوقت الذى كان يشعر بارتياح عند سماعه للقرآن الكريم... ومن ثم كانت رحلة إيمانه التى يتحدث عنها قائلاً:

«نشأتُ فى أُسرة مسيحية مترابطة، والتحقت بقداس الأحد وعمرى أربع سنوات... وفى سن الثامنة كنت أحد «شمامسة» الكنيسة، وتميزت على أقرانى بإلمامى بالقبطية، وقُدرتى على القراءة من الكتاب المقدس على النصارى.

ثم تمت إجراءات إعدادى للالتحاق بالكلية الأكليريكية لأصبح بعدها «كاهناً» ثم «قُمَّصاً»... ولكننى عندما بلغت سن الشباب بدأت أَرَى ما يحدث من مهازل بين الشباب والشابات داخل الكنيسة وبعلم القساوسة، وبدأت أشعر بسخط داخلى على الكنيسة، وتلفت حولى فوجدت النساء يدخَلن الكنيسة متبرجات ويجاورن الرجال، والجميع يصلى بلا طهارة، ويرددون ما يَقوله «القس» بدون أن يفهموا شيئاً على الإطلاق، وإنما هو مجرد تعود على سماع هذا الكلام.

وعندما بدأت أقرأ أكثر فى النصرانية وجدت أن ما يسمى «القداس الإلـهى» الذى يتردد فى الصلوات، ليس به دليل من الكتاب المقدس، والخلافات كثيرة بين الطوائف المختلفة، بل وداخل كل طائفة على حدة، وذلك حول تفسير «الثالوث»... وكنت أشعر أيضاً بنفور شديد من مسألة تناول النبيذ وقطعة القربان من يد القسيس، والتى ترمز إلى دم المسيح وصبره!!

ويستمر «القمص» عزت إسحاق معوض - الذى تبرأ من صفته واسمه ليتحول إلى الداعية المسلم محمد أحمد الرفاعى - فى حديثه قائلا:

«بينما كان الشك يراودنى فى النصارنية كان يجذبنى شكل المسلمين فى الصلاة، والخشوع، والسكينة التى تحيط بالمكان، برغم أننى كنت لا أفهم ما يرددون.... وكنت عندما يُقْرأُ القرآن كان يلفت انتباهى لسماعه، وأحس بشئ غريب داخلى، برغم أننى نشأت على كراهية المسلمين.... وكنت معجباً بصيام شهر رمضان، وأجده أفضل من صيام «الزيت» الذى لم يَرِدْ ذكره فى الكتاب المقدس، وبالفعل صمتُ أيَّاماً من شهر رمضان قبل إسلامى».

ويمضى الداعية محمد أحمد الرفاعى فى كلامه مستطرداً:

«بدأت أشعر بأن النصرانية دين غير كامل ومُشَوَّه، غير أننى ظللتُ متأرجحاً بين النصرانية والإسلام ثلاث سنوات، انقطعت خلالها عن الكنيسة تماماً، وبدأت أقرأ كثيراً، وأقارن بين الأديان، وكانت لى حوارات مع إخوة مسلمين كان لها الدور الكبير فى إحداث حركة فكرية لَدَىَّ... وكنت أرى أن المسلم غير المتبحر فى دينه يحمل من العلم والثقة بصدق دينه ما يفوق ما لَدَى أى نصرانى، حيث إن زاد الإسلام من القرآن والسنة النبوية فى متناول الجميع، رجالاً ونساءً وأطفالاً، فى حين أن هناك أَحَدَ الأسفار بالكتاب المقدس ممنوع أن يقرأها النصرانى قبل بلوغ سن الخامسة والثلاثين، ويُفَضَّل أن يكون متزوجاً!».

ثم يصمت «محمد رفاعى» برهة ليستكمل حديثه بقوله:

«كانت نقطة التحول فى حياتى فى أول شهر سبتمبر عام ١٩٨٨ عندما جلست إلى شيخى وأستاذى «رفاعى سرور» لأول مرة، وناقشنى، وحاورنى لأكثر من ساعة، وطلبت منه فى آخر الجلسة أن يُقْرِئَنى الشهادتين ويُعلمنى الصلاة، فطلب منى الاغتسال، فاغتسلتُ، ونطقتُ بالشهادتين، وأشهرت إسلامى، وتسميت باسم «محمد أحمد الرفاعى» بعد أن تَبَرَّأْتُ من اسمى القديم «عزت إسحاق معوض» وألغيته من جميع الوثائق الرسمية.

كما أزلت الصليب المرسوم على يدى بعملية جراحية.. وكان أول بلاء لى فى الإسلام هو مقاطعة أهلى، ورفض أبى أن أحصل على حقوقى المادية عن نصيبى فى شركة كانت بيننا، ولكننى لم أكترث، ودخلتُ الإسلام صفر اليدين، ولكن الله عوضنى عن ذلك بأُخوة الإسلام، وبعمل يُدرُّ علىَّ دخلاً طيبا».

ويلتقط أنفاسه وهو يختتم كلامه قائلاً:

«كل ما آمله الآن ألا أكون مسلماً إسلاماً يعود بالنفع علىَّ وحدى فقط، ولكن أن أكون نافعاً لغيرى وأساهم بما لدى من علم بالنصرانية والإسلام فى الدعوة لدين الله تعالى»[1].

* * *

(١) صحيفة المسلمين ـ فى عددها الصادر فى ٤/ ١٠/ ١٩٩١ (بتصرف).

مع القس الأثيوبى الذى أسلم على يديه الكثيرون

نال ثقة الكنيسة فيما يقوم به من نشاط فى حركات التبشير والتنصير حتى وصل إلى أعلى المراتب الكنسية، ولكن داخله الشك عندما وقع تحت يده كتاب يتضمن تفاسير قرآنية، وكانت بداية خطواته على طريق الإيمان الذى يحكيه فيقول:

«عشتُ سنوات من التيه، ولم أكن أدرى ما يخبئه القَدَرُ لى،... خدمتُ المسيحية بكل ما أستطيع، ومن ثم تدرجت فى السلم الكنسى حتى وصلتُ إلى مراتب عُليا فى الكنيسة، وأصبحتُ أحد القياديين فيها، ثقة من كبار القساوسة فى شخصى، وفيما أقوم به من نشاط بكل إخلاص وهمة، مما دفعهم إلى تحميلى مسئوليات كبرى فى التبشير والتنصير.

كنت محبّاً للقراءة والاطلاع، فلم أجد كتاباً عن الإنجيل إلا قرأته حتى فُوجئت وأنا أقرأ بعض الكتب الإنجيلية المترجمة أنها تتناول الدين الإسلامى، وتطرح سؤالا مُؤداه: أَهُوَ دين سماوى أم لا؟

وعندما وصلت إلى هذه النقطة بدأت أعيد طرح السؤال مرة أخرى... ثم مرت أيام وعثرت على كتاب للتفاسير القرآنية مكتوب باللغة الأمهرية، فبدأت أقارن بين ما وجدته فى هذا الكتاب وما قرأته سابقاً فى الترجمات الإنجيلية عن دين محمد، حتى بدأ يداخلنى الشك، وأشعر بالفرق الهائل، وبالتحريف الذى حدث تجاه دين الإسلام، حتى أيقنت تماماً أن الإسلام هو

الدين الحقيقى. . بعدها أشهرت إسلامى، وتسميت باسم «محمد سعيد نقادو»[1]. . . . بعدها عكفت على إعداد دراسة تبين أسباب إسلامى، موضحاً فيها حقيقة المعلومات الخاطئة المنحرفة فى الكتب الإنجيلية، ومن ثم أوردتُ الحقائق الثابتة، ورفعتها إلى المجلس الإسلامى الأعلى فى أديس أبابا».

ثم يصمت برهة يلتقط فيها أنفاسه ليعرض رد فعل الكنيسة فيقول:

«لم تقف الكنيسة موقف المتفرج بعد أن فضحها من عاش بداخلها ردحاً من الزمن، فتحركت بسرعة، وحركت أذنابها فى السلطة الشيوعية إبَّان عهد «منجستو»، وسلطوا عَلَىّ أجهزة الأمن التى قامت باعتقالى، ودخلتُ السجن لمدة ثلاثة أشهر بلا ذنب سوى أننى اعتنقتُ الإسلام، وتخليتُ عن المسيحية».

وكان «لمحمد سعيد» دور فى الدعوة الإسلامية فيعبر عن ذلك بقوله:

بعد خروجى من السجن استفدت من علاقاتى الشخصية ونجحت فى إدخال أكثر من مائتى شخص جديد لدين الإسلام. . ولكن الأسقف «كارلويوس» رئيس القساوسة لم يهنأ له بال حتى قام برشوة أجهزة القمع فى نظام «منجستو» الديكتاتورى ومرة ثانية جرى اعتقالى، وتأكد لى أننى لن أخرج هذه المرة من السجن، ولا سيما أن الكنسيين مستمرون فى ملاحقتى غير أنه بعد زيارة قام بها الدكتور «عبد الله عمر نصيف» الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى لأثيوبيا، ولقائه مع الرئيس السابق «منجستو» طلب منه الإفراج عنى، فاستجاب لطلبه.

وهكذا نجد أنفسنا أمام شخصية صارت تستميت من أجل عقيدتها لا يثنيها عنها المكائد المتلاحقة[2].

* * *

(١) غير «محمد سعيد» الذى مر علينا منذ قليل.

(٢) صحيفة المسلمين ـ فى عددها الصادر فى ٢/ ١٠/ ١٩٩١ (بتصرف).

مع القس المصرى
الذى صار معلماً للدين الإسلامى

كانت أمنية «فوزى صبحى سمعان» منذ صغره أن يصبح قساً يُقَبِّلُ الناس يده، ويعترفون له بخطاياهم لعله يمنحهم صك الغفران، ويغسل ذنوبهم بسماعه الاعتراف. . . . ولذا كان يقف منذ طفولته المبكرة خلف قس كنيسة «مارى جرجس» بمدينة الزقازيق[1] يتلقى منه العلم الكنسى، وقد أَسْعَدَ والديه بأنه سيكون خادماً للكنيسة، ليشب نصرانياً صالحاً، طبقاً لاعتقادهما.

ولم يخالف الفتى رغبة والديه فى أن يكون خادماً للكنيسة، يسير وراء القس حاملاً كأس النبيذ الكبيرة، أو دم المسيح كما يَدَّعُون ليسقى رواد الكنيسة وينال «بركات» القس.

لم يكن أحد يدرى أن هذا الفتى الذى يعدونه ليصير قُسّاً سوف يأتى يوم يكون له شأن آخر غير الذى أرادوه له، فيتغير مسار حياته ليصبح داعية إسلامياً.

يذكر «فوزى» أنه برغم إخلاصه فى خدمة الكنيسة فإنه كانت تؤرقه ما يسمونها «أسرار الكنيسة السبعة» وهى: التعميد، والاعتراف، وشرب النبيذ، وأكل لحم المسيح، والأب، والابن، والروح القدس.

وأنه طالما أخذ يفكر ملياً فى فكرة الفداء أو صلب المسيح ـ عليه السلام ـ افتداءً لخطايا البشرية، كما يزعم قسس النصارى وأحبارهم وأنه برغم سنه الغضة فإن عقله كان قد نضج بدرجة تكفى لأن يتشكك فى صحة حادثة

(١) هى عاصمة محافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية.

الصلب المزعومة، وهى أحد الأركان الرئيسية فى عقيدة النصارى المحرفة، ذلك أنه عجز عن أن يجد تبريراً واحداً منطقياً لفكرة فداء خطايا البشرية، فالعدل والمنطق السليم يقولان بأن لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وزرَ أخرى، فليس من العدل أو المنطق أن يُعَذَّبَ شخص لذنوب ارتكبها غيره.. ثم لماذا يفعل المسيح عليه السلام ذلك بنفسه إذا كان هو الله وابن الله كما يزعمون؟!... ألم يكن بإمكانه أن يغفر تلك الخطايا بدلاً من القبول بوضعه معلقاً على الصليب؟!

ثم كيف يقبل إلـه ـ كما يزعمون ـ أن يصلبه عبد من عباده، أليس فى هذا مجافاة للمنطق وتقليلاً بل وامتهاناً لقيمة ذلك الإلـه الذى يعبدونه من دون الله الحق؟.. وأيضاً كيف يمكن أن يكون المسيح عليه السلام ـ هو الله وابن الله فى آن واحد كما يزعمون؟!

كانت تلك الأفكار تدور فى ذهن الفتى وتتردد فى صدره، لكنه لم يكن وقتها قادراً على أن يحلل معانيها، أو يتخذ منها موقفاً حازماً، فلا السن تؤهله لأن يتخذ قراراً، ولا قدراته العقلية تسمح له بأن يخوض فى دراسة الأديان ليتبين الحقائق واضحة، فلم يكن أمامه إلا أن يواصل رحلته مع النصرانية، ويسير وراء القسس مردداً ما يلقنونه له من عبارات مبهمة.

ومرت السنوات، وكبر «فوزى» وصار رجلاً، وبدأ فى تحقيق أمنيته فى أن يصير قساً يُشار إليه بالبنان، وتنحنى له رؤوس الصبية والكبار ـ رجالاً ونساءً ـ ليمنحهم بركاته المزعومة، ويجلسون أمامه على كرسى الاعتراف لينصت إلى أدق أسرار حياتهم، ويتكرم عليهم بمنحهم الغفران نيابة عن الرب!!

ولكن كم حسدهم على أنهم يقولون ما يريدون فى حين أنه عاجزٌ عن الاعتراف لأحد بحقيقة التساؤلات التى تدور بداخله، والتى لو علم بها الأباء القسس الكبار لأرسلوا به إلى الدير أو قتلوه.

ويذكر «فوزى» أيضاً أنه كثيراً ما كان يتساءل:

«إذا كان البسطاء يعترفون للقس، والقس يعترف للبطريرك، والبطريرك يعترف للبابا، والبابا يعترف لله، فلماذا هذا التسلسل غير المنطقى؟ . . . ولماذا لا يعترف الناس لله مباشرة، ويجنبون أنفسهم شر الوقوع فى براثن بعض المنحرفين من القسس الذين يستغلون تلك الاعترافات فى السيطرة على الخاطئين واستغلالهم فى أمور غير محمودة؟!

لقد كان القس الشاب يحيا صراعاً داخلياً عنيفاً، عاش معه لمدة تصل إلى تسعة أعوام، كان حائراً بين ما تربى عليه وتعلمه فى البيت والكنيسة، وبين تلك التساؤلات العديدة التى لم يستطع أن يجد لها إجابة برغم دراسته لعلم اللاهوت وانخراطه فى سلك الكهنوت. . . . وعبثاً حاول أن يقنع نفسه بتلك الإجابات الجاهزة التى ابتدعها الأحبار قبل قرون ولقنوها لخاصتهم ليردوا بها على استفسارات العامة، برغم مجافاتها للحقيقة والمنطق والعقل.

لم يكن موقعه فى الكنيسة يسمح له أن يسأل عن دين غير النصرانية، حتى لا يفقد مورد رزقه وثقة رعايا الكنيسة، فضلاً عن أن هذا الموقع يجبره على إلقاء عظات دينية هو غير مقتنع بها أصلاً، لإحساسه بأنها تقوم على غير أساس، ولم يكن أمامه إلا أن يحاول وأْد نيران الشك التى ثارت فى أعماقه ويكبتها، حيث إنه لم يملك الشجاعة للجهر بما يهمس به لنفسه سراً، خيفة أن يناله الأذى من أهله والكنيسة، ولم يجد أمامه فى حيرته هذه إلا أن ينكبَّ بصدق وحماسة سراً على دراسة الأديان الأخرى.

وبالفعل أخذ يقرأ العديد من الكتب الإسلامية، فضلاً عن القرآن الكريم الذى أخذ يتفحصه فى إطلاع الراغب فى استكشاف ظواهره وخوافيه. . وتوقف ودمعت عيناه وهو يقرأ قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ
عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا

قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(١).

قرأ «فوزى» تلك الكلمات، وأحس بجسده يرتعش، فقد وجد فيها الإجابات للعديد من الأسئلة التى طالما عجز عن إيجاد إجابات لها، وجاء قوله تعالى:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢).

لقد وجد أن القرآن الكريم قَدَّمَ إيضاحات لم يقرأها فى الأناجيل المحرفة المعتمدة لَدَى النصارى إن القرآن يؤكد بشرية عيسى عليه السلام، وأنه نبى مُرْسَلٌ لبنى إسرائيل، ومكَلَّفٌ برسالة محددة كغيره من الأنبياء.

كان «فوزى» خلال تلك الفترة قد تم تجنيده لأداء الخدمة العسكرية، وأتاحت له هذه الفترة فرصة مراجعة النفس، وقادته قدماه ذات يوم لدخول كنيسة فى مدينة «الإسماعيلية»، ووجد نفسه ـ بدون أن يشعر ـ يسجد فيها سجود المسلمين، واغرورقت عيناه بالدموع، وهو يناجى ربه سائلاً إياه أن يلهمه السَّداد، ويهديه إلى الدين الحق.. ولم يرفع رأسه من سجوده حتى عزم على اعتناقه الإسلام، وبالفعل أشهر إسلامه بعيداً عن قريته وأهله، خشية بطشهم وإيذائهم، وتسمى باسم «فوزى صبحى عبد الرحمن المهدى».

وعندما علمت أسرته بخبر اعتناقه الإسلام وقفت تجاهه موقفاً شديداً،

---

(١) سورة المائدة ـ الآيتان: ١١٦: ١١٧.

(٢) سورة آل عمران ـ الآية: ٥٩.

ساندتهم فيه الكنيسة وبقية الرعايا النصارى الذين ساءهم أن يُشهر إسلامه - فى حين كان «فوزى» فى الوقت نفسه يدعو ربه ويبتهل إليه أن ينقذ والده وإخوته ويهديهم للإسلام، وقد ضاعف من ألمه أن والدته قد ماتت على دين النصرانية.

ولأن الدعاء مخ العبادة، فقد استجاب الله لدعاء القلب المؤمن: فاستيقظ ذات يوم على صوت طَرقات على باب شقته، وحين فتح الباب وجد شقيقته أمامه تعلن رغبتها فى اعتناق الإسلام.. ثم لم يلبث أن جاء والده بعد فترة ولحق بأبنه وابنته على طريق الحق.

ومن الطريف أن يعمل فوزى - الآن - مدرساً للدين الإسلامى فى مدارس منارات جدة بالمملكة العربية السعودية.. أما والده فقد توفاه الله بعد إسلامه بعام ونصف.. وتزوجت شقيقته من شاب نصرانى هداه الله للإسلام، فاعتنقه وصار داعية له، وهو يعمل حالياً إماماً لأحد المساجد بمدينة الدوحة بدولة قطر، حيث يعيش مع زوجته حياة أسرية سعيدة[1].

* * *

(١) مجلة الفيصل - عدد أكتوبر ١٩٩٢ (بتصرف).

مع أستاذ اللاهوت المسئول عن تنصير قطاع من مصر

كان يعمل راعى الكنيسة الإنجيلية، وأستاذ العقائد واللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط(١) حتى عام ١٩٥٣، ثم سكرتيراً عامّاً للإرسالية الألمانية السويسرية بأسوان، ومبشراً بين المسلمين ما بين المحافظات من أسيوط إلى أسوان حتى عام ١٩٥٥م..

ويتحدث «إبراهيم خليل أحمد» عن قصة دخوله الإسلام فيقول:

«فى إحدى الأمسيات من عام ١٩٥٥ سمعت القرآن مذاعاً بالمذياع، وسمعتُ فى قوله تعالى:

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾(٢).

كانت هاتان الآيتان بمثابة الشعلة المقدسة التى أضاءت ذهنى وقلبى للبحث عن الحقيقة، فى تلك الأمسية عكفت على قراءة القرآن، حتى أشرقت شمس النهار، وكأن آيات القرآن نور يتلألأ، وكأننى أعيش فى هالة من النور.. ثم قرأت مرة ثانية فثالثة فرابعة حتى وجدت قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ

(١) حصل على المؤهلات المتخصصة فى اللاهوت، فحصل على دبلوم كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة عام ١٩٤٨، ثم ماجستير فى الفلسفة واللاهوت من جامعة «برنستون» بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٢.

(٢) سورة الجن: ١: ٢.

فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(1).

.. من هذه الآية قررت أن أقوم بدراسة متحررة للكتاب المقدس، وقررت الاستقالة من عملى كقسيس وسكرتير عام للإرساليات الأمريكية بأسوان.

ولما نفذت قرارى تآمر علىَّ مجموعة أطباء، وأشاعوا أننى مختل العقل، فصبرت وصمدت بكل ثقة فى الله، فسافرت إلى القاهرة حيث عملت بشركة للمبيعات «استاندارد ستشنيرى».. وفى أثناء عملى بها طلب منى مدير الشركة طبع تفسير جزء عم باللغة الإنجليزية، فتعهدت له بإنجاز هذا العمل، وكان يظننى مسلماً، وحمدت الله أنه لم يفطن لمسيحيتى، فكانت بالنسبة لى دراسة إسلامية متحررة من ثياب الدبلوماسية، حتى شرح الله صدرى للإسلام، ووجدت أنه لا بد من الاستقالة من العمل كخطوة لإعلان إسلامى، وفعلاً قدمت استقالتى فى عام ١٩٥٩، وأنشات مكتباً تجارياً، ونجحت فى عملى الجديد.

وفى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٥٩ أرسلت برقية للإرسالية الأمريكية بمصر الجديدة بأننى آمنت بالله الواحد الأحد، وبمحمد نبيّاً ورسولاً، ثم قدمت طلباً إلى المحافظة للسير فى الإجراءات الرسمية.. وتم تغيير اسمى من «إبراهيم خليل فيلبس» إلى «ابراهيم خليل أحمد» وتضمن القرار تغيير أسماء أولادى على النحو التالى: إسحاق إلى أسامه، وصموئيل إلى جمال، وماجدة إلى نجوى.

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

ثم يلتقط أنفاسه ليعاود سَرْدَ قصته ورحلته للإيمان بالإسلام فيقول عن المتاعب التى تعرض لها:

«فارقتنى زوجتى بعد أن استنكرت علىّ وعلى أولادى الإسلام.. كما قررت البيوتات الأجنبية التى تتعامل فى الأدوات المكتبية ومهمات المكاتب عدم التعامل معى، ومن ثم أغلقت مكتب التجارى... واشتغلت كاتباً بشركة بـ ١٥ جنيهاً شهريّاً بعد أن كان دخلى ٨٠ جنيهاً.. وفى هذه الأثناء درست السيرة النبوية، وكانت دراستها لى عزاء ورحمة.... ولكن حتى هذه الوظيفة المتواضعة لم أستمر فيها، فقد استطاع العملاء الأمريكان أن يوغروا الشركة ضدى حتى فصلتنى، وظللت بعدها ثلاثة أشهر بلا عمل، حتى عُينت فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وذلك إثر محاضرة قد ألقيتها، وكان عنوانها لماذا أسلمت؟»[1].

ثم يضحك بمرارة وسخرية وهو يقول:

«لقد تولت الكنيسة إثارة الجهات المسئولة ضدى، حتى أن وزارتى الأوقاف والداخلية طلبتا منى أن أكف عن إلقاء المحاضرات إلا تعرضت لتطبيق قانون الوحدة الوطنية، متهماً بالشغب وإثارة الفتن.. وذلك بعد أن قمت بإلقاء العديد من المحاضرات فى علم الأديان المقارن بالمساجد فى الإسكندرية، والمحلة الكبرى وأسيوط، وأسوان وغيرها من المحافظات، فقد اهتزت الكنيسة لهذه المحاضرات بعد أن علمت أن كثيراً من الشباب النصرانى قد اعتنق الإسلام ثم يصمت فى أسى ليقول بعدها.

«هذا الاختناق دفعنى دفعاً إلى أن أقرر الهجرة إلىٰ المملكة العربية السعودية، حيث أضع كل خبراتى فى خدمة كلية الدعوة وأصول الدين»[2].

(١) مجلة الدعوة ـ عدد أكتوبر ١٩٧٦ (بتصرف)

(٢) تعليق: هذا التعبير له دلالته ومغزاه العميق فى الغيرة على دينه الإسلامى الذى اعتنقه وتحمسه للدعوة إليه، ولو اضطر لأن يخرج عن وطنه مصر إلى غيرها من البلدان الإسلامية. فهل من معتبر؟

ثم يعود مستدركاً وموضحاً لما سبق أن أشار إليه عن أسباب اعتناقه للإسلام فيقول:

«إن الإيمان لا بد أن ينبع من القلب أولاً. . . والواقع أن إيمانى بالإسلام تسلل إلى قلبى خلال فترات طويلة كنت دائماً أقرأ القرآن الكريم، وأقرأ تاريخ الرسول الكريم، وأحاول أن أجد أساساً واحداً يمكن أن يقنعنى أن محمداً هذا الإنسان الأمى الفقير البسيط يستطيع وحده أن يحدث كل تلك الثورة التى غيرت تاريخ العالم ولا تزال.

استوقفنى كثيراً نظام التوحيد فى الإسلام، وهو من أبرز معالم الإسلام ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(١). ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾(٢).

ويرفع رأسه متأملاً فى السماء ويقول:

«نعم. . التوحيد يجعلنى عبداً لله وحده، ولست عبداً لأى إنسان. . . التوحيد هنا يحرر الإنسان ويجعله غير خاضع لأى إنسان، وتلك هى الحرية الحقيقية، فلا عبودية إلا لله وحده. . . . عظيم جداً نظام الغفران فى الإسلام، فالقاعدة الأساسية للإيمان تقوم على الصلة المباشرة بين العبد وربه. . . فالإنسان فى الإسلام يتوب إلى الله وحده، لا وجود لوسطاء، ولا لصكوك غفران أو كراسى اعتراف، لأن العلاقة مباشرة بين الإنسان وربه».

ويختتم كلامه وقد انسابت تعابيره رقراقة:

«لا تعلم كم شعرت براحة نفسية عميقة وأنا أقرأ القرآن الكريم فأقف طويلاً عند الآية الكريمة :

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾(٣).

(١) سورة الشورى: ١١.
(٢) سورة الإخلاص: ١: ٢.
(٣) سورة الحشر: ٢١

كذا الآية التى تقول:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1].

لذلك كله اتخذت قرارى بإشهار إسلامى، بل على القيام بالدعوة للدين الإسلامى الذى كنت من أشد أعدائه، يكفى أننى كم أدرس الإسلام فى البداية إلا لكى أعرف كيف أطعنه وأحاربه، ولكن النتيجة كانت عكسية فبدأ موقفى يهتز، وبدأت أشعر بصراع داخلى بينى وبين نفسى، واكتشفت أن ما كنت أبشر به وأقوله للناس كله زيف وكذب.

* * *

(١) سورة المائدة: ٨٢: ٨٣.

«مع المنصر المتعصب الذي تعصب للإسلام»

كان قسيساً فى الكنيسة الكاثوليكية، متعصباً للمسيحية، يقوم بالتنصير، ويشاء الله الهادى أن يتحول إلى داعية إسلامى يقوم بالدعوة للإسلام.

يسرد قصة تحوله من قسيس متعصب إلى داعية إسلامى مؤمن برسالته فيقول:

«إن التناقضات الكثيرة فى الديانة المسيحية دفعتنى إلى الشك فى وظيفتى كقسيس يدعو إلى النصرانية الصحيحة... فى حين أن رواية القرآن الكريم عن السيد المسيح واحترام الإسلام له جعلنى أتشكك فى الروايات المتناقضة للمذاهب المسيحية، وأميل إلى مواقف الإسلام منه عليه الصلاة والسلام».

ثم يوضح اللحظة التاريخية فى تحوله للإسلام فيقول:

«وجدت نسخة قديمة من الإنجيل فى الكنيسة الأثوبية كتب فيها «ويأتى رسول من بعدى اسمه أحمد فاتبعوه».. هذه النسخة تتناقض مع ما يقوله القساوسة، وهذا مادفعنى أكثر إلى استطلاع الأمر ومعرفة الإسلام معرفة حقيقية».

ويذكر أنه أمام عظمة الإسلام واقتناعه بأنه آخر الرسالات السماوية وأنقاها من الشوائب، وأسماها فى المعانى والمقاصد الدنيوية والأخروية، كل ذلك

حفزه على التخلى عن كل المزايا الممنوحة له من الكنيسة، فقد كان عمله قسيساً يمنحه مزايا كثيرة، مثل السكن المؤثث، والسيارة الفاخرة، وجواز السفر الأممى، فضلاً عن راتبه الضخم.

كما أوضح أنه وجد صعوبات ومضايقات كثيرة بعد تحوله إلى الإسلام وبعد أن فتح صفحةجديدة فى حياته عندما تزوج امرأة مسلمة، وبدأ ممارسة حياته وفقاً لقواعد الشريعة الإسلامية السمحة.

وتطرق الداعية «عبد الله إبراهيم» إلى بعض الفروق بين الإسلام والأديان الأخرى، فأوضح أن القرآن الكريم كتاب غير محرف، وينبذ الطبقية حيث يدعو إلى المساواة بين مختلف الأجناس والقوميات، ولا يعطى أية ميزة فى التفاضل إلا للتقوى والعلم.

ثم أشار إلى أن الحج مناسبة إسلامية فريدة، تعطى الدليل على تساوى المسلمين مهما كانت مكانتهم الاجتماعية، مثل الصلاة.

ولم يكتف بإسلامه ـ كما ذكرنا ـ وإنما أخذ يدعو للإسلام، وينادى بضرورة تكثيف نشاط الدعوة الإسلامية لمواجهة النشاط المنظم للتبشير المسيحى.. ويؤكد على ضرورة توحيد مواقف المسلمين لمواجهة التحديات المختلفة.. كما يقول:

«أتمنى أن يزداد اهتمام المسلمين بإخوانهم الجدد الداخلين فى الإسلام حتى يصلوا إلى مرحلة متقدمة تحصنهم من الدعاية المضادة». ومما هو جدير بالذكر أنه قد أسلم على يديه بعد إسلامه هو أكثر من أربعين نصرانيّاً، فقد كان يشعر أن من واجبه أن يقوم بتعريف الإسلام وجوهره العظيم للآخرين، لأنه دين يبعث الطمأنينة فى النفس، ويرجع ذلك ـ على حد قوله ـ لسابق خبرته بالدين المسيحى، لذا فمهمته ربما تكون أيسر من إخوانه الدعاة، ومن ثم يتوقع مزيداً من اعتناق المسيحيين للإسلام.

ويتفاءل القس السابق عبد اللّه إبراهيم فيقول:

«إن مستقبل الإسلام فى القارة السوداء بخير، برغم النقص الواضح فى الدعاة وعدم دعم بعض الحكومات الإسلامية لهذه الدعوة، فالإسلام بخير برغم الفرق الواضح فى الجهود المبذولة فى تنصير المسلمين، وما يُبذل من مال من أجل ذلك، غير أن الداخلين إلى الإسلام هم الأكثر.... وبرغم استغلال جهات التنصير للمجاعة الشائعة فى إفريقيا فإن الإسلام يزداد انتشاراً... ومن هنا فنحن نريد ونطمع من جميع المسلمين فى أنحاء العالم أن يتكاتفوا متعاونين فى دعم دعوة الإسلام وتبليغها لغيرهم ممن لا يدينون بها، خصوصاً أن انتشار الإسلام أفضل وأسرع إذا وجد الدعاة المخلصين».

هذا، ويرى أيضاً أن المناظرات والمحاورات بين علماء الدين الإسلامى والقساوسة تخدم الإسلام، ولا سيما إذا كانت هذه المناظرات تبحث عن الحقيقة، على أن يكون المناظِرُ المسلم ذا إلمام بالدين الإسلامى وعقيدة المسيحيين، ويكون أيضاً ذا شخصية جذابة مقنعة تستطيع أن توضح وتظهر فساد العقائد الأخرى.

* * *

(*) كان اسمه قبل دخوله الإسلام «الم ولدقرقس» ولد فى اثيوبيا ولكنه يحمل الجنسية الأرتيرية.

مع معلم النصرانية «ألدو دمريس» الذى صار داعية للإسلام

كان «ألدو دمريس» أحد القساوسة الذين بلغ حماسهم للنصرانية منتهاه، ومن الدعاة المخلصين لها فى بلاده «سير لانكا»، فقد كانت مهمته تلقين النشء الصغير عقيدة «التثليث» وأن يزرعها فى نفوسهم، ويعمقها فى وجدانهم وعقلهم، ليشبوا نصارى لا يعرفون غير النصرانية ديناً، وساعده على إتقان عمله كونه أحد المتخصصين فى علم مقارنة الأديان، إلى جانب مؤهله الجامعى فى الاقتصاد والتجارة الذى هيأ له فرصة العمل بالمملكة العربية السعودية، التى منها بدأت قصة إيمانه بالإسلام.

لقد كان «ألدو دمريس» يظن أن المسلمين قوم وثنيون يعبدون القمر، وهذا الظن كان نتيجة فهم خاطئ، بسبب تحرى المسلمين ظهور القمر كل أول شهر قمرى، إذ لم يكن يدرى أن هذا يعود إلى ضرورة معرفة بدايات الشهور كى يتسنى لهم أداء فريضة الصوم والحج فى موعدهما. . . وكان بفهمه القاصر ـ آن ذاك ـ يعتقد أن قيام المسلمين بمثل هذا هو ضرب من ضروب عبادة القمر كما يفعل الوثنيون، وقد أسهم فى ترسيخ هذه الفكرة الخاطئة لديه نشأته فى أسرة نصرانية متعصبة. . ولذلك كان أمر إسلامه بعيداً عن مخيلة من يعرفونه، فضلا عن مخيلته هو نفسه.

وعندما جاء «ألدو» إلى المملكة العربية السعودية استوقفه وأثار انتباهه إغلاق المحال التجارية وانصراف جموع المسلمين إلى المسجد حين يؤذن

المنادى للصلاة ، لقد شده هذا المشهد بما يجسده من معانٍ عميقة فى نفوس المسلمين، واعتزازهم بدينهم. . . . كما أثار انتباهه المعاملةُ الطيبة التى قوبل بها، فضلاً عن معرفته ـ أخيراً ـ أن الإسلام يدعو إلى قيم ومبادئ لو طُبقت لَسادَ العالم الحب والعدل. . . ومن ثم بدأت نفسه تميل إلى معرفة سر هذا الدين.

وحين قوى هذا الإحساس فى داخله بدأ لا يكتفى بالسؤال، وإنما أخذ يبحث عن نسخة مترجمة لمعان القرآن الكريم كى يكتشف بنفسه نواحى بلاغته وإعجازه. . . ولم يلبث أن تحقق له ما أراد حين وجدها لدى أحد أصدقائه المسلمين، فاستعارها منه فَرِحاً، وظل عاكفاً عليها يدرسها حتى حان آذان الفجر وسمع المؤذن ينادى للصلاة، فدمعت عيناه، ولم يملك إلا أن يهرع ليغتسل ويصلى كما رأى المسلمين يفعلون.

كان لا بد أن يتوج «ألدو» إيمانه بإثباته رسمياّ كى يتمكن من زيارة الكعبة الشريفة والمسجد النبوى الشريف، ومن ثم توجه إلى أحد أصدقائه المسلمين ليرشده إلى طريق إشهار إسلامه الذى تحقق بحضور القاضى الشرعى، معلناً مولده من جديد باسم «محمد شريف».

ولم يكتف «محمد شريف» بإسلامه، فقد شعر بأن عليه واجباً مطلوب منه أن يؤديه، وهو الإسهام فى هداية غيره، ولا سيما هؤلاء الذين كان هو أحد أسباب تعمق النصرانية فى نفوسهم من أهله وتلاميذه.

واستطاع بمثابرته وأسلوب حواره الهادئ المبنى على الحقائق أن يقنع أهله والكثير من أقاربه بأن الإسلام دين الحق، فآمنوا به، بما فيهم صديق قس صار ـ بعد إسلامه ـ من أخلص المؤمنين لدين الله، كما نجح فى هداية تلاميذه السابقين، فأسلم معظمهم.

ومن الجدير بالإشارة أن دراسة «محمد شريف» للنصرانية ـ كما يقول هو ـ كانت خير معين له فى إقناع أولئك الذين هداهم الله، إذ أوضح لهم بعد أن

مَنَّ الله عليه بالهداية مدى التضارب الحاصل فى الأناجيل حول طبيعة عيسى عليه السلام، فى الوقت الذى يتخذ القرآن الكريم موقفاً محدداً واضحاً حول طبيعة ذلك النبى محمد ﷺ، موقف يقبله العقل ويتفق مع المنطق.

هذا، ويعد «محمد شريف» نموذجاً للداعية المسلم، حيث استفاد من معرفته لثمانى لغات فى الدعوة لله بين الناطقين بتلك اللغات، وله ـ كداعية ـ آراء وأساليب للدعوة إلى دين الله، ينبغى الالتفات إليها[1]، لأنها تصدر عن تجربة عملية، من ذلك:

يرى أن الدعوة الإسلامية لا تزال تفتقر إلى أمور كثيرة، منها على سبيل المثال قلة الرسائل والمطبوعات التى تدعو الناس إلى دين الله، فى حين كانت تتوفر لديه أثناء عمله فى التنصير.

كما يرى أن الدعاة المسلمين مُطَالَبُون بالتغلغل فى الأوساط الشعبية فى مختلف البلدان ليشرحوا للناس حقيقة الإسلام ومزاياه الفريدة، ولا سيما أن التصورات لدى الرأى العام فى البلدان غير الإسلامية بفعل تأثير دعاة النصرانية فى غير صالح الإسلام، ومن ثم فمن غير المنطقى أن ندعو الناس إلى الدخول فى دينٍ معلوماتهم عنه مشوهة.

لذا يطالب «محمد شريف» بضرورة اتباع طرق تكتيكية فى الدعوة الإسلامية، تبدأ بشرح جوهر الإسلام، وكيف أن الدين عند الله الإسلام، وتبيان حقيقة كون عيسى عليه السلام نبيًا مرسلاً بالحق، وتوضيح مقدار إجلال المسلمين له باعتباره نبياً، ولأمه مريم العذراء التى يضعها الإسلام فى مقدمة نساء الجنة.

---

(١) يلاحظ أننا قد أوردنا آراء هذه الشخصية فى مجال الدعوة الإسلامية لخبرته الطويلة ومعرفته بأساليب الدعوة ليستفيد منها الدعاة، وقد يعتبرها البعض أنها تخرج عن منهجية الكتاب، وهو الجانب الخفى وراء إسلام هؤلاء، غير أننا نرى أنها منْ الأبعاد الخفية وراء اعتناق الإسلام.

ويشير كذلك إلى جُزئية هامة، وهى تقع على عاتق أثرياء المسلمين، فيرى أن الواجب يحتم عليهم أن يبادروا إلى طبع ترجمات لمعانى القرآن الكريم والكتب التى تتناول جوهر العقيدة الإسلامية وغيرها من الكتب التى تصلح للدعوة إلى مختلف اللغات، ذلك أن الكثيرين من أبناء الملل الآخرى يتوقون إلى التعرف على حقيقة الإسلام وتعاليمه، غير أن حاجز اللغة يقف حَجَرَ عَثْرَةَ أمام تحقيق مطلبهم.

ويبرز «محمد شريف» حقيقة ليعلمها أثرياء المسلمين فيقول:

«إن نشاطات التنصير تجد دعماً من أغنياء النصرانية، فى حين يُلقى المسلمون تبعية نشاطات الدعوة على عاتق الحكومات والمنظمات والهيئات التى تكون ـ عادة ـ مشغولة بألوان متعددة من النشاطات».

وهكذا نجد أنفسنا أمام شخصية قد أخلصت فى اعتناقها للإسلام، إلى حد غيرتها على الدعوة إليه بتبصرة الدعاة المسلمين إلى أساليبها ومتطلباتها ليكون لها أَثَرٌ فعال.

* * *

مع رئيس بعثة التنصير «چى ميشيل» الذى صار المسلم «عبد الجبار»

تعرضت بعثة تنصيرية[1] رفيعة المستوى للفشل الذريع بسبب اعتناق رئيسها للدين الإسلامى، والذى تعرض لمحاولات مستميتة من قبل البعثة التنصيرية بهدف إبعاده عن اعتناق الإسلام، والتى وصلت إلى حد التهديد بالقتل.... وترجع قصة هذا الخبر عندما اختارت منظمة التنصير بألمانيا الغربية «چى ميشيل» لكى يكون رئيساً للبعثة التنصيرية فى الصومال، بجانب عمله كطبيب لأمراض العيون..

وبعد خمسة أشهر تلقت المنظمة تقارير تفيد بتفانيه فى عمله كطبيب.. وإهماله للشق الآخر من مهمته، وهو التنصير.... فتلقى «چى ميشيل» برقية من رئاسة المنظمة تطلب منه ضرورة ذهابه إلى إنجلترا لقضاء فترة تدريبية لمدة شهر، ثم السفر منها إلى «تنزانيا».

وفى انجلترا تعرف «چى ميشيل» على صديق مسلم من الصومال يدعى «محمد باهور» الذى وطد علاقة صداقته معه، وحدث أن دعاه ذات يوم لزيارة منزله... الذى يتحدث عنها قائلا:

---

(١) هى بعثة تنصيرية قد اتخذت فى خطتها مشروع تنصير القرن الأفريقى، على أن تكون الصومال هى نقطة الانطلاق لعمليات التنصير.. وقد اتخذت هذه البعثة مشروعاً خيرياً كستار تخفى من ورائه نشاطها المشبوه.. وكان هذا المشروع هو علاج أمراض العيون كى تنفذ من خلاله إلى المواطنين والتأثيرعليهم بترغيبهم فى الديانة المسيحية.

«بعد أن تعرفت على صديق مسلم من الصومال اسمه «محمد باهور» دعانى إلى زيارة منزله، فلبيت دعوته، وكان الترحيب من أسرته. . . . وأثناء الزيارة فوجئت برجل يتكلم الإنجليزية بطلاقة مدهشة. . وعلمت أنه والد «صديقى «محمد»، وفرحت به، وتمنيت أن أجذبه إلى الدين المسيحى حتى تتحقق عملية التنصير. . وبدأت مع هذا الرجل عملية جذبه للمسيحية بالحديث عنها معه. . وهو ينصت إلىّ بإصغاء تام، توقعت اقتناعه بما أقول، وبالتالى سيكون مفتاح «التنصير فى المنطقة كلها».

ويسترسل رئيس البعثة التنصيرية حديثه بقوله:

«بعد أن أسهبت فى الكلام عن المسيحية كدين لا يرقى فى مكانته أية ديانة أخرى، وأنا أتعرض لعظمة الإنجيل والمسيح عيسى ابن الله. . . . فوجئت بوالد صديقى ممسكاً بنسخة من القرآن فى يديه وسألنى أتعرف هذا الكتاب. . . فابتسمت ولم أجب، خشية إثارته أو التلميح له بمهمتى، ولكن أحسست أن هذا الرجل يدرك ما يدور بعقلى، فمنحنى فرصة الخروج من المأزق. . وبدأ هو يتحدث عن الإنجيل وعن المسيح. . . ومن خلال حديثه أدركت تماماً أن المسلمين جميعاً يحبونه ويعترفون به، وخصوصاً أن الإسلام ذاته يدعو إلى الايمان به وبغيره من الرسل والأنبياء، بل جعل ذلك من دعائم الإيمان بالإسلام.

ثم طلب منى والد صديقى أن أوجه له أى سؤال فى الإنجيل أو فى القرآن. . . فقلت له: كيف؟! قال: فى القرآن كل شئ».

ويصمت «چى ميشيل» برهة وهو يستعيد حكايته مع الإسلام التى نُسجت خيوطها الأولى من خلال زيارة لصديقه والتقائه بوالده الذى أصغى إليه وهو يحاول أن يجذبه للمسيحية، ثم تعقيب والد صديقه على ماسمعه منه، وإفاضته فى الحديث عن الإسلام فى سلاسة ويُسر يستسيغه العقل والتفكير المنطقى.

ثم يستطرد قائلا:

«وتعددت زياراتى لوالد صديقى.. وكنت مُراقَباً من أفراد البعثة الذين طلبوا منى عدم الذهاب إلى هذا المنزل، وفوجئت بعد ذلك بقرار نقل صديقى، ثم اعتقاله بدون سبب... أما بالنسبة لى فقد طلبوا منى الانتقال إلى «كينيا» لقضاء أجازة ممتعة على حد تعبير منظمة التنصير... ووصلتنى رسالة ساخنة من والدى يطالبنى فيها بالعودة إلى ألمانيا بأسرع ما يمكن».

ولكن «چى ميشيل» رئيس بعثة التنصير رفض الاستجابة لتعليمات رئاسته فى ألمانيا.. كما رفض الاستجابة لطلب والده.. فكتب هذه البرقية إلى كل منهما:

«اطمئنوا تماماً.. كل شئ على ما يرام، وسأعتنق الإسلام».

وعكف «چى ميشيل» على دراسة الإسلام وتفهم تعاليمه وأركانه التى حث عليها.. بعدها أعلن اعتناقه للإسلام، وقام بتغيير اسمه إلى «عبد الجبار».

واستمر «عبد الجبار» فى الصومال يؤدى رسالته كطبيب مسلم يعرف حق الله وحق مرضاه، ويعامل الناس بآداب الإسلام التى تحلّى بها فى سلوكياته وأخلاقياته[1].

* * *

(١) صحيفة الرأى العام فى عددها الصادر فى ٢٠/ ٣/ ١٩٩٠ (بتصرف).

مُنصِّر كبير يعتنق الإسلام ويدعو له

كان كاثوليكيّاً متعصباً. . حصل على دراسات متقدمة فى الفاتيكان، وأُرسِلَ إلى أنحاءمختلفة من إفريقيا وآسيا ليقوم بعمليات التنصير بين المسلمين، وذلك بعد أن صار أحد كبار المنصرين فى بلغاريا.

ويشاء القَدَر أن يميل إلى الإسلام فيعتنقه، ولكن كيف حدث ذلك؟

يحكى المنصر السابق «عيسى» عن ظروف تحوله إلى الإسلام فيقول:

«إن بداية شغفى بالتعرف على الإسلام جاءت فى أثناء دراساتى فى الكنيسة الكاثوليكية، حيث أطلعت فى مكتبة الكنيسة على مجموعة كبيرة من الكتب لم أجد فيها شيئاً إيجابيّاً واحداً عن الإسلام، مما دفعنى ذلك إلى عمل دراسات مقارنة بين الأديان الثلاثة، خاصة أننى لدَىَّ إلمام كبير بالتوراة والإنجيل، وعلى دراية تامة بالمثالب الكثيرة التى تكشف مقدار التزوير الذى دخل عليهما، ومن ثم أخذت أربط بين ما فى القرآن الكريم وما فى كتب النصارى الموضوعة، ولم يستغرق ذلك وقتاً طويلاً حتى اهتديت للإسلام».

ثم يمضى قائلا:

«لقد حدث أن قابلت مجموعة من المسلمين، وساعدونى على التعرف أكثر عن الإسلام وتعاليمه ومنهاجه، حتى اقتنعتُ تماماً بالإسلام الذى اعتنقته فى بداية الأمر سراً، ونجحت فى إقناع عشرة طُلاَّب من جامعة «صوفيا» من بينهم فتاتان للدخول فى الإسلام».

ويضيف فيقول:

«إننى أقابل المسلمين فى مكان سِرّىّ لأُطلعهم على خطط المنصّرين وأماكن تحركهم لأساعدهم على إفشالها، وإننى امتنع عن الذهاب إلى المسجد خوفاً من كشف أمرى والانتقام منى، ولكننى فى الوقت ذاته أقوم بالدعوة إلى الإسلام بين أصدقائى الذين أثق فيهم، وخصوصاً أن فرصة اعتناق عدد كبير من «البلغار» الإسلام كبيرة، خاصة أنهم فى الأصل مسلمون قد أُجبروا على الارتداد».

هذا، ويناشد المنصر الكبير السابق «عيسى» دعاة العالم الإسلامى بالتركيز على «بلغاريا» وحل المشاكل المادية التى تقف عقبة فى سبيل الدعوة الإسلامية»[1].

* * *

(١) صحيفة المسلمين الصادرة فى ٩/ ٨/ ١٩٩١ (بتصرف).

مع القس الإنجليزى «جلال الدين لودربرنتون»
الذى أعطى التنصير اهتمامه

ولد ونشأ بين أبوين مسيحيين.... وولع بدراسة اللاهوت وهو فى سن مبكرة، وارتبط بالكنيسة الإنجليزية وأعطى أعمال التبشير كل اهتمامه.

وحدث ذات يوم أن زاره صديق هندى مسلم تحدث معه فى موضوع العقائد المسيحية ومقارنتها بالعقيدة الإسلامية، وانتهت الزيارة، إلا أنها لم تنته فى نفسه، فقد أثارت انفعالاً شديداً فى ضميره وعقله، وصار يتدبر كل ما قيل فيها من جدال، مما دفعه إلى إعادة النظر فى العقائد المسيحية... ويعبر عن ذلك فيقول:

«عندئذ قررت أن أبحث بنفسى، متجاهلاً عقائد الناس، بعد أن أيقنت بضرورة البحث عن الحقيقة مهما طال المدى فى هذا السبيل، ومهما كان الجهد، حتى أصل لمزيد من المعرفة بعد أن قيل إن الإنجيل وتعاليم المسيح قد أصابها التحريف.. فعدت ثانياً إلى الإنجيل أوليه دراسة دقيقة، فشعرت أن هناك نقصاً لم أستطع تحديده.. عندئذ ملك علىَّ نفسى رغبة أن أُفرغ كل وقتى لدراسة الإسلام.... وبالفعل كرست كل وقتى وجهدى له، ومن ذلك دراسة سيرة النبى محمد ﷺ، ولم أكن أعلم إلا القليل النادر عنه، برغم أن المسيحيين أجمعوا على إنكار هذا النبى العظيم الذى ظهر فى الجزيرة العربية.... ولم يمض بى وقت طويل حتى أدركت أنه من المستحيل أن يتطرق الشك إلى جدية وصدق دعوته إلى الحق وإلى الله».

ثم أخذ يكرر هذا المعنى وهو يقول:

«نعم شعرت أنه لا خطيئة أكبر من إنكار هذا «الرجل الربانى» بعد أن درست ما قدمه للإنسانية، وجعل من المسلمين أقوى مجتمع رفيع يعاف الدنايا... إنى غير مستطيع أن أحصى ما قدمه هذا الرسول من جليل الأعمال...»

بعدها تساءل فى ألم ووجوم قائلا:

«أمام كل هذا الفضل وهذا الصفاء.. أليس من المحزن الأليم حقاً أن يقدح فى شأنه المسيحيون وغيرهم؟!

* * *

عشرون قسيساً يعلنون إسلامهم

شهدت القاهرة فى شهر مارس عام ١٩٨١ مشهداً يهز الوجدان بعنف من جلاله وعظمته.. عشرون قسيسا قد أتوا من السودان يتزعمهم القس «چيمس» ليعلنوا إسلامهم بعد فترة قضوها فى التبشير والدعوة إلى الصليبية[١].... يقول زعيمهم «چيمس»:

«كنت أقود أكبر حركة تبشيرية فى الشرق الأوسط ، إذ كنت أشرف على اثنين وعشرين مركزاً للتبشير، وكان يشرف علينا ثلاثة قساوسة من أمريكا والفاتيكان.... وبعد دراستى وتعمقى فى «علم اللاهوت» توثقت علاقتى بالمستشار الثقافى السعودى بالسودان، فكان يفتح لى المكتبة بالسفارة، وكنت أطلع على الكتب الدينية الإسلامية، بعدها طلبت حواراً أنا وزملائى مع رجال الدين الإسلامى... وكان ما طلبنا، وتم الاتفاق على عقد الحوار مع الدكتور محمد جميل غازى، واللواء/ أحمد عبد الوهاب، وكبير قساوسة مصر بالصعيد الذى دخل فى الإسلام منذ فترة والأستاذ خليل إبراهيم خليل.... وبعد ست ليال متوالية من النقاش الحاد اقتنعنا بالدين الإسلامى، ودخلنا فى الإسلام: ثم أردف بعدها يقول:

«والآن، وبعد دخولى فى الإسلام سأقوم بالدعوة إلى الإسلام.. وإذا كان قد دخل فى الدين المسيحى أعداد هائلة على يدى وعلى يد زملائى فى السودان.. فإن اثنى عشر ألفا ينتظروننى ليدخلوا فى الإسلام».

(١) أقيم لهم احتفال حضره ما لا يقل عن ثلاثة آلاف شخص، كما ذكرت بعض الصحف والمجلات الإسلامية.

ثم صمت برهة وهو يهز رأسه مستطرداً فى قوله:

«. . . ولكن نريد مَدَّ يد العون والمساعدة لكى يتعلم هؤلاء أمور دينهم. . . إننى أقول لكم إن «الخواجات» يأتون من أمريكا والفاتيكان وكل بلاد أوربا لكى يقوموا بعمليات التبشير لأديان باطلة. . فلماذا نحن لا نقوم بالدعوة إلى الدين الحق. . الدين الإسلامى «إن الدين عند الله الإسلام».

ثم أضاف قائلا:

«إننى أُحَمِّلُ هذا العبء لكل شاب مسلم، لأن هذا هو دور الشباب، ولأنهم أكثر تأثيراً من غيرهم فى المجتمعات»(١).

* * *

(١) تعليق: ما أعظم أن يستحيل الإيمان بالدين إلى غيرة وحماس يتخذ صورة النداء والرجاء بالدعوة إليه. . فهل لنا ـ نحن المسلمين ـ أن نعتبر، بل نتأسى بمثل تلك الغيرة على الدين التى يحبها الله ورسوله.

كبير أساقفة إفريقيا يشهر إسلامه[1]

اهتزت دوائر التنصير العالمية إثر مفاجأة كبرى شهدتها مدينة «جنيف» السويسرية، إذ أعلن المونسينور «فردريك دولامارك» كبير أساقفة «جوهانسبرج» فى صحن المركز الإسلامى الكبير بجنيف، مؤكداً استعداده للبدء فوراً فى قيامه بالتعريف بحقيقة الإسلام، والعمل على نشر تعاليمه فى أنحاء القارة الإفريقية.

وسادت الدهشة والذهول أركان الكنيسة الكاثوليكية بعد أن أعلن الرجل أنه عندما درس الإسلام وجد صورة أخرى مختلفة للمسيح عيسى عليه السلام مما أحدث فى نفسه أعمق الأثر... وتخشى الكنيسة من تأثر عدد كبير من قادة العمل التنصيرى بتلك المفاجأة، حيث اشتهر «فردريك» برجاحة عقله وإنصافه للحقيقة.

المثير للانتباه أن «فرديرك» قد وصلت غيرته على الإسلام إلى حد التأكيد على ضرورة تطوير أساليب الدعوة والاهتمام بدعمها، حيث إن هناك قصوراً فى هذا الصدد ينبغى معالجته... وقد صرح بهذا المعنى فى قوله:

«من المؤسف حقّاً أن الجهود التنصيرية لا تشكو من أى نقص تنظيمى أو حركى أو مالى أو معنوى، وهذا ما نفتقده عند دعاة الإسلام، فضلاً عن المصاعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

---

(١) إن إسلام كبير أساقفة «جوهانسبرج» يعطى دلالة واضحة على أن نشر الإسلام فى القارة أمر ميسور ومتاح بحكم منطقه الواضح، وتوافقه مع الفطرة، سواء قُدم إلى البسطاء أم إلى كبار المثقفين.

كما أن عدداً كبيراً من دعاة الإسلام ليسوا على مستوى من الإعداد الذى يؤهلهم للقيام بتلك المهمة الخطيرة أمام نظرائهم المبشرين. . . ولذا فإن الواجب الآن يحتم على الهيئات المنوطة بالدعوة الإسلامية أن تعيد النظر فى أساليب عملها ونوعية القائمين بها».

* * *

(١) صحيفة المسلمين فى ١٢/ ٧/ ١٩٩١ (بتصرف).

أحد القساوسة يعود إلي الإسلام بعـد أن ارتـد عنـه فـي صبـاه(١)

يقول هذا القس(٢) الذى هداه الله بالرجوع إلى عقيدة التوحيد:

«نشأت فى البداية نشأة إسلامية إلى أن ألتقى بى نفر من المنصرين، فزينوا لى النصرانية بأعذب الأوصاف التى توافق ذوق فتى فى مقتبل صباه، كنت - حينذاك - فى السابعة عشرة من عمرى، وفارقتُ وطنى إلى بلد آخر للدراسة، فكان أن حللت بالقرب من حارة النصارى، ووجدت نفسى منساقاً فى تيارهم، وعابدا كما يعبدون، وأُجريت لى مراسم القبول الكنسية، وأعطونى اسماً جديداً، ثم حببوا لى دراسة اللاهوت، فدخلت معهداً لهم حيث نلت شهادة فى علوم النصرانية، ومن ثم عُينت راعياً لإحدى الكنائس، وقضيت أربعة عشر عاماً فى منصب قسيس الكنيسة، وبعد ذلك استدعيت لرعاية كنيسة عربية فى بلاد المهجر، وهو العمل الذى أقوم به الآن منذ سبع سنوات.

وقد حدث أن أُتيحت لى فرصة دراسة الإسلام بصورة أعمق، وفى مناخ من الحرية، عندما رأوا أن يؤهلونى - عن طريق دراسة خاصة - للتعرف على الإسلام لكسر شوكته وجذب النفوس إلى حظيرة النصرانية، وكانت الزلزلة

(١) صورة مهداة إلى حركة التنصير.

(٢) لم نشر إلى اسمه لدواعى أمنية قد طلبها من الجهة التى أرسل إليها رسالته، وهى رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بقطر «مجلة الأمة».

التى أعادت إلىّ صوابى وعقلى، وشاء ربك أن يتحول هذا الشر فى داخلى إلى خير جزيل، وأفقت من غيبوبة استمرت نحو واحد وعشرين عاماً. . .

ثم يقول فى موضع آخر من رسالته:

«إن دراستى للإسلام جعلتنى أقف على جملة من الحقائق، قد خلت منها النصرانية، وجعلتنى أدرك ـ عن علم ـ مقدار التفاوت الشاسع بين النصرانية المتبعة والإسلام».

ويختتم رسالته بالقول:

«إن صحوتى هذه تلح علىّ أن أنفصل عن النصرانية، برغم ما أعانيه من عذاب لا يعلم مداه إلاّ الله، لما أواجهه من مشاكل مادية كبيرة، وغضب القسس الكبار فى الهيئة التى أعمل بها، وزوجتى، وضياع استقرار أسرتى. . غير أننى أود أن أساهم بخبرتى فى خدمة الإسلام»[1].

***

(١) هذه مقاطع من رسالة ذكرناها هنا لما لها من أهمية ودلالة خاصة من نُصرة الله لدينه الحق ولو كره الكافرون الذين يحاولون أن يبدلوا نعمة الله «الإسلام» كُفْراً، ولو حرصوا واستماتوا فى حرصهم، فأما الزَّبَدُ فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض.

الفصل الخامس

شخصيات يهودية اعتنقت الإسلام

* مع عميد يهود مصر الذى أسلم وصار غيوراً على الإسلام، وتحمل الإيذاء في سبيل عقيدته.

* مع العالم اليهودي الدكتور «سوسة» الذي اعتنق الإسلام وكشف حقيقة التاريخ المزيف الذى دَوَّنه اليهود.

* مع الجندي اليهودى «رافع شريف» الذى أقيم له مأتما ليتقبل فيه أهله العزاء لخروجه على الديانة اليهودية.

مع عميد يهود مصر «زكى عريبى»
الذى أسلم وصار غيوراً على الإسلام[1]

كأى طفلٍ وُلد «زكى عريبى» وشَبَّ على عقيدة أسرته يهودياً، يزور المعبد ليؤدى الصلاة خلف الحاخام كل سبت، مردداً الدعاء «موعدنا غداً فى أورشليم».

وكان والداه مثلهما مثل سائر اليهود، حريصين على أن ينعزل ابنهما «زكى» عن المجتمع المصرى، فالاختلاط مع غير اليهود - فى عُرفهم - أمر غير محمود، فهم «شعب الله المختار»، وما سواهم لا يستحقون أن يعرفوهم إلا لضرورة قاهرة، ولم تنجح سماحة المصريين المستمدة من قيمهم الإسلامية فى جذب تلك الأقلية اليهودية للاندماج فى المجتمع، برغم أنه كان لليهود وجود اقتصادى فعال، ولكنه وجود كان يُسْتَثْمَرُ لصالحهم فقط، وليس للنهوض بمجتمعهم الذى لم يشعر معظمهم بالانتماء إليه.

وحين بلغ «زكى» السن التى تؤهله للالتحاق بالمدارس، سجله والده فى إحدى المدارس الحكومية، وكانت هذه بداية تعرفه على الإسلام والمسلمين، حيث اتسع محيط معارفه، فلم يعد أصدقاؤه من أطفال اليهود فقط - بل صار له أصدقاء من أطفال المسلمين الذين يشكلون أكثر من ٩٥٪ من شعب مصر.

---

(١) مجلة الفيصل - عدد مارس ١٩٩٣ (بتصرف).

وكان ذهوله شديداً عندما لم يجد بينه وبينهم أية فروق تميزه عنهم، فالأسماء متقاربة، واللغة واللهجة متفقتان، والرغبة فى اللهو والمرح والدرس تتشابه عند الجميع... وقتها أدرك - برغم صغر سنه - أن الله قد خلق الأطفال جميعاً، ولم يفرق بينهم.

وفى المدرسة كان عليه أن يَدْرِسَ النصوص والبلاغة، وآيات من القرآن الكريم، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، فشده إلى كتاب الله ما أحس به من حسن الجَرْسِ، وحلاوة الرنين، برغم أنه لم يكن يستوعب معانيها، فأحب القرآن الكريم، وراح يترقب مواعيد حصة الدين الإسلامى ليشارك زملاءه المسلمين فى الاستماع إلى المدرس وهو يشرح لهم ما تتضمنه آيات الله من معان، وما تحتويه من بلاغة وإعجاز، وكذا فهم معانى أحاديث الرسول محمدٍ ﷺ، وما تتضمنها من مغزى ودلالة عميقة.. ويذكر «زكى عريبى» موقفٍ حَدَثَ فى طفولته، وكان له تأثير كبير فى إشهاره إسلامه فيما بعد.

فقد كان لاهتمامه بحضور دروس الدين الإسلامى أن صار متفوقاً على العديد من أقرانه المسلمين فى أمور دينهم التى يدرسونها، حتى أن مفتشاً من الوزارة سأل التلاميذ يوماً سؤالاً فى الدين، فلم يستطع الإجابة عنه سوى الطفل «زكى عريبى» اليهودى الديانة، فارتسمت الدهشة على وجه المفتش حين مال عليه المدرس هامساً بأن التلميذ يهودى! وقتها شعر الطفل الصغير بالألم لأنه لم يكن مسلماً.

ويذكر «زكى» أيضاً أنه كان مشغوفاً منذ صغره بمطالعة كتب السيرة النبوية والغزوات الإسلامية، وبطولات المسلمين الأوائل الذين كانوا يتسابقون إلى الشهادة فى سبيل الله.... وأنه قد تألم حين قرأ ما فعله اليهود مع نبى الله ﷺ حين عاهدهم فنكثوا عهده، فيعبرعن ذلك بقوله:

«كم بكيت أسىً حين قرأت أن اليهود الذين حَالَفَهُم الرسول ﷺ نقضوا عهده، وأَبَوْا أن ينصروه حين يهاجمه العدو، محتجين بأن هذا الهجوم قد وقع فى يوم سبت».

وقد أتاحت دراسة «زكى» فى كلية الحقوق التوسع فى دراسة جوانب كثيرة من الدين الإسلامى حيث يقول:

«نظرت أول ما نظرت فى العقيدة الأصلية التى يقوم عليها البناء كله، فإذا بها العقيدة الأزلية التى قامت على أساسها عقيدة أبى الأنبياء إبراهيم، ومن بعده إسحاق ويعقوب ويوسف، ثم موسى مؤسس الموسوية الأولى، عقيدة التوحيد المحض الخالصة من الشوائب».

وازداد «زكى» اقتراباً من الإسلام كلما توسع فى قراءاته، فقد لمس فى الشريعة الإسلامية الصدق، لأنها لم تنكر ما قبلها من ديانات، بل جاءت مصدقة ومكملة لها، تعود بها إلى جادة الحق التى أخرجها منها الأحبار والرهبان.

كما أنه وجد فى شريعة الله ديناً وسَطاً، لا يكلف النفس إلا وسعها، ويساوى بين الناس بالحق، فأساس التفضيل فيه التقوى، فالكل سواسية، وهو قبل ذلك وبعده دين يجعل للفقير حقّاً فى مال الغنى، وبذلك بفرضه الزكاة وجعلها ركناً أساسيّاً من أركانه الخمسة، وذلك ليتآخى الناس فى مجمعاتهم.

ويسترجع «زكى» ذكريات حبيسة فى نفسه حين أُعلنت دولة إسرائيل على أرض فلسطين المحتلة، إذ رأى ولمس بنفسه مظاهر الفرحة التى استحوذت على معظم أبناء الجالية اليهودية وهم يتلقون نبأ هزيمة جيش مصر والجيوش العربية الأخرى أمام العصابات الصهيونية المسلحة.. شاهد كيف تحول أبناء جاليته إلى طابور خامس يعمل فى الخفاء ضد مصالح الأرض التى آوتهم حين رفضهم العالم، والشعب الذى أكرمهم حين ساقهم الآخرون إلى غرف الإعدام، فكان نصيبه منهم محاولة تخريب اقتصاده بتهريب الأموال، وطعنه من الخلف حيث كان يتوقع الأمان.

وهكذا بدأت الجوانب الخفية فى النفس اليهودية تتكشف أمام «زكى» وهو يرى أبناء جاليته يُظهرون الحب لأهل مصر جهاراً ويسعون للكيد لهم سراً، وساءه أن يكشف اليهود عن هذا الوجه القبيح حين لاحت لهم الفرصة، وتذكر ـ وهو يشاهدهم يحملون أموالهم وكل ما خَفَّ وزنه وغلا ثمنه ويرحلون إلى فلسطين المحتلة. . وما كان يردده وراء الحاخام وهو صغير فى المعبد: «موعدنا غداً فى أورشليم». . .

رفض «زكى» ومجموعة من أبناء الجالية اليهودية الرحيل عن أرض مصر، وصار بمنزله عميد الجالية، برغم أنه لم يكن أكبرهم سنّاً ولا أكثرهم أموالا. . غير أن الصدمة كانت كبيرة حين أعلن «زكى عريبى» فى أوائل شهر أبريل عام ١٩٦٠ إسلامه، مختتماً بذلك سنوات طويلة من التردد، ظل خلالها يقرأ ويقرأ، ويتصارع فى داخله نداء الحق مع وساوس الباطل التى تدعوه إلى عدم ترك دين أجداده، وأن يبقى فى إطار «شعب الله المختار». . . . ولكن انتصر فى نفسه ـ أخيراً ـ نداء الحق، فنطق بالشهادتين: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله». . . فانهالت عليه اتهامات أبناء جاليته ـ الذين طالما خَدَمَهُم بلا مقابل ـ متهمين إياه بأنه غير صادق فى إسلامه، وأنه إنما فعل ذلك لأسباب تجارية تهدف إلى تحقيق ربح مادى ومغنم دنيوى. . فجاء رده عليهم فى محاضرة ألقاها فى التاسع من شهر مايو ١٩٦٠ بالمركز العام لجميعات الشبان المسلمين بالقاهرة، فقال ساخراً وحازماً:

«إنى لأُشهد الله ثم أُشهدكم أن الأمر تجارة، ولكنها تجارة من نوع معين. . هل تحبون أن تعرفوا سرها وماهيتها؟

إنها التجارة التى يقول الله عنها.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]

***

(١) سورة الصف، الآيتان: ١٠، ١١.

مع العالم اليهودى الدكتور «سوسة» الذى اعتنق الإسلام وكشف حقيقة التاريخ المزيف الذى دوّنه اليهود

ولد «نسيم سوسة» لأبوين ينتميان إلى عائلة يهودية.. قادته دراسة الفلسفة والتاريخ إلى إمعان النظر وتأمل العقل فى معتقداته اليهودية الباطلة، استجابة لنداء الفطرة فى داخله.

وقد بدأ ميل الدكتور «نسيم سوسة» إلى الدين الإسلامى حين كان يدرس فى الجامعة الأمريكية ببيروت، إذ شرع - للمرة الأولى - فى قراءة القرآن الكريم التى امتلكت كلماته فؤاده، وسَرَتْ فى عروقه سريان الدم فى الشرايين، كما يقول.... ولذا أدرك حين قرأه لماذا يشعر اليهودى والنصرانى بالارتياب نحو العديد من نصوص التوراة والأناجيل، فى حين لا يرتاب المسلم لحظة واحدة فى القرآن الكريم... وأن التوراة والأناجيل كتبت فى عصور تالية لنبوة موسى وعيسى عليهما السلام، وقد حرف الأحبار والرهبان ما نزل على هذين النبيين الكريمين من كلمات، بل وتبدلت التوراة وكذا الإنجيل فى أكثر من عصر، فى حين احتفظ القرآن الكريم بكلماته بدون تحريف أو تبديل[1]، وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2].

---

(١) فى طريقى إلى الاسلام: د. أحمد نسيم سوسة (بتصرف)

(٢) سورة الحجر: ٩.

ويتحدث الدكتور «سوسة» عن بدايات خطواته إلى الإيمان، وكيف اتجه بقلبه وفكره إلى تلاوة كتاب الله، وحقيقة الشغف الذى تملكه وهو يتلو كلمات الله التامات فيقول:

«كنتُ أُطْرَبُ لتلاوة آيات القرآن الكريم، وكثيراً ما كنت أنزوى فى مصيفى تحت ظل الأشجار، وعلى سفح جبال لبنان، فأمكث هناك ساعات طوالاً أترنم بقراءته بأعلى صوتى».

وعلى الرغم من انبهاره - كما يذكر - بالإعجاز اللغوى للقرآن الكريم، واهتمامه بالاطلاع على تفسيره إبان فترة دراسته، فإنه لم يفكر جدّياً فى اعتناق الإسلام إلا بعد أن قضى سنوات فى أمريكا، وقرأ فلسفات الأديان، وتوغل فى الموضوعات التاريخية والاجتماعية، ويتوسع فى اطلاعاته ليكتشف حقيقة التاريخ المزيف الذى دَوَّنَهُ اليهود لأنفسهم، محاولين إثباتَ نسبٍ وصِلَةٍ كاذبتين بأقوام وبلاد لم يعرفوهما، وذلك بهدف تحقيق رغبات دنيويةٍ ونزعاتٍ دينية.

ويتعجب الدكتور «سوسة» من تلك الخديعة التى انطلت على العالم، فصدقها باحثون كُثْرٌ أيدوا حق اليهود فى العودة إلى أرض الميعاد، متناسين أن تلك الأرض مأهولة بسكانها الذين لم يكن لهم أدنى ذنب فى تشتت اليهود وكراهية الغرب لهم... وأن دولة الكيان الصهيونى قد لاقت تأييداً من نصارى أوربا وأمريكا، وشيوعيى شرق أوربا، بهدف حصار الدين الإسلامى وزرع «إسفين» فى قلب بلدانه.

وبرغم أن البحوث التاريخية والاكتشافات الأثرية الحديثة قد أثبتت زيف ادعاءات الصهيونية، فإن شطراً كبيراً من الرأى العام فى الغرب اقتنع بها بعد أن أَوْرَدَهَا الباحثون على النحو الذى يُرضى الصهاينة، تملقاً لهم من ناحية، ورغبة فى التخلص من شرورهم من ناحية أخرى.

ثم يمضى الدكتور «سوسة» فى وصف ما وجده فى قراءة القرآن الكريم، وكيف شدته كلماته فى الدعوة إلى التأمل والبحث، وإعمال العقل، وما قرره من مبدأ الأخوة فى الله، والمساواة بين البشر ـ فيقول:

«لقد وجدت نفسى غير غريب عن آيات الله المنزلة، واطمئن قلبى حين لمست أن الاستدلال العلمى يؤيد ميلى الفطرى الصحيح فى داخلى».

وعندما لمس أحد أصدقائه رغبته فى اعتناق الإسلام نصحه بالبعد عن ذلك، ولا سيما أنها جاءت فى فترة تزايد أعداد الملحدين واللادينيين الذين كانوا يرون أن الالتزام الدينى لا يتناسب مع حرية العصر، فكيف يكون الحال والدين الذى يصبو إليه هو الإسلام؟!.. فتأرجحت نفسه بين اتخاذ قراره بإعلان إسلامه أو الامتناع عن هذا القرار الذى قد يُسبب له الكثير من المتاعب... ولكن لم تطل به الحيرة والتردد طويلا حتى اتخذ قراره المصيرى بإشهار إسلامه... بعدها كَرَّسَ جهوده للدفاع عن الإسلام والرد على منتقديه، كما كرس علمه لتقديم الأدلة على فضل الحضارة العربية، وكتب فى هذ الصدد عدة كتب، من أهمها كتابه «العرب واليهود فى التاريخ».

وقد ركز الدكتور «سوسة» فى مؤلفاته على تفنيد ادعاءات الحركة الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية، ولما كان يدرك أن هذه الادعاءات تستند أساساً إلى نصوص مزيفة دَسُّوها دساً فى التوراة، أو العهد القديم كما يسميها النصارى، فقد اهتم بتوضيح تحريف التوراة، مؤكداً أن ما هو موجود حالياً من نصوص بها من صُنْع الأحبار، مشيراً إلى أهمية أن يعمد الباحث التاريخى إلى تفهم تاريخ التوراة على حقيقته.. كيف ومتى دوِّنَتْ؟.. ومن قام بتدوينها؟ إلى غير ذلك من الاستفسارات التى تعين الباحث على استجلاء الحقيقة[1].

---

(١) المرجع السابق (بتصرف».

ومن هنا تعد إسهامات الدكتور «سوسة» ودراساته التاريخية والفكرية بعد اعتناقه الإسلام ذات أثر كبير فى إيضاح جوانب كثيرة من التاريخ الإنسانى، فضلاً عن تصديه للمحاولات الخبيثة للنَّيْلِ من الإسلام وتشويه صورته.

* * *

مع الجندى اليهودى «رافع شريف» الذى تحدى مجتمعه فى سبيل عقيدته الإسلامية

جندى يهودى فى الجيش الأمريكى، بدأت رحلته مع الإيمان منذ أن كان صغيراً لم يتجاوز العاشرة من عمره عندما كان يشعر بالتناقض التام بين ما يدرسه فى المدرسة الأمريكية الكاثوليكية وبين ما كان يتعلمه من والديه اليهوديين فى المنزل... كان إذا لم يذاكر عُنّفَ من أبويه، فإذا بدأ المذاكرة وسمعاه انهالا عليه صفعاً، إذ كيف يقول مثل هذا الكلام الذى يسئ إلى اليهودية؟!.... وعن ذلك يقول:

«نشأت موزعاً بين الديانتين اليهودية التى تُدين بها أسرتى، والمسيحية الكاثوليكية التى كنت أتلقاها فى المدرسة، وأجد معظم أصدقائى يدينون بها... وفى الواقع أنى منذ طفولتى المبكرة وأنا أذكر أن مكانة المسيح التى يعطيها له المسيحيون وموقعه فى الدين كانت تثير فى ذهنى التشويش والاختلاط، ففى المدرسة كان المسيح إلـهاً معبوداً، وكنت أجد زملائى يؤمنون بذلك حقيقة، فإذا ما ذكرت تلك الحقيقة فى البيت كان جزائى الضرب من والدى الذى كان يحرص على الفكر الدينى، وبالتالى كنت أجد فجوة واسعة بين الأسرة والمدرسة، مما حفزنى للبحث عن حقيقة الأديان ودراسة الفروق بينها».

ثم يصمت «رافع» قليلاً ثم يقول:

«عندما تجاوزت مرحلة الطفولة وصرتُ فى حوالى السابعة عشر من العمر، كانت القراءة هوايتى المحببة، وبالذات فى مجال الأديان المقارنة التى استوعبتُ الكثير منها بعد أن قرأت الكثير والكثير عن ديانات ومعتقدات العالم، إلى أن تصادف أن وقعت يداى على نسخة مترجمة من القرآن الكريم، فقرأته، وما إنْ أتممتُ قراءته حتى أدركت أن هذا الكتاب يحمل الإجابة على الكثير من أسئلتى التى لم أجد لها إجابة من قبل، فقد رسم لى منهج حياة وأسلوب عقيدة تجمع بين الحياة والآخرة، كنت أبحث عنها، وأشعر بحاجتى إليها..

كذلك أثار انتباهى مكانة «المسيح» فى القرآن الكريم، فهو رسولٌ، ولكنه بَشَرٌ مثل باقى البشر، تنتفى عنه صفة الألوهية.. هذا التحليل لمكانته وشخصيته حَلَّت لى مشكلة قديمة طالما سألت نفسى منذ طفولتى مَنْ هو عيسى؟».

ولكن هل أعلن «رافع» إسلامه بعد أن وجد ما كان يبحث عنه فى دين الإسلام؟

لا... إنه ينفى اندفاعه إلى الدخول فى الإسلام، فقد كان الأمر عنده يستلزم أن يستغرق فى البحث والدراسة عن الإسلام وماهيته.... فيعبر عن ذلك بقوله:

«لقد استغرقت بعض الوقت فى الدراسة والاهتمام بالإسلام، وبدأت أتعرف على جماعة من المسلمين وألتقى بهم لأعرف أكثر وأكثر عن الإسلام، إلى أن استقر رأيى على الدخول فى الإسلام».

ثم يهز برأسه مؤكداً اقتناعه بالإسلام وهو يقول:

«كان من العوامل التى شجعتنى على اعتناق الإسلام أنى وجدتُ المسلمين الذين تعرفت إليهم يعملون بتعاليم الدين كما ينبغى العمل والتحلى بها...

فى حين أن زملائى وأصدقائى من قبل يرتكبون الحماقات والذنوب فى العطلات الأسبوعية، ويعلنون توبتهم بعد ذلك واعترافهم، ثم يعودون إلى نفس الشئ فى عطلة الأسبوع التالية.. وكنت أشعر بأن هذا نفاق بين الإنسان وربه، فالخطأ خطأ والصواب صواب، فليس هناك ما يبرر ارتكاب الآثام، حتى ولو كان الاعتراف بها أمام بَشَر مثلى دون نية صادقة للتوبة عنها تماماً».

واعتنق «رافع شريف» الإسلام والتزم بالتعاليم الإسلامية.. لقد كان هذا نوعاً من التحدى أمام أهله الذين صرخوا فى وجهه، وسهروا حتى الصباح يبكون ويشكون خيبة أملهم فى ولدهم الشاب الذى يعمل جندياً بالجيش الأمريكى... وقاطعوه، حيث معتقداتهم تقضى بالقطيعة لمن يترك ملتهم، فلقد كان والده يؤمن بأن الإنسان لا يمكنه أن يغير دينه، وأن عليه أن يبقى على دين آبائه وأجداده، خاصة إذا كان من بنى إسرائيل.. وأن من يخرج على الديانة اليهودية يعد ميتاً بالنسبة لأهله، فيقيمون له مأتماً يتقبلون فيه العزاء، وهذا ما حدث بالنسبة له، ولكن ذلك لم يؤثر فى إيمانه بالإسلام كعقيدة ومنهج له فى الحياة.

وصار «رافع» يعتز بإسلامه ويتحلى بسلوكياته.. وعن ذلك يقول:

«إننى أحاول دائماً أن أطبق المبادئ الإسلامية وأكون قدوة لغيرى، حتى لا يعتقد الآخرون أنى غير صادق أقول ما لا أؤمن به... كذلك أقوم بدعوة زملائى للإسلام، فأنتهز فرصة وقت الصلاة يوم الأحد وأحاول إقناع زملائى بعدم الذهاب للكنيسة لأقرأ عليهم بعض الآيات القرآنية وتفسيرها، وما تحويه من معان، ثم نبدأ فى التناقش حول هذه المعانى التى وردت بها، ولكى أشجعهم على البقاء معى كنت أشترى الجرائد اليومية، وأقدم لهم القهوة فى فترة الاستراحة، حتى أجتذب أكبر عدد ممكن منهم إلى جانبى لأحدثهم عن الإسلام[1].

(١) هذا منهج عظيم للاستدراج لتفهم قضية من القضايا المطروحة.

وهكذا حَسُنَ إسلام الجندى اليهودى «رافع شريف» ليصير داعية لدينه الجديد. . . الإسلام الذى يرى فيه أن أنصاره يتزايدون مع الأيام ليصيروا قوة تقود العالم فى المستقبل القريب بمشيئة الله.

* * *

الفصل السادس

شخصيات بوذية اعتنقت الإسلام

* «عمر ميتا» ... «السلام الحقيقي والاطمئنان النفسى لا يكفلهما إلا الإسلام».

* «أحمد سوذوكى»...: «لقد أعجبنى في هذا الدين الجديد بساطته ومرونته ومسايرته لكل وقت وحين، فضلاً عن عظمة مبادئه وتعاليمه».

* «الحاج نستور»...: «إننى فخور - الآن - بأنى مسلم، دينى الإسلام، الذى أدركت أخيراً أنه هو الدين الحق».

* مع الراهب «ساندراموتى»... الذى تحول إلى داعية أخذ على عاتقه مهام الدعوة الإسلامية والتصدى لأساليب التنصير.

* .... وآخــــرون.

شخصيات بوذية تدخل فى الإسلام

لا يشكل المسلمون نسبة كبرى من أبناء اليابان، ومع هذا فإن اليابانيين الذين دخلوا فى دين الله يتميزون بأنهم من الصفوة الممتازة من المثقفين، الذين درسوا الإسلام حق الدراسة، واعتنقوه عن اقتناع وإيمان.

ومن هذه الفئة المؤمنة الآمنة، نقدم هذه الشخصيات اليابانية، وما ذكروه عن أسباب اعتناقهم الإسلام:

*** عمر ميتا[1] الذي يقول:**

«إن غالبية أهل بلادنا بوذيون، ولكنهم بوذيون بالاسم فقط، فهم لا يمارسون طقوس البوذية، بل لا يكادون يكترثون بالدراسة الدينية، وربما كان السبب فى جفوتهم لدينهم أن البوذية تقدم للناس فلسفة رنانة معقدة بعيدة عن المثل العملية، وهى لذلك بعيدة المنال بالنسبة للرجل العادى الذى تشغله أمور حياته الدنيوية، فلا هو مستطيع أن يفهمها، ولا هو قادر على تطبيقها...».

ثم يستطرد قائلا:

«وحدث أن زارت بلادنا جماعةٌ تسمى «جماعة التبليغ الباكستانية» تدعو لدين الإسلام الذى تعرفت عليه، فآمنت به، لأننى وجدته يخلتف عن

(١) هو باحث اجتماعى كرس حياته للوعظ والدعوة إلى دين الله بعد أن اعتنق الإسلام على يد جماعة التبليغ الباكستانية التى زارت بلاده. [انظر مجلة منبر الإسلام ـ عدد يونيو ١٩٧١].

البوذية كل الاختلاف، فتعاليمه سهلة بسيطة واضحة لا التواء فيها، وهى فى الوقت نفسه عملية إلى أبعد الحدود.. فالإسلام ينظم الحياة البشرية فى كل جوانبها، ويصقل التفكير الإنسانى... وإذا ما صلح تفكير الإنسان صلح معه العمل تلقائياً.. ثم إن الرجل العادى يستطيع أن يفهم تعاليم الإسلام، لبساطتها، وسهولة تطبيقها، ولذلك لا نجدها حكراً على طائفة من رجال الدين، كما نرى ذلك فى الأديان الأخرى».

وأطرق قليلا ثم قال:

«إنى لأتوقع أن يكون للإسلام فى اليابان شأن عظيم فى المستقبل، وربما صادفته بعض العقبات والصعوبات، غير أن التغلب عليها غير عسير.

ولتحقيق ذلك أرى من الواجب فى المقام الأول ضرورة بذل جهود كبيرة متواصلة للتعريف بالإسلام وتعاليمه إلى شعبنا الذى يتجه يوماً بعد يوم نحو المادية التى لا يجد فيها سعادته.

يجب أن نوضح لهم أن السلام الحقيقى والاطمئنان النفسى لا يكفلهما إلا الإسلام، لأنه نظام كامل للحياة، يأخذ بيدهم، ويوجههم إلى ما فيه خيرهم فى شتى نواحيها.

فالإسلام هو السلام، وليس بين شعوب الأرض من هو فى حاجة للسلام، أكثر من شعب اليابان[1]... وإذا أردنا السلام الحقيقى، فعلينا أن نؤمن بدين السلام.. السلام مع الناس جميعاً الذى لا يتحقق إلا مع السلام مع الله، ذلك أن الأخوة فى الإسلام مبدأ ينفرد به هذا الدين، وعليه تتوقف سعادة البشرية جمعاء».

* * *

(١) فى الحقيقة أن اليابان ليست أكثر شعوب العالم حاجة للسلام، فهناك من هى أكثر منها احتياجاً للسلام، مثل شعوب الشرق الأوسط التى لا تتخذ من الإسلام نظاماً يحكمها بتطبيق شريعته، بل وكل الشعوب التى لم تتخذ الإسلام منهجاً فى حياتها.

* **أما «على محمد مورى» فيقول:**

«كان لقائى الأول مع جماعة مسلمة فى صحراء قريباً من منطقة «بيكنج»، وقد تأثرت كثيراً بنمط معيشتهم، وسلوكياتهم فى الحياة التى كانت تتسم بالتقوى والصلاح. . . . . وكان هذا الأثر يزداد فى نفسى عمقاً كلما تعمقت فى معرفة طبيعتهم وأحوالهم. . .

وأخذت أقارن بين أوضاعنا ـ نحن اليابانيين ـ الذين ندين بالبوذية التى ليس منها جدوى، بل أنها ذات تأثير مضلل فى صفوف المجتمع بعد أن استشرى فيها الفساد، بين أوضاع تلك الجماعة المسلمة، فوجدت أنهم خير وأفضل منا بكثير. . . فتعرفت على تعاليم الإسلام، فوجدتها الحل الذى طال البحث عنه، ولا سيما فى مبدأ الأخوة فى الإسلام الذى ينال منى كل إعجاب، فالمسلمون الحقيقيون كلهم أخوة. . يأمرهم الله أن يعيشوا فى سلام وأن تسودهم روح الأُلفة».

ثم يستطرد فيقول:

«إننى مؤمن بأن هذا الطراز من الأخوة الحية هو أشد ما يفتقر إليه العالم فى يومنا هذا. . . إننى أتطلع ويحدونى الأمل الكبير أن يأتى اليوم الذى تضفى فيه روابط الإسلام روحاً جديداً على المسلمين فى العالم، من كل حدب وصوب، وأن تعود هذه الرسالة الربانية لتملأ مسامع الدنيا من جديد، وأن تسود كل بقاعها، فيصبح بها كوكبنا الأرضى جنة نعيم، تغمر فيها السعادة الحقة خلق الله جميعاً ، بالغين فى ظلها ما يريد الله لهم من كمال الحياة بشطريها المادى والروحى».

* * *

* **الدكتور شوقى نوتاكى:**

طبيب يابانى مشهور، تَعلَّقَ بدراسة الإسلام منذ ما يزيد على عشر سنوات، حتى اقتنع تماماً بمبادئه وتعاليمه وآدابه، وقد استشعر بسمو روحه أثناءها، فلم يملك إلا أن يعتنق الإسلام. . ويعبر عن ذلك بقوله:

«لقد اكتشفت بعد تركى للديانة البوذية بعالم واسع فيه سمو للروح . . فقد شعرت لأول مرة بمعنى الحياة وحلاوتها» .

ومن الطريف الرائع أن يصير «نوتاكى» ـ بعد اقتناعه للإسلام ـ داعية إسلامياً يدعو إخوانه من اليابانيين إلى الدخول فى دين الإسلام بعد أن يوضح لهم مبادئه وتعاليمه، والهدف من الإسلام كرسالة أنزلها الله تعالى على نبيه محمد ﷺ. . . . حتى أنه فى أشهر قليلة قد دخل الإسلام على يديه نحو ثلثمائة يابانى[1].

* * *

* «**هيروشى سوذوكى**» [**أحمد سوذوكى**] :

فى اليابان حيث الديانة البوذية ـ وُلد «سوذوكى» من والدين يعتنقان البوذية غير أن والده اعتنق الإسلام عندما كان فى إندونيسيا . . وعن ذلك يقول سوذوكى :

«إن اليابان دولة لا تعرف الأديان السماوية، فهى تدين بالبوذية، وقد كان والدى يعتنق البوذية حينما ولدت، ولما بلغت الرابعة من عمرى سافر والدى إلى إندونيسيا ومكث هناك عشر سنوات، ثم اعتنق الإسلام بها . . وعندما عاد إلى اليابان أحضر معه كتباً كثيرة تتحدث كلها عن الإسلام، فضلاً عن القرآن الكريم . . . ولم يخبرنى أبى بإسلامه جرياً على العادة السائدة فى اليابان . . فإن الذى يعتنق ديناً جديداً لا يجهر به، ولكنى كنت أراه وهو يصلى، وأسمعه وهو يقرأ القرآن، فتأخذنى هيبة مما أسمعه وجلالة فأقف مشدوهاً، وإنْ كنت لا أفهم المعنى، ولكنَّ إحساساً خفيّاً بانجذابى لهذا الدين يسيطر على حواسى، فأخذت أقرأ الكتب لأكتشف ذلك السر الدفين» .

ثم أردف يقول :

---

(١) المرجع السابق (بتصرف).

«الغريب أن أبى لم يحاول أن يؤثر علىَّ لأعتنق هذا الدين الجديد. . . بل تركنى وشأنى، فأخذت أقرأ كل ما تقع عليه عيناى من تلك الكتب التى كُتبت بأقلام عربية باللغة الإنجليزية».

ثم سكت برهة وقد سرح بخياله، ليعود بعدها ويقول:

«لقد أعجبنى فى هذا الدين الجديد ـ الذى جذب قلبى وعقلى إليه. . بساطته ومرونته ومسايرته لكل وقت وحين، فضلاً عن عظمة مبادئه وتعاليمه، وإمكانية الامتثال بها من غير تكلف أو مشقة، فالنفس الصادقة مع نفسها تؤمن بتلك التعاليم فى سرعة منقطعة النظير». .

وعاد يستكمل حكايته وكيف اعتنق الإسلام فقال:

«. . . . عندما بلغت سن السادسة عشرة من عمرى، شعرت أن قلبى قد امتلأ بحب الإسلام، ولكن ينقصنى من يشرحه لى، حتى قيض الله لى أحد المسلمين باليابان، فاستضافنى فى داره ثلاثة أشهر، علمنى فيها الصلاة، وشرح لى أحكام الإسلام، وأفهمنى معانى القرآن الكريم. . . بعد ذلك أشهرت إسلامى، وتسميت باسم أحمد».

ويختتم حديثه قائلاً:

«وبرغم أننى تعملت الكثير عن الإسلام، فإننى فى أمس الحاجة لكى أتزود من تعاليم الإسلام، وأرتوى من نبعه الفياض، فالإسلام ـ أراه ـ بحراً واسعَ المدى، يقصر الطرف عن إدراك منتهاه، ومهما بلغ الإنسان من العلم والمعرفة به فلن يصل إلى أقصاه، ولذا فإننى فخور بأنه دينى».

* * *

***«سيكى هيى سايتو» [عبد الكريم سايتو]:**

ولُد فى اليابان من والدين يعتنقان البوذية. . . وهناك درس فى جامعة «تاكوسوكو». . وبعد أن انتهى من دراسته سافر إلى أفغانستان ليعمل فى

السلك الدبلوماسى فى سفارة بلده بها.. ومكث فى أفغانستان عدة سنوات.. كانت هى نقطة تحول بالنسبة له، والتى يعبر عنها قائلاً:

«مكثت فى أفغانستان عشر سنوات.. كانت هى نقطة التحول فى تاريخ حياتى.. كانت هذه المدة التى عشتها بين مسلمى أفغانستان كافية بأن تجعلنى أحس بأن الفرق بين دينى ودينهم فرق شاسع، فهم يعيشون فى نور وأنا أعيش فى ظلام.. فهم يعيشون فى الحق وأنا أعيش فى الباطل.. هم يعيشون تحت سقف الهداية وأنا أعيش فى الضلال.... ولذا فإننى أحسست برغبة شديدة فى التزود من هذا الدين ومقارنته، فأخذت أدرس وأتفقه فى هذا الدين طوال مدة إقامتى».

ثم يصمت ليلتقط أنفاسه التى تلاحقت وهو يتحدث بإنفعال الحماس ليقول بعدها:

«واتصلت بالعلماء المسلمين هناك الذين أرشدونى وأخذوا بيدى إلى طريق الهداية والنور، فآمنت بهذا الدين الحنيف، ولكنى كتمت ذلك سراً فى نفسى، خوفاً من بطش الإمبراطور «هيروهيتو» الذى ينتشر دينه فى اليابان.... دين عبادة الشمس[1]، الذى لم يتمكن أحد من معاداته أو الجهر بدين آخر وقتئذ[2]... فظللت أتستر على نفسى وأدرس الإسلام سراً... وقتها أكتشفت أموراً كثيرة كنت أؤمن بها، فصرت الآن أكفر بها... فقد اكتشفت أن الشمس ليست إلهاً، وليس القمر إلهاً، وليست البوذية ديناً.. كل ذلك كفرت به.. وآمنت أن الدين الحق هو الذى يعبد إلهاً واحداً هو الله».

ونظر بعيداً إلى السماء بوجه حالم وهو يتلو قول الله تعالى:

---

(١) كان هذا الدين قبل الحرب العالمية الثانية ـ منتشراً فى اليابان، ولكنه بدأ يتقهقر أمام الأديان السماوية والمذاهب المختلفة.

(٢) أى: فى فترة الخمسينات.

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[1].

ثم أطرق رأسه وهو يواصل حديثه قائلا:

«الدين الصحيح هو الذى يقول:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

هذا هو الدين الحق.. أما ما كنا عليه، فليست عبادة.. أنها ضلال وكفر.. وكيف لا، وإلهنا لا يحيى ولا يميت، ولا يخلق ولا يفعل شيئاً، ولا حول له ولا قوة؟!... أما الله سبحانه وتعالى الذى آمنت به، فهو الله الذى لا إله إلا هو، الحى القيوم، المبدئ، المعيد، العزيز، الغفور، الكريم الحليم».

ثم أردف ـ بعد ذلك قائلا:

«اقتنعت بهذا الدين، وبآيات القرآن الكريم التى فيها هدى وبشرى للمؤمنين... لقد وجدت فى القرآن الكريم أموراً كثيرة يعجز الإنسان عن الإتيان بها، فهى من لَدُن عزيز حكيم».

وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية، وضعفت سطوة ونفوذ الإمبراطور «هيروهيتو» رجع «سايتو» إلى اليابان، وهو يشعر برغبة جارفة لدعوة الناس إلى دين الحق.. الإسلام.. بعد أن أعلن إسلامه علانية وجهاراً.... فأخذ يعقد الندوات التى يشرح فيها ما تعلمه وعرفه عن الإسلام.. وتطلب الأمر

(١) سورة الإخلاص.

(٢) سورة يونس ـ الآية الثالثة.

أن يترك العمل فى السلك السياسى، فتركه مقتنعاً برسالته فى تبليغ رسالة الإسلام لإخوانه وذويه وأهل بلده، مما أثمر جهده عن إسلام العديد من البوذيين فضلاً عن إسلام عائلته جميعاً.

وظل «سايتو» فى رسالته نحو دينه الذى ارتضاه لنفسه ولبنيه وعشيرته وأهل وطنه حتى صار يرعى نحو ثلاثة آلاف مسلم باليابان.. يعتنى بأمرهم ويحاول الاستزادة منهم ابتغاء مرضاة الله تعالى... إنه يعتز بإسلامه الذى يجمع المسلمين فى أمة واحدة مهما تباعت أوطانهم، فيقول فى نهاية حديثه:

«الإسلام لا يعرف الحدود.. وأمتنا الإسلامية أمة واحدة مهما بعدت الأوطان، وقد صدق الله العظيم حينما عظم الإسلام والأمة الإسلامية بقوله:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1].

فحمداً لك يا ربى على هدايتك لى وللذين يهتدون بدينك فيكونون لك عباداً صالحين مجاهدين فى سبيلك».

* * *

* **محمد سليمان تاكيوتشى:**

عندما سُئل: لماذا أصبحت مسلما؟.... ابتسم فى اعتداد قائلاً:

«أعجبنى فى الإسلام ثلاثة أمور:

* الأخوة فى الإسلام وما فيها من قوة دافعة.
* حلوله العملية لمشاكل الحياة.
* ما يحققه من تآلف من الناحيتين المادية والروحية فى الحياة البشرية.

ثم استطرد يوضح ما أَجْمَله وأوجزه قائلا:

---

(١) سورة آل عمران ـ من الآية: ١١٠.

«الأخوة فى الإسلام لا تعترف بفوارق أو حواجز من موطن أو سلالة، فهى تجمع بين سائر المسلمين فى جميع أنحاء العالم.. والإسلام دين الفطرة، ولهذا نجد فى مرونته ما يناسب حاجات الناس على تباينهم فى كل العصور.. وهو ينهج منهجاً اجتماعياً لإنقاذ البشرية من الضياع... إن لى إلماماً بالبوذية والمسيحية، وكلاهما يدعوان إلى إهمال الروابط الدنيوية، ويحضان على الهروب من المجتمعات البشرية، فتجد بعض طوائف البوذيين يقيمون معابدهم على سفوح الجبال، حيث لا يستطيع الإنسان الوصول إليها إلا بمشقة وعنت.

وهناك أمثلة كثيرة فى حياة اليابانيين الدينية، إذ يجعلون «الرب» بعيداً عن متناول عامة الناس وكذلك الحال مع المسيحيين الذين يقيمون أديرتهم فى أماكن نائية منعزلة، وكلتا الطائفتين يفصلون بين الحياة الدينية والحياة البشرية العادية... فى حين نجد إسلامنا على النقيض من ذلك، فالمسلمون يقيمون المسجد فى قلب القرية أو المدينة أو فى الأحياء التجارية الآهلة بالسكان.. فالإسلام يحض على صلاة الجماعات، وعلى رعاية صالح المجتمع، باعتبار أن ذلك جزءٌ من الدين».

ويصمت ليتابع حديثه المفعم بالإعجاب بدين الإسلام وهو يقول:

«الإسلام يقدر أهمية كل من الجانبين المادى والروحى فى الإنسان، ويضع كُلاًّ منهما فى موضعه الصحيح، وعلى هذا الأساس تقوم فلسفته التى تتناول جميع نواحى الحياة البشرية.. لقد أدركت ـ وأنا رجل حديث عهد بالإسلام ـ أن الإسلام دين الأخوة، على أساس من العقيدة والعمل»[1].

ثم أظهر مدى احتياج اليابان للإسلام مثل غيره من شعوب العالم فقال:

«لقد تغير المجتمع اليابانى تغيراً كلياً نتيجة للثورة التكنولوجية وما تمخض عنها من صبغ الحياة بالأساليب المادية، ونظراً لفقر البلاد فى موارد الثروة

---

(١) لماذا أسلمنا ـ الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

الطبيعية، فإن على الشعب أن يعمل جاهداً ليل نهار حتى يستطيع تغطية نفقات حياته، والمحافظة على مستواه المعيشى، وعلى ذلك فنحن فى شغل دائم لتلبية المطالب المادية فى حياة لا أثر فيها للناحية الروحية.. فليس للشعب اليابانى دين، ولكنه يقتفى أثر المادية الأوربية، ولعل هذا هو الذى يزيد الجفاف الروحى لديه.. ومن هنا كان احتياجنا للإسلام الذى يوازن بين الجانبين الروحى والمادى للحياة الإنسانية.. والإسلام وحده هو القادر على ملء الفراغ الروحى لليابانيين.. ولو أن خطوات جادة اتخذت للدعوة إلى الإسلام فى اليابان فى الوقت الحاضر، فإنه لا يمضى جيلان أو ثلاثة حتى يدخل الشعب كله فى هذا الدين، ويكون ذلك من أكبر النعم على البشرية فى هذه المنطقة من العالم»(١).

* * *

*** الدكتور أبو بكر جونج سون كيم:**

تعرف على الدين الإسلامى الحنيف فى بلد بعيد عنه.. فى كوريا الجنوبية، بعد أن سمع عنه من صديقين كوريين مسلمين، فضلاً عن مشاهداته واختلاطه ببعض التجار والعاملين بالمؤسسات الإسلامية.... ولذلك فهو يقول عن أسباب ملابسات اعتناقه للإسلام:

«لقد اعتنقتُ الدين الإسلامى الحنيف فى عام ١٩٦٢... ويرجع السبب فى إسلامى إلى الصديقين الكوريين المسلمين، وهما «سليمان لى» ـ وكان رئيساً لاتحاد مسلمى كوريا الجنوبية ـ و «صبرى سو» ـ وهو عالم إسلامى كتب الحديث الشريف باللغة الكورية... فقد تعرفت منهما على الإسلام ومبادئه السامية، ووحدانية الله سبحانه وتعالىٰ.... ووجدت أن أصول الإسلام أبسط وأوضح.. كما وجدت فى الدين الإسلامى ما يؤكد على أن الوحدانية لله تعالى».

(١) نوجه هذا الكلام للمسئولين فى مجال الدعوة الإسلامية بالخارج.

ثم أضاف قائلا:

«منذ أن أسلمت وأنا أشاهد الأخوة والمحبة والمساواة بين المسلمين بعضهم البعض، من التجار والعاملين بالمؤسسات الإسلامية وغيرها، من الذين حضروا إلى كوريا الجنوبية... لقد وجدتهم أيضاً يبذلون قصارى جهدهم مادياً ومعنوياً فى سبيل نشر الإسلام.. وهذا الحب والإخلاص الموجود بينهم - برغم اختلاف أجناسهم وبلادهم ولغاتهم - جعلنى أحب الإسلام والمسلمين، ودفعنى إلى التمسك به أكثر... بل جعلنى أدافع عنه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً».

وعندما سُئل الدكتور أبو بكر جونج عن أهم شئ استرعى انتباهه فى عقيدة الإسلام... أجاب بنبرة سعادة تكشف وتعكس مرآة نفسه فقال:

«إن أعظم ما جاء به الإسلام هو دعوته للوحدانية من أنَّ لا إله إلا الله، خالق الكون بما فيه من كائنات ومخلوقات لا تتأتى إلا من إله قادر واحد بلا شريك، كما أن صفاته لا يحدها زمان ولا مكان، فهو أعظم من أن يحده حد معين... ولذلك فما جاء به الإسلام قد لقى فهماً وقبولا لدى طبقة المثقفين، وخاصة التى رفضت دعاوى التثليث والشرك، بالإضافة إلى مبدأ الأخوة والمساواة الذى نادى به الإسلام، والذى لقى صدىً واسعاً عند الكوريين الذين تفهموا تعاليمه ومبادئه، بعد أن عانوا كثيراً من تفرقة الأجانب وتمايزهم عليهم، بدليل انتشار المساجد الآن فى جميع أنحاء كوريا الجنوبية، وإقبال الكوريين على الدخول فى الإسلام الذى وجدوا فيه بساطة المنهج والتكاليف، مع عظمة التأثير فى السلوكيات التى تصبغ من يؤمن به»!

* * *

* الحاج محمد يون[1]:

ولد فى كوريا الجنوبية.. وتعلم فى جامعة يابانية حيث يدرس الأدب

(١) إمام المسجد فى سيول العاصمة الكورية الجنوبية، ورئيس اتحاد المسلمين الكوريين.

الياباني. . . مهدت له ظروف الدراسة أن يتعارف على مسلمين كانوا يعيشون في اليابان. . . أمدوه بكتب عن الإسلام مترجمة عن العربية ويذكر من أسماء تلك الكتب كتاباً اسمه «القرآن» يشرح فقط معنى كلمة القرآن ويعرف به. . . وشعر بحاجة إلى أن يعرف شيئاً عن هذا الدين الذى جاء بهذا الكتاب. . فأخذ يبحث فى الكتب التى تتناول الإسلام حتى وصل لمبتغاه الذى يعبر عنه قائلا:

«لقد علمت بأن عقيدة الإسلام تقوم على الإيمان بأن الله واحد. . وهذه القضية لفتت انتباهى واستحوذت على تفكيرى وأثرت فىّ تأثيراً كبيراً»

وبعد تخرجه من الجامعة فى اليابان ذهب إلى الصين ليعمل هناك، فوجد فى الصين مساجد، وبدأ يعلم عن الإسلام أكثر فأكثر. . . وعن تلك الفترة التى قضاها فى الصين يقول:

«كانت الفترة التى قضيتها فى الصين بعيدة التأثير فى حياتى من الناحية الإسلامية، حيث التقيت بأحد المسلمين من عائلة «تن تاى وا» الذى شجعنى كثيراً على دخول الإسلام. . إلا أننى كنت ما زلت أفكر فى ذلك الأمر».

وبعد عودته لكوريا حيث وقعت الحرب العالمية الثانية زار معسكراً للجنود الأتراك الذين جاءوا إلى كوريا لقتال الشيوعية، مما ساعده أكثر على التعرف على مزيد من مبادئ الإسلام وتعاليمه. . وعن ذلك يقول:

«بدأت أحرص على معرفة هذا الدين الذى يعتمد فى نشره على الكلمة اللطيفة، والمعاملة الحسنة، وعدم الإكراه فى دخوله، حتى كانت قناعتى تامة فآمنت به، وأعلنت إسلامى».

ثم يبتسم وهو يشير بقبضة يده فى سعادة قائلا:

«أنا الآن أقوم بالدعوة إلى الإسلام، ودخل عدد من الناس الإسلام على يديَّ، لذلك أشعر بالسعادة تغمرني.

* * *

* **«نستورجرميو» : [الحاج نستور] :**

فى «تايلاند» بلده التى ولد بها سمع عن الإسلام.. كان وقتها طالباً فى مدرسة دينية محلية أعده أهله ليكون داعية دينيّاً على حسب معتقداتهم التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، والتى كانت تكره الإسلام وتصفه بأنه دين وثنى ينحط بالإنسان ولا يهيئ له حياة كريمة.

حتى كان ذات يوم.... نتركه هو يروى أحداثه فيقول:

«خرجت من مدرستى وفى يدى حقيبة ضمت كتب الدين التى تطعن فى الإسلام وتشوه معالمه... وإذا بى أشاهد فى الطريق أحد دعاة الإسلام، وقد تجمع الناس من حوله يخطب فيهم شارحاً لهم رسالة الإسلام ومبادئه، فساءنى ذلك للوهلة الأولى، حرصاً على عقيدتى... ولكن برغم ذلك اقتربت منه لكى أرد عليه وأفسد عليه الجو الذى هيأه من حوله، وأحاول أن أقنع الناس أن ما يسمعونه منه إنما هو تزييف وأباطيل.... ولكن وجدت نفسى أقف لأستمع إليه وأتتبع بعمق كل ما يقوله هذا الداعية، لعلى أصادف فى كلامه الثغرة التى أدخل منها... أو نقطة الضعف التى اندفع من ورائها مهاجماً... ولكن الذى حدث أنى استمعت حتى النهاية.. نهاية حديثه، ومضيت إلى بيتى متأملاً مفكراً فيما قاله هذا الرجل الداعية المسلم... ولم أنم تلك الليلة.. أخذت أقارن بين ما كتب عن الإسلام وبين ما سمعت... ومن هنا بدأت أفكر فى الإسلام تفكيراً آخر.. وكانت النتيجة آخر ما أتوقع فى حياتى... وجدت نفسى تنجذب إليه بعد أن رأيته واضح المبادئ، قوى الحجة، قريباً من الفطرة، لا تعقيد فيه ولا مشقة، لا يجهد الفكر، ولا يرهق المشاعر..

وفى اليوم التالى تلمست الداعية المسلم حتى وجدته، وأخذت آستوضحه بعض الأمور فى الإسلام الذى كان من جرائه أن آمنت بالإسلام ديناً . . . وبطبيعة الحال انقطعت عن الدراسة فى المدرسة، وعلم المسئولون فيها باتجاهى الجديد الذى لم أستره، فحاولوا إغرائى بكل الوسائل، ولكن هداية الله تعالى لى كانت أقوى من كل إغراء . . ».

ثم يختتم قوله:

«ومنذ ذلك الحين وأنا أتعمق فى دراسة الإسلام من مصادره الأصلية ـ القرآن الكريم، وأحاديث النبى محمد صلى الله عليه وسلم . . فلقد قرأت ترجمة إنجليزية لمعانى القرآن الكريم زادتنى معرفة وتمكناً وإيماناً به . . وبالمثل قرأت ترجمة إنجليزية لأحاديث الرسول العظيم».

ثم يهز رأسه باعتداد وفخر قائلا:

«لقد أصبحت منذ ذلك الوقت حريصاً على أداء شعائر الدين، والالتزام بطاعة الله فى كل ما أمر به، والبعد عن كل ما نهى عنه، لأن الله معى فى كل وقت يرانى ويطلع على أحوالى . . . إننى فخور ـ الآن ـ بأنى مسلم دينى الإسلام الذى أدركت أخيراً أنه هو الدين الحق».

* * *

مع الراهب والزعيم السياسى «ساندراموتى» الذى تحول إلى داعية إسلامى(١)

ولد الطفل «ساندرا موتى» لأبوين فقيرين ينتميان إلى طائفة «التاميل» التى تدين بالبوذية وتعيش فى إحدى قرى «سيريلانكا».

كان أبوه وأمه يمارسان طقوس العبادة أمام الآلهة المزعومة التى نسجتها خرافات وأوهام الكهان وغزت بها عقول البسطاء من أجل السيطرة عليهم وابتزازهم ليثرى الكهنة ويزدادون ثراءً، ويشتد فقر الفقراء.

كان «ساندراموتى» يقف وَجلاً أمام تلك التماثيل، لكنه وجل الخائف من أشكالها البشعة، وليس وجل المؤمن بها، إذ لم يستطع أن يقنع نفسه أن بمقدور هذه التماثيل أن تحقق له أو لغيره ما يريد من طموح، أو تدفع عنه أذى، فهى مجرد أحجار صنعتها يد الإنسان، ثم عبدها صانعها بعدما أمعن فى إجلالها وتوقيرها.

وتأمل «ساندراموتى» فى تعدد عبادات البوذيين، والأشكال القبيحة التى تتخذها تماثيلهم، وقارن بينها وبين ما يقوله المسلمون عن إلـههم الذى ليس كمثله شئ فهو واحد أحد لا يمكن أن يُشَبَّهَ بمخلوقاته.

وتساءل فى نفسه: قد يكون «بوذا» فعلاً رجلاً زاهداً وصاحب تعاليم،

---

(١) مجلة الفيصل ـ عدد ديسمبر ١٩٩١ (بتصرف).

لكنه لا يمكن أن يرقى إلى مستوى الإله، فالكون موجود قبل أن يوجد «بوذا»، ولا يزال موجوداً بعد رحيله.

كانت تلك الأفكار تدور فى عقل «ساندراموتى»... ولم يكد يبلغ الثالثة والعشرين من عمره حتى كان قد قرأ العديد من كتب الفكر، فضلاً عن سيرة الرسول محمد ﷺ.

وبدأت نفس «ساندرا موتى» تميل إلى قراءة الكتب الإسلامية التى توضح حقيقة العقيدة الإسلامية وكونها شريعة للناس كافة لا تختص بزمان أو مكان..

وأخذ «ساندراموتى» يقارن بين ما قرأه عن الإسلام وسيرة الرسول ﷺ، وما يمارسه قومه من طقوس وثنية، وما ينتهجونه فى حياتهم من ارتكاب للفواحش وعدم التفريق بين الحلال والحرام... ولم يفته أن يتأمل ما يتميز به الإسلام - كشريعة - من تنظيم دقيق لعلاقة العبد بالعبد، وعلاقة العبد بربه، تلك العلاقة التى تتم مباشرة بدون وساطة أو كهانة، ويتساوى فيها الغنى والفقير، فمقياس الصلاح والقبول ليس بمدى مقدرة المرء على التبرع للمعابد، وإنما بمدى تقواه وإخلاصه لربه.

ولم يطل به الأمر طويلا، إذ أن روحه كانت قد تشربت مبادئ الدعوة الإسلامية، برغم أنه كان فى فترة من فترات حياته راهباً بوذيّاً، ولم يكد يبلغ عامه الرابع والثلاثين حتى جهر بإسلامه، وحرص على أن يضيف إلى اسمه اسماً إسلاميّاً فتسمى باسم «ساندراموتى محمد أبو بكر».

وانطلق يُحدث أسرته وأقاربه وأصدقاءه عن الإسلام وفضائله، حريصاً على هدايتهم إلى سبيل الرشاد، وما هى إلا فترة وجيزة حتى استطاع أن يكون سبباً فى هداية شقيقه وشقيقته، ثم والديه، وتلاهم والد زوجته،

وجدته، وزوجته وأبناؤه جميعا، ولم يشذ عنهم سوى شقيقين له أبيا أن يتركا الضلال، حيث أنهما عضوان فى «حركة نمور التاميل»[1].

والجدير بالذكر أن «ساندرا موتى محمد أبو بكر» لم يكتف باعتناقه للإسلام وإنما أسهم فى إنشاء «حزب المؤتمر الإسلامى» الذى يعد أول حزب إسلامى فى بلاده، كما قام بتأسيس منظمة اجتماعية لخدمة المسلمين، تبعها بإنشاء منظمة أخرى لهذا الغرض.

واستطاع «ساندرا موتى» أن يغزو المجال السياسى ويفوز بعضوية البرلمان بين ذهول الجميع، وذهول أشقائه الذين لم يتوقعوا فوزه الساحق، وذلك من أجل رفع الغبن والظلم عن مسلمى سيريلانكا، فضلاً عن تبنى قضايا المسلمين وغيرهم من الأقليات التى لا تجد من يتحدث عنها.

وهكذا صار الداعية المسلم الذى أخذ على عاتقه مهام الدعوة الإسلامية، ويتصدى لأساليب التنصير التى يقوم بها المنصرون بين أوساط المسلمين، مستغلين عاملى الفقر والجهل، ولذا فهو يدعو إلى زيادة عدد المراكز الإسلامية الموجودة فى بلاده، وخاصة أن «سيريلانكا» بحكم موقعها من الممكن أن تصير مصدر إشعاع للدعوة الإسلامية فى منطقتها.. كما يدعو إلى ترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغة السيريلانكية والإنجليزية، والتوسع فى برامج تعليم اللغة العربية لمسلمى بلاده كى يمكن أن يتحول هؤلاء إلى دعاة يشرحون مبادئ الإسلام لقومهم[2].

وفضلا عن ذلك كله يطالب «ساندرا موتى» بضرورة مساعدة حديثى العهد بالإسلام، إذ أن هؤلاء الذين يعتنقون الإسلام يتعرضون لضغط هائل

(١) هى حركة متطرفة تمارس أبشع ألوان الظلم والتنكيل من قتل وحرق وتشريد واغتصاب ضد المسلمين

(٢) المرجع السابق (بتصرف).

من أجل ارتدادهم عن الإسلام، أقله فقدان مورد الرزق بالطرد من العمل، ولا سيما أن البوذيين يسيطرون على مناحى الحياة كافة.

ويتساءل: إذا كان أثرياء النصارى يقدمون لدعم كنيستهم وحركات التنصير المبالغ الطائلة، فلماذا لا يقوم أثرياء المسلمين بواجبهم فى دعم نشاطات الدعوة الإسلامية[1]؟!

ومن الجدير بالإشارة أنه فى «سيريلانكا» لا يوجد شخص يحتفظ باسمه القديم إذا ما فكر فى تغيير اسمه لاسم جديد، فالناس لا يقبلون ذلك، ولكن «ساندرا موتى» فكر فى مقاومة هذه العادة - كما يقول - وقرر الاحتفاظ باسمه البوذى التاعيلى «ساندرا مورتى» التى تعنى الزعيم الرائع، ولذا فإن اسمه الآن هو «ساندرا مورتى محمد أبو بكر» ويعبرعن ذلك بقوله:

«لقد قصدت من الاحتفاظ بالاسم البوذى خدمة الإسلام والتعريف به، فهذا الاسم لشخص بوذى ولكنه مسلم، وهذا مما يثير فيهم الكثير من التساؤلات عن الأسباب التى دعت أحد البوذيين لدخول الإسلام[2].

وهكذا نرى أن نور الإسلام باق يشع فى كل مكان، لا يستطيع أحد أن يطفئه ولو كره الكافرون، فهذا الراهب البوذى الذى كانت نفسه ممتلئة بالحقد الدموى الذى يقوده «نمور التاميل» ضد المسلمين يصبح داعية ومناصراً لهم ضد أهله، ثم يثق المسلمون فيه فيمنحونه أصواتهم ليدخل البرلمان مدافعاً عن قضايا الإسلام والمسلمين فى بلد البوذيين.

إنها قصة أخرى من قصص الإيمان وانتصار الحق تدعونا أيضا لمزيد من الايمان.

* * *

(١) المرجع السابق (بتصرف).

(٢) صحيفة المسلمين فى ٢٨/ ٦/ ١٩٩١ (بتصرف).

الفصل السابع

مواقــف... وتقاريــر

* بعد مناظرة علمية خمسة قساوسة يشهرون إسلامهم.

* مناظرة بين قسيس وداعية مسلم.

* طالب علم أسترالي يصرخ في مؤتمر علمي وهو يضرب بقبضة يده علي الطاولة أمامه قائلا: «أية حقيقة أَسْمَى من هذه الحقيقة ؟» .

* ليلة زفافي فاجأنى عريسى بأنه مسلم.

* الكنيسة الأثيوبية مذعورة.

* ٢٠٠٠ جندى أمريكى أشهروا إسلامهم أثناء الأزمة فى الخليج.

* ..... ومواقف وتقارير أخرى.

* **بعد مناظرة علمية.. خمسة قساوسة يشهرون إسلامهم:**

أشْهَرَ خمسة قساوسة إسلامهم.. وذلك بعد مناظرة استمرت ثلاثة أيام بينهم وبين جماعة من الدعاة المسلمين... وتمت هذه المناظرة بأسلوب علمي.. وقد دارت حول الإسلام وأحكامه وعلاقته بالإنسان. واستخدم فيها منهج المقارنة بين الإسلام والديانات والعقائد والمذاهب الأخرى وذلك فى جو من الحرية التامة والصفاء النفسى. بعدها أكد هؤلاء القساوسة أن الإسلام يعتمد على الكلمة والمعاملة الحسنة، والأسلوب الهادئ، الأمر الذى يمكنه أن يسحب البساط من تحت المعتقدات والمذاهب الأخرى، فضلاً عن أنهم قد أدركوا أن للقرآن الكريم قوة تستند على منهاج حيويته، بحيث تمثل نموذجاً متميزاً فى الحياة الاجتماعية اليومية القائمة على العدالة والمساواة، وعدم التفضيل إلا بالتقوى والصلاح.

ومما هو جدير بالذكر أن هؤلاء القساوسة قد أشهروا إسلامهم فى ميناء بورسودان، حيث كانوا يخدمون فى كنائس السودان قبل إشهار إسلامهم.

هذا، وقد أعدت الأجهزة الرسمية بباريس تقريراً حول انتشار الإسلام بسرعة فى إفريقيا برغم محاولات التبشير المتستمية فيها.

بل من الطريف أن أحد عشر قسيساً بالسودان قد أشهروا إسلامهم فى الوقت الذى كانوا يقومون فيه بمحاولات التنصير بين المواطنين هناك[1].

***

---

(١) صحيفة الرأى العام فى عددها الصادر فى ٢٥/ ١٢/ ١٩٨٨ (بتصرف)

* **مناظرة بين قسيس وداعية مسلم:**

جرت بين قسيس وداعية مسلم هذه المناظرة. . . قال القسيس وهو يتحدى الداعية: ما هو الواحد الذى لا ثانى له؟. . . وما هى الاثنان اللذان لا ثالث لهما؟. . . وما هى الثلاثة التى لا رابع لها؟. . . وما الأربعة التى لا خامس لها؟. . . وما هى الخمسة التى لا سادس لها؟. . . وما هى الستة التى لا سابع لها؟. . . وما هى السبعة التى لا ثامن لها؟. . . وما هى الثمانية التى لا تاسع لها؟. . . وما هى التسعة التى لا عاشر لها؟. . . وما هى العشرة التى تقبل الزيادة؟. . وما هم الأحد عشر أخاً؟. . . وما هى المعجزة المكونة من اثنى عشر شيئاً. . . وما هى الأسرة التى أخبر أحد أفرادها أنهم ثلاثة عشر؟. . . وماهى الأربعة عشر شيئاً التى كلمت الله؟. . . . وما هو الشئ الذى تنفس ولا روح فيه؟. . . وما هو القبر الذى مشى بصاحبه؟. . . وما هو الشئ الذى خلقه الله واستعظمه؟. . . . وما هو الشئ الذى خلقه الله واستنكره؟. . . وما هى الأشياء التى خلقت من غير أب ولا أم؟. . . ثم ما هى الذاريات ذَرْواً، والحاملات وِقْراً، والجاريات يُسْراً، والمُقَسّمَات أَمْراً؟. . . . وما هى الشجرة المكونة من اثنى عشر غصناً، فى كل غصن ثلاثون ورقة، وفى كل ورقة خمس ثمرات، ثلاث فى الظل واثنتان فى الشمس؟. . ومن هم الذين كذبوا ودخلوا الجنة؟. . ومن هم الذين صدقوا ودخلوا النار؟

قال الداعية: أما الواحد الذى لا ثانى له فهو «قل هو الله أحد». . . وأما الاثنان اللذان لا ثالث لهما فهما الليل والنهار «وجعلنا الليل والنهار آيتين». . . وأما الثلاثة التى لا رابع لها فأعذار موسى عليه السلام للخضر رضى الله عنه، «حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها». . .و «حتى إذا لقيا غلاماً فقتله». . . و «حتى إذا أَتَيَا أهل قرية استطعما أهلها». . . «قال هذا فراق بينى وبينك». . . أما الأربعة التى لا خامس لها فهى التوراة والإنجيل والزبور والقرآن. . . . أما الخمسة التى لا سادس لها هى خمس صلوات كتبهن الله

فى اليوم والليلة. . . . أما الستة التى لا سابع لها فهى «ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام». . . قال له القسيس: فلماذا قال الله فى آخر الآية: «وما مسنا من لغوب». . . . قال الداعية: لأن اليهود قالوا إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم أصابه النَّصَبُ فاستراح يوم السبت، فقال لهم: «وما مسنا من لغوب». . أى ما تعبنا حتى نستريح.

أما السبعة التى لا ثامن لها: «الذى خلق سبع سموات طباقاً». . . والثمانية التى لا تاسع لها: «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية». . . والتسعة التى لا عاشر لها فهى معجزات موسى عليه السلام. . . قال له القسيس اذكرها. . . . قال الداعية: اليد، العصا، والطَّمْس، والسنين، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم.

أما العشرة التى تقبل الزيادة فهى «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء».

أما الأحد عشر أخاً فهم أُخوة يوسف عليه السلام «إنى رأيت أَحَدَ عشرَ كوكباً». . . . أما المعجزة المكونة من اثنى عشر شيئاً فهى. . «وإذِ استَسقَى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاكَ الحجَرَ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا». . أما الأسرة المكونة من ثلاثة عشر فهى. . «والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين» فهم أحد عشر أخاً ، والشمس والقمر، أى أباً وأماً. . . أما الأربعة عشر شيئاً التى كلمت الله فهى السموات السبع والأرضين السبع. . . «فقضاهن سبع سموات فى يومين». . ثم قال للسموات السبع والأرضين السبع: «ائتيا طَوْعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين». .

والقبر الذى سار بصاحبه هو حوت «يونس»: فالتقمه الحوت وهو مُلِيم». . . والشئ الذى تنفس ولا روح فيه هو : «والصُّبح إذا تنفس». . . . أما الشئ الذى خلقه الله واستعظمه هو كيد النساء «إن كيدكن عظيم». . . أما الشئ الذى خلقه واستنكره فهو صوت الحمار «إنَّ أنكر الأصوات لَصَوْتُ الحمير».

وأما الأشياء التى خلقها الله من غير أب ولا أم. فهم آدم عليه السلام، والملائكة الكرام، وكبش إسماعيل، وناقة صالح... أما الذاريات ذروا فهى الرياح.. والحاملات وقراً هى السُّحُب التى تحمل الأمطار.. والجاريات يُسرا هى السفن التى تجرى على سطح الماء.. أما المُقَسّمات أمراً فهم الملائكة الذين أمرهم الله بتقسيم الأرزاق والأعمال...

أما الشجرة المكونة من اثنى عشر غصناً فى كل غصن ورقة، وفى كل ورقة خمس ثمرات، هذه الشجرة هى السنة، ففيها اثنا عشر شهراً، وفى كل شهر ثلاثون يوماً، وفى كل يوم خمس صلوات، ثلاث فى الظل هى المغرب والعشاء والفجر، واثنتان فى الشمس هما الظهر والعصر.. أما الذين كذبوا ودخلوا الجنة فهم أخوة يوسف عليه السلام، حيث قال لهم أخوهم «يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»... وأما الذين صدقوا ودخلوا النار فنجدها فى قوله تعالى: «وقالت اليهود ليست النصارى على شئ، وقالت النصارى ليست اليهود على شئ».

وهنا قال الداعية للقسيس: والآن.. إنى سائلك سؤالاً واحداً: ما هو مفتاح الجنة»؟

فاضطرب القسيس وظل صامتاً ـ عندئذ قال له الداعية: أتعجز عن الإجابة؟

قال القسيس: والله إنى لأعرفها حق المعرفة.... إن مفتاح الجنة هو: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. ثم سجد القسيس لله بعد أن نطق بالشهادتين[1].

***

(١) صحيفة المسلمين فى ١٤/ ٦/ ١٩٩١ (بتصرف).

* **حوار بين طبيب ألمانى.. وطبيب مسلم[1]:**

منذ عدة سنوات عُقِدَ مؤتمر طبىٌّ فى ألمانيا الغربية لمناقشة بحوث طبية ومناقشة أمور مهنية... وعقب جلسات المؤتمر ـ كالعادة ـ يخرج الأعضاء المشاركون للاسترواح وأخذ بعض المشروبات، أو تداول بعض الأحاديث الجانبية بين بعضهم لتبادل وجهات النظر، أو إجراء التعارف فيما بينهم... وحدث أن طبيباً مسلماً مشاركاً فى المؤتمر كان يجلس فى إحدى الحلقات، حيث كان زملاؤه يتناولون بعض المشروبات المحرمة... وكان يبادلهم الأحاديث الجانبية، ويبحث معهم المقترحات العلمية بدون أن يشاركهم فى مشروبهم... فألتفت إليه دكتور ألمانى يسأله: أراك يا دكتور لا تشاركنا فى مشروبنا فهل هناك ما يمنعك عن المشروب صحيّا؟..

فتبسم الطبيب المسلم وقال: هناك ما يمنعنى دينيّاً... فسأله الطبيب الألمانى: أأنت محمدىٌّ؟.... فأجابه الطبيب المسلم بابتسامة خفيفة وهو يهز رأسه: أنا مسلم يا دكتور ولست محمديّاً... فقال الطبيب الألمانى: أنتم المسلمون ألا تعبدون محمداً؟

فأجابه: لا يا دكتور.. نحن نعبد رب محمد ﷺ.. نعبد خالق محمد ﷺ.. نحن نعبد الله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد. وما محمد إلا عبدٌ من عبيد الله... وقد أمره الله تعالى فى القرآن الكريم أن يقول:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾[2].

وخاطب ربه قائلا:

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[3].

---

(١) مجلة منار الإسلام ـ عدد نوفمبر ١٩٨٢ (بتصرف).

(٢) سورة الرعد ـ من الآية السادسة والثلاثين.

(٣) سورة الزمر ـ الآية الحادية عشرة.

وأبلغه الله تعالى أن يقول:

﴿ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[1].

.. ويقول النبى ﷺ عن نفسه: « إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة».

واستطرد الطبيب المسلم يقول:

«قد اختار الله تعالى محمد ﷺ من بين عباده ليحمله رسالته إلى البشرية جمعاء، التى تدعو إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له...

وظهر التعجب والتساؤل على وجه الألمانى ورفاقه، وقد سيطر عليهم الصمت برهة، ليسأل الألمانى بعدها: إذن من هو الإله الذى تعبدونه؟... وما نوعه؟.. وما شكله؟

فأجاب الطبيب المسلم:

«إن الله سبحانه وتعالى الذى نعبده نحن ونبينا وجميع الأنبياء والرسل، هو خالق الأرض والسماء، صانع الكون... إنه سبحانه وتعالى لا يُوصَف بشكل أو بلون.. إنه هو الذى سَخَّرَ الشمس والقمر، وينزل من السماء ماء ليخرج به نبات الأرض... وهو الذى يصور المخلوقات بالأرحام... وهو الذى يحيى ويميت.. لا تدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار.. ليس بجسم مصور، ولا بجوهر محدود... إنه لا يُشَبَّهُ بالأجسام، ولا يعتريه قصور ولا عجز..ولا تأخذه سنة ولا نوم.. واحدٌ أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَد، لم يلد ولم يولد، وليس له شريك فى الملك.. عالم لا يَعْزُبُ عن علمه مثقال ذرة، محيط بالسموات والأرض.. خالق الجنة والنار... وعلى كل إنسان أن يؤمن به وبرسله الذين أرسلهم لتوجيه وتعليم الناس واتباع أوامره واجتناب نواهيه».

(١) سورة الكهف ـ من الآية ١١٠.

ثم أخذ الطبيب المسلم يوضح ما جاء به محمد ﷺ قائلا:

«قد كان كل رسول يرسل إلى أمته أو قومه وعشيرته... أما نبينا محمد ﷺ، فقد أرسله الله تعالى إلى الناس كافة... وهو آخر الرسل، ورسالته خاتمة الرسالات، وشريعته ناسخة لكل الشرائع، وقد خاطبه الله تعالى قائلا:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾(1).

فسأله الطبيب الألماني: إذن ما علاقة السيد المسيح ابن مريم بالإله الخالق؟

قال الطبيب المسلم: «لقد أخبرنا الله تعالى أن القوم قالوا لمريم:

﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴾(2).

فقال المسيح عليه السلام:

﴿ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴾(3).

ثم يقول عليه السلام:

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ ﴾(4).

---

(1) سورة سبأ ـ من الآية الثامنة والعشرين.

(2) سورة مريم ـ الآيتان: الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون.

(3) سورة مريم الآيتان: ٣٠، ٣١.

(4) سورة مريم ـ من الآية: ٣٦.

كما يقص علينا ربنا جل وعلا فيقول:

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾(١).

ثم يقول تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢).

﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾(٣).

ثم يخاطب الطبيب المسلم زميله الألمانى قائلا:

«هذا ما ورد فى القرآن الكريم الذى أُنزل على نبينا محمد ﷺ... أما ما ورد فى الإنجيل الذى أخفاه عنكم رجال الكهنوت: «... فقال حينئذ يسوع، ولعمر الله أنى لست بقادر على غفران الخطايا ولا أحد آخر، ولكن الله وحده يغفر، ولكنى كخادم لله أقدر أن أتوسل إليه لأجل خطايا الآخرين، توسلت إليه لأجل هذا المريض، وإنى موقن بأن الله قد استجاب دعائى، ولكى تعلموا الحق أقول لهذا الإنسان باسم إله آبائنا إبراهيم وأبنائه قم مُعَافىً، ولما قال يسوع هذا قام المريض معافى ومجد الله»(٤) كما ورد فى الإنجيل ما يلى:

«ولا تضطرب قلوبكم ولا تخافوا لأنى لست أنا الذى خلقكم، بل الله الذى خلقكم يحميكم، أما من خصوصى فإنى أتيت لأهيئ لرسول الله

(١) سورة يونس - من الآية: ٦٨.
(٢) سورة مريم - الآية: ٣٥.
(٣) سورة المائدة - من الآية: ٧٢.
(٤) الفصل ٧١ فقرة ٦.

الذى سيأتى بخلاص للعالم، ولكن احذروا أن تغشوا لأنه سيأتى أنبياء كذبة كثيرون يأخذون كلامى ويبخسون إنجيلى»[1].

ثم يقول فى موضع آخر:

«أجاب بطرس: إنك أنت ابن الله، فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلا: اذهب وانصرف عنى لأنك أنت الشيطان، وتحاول أن تسئ إلى . . . »[2].

وأُصيب الطبيب الألمانى بالذهول والشرود، والتفت هنا وهناك ثم قال لزميله المسلم: اسمح لى يا دكتور أن أقول لك إن المسلمين مجرمون!!

فقال الطبيب المسلم فى دهشة واستغراب: لماذا؟!

أجاب الطبيب الألمانى بحماسة: أنتم مجرمون فى حق الإنسانية. . أنت تقول إن نبيكم حَمَلَ رسالة الله إلى البشرية بأسرها. . . وإنه باعتباره بشراً فإنه سيموت، وإنه قد مات. . وإذا مات الرسول هل تموت الرسالة؟! . . . . فالرسالة كما تقول للإنسانية بكاملها، وإنها دائمة ما دامت الدنيا. . . أليس كذلك؟!

قال الطبيب المسلم: نعم.

فقال الطبيب الألمانى: إذن. . يجب على أتباعه إيصال رسالته ونشرها وتعميمها على البشرية، وأنا شخصياً: إذا سُئلت غداً كما تقول عن سؤال القبر وحساب يوم القيامة سأقول: إن رسالة محمد ﷺ - لم تصلنى تفصيلاً، ولم أطلع عليها بحثاً. . .

إن أتباع محمد ﷺ لم يبلغونى رسالته، ولم يدلونى على الطريق القويم، فهم يشاركوننى فى التقصير. . . وسكت الطبيب المسلم حيث لم

(١) الفصل ٧٢ فقرة ٨: ١١.

(٢) الفصل ٧٠ فقرة ٥:٦.

يعد باستطاعته أن يقول شيئاً أمام ذلك التقريع الذى صدر عن تفكير صادق وحقيقة واقعة. . . وتساءل فى نفسه:

هل أخطأ الطبيب الألمانى؟. . . ولم يلبث أن جاوب على تساؤل نفسه: لا. . إنه لم يخطئ - بل أنطقه الله تعالى بالصواب والواقع، وأجْرَى على لسانه التأنيب لكل المسلمين»[1].

* * *

*حوار بين طبيب فرنسى ومرضاه يُحدث تحولاً فى مجرى حياته:

حدث أن جرى حوار خاص بين الطبيب الجراح الفرنسى «موريس بوكاى» ومرضاه من المسلمين حول العديد من مسائل العقيدة وقضايا الأديان فى مقارنة بين الإسلام والنصرانية. . . وكان أثر هذا الحوار أن أحدث تحولاً شاملاً فى مجرى حياته، فاعتزل مهنة الطب والجراحة، وشرع يتعلم اللغة العربية بالقدر الذى يمكنه من قراءة القرآن الكريم وفهمه فى لغته الأصلية. .

وعن ظروف وكيفية تَعَرُّفه على الإسلام يقول:

«عشت حياتى فى فرنسا. . ودرست كل ما يدرسه الغربيون عن الإسلام عن أنه دين أوجده رجل عبقرى اسمه «محمد». . وظللت أفكر هكذا حتى بلغت الخمسين من عمرى، عندما أخبرنى بعض مرضاى من المسلمين - خلال حوارى معهم - بأننى أحمل أفكاراً خاطئة عن الإسلام، وأطلعنى بعضهم على وثائق وحقائق قرآنية أساسية، الأمر الذى جعلنى اقتنع بضرورة إعادة حساباتى، فقد أدركت أننى كنت على خطأ، وأن أساتذتى أنفسهم

(1) تعليق: حقيقة أن الطبيب الألمانى محق فى دعواه، والتقصير يقع علينا - نحن المسلمين - حكومات ودعاة، ولا يبرأ من ذلك التقصير إلا البعض القليل الذى وهب نفسه لله، وحاول جهد ما يملك وما يعلم تبليغ رسالته ومن هذا البعض جماعة تبليغ الإسلام وغيرها من جماعات أخذت على نفسها مسئولية الدعوة لدين الإسلام. . . ولكن الذى نتساءل عنه هو أين وجود تلك الهيئات الإسلامية بما تملك من موارد وإمكانيات ضخمة؟!. . . ونعود ونقول حسبنا أن أقواماً منا نذروا أنفسهم لهذا العمل بعد أن طُوردوا فى بلادهم ندعو الله أن يحميهم من أيدى الطغاة الذين يضيقون عليهم الخناق.

كانوا على خطأ. . ولم يكن أمامى سوى أن أتعلم العربية، حتى أصبح بإمكانى دراسة القرآن من الناحيتين الدينية والعلمية، وذلك لاقتناعى بوجود علاقة بين حقائق العلم والدين»[1].

وعن النتائج التى توصل إليها. . . يقول «بوكاى»:

«. . . وخلافاً للكتب السماوية، فإن آيات القرآن تحمل ـ منذ أربعة عشر قرناً ـ من المعانى والحقائق عن الظواهر الكونية وحقيقة الإنسان وأصله وخلقه ما لم نعرف بعضها إلا فى عصرنا هذا، ولا تزال عقولنا قاصرة عن معرفة الكثير منها. . وأيضاً ـ خلافاً للكتب السماوية، فإن القرآن لم يتغير ولم يتبدل، وإنه باق وصالح لكل زمان ومكان. . فالكتاب المقدس لغير المسلمين قد كتب بواسطة أفراد على فترات متفاوتة. . والمثال الأول لنزول الوحى السماوى ـ والذى نجد له أثراً فى كتب الأديان السماوية ـ هو كتاب «العهد القديم» الذى كتب بين القرنين التاسع والعاشر قبل الميلاد. . .

وكما هو معلوم اليوم، فإن هذا الكتاب قصير جداً، ولا ندرى إن كان فى زمن مضى كتاباً مكتملاً أكثر من هذا. . . ثم ـ وفى خلال القرن السادس قبل الميلاد ظهر كتاب «العهد القديم» الخاص بصلاحيات الرهبان «ساكر دوتال»[2].

---

(١) وضع «بوكاى» مؤلفين، أحدهما باسم «الإنجيل والقرآن والعلم»، والآخر بعنوان «أصل الإنسان». . . وأصبح عضو اللجنة التنفيذية لجمعية «الإسلام والغرب» بباريس. . وصار معروفاً فى الأوساط الثقافية والعامة فى أوربا وأنحاء كثيرة من العالم. لم يعلن حقيقة تفكيره الدينى، لأنه يريد أن يظهر أمام الجميع بصفته العلمية ـ على حد قوله ـ وأن ما فى القلب فيعلمه الله ـ فعندما سُئل عن اعتناقه للإسلام. . قال:

«إننى قبل أن أعرف كلمة واحدة من القرآن كنت ولا أزال مؤمناً بإله واحد، له ملكوت كل شئ. . وعندما درست القرآن قلت إن هذا وحى من عند الله، إن محمداً رسول الله. . وهذا مكتوب فى كتابى الأول حول «الإنجيل والقرآن والعلم» وهو كتاب استحسنه النصارى ولم أقل شيئا أكثر من هذا»

تعليق: إننا نعد ذلك اعترافاً منه بالدين الإسلامى وليس اعتناقاً له، وإلا فلماذا لم يجاهر به فيشهر إسلامه أمام الملأ؟ وحسبنا أن كلمة حق قيلت فى شأن الإسلام.

(٢) هو كتاب يروى قصة خلق الكون وظهور الإنسان والأحداث التى تبعث ذلك.

ثم جاء كتاب «العهد الجديد» وهو فى مجموعه ليس أكثر من ترديد لعناصر «العهد القديم».

ويضيف بوكاى منتقدا هذه الكتب قائلا:

«أعتقد أن الذين كتبوا هذه الكتب المقدسة ـ بإلهام إلـهى كما يدعون ـ كتبوها بعبارات تعكس المفهوم السائد فى أزمانهم، فعبروا عن الخلق والخليقة حسب المفهوم وحسب التقاليد والأساطير التى كانت سائدة آنَ ذاك ـ ويتفق كل المفسرين من الكاثوليك والبروتستانت على هذا، وقد جاء فى الإعلان الذى أصدره المؤتمر الثانى للفاتيكان حول «الوحى الإلـهى بكتابى العهد القديم والجديد أن بعض الأناجيل تحتوى على النواقص، وما عفا عليه الزمن».

وعن كتابه الذى وضعه بعنوان «الإنجيل والقرآن والعلم»[1] قال:

«لقد تحدثت فيه من وجهة النظر العلمية وليس من وجهة النظر الشخصية... ويكفى أنه بعد حديث لى قدمته فى البرنامج الإذاعى المخصص للمسلمين بإذاعة باريس ـ كان صاحب أول مكالمة هاتفية تصلنى تعقيباً على الحديث هو أحد قساوسة الإرساليات، حيث قال لى: «أشكرك باسمى وباسم جميع القساوسة على ما قلته حول القرآن والعلم، فقد أصبحنا الآن ـ نفهم أكثر...».

* * *

* صرخة طالب علم أسترالى:

فى الجلسات الأخيرة من مؤتمر «الإسلام والغرب» الذى عقد فى باريس... حدث أن أُعطيت الكلمة لطالب علم أسترالى.. كان يتكلم بحماسة هائلة وعاطفة جياشة ـ فناشد العلماء المسلمين الموجودين بأن يسدوا حاجته إلى كتاب واحد واضح يشرح للرجل الغربى الحقائق الأساسية التى

(١) يعد من الكتب الحديثة فقد صدر عام ١٩٧٦... ونوصى الباحثين عن الحقيقة العلمية فى الدين وغيرهم من القراءمن الإمعان فى قراءته بعقلية مفتوحة محايدة ليرون بعدها بأنفسهم كيف أن الإسلام ديناً موضوعياً فى قواعده ومبادئه، له دلالاته البعيدة فى العلم ومنهجه الصحيح.

أثبتها المسلمون عن القرآن من حيث المعانى العظيمة، والصياغة المعجزة التى أثارت فضوله لأن يعرفها..

ثم انطلق يتكلم عن عظمة التوحيد فى سورة الإخلاص

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾.

تلك السورة التى تلاها بصوت منفعل متهدج، وضرب بقبضة يده على الطاولة أمامه وهو يصرخ: أية حقيقة أسمى من هذه الحقيقة، وأى شئ أصدق وأعظم من تحرير روح الإنسان وعقله من كل وَهْم وخوف وخرافة بهذا الدواء الشافى للقلوب.. وأى أمان أعظم من ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾... ثم تلا السورة بلهجته الأجنبية..

وراح يصرخ قائلا:

«لقد وصلت إلى الأمان الحقيقى بلجوئى إلى الله الواحد الأحد، الذى يستطيع وحده أن يهيمن على وجودنا فيجعل لنا فلقاً، وصباحاً ومساءً، وظلمة وضياء... إننى أعوذ به وأحتمى بقدرته جل جلاله.

.. ثم تحدث عن سورة «يوسف» مقارناً النص القرآنى لها بما ورد عنها فى روايات الكتب المقدسة السابقة فقال:

«إنها لا شك كانت ترنيمة سلوى لقلب الرجل الذى فقد أولاده، غير ما فيها من معانٍ وعظات أخرى».

* * *

*** وصرخة أخرى من يابانى:**

قام طالب يابانى بعدها يقول بانفعال واضح:

«إنه لا أساس للقول بأن اليابان تشكل منطقة فراغ للأديان، لكنها

لا تستقبل الدعوات المبشرة بالأديان استقبالاً عنوياً خالصاً من التمحيص..
ولذا قد بدأ الإسلام يجد طريقه إلى أوساط المثقفين، وأمامه فرصة هائلة تجعل منه دين المستقبل فى جنوب شرقى آسيا إذا ما توفر القدر الأدنى من الدعم بالطاقة البشرية العربية بخاصة، فاليابانيون لا يحتاجون للمساعدة المادية، ولكنه من ألزم اللوازم لهم وجود طائفة من الناس المؤهلين تماماً من المرشدين والدعاة ممن يعرفون كيفية مخاطبة هذا الشعب المتطور الذى يحس بظمأ إلى يقين رفيع المستوى ينتشله من إحساسات الضياع الروحى»[(١)].

* * *

*** رجل أسلم على يديه كثير من الأجانب:**

يذكر لى الداعية الإسلامى الكبير محمد توفيق بن سعد الذى أسلم على يديه الكثير من الأجانب:

أن شخصاً ألمانياً اعتنق الإسلام بعد أن زوده بكتب إسلامية قد اقتنع بما جاء فيها من مبادئ وتعاليم الدين الإسلامى، فضلاً عن مراسلته لهذا الشخص الألمانى، وحديثه عن طبيعة دعوة الإسلام الحقة وتمخض ذلك كله أن طلب من الداعية الإسلامى كيفية إشهار إسلامه... فأرسل الداعية إليه إقراراً يشهد الله فيه ثم الناس على أنه أسلم وجهه لله، وأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وأنه يبرأ من كل دين يخالف دين الإسلام.

وبعد أن أتم هذا الألمانى استيفاء هذا الإقرار وبالتوقيع عليه... أرسل الداعية إليه شهادة إسلامه...

ثم يذكر لى الداعية الإسلامى أنه عقب ذلك وصلت إليه رسالة من نجل الشخص الألمانى الذى اعتنق الإسلام يطلب منه إقراراً مثل إقرار والده لإستيفائه وتوقيعه ليتسنى له إشهار إسلامه هو الآخر.... وقال هذا الابن

(١) هذه الصورة الحية لا تحتاج إلى تعليق ونحن نوجهها للمسئولين فى الهيئات المتخصصة للدعوة الإسلامية بالخارج.

الصغير الذى يبلغ من العمر اثنى عشر عاماً فى رسالته للداعية إنُه قد قرأ جميع الكتب والرسائل التى أرسلت لوالده. . . فكتب له الداعية طالباً منه أن يرجئ استيفاء الإقرار المطلوب حتى يكبر ويستزيد معرفة بالإسلام وتعاليمه[1].

ولكنه (أى الداعية) فوجئ برد سريع من الابن يقول فيه:

أعلم مما قرأت أن أول من أسلم من الصبية فى الإسلام هو على بن أبى طالب، فهل قال له رسول ﷺ: انتظر حتى تكبر؟

ويعلق الداعية على ذلك قائلا: بالحق لقد أفحمنى بحجته، وأُعجبت به وبصدق إسلامه فأرسلت له ما أراده بعد أن علمنى درسا عظيما لا أنساه.

* * *

* ليلة زفافى فاجأنى عريسى بأنه مسلم[2]:

فى ليلة الزفاف، وبعد أن انصرف المدعوون، أمسك العريس بيد عروسه وقال لها: أنا مسلم، وأكتم إسلامى منذ عدة سنوات، وأدعوكِ إلى دين الله. . .

وهنا بكت العروس «سارة قريش» أمام زوجها عبد الله منصور، لا كما تبكى بعض الفتيات فى هذه الليلة، ولكن لأنها وضعت قدمها على بداية طريق الهداية الذى كانت تفكر فيه منذ عدة سنوات. . . تحكى عن تلك البداية فتقول:

«فى تلك الليلة، كانت المفاجأة فى انتظارى، فبعد إتمام إجراءات الزواج فى الكنيسة، وبعد توديع المدعوين انفرد عريسى بى، وألقى المفاجأة التى رحت على أثرها فى ذهول شديد حيث قال لى: إن هناك طريقين: طريق للخير وطريق للشر، وأنا أحب لك وللجميع الخير، وأتمنى أن تشاركينى نعمة الإسلام. . .

---

(١) ذكر لى الأستاذ محمد توفيق بن سعد أنه قد فعل ذلك حتى لا يطعن أعداء الإسلام فى دعوته ويقولوا إنه قد استغل صغر سنه وعدم نضج تمكيره الذى به يتمكن من الاقتناع بالإسلام كدين سماوى.

(٢) صحيفة المسلمين الصادرة فى ١٤/ ٢/ ١٩٩٢ (بتصرف).

وفى البداية عقدت المفاجأة لسانى عن الحديث، ولكن ما لبثت أن اخترتُ طريق الحق. . طريق الخير، وأنا أعلم ما ينتظرنى أنا وزوجى من مضايقات، غير أننى شعرت - فى الوقت ذاته - بإحساس إيمانى عظيم يتضاءل بجانبه كل شئ. . . ثم أحسست مع مرور الوقت باستقرار نفسى لا يعادله أى شئ آخر لا يشوبه أى خوف أو قلق. .وتوالت الأيام ولا يعلم سرنا إلا الله، وأخذ زوجى يعلمنى أمور ديننا الجديد».

وعن قصة إسلام زوجها كما أخبرها بها قالت:

«لقد أخبرنى زوجى بقصة إسلامه كاملة، فقال: إن المسجد الذى كان بجانب بيت أسرته هو السبب، حيث كان يسمع المؤذن يؤذن للصلاة، كما كان يسمع القرآن الكريم يُتْلَى فى أصوات خاشعة، وخصوصاً قرآن الفجر، وقاس ذلك بما يسمعه فى الكنيسة من تراتيل وكلمات غير مفهومة، فوجد الفرق شاسعاً.

ثم حدث أن تقرب من أحد المسلمين يطلب منه أن يدله على طريق الإسلام، فنصحه الرجل بالتفكير فى ذلك جيداً قبل الإقدام على أية خطوة حتى يستقر الإيمان فى قلبه، وأوضح له الرجل أن ذلك الأمر يتطلب منه أن يقرأ كثيراً عن الإسلام، ويخالط علماء الإسلام والمسلمين ليعرف ماهية الإسلام ومبادئه ومنهاجه وتعاليمه. . . وبالفعل أخذ زوجى بنصيحة هذا الرجل حتى اقتنع تماماً بضرورة اعتناقه الإسلام».

ثم تضيف:

«لقد أخفينا أمر اعتناقنا للإسلام عن أقاربنا، حتى كنا فى أحيان كثيرة نترك لهم المنزل ونذهب إلى الحقول لكى نصلى، بل لقد حدث بعد أن كبرت بناتى أن تقدم لهن مسيحيون للزواج، فلم نجد طريقة أنا وزوجى إلا الهروب بعيداً عن المنطقة التى نقيم فيها لنعيش فى مكان آخر ونعلن إسلامنا على

مسمع من الجميع . . وبالفعل هيأ الله لنا المعيشة فى منطقة أخرى وشهرنا إسلامنا، وكتب الله لنا كل أسباب الخير، وتزوجت بناتى من شباب مسلم.

* * *

* لقاء مع فتاة نصرانية:

هذه قصة حدثت مع أحد العلماء المسلمين، عندما جاءته فتاة نصرانية وقالت له:

«إننى عرفت الكثير عن الإسلام، وأُعجبت بهذا الدين، وأحببته حبّاً كبيراً، غير أننى لم أعتنق الإسلام لسبب واحد، هو أننى سألت عنه عدة أشخاص فلم أجد لديهم الإجابة الشافية المقنعة، فحضرت إليك لتبين لى فلسفة ومضمون هذا الأمر.

قال العالم: ما هو هذا الأمر الذى منعك من اعتناق الإسلام؟

قالت الفتاة: الحجاب فى الإسلام. . فلماذا فرض الله الحجاب على المرأة؟!

قال العالم: هل ذهبت إلى سوق الصاغة، حيث يُباع الذهب؟!

قالت الفتاة: نعم.

قال العالم: لماذا لم تترك المجوهرات فى متناول الأيدى؟ . . . ولماذا أودعها أصحابها فى صناديق زجاجية مقفلة؟

قالت الفتاة: لكى يحرسها من اللصوص والأيدى الخائنة.

فقال العالم للفتاة: هذه هى فلسفة الحجاب، إن المرأة ريحانة، والمرأة جوهرة، ويجب المحافظة عليها من الخائنين الفاسدين، ويجب حفظها فى

شئ يسترها من العيون الخائنة، كما يحفظ اللؤلؤ داخل الصندوق، فالحجاب هو الساتر والحافظ للمرأة، فالمرأة المحجبة فى أمانٍ من كل طامع».

عندئذ اقتنعت الفتاة وأعلنت إسلامها[1].

* * *

* طبيبة مسيحية تعتنق الإسلام ولم تضعف أمام المحن:

قصة هذه الطبيبة المسيحية التى اعتنقت الإسلام تدلل على مدى تغلغل الإيمان فى وجدانها فلم يتزعزع برغم ما واجهته من مشاكل صعبة أجملتها فى رسالتها التى بعثت بها فى صحيفة المسلمين التى تقول فيها:

«إننى كنت من أسرة مسيحية، ثم هدانى الله وأضاء قلبى بنور الدين الحق، وقد ساعدنى فى طريق الهدى بعض صديقاتى، وأعانونى على السير فى الطريق الصحيح لأكتشف حقيقة ما كنت فيه من ضلال وجهل... فقد وقفن بجانبى إلى أن تكشفت لى الحقيقة واضحة والحمد لله على هداه ونعمته، فلولا هدايته ما كنت اهتديت إلى دينه الحق.

ولكن ما أعانيه أننى لا أجد من يقف بجانبى لمساعدتى فيما واجهنى ويواجهنى من مشاكل حيث إننى كنت قد نويت على إشهار إسلامى فى الوقت المناسب والظروف المناسبة حتى لا أتعرض للمشاكل من أهلى، خاصة أننى كنت لا أزال فى الدراسة، ولكن قَدَّرَ الله أن يعلم أهلى بالحقيقة التى لم أستطع بعدها أن أخفى ذلك عنهم، فأثاروا تجاهى الكثير من المشاكل التى لا يستطيع أى إنسان تحملها، ولكننى تحملتها والحمد لله بصبر وإيمان، ولذلك لم يكن أمامهم بعد التجريح والتعذيب إلا طردى من البيت لإذلالى فى الشوارع، وكنت فى ذلك الوقت على مقربة من امتحانات السنة النهائية بكلية الطب البيطرى، ولكن بفضل الله اجتزت الامتحانات وأنهيت

(١) مجلة منار الإسلام ـ عدد يونيو ١٩٨٤ (بتصرف).

دراستى. . . ولا أخفى عليكم أننى شعرت وأنا طريدة فى الشوارع بالذل والمهانة، ولم أشكو إلا إلى الله تعالى لعله يأخذ بيدى ويرد لىّ عزتى على أيدى أهل الخير من المسلمين، فمنذ أكثر من عام لم أذق طعم النوم، لأنه ليس لى بيت ولا مال، وإنما أقيم عند بعض الناس، وأشعر أننى ضيف ثقيل عليهم.

كيف أحل مشكلة السكن وهذا يكلف الكثير مما لا طاقة لى به؟. . . أليس لى حق مثل بقية المسلمين فى أن يكون لى بيت يسترنى؟ أم أننى أخطأت بترك أهلى الأثرياء مهاجرة إلى دين الله الحق؟!

من ينقذ أختاً له فى الإسلام تحيط بها مشاكل الحياة وإغراءات أسرتها المسيحية بالعودة إلى دينهم؟

إننى أسأل هذا السؤال، وأنا أقسم بالله أننى حتى لو ظللت على هذه الحالة طوال عمرى وزادنى الله ابتلاء فلن أترك هذا الدين الحنيف أبداً حيث يكفينى نعمة الإيمان به.

ولكن فقط يعز علىّ أن أكون ضيفاً ثقيلاً على أحد ما دام هناك من أهل الخير والبركة من يمكنه مساعدتى ليكون لى بيت أعيش فيه. . . .

(الدكتورة فاطمة قاسم من مواليد عام ١٩٦٥)[١].

من يقرأ هذه الرسالة ـ مثلى ـ لا يشعر إلا بفخر بعزة الإسلام التى تمكنت من نفس الطبيبة المسيحية التى اعتنقت الإسلام، وترفض بإصرار وعناد أية إغراءات أو تهديدات لتترك هذا الدين. . . فهل بعد ذلك شهادة على حسن إيمانها؟ إن كانت النفس تتألم لحالتها التى وصلت إليها غير أنها تسعد فى الوقت ذاته لعظمة الإيمان عندما يتمكن فى النفس.

* * *

(١) من الجدير بالإشارة أن هذه الرسالة قد نشرت بصحيفة المسلمين فى ٩/ ٨/ ١٩٩١ مما يعنى بمشيئة الله أن هذه المشكلة قد وصلت إلى قلوب الخير من المسلمين وقاموا بحلها وكم أود أن ألتقى بها. . فهل يخدمنا القدر؟

* روسى يعتنق الإسلام ويأتى للحج ماشياً:

بعد أن اعتنق الشاب الروسى «كريستوفر» الإسلام جاءته رؤيا منامية أصابته بالرعب، فقد رأى يوم القيامة ومشاهده، فقام من النوم مذعوراً لا يعرف ماذا حدث له، ووجد نفسه يتجه فوراً إلى مسجد فى العاصمة الروسية. وهناك قرر «محمد نذير» ـ وهو اسمه بعد إسلامه ـ أن يؤدى فريضة الحج ماشياً. . وبالفعل بدأ رحلته بالسفر إلى «بلغاريا» ومنها إلى تركيا، ولكن بعض اللصوص هاجموه فى منطقة الحدود، فسرقوا أمواله وأوراقه الرسمية، فاضطر للعودة ثانية إلى موسكو ليستخرج أوراقاً رسمية أخرى ليعاود بعدها رحلة سفره من جديد، والتى استغرقت ستة شهور كاملة(١).

* * *

* الكنيسة الأثيوبية مذعورة:

ذكرت إحدى وكالات الأنباء أن قساوسة أثيوبيا ومعلمى اللاهوت فى كاتدرائيات العاصمة «أديس أبابا» يواصلون إشهار إسلامهم وسط موجة من الذعر تسود الكنيسة الأثيوبية حيث إنه للمرة الثانية، وفى أقل من شهرين، تقدم اثنان من شباب القساوسة إلى مكتب رابطة العالم الإسلامى «بأديس أبابا» ليعلنا على الملأ إسلامهما عن قناعة تامة.

وقد تواكب ذلك مع قيام الكنيسة بتوزيع منشور سرى بين أعضائها أشارت فيه إلى أن سكان العاصمة يبلغون نحو ٢,٥ مليون نسمة وأن ٦,٧٪ منهم فقط يحضرون صلوات الأحد. . . وتساءل المنشور بانزعاج أين الـ ٩٣٪ الآخرون؟!(٢)

ومن ناحية أخرى فقد أشارت الأنباء إلى أن مجلس الكنائس الأثيوبى «الأرثوذكسى» أصدر قراراً وُصف بأنه الأغرب فى تاريخ الكنيسة. . فقد أمر

---

(١) صحيفة المسلمين فى عددها الصادر يوم ٢٨/ ٥/ ١٩٩٣ (بتصرف).

(٢) صحيفة المسلمين الصادرة فى ١٧/ ٧/ ١٩٩٢ (بتصرف).

رئيس الكنيسة جميع القساوسة بارتداء زى أبيض من الرأس إلى القدمين. . جاء ذلك خلال الاجتماع الحادى عشر لمجلس البطريرك الكنسى. .

والجدير بالذكر أن الحاضرين قد فُوجئوا برئيس الكنيسة يرتدى زيّاً أبيض وعمامة بيضاء، خلافاً للتقليد السائد فى جميع الكنائس القبطية واليونانية، حيث إن الزى عندهم لا يكون إلا أسْوَدَ.

هذا، وقد تفاوتت ردود الفعل حول القرار الجديد، غير أن بعض المراقبين هناك يعتقدون أن القرار قد جاء إشارة إلى استقلالية الكنيسة الأرثوذكسية الأثيوبية عن الكنيسة القبطية، وتوجهها إلى الظهور بشكل متميز عن غيرها من الدوائر الكنسية.

والمعروف أن الزى الأبيض هو الزى المفضل لدى المسلمين جميعا. . . . الأمر الذى أحدث نوعاً من الدهشة تجاه قرار رئيس الكنيسة(١).

* * *

* وثيقة كنسية تتبرأ من عقيدة التثليث(٢):

صرح أحد كبار الباحثين الإسلاميين الدكتور «معروف الدواليبى» أن لديه وثيقة صادرة عن الفاتيكان تقر فيها أن المسيح عبد من عباد الله وليس إلـهاً، وأن الفاتيكان قد أصدر هذه الوثيقة بعد دراسات كنسية قام بها لمدة أربع سنوات كاملة شارك فيها عدد كبير من رجال الدين المسيحى.

وأضاف: أن هذه الوثيقة تتضمن تعليمات صريحة إلى جميع الكنائس الكاثوليكية فى العالم تقضى بعدم ذكر المسيح فى هذه الكنائس وإنما يذكر فيها اسم الله الخالق. . خالق السموات والأرض وما بينهما.

ويشير الدكتور «الدواليبى»: أن الوثيقة الصادرة عن الفاتيكان قد اعترفت بأن الكنيسة ارتكبت العديد من المظالم ضد الإسلام والمسلمين، كما طالبت

---

(١) صحيفة المسلمين فى عددها الصادر يوم ٢٣/ ١٠/ ١٩٩٢ (بتصرف).

(٢) من مقال إخبارى للكاتب محمود بيومى (صحيفة المسلمين فى عددها الصادر يوم ١٨/ ١١/ ١٩٩١) (بتصرف).

الوثيقة بالانفتاح على دين الإسلام، ومن ثم فقد سُحبت هذه الوثيقة من مختلف الكنائس واختفت من المراكز البحثية المنتشرة فى أنحاء العالم.

وأوضحت الوثيقة أن الكنيسة كانت وراء الحروب الصليبية، ووراء الاستعمار الذى احتل الدول الإسلامية بدون وجه حق،

واعترفت الوثيقة أيضاً بأن الكنيسة هى التى أوجدت «إسرائيل».. وطالبت رجال الدين المسيحى بأن يعترفوا بالأخطاء التى ارتكبوها ضد الإسلام والمسلمين.

* * *

*** «إنجيل برنابا»(١) يؤكد أن محمداً نبى الله:**

من المعروف أن قلة من النصارى يعترفون بتعاليم «برنابا» فى حين ينكر آخرون وجوده لغرض فى نفوسهم، حتى وصل الأمر بالبابا «جلاسيوس الأول»(٢) إلى إصدار أمر يعدد فيه أسماء الكتب المنهى عن مطالعتها وفى عدادها «إنجيل برنابا».

والجدير بالذكر أن «إنجيل برنابا» ليس كتاباً منحولاً على المسيحية كما حاول بعض المستشرقين تصنيفه.. وينكر معظم النصارى - ولا سيما المتشددين منهم - هذا الإنجيل برغم كل الشواهد والحقائق التاريخية، وهذا لأسباب أربعة جوهرية:

السبب الأول: أن هذا الإنجيل يخالف العقيدة عندهم، فهو لم يعتبر المسيح ابن الله، ولم يعتبره إلـهاً كما ذهبت بقية الأناجيل المحرفة.

أما السبب الثانى: فقد ذكر «إنجيل برنابا» أن الذى تقدم به سيدنا إبراهيم عليه السلام للفداء هو إسماعيل وليس إسحاق كما هو مذكور فى التوراة.

(١) تشير المصادر التاريخية إلى أن «برنابا» كان أحد الحواريين المخلصين المقربين للسيد المسيح، وينسب إليه الإنجيل المعروف باسمه

(٢) اعتلى الأريكة البابوية عام ٤٩٢ م.

والسبب الثالث: أن «إنجيل برنابا» أكد أن النبى المنتظر هو محمد ﷺ وذكره باللفظ الصريح ووصفه بأنه رسول الله.

والسبب الرابع: أن «إنجيل برنابا» قد ذكر أن المسيح لم يُصلب ولكن شبه لهم، فألقى الله شبهه على يهوذا الإسْخَرْيُوطى.

لكل هذه الأسباب تنكر الكنيسة البابوية «إنجيل برنابا» برغم كل الثوابت التاريخية بحقيقته[1].

* * *

* لماذا حذرت الكنيسة زواج نساء الكاثوليك بمسلمين ؟:

حذر أحد كبار أساقفة الكنيسة الكاثوليكية فى روما ويدعى «كليمنتى ريفا» نساء الكاثوليك من الزواج من المسلمين، حيث قال:

«إنْ فَعَلْنَ هذا فسيتعرضن لمشاكل تفوق الوصف من قبل الكنيسة».

هذا، وقد جاء التحذير مؤخراً باسم الكنيسة إثر اجتماع موسع لكبار الأساقفة.. ومن الجدير بالذكر أن هذه أول مرة تصدر فيها الكنيسة هذا التحذير العلنى، وعلى هذا المستوى بعد تزايد أعداد المسيحيات اللاتى دخلن فى الإسلام نتيجة زواجهن من مسلمين فى أوربا وآسيا وإفريقيا.

وقد أبرزت وسائل الإعلام الغربية هذا التحذير فى الوقت الذى يتم فيه الترويج لفكرة زواج المسلمات من مسيحيين من خلال بعض العملاء من اللادينيين تحت شعارات العدالة الاجتماعية، والحفاظ على الوحدة الوطنية[2].

* * *

(١) صحيفة المسلمين الصادرة فى ١٥/ ٣/ ١٩٩١ (بتصرف).

(٢) حول أبعاد هذه الظاهرة تقول الفرنسية المسلمة والمقيمة بالقاهرة «مريم صلاح الدين»: لم ينجح الغرب برغم تشويهه للإسلام فى منع هذه الأفواج من النساء المسيحيات من الدخول فى الإسلام.. فالمرأة الأوربية قد تتزوج برجل مسلم لمجرد أنه فى البداية يتمتع برجولة وسمات شخصية تختلف عن الرجل الأوربى، ولكن مع تعرفها على الإسلام الحقيقى وقربها منه تدخل فى دين الله وتحب الإسلام بعمق، وتكون حريصة على تنشئة أطفالها على الإسلام، وهذا ما يزعج معظم مؤسسات الغرب الآن، بالرغم من حملات التنصير فى إفريقيا، وتشويه صورة الإسلام فى أوربا، فالإسلام ينتشر فى قلب أوربا وفى أعماق القارة السوداء. (صحيفة المسلمين الصادرة فى ١١/ ٦/ ١٩٩٣).

* تجاهل الكاثوليكية واعتناق الإسلام:

وزعت وكالة الصحافة الفرنسية تحقيقاً أعدته عن ازدياد عدد الذين يعتنقون الإسلام من المواطنين فى فرنسا، ويستمد التحقيق مادته الأساسية من ملف ضخم نشرته إحدى المجلات الفرنسية[1]. . . وعبرت فيه عن قلق الكنيسة الكاثوليكية من ذلك.

يقول التحقيق:

«منذ عدة سنوات والإسلام ينتشر فى فرنسا، حتى إن عدد الذين اعتنقوا الدين الإسلامى يتراوح بين ٣٠: ٥٠ ألف فرنسى من الأوساط الاجتماعية كافة، ومن الاتجاهات جميعها.

ولا تبدى الكنيسة الكاثوليكية قلقها من هذا الرقم بقدر قلقها من عمق إيمانهم، والأسباب التى أدت بغالبيتهم إلى ترك أو تجاهل الكاثوليكية والاتجاه نحو الإسلام. . . هذا الدين الذى يمتد بلا توقف.

وذكرت المجلة التى تعد من أكبر المجلات الفرنسية التابعة للكنيسة الكاثوليكية، أن هؤلاء المنتمين الجدد إلى الإسلام يختلفون تماماً عن المسيحيين الذين تحولوا إلى الإسلام قبل ذلك، حيث كانت الهجرة إلى الإسلام فى الماضى كان معظمها من العسكريين الذين عايشوا الإسلام خلال حقبة كاملة من الوجود الفرنسى فى شمالى إفريقيا والشرق الأوسط[2]. . ومن هؤلاء شاب اعتنق الإسلام وهو سليل أسرة عسكرية تقليدية، وقد دفعه إلى ذلك ما رآه من تضامن المؤمنين وجاذبية مقومات الشجاعة التى تتضمنها التقاليد الإسلامية العريقة.

وذكرت المجلة أن الأشخاص الذين يتحولون حالياً إلى الإسلام لإشباع ظمئهم الروحى هم الذين يبحثون عن الحقيقة والصرامة والانضباط فضلاً عن

(١) مجلة «لاكتواليتيه روليجيوز» الفرنسية، ونقلته عنها مجلة الأمة فى عددها الصادر فى يناير ١٩٨٥ (بتصرف).

(٢) يشير التحقيق فى ذلك أثناء فترة الاحتلال الفرنسى لدول شمال إفريقيا ولا سيما دولة الجزائر، فضلا عن دول الشرق الأوسط التى استعمرت فى الماضى.

العقيدة، بعيداً عن الكنيسة وعن السلطة الوضعية، وذلك بعد أن خاب ظنهم فيها نتيجة التقلبات التى عاشتها الكنيسة الكاثوليكية منذ إنشاء مجمع الفاتيكان.

وأشارت المجلة إلى شخص آخر ـ كان يريد أن يصبح راهباً ـ قد وجد طريقه الروحى فى الإسلام بعد تجربة فاشلة فى دير كاثوليكى.. كما أشارت إلى تحول آخرين بدافع من رفضهم لما تبيحه الأديان الغربية، ولكى يرضوا مشاعرهم التى تجردت من قيمتها فى الغرب وتوارت فى عالم النسيان.... وكقاعدة عامة فإن العالم الإسلامى أكثر تمسكاً بمبادئه الروحية والمعنوية من العالم الغربى. ثم تخلص المجلة إلى الإشارة عن أن معتنقى الإسلام الجدد يعتزمون ممارسة حياتهم وفق التقاليد الشرقية تماماً فى حين يفكر بعضهم فى الرحيل للعيش فى ديار الإسلام.

* * *

* الملك الإنجليزى «أوڤا» اعتنق الإسلام:

فى متحف «لندن» قطع نقدية ذهبية أثارت اهتمام أحد الباحثين، ويدعى «يوسف ميسر ليوغلو».. فقد لاحظ على أحد وجهى القطعة النقدية الذهبية عبارة «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» باللغة العربية.... وعلى الوجه الآخر كتب اسم الملك «أوفا» باللغة اللاتينية.

يقول الباحث الذى قام بدراسة هذه القطع النقدية الذهبية:

«إنها تشكل ظاهرة فذة فى تاريخ بريطانيا، بل فى تاريخ العالم كله، لأنها المرة الأولى التى توجد فيها قطع نقدية ذهبية عربية فى بلد غير إسلامى».

ويضيف الباحث:

«إن أوربا فى تلك الفترة، باستثناء بيزنطة ـ لم تكن تعرف النقود الذهبية، لذا فإن استخدامها فى ذلك الوقت مع وجود الكتابة العربية عليها يدل على أن الملك «أوفا» كان قد اعتنق الإسلام.

وقد أجمع عدد من الباحثين البريطانيين على اعتقادهم بأن «أوفا» كان قد اعتنق الإسلام، وأن سبب قلة ما كتب عنه فى المصادر التاريخية يرجع إلى الكنيسة التى تكون قد أعدمت الوثائق التاريخية فى عهده مما تعذر العثور على بيانات مستفيضة عنه[1].

* * *

* دعوة إلى البابا لاعتناق الإسلام:

وجه الداعية الكبير «الشيخ أحمد ديدات» رئيس مركز الدعوة بجنوبى إفريقيا - رسالة إلى بابا الفاتيكان «يوحنا بولس الثانى» يدعوه فيها إلى إجراء حوار[2] حول الإسلام والنصرانية، ويقول:

«لقد آن الأوان لكى أدعوكم إلى أعتناق الإسلام، خضوعاً لأمر الله تبارك وتعالى، واستجابة لقول المسيح عيسى عليه السلام وجميع الأنبياء الذين نؤمن بهم جميعاً».

وختم رسالته إلى «البابا» بطلب إجراء حوار معه سبق أن أبدى استعداده له أثناء زيارته لتركيا ونيجيريا!!

* * *

* اعتراف المحكمة الإيطالية بالشريعة الإسلامية:

اعترفت محكمة إيطاليـة متخصصـة - لأول مرة فى إيطاليا بل فى أوربا كلها - بالشريعة الإسلامية.. فقد حدث أن تقدم مواطن مغربى يعمل فى

---

(١) الملك «أوفا» حسبما تقول المصادر التاريخية البريطانية - كان قد حكم جزءاً كبيراً من بريطانيا فى القرن الثامن الميلادى، من الفترة ٧١٦ - ٧٥٧م.... لكن المعلومات حوله قليلة جداً، من تلك المعلومات أنه قد خاض حروباً عنيفة مع ملوك المقاطعات الأخرى، لذلك فقد حرص على تخليد ذكره بسك عملة تحمل اسمه (الموسوعة البريطانية «انسيكلو بيديا»).

(٢) من المعروف أن «الشيخ أحمد ديدات» يدير مثل هذه الحوارات علانية فى أماكن مفتوحة مع رجال الدين المسيحى، يتم تسجيلها على شرائط الفيديو... كما أن له عدة مؤلفات حول المعانى التى تدور فى الإسلام والنصرانية، منها كتاب «المسيح فى الإسلام» بالإضافة إلى العديد من النشرات التى يصدرها مركز الدعوة الإسلامية فى جنوبى إفريقيا.

أحد مصانع مدينة بولونيا الإيطالية ـ بطلب إقامة لعائلته المكونة من زوجتين شرعيتين واثنين من أولاده.

ولكن الشرطة وافقت على طلبات الإقامة بالنسبة لأولاده، ولزوجة واحدة، ورفضت السماح بالنسبة للزوجة الثانية، وطلب منها أن تغادر البلاد فوراً، لأن القانون الإيطالى لا يسمح بتعدد الزوجات.

وأمام القضاء الإيطالى، وضع المحامى نصوص الشريعة الإسلامية والتى أكدت أن من حق الرجل أن يتزوج أكثر من زوجة..

وبناء على ذلك ـ ولأول مرة ـ تصدر الهيئة القضائية فى إيطاليا حكمها لصالح المواطن المغربى، فسمحت له باستبقاء زوجتيه معه فى البلدة التى يعمل بها[1] .

* * *

* الله أكبر تتردد فى موسكو:

أثناء زيارة أحد الوفود الرسمية لموسكو ذهب بعض أعضاء الوفد لتأدية صلاة الظهر فى المسجد الكبير فى العاصمة السوفيتية، والتى لا يفتح إلا للمناسبات... فاستغل المسلمون هناك الفرصة وأذنوا للصلاة بواسطة الميكروفونات، وأخذوا ينشدون بأصوات مدوية نشيد الإسلام الخالد «الله أكبر الله أكبر».... وكان لهذه الظاهرة أثرها على القيادة السوفيتية، إذ أن هذا الهتاف كان يتردد بحماس منقطع النظير، ولأول مرة منذ قيام الثورة الشيوعية تتردد الله أكبر فى عاصمة الإلحاد»[2].

* * *

* مسلمو دول الاتحاد السوفيتى ـ سابقاً ـ فى ارتفاع مستمر:

قال العالم الأمريكى «موراى فيشباك»[3]: إن معدل المواليد بين مسلمى

(١) صحيفة أخبار اليوم الصادرة فى ٢٨/ ١/ ١٩٨٩ (بتصرف).

(٢) مجلة الأمة (شئون المسلمين فى العالم)· عدد يونيو ١٩٨١.

(٣) أستاذ بجامعة «جورجتاون»، أمضى خمسة وعشرين عاماً فى مكتب الإحصاء السكانى الأمريكى.

الدول المنبثقة عمّا كان يعرف بـ «الاتحاد السوفيتى» فى ارتفاع مستمر، فى حين يواصل معدل النمو السكانى لدى «الروس الأصليين» انخفاضه.

وأضاف «موراى»: أن الروس لن يظلوا الأغلبية القومية مسقبلاً، فضلاً عن أن انخفاض معدل النمو السكانى فى الاتحاد السوفيتى - بشكل عام - يعنى عدم إضافة عمالة جديدة لإنعاش الاقتصاد السوفيتى.

واختتم الدراسة التى أعدها بهذا الخصوص قائلا: «إن التركيبة العرقية للسكان فى الاتحاد السوفيتى سوف تتغير بسبب الازدياد فى عدد المسلمين، والتناقص فى عدد الروس[1].

* * *

* أعداد المسلمين فى بريطانيا فى تصاعد مستمر:

تقول مجلة «تلغراف ويك إند»: «إن أعداد المسلمين فى بريطانيا فى تصاعد مستمر بعد ارتفاع موجة إشهار عدد كبير من البريطانيين والبريطانيات إسلامهم».

وتضيف المجلة: «إن الزوبعة التى أثارتها قضية كتاب «سلمان رشدى» لم تمنع البريطانيين عن الإقبال على الإسلام ومحاولة دراسته وفهمه».

* * *

*الإسلام ينتشر فى البرلمان اليابانى[2]:

أعلن «مستر جسوانا غالى»، عضو البرلمانى اليابانى، وأحد الأقطاب البارزين فى الحزب الحاكم، عن اعتناقه للإسلام.. وقد نطق بالشهادتين أمام حشد كبير من المسلمين فى ساحة مسجد «سنموكو».

ويعتبر «غالى» الذى تسمى باسم «عبد العزيز» سابع سبعة من أعضاء البرلمان اليابانى اعتنقوا جميعهم الإسلام مؤخراً.

(١) مجلة الأمة فى عددها الصادر فى ديسمبر ١٩٨٢ (بتصرف)
(٢) مجلة الأمة فى عددها الصادر فى يناير ١٩٨٢ (بتصرف).

والجدير بالذكر أن فى اليابان لجنة تسمى «المؤتمر الإسلامى اليابانى». . وهى تعمل على نشر الدعوة الإسلامية فى أوساط المواطنين اليابانيين. . . وقد وصل عدد الذين يتمتعون بعضوية «المؤتمر» نحو ستين ألف مسلم .

* * *

*الإسلام يقتحم الحزب الشيوعى فى الصين:

نشرت صحيفة «سهجاى ديلى» التى تصدر فى «شنغهاى» تقريراً حول إسلام عدد من أعضاء الحزب الشيوعى الصينى فى إحدى المقاطعات النائية. . وأن بعض الزعماء المحليين أصبحوا معلمين إسلاميين.

ومن المضحك أن الصحيفة قد اتهمت كل من أسلم بالانحراف عن المبادئ الماركسية اللينينية، . . . ولا عجب فى ذلك، فقد أحدث إشهار بعض أعضاء الحزب الشيوعى إسلامهم ردود فعل عنيفة داخل الحزب ومؤسساته وأجهزته الإعلامية. . . فكتبت وكالة صحيفة «بيجنج ريباو» الصينية مقالا مستفيضاً انتقدت فيه بشدة اعتناق أولئك للإسلام وأداءهم للشعائر فى المساجد مع بقية المسلمين. . وذهبت إلى القول بأن أعضاء الحزب الشيوعى ليسوا مواطنين عاديين، ولذلك فإنهم لا يستطيعون الادعاء بأن لهم حق ممارسة الدين. . وأنه غير مسموح للشيوعيين الإيمان بالله.

وأشارت فى موقع آخر من المقال إلى أن أعضاء الحزب الشيوعى يجب عليهم أن ينشروا الإلحاد[1].

* * *

*سرعة انتشار الإسلام فى إفريقيا ظاهرة أدهشت الباحثين:

للإسلام جاذبية بالنسبة للشخص الإفريقى، لأنه يخلو من أى تمييز عنصرى، فأيًا كان لون بشرة الرجل، وأيّاً كان مركزه الاجتماعى، وأيّاً كان وضعه الاقتصادى، فإنه يكون دائماً موضع ترحيب للصلاة فى المسجد

(١) مجلة الأمة فى عددها الصادر فى فبراير ١٩٨٢ (بتصرف).

والاختلاط بإخوانه المسلمين. . . . . وفى ذلك يقول «سميث Smith» ـ أحد الباحثين الغربيين المنصفين:

«ينبغى الاعتراف بأن الإسلام ينطوى على قوة جذب، وكون أن نسبة بهذا الحجم من الإفريقيين قد اعتنقت هذه الديانة لدليل على ذلك، فليس من المقنع تفسير اعتناقه على أساس أن الإفريقيين قد أرغموا على اعتناق الإسلام، لأن ذلك ليس صحيحاً بالنسبة للغالبية. . وليس من المقنع القول بأن الإسلام يكتسب أنصاراً بتملق شهواتهم الحسية، كما ليس من الممكن القول بأن الإفريقيين قد اختاروا الإسلام لأنه لم يكن لديهم بديل آخر عن ديانتهم الوثنية التى لم تعد ترضيهم. . .»

ثم يضيف قائلاً:

«وتكمن قوة الإسلام فى قوة العقيدة التى يمنحها، فالمسلم يعتقد فى إله واحد، ويتردد صدى الإعلان المؤثر عن الإيمان فى الدعوة إلى الصلاة «الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله». . .

ويتطرق «سميث» إلى جزئية هامة فى ظاهرة سرعة انتشار الإسلام فى إفريقيا فيقول:

«ليس ثمة هوة بين الداعية المسلم وبين الإفريقى كتلك ألهوة التى بين الداعية النصرانى والإفريقى. . . وكثير من الرجال الذين يعدون أنفسهم نصارى طيبين لن يخطر ببالهم الإقرار بالزمالة مع النصارى من سود البشرة. . أما المسلمون فلا يفرقون، فالعرب والزنوج والبربر والهنود إخوة فى الدين، ولا يختلط بعضهم ببعضهم الآخر فى العبادة فحسب، وإنما يعاون بعضهم بعضاً عن طيب خاطر فى شئون الحياة اليومية»[1].

---

(١) المقعد الذهبى: سميث أدوين.

ـ يقول «بلايدن Blyden»:

«يتحتم عليَّ الاعتراف بأننى حيثما شاهدت هؤلاء الرجال(١) وهم يعملون، وقارنت بين جهودهم الحماسية وإنكارهم للذات، وعدم مبالاتهم باعتراف الناس بجهودهم، أو بالثناء عليهم، وبين الدعاة المسيحيين وما كانوا عليه من تهيب وتردد، واعتماد كلى على العون والتأييد الخارجى، كان يعترينى شعور مماثل لذلك الشعور الذى قال «رينان» عنه إنه كان يعتلج فى صدره فى كل مرة يشاهد فيها الصلاة اليومية للمسلمين، فلم أدخل مرة مسجداً بدون أن يعترينى شعور دافق، بل لعلى أقول بدون أن يعترينى شعور ما بالأسف، لأننى لست مسلماً»[٢].

ويعرض «مورل» أحد الباحثين الغربيين وجهة نظره بالنسبة لأثر اعتناق الإسلام عند الإفريقى فيقول:

«يأخذ الإسلام بيد الإفريقى، ويمنحه المساواة مع كل الرجال الآخرين، فمنذ اليوم الذى يعتنق فيه الوثنى الإسلام، لا يستطيع مسلم من الساميين أن يزعم لنفسه سمواً اجتماعياً عليه، فالإسلام بالنسبة للزنجى هو الاتجاه نحو مفهوم أسمى للوجود، حيث يوحى له بالثقة فى مصيره، وتتشرب روحه بإيمان قوى فى نفسه وجنسه».

ـ أما «ميك Meek» ـ وهو باحث غربى آخر ـ فقد لاحظ تلك الظاهرة عندما كان فى «نيجيريا» فأرجعها إلى فضل الإسلام ذاته على الجماعات والقبائل بها فيقول:

«فقد أتى الإسلام بالمدنية إلى قبائل بربرية، وأحال جماعات وثنية منعزلة إلى أمم، وجعل التجارة مع العالم الخارجى أمراً ممكناً، ومن ثم أضفى على أتباعه الكرامة واحترام النفس واحترام الآخرين، بعد أن أدخل الإسلام إليها القراءة والكتابة، وبتحريمه الخمر، وأكل لحوم البشر، وغير ذلك من العادات

(١) يعنى الدعاة المسلمين.

(٢) الإسلام فى السودان الغربى: بلايدن.

البربرية الأخرى . . . وباتساع أفق الإفريقى أدرك وجود إلـه أعظم واحد . . . كما تبين له أن المسلمين متسامحون، وأن مساكنهم أفضل من مسكنه، وثيابهم أفضل من ثيابه، وأن نظرتهم إلى العالم أفضل من نظرته مما ساعد على اعتناق مفهوم المسلمين وأسلوبهم فى الحياة، بعد أن تبين له ضيق ديانته بالمقارنة بعالمية الإسلام»[1].

* * *

* الإسلام أكثر الديانات انتشاراً فى العالم:

جاء فى مجلة «التلجراف» الأسبوعية البريطانية أن الإسلام أصبح الآن أكثر الديانات انتشاراً بين شعوب العالم فى آسيا وإفريقيا وأوربا . . . . . وأن عدد المسلمين فى العالم يبلغ الآن حوالى مليار مسلم . . وأضافت المجلة: إن الزيادة فى عدد المسلمين فى العالم بنسبة خمسين مليون نسمة سنوياً ترشح الإسلام ليصبح القوة المؤثرة فى الأحداث خلال القرون القادمة.

* * *

* تحذير غربى من تزايد أعداد المسلمين[2]:

حذرت إحدى الصحف السويدية من تزايد أعداد المسلمين فقالت:

«إن عدد المسلمين الآن وصل إلى ١٠٠٠ مليون نسمة» . . . وأضافت تحت عنوان «المسلمون قادمون» : إن الصحوة الإسلامية تنتشر فى القارات الخمس.

ومما هو جدير بالذكر أن الصحيفة كانت قد نشرت صورة للأعداد الكبيرة من المصلين خارج أحد مساجد القاهرة حيث لم يتسع لهم، فأقاموا المنبر خارج المسجد والتف الآلاف من المصلين حول الإمام فى الطريق العام.

(١) القبائل الشمالية فى نيجيريا: ميك.

(٢) مجلة الوعى الإسلامى ـ عدد مايو ١٩٨٦ (بتصرف).

. . . كما نشرت الصحيفة عدة إحصاءات للمقارنة بين عدد المسلمين وغيرهم خلال الأربعين عاماً الماضية فقالت: إن المسلمين أصبحوا الآن مليار نسمة فى حين كانوا عام ١٩٣٤ حوالى ٢٠٠ مليون نسمة فقط.

* * *

* المجتمع اليابانى ميَّالٌ لقبول الإسلام:

مما هو جدير بالذكر أن طبيعة المجتمع اليابانى تقوم على حرية التدين واحترام الفرد[١]، يضاف إلى ذلك عدم وجود عداء تقليدى أو تاريخى بين اليابانيين والمسلمين، لذا تجد المجتمع اليابانى ميالاً لقبول الإسلام والمسلمين، ويبدو هذا واضحاً من دخول مجموعة لا بأس بها من أساتذة الجامعات اليابانية فى الإسلام، فضلاً على دخول عدد من الرهبان البوذيين الإسلام، من هؤلاء رئيس جمعية دينية من «الشنتو»[٢] ويدعى «فوچى نوميا» وهو من العائلات المعروفة فى اليابان، ومن أهم الأسباب لقبول المجتمع اليابانى للإسلام بساطته، وخلوه من التعقيدات والأباطيل والتحريف، فهو دين الفطرة، الأمر الذى يختلف بالنسبة لعقيدة التثليث النصرانية وتعقيداتها الكثيرة، وصعوبة فهمها، مما يصعب الاقتناع بها، فضلاً عن ارتباط النصرانية ذاتها بالدول التى ألحقت الهزيمة باليابانيين. . هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى لا يوجد أى عداء بين المسلمين واليابانيين، الأمر الذى يجعل الباب مفتوحاً أمام الدعوة الإسلامية، ويشعرنا فى الوقت نفسه بثقل المسئولية الملقاة على عواتقنا[٣].

ومن الدلالات الواضحة التى لها أهميتها فى هذا الصدد حرص شقيق الإمبراطور على حضور «مؤتمر الفقه الإسلامى» الذى عُقد فى طوكيو منذ

---

(١) الدستور اليابانى ينص على حرية العقيدة، الأمر الذى أتاح الفرصة للحركات التنصيرية أن تغزو البلد، وخاصة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وهزيمة اليابان.

(٢) الديانة الأصلية فى اليابان.

(٣) يلاحظ أن مناهج التعليم اليابانية الرسمية التى تزخر بالكثير عن عقيدة الشنتو والبوذية إضافة إلى مدارس الإرساليات التبشيرية الكثيرة المنتشرة فى أنحاء اليابان كل ذلك يعيق تقدم الدعوة الإسلامية هناك.

فترة. . . وهذا يحدث لأول مرة فى تاريخ اليابان. . . . ويمكننا أن ندرك أهمية ذلك إذا علمنا أن القانون اليابانى يقضى بعدم مشاركة العائلة الإمبراطورية فى أى مؤتمر دينى.

كما حضر المؤتمر أيضا أعضاء المحكمة العليا، ولفيف من أساتذة القانون.

هذا، وتحرص محطات التليفزيون الحكومية على إعداد برامج عن الإسلام فى مناسبات مثل شهر رمضان، وموسم الحج. . ولعل ما تجدر الإشارة إليه هنا قيام «شركة تليفزيون اليابان» بإنتاج فيلم عن الحج، والذى يعتبر من أنجح الأفلام اليابانية التى أخرجها التليفزيون، كما صرح بذلك المسئولون هناك، فقد لاقى إقبالاً كبيراً من اليابانيين. . كما نال جائزة تقديرية من وزارة المعارف اليابانية. . ويجرى توزيعه على جميع المدارس والمؤسسات التعليمية لعرضه والاستعانة به كوسيلة من وسائل الإيضاح.

* * *

* ٢٠٠٠ جندى أمريكى أشهروا إسلامهم أثناء الأزمة فى الخليج(١):

ذكرت أنباء صحيفة نقلاً عن مصدر رفيع المستوى بإدارة التوجيه الدينى بالمنطقة الشرقية فى المملكة العربية السعودية أن حوالى ٢٠٠٠ جندى أمريكى، بينهم عدد كبير من النساء، قد أشهروا إسلامهم خلال الشهور السبعة الماضية التى تواجدوا فيها على أراضى المملكة السعودية.

وأوضح المصدر لصحيفة الشرق القطرية الصادرة فى ٢٧/ ٢/ ١٩٩١ أن من بين الذين أشهروا إسلامهم قسيساً أمريكيّاً من أصل «سرى لانكى» بعد مناظرة عُقدت أمام حشد كبير من القوات الأمريكية. . . وبعدها بدأ دخول أعداد كبيرة من الجنود الأمريكيين فى الدين الإسلامى.

* * *

(١) صحيفة الأهرام الصادرة فى ٢٨/ ٢/ ١٩٩١.

* من كوريا الشمالية.. كبير القساوسة يعلن إسلامه:

أعلن كبير قساوسة البروتستانت فى كوريا الشمالية إسلامه خلال ندوة أُقيمت فى مدينة «بوساى» بكوريا الجنوبية، اشترك فيها عدد كبير من علماء المسلمين.

وقال كبير القساوسة - واسمه «المستر سين»، الذى أصبح اسمه بعد إسلامه «عمر ياسين»[1]:

«إن الإسلام شغله منذ فترة طويلة، وأنه لم يعد أمامه إلا أن يعتنقه، وأن يجاهد فى سبيله بعد أن تأكد له أنه الحق.

. . .ومن الطريف أنه قد أسلم معه أحد كبار العلماء البوذيين وكان من أكبر دعاة البوذية هناك، وهو «عمر كيم».

* * *

*عمال كوريون يعلنون إسلامهم لسبب واحد...؟:

حدث أن استقدم أحد رجال الأعمال فى المملكة السعودية جماعة من العمال الكوريين غير المسلمين - فعملوا لديه عشرة أشهر، ثم أراد ترحيلهم إلى بلادهم بدون أن يعطيهم أجورهم كاملة، فشكوه إلى المحكمة الشرعية بجدة، فقضت المحكمة بوقف ترحيلهم حتى تسلم إليهم أجورهم.

فلما رأوا هذه العدالة الشرعية فى الحكم الإسلامى يحكم بها القاضى أخذتهم الروعة بعظمة الإنصاف لهم، فلم يغادروا قاعة المحكمة حتى أعلنوا إسلامهم ذاكرين أنهم يفتقدون مثل هذه العدالة السامية فى بلادهم وبين أقوامهم.

* * *

(١) كان رئيساً لأربع عشرة كنيسة، فضلاً عن كونه أستاذاً لمادة اللاهوت بجامعة بوساى بكوريا الجنوبية.

* سكان قرية هندية بأكملها تعتنق الإسلام:

دخل إلى الإسلام نحو ٦٠ ألف نسمة هم سكان قرية «مينا كشيورام» الهندية بأكملها، قالوا جيمعاً:

«لا إلـه إلا الله، محمد رسول الله»... وعندما سئلوا عن سبب دخولهم الإسلام:

قالوا: إنهم وجدوا التراحم والتسامح والعدل وكل المبادئ العظيمة فى الدين الإسلامى... وأضافوا: أنهم انضموا تحت لواء الإسلام، برغم كل حملات الدعاية المكثفة التى شنتها السلطات الهندية لإثنائهم عن هذه الخطوة المباركة.

* * *

*موجة جماعية أخرى لاعتناق الاسلام.

كتبت صحيفة «الجارديان» البريطانية عن ردود فعل الأوساط الهندية الرسمية إثر موجة جماعية من اعتناق المنبوذين للإسلام فى مقاطعة «تاميل نادو»، حيث أعلن ٤٠٠ هندوسى من المنبوذين[١] اعتناقهم للإسلام.

وقال رئيس وزراء مقاطعة «تاميل نادو» إنه لن يتردد فى التحرك لمنع التحول بأى شكل من الأشكال...

ولا عجب، فقضية التحول إلى الإسلام قد لامست عصباً حساساً فى الهند... وقد كشفت عن ذلك صحيفة «تايمز أف إنديا» أيضاً.

ومما يذكر أن المنبوذين لا يعانون من الفقر فحسب، إنما هم يعانون من الحرمان من أى حق من حقوقهم الإنسانية... ويقول فى ذلك «ناغور أمير» وهو أحد المنبوذين الذين أسلموا:

---

(١) مما هو جدير بالذكر أن الملايين من المنبوذين يعانون من الجوع كل يوم، والمئات يموتون فى الاشتباكات التى تحدث بينهم وبين الهندوس، ولم تفعل الحكومة ما من شأنه أن يخفف من بلواهم، ومع ذلك عندما يتحول بضع مئات إلى ديانة أخرى تقوم الدنيا ولا تقعد !!.

«إننى أكره الهندوسية، إذ أنه لا يسمح لنا فى ظلها بدخول المعابد، أما فى الإسلام فهناك إلـه واحد هو الله والأغنياء والفقراء يعاملون المعاملة نفسها فى المسجد. . أما الهندوس لا يسمحون لنا بمشاركتهم فى أى شئ، حتى المائدة، أمّا المسلمون فإننى لا أشاركهم المائدة نفسها وحسب، بل وأدخل بحرية إلى منازلهم.

* * *

* قبيلة كينية تشهر إسلامها على يد بائع متجول:

ذكرت إحدى المصادر الصحفية الموثوق منها أن قبيلة كينية وثنية قد اعتنقت الإسلام على يد بائع متجول يدعى «سعيد المشجرى».

يذكر رئيس قضاة كينيا أن القبيلة التى تسكن فى منطقة «جرسين» قد اعتادت الأمانة والخُلُق الرفيع من البائع المتجول الذى كان يتحدث معهم فى أثناء عملية البيع والشراء عن الإسلام وفضائله وتعاليمه، وبعد حوار دام سنوات قليلة تمكن البائع من إقناع أفراد القبيلة بالإسلام[1].

* * *

* «أخـوات محمـد»:

أشهرت ثمانية آلاف امرأة إسلامهن فى ألمانيا خلال الأشهر الماضية. . . تناقلت الصحف الألمانية هذا الخبر بعد أن كونت هؤلاء النسوة المسلمات جماعة أطلقن عليها اسم «أخوات محمد».

وتقول صحيفة «دير شبيجل الألمانية»: أن الثمانية آلاف مسلمة اللاتى أطلقن على أنفسهن اسم «أخوات محمد» قد اتبعن رسالة النبى محمد ﷺ طواعية، وبدون تأثير من أحد. . . . وفى ندوات يعقدنها يستمعن إلى تفسير للقرآن الكريم وشرح لأحاديث النبى محمد ﷺ.

---

(١) صحيفة المسلمين فى عددها الصادر فى ٢٤/ ١/ ١٩٩٢ (بتصرف).

وتضيف الصحيفة: «إن بعض هؤلاء عندما يُسافرن إلى تركيا مثلاً يشعرن بالحرج عندما يجدن الاختلاط سمة عامة من سمات المجتمع فى تركيا».

تقول «انيروسى ساكا» (٢٨ عاماً) إحدى عضوات جماعة «أخوات محمد».

«إننى أشعر بالرضا التام عن سلوكى الإسلامى الذى يفرض علىَّ دينى الحنيف.. لم أعد أغادر بيتى إلا وأنا محجبة، وأشعر أن الناس فى الشوارع أصبحوا يحترمون الملتزمات من النساء».

وتمضى تقول:

«يسعدنى ويسعد إخواتى جميعاً أن أتوجه إلى الكعبة المشرفة خمس مرات يومياً، وأشعر أن السعادة باتت ترفرف على منزلى بعد إسلامى».

وتتحدث «فاطمة» - إحدى المسلمات الألمانيات، والتى تعمل فى دار نشر ألمانية - فتذكر أنها تحتفظ بسجادة للصلاة معها فى مكتبها حتى تكون دائماً فى متناول يدها عندما يحين موعد الصلاة.

وتقول مسلمة ألمانية أخرى من مدينة «كولونّ»:

«بعد اعتناقى الإسلام امتنعت عن الذهاب للنوادى وصالات الرقص، وأستطيع أن أؤكد أننى الآن أكثر احتراماً لنفسى ولآدميتى ولأنوثتى».

أما «أنجريد جونسر» (٢٦ عاماً) فتقول:

«لا أدرى لماذا هذه الضجة المثارة حول تعدد الزوجات فى الإسلام... إن زواج الرجل بأكثر من امرأة ليس قصة من قصص ألف ليلة وليلة، ولكنه تشريع إلـهى، وهو عمل ومسئولية شاقة».

ومن الجدير بالذكر أن إحدى الجمعيات الألمانية المتخصصة فى البحث عن الجاليات والأقليات الأجنبية قد صرحت بأنها بحثت فى أسباب حالات

اعتناق الألمانيات للإسلام فوجدت أنهن اعتنقن الإسلام من أجل الإحساس بضرورة الالتزام بقواعد ثابتة، وهو ما يوفره الإسلام فى جميع أوجه الحياة.

وتمضى مصادر الجمعية الألمانية تقول:

«فى الحقيقة أن هناك أكثر من سبب لهذه الظاهرة، ولكن الالتزام هو ما تبحث عنه هؤلاء المسلمات الجدد فى عصر يعيش فيه الألمان حياتهم الغربية بعيداً عن الالتزام، والإحساس بعدم جدوى الحياة على النسق السائد حاليا»[1].

* * *

* المساجين فى الزنازين يشهرون إسلامهم:

وسط ظروف نفسية صعبة وبرغم التهديدات المباشرة بالقتل، تمكن ـ بفضل الله ـ الشاب المصرى «سيد نصير» المتهم بقتل العنصرى المتطرف «مائير كهانا» من هداية جيرانه فى زنزانته بالسجن الأمريكى.

وقد أعرب السجناء الذين أشهروا إسلامهم عن غبطتهم وسعادتهم الفائقة، وأكدوا أن سلوك «سيد نصير» وتمسكه بعقيدته قد دفعهم نحو قراءة الترجمات الإسلامية التى قدمها لهم، والتى وجدوا فيها الأمن والطمأنينة، والإجابة عن تساؤلات قد حيرتهم طويلاً، وذلك برغم وجودهم خلف القضبان.. ومن هؤلاء «مايكل ماركاز» الذى تسمى باسم «مالك عبد السلام» الذى يقول:

«لقد وجدت الحقيقة داخل السجن، وأيقنت تماماً أن فى القرآن الكريم حلولاً لكافة المشكلات التى تواجه البشر، حتى ولو كانوا مثلنا» ثم أضاف قائلاً:

---

(١) من المعروف أن ألمانيا أصبحت تضم ثانى أكبر أقلية مسلمة فى العالم، حيث يعيش فى مدنها وقراها قرابة ١,٧ مليون نسمة (صحيفة المسلمين ـ فى عددها الصادر فى ٢٦/ ٣/ ١٩٩٣).

«لقد اختلفت معاملتى مع الآخرين وأشعر أن الله الواحد الأحد بين مقادير السموات والأرض، وأدرك الآن أنه لن يُصيبنى إلا ما كتبه الله لى».

ومن جيرانه السجناء أيضاً «وليام سكوت» الذى اختار لنفسه اسم «حكيم سلام» بعد إسلامه، والذى قال:

«إننا الآن نعرف ما لنا وما علينا، ونعلم أن لنا وظيفة فى الحياة، حتى ولو كنا داخل المعتقل».

ويعبر سجين آخر يدعى «سايكو أن ابس» عن سعادته باعتناقه للإسلام فيقول:

«لقد قرأت عن الإسلام من قبل، وحين دخلت السجن وشعرت بمدى صبر وتحمل إخوانى المسلمين نطقت بالشهادتين».

فى حين يقول السجين «وليم فيجا» الذى تسمي باسم «عبد الله رحيم»:

«لقد شعرت لأول مرة أن الحياة تمضى، وأن عقارب الساعة تتحرك نحو الفرج القريب بإذن الله.. لقد شاءت إرادة الله أن أجد الحقيقة داخل السجن، ولقد دخلت فى محاورات مع زملائى فى السجن، وأثبتوا لى المغالطات المتعددة فى الإنجيل، سواء فى «العهد القديم» أو «العهد الجديد»... وعند ذاك تجلت لى حقيقة لا إله إلا الله محمد رسول الله»(1).

***

*أربع قرى تعتنق الإسلام:

بعد وقوع ظاهرة غريبة من نوعها تدل على آية الله فى خلقه.... اعتنقت أربع قرى الدين الإسلامى إيماناً بالإعجاز القرآنى العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(1) صحيفة المسلمين ـ الصادرة فى 25/ 10/ 1991 (بتصرف).

والحكاية تبدأ فى ولاية «جونجولى» بشمال نيجيريا، التى شهدت آية إلـهية عظيمة، حيث لقى أحد المتطاولين على كتاب الله ـ القرآن الكريم ـ مصرعه بعد أن تطاول عليه بالسخرية والاستهزاء.

وقصة هذا الخبر تتخلص فى حادثة غريبة نشرتها صحيفة «جسكياتاف كوبو» النيجيرية[1]، حيث كشفت عن قيام واعظ مسيحى من المكذبين بالقرآن الكريم، والمستهزئين بالدين الإسلامى، حيث وقف واعظاً بين لفيف من المسيحيين بكنيسة «بابتيس»، وقال مستهزئاً فى تَحدٍّ سافرٍ:

«إن كان القرآن والدين الإسلامى حقّاً فأنا أسأل الله ألا أرجع إلى بيتى حيّاً».

ويشاء رب العالمين أن يثبت له أن القرآن ودينه الإسلامى الذى ارتضاه لعباده حقًّا وصدقاً، حيث حدث بمجرد خروجه من الكنيسة وبينما هو فى طريقه إلى بيته إذْ عثر بزحام قناة صغيرة حينما أراد أن يعبرها، فوقع ميتاً فى القناة الصغيرة، وحينما تدخل رجل لإنقاذه مات هو الآخر فى اليوم التالى مباشرة.

والغريب حينما حمله أتباعه وأشياعه بعد الحادث وذهبوا به إلى المستشفى، وهناك أخبرهم الطبيب بأنه مات، فلم يقتنعوا بتشخيصه، فأخذوه إلى مستشفى آخر، فأخبروهم بأنه مات بالفعل، فلم يصدقوا، وأخيراً انتهى بهم المطاف إلى مستشفى خاص بالجماعة التنصيرية، حيث أثبت الأطباء المنصرون بأنه قد مات فعلاً.

وبمجرد انتشار الخبر فى ولاية «جونجولى» شمالى نيجيريا، اعتنق سكان أربع قرى الإسلام[2].

---

(١) العدد رقم ٤٠٠٧، فى الصفحة الأولى من الصحيفة.

(٢) وهى قرى «فال».. «ويلوا».. «غواتى».. و«موب» من قرى تلك الولاية.

وتجدر الإشارة إلى أن الواعظ المسيحى الهالك يدعى «عمر غيمو» كان مسيحياً وأسلم، ثم ارتد عن الإسلام، وأخذ يحارب الإسلام والمسلمين فى الكنائس، وكل موقع يحل فيه، إلى أن لقى حتفه بعد الاستخفاف والاستهزاء بالقرآن الكريم، وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[1]

كما أشارت الصحيفة المذكورة إلى وقوع حادثة أخرى فى منطقة «لنكبيرى» الواقعة بولاية «جولنجولى» حيث أراد المنصر الأوربى «رفلينت ولفى بوث» إحراق نسخة من القرآن الكريم، فاحترقت يداه، فنقلوه إلى بلده لعلاجه إلا أنه مات فور وصوله للمستشفى... فما إنْ رأى ذلك منصران غربيان حتى أعلنا إسلامهما اتعاظاً بهذه الحادثة.

***

* قرية كورية أسلمت كلها وأنشأت مسجداً[2]:

القرية الصغيرة «كوانجو»[3] أصبحت حديث الناس فى «كوريا الجنوبية، إذ اعتنق جميع سكانها - وعددهم ثلاثة آلاف شخص - الإسلام.

الطريف أن القرية قد أصبحت مقصد كل شخص يريد التعرف علي الإسلام فى كوريا الجنوبية، أو ينوى اعتناق هذا الدين الحنيف.

وأصبحت القرية مشهورة بمسجدها الذى يقف شامخاً بطرازه الإسلامى البديع... وبعد أن كان غرفة واحدة صغيرة فى منزل شخص يسمى «الحاج عبد الله جون» أول مسلم فى تلك القرية.... أصبح المسجد الآن مركزاً

---

(١) سورة الأنعام - الآية: ١١.

(٢) مجلة اللواء الإسلامى - الصادرة فى ١٣ مايو ١٩٨٢ (بتصرف).

(٣) «كوانجو» تبعد عن العاصمة الكورية «سيول» بحوالى ستين كيلو متراً.

إسلامياً ضخماً، تُمارَسُ فيه الشعائر الدينية... ويتلقى فيه الطلبة العلم، كما يعد ملتقىً لجميع المسلمين وقادتهم فى كوريا الجنوبية.

* * *

*... وقرية هندية أخرى تعتنق الإسلام:

اعتنق سكان قرية هندية الإسلام بصورة جماعية، يبلغ تعدادها ٣٢ ألف نسمة.. الطريف أنه قد أعقب ذلك تحول مجموعة كبيرة من طائفة «الهاريجان» الهنود للإسلام.

وبالبحث والتقصى عن دوافع ذلك تبين تأثير ما لمسوه فى الإسلام من قواعد العدل والمساواة والحرية بعكس، ما كانوا يعانون منه قبل إسلامهم من تفرقة وعنصرية وظلم وكبت.

إن ذلك يأتى ضمن بوادر الصحوة الإسلامية بالهند برغم كل ما يواجهه المسلمون هناك من اضطهاد وممارسات عدوانية شرسة.

* * *

المراجـــع

* القرآن الكريم.
* فى طريقى إلى الإسلام: الدكتور أحمد نسيم سوسة.
* الإسلام فى مفترق الطرق: محمد أسد.
* الإسلام: الكونت هنرى دى كاسترى.
* الطريق إلى مكة: مراد ولفريد هوفمان.
* الإنجيل والقرآن والتوراة والعلم: موريس بوكاى.
* مبشرات الإسلام: رجاء جارودى.
* وعود الإسلام: رجاء جارودى.
* فضل الحضارة الإسلامية: رجاء جارودى.
* الإسلام فى إفريقيا السوداء: فانسان مونتيه.
* محمد رسول الله: إيتين دينيه.
* أشعة خاصة بنور الإسلام: إيتين دينيه.
* الحج إلى بيت الله الحرام: إيتين دينيه.
* الإسلام فى السودان الغربى: بلايدن.
* إنجيل يوحنا: الإصحاح الثانى عشر.
* إنجيل لوقا: الإصحاح الرابع عشر.
* إنجيل مرقص: الإصحاح الثالث عشر.

ـ مجلات دورية:

* مجلة الفيصل: أعداد مارس ١٩٩١ ـ ديسمبر ١٩٩١ ـ

أبريل ١٩٩٢ ـ أكتوبر ١٩٩٢ ـ فبراير ١٩٩٣ ـ مارس ١٩٩٣ .

* المجلة العربية: يونيو ١٩٨٧ سبتمبر ١٩٩٢ .
* مجلة الأمة: يناير ١٩٨٢ ـ فبراير ١٩٨٢ ـ ديسمبر ١٩٨٢ .
* مجلة منار الإسلام: نوفمبر ١٩٨٢ ـ يونيو ١٩٨٤ .
* مجلة الضياء[1]: ديسمبر ١٩٨٧ .
* مجلة الوعى الإسلامى: يناير ١٩٨٦ ـ مايو ١٩٨٦ـ يونيو ١٩٩٢
* مجلة منبر الإسلام: يونيو ١٩٧١ .
* مجلة الدعوة[2]: أكتوبر ١٩٧٦ .
* مجلة الأزهر: نوفمبر ١٩٦١ .
* مجلة الإسلام: يوليو ١٩٣٦ ـ سبتمبر ١٩٣٦ .
* مجلة المنار: ديسمبر ١٩١٣ .

ـ صحف أسبوعية ويومية:

* صحيفة المسلمين الدولية: أعداد ١/ ٢/ ١٩٨٥ ـ ١٥/ ٤/ ١٩٨٥ ـ ٣١/ ٨/ ١٩٨٥ ـ ٢٥/ ١٢/ ١٩٨٨ ـ ١٥/ ٣/ ١٩٩١ ـ ١٤/ ٦/ ١٩٩١ ـ ٢٨/ ٦/ ١٩٩١ ١٢/ ٧/ ١٩٩١ ـ ٩/ ٨/ ١٩٩١ ـ ٢٥/ ١٠/ ١٩٩١ ـ ٨/ ١١/ ١٩٩١ ـ ٣/ ١/ ١٩٩٢ ـ ١٤/ ٢/ ١٩٩٢ ـ ١٩/ ٦/ ١٩٩٢ ـ ١٧/ ٧/ ١٩٩٢ ٢٦/ ٣/ ١٩٩٣ ـ ٢٨/ ٥/ ١٩٩٣ ـ ١١/

---

(١) تصدر فى إمارة دبى.

(٢) يلاحظ أن هناك مجلات قد توقف صدورها مثل الأمة والدعوة وغيرهما.

٦/ ١٩٩٣.

* صحيفة الرأى العام: ٢٠/ ٣/ ١٩٩٠.

* صحيفة اللواء الإسلامى: ١٣/ ٥/ ١٩٨٢ ـ ١٤/ ١١/ ١٩٨٥ ـ ٢٧/ ١٠/ ١٩٨٨.

* صحيفة الأهرام: ٢٨/ ٢/ ١٩٩١.

* صحيفة أخبار اليوم: ٢٨/ ١/ ١٩٨٩.

* صحيفة الاتحاد[١]: ١/١١/ ١٩٨٩.

* صحيفة «الأوبرزفر»[٢]: ٢٣/ ١١/ ١٩١٣.

* مقتطفات من مجلات دورية وصحف غير معلومة المصدر أثبتناها لمقدار أهميتها لموضوع الكتاب.

(١) تصدر فى الإمارات العربية المتحدة.

(٢) تصدر فى إنجلترا

الفهـــرس

الفصل الثانى: مفكرون عالميون اعتنقوا الإسلام

الفصل الثالث: أساتذة أكاديميون اعتنقوا الإسلام

الفصل الرابع: قساوسة ومُنَصِّرون اعتنقوا الإسلام

الفصل الخامس : شخصيات يهودية اعتنقت الإسلام

الفصل السادس: شخصيات بوذية اعتنقت الإسلام

الفصل السابع: مواقف وتقارير

هذا الكتاب

لقد زاد انتشار الإسلام فى الآونة الأخيرة ، برغم الأضاليل التى ينشرها الغرب عنه لتشويه صورته فى أعين الغربيين وغيرهم ، وبرغم ازدياد النشاط التبشيرى فى كثير من الدول الإفريقية وغيرها ، وبرغم الهجمات الشرسة التى ازدادت ضراوة فى هذه الأيام على أيدى أعدائه .

وبرغم كل ذلك فقد جَذَبَ الإسلام كثيرًا من العلماء والمفكرين والجماعات والطوائف من شعوب العالم المختلفة ، ودَفَعَهُم إلى التخلّى عن دياناتهم ومعتقداتهم، واعتناقه دون غيره من الأديان والمذاهب الوضعية الأخرى . . فما الأسباب التى دفعت هؤلاء إلى اعتناقه والإيمان بتعاليمه ؟ . . وما الدوافع التى جعلت هؤلاء ـ بل جعلت قُرًى بأكملها ـ يدخلون تحت مظلته ؟ . .

إن هذا الكتاب ـ بأجزائه الثلاثة ـ يسجل الجوانب الخفية وراء إسلام هؤلاء ، واهتدائهم إلى هذا الدين الحنيف . .

ويسر الدار المصرية أن تقدم هذا الكتاب الذى يحوى بين دفتيه هذه النماذج التى اهتدت إلى دين الحق ، بعد دراسة متأنية عميقة لهذا الدين، وبعد اقتناع تام بتعاليمه السهلة الميسورة التى تنسجم مع العقل والمنطق ، وتتفق مع الفطرة السليمة التى فُطِرَ الناس عليها ، فساروا على دربه ، وآمنوا به على اختلاف مشابهم وجنسياتهم . .

إنه كتاب يهم كل باحث عن الحقيقة ، ويهم كل قارىء ـ أيًا كانت عقيدته .

الناشر



الدار المصرية اللبنانية

طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبدالخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً دار شادو - ص ب. ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022 Cairo-Egypt PHONE: 3936743 3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO

محمد كامل عبد الصمد

الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء

الجزء الثاني

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

الجانب الخفي

وراء إسلام هؤلاء

الناشر : الدار المصرية اللبنانية
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٣٦٢٥ / ٩٥
الترقيم الدولى : 6 - 193 - 271- 977
جمع : آرتك
العنوان : ٤ ش بنى كعب ـ متفرع من ش السودان ـ الكيت كات
تليفون : ٣٤٦٣٦٣٢
طبع : آمون
العنوان : ٤ فيروز ـ متفرع من اسماعيل أباظة
تليفون : ٣٥٤٤٣٥٦ـ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الأولى : ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م
غلاف : محمد فايد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...... ﴾

سورة البقرة: ٢٥٧

مقدمــة

إن الفطرة السليمة التى دفعت هؤلاء إلى اعتناق الإسلام. لا تزال تدفع آخرين كل يوم لذات السبيل القويم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

ومن العجيب أن يزعم الحاقدون على الإسلام وأعداؤه أنه لن يضير الكنيسة أبداً أن يعتنق أحدٌ الإسلام فى حين أنهم دأبوا على عَمَل النشرات الكنسية التى تكشف عما أصابها من هَلَع لسرعة انتشار الإسلام فى العالم، حتى باتت تطلق كل يوم تحذيراً، داعية حكوماتها إلى تطويق الإسلام والمسلمين، بل إن أكبر الصحف والمجلات الغربية شاركت فى ذلك، مشيرة إلى أن الإسلام يتقدم على النصرانية فى انتشاره بمعدل خمسة أضعاف، بحيث يتوقع أن يصير الديانة الثانية فى الغرب فى أوائل القرن الحادى والعشرين الميلادى، الأمر الذى حَدَا باللاهوتى السويسرى المعروف «هانس كونيج» إلى التصريح فى مؤتمر عالمى بقوله:

«إن الإسلام لا يُخْشَىَ عليه من شىء، بل النصرانية هى التى يُخْشَى عليها من كل شىء»(٢).

---

(١) سورة الروم: من الآية ٣٠.

(٢) يلاحظ أن هذه العبارة قد قالها القس «هانس كونيج» فى مُلْتَقى أقيم فى مدينة «شتوتجارت» تناول موضوع «حول العالم الإسلامى بين التقليد والنهضة» (راجع مجلة «الدعوة» السعودية بتاريخ ١٤١١/٦/١٠هـ).

وهناك سؤال أكثر أهمية سيظل يتردد وهو: لماذا أسلم هؤلاء؟

والإجابة عنه بسيطة للغاية، وهو أن أى إنسان يملك عقلاً وبصيرة لن يجد صعوبة فى معرفة أسباب الإقبال على اعتناق الإسلام بين الأجانب، ولا سيما المثقفين منهم، من ذلك أن أناجيل النصارى تحمل فى طياتها أدلة تحريفها، فضلاً عن اعتراف البابوات والقُسس ومؤرخى النصرانية أن النص الأصلى للإنجيل كما نزل على عيسى عليه السلام لم يعثر على أثَرِله، وأن الأناجيل الحالية قد دُوِّنَت بعد رَفْع عيسى عليه السلام بقرون، وأنَّ مَنْ دَوَّنُوها قد اختلط كلامهم بكلام الله، ممَّا يبطلها، لتداخل الإضافات مع الأصل، بحيث يصعب - بل يستحيل - فصل هذه عن تلك.

ثم إن الأناجيل الأربعة المعتمدة حالياً لدى النصارى قد تَدَخَّلَ البَشَرُ فى اختيارها، حيث انتقت من بين أكثر من مائة إنجيل فى القرن الثالث الميلادى بقرار من «مجمع نيقية المقدس» الذى أوْصَى بحرق جميع الأناجيل القائلة ببشرية عيسى عليه السلام، والمعترفة بأنه نبىٌّ مرسل لبنى إسرائيل.. ومن أهم الأناجيل التى رفضها كرادلة المجمع «إنجيل برنابا» الذى يعد أكثر صَراحَةً فى النص على بشرية عيسى عليه السلام، والبشارة بنبوة محمد ﷺ، حيث ورد فيه ما نصه:

«فلما انتصبَ آدَمُ على قدميه، لمح كتابة تتألق فى السماء: لا إله إلا الله محمد رسول الله»(١).

إضافة إلى ما تقدم، فإن الزَّعْمَ بِصَلْبِ عيسى عليه السلام فداءً للبشرية وتكفيراً عن خطاياها، يُجانِبُ العدلَ والتفكير العلمى «فلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»(٢).

---

(١) راجع «إنجيل برنابا».

(٢) قد عبر الشاعر العربى عن ذلك فى قوله:

أعُبَّادَ المسيح لنا سؤالٌ ... نرومُ جوابَه ممن وَعَاهُ
إذا صُلِبَ الإله بفعل عَبْدٍ ... يَهُودِيٍّ، فما هذا الإلهُ؟!

وفى يقيننا أن فكرة الادعاء بألوهية عيسى عليه السلام وتأسيس عقيدة التثليث إنما نبعت من اتصال بعض دُعاة النصرانية ـ بعد رَفْع عيسى عليه السلام ـ بأصحاب الديانات والمذاهب الوثنية، ففكرة النصرانية فى التثليث تلتقى مع الهندوسية التى تقدس الثلاثى «براهما» «وفشنو» «وسيفا»... كما تلتقى مع زعم البوذيين بوجود إله مثلث يسمونه «فو».... كذلك تلتقى مع اعتقاد المصريين القدماء فى الثالوث الفرعونى «آمون» «وموت» «وختو»... ومن ثم استخدم مفكرو النصرانية القُدامَى شعار الصليب واعتبروه علامة الحياة[1].

ولا جدَالَ فى أن أحبار اليهود والنصارى قد علموا علم اليقين ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام، ولكنهم لغرضٍ فى أنفسهم كتموا الحق وحَالُوا بين العامة وبين تَلَمُّسه، وليس أدل على ذلك من اعتراف أحدهم، وهو القس «هانس كونبج» بأنَّ محمداً ﷺ وهو نبى وليس دَعيّاً[2].

بل أننا إذا ما نحينا ما لم يعترف به النصارى من أناجيل، وبحثنا فى أناجيلهم المعتمدة، لوجدنا إشارات إلى بعثة محمد ﷺ، منها ـ على سبيل المثال ـ الحوار الذى دار بين المرأة السامرية والنبى «يحيى»[3]، حيث سألته المرأة عمَّا إذا كان هو النبى الذى سيأتى بدين الحق، فقال ما نصه:

«صدقينى يا امرأة، سيأتى من بعدى مَنْ لَسْتُ أهلاً لأَنْ أحلَّ سُيورَ أو جرموق حذائه»[4].

ومن المعروف والثابت تاريخياً أن عيسى عليه السلام كان معاصراً للنبى «يحيى»، مما يقطع بأن الإشارة إلى نبى يظهر فى عصر آخر هو محمد عليه الصلاة والسلام.

(١) الطريق إلى الله ـ دراسة منشورة بمجلة الفيصل، عدد ١٧٤ الصادرة فى يوليو ١٩٩١ (بتصرف).
(٢) انظر كتابه «المسيحية والأديان العالمية».
(٣) يسميه النصارى «يوحنا المعمدان».
(٤) إنجيل مرقص.

ثم ننتقل إلى سبب آخر من أسباب الإقبال على اعتناق الإسلام، وهو أن المنطق والعقل والفطرة تميل إلى فكرة وحدانية الله، وتنزهه - عز وجل - عن وجود شريك له فى ملكوته. . . وأن الإسلام رسالة عالمية تناسب كل زمان ومكان، وكل شعوب العالم، مصداقاً لقوله تعالى مخاطباً نبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[1]، فى حين أنَّ النصرانية - كما هو ثابت - تختص بشعب واحد فى زمن معين.

وقد رأى الذين اعتنقوا الإسلام أن العلاقة بين العبد وربه من منظور إسلامى تتم مباشرة، بدون حاجة لوساطة أو كهانة، وأن عمل العبد وصلاحه أساس التفضيل عند الله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2]، فى حين أن النصرانية المحرفة تُبوِّئ القسس والرهبان مكانة تتيح لهم أن يَدَّعُوا أنهم واسطة العبد لرضا الرب، وأن بدون رضاهم لن يدخل الجنة أحد. بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فاخترعوا صناديق الاعتراف بالذنوب للقسس والرهبان، وبَيْعَ صُكوك الغُفران.

ومن الأسباب الأخرى التى دفعت بعضهم إلى اعتناق الإسلام أن الشريعة الإسلامية تقدم نموذجاً متكاملاً لمنهج الحياة، يلم بها وينظمها من جميع جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والروحية. . . . فى حين أن دور النصرانية روحى محض، فضلاً عن ذلك رأى بعضهم أن الأناجيل خالية من أية نواحى للإعجاز فى حين تضمن القرآن الكريم نواحى إعجاز لفظية وعلمية، وقد أثبت العديد من علماء الغرب إعجاز القرآن العلمى، بل أعلن بعضهم إسلامه بعد ما تبين له الحق جلياً واضحاً[3].

---

(١) سورة سبأ - من الآية ٢٨.

(٢) سورة الحجرات - من الآية ١٣.

(٣) انظر كتابنا الإعجاز العلمى فى الإسلام [الجزء الأول فى القرآن الكريم و الجزء الثانى فى السنة النبوية].

وفى نهاية المطاف نتساءل: أبعد كل هذه الآيات البَيِّنَات يمكن أن يتشكك عاقل ذو فطرة سليمة فى صِدْقِ ما جاءت به رسالة الإسلام على لسان رسوله الكريم؟

ثم أفلا يحق لنا أن نطرح على من ينكرون بعثة محمد ﷺ ودعوته ذلك السؤال الاستنكارى الذى خاطبهم به القرآن الكريم: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(1) ؟ وليعلمْ الذين ظلموا أنفسهم أن الإسلام لن يضيره أبداً ما يطرحونه فى طريق دعوته من افتراءات وأكاذيب، محاولين صَدَّ الناس عنه، فالحق جَلِىٌّ واضِحٌ برغم كل محاولات المشككين والمتشككين الذين ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾(2).

وبعد... فهأنذا أقدم إليك - عزيزى القارئ - تلك النماذج من الشخصيات التى عرفت طريقها إلى ربها فآمنت بدينه الذى ارتضاه لعباده... ويهمنى أن تستمتع بجهدى وعملى الذى دأبت فيه لأخرجه مبسطاً كما ترى...

وأرجو من الله تعالى أن يتقبلها منى خالصة لوجهه الكريم.

محمد كامل عبد الصمد

---

(1) سورة آل عمران - الآية 71.

(2) سورة التوبة - الآية 32.

الفصل الأول

فتية آمنوا بربهم فاعتنقوا الإسلام

* مع الشاب البريطانى «خالد عبد الله رياض» الذى رفض أن يعرف اسمه قبيل إسلامه، وأصر على أن تاريخ مولده يبدأ من لحظة اعتناقه للإسلام.
* مع الشاب المالطى المستهتر «جوزيف برما» الذى صار «يوسف» المسلم الملتزم.
* مع الشاب الفرنسى «ميشيل دروار» الذى صار غيوراً على الإسلام وقضايا المسلمين.
* مع الشاب الألمانى «أودولف» الذى اختار اسم «صالح» قائلاً: «لأنى مؤمن بالله والمؤمن لابد أن يكون صالحاً».
* .... و آخرون

مع الشاب البريطانى خالد عبد الله رياض الذى رفض أن يعرف اسمه قبل إسلامه

التحق بالجيش البريطانى كفنى معامل اختبار، حيث أُرْسِلَ مع فرقته إلى سنغافورة فى مهمة استمرت بعض الوقت، وكان ذلك فى بداية عام ١٩٦٤ . . وكان طبيعياً كشاب أوربىٍّ أن يستغل إجازاته فى التجول فى المدينة بصحبة زملائه لزيارة متاحفها وأسواقها، ومعرفة عاداتها وقيمها وما إلى ذلك من الظواهر التى تهم السائح، بدافع النزعة الغريزية نحو المعرفة. ولأن المسلمين يشكلون نسبة كبيرة من عدد سكان سنغافورة، فقد أُتيحت الفرصة «لخالد» زيارة مساجدهم التى شدته ببساطة فرشها ومعمارها المتميز، فضلاً عن الهدوء والسكينة، والوقار الذى يلف المصلين المتعبدين.

قارن «خالد» بين زخارف وصخب الكنائس وما تحويه من تماثيل وديكورات وآلات موسيقية بعيدة كل البعد عن النواحى الدينية وبين ذلك الوقار وتلك السكينة التى ترف على المسجد والمصلين، وخلص إلى أن المقارنة فى صالح المسجد، حيث إن العبادة تستلزم جواً روحياً بعيداً عن البهرجة والزخارف التى تشغل المرء عن أداء فروضه نحو ربه . . . أجل . . لقد رأى فى تلك المظاهر البسيطة التى يسخر منها رفاقه عظمة روحانية الإسلام.

وخرج «خالد» من زيارته للمساجد بانطباع مغاير عمَّا كان يسمعه فى بلاده عن الإسلام، إذْ كان شأنه شأن الكثير من الغربيين. . يظن أن المسلمين أُناسٌ

ماديون، يعشقون المال والبهرجة والزخارف، ويتعاملون مع النساء تعاملهم مع السلعة، ولايرون بأساً فى سفك الدماء لتحقيق مآربهم، وما إلى ذلك من أوجه التشويه المتعمدة التى رَوَّجَتْ لها الأوساط الكنسية والصهيونية بين الرأى العام البريطانى.

وكان طبيعيّاً أن يعمد «خالد» بعد هذه المشاهدات والاختلاط بأوساط المسلمين إلى السعى للتعرف على الإسلام من خلال القراءة والاطلاع، مُحاوِلاً تكوين فكرة عن هذا الدين الذى يبيع أتباعه دنياهم ليشتروا أُخراهم وأُتيح له لدى عودته إلى بريطانيا فى العام التالى فرصة الحصول على كتب باللغة الإنجليزية عن الإسلام، لكنها ـ للأسف ـ كانت بأقلام مستشرقين تتضمن افتراءات وأكاذيب على حقيقة الإسلام، إما بدون قصد، نتيجة لعدم إلمام أصحابها بجوهر ديانة لا يؤمنون بها، وإمَّا عن عَمْد، بقصد تشويه صورة الإسلام وتصويره على أنه دين ابتدعه راعى غنم، استوحى مبادئه من عقائد شتى ليصير به ملكاً على العرب كما يزعمون.

وقد أخرت تلك القراءات موعد إسلام «خالد» لأنه ابتعد بعدها عن التفكير فى التعرف على الإسلام، حتى كتب الله عز وجل له عودة أخرى إلى سنغافورة، حيث توثقت صلته بأحد الأصدقاء المسلمين الذى مالبث حين صارحه برغبته القديمة فى التعرف على مبادئ الإسلام وتعاليمه أن أهدى إليه كُتُباً تتناول موضوعات العقيدة، منها ترجمة لمعانى القرآن الكريم.

وما إن اطلع «خالد» على ترجمة معانى القرآن الكريم حتى وجد الإجابة عن الكثير من التساؤلات التى طالما استعصى عليه فهمها، ولم يجد لدى القُسس إجابة عنها، مثل طبيعة المسيح عليه السلام وعقيدة التثليث. . . . فجاءت الإشارة القرآنية الكريمة إلى حقيقة كون عيسى عليه السلام نبيّاً مرسَلاً من قِبَلِ ربه لهداية بنى إسرائيل. . والبشارة برسول يأتى من بعده لينير للبشرية جمعاء الطريق إلى الله. وهكذا تتضح لخالد بجلاء حقيقة المسيح عليه السلام كما يقبلها العقل والفطرة.

كذلك وجد «خالد» فى كتاب الله تنظيماً شاملاً للحياة، ولعلاقة العبد بربه، وعلاقة العبد بغيره.. وتأمل طويلاً فى بساطة وتلقائية تلك العلاقة التى تربط المسلم بخالقه دونما واسطة من قُسٍّ أو راهب، فأدرك أن كل هذه المعانى السامية لا يمكن أن يأتى بها بَشَر، وإنما هى كلمات الله التَّامَّات التى لا تبديل لها.

ولم تمر أَشْهُرٌ حتى عقد العزم على اعتناق الإسلام عقيدة وسلوكاً وأسلوباً للحياة.. وما كادت بشائر عام ١٩٦٦ تهل حتى نطق بالشهادتين وأشهر إسلامه وتسمى باسم «خالد عبد الله رياض»(١).

وعاد «خالد» إلى بلاده باسم جديد وعقيدة جديدة.. عاد ليجد أهله فى ثورة ضده، لا يصدقون أن ابنهم ترك دين آبائه ليدخل فى دين ينكرونه... وطُرِدَ من بيت أسرته، ولكن الله أنعم عليه بزوجة صالحة مسلمة كَوَّنَ معها أسرة سعيدة، ورُزِقَ منها بخمسة أولاد حرص على تنشئتهم نشأة إسلامية، معودًا إياهم على أداء الفروض فى أوقاتها... وتعلم اللغة العربية من أجل أن يقرأ القرآن الكريم بلغته الأصلية بدلاً من قراءة ترجمة معانيه، ولكى يتمكن أن يتفهم أمور العقيدة وينهل من مناهلها..

ويمارس «خالد» إلى جانب عمله كفنى معامل اختبار الدعوة إلى الله، وقد ساعدته طبيعة عمله ليثبت بالدليل العلمى أن الإسلام لم يحرم شيئاً إلا وتوجد عِلَّة وراء التحريم مما يؤكد على كونه رسالة سماوية، لأن من المستحيل أن يأتى بَشَر بمثل هذا الإعجاز العلمى الذى لم يتوصل إليه العلم الحديث إلا قبيل سنوات قليلة مثل إثبات أضرار الخمر ولحم الخنزير، وتصويره لرحلة الجنين وهو لا يزال نُطْفَة، وحتى يصير طفلاً، وما سوى

---

(١) لم يعرف اسمه قبيل إسلامه حيث إنه قد صرح لمن سأله عن اسمه فى تحقيق أجراه محرر بمجلة «فيصل» أنه لا يحب أن يذكر اسمه قبل إسلامه حيث إن تاريخ مولده الحقيقى بدأ منذ تسمى بخالد، فلا تسل عن شخص لم يعد له وجود.

ذلك من نواحى الإعجاز التى لم يرد لها مثيل فىّ أى كتاب آخر غير كتاب الله .

هذا، ويُعَد «خالد» نموذجاً سَوِياً للمسلم المتحلى بمكارم الأخلاق، كما يذكر المحيطون به من زملائه فى العمل. . . . ولا يبتغى خالد من وراء سلوكه هذا سوى مرضاة الله تعالى كما يردد دائماً.

وهكذا نجد أمامنا شخصية رفضت الارتباط بماض كان خطأ، وتعتبر العودة إلى الصواب هى بداية الحياة. . بهذه النظرة الإيمانية رفض أن يعرف أحدٌ. . . اسمه قُبيل إسلامه، وأصرَّ على أن تاريخ مولده بدأ من لحظة اعتناقه للإسلام[1] .

* * *

(١) مجلة الفيصل عدد مايو ١٩٩١ (بتصرف).

مع الشاب المالطي المستهتر «جوزيف برما» الذى صار يوسف المسلم الملتزم

ولد «جوزيف برما» فى بيت شديد التعصب للنصرانية فى إحدى جزر «مالطة» القريبة من «إيطاليا»، حيث يوجد «الفاتيكان» مقر الرئاسة الروحية للنصارى الكاثوليك.

كانت حياة «جوزيف» فى «مالطة» لاتختلف كثيراً عن حياة أقرانه من الشباب: لهو، ولعب، وضياع، وصراع، وكل يوم «أحد» يذهب إلى الكنيسة ليغتسل من خطاياه ـ كما علموه وأوهموه بذلك ـ وعلى هذه الوتيرة سارت حياته، لا يعرف غير المسيحية ديناً، برغم أنه سمع عن الإسلام، لكنه لم يلتفت إليه. . . . وكيف يمكن أن يلتفت إليه والآباء القساوسة لا يذكرونه إلا مصحوباً بكل ماهو سيئ من الصفات.

وتمر الأيام والسنون، ويذهب «جوزيف» للعمل فى المملكة العربية السعودية، ويرى المسلمين على غير ما كان يعتقد قبل قدومه، فقد أتيح له أن يختلط بالعديد من أبناء الجنسيات الأخرى من مسلمين وهندوس وبوذيين وغيرهم، وشده إلى الإسلام مارآه من خُلُق المسلمين، وإنْ لم يفكر فى البداية أن يصير مسلماً، فقد أراد ـ فقط ـ التعرف على ذلك الدين الذى يبث فى وجدان وضمير أتباعه مثل هذا السلوك الحسن القويم. . . وشيئاً فشيئاً بدأ يسأل ويتعرف على الإسلام الذى جذبه بسهولة ووضوح منهجه، وكونه يقدم

للبشرية منهجاً متكاملاً للحياة بكافة مجالاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والنفسية وغيرها.

ولفت انتباهه أن مبادئ الإسلام ـ كما سمعها من أصدقائه المسلمين ـ تحتوى على كل ما يحبه الله ويرضاه، ويتفق مع الفطرة السليمة، فهى تدعو الإنسان لأن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، وأن يعمل لآخرته كأنه يموت غداً، مما يسهم فى ارتقاء سلوك الإنسان وسمو روحه، ويحقق فَلاحه فى دنياه وآخرته.. وذلك فضلاً عن العبادات فى الإسلام التى تتخذ صوراً متنوعة تؤدى إلى تقرب المسلم من خالقه، كالصلاة والصيام، وتُقربه من الناس، كالزكاة والحج.. بل عَدَّ العملَ نوعاً من العبادة.

وتأمل «جوريف» صفوف المسلمين وهم يؤدون الصلاة جماعات خلف الإمام بخشوع وتساءل فى نفسه: أين ماكنت أراه من مهازل وصخب فى الكنائس من هذا السكون والخشوع الذى يُسيطر على المسلمين؟!

أمر آخر لاحَظَه «جوريف»، وهو حرص المسلمات على ألا يَتبرَّجْن أو يُظْهِرْنَ مفاتنهن أمام غير محارمهن.... حقيقة أنه سمع عن ذلك فى بلاده قبل قدومه للمملكة، غير أنه كان يعده لوناً من ألوان الكَبْتِ، ولكن حينما رأى ذلك بعينيه، وعايش الواقع بنفسه اعتبر هذا السلوك من المسلمات تحرزاً من فَوْرَة الشهوات وتطلعها لإشباعها الدنئ، وفى ذلك ارتقاء بالمرأة واعتزاز بقيمتها وقدرها.

أجل... قادته هذه المشاهدات الحية إلى محاولة التعرف على الإسلام من خلال الكتب والمجلات، وتوجه إلى صديق مسلم يسأله على استحياء أن يرشده إلى كُتُبٍ تتناول العقيدة الإسلامية وأحكامها... وبالفعل بَادَرَ صديقه إلى إهدائه بعض الكتب أملاً فى أن يكتب الله له الهداية، وأرشده إلى أحد العلماء الأتقياء ليجيبه عن تساؤلاتٍ غمض عنه فهمها.

وظل «جوزيف» فترة ليست بالقصيرة يقرأ عن الإسلام، ويقارن بين تعاليمه وبين ما لَقَّنَهُ إيَّاه القسس من تعاليم الكنيسة، فوجد فى الكاثوليكية الكثير من الغموض والخضوع لسلطان غير الله، فالقس يفسر الدين على هواه وكيفما شاء، فى حين أن عالِمَ الدين فى الإسلام لايأتى إلا بدليله من كتاب الله وسنة رسولهﷺ.

وبينما يَعدُ القس البعض بصكوك الغفران ويهدد بمنع آخرين من دخول الجنة، فإن العالم المسلم يقرُّ بألا أحَدَ يملك مفتاح الجنة، وأن الله وحده هو الذى يعز من يشاء ويذل من يشاء، فالتقوى أساس المفاضلة. . . . وأن المسلم يلتقى بربه مباشرة بدون حاجة إلى وساطة كهان، وذلك فى الصلاة خمس مرات فى اليوم على الأقل.

ولم يغب عن فطنة «جوزيف» مارآه من تضارب كلام ووقائع الأناجيل، واختلاف كلام الله فيها بكلام واضعيها، وحرص كل كاتب للإنجيل أن يروج لأفكاره. . . فى الوقت الذى رأى فيه القرآن الكريم كتاب الله متسقاً فى وقائعه ومحتوياته، الأمر الذى يؤكد على صدق ما جاء به، وصدق كونه كتاباً سماوياً منزلاً من الله تعالى.

وأدرك «جوزيف» أن التوحيد هو أصل الاعتقاد، فلم يكن محتاجاً بعد كل هذه القراءات والمشاهدات إلى من يقنعه بوحدانية الله وأن ما جاء به محمد ﷺ من الدعوة بعبادة إلـه واحد «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» هو ذاته ما دعا إليه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ومَنْ تلاه من رُسُل الله. . . وأن ما حدث من خلط وتحريف فى النصرانية إنما يعود إلى تدخل البعض بالإضافة والحذف لما جاء به عيسى عليه السلام.

كما أتاح اختلاط «جوزيف» بالهندوس أن يكتشف وجود ما يشبه التطابق بين عقيدة النصارى فى «التثليث» وبين عقائد الديانات الهندية، فالهندوس يعبدون آلهة مزعومة مثلثة «براهما. فشنو. سيفا».

ويفعل البوذيون أيضاً نفس الشيء، ويثلثون إلـها اخترعوه يسمونه «فو»... ومن ثم أدرك أن «التثليث» قدر مشترك بين تلك الديانات التى لم ينزل بها كتاب وبين النصرانية كما عرفها، فثارت فى نفسه الشكوك حول أصل عقيدة «التثليث» التى تتنافى مع العقل والفطرة السليمة التى ترفض تعدد آلهة الكون الواحد.

وما كاد «جوزيف» يصل إلى هذه القناعة حتى ذهب لتوه واغتسل وتوجه إلى صديق له ليصحبه إلى المحكمة الكبرى فى جدة، وهناك أَشْهَرَ إسلامه مُرَدِّدًا الشهادتين.. وأصبح «يوسف» واحداً من المسلمين الملتزمين بعد أن أدخل الله فى قلبه الإيمان فجعله يشعر بالطمأنينة والسكينة، فقد وجد فى الإسلام ـ كما يذكر ـ ما يحقق التوازن والاعتدال فى حياته الدنيوية والعمل على النجاة من النار فى الآخرة.

***

---

(١) مجلة الفيصل عدد يونيو ١٩٩١ (بتصرف).

مع الشاب الفرنسى «ميشيل دروار» الذى صار غيوراً على الإسلام

كانت المسافة بينه وبين الإسلام ضئيلة، حيث لم يؤمن إلا بإله واحد.. أى لم يعتقد فى التثليث الذى يَرَى أن الله ثالث ثلاثة، بل آمَنَ بأن الله واحد أحَدَ، لاشريك له، ولا ابن له.... ومن ثم تسللت إلى نفسه الحقائق الباهرة فى التوحيد التى دعت إليها عقيدة الإسلام.. وعن ذلك يعبر قائلا: «إن حقائق الإيمان بالله الواحد ـ أى بالتوحيد ـ قد عرفها قلبى منذ زمن طويل قبل بدء المسيرة مع الإسلام، مع التأمل والتفكر والتبصر فى خَلْق السموات والأرض، وتعاقُب الليل والنهار، ومولد الكائنات ومماتها، كل ذلك أطلق بداخلى رغبة دفينة فى عبادة خالق واحد».

ثم يسترسل قائلا: «ولقد أفادتنى كثيراً صداقاتى مع الشباب الجزائرى المقيم فى فرنسا، حيث تلقيتُ دعوة لزيارة الجزائر التى سعدت بها، فتوجهت إلى هناك فى إجازة الصيف... كان الأمر عندى حتى ذلك الوقت مجرد زيارة مجتمع شرقى عربى، غير أنه قد ترك فى نفسى آثاراً لاتمحى: أُخُوَّة وترابط، وحسن استقبال، وكرم ضيافة من الفقير قبل الغنى».

«ثم عُدْتُ فى العام التالى مع دعوة جديدة من صديق آخر، وتأكدَتْ ذاتُ الانطباعات، وتنَامَى مفعولها بداخلى.....

وكذلك قمت بالزيارة الثالثة بناءً على دعوة صديق ثالث، سعدتُ فيها بجولة استمرت شهرين، تعرفت خلالها على حياة الناس الاجتماعية،

وطبيعة بيئتهم.. وبَدَا لى واضحاً بقايا من الإسلام يستند إليها ذلك النظام الاجتماعى، والعلاقات الأُسَرية الحميمة التى يترابط الناس بداخلها فى تلاحم أَخَّاذٍ».

«بعد ذلك بدأتُ فى قراءة ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الفرنسية لكاتب من القرن التاسع عشر، أقام فترة فى لبنان، واسمه «كاريمسكى»، وهى ترجمة مملوءة بالمغالطات والافتراءات، وبرغم ذلك لم تزدنى هذه الترجمة إلا قُرْباً من الإسلام، بعد أن عكفتُ على القراءة المدققة المتفحصة كل مساء، قررتُ بعدها التحول إلى الإسلام، فتوجهتُ إلى مسجد «باريس» لألتحق بفصول تعليم وشرح مبادئ الإسلام لغير المسلمين، حتى اقتربت أكثر من الإسلام، فنطقت بشهادة التوحيد أمام واعظ المسجد، واتخذتُ «عليّاً» اسماً لى بدلا من اسم «ميشيل دروار».... وواصلت مسيرة قراءة كتب الفقه والعبادات لأتعلم دينى وأتبع مسلك الرسول محمد ﷺ ».

ويمضى «على» الفرنسى المسلم فى حديثه فيقول: «فى تلك الأثناء، تلقيتُ دعوة من أُسرتى لحضور عيد ميلاد أبى، فانتهزت الفرصة لأخبرهم باعتناقى الإسلام، وخاصة أن المناسبة جاءت بعد ثمانية أيام من إعلان إسلامى...وفى حفل عيد الميلاد قَدَّمُوا لى الخمر كعادة أبناء فرنسا، واعتذرت عن الشرب، ففسرت أمى الأمر بأننى تأثرت من صحبتى للعرب، وأننى بدأت أتصرف مثلهم، فأفهمتها وأفهمتُ جميع أفراد الأسرة بأن السبب أكبر من ذلك بكثير.. إنه الإسلام! وتلقى الجميع الخبر بدون أن يعترضوا، شأن معظم الأُسَر الفرنسية التى لا تعبأ كثيراً بالدين المسيحى كممارسة وتطبيق إلا فى المناسبات كالزواج وغيره».

وتمر الأيام، ويتزوج «على» من فتاة مغربية، ولكن تلك الزيجة لم تدم أكثر من عامين، لأنه وَجَدَهَا غير متمسكة بتعاليم دينها الإسلامى، فضلاً عن

أنه قد تصوَّر أنها هى التى ستعلمه الدين الإسلامى، فإذا به يجدها بعيدة عنه، فلم يجد بُداً من طلاقها، ومن ثم يرى أن المرض السارى فى جسد المجتمعات الإسلامى هو البُعْدُ عن الإسلام، وينصح بضرورة العودة إلى الأصول والارتباط بمصادر الوحى، وأنه طالما تخلينا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإن الله يسلط علينا ما يحيل حياتنا إلى مَشَقَّة وعَذَاب. . وأن خلاصة الأمر وحقيقته هى اتباع الكتاب والسنة.

وينصح الشباب المسلم - ولاسيما المهاجر إلى أوربا - بالتحلى باليقين والإيمان، ومجاهدة النفس وعدم اتباع الهوى.

وعن تصوراته عن الإسلام ومستقبله فى أوربا يقول: «أرى أن أوربا لم تعطِ شيئاً طيباً للعالم مثلما أعطى الإسلام، بل لو بحثنا لرأينا أن كل ماهو طيبَ فى المجتمع الأوربى يرجع لأصول إسلامية، ويتبين لأى مدقق أن كل الفضائل فى أوربا لها مثيلٌ إسلامىٌّ، ولكن المسلمين - لسوء الحظ - يبحثون عن البدائل لدى الآخرين!».

ويثير «على» فى ختام حديثه قضية عمل المرأة، فيطرحها بقوله: «معظم زملائى فى عملى السابق بالإدارة الفرنسية للمعاشات كانوا من النساء، وبنسبة ٧٥٪. . تناقشنا كثيراً حول عمل المرأة، وتبين لى أنهن يفضلن العودة إلى البيت والعناية بالأطفال، على الاستمرار فى العمل، وتبين لى أيضاً إدراكهن أن المرأة لم تُخْلَق أساساً للعمل خارج البيت، حيث إن مهمتها الرئيسية تربية الأجيال تربية سليمة».

من هنا نرى أن الشاب الفرنسى «على» يُعَدُّ شاهداً جديداً على أن الإسلام دين الفطرة، يغزو النفوس ولو كَرِهَ الحاقدون[1].

* * *

---

(١) صحيفة المسلمين الصادرة فى ١٩/ ٤/ ١٩٩١ (بتصرف).

مع الشاب الألماني «أودولف» أو «صالح»

جاء من ألمانيا ليشهر إسلامه في مصر... كان سعيداً، يكاد يرقص فرحاً، فهو على موعد مع شئ طال انتظاره له، وكأنه مسجون حُكِمَ عليه بالمؤبد ثم علم بالإفراج عنه في اليوم التالي.

عندما تَقَابلَ معه أحد الزملاء الصحفيين وبادره بالتحية والسلام مخَاطباً إياه بـ «مستر أودولف» بدت مظاهر السعادة تنحسر عن وجهه، وكأنه ذَكَّرَهُ بشيء أليم قد نَسِيَهُ... عندئذ قال للصحفي: «اسمي صالح» أما «أودولف» فهو اسمي القديم قبل أن أجئ إلى مصر».

وعندما سُئِلَ: ولماذا اخترت اسم «صالح» بالذات؟... فرد على الفور بلهجة عربية رَكيكة: «لأني مؤمن بالله.. والمؤمن لابد أن يكون صالحاً»..

عندئذ تداركَ الصحفي الموقف، فقال له: مرحباً بك يا أخ «صالح» اعذرني.

وبدأت أمارات السعادة تعود إلى وجهه ليتحدث بإسهاب عن حياته ورحلته مع الإسلام، فقال: «عمري ٣١سنة، ولدت في مدينة «كولون» بالقرب من «بون» عاصمة ألمانيا، وتلقيتُ تعليماً أوليّاً ومتوسطاً حتى سن التاسعة عشرة.. حتى هذا العمر لم يكن في حياتي شيء غريب عن سائر الشباب الألماني.

بدأت أقرأ بعض الكتب عن الأديان. كان أكثرها عن المسيحية، فهى ديانتى التى نشأتُ عليها. . . وحدث ذات يوم أن وقفتُ عند بعض المعانى التى استغرقت منى تفكيراً طويلا، وذلك من أحد الكتب التى تناولت قضية الألوهية من أن الله ليس واحداً، وأن المسيح ابن الله. . . عندئذ بدأت حيرتى وشكوكى تزداد. . .كيف يكون لهذا العالم أكثر من إلـه. . . هذه الأرض الواسعة وما تزخرفيه من كائنات ومخلوقات. وهذه السماء العجيبة وما تزدان به من نجوم وأجرام سماوية، وهذا النظام المنَسَّق البديع فى توالى الليل والنهار والشهور والفصول. . لابد أن يكون لمدير هذا الكون من إلـه واحد مسيطر، لا ينازعه أو يشاركه فيه أحد. . . . هذه حقيقة خافية حدثتنى عنها نفسى، وأخذتُ أبحث عنها. .

ومرت الأيام والشهور وأنا أبحث عن هَذِهِ الحقيقة حتى كان يوم كنت أعمل فى إحدى الحدائق بمدينة «كولون» تعرفتَ على بعض الشباب المسلم، أحدهم كان يجيد الألمانية بطلاقة، لاحَظَ حيرتى وقلقى المتزايد، فسألنى عن السبب. . فأسررت له بما فى نفسى من هواجس وشكوك. . . فابتسم لى فى طمأنينة وهدوء قائلا: إنه لا إلـه إلا الله وأنه واحد لا شريك له. . . ثم قرأ علىَّ بعض الكلمات باللغة العربية لم أفهمها وقتها، ولكننى عرفتها بعد أن تعلمت لغة القرآن الكريم وهى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ . . . وقال لى هذا المسلم: إن هذه الكلمات من عند الله. . فالله يقول فى القرآن العزيز إنه واحد ولم يَلِدْ ولم يُولَد. . . . . فسألته: ماهو القرآن؟. . . فقال لى: «إنه كتاب الله الكريم الذى أنزله على رسوله محمد ﷺ ليُبَلِّغَهُ للناس أجمعين، ليؤمنوا به ويتبعوه».

ويصمت «أودولف» برهة يسترجع صورة هذا المسلم الذى لاحَظَ عليه أنه يقرأ كثيراً فى هذا الكتاب الذى يُسمى بـ «القرآن الكريم». . . .ليقول بعدها:

«وتوثقت علاقتى بهذا المسلم وعرفت أنه تركى يعمل فى المانيا . . . وطلبت منه أن يحدثنى عن الإسلام، وعن أركانه وتعاليمه التى حث عليها . . . فكنت أسمع إليه مصغياً وازداد حبى ورغبتى لأن أعرف أكثر وأكثر عن هذا الدين العظيم».

ويستطرد «أودولف» فى سرد خطواته نحو النور . . نحو الإسلام فقال: «لقد عرفت أنه لكى أفهم القرآن وما يدعو إليه الإسلام لابد أن أتعلم اللغة العربية، كما نصحنى صديقى المسلم، فالتحقت بمدرسة لتعليم اللغة العربية فى مدينة «كولون» التى أعيش فيها . . وبالفعل بدأت أتعلم الكلمات التى ينطقها العرب الذين أختلط بهم ولا افهمها . . ثم أردت أن أحذق تعلم اللغة العربية أكثر، فالتحقت أيضاً بمدرسة لتعليم اللغة العربية بالسفارة المصرية فى «بون» . . كنت أذهب إليها يوم الاثنين من كل أسبوع، بجانب يوم آخر فى مدرسة «كولون» . . والحمد لله . . أنا أتكلم «عربى كويس . . بس مش كثير» . . . ولكى يثبت «أودولف» تعلمه للغة العربية أمسك بِكُتَيِّب صغير قد أهداه إليه أحدُ أصدقائه المسلمين . . وهو كُتيب مصور، فيه شرح مبَسَّط للوضوء والصلاة . . وبعض سور القرآن الصغيرة. كالفاتحة، والإخلاص، والمعوذتين . . ثم أخذ يقرأ فيه بسهولة ويُسْرٍ . . ويتوقف برهة ليردد كلمة «الحمد لله كثيراً» ينطقها من أعماق نفسه السعيدة بميلاده الجديد مع الإسلام.

ثم أضاف مختتمًا حديثه:

«لقد عرفتُ اليمين والشمال . . أى المسيحية واليهودية - وعرفتُ الوسط، وأعنى به الإسلام الذى اخترته بإرادتى واقتناعى - وأشار إلى قلبه - فهو الدين العظيم.

* * *

مع الشاب اليوغوسلافى «عبد الرشيد عبد الله»(١)

كان يدرس علم الاقتصاد بإحدى جامعات بريطانيا، تعرف فيها على شاب مسلم من «ماليزيا» كان يدرس معه فى نفس الكلية، ولم يكن يعلم فى ذلك الوقت أن هذا الشاب مسلم الديانة إلا بعد أن توطدت العلاقة بينهما.. فقد كان يشعر بالراحة كلما تحدث معه، بل يشعر أن للحياة لذة تُحَرِّرُ الفرد من التوترات العصبية، وخصوصاً أنه كان يعانى من توترات نفسية مستمرة، أشبه بما يعانيه كل شباب أوربا.

وحدث ذات مرة أن ذهب الشاب اليوغوسلافى لزيارة صديقه الماليزى بمنزله، فلفت نظره وجود بعض الكلمات المكتوبة باللغة العربية على باب المنزل مما أثرَ فى نفسه عدة تساؤلات يعبر عنها قائلاً فى دهشة وتعجب:

«لقد أدهشنى ذلك.. ولولا حبى وارتياحى النفسى له لَماَ وجهتُ إليه هذا التساؤل.. ترى ما الذى يجعلك تكتب هذه الكلمات باللغة العربية وتلصقها على الباب وأنت فى بلد مُولَع بلغته الإنجليزية، بل ويحارب من أجل أن تكون لغة البشر فى كل بلد هى لغته؟!!».

ثم يستطرد فى قوله وهو يُطَأْطِئُ رأسه بالاقتناع:

«لقد أجابنى ـ حينئذ: إنها لغة القرآن الكريم.. فقلت له: القرآن الذى يَدَّعِى المسلمون أنه كتاب سماوى.. فأجابنى بغيرة وحماس: لا إنه الكتاب

(١) مجلة لواء الإسلام الصادرة بتاريخ ١٢ سبتمبر ١٩٨٨ (بتصرف).

الوحيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه.. إنه كتاب الله حقاً وصِدْقاً».

وأراد الشاب اليوغوسلافى أن يستزيد معرفة بعقيدة الإسلام، فعاد يسأل الشاب الماليزى:

«هل صحيح أن لهذا الكون إلهًا يعيش فى جو السماء؟».

فيتذكر أن الشاب الماليزى أنهال عليه - لحظتها - بمعانٍ وحقائق لا يمكن لأى عقل سليم أن يرفضها.. وامتد الحديث يومها ساعاتٍ طويلة من الليل، بعدها انصرف الشاب اليوغوسلافى وهو يفكر فى كل ما سمعه من صديقه المسلم، بل إنه لم يستطع النوم فى ليلته، يحاول أن يسترجع كل نقطة ثارت فى الحديث فى محاولة لإيجاد تبريرات كى تنصر فكره ومعتقداته التى نشأ عليها وترفض الإسلام دينًا، ولكن بدون جَدْوَى، ولاسيما أن كل ما سمعه من الشاب المسلم منطقى ويرتاح إليه العقل ويستسيغه.

ولم تدم حيرة الشاب اليوغوسلافى طويلا حتى وجد نفسه يسرع إلى منزل صديقه المسلم ويعلمه بارتياحه واقتناعه لكل ما سمعه منه عن دين الإسلام.. وبكى أمامه وهو يستشعر لأول مرة فى حياته بالسكينة تغشى قلبه، والرشد يملك عقله، وهو يصارح برغبته فى إشهار إسلامه فى المركز الإسلامى بلندن..

وكان للشاب اليوغوسلافى ما أراد، وتحول من عقيدة الإلحاد التى دمرت حياته وجعلتها بلا معنى إلى عقيدة الإيمان بالله ربّاً، وبالإسلام دينا.. ولكن يبتعد أكثر عن عهد الضلال الذى كان يتخبط فيه تائهًا، فأراد ألاَّ يذكره ليولد من جديد باسم جديد اختاره لنفسه، هو «عبد الرشيد عبد الله».

يقول «عبد الرشيد عبد الله» بعد أن أشهر إسلامه:

«لقد تحولت دفة حياتى من علاقات النفاق والمتع الزائفة إلى علاقات الأُخُوَّة والحب، ومن تبلد الضمير إلى الفاعلية والصدق وحيوية الضمير لأكون عبد «الرشيد جل شأنه».

ثم يحث من ظل على عقيدة الإلحاد أن يتوب إلى رشده، وأن يعود إلى نفسه التي بالفطرة تؤمن بالله. ثم يُسائل عقولهم قائلا:

«إذا كانت عقيدة كالإلحاد دمرت حياتنا، وجعلت الحياة بلا معنى، وأنكرت أن لهذا الكون ربا، فمن ينقذنا من العذاب الذى أعده الله خالق هذا الكون؟!. نعم لم ننكره طَوْعَ أنفسنا، وإنما أنكرناه جحوداً واستعلاء!!

ولم يكتف «عبد الرشيد» بإسلامه ودعوته لقومه لأنْ يؤمنوا بدين الإسلام، وإنما وصلت غيرته كمسلم أن يهيب بالمسلمين أنفسهم لأن يرفعوا من شأن أنفسهم بالاهتمام بالعمل وإتقانه.. فيعتب على بعض المسلمين قائلا: فى أسى وحُزن:

«لقد رأيت عند بعض المسلمين الاستهانة بقيمة الوقت، وغياب الضمير، وقلة الاكتراث بإتقان العمل، وغير ذلك من الصفات التى لم أكن أتوقعها البتة فى أناس وصفهم الله بأنهم خير أمة أخرجت للناس».. ولكنه سرعان ما أضاف قائلا فى اطمئنان وثقة: «ولكن أعلم أن هذا الانحراف قد وقع فى غياب كتاب الله وسُنة رسوله، واستبدال التشريعات والقوانين الغربية بها».

* * *

مع الأسبانى المسيحى الذى صار داعية إسلامياً

ولد «جوزيف سلفا دور كابرى» فى مدينة «برشلونة» بأسبانيا لأم رومية كاثوليكية، وأب لايهتم كثيراً بالأديان، مما كان له أكبر الأثر فى إحساس

الصبى «جوزيف» بخواء الحياة الذى قاده إلى محاولة التعرف على الأديان الموجودة على ظهر الكرة الأرضية، بعد ما أخْفَقَتِ النصرانية ـ بما تحوى من طلاسم وأسرار ـ أن تتمكن من قلبه.

وقد ساعدته إجادته للغة السنسكريتية على الاطلاع على ديانات الشرق الكبرى، ولا سيما الهندوسية، والبوذية، والمجوسية.. واستكمالاً للبحث اتَّجه عام ١٩٦٨ إلى الهند بُغْيَة التعرف على قيم ومبادئ الهندوسية، غير أنه التقى فى الطريق بمسلمين من تركيا وأفغانستان والهند، فمال إلى الإسلام، ونَسِىَ غرضه الأساسى من رحلته إلى الهند.

ولإسلام «جوزيف» قصة غريبة، شاءت الأقدار أن تدبرها لتهدى روحه الحيرى لدين الله الحنيف يتحدث عنها قائلا:

«حدث ذات يوم أن كنتُ أَسِيرُ فى منطقة ريفية بالقرب من مدينة «كانداهار» الأفغانية، وفى طريقى اجتمعت بى فتاة ترتدى الملابس العربية يطاردها شخص أفغانى يحمل مدفعاً رشاشاً، وهَدَّدَنِى الرجل المسلح بالقتل إن لم أُسَلِّمْهُ الفتاة، فهدانى تفكيرى إلى محاورة الأفغانى وأَخْذِه بالحيلة، فأخذتُ أتكلم معه مُحاوِلاً إقناعه بتركى والفتاة.. وفجأة وجدتُ نفسى أنطق بلا وعى: هل ستقتلنى يا أخى قبل أن أتعلم الصلاة؟.

وكان لهذه العبارة فِعْلُ السحر على قلب المسلح الذى رَمَى مدفعه الرشاش واتجه إلىَّ معانقًا، مناديًا إياى بـ «أخى»، ولم يكتف بذلك بل ترك الفتاة وأعطاها نقوداً. ثم اصطحبنى والفتاة إلى مدينة «كانداهار» ليستضيفنا بعضُ المسلمين».

وهكذا كانت هداية «جوزيف» على يد ذلك الرجل المسلح الأفغانى الذى أخذ يعلمه الوضوء والصلاة وأركان الإسلام وتعاليمه.

ولم تكن أعماق «جوزيف» قد تغلغل فيها الإيمان بعد، فالفراغ الروحى كان لا يزال موجودًا، لكنه - مع ذلك - أخذ يصلى مع جموع المسلمين الذين ظنوه مسلماً.

وبالرغم من أن تلك الحادثة لم تؤدِّ إلى إيمان «جوزيف» الإيمان الكامل، فإنها كانت مُمَهِّدَة لذلك فيما بعد، وذلك عقب حادثة أخرى وقعت له أثناء سفره من «كانداهار» إلى «مولكان» برفقة صديق نصرانى، إذْ سَارَا على أقدامهما فى تلك المنطقة الصحراوية الوعرة، ولأن «جوزيف» كان ينتعل حذاءً مطاطيّاً، فقد كانت الرمال الحارقة تسخن النعل فيزداد إحساسه بحرارتها، مما يضطره إلى خلع الحذاء والسير حافيًا فى شوارع المدينة، وبينما هو سائر إذْ التقى برجل عجوز يحمل زوجاً من الأحذية المستعملة، فاقترب منه الرجلُ حين رآه حافياً وسأله: هل يرغب فى شراء حذاء؟.... فلما أجابه بالنفى سأله عن السبب، فقال له: لأننى لا أملك ثمنه، فعاد الرجلُ لسؤاله: ومن أين تأكل؟ قال: يطعمنى ربى. عندئذ أعطاه الرجل الحذاء هدية بلا مقابل وهو يصر على ذلك، وزاد بأن اصطحبه ورفيقه إلى داره ليقدم لهما الطعام، ثم يستضيفهما عدة أيام.

وتركت هذه الحادثة الأخيرة فى نفس «جوزيف» أثرًا كبيرًا، إذْ رأى بعينيه كيف يكرم المسلمُ عَابِرِى السبيل، حتى ولو كانوا مختلفين عنه فى العِرْقِ والدِّين، فازداد رغبة فى معرفة المزيد عن الإسلام.

وحين وصل إلى مدينة «مولكان» كان أول ما فعله أن زار عددًا من المساجد، والتقى بأحد علماء المسلمين، وأخبره عن رغبته فى تعلم الدين الإسلامى، فرحب به العالم واستضافه ورفيقه عدة أيام.

بعد ذلك استشعر «جوزيف» أن مبادئ الإسلام وتعاليمه قد مست شغاف قلبه، فلم يجد بُدّاً من أن يعلن إسلامه، ويتسمى باسم «يوسف على»، وكان ذلك فى أحد أيام عام ١٩٦٩، الذى يُعده بداية مولده الحقيقى.

واستطاع «يوسف» أن يهدى زوجته السويدية إلى الإسلام، فغيرت اسمها من «كارين» إلى «كريمة»، وسافرت معه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يقيمان الآن، وقد رزقهما الله بولدين وبنت يحرصان على تنشئتهم تنشئة إسلامية حماية لهم من الأفكار الأخلاقية فى المجتمع الأمريكى.

من الجدير بالإشارة أن «يوسف على» قام بجهود ونشاطات مكثفة لخدمة الإسلام والمسلمين فى أمريكا، حيث أسهم فى تأسيس مدرسة إسلامية بالتعاون مع بعض أفراد الجالية المسلمة، ومن أجل تلك المدرسة قام بجولة فى بلدان الخليج العربى بجمع التبرعات لدعم أنشطتها، وتوسيع نطاقها كى تستوعب أكبر عدد من أبناء الجالية المسلمة.

كذلك قام «يوسف» بترجمة العديد من الكتب الإسلامية إلى اللغة الأسبانية لإعانة المسلمين الناطقين بتلك اللغة على تفهم دينهم.. ومن الكتب التى ترجمها كتاب عن الأدعية اليومية يضم نحو ثلاثمائة دعاء مأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكتاب «قصص الصحابة»، وكتاب «لآلئ الإسلام»، ومقالات عدة عن الإسلام.... وقد كان دافع «يوسف» إلى ترجمة تلك الكتب ما لمسه من حاجة المسلمين الناطقين بالأسبانية إلى الإلمام بكل ما يتعلق بدينهم وتاريخهم الإسلامى.

إن «يوسف على كابرى» يُعَدُّ الآن من الدعاة النَّشيطين للإسلام، ويحثُّ الآخرين على أن يقوموا بواجبهم لخدمة دينهم العظيم.. ويُناشد مؤسسات الدعوة الإسلامية أن تتحرك أكثر لمساندة جهود الدعاة، كى يتحقق للإسلام الانتشار المطلوب، ولتقف تجاه حركات التنصير ومكائد أعداء الدين[1].

* * *

(١) مجلة الفيصل، عدد سبتمبر ١٩٩٢ (بتصرف)..

مع الأمريكى «ماركو أنطونيو»
الذى صار عبد السلام عبد الله محمد

كان يعيش حياة اللهو والفوضى فى مجتمع يمارس حياة اللذة والمتعة إلى درجة العَبَث والفَوْضَى فى مختلف مجالات الحياة، حيث تسود الحرية المطلقة فى كَل شئ، وإشباع النفس من المتع والملذات والشهوات بدون مراعاة للحلال واجتناب الحرام منها.

وكان أعظم شئ يعتز به «ماركو أنطونيو أورتس» هو شعره الكثيف الذى ينسابُ على جوانب رأسه، ويعتنى بتمشيطه وتصفيفه.. كما كان شديد العناية بنفسه.

عاش أحداث الحرب الأمريكية فى «فيتنام» التى كان كارِهاً لها، وكان يسرح به التفكير، ويسأل نفسه: إذا ماذهبتُ إلى «فيتنام» وقُتِلت هناك فإلى أين سأذهب؟.. وماذا ينتظرنى بعد الموت؟

وهكذا كانت تدور فى ذهنه عدة تساؤلات تقلقه وتخيفه، ولاسيما عندما يصل إلى السؤال الذى يفرض نفسه: ما الحق فى هذه الحياة؟... وما الدين الحق؟... وكانت شرارة البدء فى رحلة الإيمان التى يعبر عنها بقوله:

«ذهبت إلى القس فى الكنيسة الكاثوليكية - حيث أن والدى كاثوليكى - وسألته عن الكاثوليكية، فلم يُجِبْنِى بشئ قائلاً العلم عند الله.. وهذا مازاد قلقى وقلت فى نفسى متعجبًا: إذا كان القس المرجع الدينى لنا لا يعرف شيئاً عن الدين الكاثوليكى، ولا عن الدين الحق، ولا عن الله.. فماذا أصنع أنا؟!

وهنا بدأتُ أفكر بجد وتصميم على تغيير خط سيرى فى الحياة والدين الذى أنتهجُ تعاليمه، وخصوصًا كنتُ سمعتُ عن الإسلام من بعض الأصدقاء، فأخذتُ أقرأ ما يكتب فى هذا المجال، ثم قُدِّرَ لى الذهاب إلى

أحد المساجد بنيويورك، وقابلتُ إمامَهُ الشيخ عبد اللطيف، وهو مهندس أمريكي، شرح لى الإسلام بطريقة جيدة حملت إجابات على التساؤلات التى كانت تدور بخلدى.

وبعد أربعة أشهر من هذا اللقاء أصبحتُ مسلمًا، وكان عمرى وقتها سبعة عشر عاماً.. وتزوجتُ من فتاة مسلمة تعمل فى مجال الدعوة.. كما عملت أنا فى مجال الدعوة وبدأت بأقاربى، ولكنى لم أستطع التأثير فيهم، فسافرت إلى البرازيل، وقمتُ ببعض النشاط فى مجال الدعوة.. ثم جئت إلى المملكة العربية السعودية لتعلُّم الدين واللغة العربية».

ويختتم «عبد السلام عبد الله محمد» ـ الذى تسمى به بعد إشهار إسلامه ـ حديثه فيقول:

«لقد استفدتُ من وجود الجيش الأمريكى فى أثناء عملية عاصفة الصحراء، حيث وجدتُها فرصة سانحة للدعوة إلى الله.. وقد وفقنى الله فى هذا المجال، حيث أسلمَ على يدىَّ عدد كبير ولله الحمد، فحقيقة الإسلام السلسة الواضحة تجعل كل من يتعرف عليه يقتنع به فيعتنقه».

الجدير بالذكر هنا أن والده حينما علم بإسلامه بَصَقَ على وجهه وقال له: لقد أصبَحْتَ عربيّاً.. فقال له: بل أصبحتُ مُسْلمًا.. ولك الفخر.. والغريبُ فى الأمر أن «ماركو أنطونيو» لم يكتف بإسلامه، وإنما أخذ يدعو الآخرين لذلك الدين، وصار واحداً من دُعَاتِه[1].

* * *

مع الشاب الفرنسى «يوسف كلير»

فرنسى الجنسية، يبلغ من العمر ثمانيةً وثلاثين عاماً... عرف الإسلام منذ سنوات طويلة فى ظل ظروف تثير الدهشة.. فقد تعرف على مجموعة

---

(١) جريدة المسلمين الصادرة فى٢ / ٨ / ١٩٩١ (بتصرف)..

من الأفَارِقَة المقيمين فى فرنسا، قادوه إلى طريقة إدمان المخدرات، وهو الأمر الذى كان ينتشر بين أوساط الأفارقة المغتَرِبين بالخارج.

يحكى «يوسف» القصة بنفسه قائلاً:

«قضيتُ مُستَهَلَّ شبابى فى ظُلماتٍ، تعلوها ظلماتُ الوظيفة.. كنتُ موظفَ أرشيف فى هيئة التأمينات الاجتماعية، وكان عمرى وقت ذاك عشرين عاماً.. عرفتُ فى تلك السن المبكرة المخدرات من خلال مجموعة من الأفارقة زَيَّنَتْ لى ذلك الطريق المنحرف».. ويتوقف «يوسف» برهة ثم يواصل حديثه قائلاً:

«يصعب التصديق أن صحبة السوء هذه فتحت لى كل أبواب الخير، فهؤلاء الشباب القادمون من إفريقيا حدثونى عن الإسلام بشكل عارض.. فى البداية لم أعطِ الأمْرَ كثيراً من الاهتمام. ومرت الشهور والحال على ماهو عليه، عمل في الصباح، ضياع فى المساء، أو بمعنى آخر ضياع طوال اليوم.. ضياع لاينقطع لسبب واحد هو وجودى خارج حدود عقيدة دينية أؤمن بها وأَمتَثِل لتعاليمها».

ولكن ما الذى دفع «يوسف كلير» إلى التفكير الجدِّى فى الإسلام والتخلص من حالة الضياع التى يعيشها؟... يجيب يوسف عن ذلك بقوله:

«لقد رأيت أخلص أصدقائى قد اتبع طريق الهُدَى والاستقامة، والتزم بأسلوب فى حياته تميز بالصلاح والمبادئ السامية التى فى مجملها خير وسعادة لصاحبه.. مما دفعنى بالتالى إلى التفكير فى الأمر بعمق واهتمام بعد أن أخذت أراقب تصرفاته وسلوكه فأدركتُ أنه يتبع تعاليم الإسلام، فعكفت على قراءة ودراسة ترجمة باللغة الفرنسية لمعانى القرآن الكريم، فهالنى أننى وجدتُ فيه تبيانًا لكل شئ».

لقد اكتشف «يوسف» أن الإسلام يختلف تماماً عن المسيحية.. وجده - على حد قوله - دين الحياة الواقعية الذى يأخذ الإنسان عبر الحقائق التى يعيشها إلى العالم العلوى بكل روعته واطمئنانه.. ليس كغيره غارقًا فى دنيا من الخيال البعيد عن الأرض ومشاكلها.. ولذا يقول عن نفسه بعد أن تعرف على الإسلام:

«لقد أصبحت - أنا - موظف الأرشيف البائس، أتمتع الآن بعد إسلامى بالطمأنينة وسكينة النفس.. وأستطيع أن أوكد أنه بالإسلام والالتزام بمبادئه وتعاليمه يتحقق الاستقرار والنجاح الروحى، بل والنجاح الدنيوى، فأنا - الأن أتمتع بمركز مرموق فى إحدى المؤسسات الفرنسية، حيث أشغل فيها وظيفة رئيس مجلس إدارة».

وليوسف كلير نظرة للمرأة ووضعها فى المجتمع قد استمدها من فهمه لبعض القراءات الإسلامية التى عالجت موضوع المرأة وتعدد الزوجات.. فعن ذلك يقول:

«خلق الله الرجل والمرأة وجعل للرجل القوامة عليها.. ورأيت فى أسلوب تعدد الزوجات منهجاً قويماً للتزوج بأخرى بطريقة شرعية بدلا من أسلوب الخليلات، فضلاً عن ذلك فهى تعدُّ مساعدة لمرأة لم تجد لها زوجًا هى فى حاجة إليه، وهذا مافعلته، غير أن زوجتى الأولى الفرنسية التى لاتدين بالإسلام أحالت حياتى إلى مشاكل شبه مستديمه، عكس زوجتى الثانية المسلمة التى يَسَّرَتْ لى أُموراً كثيرة، مما جعلنى أتمسك بها وأقوم بتطليق زوجتى الأولى».

ثم يضيف بلهجة مقتضبة قائلاً:

«يؤسفنى أن أشير إلى أن كثيراً من المسلمات لايَقْبَلْنَ بسهولة مبدأ تعدد الزوجات، برغم أنه أمر أصيل فى الإسلام.. بل من العجب أن البعض

يخجل منه وكأنْ التعدد عورة نخجل منها، وذلك ما نجح فيه خصوم الإسلام حتى لايزداد عدد أبناء المسلمين وتقوى مجتمعاتهم».

وهكذا نرى الإيمان إذا تسرب فى نفس فإنه يحيلها إلى قوة لها فلسفتها التى تَغَارُ على الإسلام ومجتمعاته، بصرف النظر عن موضوعها وطبيعتها.. فلقد جاءت قصة إسلام تلك الشخصية تأكيداً لحقائق نلمسها كل يوم، تدور حول عظمة الإسلام فى اتفاقه مع فطرة الإنسان أينما وُجِد.

***

مع الشاب الأمريكى المسلم «محمد زكريا»

ولد فى ولاية «لوس انجلوس» بالولايات المتحدة الأمريكية.. بدأت قصته مع الإسلام فى أوائل الستينات عندما قرر أن يقضى إجازته السنوية خارج أمريكا.. وبالفعل ذهب إلى أحد المكاتب السياحية باحثًا عن وقت أطول وسعر أرخص لبلد يقضى فيه هذه الإجازة.. وكان البلد الذى وقع اختياره عليه هو المملكة المغربية.

وسافر «زكريا» إلى المغرب عام ١٩٦٢.. وهناك شاهد ولَمَس أشياء لم ير أو يسمع بها من قبل عن الإسلام والمسلمين.. فقد رأى المسلمين بتقاليدهم وعاداتهم وأزيائهم المتميزة، وأسلوب عبادتهم، ومساجدهم، وأشكال فنونهم.. ومن ثم استغرق فى التفكير والتأمل بعد أن قادته قدماه إلى المساجد.. يطوف خارجها، ويدقق النظر إلى معالمها الداخلية، وهو ينشد المزيد من الرؤية والمعرفة. وأثناء مروره على المساجد شاهد المصلين يدخلون إلى المسجد ويخرجون منه بعد أدائهم لفريضة الصلاة.. فحدثته نفسُه أن يفعل مثلهم، وخلع حذاءه ودخل... فسأله أحدهم بعد أن لفت نظره: إلى أين أنت ذاهب؟ ... فأجاب «زكريا»: «أنا سائح أمريكى أريد أن أرى المسلمين وهم يصلون».. فتركه الرجل وظل هو يتأمل حركة المصلين ويرى خشوعهم أثناء الصلاة، ويسمعهم، ويفكر فى كل هذا.. فهذه أول مرة يتعرف فيها على الإسلام والمسلمين.. ويتلمس الكثير من

والمعانى التى أثارت إعجابه، وكانت تلك الرحلة بداية الطريق لإسلامه، الذى قاده إلى مرحلة جديدة من السكينة وطمأنينة النفس.

وعاد «زكريا» إلى أمريكا حاملاً المصحف الشريف، وبعض الكتب الدينية، والتحف والمصنوعات التقليدية، ومنها سجادة للصلاة، وعطور، وغير ذلك مما استراعى انتباهه وأثار إعجابه.

وبدأ «زكريا» يتردد على مسجد «لوس أنجلوس» بعد أن أخذ يسأل ويشترى الكتب التى تتناول عقيدة الإسلام، ويمكث معها يقرأ بنهم وشغف.. وفى عام واحد أكمل قراءة معانى القرآن الكريم المترجم.. ثم أعاد قراءتها فى ثلاثة أشهُر، وأخيرًا استطاع تعلم اللغة العربية، فقرأ العديد من الكتب العربية، وخصوصاً كتب الحديث والتفسير التى أحضرها من المغرب، فضلاً عن أنه استطاع حفظ عدد كبير من سور القرآن الكريم، وأثناء ذلك لوحظ من حوله أنه توقف عن الذهاب للكنيسة، وابتعد - إلى حدٍّ ما - عن المشاركة فى المناسبات والأعياد الدينية المسيحية.. فلم يجد بدّاً من أن يصارح أهله بأنه قد قرر التحول عن دينه.. واعتناق عقيدة الإسلام.

وعن كيفية إشهاره للإسلام وشعوره قال:

«فى أحد الأيام وأنا فى مسجد «لوس أنجلوس» أفكر فى الإسلام، شدَّتنِى رغبة جارفة لاعتناقه، فالتقيتُ بأسرة صينية كانت ذاهبة لإشهار إسلامها، وتَعَرَّفْتُ عليها - ومازلنا أصدقاء للآن، نتراسل ونتزاور - وشجعتنى لأن أفعل مثلهم، فأشهرتُ إسلامى، وأنا لا أستطيع أن أصف لأحد شعورى بالسعادة، والتحرر من الحيرة والقلق التى لازَمَتنى طويلاً.. نعم.. من الصعب أن أصف هذا الشعور، وخاصة أن الإنسان الذى يترك أسلوبَ حياته لأسلوب آخر يلتزم فيه بمبادئ الدين الإسلامى، وبالتالى بتغيير نمط حياته، فإن الأصدقاء والمعارف يتغيرون من ناحيته، ويصبح الفرد منتميًا إلى مجموعة أخرى من الأصدقاء والمعارف».

ومن الطريف أنه أثناء تردده على المكتبة الإسلامية العريقة بجامعة «لوس أنجلوس» استرعته مجموعة المخطوطات والكتب العربية الإسلامية النادرة الموجودة هناك، وسرعان ما أصبح أسيراً لها... وعندما لاحظ المسئولون عن المكتبة شغفه بهذه الكتب مَنَحُوهُ حق استعارتها، على الرغم من أنه لم يكن دارساً أو عضوًا بالجامعة، وكان هذا أسْمَى تكريم شعر به فى حياته كما يذكر.

وتأثر «زكريا» بفن الخط العربى، وفنون الزخرفة الإسلامية.. ويعبر عن ذلك بقوله:

«حيث إننى ميالٌ للفنون منذ الصغر، فلم تكن هناك صعوبة فى أن أتأثر بفن الخط العربى وفنون الزخرفة الإسلامية.. وعندما وجهتُ هذا الميل إلى الوجهة الصحيحة أحسست بأننى أُرضى نفسى فنياً، ومن حيث كونى الآن مسلماً. وحاليّاً أقوم بعمل عدد من التصميمات الزخرفية والأعمال الفنية التى تلقى رواجًا فى الأسواق العربية، بالرغم من أننى لا أقوم بالدعاية لنفسى».

وهكذا صار «محمد زكريا» يمارس الخط العربى الذى أتقنه، وألَّفَ عنه كتاباً ويُعد لإصدار آخر.. كل ذلك من جراء حُبه للإسلام، وكل مايمت إلى الإسلام بصلة.

ومن الغريب أنه تذوق الفنون العربية من الزخرفة والمعمار إلى الألوان والرسوم من خلال تأمله لمعالم المساجد الأثرية فى المغرب، ثم بمحاولته تقليد الخطوط العربية الموجودة فى الكتب والمخطوطات النادرة.

(*) يلاحظ أن عمله الأصلى كان صيانة الساعات والآلات المعملية وقد ساعده ذلك على صناعة اسطرلاب، يستخدم لتحديد الوقت والاتجاه.. وقد طوره عن الاسطرلاب الذى عرفته الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى. وقد استعانت المملكة العربية السعودية بالاسطرلاب الذى صممه زكريا وذلك فى المطار الجديد بجدة.

وعن تكيفه مع المجتمع الأمريكى بعد أن أصبح مسلمًا وعاملا بالفنون العربية تحدث قائلاً:

«هذا ليس بالأمر الصعب لمن يرغب فى أن يحافظ على دينه. . أنا مثلاً زوجتى مازالت مسيحية لم تعتنق الإسلام بعد، وهى مازالت فى المرحلة بين التفكير واتخاذ القرار، ولكن هذا لايعوقنا أن نحيا حياة سعيدة. . ولى ابن عمره أربع سنوات قد وُلد مسلماً والحمد لله. . ولكنى لا أحاول أن أفرض على زوجتى أن تعتنق الإسلام، فلا إكراه فى الدين. . وبرغم ذلك أجيب عن أسئلتها حول الإسلام كلما لجأت لى، والهداية من الله تعالى وحده. .».

ثم يضيف قائلا:

«إننى أمارس شعائر الدين، فأُؤَدِّى الصلاة خمس مرات، وأقرأ القرآن، وأصوم شهر رمضان، وأحرص على الذهاب لصلاة العيدين، وحضور المناسبات الدينية فى المركز الإسلامى».

ولم يلبث أن ابتسم وهو يسترجع أمر زوجته فى بداية اعتناقه للإسلام فيقول:

«فى بداية اعتناقى للإسلام كانت زوجتى تدعونى للطعام وأنا صائم، فيتبع ذلك حوار وكلام ومناقشات، كما كانت تدعونى لمشاركتها فى المناسبات والأعياد الأمريكية، مثل رأس السنة، وعيد الشكر، وأعياد الميلاد، ولكنى كنت أمتنع. . والآن عرفت زوجتى وتأكدت أنه لا جَدْوَى من العودة إلى ما يتنافى مع تعاليم دينى الجديد «الإسلام» وبالتالى أصبحتْ تُساعدنى وليس العكس كما كان يحدث عند بداية إسلامى».

وعندما تطرق الحديثُ إلى الصعوبات التى واجهته عندما قرر الدخول فى الإسلام، قال فى أسًى عمق: «الصعوبة التى تُواجه أى مسلم أمريكى يدخل

الإسلام هى عدم وجود مَنْ يرشده إلى الإسلام الصحيح، فهناك نقصٌ فى العلماء والمرشدين والموجهين، لذلك يعتمد المرء عند إسلامه على قدرته على التحصيل من الكتب، أو الأصدقاء غير الدارسين للإسلام دراسة كافية، وبالتالى لايستطيعون الإجابة عن استفسارات جاهلٍ بالإسلام يريد أن يستكمل معلوماته عن الإسلام، أو يعقد مقارنة عقلية منطقية بين دينه المسيحى والدين الإسلامى الذى يريد أن يعتنقه.. ولعل هذا هو مادفعنى إلى تعلم اللغة العربية لكى أقرأ وأزداد معرفة بالإسلام..

ثم استطرد فى انفعال قائلا:

«صحيح أن الكتب المنشورة باللغة العربية كثيرة ووافية، ولكن ماذا يفعل من لايعرفون اللغة العربية؟!.. هل تسنح لهم الفرصة لمزيد من القراءة والتعليم؟! .. والحمد لله أننى محظوظ، لأننى استطعت أن أتعلم وأتقن اللغة العربية التى أقرأ بها الآن، ولكن ماذا عن غيرى؟!

وعن تصوراته لمستقبل الدين الإسلامى فى أمريكا.. قال فى إشراقة أمل:

«الإسلام دين سماحة، وَفِيَه من الفضائل ودلائل الخير أكثر من غيره من الأديان ـ ولكن أتساءل: هل تُتاح الفُرْصَة للناس هنا فى أمريكا لكى يعرفوا ذلك؟ وكيف؟

إن الحرب ضد الدين الإسلامى من الإعلام الصهيونى والمسيحى مستمرة، وهم يشوهون صورة الاسلام، فمن ذلك على سبيل المثال أنهم يتكلمون عن أخطاء بعض المسلمين الشخصية مُدَلِّلين بذلك على أن الدين الإسلامى دين يحث على الخطأ والانحراف..

إن صوت أعداء الإسلام هو المسموع فقط فى أمريكا، فى حين أن صوت المسلمين لا وجود له، فالقائمون على رعاية هذا الدين وحمايته فى أمريكا

ضعفاء لايملكون حولاً ولاقوة[1]. . وبرغم هذا فإن عدد المسلمين فى أمريكا يزداد يومًا بعد يوم، والمستقبل الزاهر للإسلام وحده».

***

أحمد أوتو وقصته مع الإسلام

لم يقرأ سوى شهر واحد عن الإسلام. . كان ذلك عندما قرر أن يزور «مصر» ليدرس اللغة العربية بمدينة البعوث الإسلامية بمنحة من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. . ولم يكد ينتهى الشهر الأول من إقامته فى مصر حتى طرق أبواب لجنة الفتوى بالأزهر ليعلن إسلامه.

شئ مًّا كان قد دفعه إلى أن يزور مصر ليدرس اللغة العربية هدفه الوحيد حينئذ. . ولكن شيئاً خفيّاً لم يلبث أن استشعره يدفعه إلى أن يقرأ عن الإسلام من باب المعرفة فحسب، فأخذ يبحث عن كتب تتحدث عن الإسلام باللغة الإنجليزية التى يجيدها.

وعن الشئ الخفى الذى جعله يبحث عن المعرفة بالإسلام الذى أوصله إلى أن يعتنقه كعقيدة يقول:

«الحقيقة أن بداية رحلتى مع الإسلام بدأت منذ سنوات عديدة فى موطنى «غانا»، وبالتحديد فى مسقط رأسى مدينة «أكرا» العاصمة، حيث كنت أسمع صيحة «الله أكبر» مدوية من مئذنة أحد المساجد القريبة من بيتنا، فأشعر بقشعريرة غريبة تنتابنى، وراحة نفسية تغمرنى، برغم أننى لم أكن أعرف معنى كلمات الأذان، غير أنه كانُ يخيل إلىَّ أن بلسماً شافياً امتدت به يد طيبة لتزيل كل الهموم التى أعترت نفسى!!

ويضيف أحمد الذى لم يتجاوز عمره الخامسة والثلاثين عاماً:

(*) نهدى هذا التصريح للمسئولين فى هيئات وأجهزة الدعوة الإسلامية بالخارج.

«لقد كنتُ صغيراً لم يتجاوز عمرى الست سنوات عندما بدأت أستشعر فى نفسى ميلاً قوياً لأن أذهب إلى هذا المسجد لأتبين ماذا يفعل هؤلاء الناس الذى يهرعون إلى المسجد بعد أن يسمعوا صوت المؤذن!

كنت أسأل أمى: ما هذا الصوت الطيب الذى أسمعه؟ . . . فكانت تجيبنى ـ وهى مسيحية متعصبة مثل أبى تماماً، وينتميان للطائفة البروتستانتينية ـ إنه صوت الأذان يدعو الذين ينتمون للإسلام لأداء شعيرة الصلاة.

ولعل والدى لاحَظَ عَلَىَّ بعد ذلك شغفى الكبير لأن أستكشف هذا الدين، ومايحث عليه من تعاليم، وما يتميز به من مبادئ. . . . فبعد أن كان يشعر أن معرفتى به تنحصر فى صوت المؤذن الذى ينساب رَقْراقاً طيباً داخل جدران بيتنا، فإنه أقلقه أن قلبى بدأ يتفتح أكثر لهذا الدين. . . . . وكانت أمى تشاركه هذا القلق، حتى أنهما أرادا أن يَحُدَّا من هذا الميل أو التفتح للإسلام، فكانا يحرصان على أن أذهب معهما إلى الكنيسة، وأن أصغى جيداً لموعظة «الأحد». . كما كانا يحرصان على أن أقرأ أكبر قدر ممكن من الكتب المسيحية، بالإضافة إلى الكتب التى كتبها أعداء الإسلام يهاجمونه من خلالها. . . . لقد كان تصرف أبى وأمى بهذا السلوك معى ظنّاً منهما أن سبب ذلك أنهما لم يبثا فى نفسى جيداً تعاليم المسيحية ومنهجها. . .».

ويهز «أحمد» رأسه ليستطرد قائلاً:

«وعلى النقيض تماماً، فقد أدت مواعظ الأحد التى كنتُ أسمعها فى الكنيسة إلى هدايتى إلى الإسلام، وكان ذلك عكس ما أراده أهلى من اصطحابى للاستماع إلى تلك المواعظ. . . كان القسيس يركز كثيراً على عقيدة «التثليث» فى حين كنت أنظر ساخراً لفكرة «التثليث» على أنها فكرة ساذجة جداً، ولايمكن أن يقرّها عقلٌ واعٍ. . . وبالفعل صدق إحساسى

عندما استمعت إلى إمام المسجد المجاور لبيتنا الذى شرح لى كيف أن هذه الفكرة تنطق بالجهل المطبق، والشرك بالله الواحد الأحد.

وبرغم ما قرأتُ فى الكتب المسيحية والمواعظ التى أصَرَّ والداى على أن أنصت إليها، سواء فى الكنيسة أومن خلال أشرطة «الكاسيت» التى تناولت الإسلام بالسلب والإجحاف فى حقه فإننى لم أتأثر بما سمعته.. فقد كان دائماً ذلك الصوت الهادىء بصيحته المريحة للنفس «اللهأكبر»، ينساب إلى أعماقى ليجرف بانسيابه بقايا الشرْكِ التى حاولَ والداى أن يُشَيِّدَاه ليحجزانى عن الإسلام...».

ويصمت «أحمد» قليلاً ليسترجع ذكرياته الماضية مع الإسلام... عندما ذهب خلسة وفى غفلة من والديه إلى المسجد لأول مرة، فيرى المسلمين قد انتظموا فى صفوف متساوية منتظمة، فيشده منظرهم، ولا سيما وهم يؤدون حركات واحدة. ويتمنى لو كان واحداً منهم يشاركهم فى صلاتهم... ويعود إلى منزله وقد غمرته الرغبة تماماً لأن يتعلم اللغة العربية ليدرس بها الدين الإسلامى.. فأرسل إلى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طالباً منحة لدراسة اللغة العربية وينال مايتمناه، ويذهب إلى مصر، ويرتاد الجامع الأزهر ويتعلم اللغة العربية.. ثم تعرف قدماه الطريق إلى علماء الدين الإسلامى ليستمع منهم عن الإسلام، فيتحقق له ما كان يبحث عنه من معرفة، بعد أن أعلن اقتناعه بالإسلام، الذى صار من أشد المتحمسين المدافعين عنه

* * *

الشاب النصرانى إبراهيم يوسف
الذى صار من دعاة الإسلام المخلصين

وكان ابناً لأسرة نصرانية قريبة من الكنيسة، علمته أن يتمسك بتعاليم القسس وألا يُخالف لهم أمراً، فكل ما يقوله الآباء القسس لا يقبل المناقشة، فمفاتيح الجنة فى أيديهم!! وعلى ضوء هذه التربية شب «إبراهيم».. فكان يذهب إلى الكنيسة يستمع إلى إنشاد القس ويشارك فيه، ويعتبر مايقوله رجال الكنيسة هو اليقين والحق، لأنهم أقرب الناس إلى الرب كما يزعمون... لكن ما هذا الرب الذى يدعون إليه؟ فقد كان يتساءل برغم حداثة سنه: أيعقل أن يوجد رب يقبل أن يصلبه أحد عبيده؟!.. ثم ما معنى افتداء خطايا البشرية وذنوبها؟ أليس فيه إخلال بقاعدة العدل القائلة بألا يتحمل أحَدٌ وزْرَ غيره؟!

تساؤلات عديدة طالما عصفت بنفس الصبى الصغير، ولم يجد لها جواباً لدى أسرته أو القسس، إذْ رأى فى تعاليم النصرانية ـ كما لقنوه إياها فى البيت والكنيسة ـ غموضاً وتهويمات لا معنى لها: وكلما غاص فى بحثه عن إجابة لاستفهام يطرأ على باله حول شىء ما فى تلك العقيدة وجد نفسه يغرق فى طوفان من الاستفهامات والطلاسم.

وتوقف كثيراً أمام مايسمونه «أسرار الكنيسة السبعة».. تعجب من الاعتقاد أن مجرد الاعتراف للقس بالخطايا يكفى عن التوبة، كأن القس يملك القدرة

على غسل النفوس ومحو الذنوب خلال جلسات الاعتراف بالخطايا، بدءاً بانفراد القس بالنساء، وانتهاء بالشراب المسكر الذى يسقونهن إياه بدعوى أنه دم المسيح عليه السلام!!

ولم يكد «إبراهيم» يبلغ الرابعة عشرة من عمره حتى بات يضيق بدروس الديانة النصرانية التى كان يتلقاها فى المدرسة، لأنه لم يجد فى تلك الدروس ما يهدى نفسه الحيرى المتطلعة إلى الحقيقة، فكان ينفر منها ويهرب إلى المكتبة، عسى أن يجد فيها الهدوء الذى تنشده روحه.

مرت السنوات وساقته الأقدار ذات يوم - وهو فى الثانية والعشرين من عمره - إلى استماع تلاوة آيات بينات من القرآن الكريم يتلوها أخ مسلم، وهو ينصت إلى قوله تعالى:

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(١) .

ولم يكد قارئ القرآن الكريم ينتهى من تلاوته حتى انهمرت دموعه، فبادر رفيقه إلى محاولة تهدئته، وما كادت نفسه تسكن حت بادر إلى إعلان رغبته فى اعتناق الإسلام. . . . وقام من فوره فاغتسل وتوضأ ونطق بالشهادتين، ثم صلى ركعتين لله بعد ما شرح له صديقه كيفية أدائهما، ولم يكن بحاجة إلى شرح كثير ليتعلم، لأنه بحكم مخالطته لأصدقائه المسلمين واستماعه إلى البرامج الدينية فى الإذاعة والتليفزيون كان ملماً بالكثير من أركان الإسلام وعباداته.

وكان خبر اعتناق «إبراهيم» الإسلام صدمة لأسرته كلها، التى لم تستطع ان تستوعب معنى أن يهتدى المرء إلى العقيدة الصحيحة، وهرع والده إلى

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

الكنيسة طلباً لمساعدة القس لرد ابنه إلى الحظيرة التى نشأ فيها، ولم يتوان القس فى مساعدته، ولكنه فشل أيضاً، فلم يجد الوالد بُداً من طرده من البيت وطلب منه ألا تكون له بأسرته أية صلة، متبرءًا منه.. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ظلت أسرته فى ملاحقته ومضايقته بمساعدة الأقارب والكنيسة فى محاولات يائسة منهم لرده إلى النصرانية من جديد(١) .

وسارت الحياة بإبراهيم فى كفاح متواصل، وأنعم الله عليه ـ عز وجل ـ بزوجة كريمة فاضلة كانت قد سبقته هى وأسرتها إلى الإيمان بعامين، وأمكنه فى ظل هذا الجو الأُسرى المؤمن أن يستزيد من قراءاته الدينية، وأن يتعمق فى أمور الفقه الإسلامى بما يتيح له العمل فى مجال الدعوة والوعظ.

ولم يلبث أن فتح الله عليه باب الرزق واسعاً، فتعاقد على العمل بدولة «قطر» إماماً وخطيباً لأحد مساجد عاصمتها «الدوحة» يمارس بحماسة وصدق الدعوة إلى الله، دونما مضايقة من أهله أو من الكنيسة التى لم تتوقع أن يصير أحد رعاياها يوماً إماماً لمسجد يؤم جموع المؤمنين.

وصار «إبراهيم يوسف إبراهيم المهدى» من دُعاة الإسلام المخلصين، بعد نَذْرِ نفسه لخدمة دينه وعبادة ربه، يساعده على ذلك كونه بحكم النشأة الأولى قد درس النصرانية وعلم مافيها من تناقضات كثيرة.

ويدعو إبراهيم الدعاة إلى عدم الاكتفاء بالدعوة من فوق المنابر فقط، حيث لا ينبغى أن تحصر على المنابر والمساجد، وإنما على الداعية أن ينزل إلى التجمعات البشرية حيثما وجدت بعد أن يلم بظروفها ومعتقداتها كى يمكنه الرد على أى استفسار يوجه إليه كما يدعو المسلم العادى إلى ممارسة الدعوة إلى الله حيث إن الدعوة مسئولية المسلمين جميعاً، عامتهم وخاصتهم....

---

(١) وذلك يذكرنا بقوله تعالى: ﴿ وَدَّ كثيرٌ من أهْلِ الكتاب لو يَرُدُّونكُم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفُسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [سورة البقرة: من الآية ١٠٩]..

ويرى أن هناك كثيراً من غير المسلمين لديهم الاستعداد للإيمان لو وجدوا من يرشدهم إلى حقيقة الإسلام التى لا يعلمون عنها إلا النزر اليسير، وهذا قصور ينبغى علينا أن نتلافاه، وأن نعمل جهدنا للتعريف بقيم الإسلام ومبادئه السامية.

ثم إن علينا ـ كما يضيف إبراهيم ـ أن نولى اهتماماً إلى النشء، وأن نحرص على تعويده على الصلوات وتزويده بمعلومات عن دينه فى صغره، إذ أن التعليم فى الصغر أشبه بالنقش على الحجر لايزول، وبالتالى نتمكن من إيجاد جيل مسلم مسلح بالعلم الدينى الصحيح ومن ثم يمكنه حينما يشتد عوده أن يصير من خيرة دعاة الإسلام.

كما يلفت النظر إلى أهمية توجيه عناية خاصة للأقليات المسلمة فى العالم، ولاسيما تلك التى تعانى من الفقر والتخلف والاضطهاد، فى وقت يهتم النصارى بأبناء عقيدتهم، حتى ولو كانوا من أقصى أقاصى الأرض.

ويحذر «إبراهيم» من أساليب الكنيسة التى تستغل الفقر والحاجة والعوز لجذب غير النصارى إلى مِلّتِهم، وهو ما يتبدى بوضوح بصفة خاصة فى محاولاتهم المستميتة فى كثير من دول إفريقيا وآسيا..... ولذا يتساؤل فى دهشة: كيف نسمح لهؤلاء بممارسة دورهم الخبيث فى بلادنا الإسلامية؟!

وهكذا لم يكتف «إبراهيم يوسف إبراهيم المهدى» بإسلامه، وإنما صار غيوراً عليه، يدعو إليه، ويحض غيره للقيام بدوره كمسلم مطالب أن يعرف دينه، يدعو إليه بالسلوك القويم والخُلُق الطيب.

* * *

---

(١) مجلة الفيصل عدد يناير ١٩٩٢ (بتصرف).

الفصل الثانى

الإسلام يجذب فئات متباينة

* مع المهندس البريطانى «إدوارد سميث» الذى اقتنع بالإسلام بعد بحث ودراسة متأنية فى علم مقارنة الأديان.

* مع المهندس الإيطالى «بارادیزی» الذى سُئل عن سبب اختياره لاسم «خالد عمر» بعد إسلامه، فقال: «لأننى أحب معنى الخلود، واسمى يعنى باللغة العربية الجنة، وأملىْ أن يخلدنى الله فى جنته.. أما عمر فلأننى معجب جداً بشخصية عمر بن الخطاب».

* مع رجل الأعمال البريطانى «سيفونتس» الذى بلغ تحمسه للإسلام لأن يقول عنه: «إنه الدين الحق لهداية البشرية الحائرة، وهو الوحيد القادر على حل مشكلات العالم».

* مع المتخصص الاجتماعى «ناجى صمويل» الذى يذكر كم كان يزعجه حين يأتى موعد حصة الدين فيترك أقرانه وينتقل إلى فصل آخر مع مجموعة من التلاميذ النصارى، أتوا بهم من فصول أخرى.

* مع الموسيقار الإيطالى «بالاسلفاتورى» الذى اهتدى للإسلام من خلال راقصة بهره جمالها، فأراد أن يشهرا إسلامه صُورِيّاً ليتزوجها، ففطن المسئول عن ذلك، فطلب منه أن يراجع نفسه ويقرأ عن الإسلام.

* .... وآخرون

مع المهندس البريطاني «إدوارد سميث»
الذى صار «أحمد سامى»

كانت له نزعة دينية بارزة، تتجلى بوضوح فى كل سلوكياته التى تتميز بالسماحة وحُسن التعامل مع الآخرين، والاستعداد للاستزادة من العلم والمعرفة...... وهذا ما ساعده على البحث والدراسة فى ديانته المسيحية التى لم يكن متعصباً لها فى يوم من الأيام، غير أنه كان مؤمناً بأن عيسى عليه السلام هو ابن الله، وأنه جاء رحمة للعالم.. وأن صَلْبَهُ كان فداءً لخطايا البشر... وبرغم ذلك لم يكن مقتنعاً بفكرة «التثليث» التى يقول عنها:

«إنها تضعف من منطقية الدعوة المسيحية، وكفى المسيحية أن يكون أساسها علاقة المسيح بالله علاقة بنوة».

وحدث أن التقى بشاب مسلم من مصر فى لندن، وحُدَّثه عن المسيح عيسى ابن مريم كما يؤمن به المسلمون، والذى جاء مولده طبيعياً من بعد حَمْل ومخاض، وبدون وجود أب، وذلك بقدرة الله تعالى الذى خلق آدم بدون أب وأم.... فمثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقهما الله بقُدرته.

ثم أوضح هذا الشاب المسلم «لإدوارد سميث» دليلا أكبر من معجزة خلق عيسى بلا أب، وهى معجزة خَلْق حواء التى خُلقت من ذكر، وهو آدم.

ثم ساءله الشاب قائلا: ماذا يضيرك أن تؤمن بعيسى كنبى؟ وهل لابد أن يكون النبى من أبناء الله؟!... ثم هل يليق بابن الإله أن يأكل ويشرب مثل

البشر؟!... أو هل يليق به أن يقضى حاجته ويتعرض لأقذر ونجاسة يحتاج إلى تطهيرها كما يفعل البشر؟!

ثم صمت الشاب برهة وقد أحدق ببصره فى وجه سميث ليرى جواباً على تساؤلاته قبل أن تنطق بها شفتاه... ولكنه لم يلبث أن طرح له نتيجة منطقية فقال: إذن... ما الفرق بين ابن الإله والبشر طالما أحوال كل منهما متشابهة، ألم يكن من المنطقى أن يُوجد شيءٌ يتميز به ابن الإله عن سائر البشر وإلا كان مثلهم؟!

ثم لم يدعه الشاب المسلم يفيق من حيرته التى طفحت على نظراته الزائغة ليسأله سؤالاً آخر وهو: لماذا تَركَ الله عيسى - وهو كما تدعون ابنه - لكى يُقتل ويُصلب بأيدى أعدائه..؟! ..ثم كيف لم يستخدم الله قُدْرَتَهُ جل شأنه فى إنقاذه، وبالتالى فى الانتقام ممن قتلوه وصلبوه كما تعتقدون؟... فهل يعقل أن يترك الأب ابنه وهو يراه يُعْتَدَى عليه ولا يتحرك؟!!

عندئذ زم «إدوارد» شفتيه وامتعض وجهه وهو يقول لصديقه المسلم: دعنا من ذلك.. ثم انصرف بعد أن دبت الهواجس والحيرة فى نفسه، تريد أن تصل إلى حقيقة طالما كان يبحث عنها، ولكن لم يحركها سوى محاورة هذا المسلم.

وعَاوَدَ «إدوارد سميث» بحثه ودراسته فى علم مقارنة الأديان بين محمد وعيسى عليهما السلام، ويطالع كل ماوقع عليه عيناه عن الإسلام كدين تشريعى له منهاجه فى تنظيم حياة البشر وتهذيب سلوكياتهم من خلال آداب قد حث عليها....

ومرت ثلاث سنوات.. جاء بعدها للقاهرة ليعلن إسلامه واختياره لاسم «أحمد سامى» وذلك بعد أن اطمأنت نفسه، ونَعِمَ بسكينة الإيمان التى افتقدها طوال حياته.

***

مع المهندس الإيطالي «كلاودو باراديزي» الذي صار المسلم «خالد عمر»

بعد بحث ودراسة استمرت قرابة الاثنى عشر عاماً أشهر المهندس الجيولوجي الإيطالي «كلاودو باراديزي» إسلامه. . . . ولكي نلتقط الخيط من بدايته لنعرف كيف تعرف المنهدس «باراديزي» على الإسلام. . . نرجع إلى مجموعة من أصدقائه المسلمين ـ في الشركة التي يعمل بها ـ الذين ذكروا أنهم كانوا يلاحظون إصْغَاءَهُ إلى مناقشاتهم في موضوعات وقضايا إسلامية، بل كان يطلب منه أنّ يجيبوه عن تساؤلاته في عقيدة التوحيد التي كان يفكر ويبحث فيها أولاً وقبل كل شيء، حتى تولدت في نفسه الرغبة في التعمق في دراسة الإسلام، بعد أن وجد فيه الإجابة عَمَّا يبحث ويفكر فيه.

وبرغم أنه قد نشأ في بيئة مسيحية فإنه لم يؤمن بها أو بأي ديانة أخرى. . فيعبر عن ذلك قائلا:

« لم أؤمن بأي ديانة قبل الإسلام. . ولم أذهب في حياتي مرة واحدة إلى الكنيسة، لأني كنتُ غير مقتنع بوجود الله قبل ذلك».

وعاش «باراديزي» حياة القلق والحيرة قبل أن يهتدي للإسلام، حتى حدث ما اهتزَّ له وجدانه، عن ذلك يروى سَارِحاً فيقول:

«كنت أسير في يومٍ مًّا عن طريق «صلاح سالم»[1] فرأيت مسجداً يسمى بـ «مسجد قايتباي». . ووجدت نفسي أتوقف فجأة أمام المسجد بدون شعور

(١) احد الشوارع بمدينة القاهرة.

مني. . . وكان ذلك وقت صلاة الجمعة ـ كما عرفت فيما بعد. . ودخلت المسجد، فوجدتُ المصلين يصلون الجمعة، فانتابنى إحساس لايمكن وَصْفُه، حيث تولدت فى نفسى ومضة روحانية. . . .».

ثم تنهد ومضى يستطرد قائلا:

«وجلستُ فى المسجد حتى انتهى المصلون من صلاتهم الجامعة. . بعدها قابلنى المسلمون بترحاب عظيم واستقبال حافل بالكرم الزائد، مع علمهم بأنى «خواجة» كما يطلقون على من لايدين بدينهم الإسلام. .

من هذا اليوم أحسستُ بإحساس غريب فى قلبى فتح لى أبواب الإيمان بالإسلام كديانة، وبدأت أبحث فيها وأدرسها، لكى يكون اعتناقى لها عن اقتناع وفهم تام. . . وهذا ما حدث بالفعل».

وكانت الصلاة أهم وأبرز ما جذبه إلى الاسلام كما يقول:

«أهم شىء جذبنى إلى الإسلام الصلاة، حيث إنها علاقة مباشرة بين العبد وربه بدون وسيط، حيث شعرت بإحساس لايمكن وصفه أثناء الصلاة».

ولذلك تأثر العاملون فى الشركة التى يعمل بها «باراديزى» عندما رأوا كيف كانت الصلاة عُنصرَ جَذْبٍ لشخص لايدين بالإسلام أساساً فى حين أنهم ـ وهم المسلمون أصلاً ـ يتراخون فى أدائها أو المواظبة عليها. . . ونعجب إذا رأينا من هو حديث العهد بالإسلام يكون سبباً فى هداية مسلمين منذ ميلادهم ونشأتهم. . . فبدأ كل العاملين فى الشركة من المسلمين يهتمون بالصلاة، وتنفيذ تعاليم الإسلام بحماس شديد. . كما يذكر أحد العاملين بها.

وإذا كانت الصلاة كانت أبرز الأمور التى جذبته إلى الإسلام. . . . فإن هناك بعض الحقائق العلمية التى دفعته لاعتناقه يتناولها بقوله:

«كثيراً ماكنت أتناقش مع أصدقائى المسلمين بأسلوب علمى حتى تطرقنا ذات يوم للحديث عن كروية الأرض، حيث سألنى أحدهم: هل تعرف أن الأرض كروية وليست كاملة الاستدارة؟ فقلت له: نعم. قال: ومتى أثبت العلم هذه الحقيقة؟ قلت: منذ ١٥٠٠ عاماً تقريباً. . . عندئذ هز صديقى المسلم رأسه وهو يخاطبنى قائلا: لقد تحدث عنها القرآن منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.

فقلت له فى دهشة واستغراب: وكيف ذلك؟ . . . قال: لقد ذكرها القرآن فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[1].

وبَيَّنَ لى معنى الآية بأنها تشير إلى كروية الأرض.

فبادرته قائلاً: إن رسولكم محمد كان أُميّاً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولا تعلم فى الجامعة مثلنا، ولا أى شىء من هذا القبيل، فكيف عرف أن الأرض كروية؟!

ثم لم ألبث أن أَجَبْتُ عن نفسى بالقول: «إذن هذا الكلام ليس كلام محمد، وإنما هو من مصدر آخر ولابد أن يكون من مصدر خالق الكون».

ويطرق «بارادیزی» برأسه وهو يسترجع ذكريات حبيسة فى نفسه لاتفارقه. . لحظات إشهار إسلامه فيصفها بقوله:

«كنت خائفاً لأننى اعتقدت أن هناك امتحاناً فى الأزهر يتقرر فيه نجاحى أو فشلى. . وأن هناك أناساً كثيرين يتواجدون لحظة إشهار إسلامى. . . ولحرصى الشديد على قبولى مسلماً انتابنى خوف وذعر شديد، فقد اعتقدتُ أنهم سيسألوننى عدة أسئلة عن معلوماتى عن الإسلام.

ولكن عندما ذهبتُ إلى إدارة الأزهر لم أجد شيئاً مما كنت أتوقع. . فقد استقبلوننى بحفاوة وترحاب، وحدثونى عن الإسلام وتعاليمه وآدابه ببساطة

(١) سورة النازعات: من الآية ٣٠.

وسهولة، مما زادني فرحاً وسروراً بهذا الدين السمح... ونطقت بالشهادتين.. وعرفتُ أنني ـ لحظتها ـ قد أسلمت».

ثم أخذ يتمتم بنبرة سعادة حقيقية بقوله:

«نعم.. كانت لحظة سعادة لا أستطيع أن أصف مداها حينما انتهت إجراءات إشهار إسلامى.. لقد شعرت بانتمائى إلى أسرة الإسلام وانضمامى كفرد إلى أسرة كنت أفتقدها من قبل... وشعرت بمعنى هذه الأسرة وأهميتها... وهذا الشعور لم أشعر به من قبل».

وترتفع حرارة كلماته وهو يحرك يده لتأكيد معنى كل كلمة ينطقها وهو يقول:

«ومما احسستُ به أيضاً أنني وجدتُ نفسي، وشعرت بمعنى المسئولية الحقيقية.. وأن هناك عقاباً وجزاءً، وجنة وناراً... أن هناك عقاباً إذا أخطأت متعمداً وثواباً إذا أحسنت..

هذا الشعور الذى لم أتعود عليه من قبل كانت له أهميته العظمى فى تعديل سلوكى بعد إسلامى».

ويلتقط أنفاسه ليعود إلى هدوئه المعهود ليضيف قائلاً:

«إننى أشعر أيضاً بمسئولية تجاه أصدقائى وأقاربى فى إيطاليا.. يجب أن أدعوهم لهذا الدين العظيم... ومن هذا المنطلق أشعر بحاجتى للتفقه فى الإسلام حتى أستطيع أن أشرح لهم التعاليم الإسلامية ومايدعو إليه الإسلام من آداب، والتحلى بالسلوكيات الحميدة».

ثم ابتسم وهو يضيف:

«وأريد أن أتزوج مُسلمة محجبة لتتعامل معى بالأسلوب الإسلامى، حتى أستطيع بحكم «العشْرة» أن أعرف أن هذا حلالٌ أو حرام.. وتوضح لى المسائل التى أريد أنَ أتعلمها».

وعن صدى إسلامه لدى أهله... قال وقد اتسعت دائرة ابتسامته:

«عندما عَلِمَتْ والدتى ـ وهى فى سن السبعين، ومتمسكة جداً بالمسيحية ـ قالت لى: أنت ولد مجنون، وعلى العموم هذه حياتُكَ وأنت حُرٌّ فيها... وهذا أيضاً كان موقف أهلى عموماً».

ثم أردف كلامه وهو يدير رأسه يمنة ويسرة بالقول:

«لا، إذا لم يتقبلنى أهلى فإن موقفى من الإسلام عندئذ لن يتغير على الإطلاق، لأننى مؤمن عن اقتناع ودراسة... أما بالنسبة لوالدتى فإنها بحكم عمرها فليس لديها استعداد للبحث ودراسة دين جديد.. فهذا الاستعداد يتواجد غالباً فى سن الشباب»[1] .

وعن الإسلام... هل هو معروف معرفة حقيقية فى أوربا.. وكيف السبيل إلى نشره والدعوة له؟

أجاب الإيطالى المسلم بقوله:

«الإسلام بمعناه الحقيقى لا يُعْرَفُ تماماً فى أوربا.. ولكن المعروف عن الإسلام[2] اسمه فقط.. والأوربيون لا يعرفون عنه إلا أنه يبيح الزواج بأربع زوجات.. وأنه يمنع المشروبات الكحولية وأكل لحم الخنزير.. ولم يعرفوا أكثر من ذلك...

أما السبيل إلى نشره هناك فلابد من الاهتمام بوسائل الإعلام، بإمدادها بالمواد الإسلامية التى تتناول ماهية الإسلام وتعاليمه وآدابه بأساليب تتفق مع تطور العصر... كما أنه من الضرورى تكثيف إرسال الدعاة المسلمين لتعريف الإنسان الأوربى بالدين الإسلامى كعقيدة وعبادة، ومعاملات إنسانية».

(١) وهذا هو السبب فى اهتمام رسول الله ﷺ بالشباب، ودعوتهم للإسلام، بل وتحمسه لهم دون الشيوخ الذين تقدم بهم العمر.

(٢) ليعلم ذلك كل القائمين على أجهزة الدعوة الإسلامية، وليدركوا تماماً أنهم مسئولون أمام الله رب العالمين عن تلك الأمانة التى وكلت إليهم.

ثم استدرك أمراً مهماً كاد أن يفوته، وهو يستطرد قائلاً:

«من الضرورى أيضاً الاهتمام بالقدوة، من خلال تصرفات بعض المسلمين أنفسهم.. فمما يؤسفنى أن أجد المسلم يلفظ بكلمة إسلام ويقول: أنا مسلم، فى حين لم أجده يهتم بتطبيق مبادئ وتعاليم الإسلام على أكمل وجه فيشرب الخمر ويَدَّعى أنه مسلم، ويتصرف تصرفاً غير لائق بالإسلام ويقول أنا مسلم.. فالمفروض فى المسلم أن يكون قدوة»(1).

وعندما سئل «باراديزى» عن سبب اختياره لاسم «خالد عمر» بعد إسلامه.. قال ضاحكاً فى مرح: «لأننى أحب معنى الخلود.. واسمى يعنى باللغة العربية الجنة... وأملى أن يخلدنى الله فى جنته.. أما «عمر» فلأننى معجب جداً بشخصية عمر بن الخطاب وقوة شخصيته، ودوره فى نشر الدعوة الإسلامية، ولعلى أستطيع أن أقوم ببعض ما قام به عمر بن الخطاب».

أجل.. إن الإسلام ينتشر فى ربوع العالم، ينمو كالزرع الأخضر، لا يذبل ولا يموت، وإنْ تَراءى ذلك للحاقدين أعداء الدين.

* * *

(1) هل لنا أن نتعلم - نحن معشر المسلمين - من الذين اعتنقوا الإسلام مؤخراً؟!

مع المهندس الطيار الفلبينى «أرنستو كالينسان»

عندما حضر إلى مصر ومكث بها فترة اختلط خلالها بالمسلمين، شد انتباهه أنهم يقفون فى الصلاة صفوفاً متراصة، ويمارسون حركات منتظمة ويتعبدون بخشوع وسكينة.... فبدأ يسأل عن سر هذه الحركات التى يؤدونها ويسمونها بالصلاة..... وما فائدة هذه الصلاة وأهميتها؟.....وبالتالى عن أصل الإسلام وجوهره.... وعن المبادئ والتعاليم التى ينادى بها ويحث عليها.. وهكذا احتشدت فى ذهن «أرنستو كالينسان» عدة تساؤلات عن الإسلام وأركانه وتعاليمه وهو لايزال مستمراً على ديانته المسيحية...

وأجابه أصدقاؤه من المسلمين فقالوا له:

«إن الإسلام يدعو إلى عبادة إله واحد.. هو الذى خلَقَنَا.. وهو الذى يرزقنا.. وهو الذى يمنحنا القدرة على بذل الجهد أو يسلبها منا.. وهو الذى يدعونا لأن نتعاون ونتحاب وأن نتجنب الفرقة والشقاق.... ولذلك فإن الإسلام يدعو إلى التعاون والحب والإخاء ونبذ الفرقة والاختلاف فى الأمر والتباغض... كما يدعونا الإسلام إلى عدم الكذب والغش ويحذرنا من النفاق والتكاسل عن العمل والتواكل، هذا على حين يدعونا إلى التوكل على الله بعد أن نأخذ بأسباب العمل، فهو دين الجد والعمل، وليس دين الدَّعَة والتراخى عن العمل.. فالإسلام يطالب بعمارة الأرض وإنشاء الحضارة».

ويذكر «أرنستو كالينسان» أيضاً ما حَدَّثَهُ به أصدقاوه من المسلمين من أن الإسلام دين يطالب بالوفاء بالعهد والوعد، ودين التكافل الاجتماعى فهو يأمر باقتطاع جزء من أموال الأغنياء للفقراء العاجزين عن الكسب... كما أن الإسلام يدعو إلى إغاثة الملهوف، ومعاونة المحتاج والمسكين.. فهو دين يدعو إلى التعاون على العمل الطيب فى شتى مجالات الحياة.

ولقد أعْجَبَ «كالينسان» ما تميزَ به الإسلام من سماحة تجلت فى إعطاء أصحاب الديانات الأُخرى حرية ممارسة طقوسهم وعباداتهم، فهو لا يجبر أحداً على اعتناقه.. فلا إكراه فى الدين. ويعبر عن ذلك بقوله:

«لقد قرأت فى القران الكريم: «لا إكراه فى الدين».. وقد تأكدت من ذلك، فلم أجد أحداً من المسلمين يجبر غيره على اعتناقه من غير المسلمين».

ومما دعاه إلى الإعجاب بدين الإسلام أنه لايعرف وساطة بين الله والعبد، كما يقول فى اعتزاز المؤمن بدينه:

«وجدت فى الإسلام جميع القيم التى تسمو بالإنسان... يكفى أنه لاتوجد وساطة بين الله والعبد، وهذا أروع ماشَدّ انتباهى فى الإسلام... فالله يسمع من يناجيه، ولذا فالله أعظم من أن يتوسط عنده مخلوق لمخلوق، لأن الناس جميعاً عباده ومحتاجون إليه».

ولذلك كانت هذه المعانى والمبادئ التى تضمنها الإسلام مدعاة لتفكير «كالينسان» حيث يقول:

«أخذت أفكر فى هذه القيم والمبادئ التى دعا إليها الإسلام فوجدتها تسمو بالإنسان، بل تجعل منه مخلوقاً أشبه بالملائكة فى تصرفاته... ولذا فلم أتردد فى اعتناق دين الإسلام الذى أنا سعيد به، فقد وجدت نفسى فيه بعد ضياع وحيرة استغرقت سنوات عمرى قبل أن أهتدى إليه».

ثم أردف قوله بعد برهة تأمل للمستقبل:

«إن الكتب التى سأبدأ بقراءتها هى تلك التى تتحدث عن الصلاة والزكاة وجميع العبادات والآداب السامية التى يدعو إليها الإسلام....».

ثم هز برأسه وهو يبتسم فى سعادة:

«وعندما أرجع إلى بلدى سأنشر بينهم هذا الدين العظيم».

ما أعظم أن يهتدى المرء إلى الحق.. إلى الله.. إلى دينه الذى ارتضاه لعباده أجمعين..دين الإسلام... وأعظم منه أن يدعو المرء غيره إلى الحق، فلايكتفى بهداية نفسه، وإنما يعمل على الأخذ بيد غيره إلى طريق الهداية، وهذا مانجده فى كثير ممن أعتنقوا الإسلام....فهل للمسلمين أنفسهم أن يقتدوا بهم، وإنْ كان المفروض والبديهى أن يقتدى مَنِ اعتنقوا الإسلام حديثاً بالمسلمين؟!!

* * *

مع المهندس الأمريكي «روبرت ماتشجير»

قبل مجيئه إلى المملكة العربية السعودية لم يكن لديه أدنى فكرة عن الدين الإسلامى إطلاقاً، ولكن بعد قدومه إلى المملكة عام ١٩٧٩ بدأ يرى ويسمع الناس تصلى فى كثير من الأمكنة التى يتواجد فيها.... وحينئذ بدأت تتوالد فى نفسه الرغبة فى السؤال والاستفسار عن كل شىء، ويعبر عن ذلك فيقول:

«كنت أسأل نفسى وغيرى لماذا يفعل الناس هكذا؟!... أى: لماذا يصلون؟... وماذا يقولون فى صلاتهم؟ ولا أخفى عليكم مقدار الاهتمام الزائد الذى كان ينتابنى آنَ ذاكَ، وخصوصاً عن الصلاة وكيفيتها.. وبمرور الأيام بدأت الحقيقة تتضح لى أكثر.. وبدأت السعادة تغمرنى أكثر وأكثر وأنا أتعمق فى أسئلتى عن الإسلام والصلوات، وما يفعله المسلمون».

وقد استلزم ليزداد معرفة بالإسلام لأن يقرأ أيضاً، فَتَرَدَّدَ على المكتبات العامة ليطالع فيها على الكتب الإسلامية المترجمة، وإنْ لم يجد فيها ما يبحث عنه تجول فى سوق المكتبات ليشترى ما يرى أنه يشفى غليله من العلم والمعرفة بالدين الإسلامى، فيستعرض ذلك فى سياق حديثه قائلاً:

«أيضاً - كخطوة ثانية - كنت دائماً أتردد على المكتبات العامة كى أطالع الكتب الإسلامية، وخصوصاً تلك التى تتحدث مباشرة عن قضايا الإسلام ومزاياه.. كما كنت أتردد على المراكز أو المعاهد الإسلامية الموجودة فى

السعودية. . . . وفى كل زيارة كنت أكتشف شيئاً جديداً يرغبنى فى الإسلام أكثر ويُشعل حماسى بدرجة جنونية للمزيد من الإلمام والمعرفة بهذا الدين العظيم، وأشترى أيضاً ما لا أجده فى المكتبات العامة، والتى تزيد من اقتناعى بالدين الإسلامى».

ثم يتابع كلامه مُعبراً عن أحاسيسه فيقول:

« وأحسست أن هذا هو ما أبحث عنه منذ فترة طويلة من الزمن، وهو ما كان ينقصنى فى حياتى. . . . وحتى حينما كنت فى أمريكا. وعلى الرغم من وجود كل شىء فإننى كنت أحس أن هناك شيئاً ما ينقصنى. . . شيئاً ما لا أدرى كُنْهَهُ . . . أو ماهى ماهيته. . . المهم أنه فعلاً كان ينقصنى شىء ليس موجوداً فى بلادى الواسعة المترامية الأطراف. . وكانت المفاجأة أننى وجدت ما أبحث عنه، وما كان يأخذ أغلب وقتى فى التفكير فيه».

ويتذكر «روبرت ماتشجير» تلك اللحظات السعيدة فى حياته بعد اقتناعه التام بدين الإسلام وتعاليمه، والتى اصطحبه فيها مجموعة من زملائه المهندسين ليشهر إسلامه أمام مسئولين بأحد المراكز الإسلامية بالسعودية، بعد أن أخبرهم بأنه يريد أن يكون مسلماً. . . وهناك نطَقَ بالشهادتين معلناً إسلامه وسط فرحة الجميع التى كان يلمحها منْ نظرات مَنْ حوله، حينئذ يتذكر «روبرت» الذى صار اسمه «محمداً» حُبّاً وتأسّياً برسول الإسلام محمد ﷺ، فى تلك اللحظات كانت الفرحة تقفز من عينيه، وهو يصرح بقوله:

«بعد أن أشهرت إسلامى والحمد لله. . بدأت أتأقلم على حياتى الجديدة التى صِرْتُ سعيداً جداً بها، وقد غيرت مجرى حياتى ككل. . . فيكفى أننى مقتنع وسعيد وهذا شىء بينى وبين ربى. . إن الراحة النفسية التى أشعر بها الآن أعظم من أن توصف أو أن أعبر عنها، ولذا فإننى لا أخفى أننى أتمنى أن

يصبح كل من أعرفهم من الأصدقاء والمعارف أن يهتدوا بنور الإسلام مثلما اهتديت أنا وتشرفت وسعدت بنوره».

ومما يثير إعجاب «محمد ماتشجير» بالإسلام كتابه الكريم «القرآن»، الذى يجد فى سماعه طُمأنينة وسكينة، حتى ولو لم يفهم بعض كلماته العربية، فيعبر عن ذلك قائلاً:

«إننى كلما انتابنى ضيق أو شعور بالاكتئاب ألجأ على الفور إلى كتاب الله الكريم، إلى القرآن الكريم، فأجد فيه كل الاطمئنان والراحة النفسية التى لا أجدها فى أى كتاب آخر».

كما كان تأثر «ماتشجير» بمجتمع المسلمين كبيراً عندما عايشه فى السعودية ومصر بوجه خاص، أو المجتمعات الإسلامية بوجه عام، فيقول: «إنه مجتمع مسالم يحب الخير والسلام، ويحب مساعدة الغير، وهذا ما لاحظته وشاهدته وعشته فى أثناء إقامتى بالرياض بالسعودية، أو فى القاهرة بمصر».

ثم يستتبع قوله مستطرداً: «إن المجتمعات الإسلامية عموماً - حسب اختلاطى معهم ورؤيتى لهم - تجد فيهم التعاون والرحمة، وبينهم صداقات وطيدة حتى ولو لم تكن بينهم قرابة.. كذلك تجدهم يحبون أن يخدموا الآخرين.... فلو لجأ إليهم أى شخص فى طلب خدمة أو معاونة نجد الإجابة على الفور، بل الاستعداد للتضحية وبذل الجهد بدون أدنى مقابل»[١].

(١) قد يذهب قائل حاقد إلي أنه توجد عداوات وبغضاء بين بعض المسلمين لدرجة الاقتتال وسفك الدماء، فنرد: هناك مسلمون اسما وبشهادة الميلاد فحسب، ولم يتمكن روح الإسلام من نفوسهم... ثم اى مجتمع يخلو من عناصر فاسدة؟ إنه ليس المدينة الفاضلة كما تصورها أفلاطون وغيره من الفلاسفة.. وإنما نذهب بالقول الجازم بأن مجتمع المسلمين أفضل من غيره من المجتمعات بوجه عام ولا سيما إذا أقيم فيه نظام الإسلام وتشريعه.

لقد بلغ من تحمس «محمد ماتشجير» بالالتزام والتمسك بالقيم والعادات الإسلامية أنه يحرص على ألا يدخل شخص غريب منزله إلا أثناء وجوده به... وألا تقابل زوجته المصرية «زينب العطار» أى شخص إلا وهى محتشمة ترتدى اللباس الإسلامى، كما ذكرت زوجته، والتى أضافت أيضا فى الحديث عنه:

«أنه يحب مشاهدة البرامج الدينية التى تعرض على شاشة التليفزيون، وخصوصاً ما يتعلق بتفسير القرآن الكريم، أو سرد قصص الصحابة والسلف الصالح من المسلمين... وأحياناً كثيرة أتولى أنا عملية ترجمة بعض حلقات الشيخ محمد متولى الشعراوى له».

وتذكر أيضاً أن زوجها «محمداً» قد سبق له أن أدَّى العُمرة معها، وقد كان كان شعوره لايمكن إنسان أن يتصوره وهو يدخل بيت الله الحرام لأول مرة! ولا عجب فى ذلك، وخصوصاً أن زوجته «زينب» تصفه فتقول: «أحياناً كثيرة أحس أنا شخصيّاً وكأنه عربى مسلم أصيل، وليس أمريكيّاً قد أسلم منذ فترة وجيزة، فالتزامه بالقيم والمبادىء والأخلاقيات والسلوكيات الإسلامية أمر يلفت النظر بالإعجاب والتقدير الحقيقى».

وللمهندس الأمريكى المسلم «محمد ماتشجير» اقتراح لوسائل الإعلام فى البلدان الإسلامية يود لو يأخذ به المسئولون ويلتزمون به، فنتركه يعرضه بنفسه حيث يقول:

«إن برامج التليفزيون التى تُعْرَضُ للأجانب ممتازة، وإنْ كنت أرَى أنه يفترض زيادة المواد الدينية، لأننى أعتقد أن الكثير من الأجانب يريدون معرفة الكثير عن هذا الدين الإسلامى الحنيف.... وبهذه المناسبة أقترح برنامجاً جديداً للتليفزيون العربى المسلم... أن يعرض برنامجاً ضيوفه أجانب قد اعتنقوا الإسلام، ويبين لماذا أسلموا؟... أو عرض حِوَار ونقاش صريح يبين

أجانب بدياناتهم المختلفة، لم يسلموا بعد، وبين أجانب قد أسلموا.. ويدور الحوار بينهم حول: لماذا أسلمت وكيف....؟»[1].

ويتحمس «محمد» لاقتراحه حيث يقول: «أتصور أن مثل هذا البرنامج سيحقق نتائج إيجابية، وخصوصا أن الحوار سيكون وجهاً لوجه، وبدون أى تدخل خارجى»[2].

* * *

مع خبير البترول العالمى «ريتشارد بريان» الذى صار «محمد بريان» [3]

ملامحه تكاد تحكى لكل من يقابله قصة إسلامه بصورة تدل على الثقة الكاملة والإيمان العميق، بعد أن تاهت نفسه سنوات طويلة وهى تبحث عن حقيقة واحدة فى هذا العالم... حقيقة وحدانية الله، فلم يجد غير الإسلام الذى ينادى بالتوحيد.. وعبادة الله الواحد الأحد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد..

هكذا يذكر «بريان» بعد أن تأكد له أن العقل البشرى المنصف لايمكن أن يقبل بأى حال من الأحوال إلا بأن الله واحد لا ثالوث كما تذهب النصرانية... فيعبر عن ذلك بقوله:

«إن القول بأن المسيح ابن الله عز وجل هذا أمر يستغربه العقل الواعى

---

(١) نود لو تبنى المسئولون فى أجهزة الإعلام ـ ولاسيما فى الإذاعة والتليفزيون ـ هذا الاقتراح، فقاموا بإعداد حلقات عن الشخصيات التى اعتنقت الإسلام بعد بحث ودراسة أوصلها للاقتناع التام به... وهذا نداء نوجهه عبر صفحات كتابنا هذا لكل مسئول مخلص غيور على دينه الإسلام، ان يدرس هذا الاقتراح ويقوم بتنفيذه.

(٢) صحيفة اللواء الإسلامى الصادرة فى ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٦ (بتصرف).

(٣) مجلة «المسلمون» الصادرة فى ٢٣ / ٣ / ١٩٨٥ (بتصرف).

المنصف، لذلك عندما تحاورت مع الأصدقاء المسلمين، أوضحوا لى كيف أن الدين الإسلامى العظيم، رد على هذه الادعاءات بقول الله عز وجل:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(١) .

كما تأكد لريتشارد بريان قبل إسلامه أن الدين الإسلامى هو الدين الذى ينادى بالإخلاص فى العبادة بدون مراءاة أو وسيط. . دين عرف أن الله خالق الكون كله ولا يحتاج إلى وسيط من بنى البشر لكى يتقرب به الإنسان إلى ربه.

كذلك تأكد «بريان» أن فى الإسلام مبدأ عظيماً من أعظم المبادئ، وهو أن الجميع أمام الرب عز وجل متساوون لافضل لأحَدَ على أحد إلا بالتقوى والعبادة. . .

ويذكر «بريان» أيضاً أنه وجد فى الإسلام دينَ الرحمة والعدل. . دين الحب والتسامح. . دين المحبة والأمن والسلام. . دين يحث على مساعدة الفقراء والمحتاجين.

ويشرق وجه «أحمد بريان» بابتسامة عريضة تنبئ بسعادته بإسلامه وهو يقول: «إن الإسلام دينٌ سَمِحٌ مَرِنٌ، يتلاءم مع كل العُصور والأزمنة والأمكنة. .إنه حقّاً دِين يُسْرٍ لا عُسْر، يكفى أننى تأكدت من أن القلوب النقية المؤمنة هى القلوب المسلمة».

---

(١) سورة النساء: الآية ١٧١.

لقد تعرف «ريتشارد بريان» على الإسلام من خلال زملائه فى العمل[1] حيث عاش سنوات عديدة فى ليبيا، كما تردد كثيراً على مصر، وله أصدقاء فيها، وهم الذين حدثوه عن الإسلام وتعاليمه وآدابه التى يحث عليها، ولم يكن صاحبنا يفكر أوحتى يتصور أنه يمكن أن يترك دين الآباء والأجداد، غير أنه وَجَدَ الحديث عن الإسلام حديثاً ممتعاً، يستشف من ثناياه عظمة هذا الدين الذى يحترم العقل، ويستند على المنطق والحجج القوية، فلم يجد بُدّاً إلا أن يؤمن به. . . ولذلك لم يجد نفسه إلا أن تقرر بلا أى تردد اعتناق الدين الإسلامى، بعد أن سيطر على كل مشاعره وخلجاته وكيانه.

ويزداد تحمس« أحمد بريان» لدينه الجديد الإسلام فيقول: «لا شىء أعظم من أن تجد نفسك مسلماً مقتنعا بكل شىء فى الإسلام الذى هو أحق الأديان بأن يُتَّبَعَ، ساعتها يمكنك أن تجد الله معك فى كل مكان، وقدرته واضحة فى كل شئ».

لقد دخل «بريان» الإسلام بعد اقتناع كامل بأن الإسلام هو الدين الذى سيسود العالم أجمع قريباً إنْ شاء الله تعالى، لِمَزاياهُ التىْ ذكرها.

* * *

مع المهندس الألمانى المسلم «يوليوس برتولبوجين فاجنر»

ولد «يوليوس» لأب ألمانى وأم نمساوية. . . كانا شديدى التدين والتمسك بعقيدتهما، ويقول عن ذلك: «كانا يواظبان على تأدية شعائر دينهما فى انتظام شديد، وتشبعتُ بهذه الروح، وهذا الجو الذى شهد نشأتى وترعرعت وكبرت متمسكاً مثلهما بعقيدتى، حتى التحقتُ بكلية الهندسة. . . وفى هذه السن التى تتفجر فيها أشواق الإنسان، ويظهر فيها عطشه إلى المعرفة، والبحث والتنقيب عن إجابات لعشرات الأسئلة التى تصطرع فى

(١) يلاحظ أنه كان خبيراً للمضخات البترولية بولاية «أكلاهوما» بأمريكا، ثم انتقل للعمل فى ليبيا، وزار بعض البلاد العربية الأخرى.

نفسه، بدأت أقرأ - وفى سرية تامة - التوراة. والإنجيل، والقرآن الكريم...».

ثم يصمت وهو ينظر إلى بعيد ليستطرد قائلاً:

«وعند القرآن توقفت كثيراً، فقد مس شغاف قلبى، وتغلغل فى وجدانى بسهولة ويُسر.. لقد بدأت أجد فيه ضالتى والإجابة على كل مبهم وغامض بالنسبة لى... فرحت أقرأ وأقرأ.. وعرفت أنه الكتاب الذى لم يدخله التحريف أو التغيير.... وإنما هو شىء مختلف تماماً... إنه إعجاز.. بل هو الإعجاز بعينه، فهو كلام الله سبحانه وتعالت قدرته أوحى به إلى محمد خاتم الأنبياء ليهدى العالمين».

ثم عاود صمته تارة أخرى وهو يطرق برأسه ليقول بعدها:

إن عملية البحث وحب الاستطلاع هى التى دفعتنى فى البداية للقراءة عن الإسلام، وبالتالى كان الطريق الذى حملنى إلى الإسلام.

كنت أتوقف كثيراً لأتأمل هذا العالم المسطح الغريب، فكنت أُدرك بعد تأمل طويل، أن القوة العليا صاحبة التصرف فى هذا الكون تدرك تماماً، وبحساب دقيق، كل خطوة على وجه هذه الأرض الممتدة من أقصى العالم إلى أدناه.. وأنه مهما اختلفت وتباينت المسائل المطروحة فيه، والمشكلات المستعصى حلها عليه.. فإن القرآن يملك بين جنبات إرشاده القويم هذه القوة العظيمة، التى لو اتبعت لساد العالم سلام يحسد نفسه عليه.

وتسود لحظات صمت يرفع فيها «يوليوس» يده ليمسح قطرات عرق من على وجهه قد سببها انفعاله وتحمسه لدينه الجديد الإسلام... ويواصل حديثه قائلا:

«كنت أرى جاليات المسلمين فى ألمانيا يؤدون صلاتهم[1] فى رهبة وخشوع، وأمل ورجاء، فأعجب بهم، فقد عرفت أنهم يتوجهون بها إلى الله مباشرة... فتعلمت الصلاة، وأصبحت أصلى، لكن بعيداً عن عيون الأهل والأصدقاء... نعم كانت صلاتى خفية خوفاً من حرمان الأهل لى من استكمال تعليمى ودراستى غير عشرات العقوبات الأخرى المتوقعة فى حالة ضبطى مسلماً يعيش معهم».

ثم أردف بعدها يشير بذراعه بقوة قائلا:

«لقد آمنت بالإسلام وارتضيته ديناً بالقلب والعقل والروح، ويكفى أن يكون المرءُ مسلماً بقلب نقى وروح طاهرة».

وفى عام ١٩٣٤ حضر إلى القاهرة ليعمل كمهندس مدنى فى التعلية الثانية لخزان أسوان، ثم يسافر بعدها للعمل فى خزان الأولياء بالسودان.. وفى السودان اندمج مع المسلمين، وتعرف على الشيخ «عبد القادر المكاشفى» أحد المتصوفين الزاهدين، فأحبه وجذبه إلى تفهم أصول الدين الإسلامى الحنيف الذى سمع عنه فى بلده كثيراً منذ أن كان تلميذاً صغيراً. بل كانت فطرته تشده لأن يصلى سراً بدون أن يُعلن إسلامه.. فقد كان يصلى عند كل أذان، لكن بشىء من الحذر الشديد حتى لا يراه أحد غير أنه كان غير راض عن هذه السرية، فتشبُّعه بروح الإسلام وتعاليمه علمته الشجاعة، مما دفعه لأن يطوى صفحات السرية التى عاش فيها مع إسلامه زمناً، وجاهر بإسلامه.. ويعبر عن ذلك بقوله:

«... وقلت فى نفسى لقد آن الأوان لأجهر بإسلامى وأنطق بالشهادتين علانية، وليحدث ما يحدث، فالذى يعمر قلبه بالإيمان لايخاف... والذى اختار الله ورسوله لايخشى العباد، حتى لو كانوا سيوفاً مصلتة على

(١) يذكر أنه كان يقف طويلا أمام مسجد «فيينا» يتأمل المسلمين وهم يؤدون صلاتهم، فيشعر انه ليس على الأرض، بل مرتفع فى السماء.

الرقاب... وكنت على ثقة من أن الله سبحانه وتعالى سينصرنى ويشد أزرى، مادمت على الحق أسير».

ويطرق الرجل المسلم المؤمن برأسه وهو يقول فى نبرات خافتة، وإنْ كانت تتسم وتنبض بالقوة:

«لقد تركت كل شىء من أجل الإسلام، بعد أن رأيت قلبى يغمره نورٌ ربانىٌّ، شعرت بعده باستقرار روحى وطمأنينة نفسية ماعرفتهما من قبل».

ويعتدل الرجل فى جلسته ويقول فى هدوء بعد انفعال حماسى:

«حملت إيمانى وذهبت إلى الشيخ «عبد القادر عبد الباقى المكاشفى» أحد رجال الدين المعروفين هناك، وحكيت له قصتى مع الإسلام.. فرحب بى الرجل ترحيباً كبيراً، لكنه بدأ يضعنى تحت الاختبار، فبسط لى يده بالمال الكثير، فقلت له: مادخلت الدين الجديد من أجل المال أو زينة الدنيا، بل ابتغاء مرضاة الله.... وحاول الشيخ «المكاشفى» طوال مدة الاختبار أن يعرف هل أنا بالفعل أؤمن إيماناً حقيقياً.. وظللت لمدة عدة أشهر تحت اختباره، حتى تأكد من صدق إسلامى».

وفجأة ينفعل بحماس تارة أخرى ليؤكد أنه مادخل الإسلام إلا حبّاً فيه، وإيماناً لايتزعزع بتعاليمه القيمة الداعية إلى الحق والخير والحب والسلام للبشرية كافة.. فالإسلام دين محبة وإخاء وعمل ويستشهد بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(١).

---

(١) سورة الإسراء الآية التاسعة

ويعود «يوليوس» ليقول:

«بعد أن مرت أشهُرُ الاختبار التى وضَعَنِى فيها الشيخ «عبد القادر المكاشفى» نادانى، فوقفت بين يديه، وأعلنت إسلامى، وأشهرته أمام جميع العاملين معى فى مشروع خزان الأولياء بالسودان.. وأصبحت أصلى أمامهم وأؤدى شعائر دينى جهاراً، واتخذت لنفسى اسماً يتفق مع دينى، فاخترت اسم «عبد القادر عبد الباقى المكاشفى» تيمناً باسم شيخى الجليل الذى جهرت بإسلامى على يديه.

وسافر «عبد القادر المكاشفى» إلى الأراضى الحجارية ليؤدى فريضة الحج، ليعيش بعدها فى القاهرة حياة كلها تقوى وورع وعمل[1].

* * *

(١) يذكر البعض أن منزلة بضاحية «الزيتون» بالقاهرة أصبح مقصد كثير من الناس، لما عرف عنه من غيرة على الدين، وتمسك بالكتاب والسنة.

مع المهندس الألمانى «لوثر اسكوار»
[أحمد عبد الله الواحد]

مهندس معمارى، ألمانى الجنسية.. دفعته الغريزة الطبيعية فى الإنسان إلى التفكير والتأمل، والاستنباط.. غريزة حب المعرفة على أسس وقواعد سليمة، وكان ذلك وراء قصة إسلامه التى يقول عنها:

« كنت متديناً بطبيعتى.. حريصاً على الذهاب إلى الكنيسة الكاثوليكية فى ألمانيا.... وعندما كبرت ونضج تفكيرى أردت أن أناقش مبادئ دينى المسيحى وأستجلى بعض النقاط الغامضة فيه، أو التى كانت تخفى علىَّ ويغيب عنى إدراكها.... فذهبت إلى رجال الكنيسة، وأثرت معهم بعض المسائل التى تُعَدُّ جوهرية فى الدين المسيحى، وطلبت منهم الإجابة عنها وإقناعى بردود شافية تسكن حيرة تساؤلات تعن أمام نفسى.. ولكن أُفَاجَأُ بأنهم يثورون فى وجهى ويصيحون بأعلى أصواتهم: «اخرج من الكنيسة»، بعد أن اتهمونى بالكفر والإلحاد».

ثم يستطرد قائلا:

«منذ ذلك اليوم وُضِعْتُ فى القائمة السوداء، وأحسستُ بالضياع.. بالفراغ.. بالظلم... كنت أود أن أهتدى إلى الحق، والتحرر من قيود فكر مغلق متزمت الذى تأمرنا به الكنيسة بدون مناقشة».

ولم يلبث أن يرفع يده إلى جبينه ليمسح قطرات العرق التى تندت منه أثناء انفعاله ليعود مرة أخرى ويقول مشيراً بأصبعه.

«. . . . ولكن بعد هذا قررت الاعتماد على نفسى، فانفردتُ بنفسى أتأمل الحقائق الثابتة من حولى التى لا تقبل الجدل والشك، فوجدت أننى بحاجة ماسة إلى التزود من المعرفة، فقد كانت لَدَىَّ رغبة ملحة تدفعنى إلى الإطلاع والقراءة، فعكفت على دراسة الأديان جميعها، وخاصة الدين الإسلامى، الذى وجدتُ فيه ضالتى بعد أن لمست فى ظله الأمان والسكينة، من بساطته وسمو أحكامه ومبادئه وتسامحه الرفيع الذى تجلى فى كتابه الكريم. . القرآن العظيم».

ثم أردف يقول مؤكداً:

«نعم. . إنه قرآن عظيم. كتاب المسلمين. . . . لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. . فأنا لن أنسى أبداً تلك الراحة التى غمرت كيانى، وهزت أعطافى، وانسكبت على روحى رضاً وإيماناً وسكينة عندما قرأت بعض آياته الكريمة. . . .

وحينما تعمقت فى قراءة سيرة النبى محمد ﷺ ودرستُها بعناية، هالتنى الجوانب الإنسانية فى حياته، وخاصة تلك البساطة وذلك التواضع الحبيب إلى النفوس. . والحب للخير فى أجْلَى معانيه، وغير ذلك من المُثُل الكريمة التى اتصف بها عليه الصلاة والسلام. . .

ومن هنا وجدتنى مدفوعاً بقوة خارقة إلى هدى الإسلام الذى دخل نوره قلبى، فقررت حينئذ بدون تردد أن أدخل دين النبى محمد ﷺ. . ذلك الدين الذى لا يفرق بين أحد إلا بالتقوى التى جعلها أساس التفاضل فى الميزان بين البشر».

ثم عاد يتابع قوله الذى اتسم بإمعان الفكر:

«لقد أعجبنى فى الإسلام ما تحلى به من صفات جليلة دعا إليها القرآن الكريم:

﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1]...

كما أعجبنى تسامح وعطف الرسول العظيم، فلن أنسى ما حييت قولته الخالدة لمن اضطهدوه وعذبوه... «اذْهَبُوا فأنتم الطُّلَقَاء»... نعم .. إنه دين الإنسانية والخير والكمال».

* * *

(1) سورة آل عمران ـ من الآية ١٣٤.

مع توماس رينيه «الفلبينى» وقصة إسلامه

وُلِدَ فى إحدى المدن الفلبينية، وجرى تعميده فى الكنيسة ليشب نصرانياً يعتنق دين أُسرته ويسير على نهجهم، كان يتردد على الكنيسة كل يوم أحد، وفى المناسبات الدينية المختلفة التى اعتادوا الاحتفال بها.

ومضى فى حياته يتعلم ويدرس حتى انتهى به المطاف لأن يتخصص فى الإلكترونيات، وبالتحديد فى الحاسب الآلى، أحدث تقنيات العصر، وقد أتاحت له دراسته العلمية المقدرة على التحليل، والنظرة إلى الأمور برؤية عقلية لا تقبل بالشىء إلا بعد اقتناع، وبمبررات وأسباب منطقية، لذا كان طبيعياً ـ والرؤية العلمية العقلية تحكم آراءَهُ ـ أن يتوقف ملياً متأملاً مالَقَّنُوهُ له فى بواكير طفولته وصباه من أن الله «ثالث ثلاثة» ولاسيما أنه لم يستطيع بذهنه ـ كما يذكر هو ـ أن يقبل هذه المقولة الباطلة..

وتساءل: كيف يمكن أن يكون الله ثالث ثلاثة وهذا الكون يُدار بنظام دقيق؟! فلو كان للكون ثلاثة آلهة ـ كما يزعم قساوسة الكنيسة لاخْتَلَّتَ موازينه، وهَلَكَ من فيه.

ولكن مثل هذه التساؤلات لم يتولد عنها فى البداية صَدًى كبير، لأنه ـ كما يقول ـ انشغل بالحياة الصاخبة المادية التى يحياها المجتمع الفلبينى المسيحى، فاندمج معها، منصرفاً عن التفكير فى أمور الكون وخالقه، واستمر يذهب إلى الكنيسةِ كل يوم أَحَدٍ كعادةٍ اجتماعية فقط!

ولكن لم يستمر «توماس» على منوال حياته التى اعتادها طويلاً، حيث تجيئه فرصة للعمل بالمملكة العربية السعودية مُبَرْمِجاً للحاسب الآلى الذى تخصص فيه.. وهو خالى الذهن، لا يدور فى رأسه سوى التفكير فى توفير قَدْرٍ من المال يتيح له حياة رغدة بعد عودته إلى بلاده.

وهناك.. فى المملكة العربية السعودية تفتحت عينا «توماس» على نوع مغاير لنمط الحياة فى الفلبين، فيصفها بقوله:

«لقد وجدتُ المجتمع من حولى مجتمعاً جاداً يسير على نَهْجٍ من الدين الذى يعتنقونه، وتشيع بين أفراده روح التكافل والمودة التى تفتقدها المجتمعات المادية.. ولمستُ بنفسى كيف يتحلى المسلمون بصفات الصدق والأمانة والنخوة حتى مع غير المسلمين، فأدهشنى ذلك، لعلمى بما تلاقيه الأقلية المسلمة فى بلادى من عَنَتِ السلطات الحاكمة وظُلمهم الكبير لهم، فى حين يعيش غير المسلم فى المجتمع الإسلامى فى أمان واطمئنان يتمتع بذات الحقوق المكفولة للمسلم بدون نقصان أو تمييز».

وكان طبيعياً أن يتأثر «توماس» بمشاهداته هذه، ومعايشته التى أوجدت فى نفسه انطباعات طيبة عن الإسلام فكان عليه أن يسعى إلى التعرف عليه... وقد ساعده فى ذلك أحد أصدقائه الذى أهدى إليه مجموعة من الكتب التى تتناول العقيدة الإسلامية وتعاليمها وآدابها... وكان أكثر تلك الكتب تأثيراً فى نفسه ـ كما يذكر ـ كتاب صغير فى علم التوحيد، يتحدث عن أساس العقيدة الإسلامية، وهو الإيمان برب واحد لاشريك له.. فيصف هذا الكتاب بقوله:

«إنه برغم صغر حجمه وقلة عدد صفحاته فقد وجدتُ فيه الإجابة الشافية لما كان يتردد فى صدرى من تساؤلات وشكوك حول عقيدة التثليث، وما تزعمه من أن الله ـ تعالى ثالث ثلاثة!»

ولم يكن هذا هو السبب الوحيد الذى دفعه لأن يمضى فى رحلته للإيمان، فهناك أسباب أخرى، منها أنه قد هاله أن يعرف أن المسلمين يوقرون عيسى عليه السلام ويبجلونه، وينسبون إليه أطيب الصفات وأطهرها، ولا يكذبونه فى شىء مِمَّا جاء به ـ كما يدعى القسس ـ وإنما يؤمنون به وبرسالته الحقيقية التى جاء بها من عند ربه، وليست تلك المحرَّفَة التى ابتدعها الأحبار بعد رَفْعِه ـ عليه السلام ـ إلى السماء.

كما اطلع «توماس» على رأى الإسلام فى حكاية «الصَّلْبِ والفداء» التى ابْتُدِعَتْ، فوجد نفسه يميل إلى الاقتناع بما ذهبت إليه العقيدة الإسلامية من إنكارَ تلك الحكاية ونبذها، فكيف يُحاسَب إنسانٌ بجريرة غيره؟!».

ثم يتساءل فى استنكار قائلاً:

«ثم إن فكرة الصَّلْب، هى فكرة لا يقبلها عقل أو منطق.. كما أنها تتعارض مع قول النصارى أنفسهم بأن عيسى عليه السلام هو ابن الله تعالى فكيف يمكن أن يكون عيسى إلهاً، ويقبل أن يصلبه أحد من عبيده؟!».

وخلص «توماس» من قراءاته وتأملاته وتدبراته العقلية لى اقتناع تام بأن عقيدته المسيحية التى يسير عليها عقيدة باطلة، وأن العقيدة الإسلامية هى عقيدة حقة.. يكفى أن الإسلام وحده هو الدين الذى يلبى حاجات الإنسان الروحية والدنيوية من خلال تنظيمه لها من خلال بيانه لعلاقة الفرد بربه وبأفراد مجتمعه.

كما وجده ـ كما يذكر ـ ديناً عملياً يُقدم حلولاً لجميع المشكلات التى تعترض الناس، لو أُخِذَ بها وطُبِّقَتْ فِعْلاً لعاش العالم فى سلام وتآخٍ ولذلك كله لم يكن عسيراً أن يبادر «توماس» إلى إشهار إسلامه بعد أقل من عام على وصوله للعمل بالمملكة السعودية ـ بعد أن استشعر بسكينة وطمأنينة لم يعهدها من قبل...

ونطق «توماس» بالشهادتين معلناً إسلامه، ثم صلى ركعتين شكراً لله الذى هداه لدين الحق.. واختار لنفسه اسم «عيسى عبد الملك» ليقطع بذلك كل علاقة قديمة بعالم الضلال الذى كان يتيه فيه..

وعن سبب اختياره لهذا الاسم يقول:

«إننى حين تسميتُ بهذا الاسم «عيسى» كنتُ أهدف إلى التأكيد على أن «عيسى» عليه السلام هو إنسان من البشر، ونبى مُرسَل جاء بالحق بأمرٍ من ربه ولم يَدَّعِ الربوبية، كما فهمتُ من عقيدة الإسلام... و «عبد المَلك» لأننى عبدٌ لله ملك هذا الوجود كله».

وبعد أن اعتنق «توماس» الإسلام ليصير «عيسي عبد الملك» الإنسان المسلم يود أن يتمكن من خدمة الدعوة الإسلامية والعمل على نشرها بين بنى وطنه.. يبدأ بدعوة زوجته وأقربائه إلى الإسلام وإقتناعهم به بالحسنى والكلمة الطيبة، كما فهم ذلك من تعاليم الإسلام، دينه الجديد الذى يفخر به، ويرى أن المستقبل له، حيث سيكون ـ بعد عقدين أو ثلاثة ـ الدين الأول للبشرية، بعد أن أصبح الناسُ يُقبلون على اعتناقه يوماً بعد آخر، وهو ما يخيف الغرب، ويُشكل كابوساً للأساقفة الذين يروعهم أن يفقدوا نفوذهم ومكاسبهم بدخول رعاياهم فى الدين الإسلامى، حيث لا واسطة بين العبد وربه، ولا مجال لبيع صكوك الغفران.

ويدعو «عيسى عبد الملك» الدعاة الإسلاميين لأن يتحركوا فى أوساط المجتمع الأوربى والإفريقى المسيحى لهداية الناس إلى الطريق القويم للإسلام حيث أن الكثير من هؤلاء ليست عندهم أى فكرة صحيحة عن الإسلام... وينبه أيضاً إلى ضرورة إرسال الوعاظ والدعاة إلى المناطق التى توجد بها أقليات مسلمة التى هى هدف سهل لنشاطات المنصِّرين لإغوائهم عن ملتهم وجذبهم إلى دائرة الضلال، وإفساد عقيدتهم... كما يحذر من لجوء هؤلاء المنصرين إلى طرق جديدة دنيئة فى أساليبهم، مثل قيامهم بطباعة الأناجيل

بنفس طريقة إخراج المصاحف، ووضع البسملة فوق كل صفحة لإقناع بسطاء المسلمين أن ما يقرءونه هو القرآن الكريم، وبالتالي يتمكنون من تخريب عقيدتهم من خلال تلك النصوص التي التبس فيها الحق بالباطل.

وهكذا صار «عيسى عبد الملك» مسلماً غيوراً على دين الإسلام، لم يكتف باعتناقه له، بل بالعمل على حمايته من أعدائه[1] .

* * *

(١) مجلة الفيصل العدد (١٦٨) (بتصرف)..

مع الخبير الزراعى الألمانى «بلو. م»

جاء إلى منطقة «القنيفذاء»[1] الصحراوية بالمملكة العربية السعودية كخبير زراعى فى مشروع كبير بها... فأُعجب بهؤلاء الذين يسكنون الخيام ويركبون الإبل.. كما أن سكان تلك المنطقة أحبوه بعد أن اندهشوا لحضوره أول مرة، ولسان حالهم يقول: ما الذى يدفع بهذا الرجل غير العربى للحضور هنا والجلوس معنا؟! غير أنهم لمسوا فيه حبه للصحراء وأهلها، وشغفه بها، فكان يحرص على زيارتهم، ومداعبة أطفالهم، حتى صار يحضر فى مناسباتهم بالثوب العربى والغُتْرَة والعقال، حتى أن من يراه لا يستطيع أن يعرف أنه ليس من سكان المنطقة إلا عندما يتكلم... وعُرِفَ هذا الخبير الألمانى عندهم بـ «راعى الغنم الأنيق»، والذى تمنوا أن يشاركهم فى عقيدتهم الدينية «الإسلام»...وحدث ذلك بعد فترة بمحض إرادته واختياره... فعن ذلك يقول:

«بعد أن عشت مع أهالى المنطقة ما يقارب سبعة أشْهُر، صارت عندى تقريباً فكرة متكاملة عن الإسلام، ثم إن أهل المنطقة دائماً كانوا يحثوننى على الإسلام أنا وزوجتى...

ولا أخفى أن تمسك الأهالى بدينهم تمسكاً قوياً، ومحافظتهم على أداء الصلوات، وحُبهم لمشايخهم واحترامهم لهم قد لفت نظرى بشدة،

---

(١) هى منطقة تبعد عن الرياض بحوالى ١٥٠ كيلو متراً.

وجعلنى أُقبل على الدخول فى الإسلام، والحمد لله قد أسلمت أنا وزوجتى».

وقبل اعتناق الخبير الألمانى «بلو.م» لدين الإسلام يسترجع قصته، وكيف اختار حياته فى شكلها الجديد، فيتحدث قائلا:

«لقد أتيت إلى هذه المنطقة للعمل كخبير زراعى فى مشروع كبير فى هذه المنطقة.. وبما أننى أحب الصحراء وسكانها، فقد حرصت عند قدومى إلى أرض المشروع على الذهاب إلى البَدْوِ فى مناطقهم، وبالفعل صرتُ أتردد عليهم، ولقد كانت فكرتى عنهم أنهم أناسٌ جاهلون، حَادُّو الطبع، لايعرفون سوى الرعى، ولكننى وجدتُ بعد احتكاكى بهم أن فيهم صفات حسنة كنت جاهلاً بها... وحدت فيهم الرجولة، والشجاعة، والكرم، وروح التعاون والتكاتف بين بعضهم البعض، والمحافظة على الدين، والعادات والتقاليد».

ثم يضيف «بلو»:

«فى البداية كانوا متخوفين منِّى، ومندهشين لحضورى إليهم، وإقبالى عليهم، ولكن مع تكرار الزيارة لهم بَدَءُوا يألفوننى، خاصة بعد ما حرصت على تَعَلُّم لهجتهم ومحاولة النطق بها، وقد وجدت صعوبة كبيرة فى ذلك، وبعد ما يقارب شهرين من بداية تعرفى عليهم صرتُ كأحدهم، وصرتُ أحضر مناسباتهم التى يدعوننى إليها، وبعد ذلك سكنتُ فى خيمة أقضى فيها معظم وقتى مع زوجتى التى هى الأخرى احتكت بالنساء، وارتدت لباسهن، وصارت تحضر مناسباتهن، واشترينا جملاً صِرْناَ نتنقل عليه فى المنطقة، وأحببنا أهل المنطقة، وهم أيضاً أحَبُّوناَ، ولا نعرف كيف ستكون لحظات وداعنا للمنطقة وأهلها؟!».

وعن أكثر مايعجبه فى الصحراء وأكثر مايزعجه.. يقول «بلو»:

«أكثر مايعجبنى فى الصحراء الهدوء، والبساطة، وتعويد الإنسان على الصبر والشجاعة، وأكثر ما يزعجنى فيها الطقس السيء، والعواصف الترابية، غير أن ذلك لايساوى شيئاً أمام الطبيعة الصحراوية الرائعة التى أعشقها، وجعلتنى أدمن على أكل «الضب» و «الجربوع» وبعض النباتات الصحراوية».

وهكذا نجد أن حب الحياة الصحراوية بما تتميز به من بساطة وهدوء واتصال مباشر بالطبيعة والنفس تدعو المرء إلى التفكير المتأنى الرصين، فضلاً عما تُضفيه على أهلها من صفات وشمائل حميدة، كانت سبيلاً ودافعاً إلى أن يتعرف «بلو» على دينهم السمح الذى يتفق مع الفطرة البسيطة، ويجعلهم سعداء إلى تلك الدرجة، وإنْ قست عليهم ظروف الصحراء[1] .

***

(١) مجلة «المسلمون» الصادرة فى ١٤ / ١٢ / ١٩٩٠ (بتصرف).

مع رجل الأعمال البريطانى
«جوزيف سيفوننس»
أو «محمد حسين»(١)

جاء إلى إحدى ديار المسلمين.. إلى دولة الإمارات العربية المتحدة فى مهمة تتعلق بطبيعة عمله كمدير للمبيعات والتسويق بإحدى الوكالات التجارية فى الإمارات العربية..

لم يكن يسمع عن الإسلام شيئاً سوى أن مؤسسه لارسوله، وصاحبه رجل يدعى محمداً، وأتباعه يسمون بـ «المحمديين» وقد حمل فكره العديد من الخزعبلات عن الإسلام قام بترويجها أعداء الإسلام.... ولكنه فوجئ - فى تعاملاته واتصالاته بالمسلمين بالإمارات العربية بالسماحة، حتى استشعر أن كل مسلم يقابله هو صديق له يعرفه، فاطمأن قلبه، وسكنت نفسه لعلاقاته بهم.

وهنا بدأ يسأل عن الإسلام كعقيدة تهذب النفوس وتصقلها.. وشاء الله أن يكون مَنْ يسأله عن الإسلام رجلاً مسلماً واعياً، يدرس فى جامعة «اكستر» ببريطانيا، فأجابه عمَّا يريده حتى اطمأنت نفسه للأجوبة التى سمعها منه....

---

(١) مجلة المسلمين الصادرة فى ٩ / ١١ / ١٩٨٥ (بتصرف)..

وعن فترة بحثه عن الإسلام كدين يتطلع نحوه يقول:

«لقد استمر بحثى عن الإسلام وتطلعى نحوه حتى اهتديت بحمد الله تعالى إليه، واعتنقته، واطمأن قلبى به، بل ازددت حماساً لنشره بين من لايعتنقونه».

وعن سبب تحمسه للدين الإسلامى يؤكد قائلا:

«إن الدين الإسلامى هو الدين الحق لهداية البشرية الحائرة، وهو الوحيد القادر على حل مشكلات العالم».

ومما زاد إعجابه بالدين الإسلامى حَثُّه على ضرورة الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.. ولذلك فهو يطالب كل الحكومات والهيئات والمنظمات الإسلامية بتوفير الدعاة المتمرسين للقيام بمهمة الدعوة الإسلامية التى تحتاج إليها كثير من الشعوب التى لا تدين بالإسلام، وتَأَمُل أن يكون هدايتها من خلالهم.

كما يطالب المسلمين أن يأخذوا حِذْرَهُم من أعداء الاسلام الذين يقومون بتشويه صورة الإسلام والمسلمين تحت التأثير البغيض من أنصار الصهيونية والكنيسة، وغيرهم من الحاقدين... وذلك بالاهتمام بالإعلام الإسلامى، والعمل على امتداد رقعته وانتشاره فى مختلف بقاع الأرض.

لقد بلغ من تحمس «جوزيف سيفونتس» أو «محمد حسين» لدينه الجديد «الإسلام» أن يشعر بغيرة عليه، ويطالب أبناءَهُ بحمايته من أعدائه بكل الوسائل والأساليب.

***

مع العامل الفرنسى «دانيال مولر»
الذى صار الرجل المسلم «محمد أحمد محمود»

لم يكن تحوله إلى ديانة الإسلام وليد يوم وليلة، وإنما وليد سنوات طوال من التفكير العميق، والبحث المضنى الدقيق فى ماهية الإسلام، وأبعاده، وأركانه، وتعاليمه، وسلوكياته، وآدابه التى يدعو إليها.

ربما كان لمعيشته فى الجزائر واختلاطه وتعامله مع أصدقاء جزائريين مسلمين له أثره فى محاولته لفهم ما يريده الإسلام كدين تشريعى يهدف إلى تنظيم حياة البشر وتهذيب سلوكياتهم.

وعن تأثير احتكاكه واختلاطه بأصدقائه الجزائريين يقول «مولر»:

«لقد كان احتكاكى واختلاطى بأصدقائى الجزائريين فى العمل له أكبر الأثر فى تقريب الإسلام إلى قلبى وعقلى، فقد شهدت منهم كل التفهم والمودة والحب، ولم يبخلوا علىَّ بنصيحة، أو مشورة، أو معونة، وهم يعرفون تماماً أننى أنتمى لبلدٍ استعمرهم فى يوم من الأيام، ويعرفون كذلك أننى لست من دينهم».

لقد كان قدومه إلى الجزائر وشعوره وقتها ـ بأنه فى عالم مختلف تماماً عمَّا عَهِدَه فى بلده له تأثيره المباشر على حياته، كما يذكر نتيجة التغيير المفاجئ فى أسلوب المعيشة.... ولكن لم تلبث أن تتلاشى فى نفسه مشاعر الغربة عندما وجد الناس أقرب إلى بعضهم البعض... بل إن المسافات بين الأفراد تضيق وتكاد تتلاشى، وخصوصاً فى أثناء اصطفافهم للصلاة...

فهو لا ينسى حين ألقى بنظرةٍ ذات مرة عبر باب ضخم لأحد المساجد، فرأى ما أخذ بمجامع قلبه وكيانه. . . إن الناس جميعاً يصطفون صفوفاً متراصة، كلهم سواء، لافضل لرجل ذى مكانة كبيرة على شخص متواضع، ولا فضل لِغَنيٍّ على فقير أو حاكم على محكوم. . الكل سواسية.

وأخذ «دانيال مولر» أو «محمد أحمد محمود» يفكر ويتساءل: أهذا الدين الذى يُسمى بالإسلام قد استطاع أن يُوجدَ ذلك الترابط العجيب بين من يعتنقونه، وتتوثق العلاقات الاجتماعية الحميمة بين الناس فَتُسَوِّي بينهم فى المكانة أثناء وقوفهم للصلاة؟!. .

كما استلفت نظره التعاون والتكافل بين المسلمين، وذلك ما يفتقده فى بلده ووسط أهله بفرنسا. . وظل «مولر» فى عجب ودهشة لهذه الروح الدينية الفياضة التى تسرى بين المسلمين وتهذب سلوكياتهم إلى تلك الدرجة الغالية. .

وتمنى «دانيال مولر» أن يكون أحد أفراد المسلمين ولكن تساءل فى نفسه: ما الذى يمنعه من ذلك، وليس أمامه إلا خطوة واحدة، وهو أن ينطق بالشهادتين: أشهد أن لا إلـه إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. كما أجابه أحد أصدقائه عندما سأله: كيف يكون مسلما مثلهم.

ونطق «دانيال مولر» بالشهادتين، وأشهر إسلامه. . وأخذ فى تعلم اللغة العربية كى يستطيع أن يقرأ القرآن الكريم بلغته كما يقول «محمد أحمد محمود»، وليس «دانيال مولر»، فلقد تسمى بهذا الاسم تيمناً باسم نبى العالمين محمد ﷺ.

وظل «محمد أحمد محمود» يقرأ عن الإسلام فى الكتب المطبوعة باللغة الفرنسية، وذلك إلى أن يتقن اللغة العربية ويجتهد فى ذلك لاعتباره أن اللغة هى مفتاح الدين.

وعندما سُئل عن أسرته أجاب قائلا:

«لدىَّ ثلاثة أبناء من مطلقتى الفرنسية، وسوف أسعى لاعتناقهم ذلك الدين القيم، وتعريفهم بتعاليم الإسلام».

وعن حياته الشخصية عند العودة إلى بلاده، كيف يكيفها وينظمها بشكل لا يسبب له أية مشلكة... أجاب بقوله:

«الإسلام ذاته ينظم حياة الإنسان بوجه عام فى أى مكان... أما إذا كان المقصود أوقات الصلاة فأعتقد أنها لا تتعارض مع مواعيد العمل، أما صلاة الجمعة فيمكن الاستئذان لمدة ساعة أو ساعتين أعود بعدها لاستئناف العمل»[١].

وهكذا وجد «دانيال مولز» نفسه فى الشخصية الإسلامية التى تسَمت بـ «محمد أحمد محمود» بعد حياة كانت خالية من التدين تماماً، برغم أنه وُلِدَ «نصرانياً».... ويعبر عن هذا المعنى قائلا:

«إن أعوامى السابقة على إسلامى كانت خالية من التدين، فلم أعرف طريقاً لكنيسة، ولم أشغل وقتى بقراءة بعض الكتب المسيحية كما أشغلها حالياً بقراءة الكتب الإسلامية».

ويعتز «محمد أحمد محمود» بإسلامه، وكونه الآن مسلماً، غير أنه يتمنى أن يعتز المسلمون بأنفسهم، فيحاولون نشر الإسلام، كما سيحاول هو أن يقنع أصدقاءَه الفرنسيين بالإسلام... هكذا بلغ إيمانه واقتناعه بالإسلام.... فهل من معتبر[٢]...؟

* * *

(١) نهدى هذا الرد لبعض المسلمين الذين يحتجون ويتذرعون بأوقات العمل التى تحول دون أدائهم للصلاة.
(٢) مجلة «المسلمون» العدد ٣٩، الصادرة فى نوفمبر ١٩٨٥ (بتصرف).

«مارك» والبحث عن الحقيقة[1]

وُلِدَ «مارك» لأسرة محافظة بالريف الإنجليزى. . . وعندما نضج إدراكه بدأت تنتابه الحيرة والقلق والتساؤلات، فأخذ يبحث عن الحقيقة والصدق فيما حوله. فكان اصطدامه بواقع مرير لايعرف القيمة والغلبة إلا للقوة والتحايل، ولو كان ضد الحق والأمانة. . فلم يجد إلا زيفاً فى حياة افتقدت فيها الأخلاقيات السامية، والسلوكيات الرفيعة. . .

فذهب يلتمس سبيلاً له يجد فيه مبتغاه فى مذاهب وأديان أخرى، كالهندوسية، والبوذية، والكونفوشية، ولكنه كان يجد نفسه يوغل أكثر فى الظلام ويتوه فى الحيرة والقلق أكثر مما كان.

كل ذلك بعد أن سبق أن قاده البحث إلى المذاهب الكنسية التى اعتقد لأول وهلة أن فيها الإجابة عن تساؤلاته والطمأنينة والهداية التى تنقذه من حيرته وقلقه. . . ولكنه لم يلبث ـ بعد فترة وجيزة ـ أن وجد أتباعها يبيعون الجنة والغفران مقابل المال، فعاد يتخبط من جديد بعد أن وصل إلى شفا حُفرة من اليأس، فأنكر كل شىء فى الوجود، واعتقد أنه فى هذه الحياة قد خُلق بغير غاية أو هدف.

وبينما هو على هذه الحال من الخواء الروحى عرضت له فرصة للعمل فى إحدى البلاد الإسلامية. . . وعن ذلك يقول:

(١) مجلة المنهل السعودية الصادرة فى ديسمبر ١٩٨٩ (بتصرف)

عرض عليّ أن أعمل في المملكة السعودية، وجئت إليها وَصِلَتى بالإسلام صلة تعاطف لا أكثر.. ووجدتُ نفسى أتعرف عن قرب على الإسلام والمسلمين، ولم أكن أعرف عنهما من قبل شيئاً سوى بعض المفاهيم البسيطة الساذجة المغرضة.... ولكن أول ما لَفَتَ نظرى أننى وجدت قوماً على ثقة بأنفسهم ومعتقداتهم التى هذبت أهدافهم وسلوكياتهم فى الحياة»..

ثم يصمت برهة وكأنه يتذكر شيئاً قد فاته ليقول بعدها:

«لقد اجتذبنى الأذان فى جُرْسه ومعانيه التى فهمتها فيما بعد... كما اجتذبنى «القرآن» برغم أننى لم أكن أفهم منه حرفاً واحداً، ولكن شعرت بعظمته التى شدتنى للإصغاء إليه، وكأنما هو نور أشرق فى نفسى».

من هنا بدأ «مارك» يسأل ويستفسر ليفهم ماهو الإسلام؟ وما هو غاياته؟.. وماهى إجاباته عن تساؤلاته الحائرة التى لم تفارقه منذ أن بدأ يعى وينضج عقله... لماذا خُلق؟.... ولأى هدف يسير فى الحياة؟... وإلى أين المآل؟ وغير ذلك من تساؤلات كان يبحث عن إجابات لها حتى اهتدى إلى ما يقنعه ويرضى نفسه.. إجابات قد سمعها من أصدقائه المسلمين الذين يعملون معه.. ومن قراءات من كتب إسلامية مترجمة جعلته يسكن بعد حيرة حتى اهتدى... وعن ذلك يقول:

«لقد كنت أقضى أوقات فراغى فى مناقشة الأصدقاء من المسلمين حول قضايا فى الحياة، وعن إجابات لتساؤلات.. كما أخذت أقرأ عن الدين الإسلامى وأتأمل تعاليمه وأركانه... وانتهى بى المطاف إلى أن اهتديت إلى الله.. وعدت إلى نفسى بالإسلام، فهو دين الفطرة بحق».

ثم أشرق وجهه بابتسامة صافية وهو يقرأ قول الله تعالى:

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾[1].

وبعد.. فهذه شخصية من الشخصيات التى أراد الله أن يهديها للإسلام.. وهناك شخصيات تتطلع إلى نعمة الإسلام، ولكن لاتعرف بداية الطريق أو ذات الطريق الذى ارتيادُه مسئولية المسلمين.. مسئولية الدعاة، وأجهزة الدعوة الإسلامية.. فهل هى أنارت الطريق؟

* * *

(١) سورة الأنعام: من الآية ١٢٥.

مع الفيزياشى الألمانى «كارستن ازنزى»
الذى صار «عبد الحليم الحسن بن الهيثم»

وُلد لأبوين مسيحيين من البروتستانت.. وعندما شبَّ وبدأ يعى ما يحيط به أخذ يبحث عن الحقيقة فى العديد من الأديان، ولكن استوقفه الدين الإسلامىُّ فقام بزيارة لبعض البلدان الإسلامية، مثل تركيا والمغرب ومصر، وتقابل مع بعض المسلمين، وتناقش معهم، لكى يتعرف على الإسلام من خلالهم. كان يشعر منذ طفولته بنفور شديد من أساليب الحياة حوله، وانغماس الشباب فى الملذات وشُرب الخمر والرذيلة ويقول:

«كنت أتساءل: كيف تسمح المسيحية بكل أشكال الانحرافات التى تعم المجتمعات الغربية التى تدين بها؟!... ولم أجد رداً مُقْنعاً لتساؤلاتى.. من هنا بدأت أقرأ فى الأديان جميعاً لأتوصَّل إلى كيفية تنظَيم حياة معتنقيها، ووجدت ضالتى فى الدين الإسلامى الذى يحترم الإنسان، وينظم علاقته بربه، ويضع ضوابط لسلوكياته، ويشرع لحياته الدنيوية».

ثم يضيف:

«كنت أعيش فى مدينة «هامبورج» وأتردد على المركز الإسلامى الذى شهرت فيه إسلامى فى ١٧ / ٨ / ١٩٩٠.. وإننى حالياً أكثف من القراءة عن الإسلام لأتفهمه أكثر، وحتى أستطيع أن أدعو الآخرين إليه.

* * *

(١) جريدة المسلمين فى ٢٧ / ٦ / ١٩٩١ (بتصرف).

مع المتخصص الاجتماعى
«ناجى حلمى نصيف صموئيل»
الذى صار «أحمد ناجى حلمى عز الدين»

نشأ فى أسرة مسيحية مصرية حرصت على غرس عقيدة التثليث فى نفوس أفرادها على النحو الذى يؤمن به نصارى مصر وغيرها، وذلك بالتردد على «مدارس الأحد» التى أقامتها الكنيسة.

لم يكن «ناجى» يعلم فى طفولته المبكرة أن هناك أدياناً أخرى غير المسيحية، فلم يكن والداه يسمحان له أن يعلم شيئاً لا تقره الكنيسة ولكن التحاقه بالمدرسة، وعقده لصداقات مع زملائه المسلمين فى الصف أتاح له أن يعرف أن هناك ديناً آخر غير المسيحية تدين به الأكثرية من أبناء وطنه..

ويذكر كم كان يزعجه حين يأتى موعد حصة الدين التى تُجبره على تَرْكِ أقرانه، لينتقل إلى فصل آخر - مع مجموعة من التلاميذ النصارى أَتَوْا بهم من فصول أخرى - ليتلقى على يد مدرس الدين المسيحى مبادئ ديانته طبقاً للمنهج الذى أقرته الكنيسة.

وحين التحق بالمرحلة الإعدادية أدرك الكثير من تعاليم ومبادئ الإسلام من خلال مخالطته لأقرانه المسلمين، وما درسه فى حصص الأدب والقراءة من نصوص قرآنية وأحاديث شريفة، وقد شده ما وجده من مبادئ وقيم تدعو إلى المجتمع الفاضل، وترسى دعائم الأخلاق.

وكان يتساءل عن سر حرص والديه على مَنْعِهِ من مشاركة زملائه المسلمين فرحتهم بعيدهم الذى يأتى مرتين فى العام: مرة بعد شهر رمضان، وأخرى فى شهر الحج.

وعندما التحق «ناجى» بالمرحلة الثانوية اتسعت قراءاته بحثاً عن ذاته، كأى شاب فى مقتبل العمر يحيا فراغاً ذهنيّاً فى غياب العقيدة الصحيحة، واتجه إلى الفلسفة يستمد الإجابة من خلالها عن أسئلة لم يجد لها جواباً شافياً لدى القسس والرهبان... وكان ذلك فى التحاقه بكلية الآداب فى جامعة الإسكندرية، إذْ أتاحت له الدراسة فى قسم الاجتماع أن يتعرف على الكثير من المبادئ الإسلامية التى صاغها علماء المسلمين القدامى، مثل «ابن خلدون» فى مقدمته.. وتأمل الإصلاحات الاجتماعية التى جاء بها الإسلام، وكيف أرسى قواعد مجتمع العدل والتسامح والتكافل الاجتماعى بدون النظر لاعتبارات الجنس أو اللون أو الدين، فتملكه الإعجاب بهذا الدين.

وتبلورت شخصية «ناجى» بعد تخرجه فى الجامعة، فقد نضج فكره بحيث يتيح له الموازنة بين الأمور بتعقل وحكمة بعد أن بدأ تفكيره يتجه نحو الإسلام أثناء فترة تجنيده بالجيش، وهو يرى زملاءه المجندين وهم يُلَبُّون نداء الصلاة فى صفوف متراصه يلفها الأدب والخشوع، وقتها وَدَّ لو صَلَّى معهم، لعل نفسه تسكن، لكنه لم يكن قد تهيأ بعد لهذه المرحلة التى تتطلب صراعاً عنيفاً مع الأهل، فقد كان الخوف لايزال يسكن نفسه لو تخلى عن دينه، وذلك لِمَا لقنه إياه أهله منذ النشأة عَلَى أنه على الدين الصحيح... وظل قرابة نصف عام يحيا صراعاً عنيفاً.. وأخيراً قرر أن يكون الإسلام له ديناً، ولكن كيف يُبلغ أهله بقرار اعتناقه لهذا الدين القيم الذى اتخذه بعد تفكير ودراسة متأنية... ولم يجد بُدّاً من أن يُعلمهم بقراره الذى قُوبِلَ بِرَفْضٍ وَردِّ فِعْلٍ عنيف من الأسرة المتعصبة، التى ظلت تحاوره آمِلَةً فى أن ترده عن الحق

وتعود به إلى حظيرة دينها ومعتقداتها الكَنَسِيَّة، ولكنه أبَىَ وأَصَرَّ على تمسكه بدينه الجديد الذى آمَنَ به عن اقتناع كامل، ووَجَدَ فيه إجابات شافية عن أسئلته التى ظلت تراوده فى فترة حياته الماضية. .

وعندما يئس أهله منه خيروه بينهم وبين الإسلام، فلم يتردد واختار الإسلام الذى ما رآه إلا حقّاً. . واتجه إلى الأزهر ليعلن على الملأ إسلامه، مُرِدّداً الشهادتين، وساجداً لله شكراً أنْ هَدَاهُ إلى الطريق القويم وأنقده من عذاب الآخرة.

وبعد إشهار إسلامه اختار «ناجى» اسماً جديداً هو «أحمد ناجى حلمى عز الدين». . واضطر إلى ترك مدينته الإسكندرية إلى القاهرة فراراً من مضايقات أهله. . وشاءت عناية الله أن تعوضه عن أسرته بصديق مسلم زَوَّجَهُ شقيقته لتكون له أسرة جديدة ينعم فيها بحياة أُسرية سعيدة، وقد استقرت ظروفه المادية بالتحاقه بعمل يدر عليه دخلاً طيباً[1].

* * *

(١) مجلة الفيصل عدد مارس ١٩٩١ (بتصرف).

مع الطبيب النصرانى «عبده إبراهيم» الذى صار قدوة مسلمة

كأى طفل يُولَد لأبوين نصرانيين، أخذه والده إلى كاهن الكنيسة، حيث تم تعميده فى احتفال كبير يليق بمكانة والده «إبراهيم أفندى عبد الملاك» أحد وجهاء التجار النصارى في حى «الظاهر» العتيق، أحد الأحياء الشهيرة بمدينة القاهرة، والمتميز بكونه يضم أكبر تَجَمُّعٍ نصرانى بها.

وشب «عبده» فى منزل الأسرة الكبيرة محاطاً بالرعاية والاهتمام، حتى وصل إلى المرحلة الثانوية، وارتبط بصداقة وثيقة مع زميلين مسلمين، ولم يكن يدرى أن صداقته مع هذين الزميلين سوف تكون بداية للسير على درب الإيمان.

واعتاد الأصدقاء الثلاثة أن يستذكروا دروسهم معاً، وغالباً ما كان فى منزل أحد الزميلين المسلمين لسعة المنزل، وكلما سمع الصديقان صوت المؤذن ينطلق من المسجد القريب مؤذناً للصلاة يبادران إلى ترك مافى أيديهما من كُتب ويُسرعان للوضوء لأداء الصلاة، فى حين كان صاحبهما النصرانى ينتظرهما فى حرج وحيرة، يتساءل فى نفسه... لماذا نختلف فى الملة فى حين أننا متفقون على كل شئ؟.... الا يمكن أن تكون مِلَّتُهما هى الحق؟..وما الذى يمنع أن أتعرف على حقائق دينهما؟

ولم يلبث طويلاً على هذا الحال، فصارح صديقيه بما اعتمل فى صدره من مشاعر وأحاسيس، وبرغم صغر سنيهما وسرورهما فإنهما خافا أن يكون تصرفُه نابعاً من حماسة وقتية، فنصحاه بأن يتروَّى فى اتخاذ أى قرار بشأن اعتناقه الإسلام، ولا سيما وهو لايزال طالباً يحتاج إلى عون أسرته المادى[1].

واتفق الجميع على أن يَنْكَبُّوا على الدراسات الإسلامية بدون أن يعلم أحد، هذا بجانب المواد الدراسية المقررة عليهم فى المدرسة.

ومرت الأعوامُ، والتحق الأصدقاء الثلاثة بمدرسة الطب[2] وتخرجوا فيها. . واستمر «عبده» يكتم إيمانه واعتناقه للإسلام حتى جاء شهر رمضان المبارك فى سنة الامتياز، ولم يكن بوسعه أن يترك هذا الشهر يمر بدون أن يؤدى فريضة الصوم التى تُؤَدَّى فى هذا الشهر، والتى فرضها الله عز وجل فى هذا الشهر الكريم دون سائر الشهور الأخرى. . . وكانت المواءمة بين أداء الصيام والظهور أمام أهله أمراً صعباً، خاصة يوم الأحد الذى تلتقى فيه الأسرة على مائدة الغذاء، فَقَرَّ قراره على ادعاء الانشغال بالعمل خلال فترة شهر الصوم، وعدم الحضور للمنزل إلا ليلاً لكيلا يلحظ أحَدٌ صيامه.

ولم يَغِبْ تصرفه هذا عن ملاحظة أسرته التى كانت تعيش فى قلق شديد، إذ أن شقيقه تجسس عليه ذات مرة فوجده يصلى صلاة المسلمين، فأخبر والدته التى لم تصدق حتى رأت بنفسها، ونقلت وساوسها إلى والده الذى عاش بدوره فى قلق لاحدود له،لكنَّ أحداً لم يجرؤ على مصارحة «عبده» الطبيب الشاب بذلك، حتى جمع والده شتاته ذات يوم وتكلم معه حول هذا الموضوع.

---

(١) مجلة الفيصل عدد يناير ١٩٩٢ (بتصرف).

(٢) كانت تسمى كلية الطب فى أواخر القرن التاسع عشر بمدرسة الطب.

وكان باستطاعة «عبده» أن ينكر، لكنه أبَى أن يكتم خبرَ دخوله فى الإسلام أكثر من ذلك، حيث وجدها مناسبة ليعلن إسلامه أمام أسرته، ويدعوها إلى الالتحاق به على درب الإيمان. . . وحاول والده أن يرده عن سبيله، بدون جدوى، فانطلق لسانه مهدداً ولده بحرمانه من كل شىء، ثم طرده من المنزل.

ولم يكن هناك ملجأ يتوجه إليه «عبده» سوى منزل أحد أصدقائه الذى رحب به، وخصص له حجرة مستقلة فى داره، وفى الوقت ذاته تقاطر على بيت أسرة عبده وجهاء الحى من النصارى ليشاركوا «الخواجه إبراهيم» مشكلته، والبحث عن حل من أجل إعادة عبده إلى حظيرة الكنيسة. واستقر الرأى على إرسال وفد من رجال الكنيسة لمناقشة «عبده» فيما «أضله» رفيقاه فى الدراسة. . . وذهب الوفد وطلب من «عبده» أن يجرى نقاشاً معهم، ولدهشتهم وافق على مناظرتهم، واستهانوا به فى بداية الأمر، لكنهم مالبثوا أن أدركوا أنهم بصدد خصم قوى الحجة، يعلم عن النصرانية والإسلام الكثير، فطلبوا تأجيل المناقشة أسبوعاً، وكان لهم ما أرادوا، واستفاد «عبده» بدوره من هذا التأجيل فى استشارة صديقه الشيخ محمد رشيد رضا[1] الذى وجهه إلى الكثير من نقاط الاختلاف والضعف فى النصرانية، فلم يكد يحل موعد المناظرة حتى فوجئ وفد الكنيسة بعبده يفحمهم بأسئلته وإجاباته، فلم يملك الوفد وقد شعر بالحرج أمام جموع النصارَى إلا أن يطلب تأجيلاً للتشاور، حتى لا يتورط فى هزيمة أمام طبيب شاب «مارق» - فى نظرهم - ولم تدم جلسة التشاور طويلاً، وخرج الوفد ليعلن أمام الجميع انتهاء النقاش، وأن الكنيسة قد قررت طرد «عبده» من رحمتها!.

وبصدور قرار الكنيسة بطرده من «رحمتها» تنفس «عبده» الصعداء، إذ تخلص من محاولات دفعه للردّة، وإن لم يتخلص من المضايقات.

(١) يلاحظ أن تلك الأحداث وقعت فى أواخر القرن التاسع عشر.

وسارت الحياة بالطبيب الشاب «عبده» فتزوج بابنة أحد علماء الأزهر، وأنجب طفلاً سماه «عيسى» حتى يقال «عيسى عبده» توكيداً على عبودية عيسى عليه السلام لخالقه، ثم أنجب وليده الثانى «محمداً».

وتدور الأيام ويأتى إليه الخادم ليخبره أن والده قد حضر إليه.. وكانت مفاجأة، فهاهو ذا الأب الذى ألقى يوماً بولده خارج المنزل وقاطعه سنوات طويلة يجئ إليه بنفسه.

وأيقن «عبده» أن أمراً جليلاً قد دفع والده إلى الحضور، فهو يعلم دخائل والده جيداً، ويعلم أنه ليس من النوع الذى ينسى أو يتناسى، ومع ذلك لم يملك إلا أن ينزل لاستقبال والده واحتضانه، وسؤاله عن أمه وإخوته.... وبعد قليل صارحه والده بسبب حضوره، وهو حاجته الماسة للمال لإنقاذ بيته من البيع فى المزاد العلنى، ولأنه استنكف أن يطلب مالاً من ولده، فقد دعاه إلى شراء البيت حفاظاً على اسم الأسرة، ولعلمه أن ولده لن يطالبه بإيجار، ولن يطرده إلى الشارع، وما كان من القلب المؤمن إلا أن قام بهدوء وأحضر صرة بها كل مايملك من مال وأعطاه لوالده قائلاً له: أن يدع البيت كما هو باسمه، وأن يتقبل المال هدية، فضرب الأب كفاً بكف فى حسرة وألم، فها هو ذا الابن الذى طرده من المنزل ينقذه من الطرد.

وهكذا كان د. عبده إبراهيم إنساناً مؤمناً يرعى الله فى كل تصرفاته وسلوكياته... وحتى لحظة وفاته ظل يتحلى بهذه الشمائل والأخلاق النبيلة، وتوفى شاباً فى نحو الرابعة والثلاثين من عمره[١].

* * *

(١) المرجع السابق..

مع الموسيقار الإيطالى الشهير «بالاسلفاتورى» الذى صار «محمد عبد الله الهادى»[١]

ذهب إلى إحدى دول الخليج العربى ليُحيى بعض الحفلات بالفنادق، وفى أثناء عزفه فى إحدى الحفلات تعرف على راقصة عربية بهره جمالها ورقصها... فطلب منها الزواج، فوافقت على الفور من أجل الشهرة وكسب المال.. ولكن تذكرت أن القوانين لا تسمح بزواج المسلمة من غير المسلم، فقد كانت الراقصة مسلمة الديانة[٢]! فطلبت منه أن يذهب إلى دائرة الأوقاف ليحصل على شهادة بأنه مسلم بعد أن يتلفظ بالشهادتين: «لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».....

فلم يمانع الموسيقار، طالما أن ذلك سيوصله إلى مبتغاه.

وأمام دائرة الأوقاف قال: إنه جاء هذه القاعة بالأوقاف لينطق بالشهادة ويتسلم سنداً رسمياً يؤهله للزواج من امرأة مسلمة قد شغف بها حُبّاً وغراماً...

عندئذ شعر أحد المسئولين بالأوقاف بأن هذه الشهادة نفاق، فهى لغرض دنيوى بحت، فرفض منه تلك الشهادة التى لاتتفق مع أصول الدين الحنيف.... فغضب الموسيقار وثار قائلا:

«إن المسيحية-تقبل الدخول فيها لأى سبب كان».

(١) مجلة لواء الإسلام فى عددها الصادر بتاريخ ١٢ سبتمبر ١٩٨٨ (بتصرف).
(٢) نعنى بذلك مسلمة على الورق، وشهادة الميلاد والبطاقة.

فرد المسئول بقوة الحجة والبيان:

«إن الإسلام دين الحق الذى نَزَلَ من عند الله ليصلح دنيا الناس وآخرتهم فى إطار منهج قويم لاعوج فيه ولا التواء...».

ثم استطرد المسئول يعنفه قائلا:

«.... أمَا تستحى يا رجل من هذا الادعاء لتحقق شهوة حيوانية مع امرأة قد أعجبتك مفاتنها؟!!»

ثم صمت برهة ليقول له بعدها فى هدوء الرجل الناصح الأمين:

« إن تكاليف الشهادة التى تقصدها ثقيلة، ولن تستطيع أن تتحمل أماناتها مادُمت غير مقتنع بها».

.... ثم طلب منه المسئول أن يراجع نفسه وعقله وضميره... ونصحه أن يقرأ كثيراً عن الإسلام ومبادئه وتعاليمه وآدابه، لعله يقتنع فيؤمن به عن حب واعتقاد راسخ... ثم أهدى إليه بعض الكتب الإسلامية المترجمة ليطالعها باهتمام وبحث ودراسة لموضوعاتها.

ومرت الأيام والشهور وهو يطالع ويبحث فى الإسلام من خلال الكتب التى أُهديت إليه، فضلا عن الكتب التى حصل عليها بنفسه ليزداد يقيناً بكل ما قرأه عن الإسلام...

بعدها شعر الموسيقار بأن أفكاره ومعتقداته التى تلقاها من بيئته عن الإسلام كانت باطلة ظالمة لسماحته وعظمته... فقد وجد الإسلام ديناً يدعو إلى مكارم الأخلاق وإلى الإخلاص فى العباده لله وحده.... عندئذ تغيرت نظرته للإسلام وهو يشعر بأن أنفاسه قد عادت إلى الحياة الحقيقية التى ينبغى أن يحياها كل إنسان.... فلم يملك إلا أن يذهب صادقاً مع نفسه ليعلن إسلامه بإخلاص المؤمن المتجرد من الأغراض الشخصية الدنيئة.

أمّا الراقصة التى كانت تنتظر الشهادة الصورية لإسلام «بالاسلفاتورى» ليتسنى لها الزواج منه، فقد انتابها القلق من تأخره عنها، فذهبت إليه تطمئن على سبب تأخره.... ففاجأها بأنه أسلم عن حق ويقين لا عن كذب ونفاق... ثم أخذ يحدثها عن محاسن هذا الدين وفضائله الذى يحقق السعادة الحقيقية من اطمئنان وسكينة فى النفس لكل من يلتزم به ويتحلى بتعاليمه وآدابه.

كل ذلك والراقصة تستمع إليه وهى مبهورة فى دهشة واستغراب، ولاسيما وهو يهديها لأنْ تُطَهِّرَ نفسها من الخبث الذى تعيش فيه... ورفض الزواج منها إلا بشرط أن تقلع عن الرقص وتحتشم وتلتزم بتعاليم دينه الجديد الإسلام.... فبكت وانصرفت لحالها بعد أن رفضت طلبه.

ويقول الموسيقار «بالاسلفاتورى» الذى غير اسمه إلى «محمد عبدالله الهادى» فى سعادة المسلم المعتز بدينه الغيور عليه فى نداء للمسلمين: «يامسلمون.. أفيقوا من غيبتكم، وعودوا إلى رشدكم ودينكم.. العالم ينتظركم.. وأصدقوا الله تملكوا العالم كله».

وبعد فتساءل: أبعد الغيرة والحماس لدين الله يوجد صدق إيمان أرضح منه؟!

* * *

مع الفنان الإنجليزى المسلم «كات ستيفنز»
«يوسف إسلام»[1]

رجل رفض كل مغريات الدنيا بكل شهرتها وشهواتها بعد أن ضربت شهرته الآفاق خلال فترة قصيرة من عمره، وذلك من خلال الشرائط المسجلة لأغانيه التى كان يؤلفها ويلحنها وينطلق بها بين الناس فى عروض فنية جمع منها الكثير من المال بجانب ذيوع صيته، غير أنه كان يشعر أنه ينقصه الكثير... ينقصه الاطمئنان والسكينة النفسية التى عبر عنها قائلا:

«... وعندما كنت فى القمة، كنت أنظر إلى أسفل خوفاً من أن أسقط من القمة، وبدأ القلق ينتابنى، وبدأت أشرب زجاجة خمر كل يوم لأستجمع الشجاعة كى أغنى.. كنت أشعر أن الناس حولى يلبسون أقنعة، ولا أجد مَنْ يكشف عن وجهه القناع.. قناع الحقيقة... كان لابد من النفاق حتى تبيع وتكسب.. وحتى تعيش!!

وشعرت أن هذا ضلال، وبدأت أكره حياتى، واعتزلتُ الناس، وأصابنى المرض، ونُقلت إلى المستشفى مريضاً بالسل.. وكانت فترة المستشفى خيراً لى، حيث إنها قادتنى إلى التفكير، إلى أنْ هَدَانى الله، حيث بدأت أفكر واستعمل عقلى».

(١) المجلة العربية الصادرة فى يونيو ١٩٨٦ (بتصرف).

وقبل أن يسترسل فى حديثه يذكر أنه تعلم فى مدرسة كاثوليكية، حيث درس المفهوم المسيحى للحياة والعقيدة، وما يفترض أن يؤمن به عن الله وعن المسيح، وأقل من ذلك عن الروح القدس.. كما يذكر أيضاً أنه لم يكن سعيداً فى الحياة الصاخبة التى يعيشها والغِنَى الفاحش برغم أنه تعلم أنَّ الغِنَى هو الثروة الحقيقية.. والفقر هو الضياع الحقيقى بصرف النظر عن أية اعتبارات أخرى وهذا هو أساس فلسفة الغرب، وظل يبحث عن الحقيقة... عن السعادة التى لم يجدها فى الغِنَى، ولا فى الشهرة، ولا فى الكنيسة، فيقول:

«بدأت أفكر وأبحث عن السعادة التى لم أجدها فى الغنى ولا فى الشهرة، ولافى القمة، ولا فى الكنيسة، فطرقت باب البوذية والفلسفة الصينية فدرستها، وظننت أن السعادة هى أن تتنبأ بما يحدث فى الغد حتى تتجنب شروره، فصرت قدريا، وآمنتُ بالنجوم والتنبؤ بالطالع، ولكننى وجدت ذلك كله هراء.

ثم انتقلت إلى الشيوعية ظناً منى أن الخير هو أن نقسم ثروات هذا العالم على كل الناس، ولكننى شعرت أن الشيوعية لا تتفق مع الفطرة، فالعدل أن تحصل على عائد مجهودك، ولا يعود إلى جيب شخص آخر.... ثم اتجهت إلى تعاطى العقاقير المهدئة لأقطع هذه السلسلة القاسية من التفكير والحيرة.... وبعد فترة بدأت أدرك أنه ليست هنالك عقيدة تعطينى الإجابة، وتوضح لى الحقيقة التى أبحث عنها، ويئست[1].... فبقيت على معتقدى وفَهْمِى الأول الذى تعلمته من الكنيسة، حيث عدت بفكرى إليها بعد أن انسلخت منها إلى البوذية الصينية، والشيوعية حيث أيقنت أن هذه المعتقدات هراء وأن الكنيسة أفضل قليلا منها.

(١) لم يكن وقتها يعلم شيئاً عن الإسلام، فكل ما يعرفه عنه أنه دين عنصرى عرقى.

وعكفت من جديد على تأليف الأغانى وتلحينها، وشعرت حينئذ أنها هى دينى ولا دين لى سواها»(١).

ثم أردف يقول:

«وفى عام ١٩٧٥ حدثت المعجزة، بعد أن قَدَّمَ لى شقيقى الأكبر نسخة من القرآن الكريم هدية، فشعرت تجاهه باهتمام بالغ، برغم أنى لا أعرف ما بداخله، فأخذت أبحث عن ترجمة للقرآن الكريم، وكانت هذه أول مرة أفكر فيها عن إلاسلام»(٢).

وتوقف برهة ليعاود حديثه قائلا:

«عندما بدأت أقرأ فى ترجمة القرآن الكريم شعرتُ لأول وهلة أن القرآن يبدأ بـ «بسم الله» وليس باسم غير الله.... ولا تَعْلَم كم كانت عبارة «بسم الله الرحمن الرحيم» مؤثرة فى نفسى.. وكذلك فاتحة الكتاب: «الحمدلله رب العالمين....» ثم وجدت مفهوماً جديداً فى «رَبِّ العالمين»... فحتى ذلك الوقت كانت فكرتى ضئيلة عن الإله، حيث كانوا يقولون لى إن الله الواحد مُقَسَّمٌ إلى ثلاثة.. كيف لا أدرى؟!.. وكانوا يقولون لى إن إلهنا ليس إله اليهود!!.... أما القرآن الكريم فقد أكد أن الله واحِدٌ، خالق العالمين ورب المخلوقات، وليس له شريك فى الملك، وهو قوى قادر، فهو على كل شىء قدير، واقترن ذلك بالإيمان باليوم الآخر، وأن الحياة الآخِرَة خالدة..»(٣).

واستطرد يقول:

«معنى ذلك إذن أنك لست كتلة من اللحم تتحول يوماً ما إلى رماد كما

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.

يقول علماء البيولوجيا. . . وإنَّ ماتفعله فى هذه الحياة يحدد الحالة التى ستكون عليها فى الحياة الآخرة».

ونظرَ بعيداً فى حالة من التأمل والتفكر ليقول بعدها:

«القرآن هو الذى دعانى للإسلام، فأجبت دعوته، أمَّا الكنيسة التى حطَّمتنى وجلبت لى التعاسة والعناء فهى التى أرسلتنى لهذا القرآن، عندما عجزت عن الإجابة على تساؤلات النفس والروح. . . يكفى أننى قد لاحظتُ فى القرآن شيئاً غريباً، هو أنه لا يُشبه باقى الكتب، ولا يتكون من مقاطع وأوصاف تتوفر فى الكتب الدينية التى قرأتها، ولم يكن على غلاف القرآن الكريم اسم مؤلف، ولهذا أيقنت مفهوم الوحى الذى أوحى إلى هذا النبى المرسل بهذا القرآن من الله تعالى. . . . لقد تبين لى الفارق، حيث قرأت الإنجيل الذى كُتِبَ على يد مؤلفين مختلفين من قصص متعددة. . . . حاولت أن أبحث عن أخطاء فى القرآن الكريم. . ولكنى لم أجدا! بل كان كله منسجماً مع فكرة الوحدانية الخالصة. . .»

ثم تنهد تنهيدة ارتياح وهو يقول:

«بدأت أعرف ماهو الإسلام. . وعرفت أنه الطريق إلى السلوك القويم. . . فهمتُ من القرآن الكريم كيف تسلسلت الرسالات منذ بدء الخليقة، وأنه هو نفس الدين الذى أوحى به إلى الخلق منذ عهد آدم، وأن الناس على مدى التاريخ صنفان: إما مؤمن وإما كافر. . .

لقد أجاب القرآن عن كل تساؤلاتى، وبذلك شعرت بالسعادة، سعادة العثور على الحقيقة.

ويواصل حديثه قائلاً:

«لقد وُلدت من جديد، وعرفت إلى أين أسير مع إخوانى من عباد الله المسلمين. . لقد اتجهت للإسلام من أفضل مصادره، وهو القرآن الكريم،

ثم بدأت أدرس سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وكيف أنه بسلوكه وسُنَّتِه عَلَّم المسلمين الإسلام، فأدركت الثروة الهائلة فى حياة الرسول ﷺ وسنته».

ثم يبتسم ابتسامة عريضة وهو يقول: «لقد نسيتُ الموسيقى والأغانى. فإنى أراها تُشغل(١) عن ذكر الله، وهذا خطر عظيم.. أمَّا الملايين التى كسبتها من عملى السابق فوهبتها كلها للدعوة الإسلامية».

ومما هو جدير بالذكر أنه عندما أجريت مقابلة مع «يوسف إسلام» ـ (كات ستيفنز سابقاً) ـ على شاشة التليفزيون البريطانى(٢) سأله المذيع أسئلة كثيرة تتعلق بالإسلام والنصرانية، وكانت إجاباته رائعة، تدل على ثقة الرجل وفهمه للإسلام وعمق إيمانه بالله سبحانه وتعالى.

وكان مما سأله: إنك تخسر أموالاً كثيرة لأنك لا تستفيد من الأموال التى تأتيك من أعمالك السابقة فى الغناء فماذا تقول؟

فأجاب يوسف إسلام:

«إننى لا أخسرشيئاً، لأن من وجد الله لم يخسر شيئاً».

وسأله المذيع: «هل تشعر بسعادة بعد إسلامك؟ ألا تتعذب أو تتألم؟

أجاب قائلا:

«إننى أشعر بمنتهى السعادة.. أما الألم والعذاب فهو من خصائص الدنيا هذه، ولا راحة لمؤمن إلا بلقاء الله».

ثم عاد المذيع يسأله: لماذا اخترت الإسلام على غيره؟

---

(١) المرجع السابق.

(٢) على إحدى قنواته وهى القناة الحرة.

أجاب ببساطة:

«لأنه الدين الحق الأخير، ولأن القرآن حق، ولم يستطع أحد من العلماء أو غيرهم أن يجد أى تناقض فى القرآن الكريم، فضلاً عن ذلك أنه قد احتوى على كل شىء يحتاج إليه البشر لهدايتهم.

وعندما طلب منه أن يُوَجِّه كلمة لإخوانه المسلمين.... اعتدل فى جلسته وتنهد ثم قال:

«إن وصيتى هى الدعوة إلى القرآن الكريم، ولو بكلمة واحدة، وأن نستعمل لغة القرآن، ولا ينبغى أن يكتفى الواحد بهدايته، وينطوى على ذلك.. إن مهمتنا التبليغ والدعوة، وهى مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً، والهادى هو الله سبحانه وتعالى... علينا أن نتواضع ونترك المظاهر التى لايهتم بها المسلم عادة، وننتبه إلى دورنا القيادى فى أننا أصحاب رسالة ودعوة.... واذكر أن الخطر على الإسلام يأتى من عدم الفهم الصحيح للإسلام، ومن أولئك المسلمين الذين يعطون مثالاً سيئاً عن الإسلام، كالذين يرتادون دور «القمار» واللهو، وكذلك الحروب القائمة بين الدول الإسلامية تعطى انطباعاً عكسياً ضاراً»[1].

* * *

مع المغنى الأمريكى العالمى «جيرمان جاكسون»[2]

كان هناك دافع قوى وراء اعتناق «جيرمان جاكسون» للإسلام الذى تغلغل فى فكره ووجدانه.. وهو تعرُّفه واختلاطه ببعض الشباب المسلم الجاد الذى يعيش فى أمريكا، فقد استرعى انتباهه بسلوكه وأخلاقياته السمحة.... يعبر عن ذلك فيقول:

(١) هذه التعابير تدل دلالة قاطعة على مدى الغيرة على الإسلام والذود عنه ومن ثَمَّ على عمق الإيمان به.
(٢) هو شقيق المطرب الأمريكى المعروف «مايكل جاكسون».

«لقد التقيتُ ببعض الشباب من المسلمين العرب، وتعرفت عليهم عن قرب فى ولاية «كاليفورنيا». . . وتطورت هذه اللقاءات إلى علاقات صداقة حميمة جمعتنى بهم، بعد ما لمست صفاء روحهم، وسلوكهم الإنسانى الراقى الذى يتسم بالسُّمُوِّ، و الخُلُق الرفيع فى تعاملاتى معهم.

وقد أوحت إلىَّ هذه الأخلاقيات السامية أنها لا يمكن أن تصدر من فراغ، وإنما وراء ذلك دافع يحث على مثل تلك الأخلاق النقية الطاهرة».

ثم يصمت برهة، وقد زاغت عيناه إلى بعيد، وارتسمت على شفتيه ابتسامة حالمة ليقول بعدها وهو يُطَأْطِئُ برأسه:

«لقد عرفت أن وراء تلك الروح المتميزة التى أضفت على هؤلاء الشباب مثل هذه الأخلاق الحميدة هو دين الإسلام الذى يحث على مكارم الأخلاق».

ثم يستطرد قائلاً:

لم يعرض علىَّ أحَدٌ الدخول فى الإسلام مباشرة، وإنما بسلوك هؤلاء الشباب المسلم وأخلاقهم الحميدة وانضباطهم الملتزم فى جميع تصرفاتهم قد عرضوه علىَّ - بطريق غير مباشر - مما زاد إعجابى الشديد بهذا الدين الذى اعتنقته بلا أى تردد[1].

ثم يعود ليؤكد كلامه فى حدة فيقول:

«حقيقة لقد كنت مندهشاً لهذه الروح المتميزة التى استطاع أن يغرسها دين الإسلام فى نفوس هؤلاء الشباب. . مما أكد لى بشكل قاطع أن الدين الإسلامى هو الدين الصالح لكل مجتمع، ولكل زمان ومكان. . . . فالمجتمع الأمريكى الذى نعيش فيه لا تتوافر فيه تلك الأخلاقيات والسلوكيات الحميدة. . . فنحن نعيش وسط مجتمعات صاخبة، تطغى عليها الماديات،

---

(١) مما هو جدير بالذكر أن «جيرمان جاكسون» الذى أشهر إسلامه لم يعلن ذلك إعلامياً، فتكتمه تماماً خشية مصادرة أمواله، وحتى يرتب أموره، ثم أعلن ذلك على الملأ بدون أن يخشى فى دين الإسلام أحداً.

مما يجعلنا نعيش حياة من القلق وعدم الأمان واضطراب التفكير. . لذا تجد المخدرات والسموم البيضاء منتشرة بشكل مفزع، فضلاً عن كثرة مظاهر الانحلال الخُلُقى، مما زاد من ارتفاع نسبة الجرائم والانحرافات الاجتماعية بكل أنواعها».

ويلتقط أنفاسه ويهدأ ليقول:

«الحمد الله أننى التقيت بهؤلاء المسلمين الذين حَدَّثُونى عن الدين الإسلامى بدون أن يعرضوا علىّ الدخول فى الإسلام مباشرة ـ كما سبق أن ذكرت ـ وهذه إرادة الله تعالى ورحمته بى، فقد كان الإحساس عندى نحو الإسلام كدين شامل قد ترسخ فى ذهنى ووجدانى. . وهذا ماجعلنى أعتنق الإسلام بشجاعة. . بعد أن جمعت أفكارى نحو الإسلام ودرسته دراسة دقيقة متأنية. . وسعيت لمعرفة الحلول لمشاكل مجتمعاتنا المادية فوجدتها متضمنة فيه بطريقة منطقية مدهشة».

ثم يختتم كلامه قائلا:

«سأقوم بنشر الإسلام والدعاية له بين أقرانى من النجوم، ولكن قبل أن أفعل ذلك سأبدأ بمشيئة الله فى دراسة مستفيضة عميقة تؤهلنى للقيام بهذا العمل الجليل، حيث إن دراستى المتعمقة للإسلام ستعطينى القدرة على أن أكون داعية بصورة جيدة. .

وعموماً أستطيع أن أقول: إن الإسلام فى الولايات المتحدة الأمريكية أصبح ينمو وينتشر بصورة ملحوظة مما يعنى أن الإسلام هو المخرج من المتاهات التى نمرّ بها».

وشىء عظيم أن يشارك فى نشر صورة الإسلام الحقيقية عدد من الشخصيات البارزة مما يؤكد أن مستقبل الإسلام سيزداد قوة وانتشاراً بإذن الله(١).

***

(١) مجلة اليمامة السعودية، الصادرة فى ١٦ من ذى الحجة ١٤٠٩هـ (بتصرف).

«فيدور إيفان جفرنور» (فارض رحمة الله)

ولد بمدينة «كاراكاس» بفنزويلا . . . . وتخرج فى «جامعة كولومبيا» قسم فن الإعلام الجماهيرى، شعبة الإنتاج السينمائى.

وعن ظروف اتجاهه للدراسة فى هذا القسم وتأثيرها فى نظرته للحياة من حوله يقول:

«. . . هجرتُ أسرتى وذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى إحدى معاهدها العليا، ثم توجهت إلى إيطاليا حيث تخرجت فى أكاديمية الفنون الجميلة بجامعة روما. . وعدت مرة أخرى إلى أمريكا لالتحق «بجامعة كولومبيا» قسم فن الإعلام الجماهيرى. شعبة الإنتاج السنمائى. . . . . وخلال مراحل دراساتى واتصالاتى لمست الكثير من التناقضات داخل المجتمع الأمريكى. . . .

وبعد تخرجى كانت معى مهنة ذات داخل عالٍ يحتاج إليها المجتمع بكثرة، فعملت فى «نيويورك، وهوليودد، وكاليفورنيا، وشيكاغو»، ومارست كل التقاليد والعادات المتبعة هناك. . . وتمتعت بكل الامتيازات المادية، من حياة فاخرة، وغيرها من الأمور التى يعرفها الناس وتوفرها مهنة السينما. . . . والغريب أن كل فرد فى العالم حين ينظر إلى الأفلام الأمريكية يتمنى أن يعيش الحياة الأمريكية بعد أن يدور بأذهانهم هذا المستوى الذى يرونه فى أفلامهم!! . . . . ولكننى برغم ذلك كله فقد اكتشفت أن

ما أعيش فيه إنما هو حُلْم... بل حُلم فارغ.. أوحلم خَطِرٌ... فقد كنت أحلم بالنجاح فى الحياة، ولكننى بعد أن حصلت على هذا المتاع الدنيوى لم أجده شيئاً... ولم أحصل على السعادة الحقيقية، بل وجدت أننى كنت فى خدعة كبرى، ولم أجد أمامى طريقاً آخر، فانغمست مرة أخرى فى الشهوات، حتى وصلت إلى مرحلة احسست أنني أعيش من خلالها فى جهنم نفسها... هذه جهنم التى يتمنى كل شخص أن يدخلها!!... السيارات، والنساء، والخمر، وكل ما تمتلكه أمريكا من هذه الشهوات والرغبات المادية».

ثم يستطرد قائلا:

«ولم يعد أمامى غير احتمالين... إما أن استمر فى هذه الخديعة الجهنمية، وكان ذلك مستحيلاً بعد أن زاد شقائى، أو أن أهرب منها إلى طريق آخر..... ولكن ماهو الطريق؟ لا أعرف.... وخلال هذه المعاناة كان لابد لى من قوة عليا تخرجنى من تلك الحيرة. ومن ذلك اليأس، فنظرت عفواً إلى الدين».

وأراد «جفر نور» - أو «فارض رحمة الله» كما يحب أن يُسمى - أن يستدرك جزئية رأى أنها فاتته فى حديثه، وهى كما قال:

«كنت منذ صغرى مسيحيّاً كاثوليكيّاً، ودرستُ فى المدارس الكاثوليكية بولاية «نيويورك»، ولكنها تركت انطباعاً سيئا فى نفسى، فدرست البوذية والهندوكية، وبعض الديانات الوثنية، ولكنى لم أطلع على الإسلام طوال هذه المدة، فقد كان من السهل الاطلاع على كل الأديان فى أمريكا، ماعدا الدين الإسلامى... ويرجع ذلك إلى سببين:

أولهما: أن المؤسسات اليهودية هى التى تتحكم فى جميع وسائل الإعلام، من إذاعة، وتليفزيون، وصحافة، وغيرها.

ثانيهما: أنه حدث أن تحول قسم دراسى بأكمله إلى الإسلام، وذلك يمثل تحولاً خطيراً».

ثم عاد «فارض» لبيان كيفية اكتشافه بالفطرة للإسلام ومدى اقتناعه به، فيقول:

«بعد أن نظرت فى الأديان الأخرى، لم أجد ما يشفى روحى، فتوجهت إلى الله أن يوفقنى ويهدينى.. وما لبثت أن اتخذت بالفطرة هيئة السجود التى يعرفها المسلمون فى صلاتهم... وشعرت فى هذا بالتسليم المطلق لهذه القوة العليا.... وكنت كلما شعرت بالحيرة أتجه إلى الله بمثل هذه الصورة، حتى رآنى بعض الناس، فأخطرونى أن ما أفعله هو نفس ما يقوم به المسلمون فى صلاتهم... فبدأت أقرأ عن الإسلام بعين باحثة لَعلىِّ أجد فيه ضالتى... فوجدت فى بساطته عمقاً ودقة.. ومن تلك الكتب كتاب بعنوان «الإسلام تحت المجهر» للأستاذ حمودة عبد العاطى..

ثم قرأت ترجمة لمعانى القرآن الكريم[1]، فوجدت فى القرآن تعبيراً دقيقاً عن أعماق نفسى، وصورة مطابقة لفطرتى التى تذكرتها وأنا أتدبر فى معانيه».

واستطرد مرة أخرى ليقول:

«عندما كنت صغيراً تعودتُ الذهاب إلى الكنيسة لأعترف «للأب»[2]. ببعض الخطايا، لكنى أحسست وقتئذ أن هذا أمر غير طبيعى، واتجهت إلى الله مباشرة، قائلا له: إنك لا تحتاج إلى قسيس يقف بينى وبينك، لأعترف لك بذنوبى...

وبعد ذلك كنت كلما أردت أن أتوجه إلى الله، توجهت إليه مباشرة بدون واسطة قسيس».

(١) ترجمة معانى القرآن: ليوسف على.

(٢) يقصد القسيس.

وأشار بأصبعه مؤكداً أن الله قد خلقنا على الفطرة، ولكن الآباء ورجال الأديان هم الذين يوجهوننا توجيهاً آخر..

وتابع «فارض» حديثه ليبرهن على ذلك بما كان منه شخصيّاً فقال:

«وزادت قراءاتى للقرآن، وتشبعت به، وشعرت بالسعادة لأننى وجدت فيه تلبية لكل حاجاتى الروحية.... فالواقع أننى شعرت أنه كلما قرأت عن الإسلام ازددت يقيناً بهذا الدين، واكتشفت العديد من جواهر هذا الكنز الذى كان مختفياً عن نفسى... ويكفينى أنه فى الوقت الذى اعتبرنى فيه المجتمع ناجحاً غاية النجاح، كنت أشعر بينى وبين نفسى أننى محطم فاشل...

أما بعد أن اعتنقت الإسلام، فإن هذا المجتمع ـ للأسف ـ ينظر إلىَّ نظرته إلى الرجل الفاشل، فى الوقت الذى أعتبر نفسى فيه بلغت غاية من أقصى غايات النجاح».

ويختتم حديثه وقد اتسعت ابتسامته حتى استغرقت وجهه كله وهو يقول:

«قد سمعت والدتى عن الإسلام فآمنت به، وتبعتنى فيه... وإذا كان لى حديث بعد ذلك فلأخوانى المسلمين، فإننى أرجو لهم أن ينظروا إلى ما فى أيديهم من الدين الحق، وأن يتمسكوا به، ويحرصوا عليه، بدون أن ينظروا إلى الحياة المادية الزائلة التى يبثها الشيطان.... وبدلا من أن يستمعوا إلى موسيقى الجاز والروك أندروك[1]، عليهم أن يستمعوا إلى صوت المؤذن وهو يناديهم «الله اكبر.. الله اكبر.. حى على الصلاة.. حى على الفلاح»[2].

* * *

(١) إنه يتحدث من منطلق أنه كان من الوسط الفنى الذى ينشغل بأوجه اللهو والطرب.

(٢) مجلة الوعى الإسلامى.. عدد أكتوبر ١٩٧٠ (بتصرف).

الفصل الثالث

نماذج حياة .... وأمثلة موجزة

* عالم إنجليزى يقول لتلميذه المسلم: «... إن رسولكم محمداً - وهو الأمى - لا يمكن أن يأتى بهذا الكلام من ذات نفسه، ولا أن يكون القرآن من تأليفه..».

* عالم فرنسى يقول: «.... لقد تتبعتُ كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بعلوم الطبيعة وغيرها فوجدتها تنطبق علي معارفنا الحديثة.....».

* أسباني يعتنق الإسلام ويحسن إسلامه لدرجة أنه يؤلمه أن يرى بعض المسلمين لا يطبقون تعاليم الإسلام.

* فرنسى يعبر عن سعادته بإسلامه فيقول: «إنني أشعر بالغبطة الكاملة فى ظل عقيدتى الجديدة، وأعلنها مرة أخرى: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله».

* يونانى عجوز يصرح بعد اعتناقه الإسلام بقوله: «لقد تنازلت عن كل أموالى وممتلكاتى للفقراء والمحتاجين بعدما وجدتنى أتمتع بأكبر ثروة منحها الله لى، ألا وهى ثروة الإيمان بالإسلام ديناً».

* عالم إنجليزى يصرح قائلا: «من العجيب أننى آمنت بالإسلام من هذه الكتب التى تطعن فيه.. وأخذت بعدها اتصل بعلماء المسلمين كى ازداد معرفة بالإسلام ومبادئه وأحكامه».

* ....وآخرون.

نماذج حية .... وأمثلة موجزة
لعدد من الشخصيات المسلمة

هذه أمثلة حية نستعرضها كنموذج يرمز لمدى تأثير الإسلام فى نفوس حية تعرفت عليه من خلال سلوكيات أشخاص مسلمين ملتزمين بمنهجه..... ونكتفى ببعض تلك الأمثلة ضمنياً بدون إطناب فى تفاصيل أو استطراد فى ملابسات اعتناقهم للإسلام... من تلك النماذج:

* عالم إنجليزى من أساتذة الفلك فى إحدى جامعات إنجلترا، رغب فى الإسلام بقدوة صالحة يراها من تلميذه المسلم الهندى، ثم زميله فى المهنة فيما بعد.... ذلك أن هذا المسلم كان يتحين الفرص ليقرنها باستشهاد قرآنى، أو أحاديث نبوية على كل موقف عميق يمر.

وفى يوم من الأيام، كان هذا العالم يجرى بحثاً عن ظاهرة تغير الألوان فى الجبال، وهل للظواهر الكونية دور فيها، وطالت به التجارب وتعددت الأبحاث، فاستعان بزميله الهندى المسلم، الذى ترجم له ـ وهما يفحصان أنواع الصخور المتباينة الألوان، والمتغايرة فى الشكل والحجم ـ معنى قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ

وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[1].

فاستعاد منه هذا العالم المعنى ثلاث مرات، وفى كل مرة يقف قليلاً لاستجلاء المعنى. . . وبعد برهة من الصمت قال: «لقد علق بأذهاننا ـ نحن أبناء الغرب ـ عن دينكم الإسلامى أشياء كلها إفتراء، لأننا نأخذ عن مصدر واحد، ولا نأخذ عن المصدر الآخر الإسلامى. . . . . . . أما من واقع ما سمعت فإن رسولكم محمداً، وهو الأمى، لايمكن أن يأتى بهذا الكلام من ذات نفسه، ولا أن يكون القرآن من تأليفه، كما تُصَوِّرُ لنا الدراسات الغربية عنه، فهذه المعانى لايستجليها إلا من أفنى عمره فى الدراسة والبحث العميق».

ثم بعدها بدأ دراساته عن الإسلام والخوص فى غماره حتى أسلم عن اقتناع وعلم.

* أحد البَحَّارة، كان يساعده فى عمله بحارٌ مسلم من اليمن، وأفنيا زهرة شبابهما فى لجج البحار. . وفى أثناء تلك الفترة كثيراً ما كان يرى هذا المسلم مداوماً على صلاته وعبادته، وكان هو يسخر منه أحياناً، ويلمزه أحياناً أخرى. . . . لكن هذا المسلم استمر فى عمله وعلاقته بربه، غير عابئٍ به، مادام لم يحاول منعه من أداء فرائض دينه. . . .

وتمر الأيام، وتشاء إرادة الله أن يكتنف الموج هذه السفينة الصغيرة، وتحتويها لججه العاتية، فيتيقن البحارُ ومن معه بالهلاك، ويلجأ إلى مساعدة البحار المسلم بتضرع وخنوع، ليصلى لله ركعات وقت الشدة، لأنه طالما كان معه فى الرخاء، لعل الله أن ينقذهم مما هم فيه من البلاء.

(1) سورة فاطر: الآيتان ٢٧، ٢٨.

ويتجه البحار المسلم إلى ربه متضرعاً أن ينقذهم مستعيناً بآية طالما رددها فى المواقف المماثلة، مسترشداً ومستشهداً، وهى قوله تعالى:

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾[1].

وتشاء أقدار الله تعالى أن يتبدد الخطر بسكون البحر وهدوء أمواجه، وتنقشع الظلمات... ويلتفت هذا البحار إلى مساعده البحار المسلم ليبدأ حواره معه، مستوضحاً عن نظرة الإسلام فى مثل هذه الظاهرة، فشرح له مدلول الآية الكريمة، فوقف البحار واجماً وقال: «هل كان محمد بحاراً؟». قال مساعده: لا.... قال: هل ركب البحر فى حياته؟.... قال: لا.. قال: وكيف يأتى بمثل ذلك المشهد الذى لم أره متجلياً فى حياتى العامرة بخوض البحار إلا هذا اليوم الذى أجد القرآن يتحدث عنه من واقع المشاهدة؟!

قال: «هذا من أسرار عظمة الإسلام، وعالمية القرآن».

وكان هذا المشهد مدخلاً مباشراً لاعتناق هذا البحار للإسلام عن قناعة وفهم[2].

* ومثال ثالث لطبيب يعتنق الإسلام، لأن العملية التى أجراها فى القلب لمريض نجحت ١٠٠٪، وبعد زوال الخطر تحدث مضاعفات ينتج عنها تدهور مفاجئ يؤدى إلى وفاة المريض..

(١) سورة النور: الآية ٤٠.

(٢) ومن هنا يتحدد دور الفرد المسلم، بأن يجعل من نفسه القدوة، وأن يستشعر المسئولية، فيكون مثالياً أولا بالقدوة والعمل فى التطبيق والمنهج، ومتى بنى القاعدة التى تنطلق منها هذه المسئولية الكبرى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾. (سورة آل عمران: من الآية ١١٠).

ثم يجرى عملية أخرى فى القلب، وهو مقتنع بأن الأمل فى حياة المريض لايعدو (١:٥٪) من جراء مؤشرات نتيجة هذه العملية... لكنه يُفاجأ بتحسن المريض يوماً بعد يوم ويُعافَى... ويصارح مريضه بمخاوفه التى استولت عليه من فشل العملية الجراحية التى أجراها له وتعرض حياته للخطر....

فما كان من مريضه المسلم إلا أن يبتسم فى هدوء وسكينة، ثم يخبره بثقة وإيمان أن الأعمار بيد الله، وأن الطبيب ليس له دور فى تحديدها بمدها أو تأخيرها أو تقصيرها وتعجيل أمدها.

وينظر الطبيب إلى مريضه المسلم الذى تماثل للشفاء ، فيؤمن بهذا الدين الذى يعطى كل هذه الطاقة من الثقة والإيمان بالله.:.. وتكون فاتحة دخوله فى الإسلام على يد مريضه المسلم.

* وآخر يدخل الإسلام لما رأى من تآلف المسلمين فى زيارة المرضى، حيث كان ينام معه فى غرفة المستشفى مريض مسلم، فاستغرب من كثرة زائريه على مختلف جنسياتهم.

* ومثال العالم «تاجاثات تاجاش» الذى يعد من أكبر علماء العالم فى علم التشريح.. عندما كان يتحدث عن الأعصاب، وكيف أنها موجودة تحت الجلد مباشرة، بحيث إذا احترق الجلد انتهى الإحساس بالألم تماماً ـ وكان ـ ذلك فى أحد المؤتمرات العلمية العالمية..

ولما عرض عليه بعض العلماء المسلمين قول الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾(١).

---

(١) سورة النساء: من الآية ٥٦.

تعليق: لقد كان فى تاريخ الذين دخلوا الإسلام عبر وعظات، فقد اخذتهم اخلاقُ المسلمين واسَرَتْهم ـ

قال: أهذا الكلام قيل منذ أربعة عشر قرناً....؟ .... قالوا: نعم...

قال: «إن هذه الحقيقة لم يعرفها العِلم إلاحديثاً، ولا يمكن أن يكون قائلها بشراً، بل هى من عند الله سبحانه.

لقد حان الوقت لى لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

* أَشْهَرَ طبيبٌ إثيوبىٌّ نصرانيٌّ إسلامه فى الخرطوم ـ العاصمة السودانية ـ بعد معايشته للمسلمين فى السودان... وحينما سُئل عن سبب إسلامه قال:

«لقد اكتشفتُ أن القساوسة كانوا يمدوننا بمعلومات كاذبة ومشوهة عن الإسلام والمسلمين، وخاصة عن النبى محمد ﷺ ».

* * *

* وأَشْهَرَ رجلُ الأعمال الأمريكى «فرانك جان بويك» إسلامه أمام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بالقاهرة، بعد أن عاش فى قلق نفسى نحو ثلاثين عاماً قضاها فى ظل اعتناقه للدين المسيحى، وحينما سُئل عن سبب إسلامه أجاب قائلا:

« لقد وجدتُ نفسى من جديد فى ظل عقيدة التوحيد الخالص.. هذه العقيدة التى تعطى الفرد شخصيته واستقلاله العقلى والوجدانى، وتدفعه فى الوقت نفسه إلى العمل وتجويده والإتقان فيه».

= سُلوكياتهم، وشدتهم مثاليات الإسلام واتساع أفقه وشموله إلى ترك ماهم عليه من معتقد ودين، والانضواء تحت راية الإسلام عن اقتناع وفهم... ونحن فى العصر الحاضر لنا احتكاك ومعاملات مع فئات مختلفة من البشر فى شتى أصقاع الأرض على اختلاف مستوياتهم ومللهم.. ودورنا أن ندخل مع هؤلاء فى معاملاتهم من منطلق عقيدتنا ونتحمس لها.

ثم أضاف يقول فى سعادة غامرة:

«لقد تعرفت على الإسلام من خلال احتكاكى ببعض المسلمين الموجودين فى أمريكا، ثم قرأتُ بعضَ آيات من القرآن الكريم وبعض المؤلفات الإسلامية، فاقتنعتُ بالإسلام كعقيدة وشريعة قادرة على تنظيم العلاقات الإنسانية، وفضلاً عن ذلك كله فالإسلام أقرب الأديان للعقلية الإنسانية، وأقدرها على قيادة البشرية نحو الخير والسعادة».

* * *

* كما أَشْهَرَ مؤرخٌ هندىٌّ إسلامه أخيراً بعد أن درس دين الإسلام بعمق واستفاضة، واقتنع بأنه الدين الحق... إنه المؤرخ الشهير «بانديتا فينود كومار» الذى تسمى باسم «محمود سيم كومار».... ويعبر عن مشاعره بعد اعتناقه للإسلام فيقول:

«لقد شعرت بالراحة والهدوء النفسى والاطمئنان بعد أن أشهرت إسلامى».

ثم يعود ليضيف مؤكداً معانى كلماته تلك:

«لقد بدأت أتذوق طعم الحياة الروحية الخالصة فى ظل الإسلام.. كما بدأت أدرك أنه لا أَحَدَ يستطيع ادِّعَاءَ القوة فى هذا العالم، فالقوة والعظمة لله وحده».

* * *

* بعد أن اعتنق العالم الفرنسى «جرينيه» الإسلام، سُئل عن سبب إسلامه فأجاب بقوله:

«... لقد تتبعتُ كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بعلوم الطبيعة والصحة وغيرهما، فوجدت أن هذه الآيات تنطبق انطباقاً شديداً على معارفنا الحديثة.. عند ذاكَ شرح الله صدرى للإسلام، لأننى أيقنت أن محمداً ﷺ قد جاء بالحق المبين منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، قبل

أن يكون هناك معلم أو مدرس من البشر، ولو أن صاحب كل علم من العلوم، أو فن من الفنون، قارن كل آيات القرآن بما تَعَلَّمَ مقارنة جيدة ـ كما قارنتُ أنا ـ لأَسْلَمَ بغير شك، إنْ كان عاقلاً خالياً من التعصب»[1].

* كما سُئل عالماً ألمانياً فى محفل علمى عن سبب إسلامه فأجاب:

«دعانى إلى الإسلام تلك الآية الجليلة من سورة القيامة: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾[2].

. . . هذه الآية تشير إلى بصمات الأنامل. . والكشف عن حقيقة هذه البصمات لم تكن تعرفه أوربا، فضلاً عن العرب، إلا فى عصرنا هذا، مما يدل على أن القرآن مُنَزَّلٌ من عند الله، وليس من كلام البشر، فما كان العرب ومن عاصرهم يدرك المعنى الحقيقى لهذه الآية»[3].

* * *

* يقول ا.ج. براون أستاذ تاريخ الأدب الفارسى عن سبب اعتناقه للإسلام: كانت قصيدة «هاتف أصفهان» هى أول ما أثر فى نفسه، لأنها تعطى صورة رائعة لروح حائرة قلقة ثائرة تبحث عن معنى رفيع للحياة،

---

(١) أوربا والإسلام: الدكتور عبد الحليم محمود.

(٢) سورة القيامة: ٣، ٤.

(٣) بالمناسبة نحيل القارئ إلى ماكتبه الطبيب الفرنسى «موريس بوكاى» فى كتابه «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم» وهو دراسة لهذه الكتب فى ضوء المعارف الحديثة.

وقد انتهى المؤلف فى دراسته إلى أن التوراة والإنجيل الموجودين بيننا الآن، قد دخل عليهما التزييف والتحريف، فلا يكاد ماورد فيهما من موضوعات ـ عن الكون والحياة، وخلق الأرض بالإضافة إلى الفلك والتاريخ يتفق مع طبائع الأشياء، ولا مع نواميس الكون وحقائق العلم، لأنهما قد كتبتا بعد موسى وعيسى عليهما السلام بأمد طويل، ولعبت فى كتابتهما الأقلام المغرضة لتشترى بذلك ثمناً قليلا كما أشار القرآن إلى ذلك فى قوله تعالى:

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مماكتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [سورة البقرة: الآية ٧٩]

فوجد نفسه نموذجاً مصغراً لها فى بحثها عن الحقيقة. . . وبرغم أنه كان له رأى مخالف فى بعض أبياتها، فإنه خرج منها بالحقيقة العظيمة الرفيعة: أن الله واحدٌ، ولا شئ سواه، وأنه لا إله غيره. . .

وتساءل فى نفسه: لماذا أميل إلى الإسلام؟ ولماذا لا أتمسك بدينى الذى وُلدت عليه؟

فوجد الإجابة كما يقول: قابعة فى صلب السؤال نفسه. . . فالإسلام كما فهمه يعنى أن يكون المرء متفقاً مع نفسه، ومع العالم، ومع الله. . أى أنه يتضمن التسليم بإرادة الله.

ولكن إضافة على ذلك عندما درس القرآن أدرك أن للأسلوب القرآنى جماله وروعته وجلاله. . وهذا ما لا يتوافر لأساليب ترجمته إلى لغات أخرى. . . فيشير إلى بعض نصوص آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾(1).

ثم يستطرد قائلا:

«إن الإسلام هو وحده الدين الخالص، الذى لم يتطرق إليه الخرافات والأساطير كما حدث فى أديان أخرى. . وإن المسئولية الشخصية أساس المحاسبة الأُخروية. . ولهذا يقول تعالى:

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(2).

* * *

(1) سورة الفجر: الآيات من ٢٧ ـ ٣٠.

(2) سورة الأنعام: من الآية ١٦٤.

* «أوكالو أوجوال» [جمال عبد الناصر]:

كان وثنيّاً لا يعرف عن الأديان ولا عن الرسالات شيئاً... سمع فى بلده أوغندا عن دين يُسمى بالإسلام يدعو إلى دين الفطرة.. فطرة الله التى فطر الناس عليها... وأن هناك بالقاهرة مؤتمراً لأبناء العالم الإسلامى يسمى «مؤتمر أبى بكر الصديق للشعوب الإسلامية» سينعقد خلال بضعة أسابيع.. فحضر إلى القاهرة يسأل المسئولين عن هذا المؤتمر.. وبالفعل تمكن من حضور المؤتمر وسمع فيه تكبير ألف شاب وشابة من أبناء الإسلام يرددون: «الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، محمد رسول الله»... فدهش «أوجوال» لما رآه من حَشْد لم يكن يدور بخلده أن مؤتمراً مثل هذا يجمع ممثلى سبعين شعباً إسلاميّاً يلتقون على صعيد واحد فى مؤتمر واحد ليتعارفوا ويتآلفوا ويتحابوا فى سبيل الله!! وتساءل: ما الذى يربطهم بهذا الرباط الوثيق على اختلاف ألسنتهم وأجناسهم وألوانهم؟!

وتلاحقت الأسئلة فى نفسه.. الإسلام.. ماهو؟... ماهى مبادِئُه؟

وكما تلاحقت الأسئلة فى نفسه تلاحقت الأجوبة التى عبر عنها قائلا:

«وجدتُ الإسلام ديناً واضحاً.. دينَ يُسر وتسامُح.. ديناً صحيحاً.. فهو يعترف بوجود إله واحد...وجدتُ فى الإسلام الرحمة، فالقرآن الكريم كما علمت يحض على مساعدة الفقراء والمحتاجين.... وجدت فى الإسلام اعترافاً صريحاً بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، خاتم الأنبياء والرسل أجمعين.... وجدت فى الإسلام سماحته وعدله.. بساطته ووضوحه.. حضه على المساواة والإخاء، والمحبة والسلام.... وجدت فى الإسلام مبدأً عظيماً، هو عدم التفرقة بين المسلمين، لا فَضْلَ لأبيض على أسود، ولا لِغنيٍّ على فقير، ولا لعربى على غير عربى، فالكل أمام الله سواسية، لا يتميزون إلا بالتقوى

والصَّلاح.... كل هذه الأمور عرفتها ووجدتها فى الإسلام، فاقتنعت بها «دون احتياج لشرح طويل، فهى حقيقة واضحة».

ثم أردف قائلاً: لولا هذه الأهداف السامية لَمَا كان لوَثَنِيٍّ مثلى أن يقنعه الإسلام، ولولاه لَمَا كانت حياتى تغيرت، إننى أعلن بقوة أن من كان كافراً وعاش فى هذا المؤتمر لاعتنق الإسلام بعد فترة قصيرة، لأنه سيرى الإسلام فى أنبل صُوَره، وأجمل معانيه، وسيعتنق الإسلام كما اعتنقته، لأنه سيرى فى هذا المؤتمر صورة مصغرة للمجتمع الإسلامى الصحيح الواضح القوى[1].

* * *

* **أحمد شيبانجو** شابٌ يبلغ من العمر واحداً وعشرين عاماً.... نشأ فى كنف أسرة مسيحية، حيث يعمل والده راعياً لكنيسة فى «كينشاسا»[2]...

أعلن إسلامه منذ عامين بعد أن درس الإسلام واقتنع به.... ويذكر سبب هذه القناعة فيقول:

«أنى وجدت فى الشعائر الإسلامية وضوحاً وبساطة تتفق مع ما أحس به فى وجدانى الداخلى.. وقد أسلمتْ زوجتى معى وسمَّتْ نفسها «فاطمة الزهراء»... وغيرتُ أسماء أولادى إلى «أحمد» و «محمود» و«خديجة»[3].

* * *

* **البروفيسور «جاناتا جانس»** من علماء تشريح الأجنَّة المعدودين فى العالم...أعلن إسلامه بعد أن وجد أن ماورد فى القرآن الكريم من وصف لحالة الجنين فى الرَّحم منذ النطفة حتى يخرج إنساناً قد رآه مطابقاً لما يقضى

(١) ينبغى الاهتمام بالمؤتمرات الإسلامية، ويُدْعَى لها شباب العالم، ولا يُكْتَفَى بالشباب المسلم، ولنا من قصة إسلام هذا الشاب الذى نحن بصدده مثالٌ طيب، وكيف أثر فيه المؤتمر لدرجة أنه يعتنق الإسلام، فضلاً عن أن التجمع الإسلامى الشبابى، يساعد على تقارب وجهات نظرهم وأفكارهم، وإعادة نظرهم فى معتقداتهم التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم.

(٢) عاصمة زائير.

(٣) الإسلام والمسلمون فى زائير [صحيفة الأهرام الصادرة فى ٨ / ٦ / ١٩٨٤] (بتصرف).

به العلم التجريبى، المستند إلى المختبرات ، وغيرها من الأجهزة الحديثة المتقدمة فى هذا المجال!

* * *

*** «محمود جونار إيريكسون»**

مواطن من السويد، كان له صديق مسلم عرض عليه أن يقرأ القرآن، فحصل على نسخة مترجمة إلى اللغة السويدية قد استعارها من إحدى المكتبات العامة، والتى كان عليه أن يردها بعد أسبوعين، ولذلك كرر استعارتها مرات ومرات... وكان كلما عاود القراءة ازداد اقتناعه بأن ما فى هذا القرآن هو الحق.. إلى أن كان أحد أيام شهر نوفمبر عام ١٩٥٠، فأعلن اعتناقه للإسلام..

وعن سببه إسلامه يقول:

«إن ما أعجبنى فى الإسلام هو أسلوبه المنطقى، فهو لا يطلب منك الإيمان بشئ قبل أن تدركه وتعرف أسبابه، مثل دعوته إلى إلايمان بوجود الله، والقرآن الكريم يعطينا من الأمثال عن ذلك ما لا يترك مزيداً لمستزيد.. كما أعجبنى فى الإسلام عالميته.. فالقرآن الكريم لا يحدثنا عن الله على أنه رب العرب أو أى شعب بذاته بين الشعوب، بل على أنه رب العالمين، فى حين تتحدث الكتب السابقة عن «إلـه بنى إسرائيل» وما إلى ذلك، وفوق هذا فإن الإسلام يأمرنا بالإيمان بجميع الرسل، سواء منهم من ذُكِرَ فى القرآن أومن لم يَرِدْ ذكره».

ثم يختتم كلامه ـ وهو يبدى عجبه بما وجده فى الكتب السماوية من نبوءات عديدة تشير بغير أدنى شك إلى بعثة محمد ﷺ ـ فيقول:

«حقاً، لقد صدق القرآن الكريم حين قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1].. كما صدق القرآن حين قال: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[2].

* * *

نماذج مختلفة لعدة بلدان:

* أما عن **«إسلام توماس محمد كلايتون»** فهو رجل من الولايات المتحدة الأمريكية.

رأى رجلاً مسلما يترنم بالأذان للصلاة.. وكأنه يوجه ترنيماته الشجية إلى السماء: «الله أكبر.. الله أكبر...» ويهرع الناس من كل مكان إلى مصدر هذا النداء.. ثم رآهم يقفون خاشعين لله فى صفوف متراصة لا اختلاف بينهم، برغم اختلاف أعمارهم ومراكزهم الاجتماعية.. كأنهم انصهروا فى بوتقة واحدة... فترك ذلك فى نفسه أروع الأثر، فلم يملك إلا أن يكون مثلهم، فيشهر إسلامه...

ولما أسلم قال: «مازلت أجد نفسى أستيقظ فى منتصف الليل[3] لأنصت من جديد إلى ذلك الصوت الشجى الأخّاذ، ولأرى من جديد ذلك الجمْع من الناس الذين تبدو عليهم مسحة الفضيلة الحقة متوجهين من أعماق قلوبهم إلى ربهم وخالقهم».

* * *

* وأما **«ب. دافيس»** فهو من إنجلترا، عاش حالة من الحيرة التى صارعته، وتنقل من جرائها إلى دراسات الأديان والمذاهب الفلسفية، فلم يجد راحة واطمئناناً فى ذلك كله.. فقد كان ينشد عقيدة خالصة من السماء.

---

(١) سورة المائدة من الآية الثالثة.

(٢) سورة آل عمران من الآية التاسعة عشرة.

(١) يقصد وقت أذان الفجر.

وحدث ذات يوم أن رأى فى أحد أكشاك باعة الصحف مجلة باسم «الشئون الإسلامية» فيقول:

«لا أدرى ما الذى حفزنى إلى دفع مبلغ شلنين[1] ونصف الشلن ثمناً لمجلة تبحث فى عقيدة قال له عنها المسيحيون والشيوعيون وغيرهم: إنها عقيدة تافهة، وإنه لا يؤمن بها غير سفاكى الدماء وقُطاع الطرق؟!... ولكننى - على أى حال - قد اشتريتها وقرأتها.. ثم قرأتها عدة مرات، فوجدت الإسلام يشتمل على كل مايتصوره المرء من خير وسعادة لا توجد فى المسيحية أو غيرها.... ولم تمض سوى أشهُرٍ قليلة تعرفت خلالها على الإسلام، ووجدت نفسى أهتدى إليه، فأشْهَرْتُ إسلامى وأنا أشعر بالسعادة تغمر قلبى».

* * *

* «سعيد بن الحسن» كان أحد اليهود الذين عاشوا بمدينة الإسكندرية... واعتنق الإسلام بعد أن شَدَّهُ مشهد صلاة الجمعة فى أحد المساجد، وبعد أن تأمل فيه طويلاً بإمعان وتدبر، فكان له تأثيره فى تحوله إلى الدين الإسلامى.. وكان ذلك خلال فترة مرض شديد قد مَرَّ بها وشعر برغبة جارفة لأن يدخل المسجد.. وبالفعل كان له ما أراد.. فيقول معبراً عن ذلك الموقف:

«.... عندما دخلت المسجد، رأيت المسلمين يقفون صفوفاً كأنهم الملائكة.. وسمعت هاتفاً يقول: «هذه هى الجماعة التى أخبر الأنبياء - صلوات الله عليهم - بقدومها».... ولما ظهر الخطيب مرتدياً عباءته السوداء استولى علىَّ شعور عميق من الرهبة.... ولما ختم خطبته بقوله: أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون... وبدأت الصلاة، أحسست بقوة تدفعنى

(٢) عملة إنجليزية.

إلى النهوض بعد أن بدت أمامى صفوف المسلمين كأنها صفوف الملائكة الذين يتجلى الله القدير لهم فى سجداتهم..... ثم سمعت هاتفاً يهتف بى:

إذا كان الله قد تحدث مرتين إلى بنى إسرائيل فى كل العصور، فإنه يتحدث إلى هذه الجماعة فى كل وقت من أوقات الصلاة.... وأيقنت فى نفسى ـ بعدها ـ أننى خُلقت لأكون مسلماً»[1].

* * *

* أما **عبد الكريم باس** فهو مواطن أسبانى نشأ فى عائلة نصرانية محافظة بمدينة «سلامنكا» الأسبانية، وتوطدت علاقاته بأصدقاء لهم إطلاع على الثقافات الشرقية، وجدهم قد أسلموا خلال أواخر السبعينيات، وعرف من خلالهم الإسلام وطبيعة المسلمين التى كانت صورتهم مشوهة فى ذهنه، حيث يقول:

«إن المعلومات التى تلقيتُها من المدارس النصرانية فى أسبانيا هى أن المسلمين على غير حق، وأنهم أشرار وقذرون، ويعبدون الشمس، ولكننى وجدتهم على خلاف ذلك عندما زُرت المغرب لأول مرة، حيث أكتشفت أنهم يختلفون كثيراً عَمَّا كنت أسمعه عنهم، وجدت المسلمين يَتَوضَّئُون ويتطهرون، ويحرصون على العبادات التى أمرهم دينهم بها».

ووجد «انخل» ـ وهذا هو اسمه قبل إسلامه ـ أن مسألة التوحيد أساس عقيدة الإسلام تتفق مع طبيعة فكره، فيعبر عن ذلك بقوله:

«لقد كنت منذ صغرى ولله الحمد موحداً، ولكنى لم أكن أقوى على إعلان ذلك، بالإضافة إلى التلقين المستمر من الكنيسة بمعتقدات لم أرْتَح إليها.. فى الوقت الذى وجدتُ فى الإسلام ديناً يدعو إلىٰ وحدانية الله التى تميل إليها نفسى».

---

(١) الدعوة إلى الإسلام: سير توماس أرنولد (بتصرف).

ولم يجد «انخل» مفراً أمام نفسه التى آمنت بتعاليم الاسلام إلا أن يعلن إسلامه، ويتسمى باسم «عبد الكريم باس» ويحسن إسلامه، لدرجة أنه يؤلمه أن يرى بعض المسلمين يرتكبون المعاصى فى حياتهم اليومية حيث يقول:

«يؤلمنى كثيراً أن أرى مسلمين لا يطبقون تعاليم الإسلام، الذى هو دين الحق والاستقامة».

* * *

* **رءوف فوستر** [من الولايات المتحدة الأمريكية] تحدث عن عشر سنوات مضت قبل اعتناقه للإسلام، كان يقرأ فيها عن هذا الدين، كما كان يخالط بعض المسلمين السود من جامعة «أليجا محمد» ورأى فيهم من الصفات ما قربه منهم وأقنعه بصلاحية هذه العقيدة لإصلاح البشرية، فقارن بين عقيدته السابقة «النصرانية» وعقيدته الحالية «الإسلام» فقال:

«لا وجه للمقارنة بين عقيدة تؤمن بوحدانية الله، وعقيدة تؤمن بتعدد الألوهية. . . عقيدة تقدس التماثيل وتضع أصناماً لآلهتها فى الكنائس، وعقيدة تنزه إلـهها عن التشبيه، وتحرم وثنية الأصنام.

ثم إن الكنائس المسيحية ذاتها ليست واحد، فمنها ما يعطى صكوكاً للغفران، وهذا اجتراء على الله تعالى الغفور الرحيم، ومنها ما يجعل الاعتراف على يد القسيس سبيلاً إلى النجاة من عذاب الله فى حين أن القسيس بشر، وقد يكون هو فى حاجة إلى مَنْ يقوده إلى التوبة. . . . وإذا نظرنا إلى علاقة الكنائس ببعضها، فإننا نجد حرباً خفية وعلنية لاهوادة فيها، ولعل من يقرأ تاريخ أسبانيا وأوربا إبان سقوط الأندلس يجد فيه صفحات مجللة بالعار، تحكى كيف كانت الكنائس ـ وعلى رأسها البابوية ـ تدير محاكم التفتيش ضد عدد كبير من النصارى المعتدلين، بالإضافة إلى المسلمين واليهود، حيث هلك فى الفترة الواقعة بين نهاية القرن الرابع عشر والقرن

السابع عشر مئات الآلاف من الضحايا، بعضهم بالتعذيب الوحشى، وبعضهم بالحرق، وبعضهم بالشنق.. . كل هذا موجود فى صفحات التاريخ لمن يريد أن يستزيد..

أما المسلمون فكانت العدالة والمساواة فى ركاب حكمهم أينما حَلُّوا، وعلى أيديهم ازدهرت حضارة رفيعة سَمَتْ بالأُورُبيين ومهدت الطريق لنهضتهم وحضارتهم.... فكيف لا يعتنق الإنسان العاقل هذا الدين الحق؟»(١).

* * *

* «**أرماندو**» أو «**أحمد عمر**» الفلبينى.... جاء من الفلبين ليعمل فى الكويت التى تعرف فيها على الإسلام حقيقة وجوهراً على حد قوله... وبرغم أنه مسيحى كاثوليكى فإنه كان يبحث دائماً عن طريق يقربه للخالق عز وجل، ولم يجد هذا إلا فى الإسلام... وعندما سُئل: ألم تجد ضالتك فى ديانات أخرى؟

أجاب بالنفى القاطع:

«إطلاقاً، لقد نشأتُ فى بيئة مسيحية، وكلما ازداد نضجى زادت الأسئلة برأسى، فأنظر إلى السماء بحثاً عن إجابة لها، ولكن بدون جَدْوَى، فهذا الكون لابد له من خالقٍ... وعندما حضرت إلى الكويت عام ١٩٨٦، وهذا بتدبير من الله، وجدت إجابات لكثير من الأسئلة التى شغلت تفكيرى، وكان أول مالفت نظرى صلاة المسلمين، والأذان: «الله اكبر.... لا إله إلا الله....» سألتُ عن معناه، ولماذا يسجد المسلمون فى صلواتهم، وعلمت أنهم يسجدون لربهم فاطر السموات والأرض...».

ويصمت برهة ليلتقط أنفاسه من حرارة حماسة كلماته ليعاود قوله:

---

(١) مجلة منار الإسلام، فى عددها الصادر فى أبريل سنة ١٩٨٥ (بتصرف).

«لقد كانت فى نفسى أسئلة كثيرة حول الإسلام، أدركتُ بعد العثور على إجابات لها من القراءة والملاحظة أننى وجدتُ ضالتى، فأشهرت إسلامى».

* * *

*** فؤاد عطا الله موسى [محمد المهدى فؤاد]:**

من «مصر» نشأ فؤاد عطا الله موسى من أبوين مَسِيحِيَّيْنِ.. كان له أصدقاء من طلبة الجامعة يُحادثهم فى كثير من الأمور، ومن ذلك أمْر الدين، حتى كان اليوم الذى تناقش فى طويلا عن الشريعة الإسلامية، شعر بعدها بإحساس غامض يجذبه للإسلام.. ساعده فى ذلك مَيْلٌ فطرى فى نفسه إلى سماع أذان الصلاة.... فيروى لنا قصة إسلامه قائلاً:

«كنت أُجالس بعض أصدقائى فى بلدتى من طلاب كليات الأزهر الشريف نتناقش فى أمور كثيرة، ومنها مبادئ الشريعة الإسلامية، فاقتنعت بأصالة الإسلام وكماله.... وبدأ قلبى يتفتح لهذا الدين الحق.. نعم، مال فؤادى إليه، وخصوصاً عندما أسمع المؤذن يؤذن لصلاة الفجر.... ثم أسمع بعد ذلك دقات جرس الكنيسة المجاورة لمنزلى فأقارن بين هذا وذاك.... فأجد فرقاً كبيراً.... فالأذان يشد النفس بألفاظه الجميلة.. ونداءاته التى تجلجل فى هدوء الليل، فتوقظ النائم لكى يلبى نداء ربه...».

ثم أردف يقول:

«نعم.. كان الأذان هو الذى هدانى إلى البحث والمقارنة بين دينى المسيحى والإسلام، فطرقت باب أخ كريم فى كلية الشريعة، وعرضت عليه فكرة إسلامى، وطلبت منه توجيهى إلى الطريق السليم لإشهار إسلامى، وذلك بعد أن شرح لى أركان الإسلام ومبادئه وأحكامه، فآمنت به أكثر».

ثم عاد يؤكد كيف كان للأذان سحره البالغ فى نفسه الذى شرح الله به صدره للإسلام:

«لقد كان فى هذا الأذان الذى كنت أسمعه خمس مرات فى اليوم عظمة الله وجلاله.. حقيقة له معنى سأم فى النفوس لا يوجد فى دقات جرس الكنيسة بما فيها من غموض، وقد كنت أسأل نفسى عنها: ماذا تعنى؟

نعم إنه فارق كبير.. جعلنى أبحث عن الحقيقة حتى اهتديت، فسرت فى طريق الهدى، فأحمد الله الذى أخرجنى من الظلمات إلى النور... الآن أشعر بأننى خلقت من جديد».

* * *

*** عبد الرحمن توراز الذى كان يدعى (كليمان):**

حفيد «توراز» مؤسس الحزب الشيوعى الفرنسى.. يبلغ من العمر ٢٧عاماً... تنفرج أسارير وجهه وهو يتحدث عن رحلته إلى الاسلام فيقول:

«إن أصدقائى المسلمين كان لهم دور فى قرار دخولى فى الإسلام، بجانب دراساتى لكل الأديان الأخرى التى بحثت فيها بعمق، وكانت النتيجة التى خرجت بها أنه لا شئ غير الإسلام».

ثم يصمت برهة ليستطرد موضحاً مايعنيه بقوله:

«إن للإسلام ثلاثَ ميزات تتمثل فى البساطة والوضوح والتوافق مع طبيعة الإنسان.... فلا توجد حواجز بين المسلم وخالقه.. وأن مبادئ الإسلام بسيطة، وأحكامه سهلة ميسورة التطبيق، فضلاً عن ذلك يتميز الإسلام بتوافقه لطبيعة البشر، وتجاوبه مع رغبات الإنسان المادية والروحية.. وهذه معادلة محكمة عجيبة لا توجد فى غيره من الأديان».

ويشير بيده وهو يعرب عن ارتياحه البالغ لتزايد المسلمين فى بلده فرنسا فيقول: «لقد بلغ عددهم نحو أربعة ملايين ونصف مليون مسلم، وذلك

يبعث الأمل فى النفوس، حيث يتجلى بوضوح أن الإسلام بعد أربعة عشر قرناً مازال جديداً متجدداً»[1].

* * *

*** إبراهيم فو (من الملايو) :**

يتحدث عن نفسه قبل إسلامه فيقول:

«كنت مسيحياً كاثوليكياً، ولكننى لم أكن مقتنعاً بعقائد التثليث، والعشاء الربانى المقدس، والتكريس والتقديس، وما إلى ذلك من الأمور الغامضة، إلا أننى لم أفقد إيمانى بالله الواحد الأحد... يكفى أنه لم يكن فى استطاعة أى قسيس كاثوليكى أن يقنعنى منطقياً بهذه العقائد الغامضة، وكان قولهم التقليدى: «إنها أسرار، وستبقى أسراراً، وأن عيسى هو خاتم الأنبياء، وما محمد إلا دَجَّال!».. ولم يلبث أن يعقب بقوله «معاذ الله».

وعن كيفية تعرفه على الإسلام واعتناقه قال:

«خالطتُ كثيرين من مسلمى «الملايو» وتحدثتُ معهم عن الدين ـ بعد أن تضاءل إيمانى بدينى الذى أنا عليه ـ وكان الجدل يدور بيننا بغرض استعراض الحقائق.. وبمرور الوقت ازداد اقتناعى بأن الإسلام هو دين العقل والحق... يكفى أن العبادة لله دون سواه، فلا ترى فى المساجد صوراً أو تماثيل أو لوحات..

ثم يهز رأسه قائلا: «إنها الصلاة فى المساجد أو فى أى مكان آخر، هى التى ملكت علىَّ قلبى».

* * *

(١) مجلة الضياء فى عددها الصادر فى فبراير ١٩٨٩ (بتصرف).

* ج. و. لوفجروف [من إنجلترا] :

كان يرد على المتسائلين عن سبب اعتناقه للإسلام قائلا :

«إنه الدين الوحيد الذى لا يشوبه الغموض فى حين أن الديانات الأخرى يكتنفها كثير من الغموض، لم نعرف عنها إلا روايات متناثرة، تضم قليلاً من المبادئ الأخلاقية، وسيرة أصحاب رسالتها غير واضحة، مما لا يساعدنا على استقراء تعاليمهم على ضوء أعمالهم وتصرفاتهم.

أما الإسلام فهو على نقيض ذلك تماماً. . إن أحداً لم يستطع أن يشك فى ثبات مراجعه على أصولها. . فالقرآن الذى بين ظهرانينا اليوم هو نفسه القرآن الذى كان على عهد الرسول ﷺ . . وسُنة الرسول من فعلٍ أو قَوْل. والتى تُعَدُّ بياناً للقرآن وتفسيراً لأحكامه، وصلت إلينا على نقائها الأول».

ثم يضيف قائلا: «لقد وجدتُ فى القرآن والسنة شفاءَ النفس، وماكنت أبحثُ عنه فيما سواهما كان عبثاً».

ويستطرد أكثر فيقول: «كنت أبحث عن دين عمليّ بسيط، خالٍ من الفلسفات المعقدة، يقنعنى بالعقل والمنطق، فوجدته فى الإسلام الذى وضع المبادئ موضع التطبيق العملى، فلبى حاجة الناس إلى المبادئ وأمثلتها التطبيقية لمواجهة أمور دنياهم من حاجات دائمة، أو عوارض طارئة، وذلك فى توجيهات تهديهم إلى الطريق الصحيح. . ولذا فإنه الدين الباقى ما بقى التاريخ».

* * *

* ت. هـ. مكباركلى [من إيرلندا] :

نشأ على المذهب البروتستانتى. . غير أنه كان منذ حداثة سنه غير مقتنع بالتعاليم المسيحية ـ كما يقول ـ فلما انتهى من المدرسة والتحق بالجامعة أصبح

هذا الشك يقيناً، فالكنيسة المسيحية ـ كما رآها ـ لم تكن عنده لتعنى شيئاً مذكوراً، على حد تعبيره. . . . ويصور هذه الفترة فيقول:

«كنت فى حالة يأس من أن أجد عقيدة قائمة تتضمن كل ماكنت أتصوره من مقومات، فكنت لإرضاء نفسى أحاول أن أتصور نوعاً من الاعتقادات النابعة من نفسي، ولكنها كانت غامضة غير مفهومة. . . . ثم حدث ذات يوم أن وقعت على نسخة من كتاب «الإسلام والمدنية Islma and Civilization » وما إن انتهيت من قراءته حتى أدركت أن المذهب الذى يعرض له الكتاب يكاد يضم كل ما تخيلته من عقائد. . . لقد ذهلت للوهلة الأولى عند مقارنة التسامح الإسلامى بتعصب المذاهب المسيحية، وعندما علمت أن البلاد الإسلامية كانت فى العصور الوسطى مشرقة بالعلم والحضارة، فى الوقت الذى كان الجهل مطبقاً، والتخلف سائداً فى غيرها من البلاد. . . كما أقنعتنى نظرية الإسلام المنطقية فى الجزاء والقصاص، عكس نظرية الفداء فى المسيحية».

وعن أعظم شئ أعجبه فى الإسلام يقول «مكباركلى»

«هو سعته التى تتسع للإنسانية جميعاً، وما فيه من هُدًى للغنى والفقير على السواء، ومن مقدرة على تحطيم الحواجز القائمة على تباين المذاهب والألوان».

* * *

***عبد الكريم جرمانوس[1]:**

أحب بلاد الشرق، فدرس اللغة العربية وأتقنها، وكثرت أسفاره ورحلاته ودراساته عنها، واستمتع بمشاهدة روائع الآثار الإسلامية. . . ولكنه كان يشعر بظمأ فى روحه إلى أن وقع له هذا الحدث العجيب الذى يتحدث عنه قائلا: «رأيت رؤيا للرسول محمد ﷺ بلحيته الطويلة المخضبة بالحناء،

(١) أستاذ ورئيس قسم الدراسات الشرقية والإسلامية بجامعة بودابست بالمجر. .

وملابسه البسيطة الأنيقة يفوح منها أريج طيب، وتلمع عيناه ببريق قوى مؤثر. . . وخاطبنى فى صوت عطوف:

لماذا الحيرة؟. . . إن الطريق المستقيم أمامك مأمون، ممهد مثل سطح الأرض. . سرْ عليه بخُطًى ثابتة، وبقوة الإيمان. . . فقلت باللغة العربية فى هذا الحلم العجيب: يارسول الله، إن هذا الأمر سهل عليك، وأنت الغالب، وقهرت كل الأعداء عندما بدأت سبيلك بتوجيه ربانى كتب الله لك فيه النصر. . أما أنا فمازالت أمامى طُرُق شاقة، ومن يدرى متى أجد طُمأنينتى؟

فنظَرَ إلىَّ وكأنى بلسانه الشريف الذى استوعب تعاليم ربه يقول: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ...﴾ إلى آخر الآيات[1].

ثم شعرت كأنما أهوى من عَلٍ إلى أعماق الأعماق. . وفجأة استيقظتُ من هذه الرؤيا أنصب عرقاً، ثم أحاط بى صمت كصمت القبور، فشعرت بالأسى والوحدة. . فاتجهت إلى المسجد الكبير فى دلهى، حيث رأيتُ المصلين قد اصطفوا للصلاة، فلم أملك نفسى إلا أن أنضم إلى صفوفهم وأصلى معهم فى خشوع عميق. . . .[2]. بعدها وجدت الجموع الحاشدة تتلقفنى بالأحضان وأنا أعلن إسلامى».

***

*** «فاروق ب. كاراى» [من زنزبار]:**

نشأ فى زنزبار من طائفة تدعى «البارسيين» فى بيئة تبغض الإسلام بغضاً لا حَدَّ له. . ولذا كان من الطبيعى أن يجد مضايقات ومتاعبَ لاحَد لها من

(١) سورة النبأ الآيات من ٦ ـ ٩.

(٢) يلاحظ أنه يعلم مقدمة الصلاة من وضوء فهو أستاذ دراسات إسلامية، وبالتالى يفهم من سياق الحديث أنه قد توضأ ليصلى مع المصلين وقتئذ.

بيئته التى تربى فيها، ولكن كما يقول: «. . هيهات، فمنذ انبلج نور الحق فى قلبى، لم يكن لأية قوة أن تحول بينى وبين سبيل الإيمان بالله الواحد، وبرسوله محمد ﷺ. . . فقد كان إيمانى بالله وقدرته يثبت أقدامى أمام كل كيد يكيدون».

وعن كيفية تعرفه على الإسلام. قال:

«لقد أتاح لى كثير من أصدقائى المسلمين دراسة الإسلام دراسة وافية، فكنت أقرأ سراً بعض ماكُتِبَ عن الإسلام مخافة أهلى. . . كما قرأتُ تفسير القرآن «باللغة الجوجارتية» التى سهلت لى كثيراً معرفته وكانت خيرَ عَوْنٍ لى[1].

وعن القرآن الكريم يقول عنه باعتزاز وحماسة بالغة: « إنه الكتاب الوحيد الكامل فى ذاته، والذى لا يدانيه غيره من كتب الأديان الأخرى. . . . فهو يدعو إلى البساطة والمحبة والأخوة والمساواة بين البشر. . . إنه لكِتَابٌ رائع حقّاً! وفى اتباع تعاليمه السامية ضمان لِعزَّة المسلمين على الدوام».

* * *

*** «محمد أمان هوبوهم» [من ألمانيا]:**

عاش فى ظل نُظم مختلفة، ودرس كثيراً من النظريات والفلسفات، وانتهى إلى أن الإسلام لايُدانيه فى كماله أى نظام من هذه النظم، فدلل على ذلك قائلا:

«إن للشيوعية مظاهرها الخلابة، وكذلك الديمقراطية العلمانية، وفى النازية، ولكن ليس فى أى منها نظام متكامل لحياة طيبة كريمة. . إنه الإسلام وحده هو الذى يقدم هذا النظام المتكامل. . وهذا هو ما يدعو الأخيار إلى

---

(١) هذا ما يجعلنا أن نلفت أنظار هيئات الدعوة الإسلامية المختصة بشئون الخارج أن يكثفوا اهتماماتهم بترجمة معانى القرآن الكريم لشتى اللغات واللهجات حتى تستوعب جميع شعوب الأرض.

اعتناقه. . الإسلام ليس مجموعة نظريات، ولكنه منهج عملى. . إنه ليس مجرد تنظيم إدارى، ولكنه خضوع مطلق لإرادة الله وتعاليمه». .

ويرجع قليلاً إلى بدايات إسلامه ليذكر سبب اعتناقه للإسلام فيقول:

«هناك أسباب كثيرة دعتنى لاعتناق الإسلام، فى مقدمة هذه الأسباب أن العقائد الأساسية فى الإسلام كلها تتفق مع العقل وطبيعة البشر، ولها من الجلال والإغراء مالايملك معه الباحث الأمين عن الحقيقة إلا أن يستجيب لها».

ثم استطرد يعطى أمثلة لذلك قائلا:

«خذ مثلا عقيدة التوحيد، وانظر كيف ترتفع بكرامة الإنسان، وكيف تحرر عقولنا من الخضوع للخرافات، وكيف أنها تدعو إلى المساواة بين الناس لأن خالقهم واحد، وهم جميعاً عُبَّادٌ لهذا الإله الخالق. . . . شئ آخر يجذب غير المسلمين إلى الإسلام ذلك هو تأكيده مبدأ التسامح، والصلوات اليومية التى تعلم الناس المواظبة، وشهر الصوم الذى يُعَوِّدُ الإنسان على ضبط النفس والسيطرة عليها. . . ومما لاشك فيه أن المواظبة وضبط النفس صفتان تصقل الشخص وتجعله رجلا صالحاً عظيماً. . .».

وعندما سُئِلَ عن أعظم شئ يقدمه الإسلام للناس كما لمس هو بإسلامه قال:

«إن الإسلام يقدم للناس ـ غير ما ذكرته ـ سكينة الضمير، وهدوء البال، وهذا مالا وجود له البتة فى حياة المجتمع الغربى فى وقتنا الحاضر. . كما أنه الدين الوحيد الذى استطاع أن يغرس فى نفوس من اتبعوه الشعور بمراعاة حدود الآداب والأخلاق، بدون حاجة إلى سلطان قاهر غير ضمائرهم، لأن المسلم يؤمن أنه حيثما كان فهو فى دائرة رقابة ربه، وفى هذا مايرده عن ارتكاب المعاصى».

* * *

* «عبد الله أرشبولد هاملتون [من إنجلترا]

نشأ فى بيئة مسيحية تؤمن بالعقائد التى تسلم بها الكنيسة وتفرضها. . . اعتنق الإسلام فى يوم ٢٠ من ديسمبر ١٩٢٣، وهو بريطانى مرموق، حيث يعد أحد كبار الساسة. . .

يتحدث عن نفسه التى راودتها شكوك فى العقيدة التى توارثها فيقول:

«ماكدت أبلغ سن الإدراك والتمييز حتى راودتنى شكوك فيما تُقدمه كنيسة روما والكنيسة الإنجليزية، فلم أستطع مطلقاً أن أؤمن بالعقائد التى تسلم بها وتفرضها، فكنت دائماً أجعل العقل والإدراك فوق الإيمان الأعمى. . . ومع مرور الزمن أردت أن أحيا وفق مشيئة خالقى بعد أن راود قلبى جمالُ الإسلام وبساطتُه ونقاؤه. . منذ تلك اللحظة بدأت أشعر أننى أصبحت أقرب إلى الإنسانية الصحيحة».

وعن تقاربه للإسلام وما استلفت نظره من مبادئه وتعاليمه قال:

«ما كان اعتناقى للإسلام إلا تلبية لنداء ضميرى. . ياليت الناس يعلمون أنه الدين الذى يتعاطف فيه الأقوياء مع الضعفاء والأغنياء مع الفقراء. . . إنه الدين الذى ينظر إلى تفاوت القدرات الشخصية، يكلف كل نفس حسب وسعها وطاقتها.

لقد أعجبنى فى الإسلام تحريمه المقامرة، والاعتماد على الحظ والمصادفة. . وتحريمه للخمور وللربا والموبقات التى طالما كانت سبباً فى كثير من المآسى التى عانى منها الجنس البشرى. . . إن الإسلام لا يترك الفرصة لفرد أن يستغل من هو أقل منه حظاً ونصيباً فى الحياة».

ثم استطرد يقول:

«نحن معشر المسلمين[1] لا نؤمن بالجبرية والقدرية.. ولكننا نؤمن فقط بموازين للأعمال قررها الله سبحانه وجعلها ثابتة، ووهب لنا من الإدراك، ما يعين على مراعاتها.. والإيمان بلا عمل لا قيمة له فى نظرنا، إذ هو فى ذاته لا يغنى شيئاً ما لم تكن حياتنا تطبيقاً عملياً لحقيقته... نحن نؤمن بمسئوليتنا الشخصية عن كل أعمالنا فى هذه الدنيا وبمحاسبتنا عليها فى الحياة الأخرى، وكل فرد سيؤتى كتابه، ولا تزر وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى».

وعن أهم حقيقة أكدها الإسلام ويعتز بها كمسلم قال:

«ما أظننى بحاجة إلى الحديث طويلا عن الأخوَّة بين البشر جميعاً، إذ لا فرق بين سيِّد ومَسُود، أو بين مالك أو أجير، أو بين غنى وفقير، بل الكل سواسية، لافرقَ بين فرد وفرد إلا بالتقوى، هذه حقيقة ثابتة مُسَلَّمٌ بها فى الإسلام قد استرعت انتباهى».

ثم أضاف قائلا: «لقد كنت دائماً أرى فى إخوانى المسلمين عنواناً للصدق والشرف. وكنت دائماً أثق فى كلماتهم ووعودهم، وكانوا يشملوننى بالمعاملة الطيبة الكريمة باعتبارى إنساناً وأخاً لهم، فغمرونى بكرمهم، وما شعرت يوماً ما بالاغتراب وأنا بين ظهرانيهم».

واختتم حديثه قائلاً: «أخيراً أود أن أقول إنه فى الوقت الذى يحدد الإسلام للبشرية كل تصرفاتها فى حياتها اليومية، فإن ما يسمى اليوم بالمسيحية تقتصر فى ممارسته تعاليمها على الصلاة لله أيام الآحاد، وأن يفتكوا بمخلوقاته باقى أيام الأسبوع!».

* * *

(١) تأمل كيف هو يعتز بكونه مسلماً فعبر بالقول: «نحن معشر المسلمين» فادرج شخصه فى حماسة واعتزاز فى زمرة المسلمين، ثم تحدث بضمير الجماعة التى هو فرد منها.

* **مؤمن عبد الرازق صلاح [من سيلان]:**

قبل اعتناقه للإسلام كان شديد الكراهية لكل شئ يتصل بالإسلام والمسلمين.. فيعبر عن ذلك قائلا: «كنت فى وقت ما أرى الإسلام شيئاً كريهاً بغيضاً، لم يكن لى من المسلمين صديق، بل لم أحاول أن أتصل بهم نظراً لكراهيتى الشديدة لدينهم...»

ولكن ما الذى غير مشاعره للإسلام حتى يعتنقه؟ إنه يجيب عن ذلك بقوله:

«ماكنت أحلم بأن قراءة الكتب عن الإسلام ستجعل منى رجلاً آخر.. لقد قرأت شيئاً من القرآن الكريم، فإذا العجب يتملكنى، كنت فيما مضى أرى أن لا شئ يُدانى الإنجيل، فإذا بى أرانى كنت على خطأ عظيم.. رأيت الحق يشع من القرآن الكريم، وأن تعاليمه إيجابية عملية، خالية من الطقوس والعقائد الغامضة، فبدأت أشعر بمَحَبَّة الإسلام لما لمست فيه من استقامة سبيله، وخُلوه من الغموض».

ثم أضاف قائلا:

«أعجبنى فى الإسلام أنه دين النظافة واليُسْر، كما أنه دين الأُخوة، فانظر إلى مبدأ «حبَّ لأخيك ما تُحب لنفسك»... ألا يسترعى هذا المبدأ الإعجاب والانتباه.. أقول للذين يريدون أن يجدوا الأخوة الحقيقية.. إنهم لن يجدوها إلا فى غير ظل الأخوة الإسلامية، فلم ير العالم كله وحدة بين البشر أعظم منه أو أكثر عمقاً وإخلاصاً».

وعن مدى قدرة الإسلام على الإقناع.. كرر قوله:

«قد أقنعنى الإسلام بخلوه من التعقيدات، فهو دين مثالى وعملى.. إنه دين العقل.. عملى فى مبادئه ومعتقداته، منطقى فى تطبيقاته».

ثم يختتم كلامه مبتسماً وهو يقول:

«إننى وجدتُ فيه الكثير من الدراسات الدقيقة العميقة المتعددة، وهذا ما جعلنى أشعر بأننى أدنو منه سريعاً ويملك مشاعرى».

* * *

***على سلمان بنوا [من فرنسا]:**

ينتمى إلى أسرة فرنسية كاثوليكية.. ويعمل طبيباً.. هذه المهنة التى كان لها تأثير فى شخصيته، إذ طبَعَتْهُ بطابع الثقافة العلمية البحتة..... تقدم يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٣ إلى مسجد باريس ليعلن إسلامه، ويُسَجَّل فى سجلات المسلمين باسم على سلمان.. إنه يتحدث عن نفسه فى دائرة العقيدة فيقول:

«كان شعورى الفطرى بوحدانية الله يحول بينى وبين الإيمان بعقيدة التثليث، وبالتالى بعقيدة تأليه عيسى المسيح.. ولم تكن الطقوس الدينية المسيحية عموماً، والكاثوليكية بصفة خاصة، تبعث فى نفسى الإحساس بوجود إله واحد.

كنت قبل أن أعرف الإسلام مؤمناً بأن لا إله إلا إلهٌ واحدٌ... وهذا ما قال به القرآن: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾...

ثم يستطرد فى الحديث عن الأسباب التى حفزته لأن يدين بالإسلام فيقول:

«إننى أعتبر أن الإيمان بعالم الغيب وما وراء المادة هو الذى جعلنى أدين بالإسلام، غير أن هناك أسباباً أخرى حفزتنى لذلك أيضاً، منها مثلا أننى كنت لا أستسيغ دعاوى القساوسة الكاثوليك أن من سلطانهم مغفرة ذنوب البشر نيابة عن الله.. ومنها أننى لا أصدق مطلقاً ذلك الطقس الكاثوليكى

عن العشاء الربانى والخبز المقدس الذى يمثل جسد المسيح عيسى عليه السلام، ذلك الطقس الطوطمى الذى يماثل ما كانت تؤمن به الشعوب البدائية، حيث كانوا يتخذون لهم شعاراً مقدساً يحرم عليهم الاقتراب منه، ثم يلتهمون جسد هذا المقدس بعد موته حتى تسرى فيهم روحه.

ومما كان يُباعد بينى وبين النصرانية، أنها لا تحوى فى تعاليمها شيئاً يتعلق بنظافة وطهارة البدن، لاسيما قبل الصلوات، فكان يخيل لى أن فى ذلك انتهاكاً لحرمة الرب، لأنه كما خلق لنا الروح فقد خلق لنا الجسد كذلك، وكان حقّاً علينا ألا نهمل أجسادنا.

كما أن النصرانية التزمت الصمت فيما يتعلق بغرائز الإنسان الفسيولوجية، فى حين نرى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى اعتنى بمراعاة الطبيعة البشرية فى الإنسان بماله من غرائز فطرية».

ثم يختتم حديثه بالقول:

«إن العامل الرئيسى فى إعتناقى للإسلام هو القرآن الكريم الذى يحمل نفس النظريات التى كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية، وكان هذا كافياً لاقتناعى وإيمانى بـ محمد رسول الله إننى أشعر، بالغبطة الكاملة فى ظل عقيدتى الجديدة، وأعلنها مرة أخرى أشهد أن لا إلـه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله».

* * *

*** محمد إسكندر راسيل [من الولايات المتحدة الأمريكية]:**

نشأ فى بيئة مسيحية أرثوذكسية المذهب، تدعو إليه فى كنائسها. . . . لم يخطر على باله أن يتجه لدين غيرما تدين به أسرته وبيئته. . . . . ولذا عندما سئل: لماذا اختار الإسلام ديناً له فى حياته؟

أجاب قائلا :

«إننى اتخذت هذا الدين سبيلاً لحياتى، لأننى بعد دراسات طويلة واقتناع كاف، وجدتُهُ خير الأديان، بل إنه الدين الوحيد الذى يُلَبى الاحتياجات الروحية للجنس البشرى».

ثم أضاف قائلاً:

«عندما كنت صبياً كانت تنقصنى الحماسة الدينية التى تبدو على كثير من الصبيان بالفطرة، ولما بلغت العشرين عاماً وأصبحت حر التصرف فى نفسى، ضاق صدرى بجمود الكنيسة وكآبتها، فهجرتها إلى غير رجعة.. فكنت لحسن الحظ ذا عقلية فاحصة، أميل إلى التحرى عن الأمور، وأن أجد لكل شئ علة وسبباً.. ووجدت أن الناس بين علمانيين ورجال دين عجزوا عن إقناعى بالعقل والمنطق بحقيقة الدين، فكانوا يقولون لى إن هذه أمور غامضة خفية فوق مستوى إدراكى».

ويستطرد فى بيان فترة بحثه عن حقيقة الدين فيقول:

«.. ثم أخذت أهتم - لفترة استغرقت أحد عشر عاماً - بدراسة الديانات الشرقية، وقراءة ماكتبه «مِلْ Mill»، و «كانْت Kant»، و« لُوك Lock» و«هيجل Hegel».. و «هكسلى Huxley»، وغيرهم... كما حرصت على سماع محاضرات وأحاديث كثيرين من الكُتَّاب والمفكرين، ولكنَّ أحداً من هؤلاء جميعاً لم يستطع أن يتحدث عن الروح فى ماضيها أو مآلها بعد الموت».

ثم ينتقل إلى كيفية اعتناقه للإسلام فقال:

«لم يكن اعتناقى للإسلام عن نزوة خاطئة، أو اندفاع عاطفى، أو انقياد أعمى، ولكن كان وليد دراسة دقيقة فاحصة، غير متأثرة برأى أو ميول، وإنما لرغبة وعزم على معرفة الحقيقة التى وجدتها فى روح العقيدة الإسلامية تكمن

فى الخضوع لإرادة الله، وحجر الزاوية فيها الصلاة. . . . رأيت فى الإسلام دعوة إلى الأخوة العالمية، وإلى المحبة بين العالمين جميعاً، وإلى الخير للناس كافة. . ويتطلب طهارة العقول وطهارة الحديث. . كما يدعو إلى طهارة البدن ونظافته. . .».

ثم اختتم حديثه بقوله:

«إن هذا الدين - بين جميع الأديان التى عرفها العالم - هو أبسطها، وهو فى الوقت نفسه أقدرها على السُّموّ بالبشرية».

* * *

*** هـ. ف. فيلوز [من إنجلترا]:**

وُلد ونشأ فى بيئة مسيحية، لتقاليدها فى نفسه جُذُورٌ متأصلة لايمكن اقتلاعها أو التخلى عنها إلا تحت ضغط دوافع بالغة القوة والإغراء - كما يذكر - وبرغم ذلك كانت تشغله أمور فى العقيدة المسيحية. . يعبر عن ذلك قائلا:

« كيف تكون عقيدةُ تحمُّل المسيح لخطايا البشر؟! قد رأيتها عقيدة مضطربة لاتقبلها العقول. . . . فقد أمرنا عيسى عليه السلام باتباع الوصايا العشر التى أنزلت إلى موسى وهو على جبل سيناء. . وأول هذه الوصايا «إنى أنا الله ربكم، فلا تتخذوا من دونى إلـهاً». . . وهذه تتعارض مع عقيدة الفداء التى يكون الولاء فيها للمسيح أجْدَى من الولاء لله، لأن المسيح سيشفع لنا يوم القيامة، ومع ذلك فالمسيحيون يؤمنون بأن المسيح هو الله مجسداً. . . .

كنت أتصور الرب هادياً للبشر، ومتصفاً بالعفو والرحمة والعدل، وعلى هذا يستطيع الإنسان أن يطمئن إلى عدالة حسابه، وإلى رحمته. . ووجدت ذلك متعارضاً مع مبدأ تحمل الخطايا فى العقيدة المسيحية».

ثم أخذ يستطرد ويقول:

«لقد كنت أعجب كيف أن حياة المسيح عيسى وموته وبَعْثه لم يكن لها أثر مباشر على سكان فلسطين فى ذلك الوقت من يهود، ورومان،وغيرهم؟ إذ يبدو مما نقرؤه فى التاريخ أن سيرته لم تؤثر فى معاصريه.. وعندماكنت فى المدرسة لم أتعلم غير عبارات من الإنجيل... وفى المدرسة أيضاً درسنا سيرة محمد ﷺ وانتصاراته، وسرعة انتشار دعوته إلى الإسلام.. فعاودنى الاهتمام بالإسلام والقراءة عنه أكثر».

... وعن السبب الذى دفعه لاعتناق الإسلام قال:

«لقد رأيت فى الإسلام ما يتفق مع طبيعة الحياة فى هذه الدنيا.. فى بساطته واستقامته وخُلوه من التعقيدات التى يصعب إدراكها، والإيمان بها وعباداته التى تدعو إلى الإخلاص وعدم الرياء.. كما هزتنى يقظة المسلمين من غفوتهم الطويلة، وقيام الحركات والجماعات الإسلامية النشيطة الفعالة التى تهدف إلى العودة بالإسلام إلى سابق عهده فى الصفاء والنقاء.. وجدت فى الإسلام احتفاءهُ بالعلم، والدعوة إليه، والانسجام معه تماماً»... وخلاصة القول: لقد اعتنقتُ الإسلام لأنه هو وحده الدين الحق نظرياً وعملياً، وفى شتى الميادين... فأحمد الله تعالى أن زالت من نفسى كل الشكوك والأفكار الخاطئة، وأصبح قلبى مطمئناً إلى دين الإسلام».

* * *

*** محمد جون وبستر [من إنجلترا]:**

ولد فى لندن.. ونشأ على العقيدة المسيحية البروتستانية التى لم يلبث أن أخذ يفكر فيها عندما بلغ العقد الثانى من عمره حين واجهته مشكلة الملاءمة بين شئون الحياة اليومية ومقتضيات الدين وذلك بعد أن رأى أن المسيحية عقيدة مزدوجة، تعتبر الدنيا أثيمة، وتدير ظهرها إلى حقائق الحياة، وتعقد

الآمال على الحياة الآخرة.. وعلى ذلك وضعت نظاماً دينيّاً للناس خاصّاً بيوم الأحد لانظير له فى باقى الأيام الأخرى من الأسبوع.... هكذا بلور نظرته فى المسيحية التى لم يقتنع بأصولها التى توارثها عن أبويه.

ومن ثم اتجه إلى دراسة الفلسفة والأديان لعله يجد ضالته المنشودة فيها، ولكن بدون جدوى، وانتهى به الأمر ـ كما قال ـ إلى اعتناقه «البانثية»[1].

ثم حدث بعد ذلك عند إقامته فى أستراليا ـ أن وجد نسخة من القرآن الكريم فى مكتبة «سدنى»[2] العامة، كان لها تأثير بالغ فى نظرته للإسلام.. يقول عن ذلك:

«ما إن قرأت مقدمة المترجم حتى لمست التعصب ضد الإسلام مكشوفاً مفضوحاً، فلم أتمالك إلا أن أقفل الكتاب وأتركه... وأخذت أبحث عن نسخة للقرآن، شريطة أن يكون مترجمها مسلماً».

ثم استطرد قائلا:

«لا أستطيع أن أعبر فى كلمات عن مدى تأثرى بمجرد تلاوتى لأول سورة فيه.. سورة الفاتحة بآياتها السبع!»..

ويتابع حديثه مستفيضاً فى بيان شأنه مع رحلته للإيمان فيقول:

«.. ثم قرأت عن حياة الرسول ﷺ، وقضيت بضع ساعات فى المكتبة فى ذلك اليوم بعد أن وجدتُ بغيتى، وشاء الله بفضله أن أكون مسلماً، مع أننى لم أكن من قبل قد التقيتُ بمسلم.. وبارحت بعدها المكتبة يومئذ متعباً من أثر ما عانيت من جهد فكرى وعاطفى.... وكنت أسائل نفسى: أكان حُلماً ذلك الذى حدث لى أم هو حقيقة واقعة».... وبينما أنا أسير فى الطريق إذا ببصرى يقع على بناء خلف سور مرتفع من الطوب الأحمر

(١) هى دين تقديس الطبيعة وقوانينها.
(٢) العاصمة الأسترالية.

مكتوب عليه «مسجد المسلمين»، فقلت لنفسى على الفور أما وقد عرفت الحق، فعليك اتباعه على الفور. فأعلنت شهادتى بقولى: لا إلـه إلا الله، محمد رسول الله، وبذلك اعتنقت الإسلام».

* * *

*** إسماعيل ويسلوز يجريسكى [من بولندا]:**

كان والده ملحداً، ولكنه كان يسمح لأطفاله أن يتعلموا الدين فى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التى يؤمن بها شكلاً غالبية الشعب البولندى... وكانت والدته تدين بالكاثوليكية، فتأثر بها منذ طفولته فتعود أن يحترم الدين، وأن يعتقد أنه من أهم العناصر فى حياة الفرد والجماعة كما يذكر دائماً.

وعن طبيعة تفكيره التى مهدت له أن يعتنق الإسلام قال:

«نشأتُ حراً فى فكرى، ومهتماً بشكل خاص بدراسة المجتمع.. وأن أسلك «الطريقة الوسطى» فى حل المشاكل التى تعترضنى، فقد كان لتربيتى على فلسفة «خير الأمور الوسط» أثرها فى تفكيرى.. وهذا ما جعلنى كثير الريب فى العقائد المختلفة التى تدعو إليها الكنيسة الكاثوليكية «التى لا تخطئ!»[1] فلم يكن فى استطاعتى أن أؤمن بالثالوث المقدس، ولا بتحويل القربان إلى لحم ودم المسيح، ولا فى وساطة القساوسة بين الناس والرب أو بين الرب والناس، ولا فى تنزيه البابا عن الخطايا، ولا فى فاعلية الكلمات والإشارات السحرية التى يؤديها القساوسة فى الكنيسة... لم أكن لأستسيغ عبادة السيدة مريم أو ابنها المسيح أو القديسين أو التماثيل والصور والآثار وما إليها..»

---

(١) وصف يقصد به الاستهزاء والسخرية.

ثم صمت ليزم بشفتيه استنكاراً وهو يقول فى أسى:

«. . . وانتهى بى الأمر إلى إنكار ماكنت أؤمن به وإلى عدم الاكتراث بأمور الدين. . إلى أن أُعلنت الحرب العالمية الثانية، فحركت فى قلبى الشعور بالدين من جديد، حيث أدركت أن البشر يفتقرون إلى المثُل العليا التى لا يمكن التخلى عنها إذا أريد لهذه الإنسانية النجاة من الفناء والدمار. . وأيقنت أن هذه المثل المنشودة لاتوجد إلا فى الدين».

ثم عاود صمته ليتابع من جديد رحلة إيمانه فيقول:

«وجدتُ نفسى أتجه إلى دراسة الأديان المختلفة، وعلى الأخص النصرانية والبهائية وغيرهما من الديانات، فلم يقنعنى أى واحد منها إلا أننى أخيراً اكتشفت ديانة الإسلام حين وقعت على كتيب عنه بلغة «الاسبرانتو» كتبه مسلم إنجليزى، ثم أطلعت على كتيب آخر من دار التبليغ الإسلامى بالقاهرة. . فوجدت نفسى على توافق مع مبادئ الإسلام وتعاليمه التى كنت آلفها منذ نعومة أظفارى. . فلقد وجدت فى الإسلام التشريع الكامل الشامل لكل وجوه الحياة. . التشريع القادر على قيادة الفرد والجماعة. . . التشريع الذى فيه من المرونة ما يجعله ملائماً لظروف العصر الحديث».

ثم استطرَد قائلا:

«بحكم أننى رجل متخصص فى الدراسات الاجتماعية، فقد أدهشتنى النظم الاجتماعية التى يقررها الإسلام، وعلى الأخص الزكاة وتشريع المواريث، وتحريم الربا بما فيه فوائد رأس المال، وإباحة تعدد الزوجات فى الحدود المرسومة وفريضة الحج وغير ذلك من تعاليم قد حددت لضمان سلوك مستقيم وتحقيق للأخوة بين المسلمين. . ومن أعظم ما وضعته الشريعة الإسلامية الأساس الراسخ الذى يقوم عليه الزواج. . . هذا الأساس الذى لا يتعارض مطلقاً مع ماقرره علم وظائف الأعضاء، أو مع الحقائق

الاجتماعية.. وشتان بين هذا الأساس فى سلامته وبين مبدأ زواج الواحدة التى تؤمن به الشعوب الأوربية النصرانية شكلا، ولكن بدون وفاء».

ثم اختتم كلامه قائلا:

«إنى أحْمَدُ الله لِعِظَم فَضْلِهِ الذى أنْعَمَ به علىَّ، فهدانى إلى الصراط المستقيم».

* * *

*** كول حاتم [من فرنسا]**

نشأ في أسرة بسيطة للغاية، تعيش فى فرنسا، برغم أنه وُلِدَ من أب أسبانيّ وأم إيطالية، ويحمل الجنسيتين الفرنسية والسويسرية، حيث يعمل متخصصاً اجتماعياً فى إحدى المؤسسات الثقافية بسويسرا...

رأى الإسلام متمثلاً فى سلوك المجاهدين الجزائريين فى أثناء أدائه الخدمة العسكرية بالجيش الفرنسى بالجزائر.

فعبر عن ذلك قائلا:

«الأمر الغريب حقاً فى حياتى هو أن اعتناقى الإسلام لم يحدث إلا أخيراً، برغم أنى كنتُ مثل السائق الذى يجد فى الطريق أمامه الكثير من العلامات، ولكن نادراً ما يتنبه إليها... ومن ذلك ما شاهدته فى أثناء أداء الخدمة العسكرية بالجيش الفرنسى بالجزائر، حيث رأيتُ الإسلام متمثلاً فى سلوك المسلمين المجاهدين هناك، ولولا تمسكهم الشديد بهذا الدين لما استطاعوا إخراجنا».

ويضيف على ذلك ما تأثر به من سلوك وأحوال المسلمين وحضارتهم عندما كان يعمل بالمغرب، وكانت فرصة له كما يقول على أنه تعرف خلالها على صورة أخرى للإسلام.... ولكنه لم يشهر إسلامه إلا عندما اهتزت

مشاعره بعنف وهو يرى المسلمين يواظبون[1] على الحضور فى المسجد خلال أيام شهر رمضان، وكان ذلك فى مدينة «جنيف» بسويسرا، فيتحدث عن ذلك بشعور من الأسى، لم يلبث أن يتبدل إلى راحة وسكينة فيقول:

«عشت حوالى خمسين سنة[2] فى جاهلية، فى مجتمع بعيد عن أى قيم دينية.. لكن والحمد لله، لحقتنى عناية الله عز وجل، واهتديتُ إلى الطريق المستقيم بأسلوبٍ ماكنتُ أتخيل أن أعرفه قط، وقد حدث هذا فى عام ١٩٨٤ عندما جئت إلى المسجد هنا[3] فى شهر رمضان، وقد لمست من أحوال المسلمين ومن سلوكهم وتعاطفهم ما أيقظ مشاعرى، خاصة أننا فى الغرب نفتقر إلى هذه المعانى.. وواظبت على الحضور خلال أيام شهر رمضان... ثم أشهرتُ إسلامى صبيحة أول أيام عيد الفطر بعد صلاة العيد، فالحمد لله أنا فى غاية الرضا ـ الآن ـ أن أكرمنى الله تبارك وتعالى بنعمة الإسلام. أما مابعد ذلك من مشكلات أو عقبات فإنها ـ والحمد لله ـ بالإيمان الصادق والعزيمة تنتهى».

ثم اختتم حديثه قائلاً: «الشئ الوحيد الذى أتمناه أن يتعرف الأوربيون على هذا الدين، وأن يهدى الله تعالى قلوبهم إليه، لأن الإسلام هو دين الله الذى ارتضاه للناس كافة».

* * *

*** مالك عثمان [من إيطاليا]**

شاب إيطالى اعتنق الإسلام حديثاً (عام ١٩٨٧) ظل يبحث عن الحقيقة التى هى شئ مهم فى حياته ـ كما يذكر ـ ولكنه لم يجدها فى النصرانية

(١) يقصد بالمواظبة على الحضور فى شهر رمضان أنها كانت سمة مميزة بشكل خاص فى هذا الشهر الكريم ولا يعنى انتفاءها عن بقية الشهور الأخرى...
(٢) حيث كان يبلغ من العمر خمسين عاماً وقتئذ.
(٣) يشير إلى مدينة «جنيف» بسويسرا.

التى لم تقنعه بأنها الحل لمشاكله النفسية، ولكنه أخيراً وجد راحته النفسية فى الإسلام. . . . وعن الدافع الذى جعله يتعلق بالإسلام يقول:

«فى الإسلام. . وجدت أن الإنسان قوة ضعيفة أمام قدرة الحق الهائلة، ومثل هذه المعانى لم أجدها فى النصرانية، إضافة إلى أن الإسلام جاء ديناً خاتماً للأديان السابقة، ومحمد رسول الله ﷺ جاء خاتما للرسل».

وعن بداية رحلته فى البحث عن الحقيقة يقول:

«منذ وقت طويل، وأنا مشغول بهذه المعانى[1]، ومما يؤسف له أن أغلب الشباب الأوربى قد أنغمس فى الشهوات والرذائل، فغابت عنه مثل هذه التأملات».

ثم يطرق برأسه يتمتم قائلا:

«الحمد لله الذى وفقنى ويسر لى الوصول إلى الحقيقة»

ويصمت بعدها ليقول مؤكداً:

«من أهم المسائل التى نفتقدها وجود العالِم أو الداعية الذى يعيش بيننا، ليوضح لنا أمورَ ديننا، ويكشف لنا حقيقة الديانة النصرانية والأخطاء والثغرات الموجودة فيها، والتى ستؤدى ولاشك إلى زيادة عدد المهتدين. . إضافة إلى ذلك ضرورة وجود مجلة إسلامية، تعالج أمور الإسلام، ولكن من منظور الإنسان الغربى»[2].

* * *

(١) يقصد بالمعانى قوة الإنسان الضعيفة أمام قدرة الحق الهائلة، وقد ذكرها عن دافعه لاعتناق الإسلام.

(٢) نهدى هذا القول إلى الهيئات المتخصصة بأمور الدعوة بالخارج، ليزيدوا من اهتمامهم بالأجانب الذين اعتنقوا الإسلام.

* **عبد الكريم (من إيطاليا)**

هو شاب إيطالى أيضاً صديق «لمالك عثمان» واعتنق مثله الإسلام بعد أن يظل يبحث عن الهداية عشرين عاماً، حيث إن عمره الآن أربعون عاماً. . . وهو يأسف لتأخر اعتناقه للدين الاسلامى فيقول:

«أنا جد آسف لتأخر اعتناقى للدين الإسلامى، فعمرى حالياً يصل إلى أربعين عاماً بالرغم من أننى بدأت رحلة البحث عن الهداية منذ عشرين عاماً. . وإضافة إلى الأسباب التى ذكرها أخى «مالك عثمان» فإن اعتقادى منذ الصغر أن الحياة الدنيا دار عمل للآخرة، كان سبباً كبيراً جعلنى أبحث عن الحق من خلال مطالعة كتب التصوف، واستمرت هذه الرحلة كما قلت عشرين عاماً، حتى منَّ الله علىَّ بالهداية منذ ثلاث سنوات[1] عندما تأثرت مباشرة بإسلام صديق لى كان يمر بنفس الظروف التى مررت بها».

ويثير «عبد الكريم» قضية مهمة فيقول:

«نحن فى إيطاليا بحاجة ماسة إلى وجود سلطة دينية معترف بها من الحكومة تكون مرجعاً للمسلمين هنا، وتقوم بالرد على ماينشر من مقالات وموضوعات تشوه صورة الإسلام وتعاديه».

ثم يصمت ويهز برأسه وقد غامت على ملامح وجهه الألم والأسى وهو يقول:

«صدق أو لا تصدق، أن إيطاليا تكاد تكون الدولة الأوربية الوحيدة التى لايوجد فيها ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الإيطالية من وضع المسلمين أنفسهم. . فهناك فى المكتبات الإيطالية ثلاث طبعات لمعانى القرآن الأولى من وضع راهب نصرانى. . والثانية من وضع بهائى كافر. . والثالثة من وضع يهودى حاقد[2]!

(١) يلاحظ أنه اعتنق الإسلام عام ١٩٨٥.

(٢) ما رأى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة وغيره من الهيئات الإسلامية المختصة بتبليغ الدعوة الإسلامية فى الخارج؟!

ثم يردف بعدها وهو يصيح:

«الطريقة المثلى لنشر الدعوة الإسلامية هى نشر الكتب الإسلامية.. وهنا يجب أن أنبه إلى أن أكثر الكتب المعروضة اليوم فى مكتبات أوربا هى من وضع مستشرقين، ولذلك جاءت مشوهة غير معبرة عن حقيقة الإسلام».

وعن نظرة المجتمع الإيطالى إلى الشخص الذى يتحول إلى الإسلام يضحك عبد الكريم بمرارة ويقول:

«يقع مثل هذا الشخص ضحية لإرهاب الكنيسة وأفكارها المشوهة التى غرستها فى أذهان الإيطاليين ضد الإسلام، ومن هنا فمسألة إسلام الايطالى تصبح قضية صعبة القبول، ولا سيما أن الإيطاليين ينظرون إلى الإسلام نظرة دونية، فهم يعتبرونه ديناً لأناس متخلفين».

ثم يبتسم وقد رفع حاجبيه فى مرح وهو يقول:

«برغم ذلك نحن نعتبر أنفسنا محظوظين جداً لما نلقاه من إخواننا المسلمين هنا من رعاية واهتمام بالغ بنا».

* * *

* **«جورج.ا» [من ألمانيا]**

نشأ فى أسرة مسيحية ألمانية، كان كل ما يشغلها أن ينضم ابنها ـ بعد أن يكبر وينضج تفكيره ـ إلى قافلة المبشرين لنشر مبادئ المسيحية.. وكان سبيلها فى هذا ملء وعاء مشاعره بكراهية الإسلام، بصفة خاصة، وكل ماليس مسيحياً بصفة عامة.

ويذكر أنه حينما أدركت أسرته أنه سيلتقى فى الجامعة ـ حتماً ـ وهو يدرس

بكلية الهندسة، ببعض الطلاب المسلمين زادت جرعات تحذيرها له من المسلمين ومن عقيدتهم.

كما يذكر أيضاً أنه لم يكن يعرف أن الإسلام بهذه السماحة إلا بعد أن التقى بأحد الشباب من المسلمين فى الجامعة بألمانيا الغربية، ودار بينه وبينهم مناقشات طويلة، وعن ذلك يقول:

«لم أكن أعرف أن الإسلام بهذه السماحة إلا بعد أن ألتقيت بأحد الشباب من المسلمين فى الجامعة، وبرغم إصرارى على ماكنت أردده من أقوال ضد الإسلام، كنت أُلَقَّنُ إياها فى الكنائس، وأمام انفعالى كان زميلى المسلم دائماً هادئاً مطمئناً، مما أيقنت أن من معه الحق يكون دائماً كذلك.

وكم كان الفزع بادياً على أسرتى متمثلة فى أبى وأمى حينما قصصت عليهم أول حوار حول الإسلام دار بينى وبين زميلى المسلم».

ثم أردف بعدها قائلا:

« لقد قالوا لى: إن الإسلام حُرُوبٌ، واستشهدوا بالمعارك المشتعلة فى بعض الدول الإسلامية، قالوا: إن الإسلام تخلف، ووصفوه بكثير من الصفات المرفوضة. . . . ولكن اكتشفتُ أن كل مازعموه مجرد كلمات لا سند لها من الواقع، وما يحدث من تصرفات غير سوية من بعض الأفراد والشعوب إنما تدل على أن الإسلام شئ والمسلمين شئ آخر.

ومن خلال دراستى للإسلام التى دامت عدة سنوات متواصلة قرأتُ فيها ترجمة لمعانى القرآن الكريم مرتين، وأيقنت أن الكثير من مشكلات المسلمين لاسبب لها إلا البعد عن تعاليم الإسلام ومبادئه الصحيحة. . . وكل من

يفهم كتاب الله يجد فيه الكثير من الحلول التى تكفى لإسعاد البشرية فى أكثر من مَنْحى من مناحى الحياة المعاصرة»[1].

* * *

* «**ليوروس» [محمد الأزهرى]**

ولد «ليوروس» فى كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية من والدين مسيحيين، وعاش فى «نيويورك» وتلقى تعليمه بها حتى حصل على ليسانس فى الآداب.

قرأ كثيراً عن الأديان السماوية، وقَلَّبَ فى صفحات الكتب الدينية بدافع من شعور خفى ملك عليه حسه ووجدانه، فقد كان حائراً يريد أن يهتدى إلى دين الحق... دين يتفق مع العقل والمنطق.

لم يكن يطيع أمر أمه وهى تطلب منه الذهاب إلى الكنيسة، فقد كان يشعر فى قرارة نفسه أن روحه مازالت غير مستقرة حتى وهو فى الكنيسة.

.. وفى ذلك يقول «ليوروس»:

«درستُ الأديان السماوية، ووقفت عند كل منها أفكر وأتأمل مبادئها وأُقارن بينها... وجدتُ نفسى تميل إلى الدين الإسلامى، فهو دين الحق الذى يتفق مع ميولى الفطرية التى وُلِدَتْ معى، وشعرتُ أن قلبى قد امتلأ بنوره.

وأخذت أقرأ من يومها كل ما يقع تحت يدى من كتب تتكلم عنه، ومن أهمها نسخة من القرآن الكريم باللغة الإنجليزية[2]، فوجدته شاملاً للعلاقات

(١) المرجع السابق (بتصرف).

(١) ملحوظة: القرآن الكريم لا يترجم إلى أى لغات أجنبية، وإنما الذى يُترجَم هو معانى القرآن الكريم، ولذا لزم التنويه (المؤلف).

الإنسانية بين الأفراد وبين الخالق عز وجل، لا تُفرق تعاليمه بين جنس وجنس، ولا بين لون ولون.. يدعو إلى المحبة والتعاون والإخاء.

لم أتردد فى عصيان أمر أمى وهى تطلب منى أن أصحبها إلى الكنيسة، وكانت شديدة التمسك بشعائر دينها، ولم أكن أقتنع بأن بيت الله هو الكنيسة، بل هو المسجد الذى يفتح أبوابه أمام كل إنسان.. الأبيض والأسود على حد سواء، ففى أمريكا عنصرية ممقوتة.. وكان يؤلمنى تخصيص كنيسة للبيض وأخرى للسود».

ثم يستطرد قائلا، وهو ينظر إلى السماء فى اعتزاز وإيمان كأنه يشكر الله على منحه هدية دين الحق:

«وأخيراً، وبعد خمسة عشر عاماً من القراءة المستمرة والتفكير العميق اهتديت إلى الإسلام، ذلك الدين السمح الذى لا يُفرق بين الأجناس والألوان.. إنه دين مَرِنٌ يتطوع مع المدنية فى قالب من الكمال».

* * *

«استادرو جورجيا نقولا» [مصطفى إبراهيم المهدى]

رجل من «أثينا»... يونانى الجنسية.. يبلغ من العمر سبعين عاماً.. تبدو على مظهره دلائل التقوى والورع والزهد، يذكر من التقى به أول مرة فى حى الموسكى، ذلك الحى الشعبى القديم بالقاهرة، أنه وجده وقد التف حوله بعض معارفه يسترشدون برأيه، ويستوضحون ما استغلق عليهم فهمه أو تفسيره من آيات القرآن الكريم، أو من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعندما سُئِلَ عن سبب إسلامه... تنهد وعاد بذاكرته إلى الوراء أعواماً طوالاً ليقول بعدها:

«... هنا فى حى الموسكى نشأت، ورثتُ عن أبى متجراً للخمور، لا أعرف من الحياة إلا الخمر التى أبيعها فى تلك البيئة الشعبية البسيطة.... وانقضى شبابى ولا معنى لحياتى ولا هدف، وافتقدت الاستقرار النفسى، فلم ينفعنى جمع المال، ولابيع الخمر، ولا احتساؤها.... ولكن كان هناك صوت يأتينى من بعيد، من أجهزة الراديو الموجودة فى بعض المحلات التى تجاورنى - فأشعر بصدى عميق تتجاوب له روحى، وتشغف به مسامعى.. فقد كان صوت تلاوة القرآن الكريم... نعم كنت كلما سمعته أحسست بكلامه يسرى فى كيانى ووجدانى سريان الروح فى الجسد، أو الإيمان فى القلب.... إنه شعور روحانى لا تدركه حاسة، ولايمكن أن تصفه لغة، ولا يستلذ به ويعرفه إلا من استحضر فى نفسه جلال الله وعظمته... فقد كنت كلما أصغيت إلى صوت القرآن الكريم تعترينى حال من الشفافية الحالمة.. فيها الحب والشوق.. وفيها الغناء والعبادة».

ثم أردف يقول:

« واشتريتُ مصحفاً صغيراً احتفظتُ به، وكنت أحاول جاهداً أن أقرأه وأفهمه، ووجدت كل ما فيه يهدى إلى الفضيلة ويؤكد روابط الود بين الناس ويسوى بينهم، ويقيم العدالة، ويعلى شأن الإنسان....».

ثم صَمتَ برهة ليعود قائلاً:

«كانت الآيات القرآنية تزداد وضوحاً أمامى مع مرور الأيام، حتى كان ذات يوم رأيت فى منامى وكأن صوتاً مجهولا يدعونى إلى أن أنهض وأتوضأ وأصلى... وفعلاً نهضتُ مسرعاً وتوضأت وصليتُ ركعتين لله.. وعلى الرغم من جهلى بطريقة الوضوء وكيفية الصلاة فإنّ إيحاءً مّا هدانى إلى الطريقة الصحيحة....

وانقضى يومى وأنا فى دهشة مما فعلتُ... وفى الليلة الثانية رأيتُ فى

منامى كأن النبى ﷺ يدعونى أن أنهض وأصلى معه فى بيت الله الحرام... وصليت معه.

وطوانى اليوم وأنا مأخوذٌ شاردٌ مما رأيته فى منامى...

وفى ليلة ثالثة، وجدت المصحف الصغير الذى أحتفظ به قد كبر حجمه فى الحلم، وأُضيئت سطوره، وله غلاف أخضر جميل!».

ثم استطرد قائلا:

«... وما إن بدد الفَجْرُ ظُلُمات الليل حتى سارعتُ إلى متجر الخمور الذى أمتلكه فحطمتُ كُلَّ مابه من زُجاجات الخمر، وامتنعتُ من يومها عن بَيْع الخمور والتعامل فى تجارتها.... بعدها أعلنت إسلامى، وأصبح اسمى «مصطفى إبراهيم المهدى»... وافتتحتُ بدلاً منه مقهى جديداً لا يُشْرَبُ فيه إلا الشاى والقهوة، ولا يُسمع فيه إلا إذاعة القرآن الكريم».

ويعتدل فى جلسته ثم يهز من رأسه وهو يقول:

« من أراد أن يكلم الله فليقرأ كلامه... إننى أحفظ القرآن الكريم وأستطيع أن أفسره».

ويتدخل أحد جيرانه فى الحديث قائلا:

«إننا لا نتذكر موعد الصلاة إلا عندما يمر علينا فى طريقه إلى المسجد ليصلى. .فهو يصلى دائماً فى المسجد وفى الموعد المحدد».

ثم يستأنف الشيخ اليونانى حديثه قائلا:

«لقد تنازلت عن كل أموالى وممتلكاتى للفقراء والمحتاجين بعدما وجدتنى أتمتع بأكبر ثروة منحها الله لى ألا وهى ثروة الإيمان بالإسلام ديناً».

* * *

* أندرسون هولاند [فايز محمود شجاع المعتز]:

نشأ فى ولاية «تينسى» بالولايات المتحدة الأمريكية فى بيت مسيحى، حيث والداه مسيحيان... وعرف الإسلام من صديقه المسلم عندما كان يعمل معه فى أعمال الشحن والتفريغ.. وأحس بنور الإسلام يتسلل إلى قلبه، برغم أن كل ماحوله كان ينطق بالعداء للإسلام ومحاولة تشويه حقيقته، فبدأ يتعلم اللغة العربية على يد أستاذ من الأزهر يعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية.. ثم أخذ يتردد على المركز الثقافى الإسلامى فى واشنطن ليزداد معرفة بالإسلام.. ولكنه لم يكتفِ بذلك، فأخذ يدخر جزءًا من أجره الأسبوعى ليتمكن من الحضور للدراسة بالأزهر الشريف بالقاهرة.. وكان له ما أراد.

وعن ذلك يقول:

«.... عندما التقيتُ بصديقٍ مسلمٍ وزملاءٍ له، بدأتْ أحس من حديثهم بعظمة الإسلام، بعد أن لمستُ بعضَ جنباته الرحيبة... وبرغم نشأتى المسيحية الخالصة فإننى ـ بعد أن عرفت بعضَ مبادئ الإسلام ـ وجدت أنه الدين الوحيد الذى أرتاح إليه.. فقد نشأتُ فى بيت مسيحى.. والداى مسيحيان.. كانا يحاولان دائماً إرسالى إلى الكنيسة، ولكنى لم أكن أذهب.. لماذا؟ لا أدرى، فقد كان هناك دافع خفى يدفعنى إلى ذلك!».

وبعد أن اعتنق «هولاند» الإسلام صار مدافعاً عنه، وغيوراً عليه، يُنبّه إخوانه المسلمين للأخطار التى تحيق بالإسلام فى أمريكا فيقول:

«فى أمريكا كثير من المسلمين الذين ينتمون إلى أصل إفريقى لا يعرفون شيئاً عن تعاليم الإسلام، ويرجع ذلك إلى الدور الخطير الذى يلعبه أدعياء الإسلام فى أمريكا، أمثال جماعة «عليشة محمد» التى تزيد اتباعها عن مليون نسمة، والتى تشوه حقيقة الإسلام وتقول إنه دين يدعو إلى كراهية

الرجل الأبيض، وإنه يجب عدم الاعتقاد فى رسول الله الكريم لأنه مات. . . . كما لا أنسى أن أذكر دور «الأحمدية» الخطير فى أمريكا الذين يزعمون أن لهم رسولاً جديداً. . . .».

ثم يحتد فى قوله مستطرداً:

«ولذلك فإننى أهيب بالمسلمين أن يدحضوا هذه الافتراءات على الإسلام ويُظهروا حقيقته على أساس من تعاليم القرآن الكريم».

* * *

*** «أوريام أوجواند» [إسماعيل أوريام]:**

من أوغندا حضر «أوريام» أو «جواند» إلى القاهرة التى سمع عنها كثيراً، وعن دين بها يُسمى الإسلام، لا يعرف إلا إلـهاً واحداً. . . وقابل من شرح له أموراً كثيرة عن الإسلام الذى يدعو إلى عبادة إلـه واحد، هو الله الذى لا إلـه إلا هو. . وعرف أن هناك رسالات سماوية أنزلت على الأنبياء لهداية أقوامهم. . وأن آخر هذه الرسالات هى رسالة محمد بن عبد الله التى أنزلت للناس كافة. .

كما وجد مَنْ شرح له كثيراً من أركان الإسلام وتعاليمه، كالصلاة وحكمتها. . والزكاة وفائدتها. . والصوم ومايعود على الإنسان منه. . والحج وأهدافه، ففرح كثيراً، لأنه كان يشتاق إلى دين. . . لماذا؟

يجيب عن ذلك فيقول:

«إننا فى أوغندا وثنيون، لادينَ لنا، هناك من يعبد الشمس. . وهناك من يعبد القمر، وكنت أنا أفكر فى هذه الأمور، وأعتقد أن هناك إلـهاً أكبر من الشمس والقمر. . . كان كل مايدور فى عقلى هو البحث عن حقيقة الله. . . الخالق لهذه الأجناس»(١).

---

(١) تعليق: اعظم ما فى إسلام هذا الشاب الأوغندى أنه وثنى لا يعلم عن الأديان شيئاً. . جاء إلى القاهرة سعياً وراء البحث عن حقيقة الأديان، فآمن بالإسلام.

وبعد اعتناقه للإسلام يقول:

«. . .كأنني وُلِدْتُ من جديد، رأيتُ النورَ لأول مرة فى حياتى. . كنت أعيش فى ظلام، وضلال وكفر، فأصبحتُ أعيش فى نور وهداية، وطمأنينة وسلام، بعد أن نطقت بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله».

* * *

* «أوتشو الأوغندى» [يوسف أوتشو]:

قرأ فى بلده «أوغندا» عن الإسلام، فرغبت نفسه لأن تزداد معرفة به، فسعى إلى القاهرة ليزيد علمه بالإسلام ومعرفة تعاليمه ومبادئه. . فالتقى بالمسئولين بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذين رحبوا به بعد أن عرفوا غايته، ودعوه إلى المشاركة فى معسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية ـ الذى كان وقتها منعقداً ـ فسنحت له الفرصة بالالتقاء بإخوانه المسلمين من أبناء آسيا وإفريقيا وأوربا وأمريكا. . . وهناك بين مظاهر الأُخوة الحقة والإيمان الخالص أعلن «أوتشو» إسلامه عن اقتناع ويقين، واختار اسم «يوسف» ليكون اسمه الإسلامى الذى يعتز به كمسلم.

وعن سبب دخوله فى الإسلام قال:

«يجب أن يعرف الجميع أن السبب فى دخول الناس فى الدين هو أنه لابد لهم من عقيدة تميزهم عن حياة الحيوان. . . . أما كيف ولماذا دخلت فى الإسلام. . . فأنا أعرف أولاً أن إشهار الإسلام بدون اعتقاد لا يساوى شيئاً، وإنما مثله كمثل الأرض الخراب. . ».

ثم أردف يقول:

«إننى أفهم أن الإسلام هو الدين الذى يُحَرِّمُ الخمرَ تحريماً مطلقاً. . . وحيث إن الخمر من أسباب الخطيئة والتهم، فضلاً عن أنها مضيعة للعقل

البشرى وتهلك الصحة والمال . . . لذلك فإننى أعتنق هذا التشريع من كل قلبى».

وعاد «أوتشو» يذكر سبب دخوله فى الإسلام فيقول:

«إن الدين الإسلامى معناه الود بين المسلمين، بدون اعتبار لِلَوْنٍ، أوجنْسٍ أو قومية، أو قَبَيلة، طالما يدينون بعقيدة واحدة، هى أن «اللَه واَحد» وأن «محمداً عبده ورسوله» الذى أتى إلى العالم بآخر الرسالات من عند الله إلى الناس كافة. . . كما أن هذا الدين يدفع المسلمين ليساعد كل منهم الآخر ويعينه على أى عقبة تعترض طريقه، وهذا يجعل المسلمين وكأنهم أبناء أم واحدة». .

* * *

الدكتور «خالد شلدريك» [من إنجلترا]:

هو أحد العلماء الإنجليز الذين اهتموا بدراسة الأديان السماوية وغير السماوية، ومن ثم قام بدراسة الإسلام قبل أن يلتقى بأى مسلم فى بلاده، فآمن به وبتعاليمه، ودخل فى الإسلام مقتنعاً به، وتسمى باسم «خالد».

وقد شرح الدكتور «خالد شلدريك» ظروف دراسته للإسلام وإيمانه به فرواها قائلا:

«عندما كنتُ أدرس الدين المسيحى فى المدرسة كنتُ أسأل كثيراً عن الأديان الأخرى، وأتوق إلى دراستها. . . ثم حدث أن زُرت إحدى المكتبات التجارية، وطلبتُ من القائم عليها الاطلاع على مافيها من كتب الأديان، فعرض على كتاباً فى الطعن على البوذية، وكتاباً فى الطعن على الهندوسية. . وبضعة كتب فى الطعن على الإسلام. . . فلما لاحظت أن الاهتمام بمحاربة الإسلام أشد من الاهتمام بمحاربة غيره، تاقت نفسى أكثر وأكثر إلى دراسة هذا الدين، فأخذت أقرأ كتب الطعن فيه». .

ثم توقف برهة ليعود يقول مبتسماً:

«من العجيب أننى آمنت بالإسلام من هذه الكتب التى تطعن فيه.. وأخذت بعدها أتصل بعلماء المسلمين كى أزداد معرفة بالإسلام ومبادئه وأحكامه».

* * *

*** البروفيسور «هارون مصطفى ليون»[1]:**

هو أحد العلماء الأوربيين الذين درسوا الإسلام وأصوله جيداً، واعتنقوه عن دراسة وإعجاب وإيمان... فقد أشهر إسلامه عام ١٨٨٢م.

ومما ذكره عن سبب إسلامه ومدى إعجابه بالإسلام ومزاياه قوله:

«من مفاخر الإسلام أنه مبنى على العقل، ولا يُطالب معتنقيه أبداً، بتجميد طاقاتهم الفكرية، مخالفاً بذلك عقائد أخرى، تلزم تابعيها بالاعتقاد الأعمى لمذاهب وآراء معينة بدون تفكير فيها».

ثم يستدل على احتفاء الإسلام بالعقل بأنه يُشَبّه الذين لا يستعملون عقولهم بالحمار الذى يحمل أسفاراً، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

---

(١) حصل على عدة درجات علمية رفيعة، كما كان يُعَدُّ أحد نوابغ المتخصصين فى علم اللغات، وله دراسات وافية فى أصول لغات الإنسان اشادت بها الهيئات العلمية العالمية.... وإلى جانب ذلك، فقد كان من علماء الجيولوجيا الأفذاذ، وتقديراً لجهوده العلمية فقد حصل على أوسمة متعددة.

(٢) سورة الجمعة ـ الآية الخامسة.

وهو يرى أن كلمة الإسلام مرادفة لكلمة الحق.. فبنور العقل والعلم يمكن إدراك الحق، ولذا يجب أن يستغل الإنسان ماوهبه الله من قدرة فكرية عاقلة حتى يصل إلى الحق الذى هو الإسلام الذى دعا لاستخدام العقل فى تدبر كل الأمور.

* * *

*** «لويس فانسنت هارت» [رمسيس محمد يوسف]:**

نشأ فى إنجلترا من أسرة مسيحية متدينة.. وشغل منصب مراسل بمكتب الشرق الأوسط للتحقيقات الصحفية.. يتكلم عن ظروف إسلامه فيقول:

«لقد درست الإسلام بإمعان بعد أن سمعت عنه كدين يصلح للإنسان فى كل زمان.. وأنه يوفر للمؤمن به فى آن واحد حاجات الجسد ومطالب العقل وأشواق الروح فى شمول وانسجام، ويجمع إليه النفوس، فأقبلتُ على دراسته، فاتضح لى أن مبادئ الإسلام يقبلها العقل السليم والمنطق، وأنها فعلاً صالحة لكل الأزمان».

ثم أردف بعد ذلك يقول:

«نعم.. وجدتُ أن من يدين بهذا الدين الحنيف حقّاً ويعمل بتعاليمه تكتمل فيه جميع الصفات الحميدة، والأخلاق الكريمة، والبطولة الحقة... لقد علمت ما كان يتصف به قادة الإسلام السابقون من الشجاعة والسماحة والبطولة وروح التضحية فى سبيل نصرة الحق والدين».

وعن سبب اختياره لاسم «رمسيس محمد يوسف» بعد إسلامه يقول:

«لهذه التسمية قصة فهى تتألف من ثلاثة الأسماء الأولى للأشخاص الذين حدثونى ملياً عن الإسلام ومبادئه، وأقنعونى بالحجة والدليل بما لايقبل الشك ولا يتطرق إليه التردد فى شأن عظمة هذا الدين وفضائله، ولذلك حرصت على أن أقتبس من أسماء هؤلاء الأشخاص الثلاثة لأذكر دائماً

فضلهم، والحدث ماحييت عن كرمهم ونُبل خصالهم وغزير علمهم ودرايتهم في الدين الإسلامي».

ويتحدث «هارت» أو «رمسيس محمد يوسف» عن مفهومه للإسلام وإعجابه به فيقول:

«لقد أدركت تماماً مفهوم الإسلام من أن يكون المرء في سلام مع نفسه ومع غيره ومع الله.. أو بمعنى آخر، هو الخضوع لمشيئة الله، فالله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾(1).

كما عرفت عن الإسلام أنه دين إنساني، يتحمل كل فرد فيه مسئولية عمله.. ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾(2).

ثم يدير بوجهه وقد اتسعت ابتسامته وهو يقول:

«هكذا نجد أن الإسلام يدخل إلى القلوب الواعية، فيهبها برد الأمان، وسلام الطمأنينة، وحرية الفكر، وروعة التأمل، فتشد صاحبها إلى حصن التوحيد، وركيزة الإيمان، فلا يملك إلا أن ينطق: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

* * *

*** «كلاوس ايبرهارت» [إبراهيم حبيب] [من ألمانيا]:**

نشأ في أسرة مسيحية متدينة بألمانيا.. وبعد أن انتهى من دراسته الثانوية التحق بالجيش لأداء الخدمة العسكرية التي وفرت له الفرصة لكي يفكر

(1) سورة الفجر ـ الآيات من ٢٧ ـ ٣٠.
(2) سورة الأنعام ـ من الآية ١٦٤، وعدة سورة أخرى في القرآن الكريم.

ويبحث عن الله، يقول عن ذلك: «... وهناك أخذت أفكر وأبحث عن خالق هَذَا الكون... وبعد انتهاء الخدمة العسكرية أخذت أطالع فى نسخة مترجمة لمعانى القرآن الكريم كان والدى قد اشتراها منذ زمن، وقد جذبتنى المقارنة غير المتكافئة بين مفهوم الجنة فى القرآن الكريم والإنجيل».

ويذكر ايبرهارت «إبراهيم حبيب» كيف أن الكنيسة عندهم لا يذهب إليها إلا الكبار فى السن، أمَّا الشباب فقليلاً ما يذهبون... وأن الكنيسة لا تعدو عن كونها مجرد هيكل ضخم يعانى من قلة المعتنقين للدين المسيحى، الأمر الذى أدى إلى أنه يشاهد الراهب يتجول فى الأسواق يدعو الناس لارتياد الكنائس..

ويضيف أنه شخصياً لم يذهب إلى الكنيسة إلا لمدة عامين فقط أثناء الدراسة الثانوية بعد أن دعاه أحد الأصدقاء إلى ذلك.

وعن سبب الابتعاد والإحجام عن دخول الكنائس حتى فى كثير من المناسبات يقول ضاحكاً فى شئ من السخرية: «...هناك نقطة مهمة يجب أن أشير إليها وهى أن محاولات تحديث المسيحية مازالت مستمرة حتى يومنا هذا، ذلك لأنها ليست الدين الخالص كما هو شأن الإسلام... فهناك فرق كبير بين هذا الدين الخالص وهو الدين الإسلامى وبين المسيحية، يكفى أن مسيحية اليوم ليست هى مسيحية الأمس... وهذا هو الفرق بينها وبين الإسلام فى مسألة الثبات والتغير، فبالرغم من مرور أربعة عشر قرناً على بداية دعوة الإسلام فمازال الإسلام اليوم هو نفسه الإسلام الذى أنزله الله سبحانه وتعالى على محمد ﷺ»(١).

ثم يستطرد فى بيان سبب اتجاه للإسلام فيقول:

« من جانب آخر هناك عدة نقاط تتعلق بالكنيسة غالباً، فبالرغم من أن القسيس هو أحد هؤلاء البشر فإنه يزعم أنه مقدس وله مكانته فوق الجميع،

(١) يعنى بذلك جوهره وتعاليمه، فضلاً عن كتابه الحكيم الذى لم يمسه اى تحريف او تعديل.

وهو الذى يمنح «صكوك الغفران» ـ والعياذ بالله ـ وهناك كذلك مسألة عدم العدل فى المسيحية، فالمحسن والمخطئ سواء، إذا غفر له البابا وليس الله سبحانه».

ويختتم كلامه بحمد الله وشكره، فينظر بعيداً إلى السماء وهو يردد:

«أحمد الله سبحانه وتعالى الذى شرح صدرى للإسلام».

* * *

* «جورج الرشيد»:

نشأ فى بيت قسيس من أسرة ألمانية.... ودرس التاريخ والأدب فى جامعة ميونيخ، مما كان أحد الأسباب القوية لتعرفه على الإسلام، بجانب إجادته للغة العربية التى أتقنها خلال دراسته الجامعية واحتكاكه بالمسلمين هناك.

وعن كيفية إسلامه يقول:

«منذ سنوات عديدة وأنا أطالع فى مجال المقارنة بين الأديان، إذ كانت لاتزال فى نفسى بعض الشكوك فى عقيدتى المسيحية، برغم أننى ترعرعت فى بيت قسيس... فى الوقت الذى كنت فيه شبه مقتنع بالإسلام بسبب الواقع المتخلف للمسلمين[1]، ولكن الحمد لله أن التوحيد الواضح الذى ينفرد به الإسلام كان العامل الحاسم فى اقتناعى بالإسلام أخيراً».

ولذا يردف حديثه بأمنية يتمنى أن تتحقق، والتى يعبر عنها قائلاً:

«أمنيتى أن يفهم المسلمون إسلامهم، بعد أن أصبح ـ للأسف ـ عادة وتراثاً فحسب... وهو ما يؤثر فى نظرة الغرب إلى الإسلام على أنه دين

---

(١) هذا هو السبب الذى نقول من أجله إن هناك فرقاً بين الإسلام كتشريع راق متحضر وبين واقع المسلمين الذين لم يلتزموا بتعاليمه ومنهاجه مما يؤدى إلى تخلفهم.

متخلف فى حين أن الواقع ان العلة فى المسلمين أنفسهم بعد أن ابتعدوا عن هذا الدين العظيم، ولذا فعلى المسلمين أن ينظموا صفوفهم، وأن يقوموا بمسئولياتهم بأمانة بالغة فى توضيح الإسلام كدين شامل كامل».

* * *

*** عبد الكريم دانتون [من إنجلترا] :**

شاب إنجليزى، لم تجد نفسه الراحة والاستقرار فى المجتمع الغربى المادى. . . . قام فى أواخر السبعينيات بزيارة لماليزيا، وهاله مارآه من تعامل الناس هناك من تواد وتراحم، وعندما استقصى عن سبب ذلك قيل له إنه دين الإسلام الذى يحث على مكارم الأخلاق وحُسْن التعامل بين الناس. . ولاعجب، فقد تجلى أمامه الخُلُق الإسلامى فى أجلى معانيه وصوره.

وعاد من «ماليزيا» وقد تغيرت كل مفاهيمه ونظرته عن الدين الذى ينبغى اتباعه. . والحياة التى يجب أن ينتهجها، فبرغم أنه قد نشأ فى بيئة مسيحية متدينة فإنه لم يؤمن بتعاليم المسيحية، لما فيها من تناقض كما جاء على لسانه كما لم يؤمن بنمط الحياة الغربية التى سادتها المادية. . . .

ويتحدث «عبد الكريم دانتون» عن رحلة إيمانه فيقول:

«منذ سن السادسة عشرة، كنت أنفر من نمط الحياة الغربية لما فيها من مادية. . فلقد بدا لى المجتمع الغربى كأنه سوق كبير، لا يتكلم فيه الناس إلا بلغة المادة. . . لا مجال للمشاعر الإنسانية والعلاقات النبيلة الخالية من الأهواء والأغراض المادية البحتة.

حاولت أن أستغرق نفسى بعيداً عن نمطية هذه الحياة، فانخرطتُ فى العمل السياسى متصوراً أن يكون العمل فى السياسة هو المخرج مما أعانيه من جفاف روحانى وفراغ فكرى. . . . وانضممتُ إلى أحد الأحزاب السياسية، وأخذتُ أدعو لمبادئ الحزب الذى كنت أنتمى إليه وأقوم بعمل شاق

فى تنظيم المؤتمرات واللقاءات للحزب، وعرض برامجه وأهدافه. . . . ولكننى اكتشفت بعد سنوات قليلة أن الحل السياسى لم تثبت جدواه».

وكانت نقطة التحول فى حياته عندما قام بزيارة لماليزيا، فيستطرد فى حديثه قائلاً:

«فى عام ١٩٧٩ قمت بزيارة لماليزيا، فرأيت عالماً آخر مختلفاً تماماً عن العالم الغربى الذى أتيت منه. . فالناس - برغم فقرهم، وجدتهم سعداء، فقد كانت المودة والترابط الوجدانى سائدا بينهم. . ولماذا لا يكونون سعداء والقناعة ورضا النفس رائدهم، وأهم ما يميز أسلوبهم فى الحياة؟! كانوا يقدمون العون والمساعدة بدون مقابل، فقد كان هناك شئ فى وجدانهم يدفعهم إلى هذا السلوك. . فعرفت فيما بعد أنه الخلق الإسلامى الذى يحث عليه دينهم. . وتيقنت حينها لماذا كانت بلاد المسلمين أسبق فى الحضارة من الغرب».

لقد كان لزيارة ماليزيا أثر كبير فى نفسى «عبد الكريم» الذى تعرف على الإسلام من خلال الناس من حوله فى سلوكياتهم وتعاملاتهم، وبالتالى تغيرت مفاهيمه عن الحياة والدين. . . . فيعبر عن ذلك بقوله:

لقد عرفتُ الإسلام فى خُلُق الناس من حولى، كما أنى رأيتُ عن كثب روحانية الشرق وجلاله فقد كان لتلك الزيارة أثر كبير فى نفسى، فقد تغيرت كل مفاهيمى عن الحياة والدين. . . وعدت إلى لندن وفى عزمى أن أعرف المزيد عن الإسلام، فذهبت إلى جامعة لندن لَعَلَّنِى أجد من يرشدنى إلى بداية الطريق. . . فقد كنت أعرف أن قسم الدراسات الشرقية والإفريقية تضم أعداداً كبيرة من الطلبة المسلمين فذهبت إلى هناك مباشرة، وتعرفت على بعض الطلبة، وصارحتهم برغبتى، فوجدت منهم مساعدة كبيرة. . وأمدونى بالكثير من الكتب الإسلامية المترجمة».

ويبتسم وهو ينظر إلى الأفق البعيد وهو يقول:

«لقد كنت أكثر حظاً من آخرين أسلموا قبلى، لأنى بدأت بالجيد من الكتب التى تتناول دين الإسلام بوضوح وموضوعية، فوجدت نفسى أمام عالم واسع وبحر عميق من المعرفة، ولذلك كلما قرأت زاد نهمى لمعرفة المزيد والمزيد».

وتزداد حَدَقَتَا عينيه اتساعاً وهو يشير بأصبعه مؤكداً كلامه:

«كان عمرى وقتها ٢٤ عاماً، فقد أقبلت بشغف عمّا كتِبَ عن الإسلام، بعد أن وجدتُ فى قراءاتى الإسلامية ما أفتقدته فى عالم السياسة أو غيرها من ثقافات أخرى».

ثم توقف برهة وكأنه تذكر شيئاً قد فاته.. بعدها قال:

«وقرأت أيضاً عن الديانات الأخرى، ولكن لا وَجْه للمقارنة أبداً بينها وبين دين الإسلام.. فهو الدين الكامل، والدين الحق، ولهذا فهو خاتم الرسالات».

ويعم الإشراق وجهه الذى استغرقته ابتسامته العريضة وهو يقول فى سعادة وسكينة المؤمن:

«وفى عام ١٩٨٢ توجهت إلى المركز الإسلامى بلندن وأشهرت إسلامى هناك عن رِضاً واقتناع تام».

وبعد أن أنعم الله تعالى على «عبد الكريم دانتون» بنعمة الإسلام صارت له اهتمامات بالكتابة فى كثير من قضايا الإسلام بعد أن اكتشف الزيف الذى كانت ـ وما زالت ـ تنشره أجهزة الإعلام المعادية للإسلام، ومن ذلك تشويه صورة المرأة المسلمة وتصويرها بأنها مغلوبة على أمرها، وتابعة ذليلة للرجل.. وقد غاب عنهم أن المرأة فى الإسلام تتمتع بمكانة لايمكن أن تحلم

بها أية امرأة غربية.. كما ذكر «عبد الكريم» فى إحدى كتاباته التى دافع فيها بغيرة وحماس المؤمن عن الإسلام وقضاياه.

ومن ذلك أيضاً قوله فى إحدى كتاباته:

«لقد وجدتُ فى الإسلام دستورَ حياة، ورسالة واقعية تعترف بغرائز الإنسان، ولكنها تسمو بها... فهو الدين الأكثر ارتباطاً بالواقع، وأعمق تأثيراً فى نفوس الناس..... فالقرآن الكريم فى قراءته راحة للنفس لا يعرفها إلا من قرأه بقلب صادق».

وهكذا حَسُنَ إسلام الشاب الإنجليزى «عبد الكريم دانتون» لدرجة أنه قد صار داعية لهذا الدين القيم الذى اعتنقه عن اقتناع تام بعد أن استشف أعماقه الإنسانية التى تتجلى فى سلوكيات ومعاملات طيبة[1].

***

*** «فوز الدين أحمد أو فرنج» [من هولندا]:**

أثار العالم الشرقى اهتمامه، وبالتالى اهتماماً بلغاته، فبدأ بدراسة اللغة العربية، وكان وقت ذاك تلميذاً فى المدرسة الابتدائية لم يتجاوز عمره اثنى عشر عاماً... ولم يجد حين ذاك من يعينه على دراستها، فلم يحرز وقتها إلا تقدماً يسيراً.. ولكنه لم ييأس، فقد كان يدفعه لذلك حبه الشديد للغات الشرقية، ولا سيما اللغة العربية... وبالفعل، ومع مرور الأيام استطاع أن يتعلم اللغة العربية، بل يحذقها، مما ساعده على أن يتعرف على تلك الديانة التى يسمع عنها، وهى الإسلام، فيقول عن ذلك:

«طبيعى أن دراسة اللغة العربية جعلتنى تلقائيّاً أتعرف على الإسلام، فاشتريتُ كتباً كثيرة عنه، وإن كان مؤلفوها جميعاً من الكُتَّاب الغربيين

(١) صحيفة المسلمون فى أحد أعدادها (بتصرف).

متعصبين ضده فى كثير من الأحيان... غير أننى أقتنعتُ بأن النبى محمداً ﷺ مُرْسَلٌ من ربه، وإن كانت معلوماتى عن الإسلام محدودة إذ لم أجد أحداً يرشدنى إليه».

ثم يضيف مستطرداً وهو يقول:

«وتمضى الأيام بى، ويشاء القَدَر أن يقع فى يدى كتاب بعنوان «تاريخ الأدب الفارسى فى العصر الحديث» أثَّرَ فى نفسى كثيراً، فقد ضم فيه مقطوعات من قصيدتين شعريتين كان لهما الفضل فى اعتناقى للإسلام.. هاتان القصيدتان هما «تارجى باند» لهاتف أصفهان.. و «هافت باند» لمحتشم كاشان.

كانت قصيدة «هاتف أصفهان» هى أول ما أثر فى نفسى، لأنها تعطى صورة رائعة لروح حائرة قلقة ثائرة تبحث عن معنى رفيع للحياة، فوجدت نفسى أنموذجاً مصغراً لها فى بحثها عن الحقيقة، وبرغم أننى أخالف ما جاء فى بعض أبياتها، فإننى خرجت منها بالحقيقة العظيمة الرفيعة: أن الله واحد، ولا شئ سواه، وأنه لا إله غيره».

ثم يمضى قائلا:

«بالرغم من أننى كنت ملتحقاً بمدرسة لتعليم الدين المسيحى تنفيذاً لرغبة والدتى، وتمشياً مع ميولى الشخصية، حيث كنت أعتبر الإلمام بالمسيحية ضرورياً فى الثقافة العامة، غير أننى كنت أميل للقراءة عن الإسلام، لدرجة أننى قدمت لعميد المدرسة فى نهاية الفترة الدراسية موضوعاً إنشائياً أعلنت فيه إيمانى بالإسلام».

ويطرق برأسه وهو ينظر إلى بعيد يستقرئ ذكريات ماضية ليقول بعدها:

وهنا قد يتساءل البعض: ولماذا يختار المرء الإسلام؟... ولماذا لا يتمسك بدينه الذى ولد عليه إن وجد؟

والإجابة قابعة فى صلب السؤال نفسه، فالإسلام يعنى أن يكون المرء متفقاً مع نفسه، ومع العالم، ومع الله، أى أنه يتضمن التسليم بإرادة الله..... هذا بجانب أن للأسلوب القرآنى جماله وروعته، وهذا ما لا يتوفر لأساليب ترجمته إلى لغات أخرى... وأننى أشير هنا إلى بعض آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾(١).

واختتم حديثه بحماس وغيرة المؤمن على دينه قائلا:

«أستطيع القول بأن الإسلام هو وحده الدين الخالص الذى لم تتطرق إليه الخرافات والأساطير، كما حدث فى المسيحية والأديان الأخرى... ثم انظر إلى الفرق بين العقيدة المسيحية التى تعتبر الفرد مسئولاً عن ذنوب أسلافه، وبين قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(١).

* * *

* **تورى عقيل [من الولايات المتحدة الأمريكية]:**

كانت بداية تعرُّفه على دين الإسلام من خلال قراءته لكتاب تناول قصة إسلام أحد الذين كانوا يبحثون عن الحقيقة، فيعبر عن ذلك بقوله:

«أول مرة تعرفت فيها على الإسلام كانت عن طريق كتاب قرأته فى أمريكا بعنوان «حياة مالكوم إكس».. الرجل الذى كان يبحث عن الحقيقة حتى وجدها فى الإسلام ـ وكان عمرى وقتها ثمانية عشر عاماً».

---

(١) سورة الفجر، الآيات من ٢٧ ـ ٣٠.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٤.

ويمضى «عقيل» فى حديثه قائلاً:

«برغم أننى كنت فى بداية شبابى، فإننى قد استطعتُ أن أكتشف نقاطاً عديدة، من أهمها أن آباءنا الأوائل الذين خُطِفُوا من أفريقيا وجئ بهم إلى أمريكا رغماً عنهم كانوا مسلمين... ومن ثَم بدأتُ أكتشف أموراً كثيرة أثبتت لى أن الدين النصرانى دين مُحَرَّف، وأن أتباعه من البيض أرادوا احتكار الدين لصالحهم - عنصرية لا عقيدة - كما قرأتُ لكثيرٍ من المفكرين والكُتَّاب الغربيين الذين أكدوا أن جميع المشاكل التى يعانى منها العالم يمكن أن تزال بالمبادئ والسلوكيات الأخلاقية التى يحض عليها الإسلام، حيث لم أجد ديناً يدعو إلى الخُلُق القويم كما هو حال الدين الإسلامى».

ويضيف أيضاً:

«لقد استمررت فى القراءة عن الإسلام وتبحرت فى دراسة أحكامه ونُظُمه، وذلك بعد أن حصلت على العديد من الكتب التى تتعلق بالإسلام، وذلك بعد أن كفرت بالنصرانية منذ مدة ليست بالقصيرة.

وبعد فترة من الزمن استغرقتها فى البحث عن حقيقة الإسلام تيقنتُ تماماً أن دين محمد ﷺ هو الدين الحق، وأن الإسلام هو الدين الذى يعتنقه ذوو العقل والحكمة... ومن ثم وجدت ضالتى فى الإسلام الذى هو طريق الحياة والنجاة، فأسلمت بينى وبين نفسى، بعدها توجهت إلى أحد المراكز الإسلامية لأُشْهِرَ إسلامى وبصحبتى صديق أمريكى تأثر بوضعى الجديد، وأسلم هو الآخر».

ويختتم حديثه قائلا بانفعال:

«إن العالم الإسلامى - اليوم مملوء بالمدعين والمنافقين، فى حين أننا نحتاج إلى مسلمين حقيقيين، حيث إن الدعوة لا تحتاج إلى الكم فحسب، بل

إلى الكيف أيضاً، فالإسلام نظام حياة، ولا بد أن يؤدى دوراً مهماً فى حياتنا».

* * *

* **«ستيفنس كلارك» [مصطفى يوسف]:**

نشأ فى ولاية «نيويورك» بالولايات المتحدة الأمريكية. . . وتخرج من جامعة «كولومبيا» قسم الأديان الشرقية ولاختياره هذا التخصص فى دراسته الجامعية سببٌ ودافع قوى، يذكره قائلا:

«كانت المادية التى سيطرت على مختلف نواحى الحياة تبعث فى نفسى الضيق والاضطراب. . وكنت أبحث عن مخرج ينتشلنى من حومة القلق القاتل الذى ألمَّ بحياتى. . كنت أبحث عن الحياة الإنسانية الصحيحة التى تحكمها روابط المودة والإخاء والحق والعدل والسلام. . . كنت أنشد الاستقرار الروحى الذى يوصل إلى السعادة الحقيقية. . . . وفى طريق البحث المستمر صادفتنى موجة «الصوفية» السائدة بين الشباب المسلم فاستهوتنى ونالت اهتمامى، وفى نفس الوقت دفعتنى لدراسة هذا التصوف، فالتحقت بجامعة «كولومبيا» قسم الأديان الشرقية».

وكان من الطبيعى أن يدرس «كلارك» الأديان العامة ومن بينها الدين الإسلامى، وإن كانت الدراسة فى هذا القسم المذكور مركزة فى البوذية والهندوكية كما قال:

«. . . ولكنى تبينت بعد فترة من الزمن أن الدراسة بهذا القسم مركزة فى البوذية والهندوكية، فلجأت إلى مكتبة الجامعة التى كانت تحتوى على كثير من كتب التصوف فى الإسلام، وأقطاب المتصوفين، ثم تابعت قراءاتى فى المكتبة العامة بالمدينة. . . وكان «الغزالى» إحدى الشخصيات التى قرأت لها

---

(١) صحيفة «المسلمين» فى ١٣ / ١٢ / ١٩٩١ (بتصرف).

فى كتابه «إحياء علوم الدين».. وبعض الكتب الأخرى المترجمة، كما قرأت عدداً كبيراً من التراجم لأشعار جلال الدين الرومى وغيرها».

ثم أردف بعد ذلك يقول:

«وبعد الدراسة والاطلاع لمست أن كثيراً من تعاليم الأديان لا تتفق مع العقل والواقع.·. فكيف مثلاً إذا ضربنى أحد على خدى الأيمن، أدير له خدى الأيسر؟!... أو يتحول الخمر والخبز إلى دم المسيح ولحمه فى بدن الإنسان وغيره.. إنها مسائل تدخل فى باب السحر، ولا تدخل فى باب الواقع..... كما أن المسيح كان يعيش حياة يتعذر على الإنسان أن يحيا مثلها.. إنه من عالم آخر، وينبغى لمن يريد أن يتابعه أن يكون من جنسه، ليستطيع أن يفعل مثله..... أما بالنسبة للإسلام.. فمحمد ﷺ بَشَرٌ وُضِعَ موضع الأُسْوَة التى يمكن لكل بشر أن يقتدى بها لأنه بشر مثله...»

ويختتم تصريحه باطمئنان نفسى بقوله: «وإيماناً بذلك قررت أن أعتنق الإسلام».

* * *

*** ر. ل. ملما [من هولندا]**[1]:

عالم فى تاريخ الأجناس البشرية.. تخصصه العلمى يفرض عليه سفريات متعددة لدراسة شعوب العالم، من تلك الشعوب شعب باكستان الذى يذكر عنه ذلك الموقف:

«عندما كنت أزور مسجداً صغيراً يوم الجمعة بباكستان خطب عالم باللغة الإنجليزية بطلاقة، وعمد إلى تطعيم خطبته باللغة الأردية وقال حتى ييسر بذلك فهمها على أخيهم[2] الذى جاء من بلاده البعيدة فى هولندا ـ يقصدنى ـ

(١) شغل منصب رئيس القسم الإسلامى فى المتحف الاستوائى فى أمستردام، درس اللغات الشرقية فى جامعة «لندن» حيث تعلم اللغة العربية، ودرس الإسلام كجزء من اهتماماته.

(٢) أى أكثر منها باللغة الإنجليزية ليفهمها ذلك الهولندى.

وبعد الخطبة صلى الحاضرون ركعتين خلف الإمام. . . عندئذ كنت على وشك الانصراف، لكن الخطيب استوقفنى وطلب منى أن أتحدث لتلك الجموع على أن يتولى هو ترجمتها بالأردية. . فتوجهت إلى مكان الميكروفون وبدأت الحديث فى هدوء، وذكرت أننى أتيت من بلاد بعيدة إلى هنا لكى أعرف أحوال المسلمين، وأننى أحبيهم.

وما كاد الجمع يستمع إلى الترجمة الأردية لهذه الكلمات حتى سرت آثارها فيهم بقوة عجيبة أذهلتنى، وقبل أن أعرف ماذا جرى بينهم رأيت مئات المصلين يسارعون إلىّ شباباً وشيوخاً يشدون على يدى مهنئين، وعلى وجوههم مشاعر المحبة العميقة، غير أن أشد ما أسر قلبى وخلب لبى كان ذلك البريق الهادئ العميق الذى كان يشع من عيون الحاضرين. . . وفى هذه اللحظة شعرت أننى أصبحت أحد أفراد الأسرة الإسلامية العظيمة التى تمتد فى أرجاء الدنيا. . . وعندئذ أحسست بسعادة ليس فى مقدورى وصفها.

وهكذا علمنى شعب باكستان أن الإسلام ليس مجرد علم بتفاصيل الشريعة، وإنما بالإيمان والسلوك.

وعندما سُئل عن أجمل ماراقه فى الإسلام حتى آمن به؟. . .

أجاب على الفور:

الإيمان بوجود إله واحد، له السلطان المطلق فى الكون كله، وأن الصلة به لا تحتاج إلى وساطة، كما لا يحتاج الإسلام إلى كهنوت، فالإنسان مسئول عن عمله، ولن تكفر ذنوبه تضحية نفس أخرى بريئة، وأن عليه أن يعمل فى حياته الدنيا لحياته الأخرى. كما راقنى مبدأ الأخوة فى الإسلام، فهو الدين الوحيد الذى ينفرد بتطبيق هذا المبدأ عملياً. . والمساواة بين الناس

جميعاً والتى تتمثل واضحةفى لباس الإحرام فى الحج.. كما أعجبنى مبدأ التسامح فى الإسلام، كما يبدو فى هذه الكلمات الخالدة ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ وغير ذلك كثير».

* * *

* **عثمان عبد الرحمن لولن:**

وُلِدَ فى بيئة متدينة، متعصبة لمذهب مسيحى يؤمن بوحدانية الله[1]، غير أنه لم يقتنع بالمسيحية كدين حق، وخُصوصاً وقد علموه فى الكنيسة أشياء لا يستسيغها العقل الواعى السليم.... فترك المسيحية وأخذ يبحث فى الديانات والفلسفات الشرقية والغربية منها لعله يجد الحقيقة التى يبحث عنها وتطمئن إليها نفسه، فدرس الديانة اليهودية والهندوسية والبوذية والكونفوشية وغير ذلك من فلسفات، كالشيوعية.. وأبحر عبر كل التيارات الفكرية، ولكنه لم يجد ضالته من التعاليم والأخلاقيات الفاضلة، وما يمكن أن يعود عليه بالنفع والفائدة فى الوقت ذاته.

وبينما هو يقرأ فى الأديان إذ استوقفته ديانة الإسلام وتعاليمها وما تشمله أركان من عبادات وما تحثه عليه من آداب وسلوكيات متميزة فاطمأنت نفسه، مما دفعه لأن يستزيد من قراءاته عن الإسلام، ومعارفه من استفسارات وتساؤلات طرحها على عدد من علماء المسلمين الذين اتصل بهم... فيذكر أنه كان يتلقى إجابات مقنعة عن تساؤلاته، كما كان يقرأ عن قضايا وآراء تناولها الإسلام بالعقل والمنطق القوى الذى لا يحتاج بعده إلى جدال أو مناقشة.... وعن ذلك يقول «لولن»:

«كان إسلامى فى البداية عقلياً وأنا أواصل القراءة عن الإسلام وعن المسلمين.. اتصلت بعدد كبير من المسلمين للإجابة عن كثير من التساؤلات

---

(١) هو مذهب جامعة «الموحدين اللونيتاريان».

التى علقت بذهنى... وأخيراً اقتنعت، وبلا دعوة من أحد أشهرت إسلامى»[1].

ومما لفت نظره إلى الإسلام شئ طيب ـ على حد تعبيره ـ يتناوله فيقول:

«لقد وجدت فى الإسلام شيئاً طيباً وهو أن الإحسان هو أساس العمل والأخلاق».. ثم يتناول ترجمة قوله تعالى:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[2].

ويستوقف «عثمان لولن» فكره وعقله أمام قوله تعالى: ﴿ **أيكم أحسن عملا** ﴾ فيرى أن كلمة «أحسن» هنا تشمل كل نوع من أنواع الخير وليس فقط أكثر حباً وأكثر غفراناً،... بل أحسن عملاً.... وهذا العمل يشمل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى لاتعرفه الكنيسة ولاعجب فى ذلك ـ كما يذكر عثمان ـ بعد أن اطلع على كل مبادئ الإسلام، فرآها تدعو إلى خير ومصلحة الخلق كافة فى كل زمان ومكان.... ولم ير فى الإسلام إلا ديناً يدعو إلى العمل والإيجابية لا إلى التكاسل والسلبية.

إنه يذكر بأسىً وأسف أنه لم يؤمن بالإسلام منذ صغره[3]... فلم يكن فى البداية متحمساً لدراسة الإسلام ولكنه بعد أن قرأ ترجمة لمعانى القرآن كان قد اشتراها من المكتبة مع ثلاثة كتب أخرى فيها بعض المقتطفات من الأحاديث النبوية... شعر بسعادة من يظفر على ضالته التى كان يبحث عنها منذ أمد ـ عن إجاباتٍ لتساؤلاته فى مبادئ الإسلام وتعاليمه وسلوكه وآدابه التى حث عليها[4].

(١) المسلمون ـ العدد الحادى عشر ـ الصادرة أبريل ١٩٨٥ (بتصرف).
(٢) سورة الملك ـ الآيتان: الأولى والثانية.
(٣) فقد أشهر إسلامه وقد بلغ إحدى وأربعين سنة.
(٤) المرجع السابق (بتصرف).

وهكذا مضت رحلة عثمان مع الإسلام، والتى ابتدأت بالبحث والقراءة، ثم باتصاله بعلماء المسلمين ومخالطته للمسلمين من كل جنس ولون. . . . ثم يتبحر أكثر فى دراسة الكتب الإسلامية وتعلم اللغة العربية ليحذق فهم كتاب الله ـ القرآن الكريم ـ وهو فى أثناء ذلك قد عزم على تحضير رسالة دكتوراه فى الشريعة الإسلامية ليظهر للعالم كله عظمة الإسلام وتشريعاته بعد أن أنعم الله عليه بنعمة الإسلام.

* * *

أسر تعتنق الإسلام

* رحلة إيمان تقطعها أسرة كورية تدين بالبوذية لتصل بعد اقتناع تام إلى واحة الإسلام.
* أسرة يابانية تعتنق الإسلام بعد أن بحثت فى مبادئه وتعاليمه ومختلف جوانبه.
* أسرة ألمانية يشعر الزوج فيها برغبة جارفة للتعرف على الإسلام الذى يجد فيه إجابات شافية علي تساؤلاته، فيقود زوجته وأبناءه إلى بر الأمان الذى وصل إليه.
* وأسرة ألمانية أخرى تهتدى إلى الإسلام من خلال السلوكيات الحميدة لبعض المسلمين الذين تعرف عليهم الزوج والزوجة.

مع أسرة كورية تعتنق الإسلام
زوج .. وزوجة .. وابنتان

عن رحلة الإيمان بالإسلام التى قطعتها أسرة كورية تدين «بالبوذية» تحكى الزوجة «كيوبونج كيم» التى تعرفت على الإسلام وتعمقت فى فهم تعاليمه حتى مَلَكَ عليها فكرها فتقول:

«كانت نشأتى فى أسرة متعصبة لديانات قديمة فى كوريا.. وكانت الحرب الكورية قد أنهكت قوى المجتمع.. وهكذا أمضيت شبابى... إلى أن خطبنى أحد الشباب... وكنت أنا وهو بعيدين عن الإسلام.

كان كل منا يشعر أن هناك شيئاً ما يجعل كُلَّ واحدٍ منا أكثر قرباً من الآخر..... وحدث أن زوجى الذى قد درس الأدب بجامعات اليابان وقع فى يده كتاب عن الإسلام لمؤلف يابانى... وكنت ألاحِظ فى داخله رغبة غير معلنة فى معرفة شئ عن الإسلام، حيث كان يجد راحة نفسية غامرة عندما يقص علىَّ ما يقرؤه عن هذا الدين البعيد عنا وعن مجتمعنا....

لقد كان يقول لى كلما قرأ أمامى شيئاً عن الإسلام: «ألا تريْنَ أن هناك طريقاً أصوب من الطريق الذى نسلكه الآن فى ظل الديانة البوذية؟!... وبدأت أشعر مع زوجى فى وقت واحد أن هناك شيئاً ما تَغَيَّرَ بداخلنا».

وتصمت برهة لتسترجع ذكريات حبيسة فى نفسها لتعيدها فتقول عنها:

«بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، وفى عام ١٩٣٩، رحلتُ مع زوجى إلى الصين.... وفى أثناء حوار له مع رجل صينى سأله: هل تعرف شيئاً عن الإسلام؟... فكانت إجابته: لا... فأخذه الرجل الصينى إلى أحد المساجد هناك وعَرَّفَهُ ببعض المصلين الذين حدثوه عن الإسلام وتعاليمه وآدابه، مثل: كيف يعامل بعضهم بعضاً.. وكيف يعيشون.... وكيف يتعبدون... الخ..

وكان زوجى يقص علىَّ كل ما يسمعه منهم عندما يرجع إلى منزلنا»

ثم تهز برأسها وهى تستطرد قائلة:

«لم يمهلنا الوقت كثيراً، فقد تركنا الصين إلى كوريا.. وكنت أشعر أن قلبى ينبض بالإسلام مستتراً.. وأن هناك طريقاً يخفى علىَّ غير طريق الديانات التى أعرفها كالبوذية والكونفوشسية... وكان السبيل إلى معرفته عن طريق صديق لنا يسمى «عمر كيم»، كنا قد تعرفنا عليه عند عودتنا إلى «سيول»[1] ... وكان قد سبق أن أعلن إسلامه، وتحمس لدين الإسلام، لدرجة أنه لفت نظر زوجى إليه وهو يبين له حاجة مجتمعنا المنهوك الضعيف إلى الإسلام».

وتلتقط أنفاسها، وتعود إلى هدوئها الخاص الذى يميزها لتأتى كلماتها بطيئة، ولكنها قاطعة، وبنبرة صوت سعيدة تقول:

«أنا لا أنسى ذلك اليوم أبداً... يومَ أن دَخَلَ علىَّ زوجى وهو يتهلل فرحاً قائلاً: لقد وجدتُ الطريق الذى طالما بحثنا عنه...إنه الإسلام!

وعلى الفور وجدتُ نفسى أستجيب معه وأنا أمسك به وأقول له فى لهجة معاتبة: ألم تكتشف بنفسك أنه طريق الهداية... ويبدو أن كلماتى كان لها أثر إيجابى فى نفسه، فازدادت ثقته وإصراره على المضى فى طريق المعرفة بالإسلام.

---

(١) عاصمة كوريا.

وبدأ صديقنا عمر يُعَرّفُ زوجى على الكثير من علوم الإسلام... وزوجى بدوره يعرفنى كل ماعرفه عن الإسلام وتعلمه... حتى جاء اليوم الذى أعلنا فيه للجميع رغبتنا فى اعتناق الإسلام... إنه يوم لا أنساه أيضاً... كان يوم جمعة من صيف عام ١٩٥٥، بعدها أدى زوجى صلاة الجمعة مع إمام تركى اسمه «عبد الرحيم»... وفى حضرته أشهر إسلامه».

وتنفرج أسارير وجهها متهللة وهى تواصل حديثها قائلة:

«بعد أن عاد زوجى إلى منزلنا ليخبرنى أنه أشهر إسلامه، وسألنى: ما رأيُك فيما حدث؟.. لم أجبه، وإنما بادرته بالشهادة... «أشهد أن لا إله إلا اللَه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».. لقد نطقتها وقتئذ بينما قلبى كان ينبض بها منذ عودتنا من الصين».

واختارت الزوجة «كيوبونج كيم» اسماً إسلامياً هو «عائشة» تيمناً باسم أُمّ المؤمنين عائشة بنت أبى بكر، رضى الله عنها، التى قرأت عنها كثيراً، كما ذكرت.... واختار زوجها اسم «محمديون» تيمنا باسم رسول الله محمد ﷺ أما الابنتان، فقد تسمت الكبرى - وتبلغ من العمر ٢٥ عاماً - باسم «جميلة» والصغرى - وكان عمرها عشرين عاماً - باسم «حسنة»... وكلتاهما متزوجتان زوجين مسلمين من كوريا.

أما عن رد فعل اعتناق تلك الأسرة للإسلام عند الأهل فتقول «عائشة كيم»:

«بعد عودة زوجى من المسجد الذى أعلن فيه إسلامه علم أهله بذلك.. وكان ذلك اليوم بداية لعذاب طويل عانينا منه كثيراً... فقد كان أهله بوذيين متعصبين يكرهون الإسلام، فقطعوا علاقاتهم به.. وتبرءوا منه، بعد أن وصفوه بالمجنون... وكذلك كان موقف أهل أسرتى».

ومن الملفت للنظر أن يصل تغلغل الإيمان فى نفس تلك الزوجة البوذية حتى تصير داعية للإسلام فى كوريا، فلا تكتفى باعتناقها للإسلام هى

وزوجها وابنتيها، بل أخذت تدعو غيرها من بنات جنسها حتى استطاعت أن تقنع كثيرات منهن باعتناق الإسلام، وهى تبين لهن أن الإسلام هو الدين الذى يصون للمرأة حقها وكرامتها ويبنى الحياة المستقيمة للأسرة. . .

لقد دأبت «عائشة كيم» الداعية الإسلامية على إقامة ندوات وإلقاء محاضرات لتوعية النساء المسلمات بمبادئ الإسلام.

ومما يجعلنا نتساءل الآن: هل هناك حُسن اعتناق للإسلام أفضل من التصدى للدعوة له كما تفعل تلك الزوجة التى آزرت زوجها وشجعته على اعتناق الإسلام وأقنعت ابنتيها، فكان لها ما أرادت، ثم لم تكتفِ بذلك، بل اتجهت إلى الدعوة خارج أسرتها، تدعو الكثيرات اللاتى اعتنقن على يديها الإسلام. .

* * *

مع أسرة يابانية تعتنق الإسلام الزوج «أسامه أوسامو» .. والزوجة «سميحة اتشكوكوتش»

إنهما يابانيان فى مقتبل العُمر، وعلى درجة عالية من الثقافة والفكر . . . هداهما الله إلى الدين الحنيف، فتركا البوذية التى يدينان بها بعد أن ملأ الإيمان قلبيهما نوراً بعد أن اعتنقا دين الإسلام. . . . يحكى الزوج «أسامه أوسامو أوكاوا» عن رحلته من البوذية إلى الاسلام فيقول:

«إننى قبل أن أحضر إلى «مصر» كنت موظفاً بإحدى شركات البترول اليابانية التى لها فروع فى الدول التى تنتج البترول، وقد أوفدتنى مع بعض الفنيين فى إحدى عملياتها إلى المملكة العربية السعودية. . وكانت طبيعة عملى تقتضى أن أحْتَكَّ بالسعوديين فى الموقع الذى أعمل به يومياً. . . وشد انتباهى عادات المسلمين هناك، فقد لاحظت أنهم يلتقون كل يوم - وفى مواعيد محددة - خمس مرات، فيقفون فى صفوف منتظمة، يتقدمهم فرد منهم، ويؤدون حركات منتظمة. . . وقد أعجبنى جداً حرصهم على أداء هذا العمل بانتظام. . . . وبدأت أتقرب إلى هؤلاء المسلمين، يساعدنى على ذلك معرفتى البسيطة باللغة العربية التى تعلمتها فى معهد الدراسات العربية والإفريقية بطوكيو. . . فأبديتُ لهم رغبتى الملحة فى مشاركتهم فيما يفعلونه فى صلاتهم، فرفضوا أن أصلى معهم، لأننى لست مسلماً».

ثم يصمت ليسترجع ذكريات رحلته إلى الإسلام ليعود بعدها قائلاً:

«عرفتُ وأنا فى السعودية أن الإسلام ينبع من القرآن الكريم. . . ولذا رأيت المسلمين يواظبون على قراءته فى أوقات فراغهم. . . ولاحظ زملائى اليابانيون أنى أمضى معظم وقتى مع المسلمين، لأنى كنت أحب الاستماع إلى القرآن، بل كنتُ حريصاً على حفظه، ولذلك كنت حريصاً على تعلم اللغة العربية، فقد كنت أسمع من أحد المسلمين المشهورين فى اليابان «أنه لكى تتعلم اللغة العربية جيداً لابد أن تحفظ القرآن. .

وكنت وأنا فى اليابان أقرأ بعض الكتب الإسلامية التى تنشرها «جمعية مسلمى اليابان»، وهى جمعية مشهورة فى اليابان يجتمع أعضاؤها فى مسجد طوكيو لتدارس القرآن والدين».

ثم يبتسم فى هدوء قد امتزج باعتزاز وهو يقول:

«لقد أعجبنى كلام القرآن، واستطعتُ أن أفهم بعض معانيه».

ويعود أسامه ليستكمل حديثه عن رحلته إلى الإسلام قائلاً:

«رجعت إلى اليابان فى آخر مارس عام ١٩٨٠، وانتظمتُ من جديد بمعهد الدراسات العربية والإفريقية. . وكان يقوم بتدريس الدين الإسلامى شخص اسمه «يوسف ايمورى» الذى كان يركز فى دروسه على ضرورة حفظ القرآن الكريم، وحدث أن فَاتَحْتُهُ فى رغبتى فى اعتناق الإسلام، فصحبنى إلى مقر «جمعية مسلمى اليابان»[1]. . . وهناك أعلنت إسلامى بعد أن نطقتُ بالشهادتين لأول مرة فى حياتى. . وتعلمت كيف أعبد الله بتأدية فرائض الصلاة، وأنا أشعر بأن شيئاً جديداً قد طرأ على نفسى فصقلها، وجعل لحياتى معنى ساحراً أعايشه فى الاطمئنان النفسى الذى بدأت أشعر به، وبأن للحياة مذاقاً جميلاً بدون تعقيد.

---

(١) جمعية مسلمى اليابان التى نطق فيها بالشادتين قد تكونت عام ١٩٥٢، ويراسها عمر أكيبى، وهو من خريجى الأزهر، وأعضاؤها يؤدون الصلاة بانتظام، ويتلون القرآن الكريم، ويدرسون اللغة العربية والدين الإسلامى على يد علمائها الذين درسوا فى الأزهر.

وفى هذا العالم الجديد الذى دخلتُه تعرفتُ على كثير من الأصدقاء المسلمين الذين شعرتُ تجاههم بعلاقة الأُخوة الحقة ذات المعنى الكبير الذى لا نعرفه نحن فى اليابان أو غيرها من البلاد الأخرى.

لقد أحسست أن هؤلاء الأصدقاء الأخوة يشاركوننى فى جميع أحوالى فى آمالى وآلامى، وفى أفراحى وأحزانى، يشعرون بى وأشعر بهم، وأعتقد أن هذه العلاقة لاتوجد فى أى مجتمع غير المجتمع الإسلامى... فأنا لم أرَ مثل هذه العلاقة الحميمة فى اليابان، ولم أسمع بها فى أى مكان آخر من العالم، لأن الفرد فى تلك المجتمعات لا يهتم إلا بنفسه فقط، فبالرغم من التقدم الحضارى الهائل فى اليابان وغيرها من الدول المتحضرة كما يقولون، فإنه لاتوجد هناك علاقات إنسانية تربط الناس بعضهم ببعض كما هو الشأن فى المجتمع الإسلامى...

وعندما سُئِلَ عن موقف أسرته منه بعد اعتناقه لدين الإسلام.. أجاب بقوله:

«لقد كنتُ متخوفاً من البداية من أسرتى عندما أعلنت إسلامى، ولكنهم لم يبدوا أى اعتراض على أن أترك دينى البوذية وأعتنق دينا آخر كالإسلام... ولهذا لم أشعر بأى قيود تُفْرَض علىَّ من الأسرة أو من المجتمع، لأن كل إنسان فى اليابان من حقه أن يعتنق الدين الذى يؤمن به».

ومن الطريف أنه بعد أن أسلم قا- دعوة غيره لاعتناق دين الإسلام.... وعن ذلك يقول:

«بعد أن أسلمت اتصلتُ بأصدقائى وأخبرتهم بإسلامى، وشرحتُ لهم الأسباب التى اقتنعت بها، وبناء عليها دخلت الإسلام... واستطعتُ أن أقنع ثلاثة من أصدقائى باعتناق الإسلام، منهم فتاة قد اخترتها لتكون زوجتى...».

ويصمت برهة ليستطرد بعدها قائلا: «. . . لقد تقدمتُ لخطبتها بعد أن أسلمت مثلى، فمن غير المعقول أن أتزوج فتاة غير مسلمةلأن اتفاقنا فى الدين يجعلنا على أعلى درجة من التعاون. . .».

ويختتم حديثه بابتسامة الرضا والاطمئنان النفسى الممزوجة بالاعتزار والفخر وهو يقول:

«قد استطعتُ أن أحفظ جُزْءَ عَمَّ» من كتاب الله القرآن الكريم».

أما الزوجة «سميحة» فتقول عن قصتها مع الإسلام ورحلتها إلى الإيمان به: «إن الله اختارنى. . . فقد كنت أقرأ كثيراً عن الإسلام باللغة اليابانية، لأننى لم أكنِ أعرف اللغة العربية حينئذ، فقرأت «القرآن الكريم» مترجماً باليابانية. . كما قرأت الكتيبات التى يتولى المركز الإسلامى فى طوكيو طباعتها ونشرها، مثل «ماهو الإسلام؟». . . و «الإسلام والمرأة». . . و«لماذا نصوم؟». . . وغيرها من إصدارات إسلامية، استطعتُ بعدها أن أكَوِّنَ فكرة عامة عن هذا الدين بعد قراءة هذه الكتيبات بعد أن كنت لا أعرف شيئاً عن الإسلام، شأن الكثيرات من اليابانيات. . . وقد أُعجبتُ بالإسلام، وكلما زادت قراءاتى عنه زاد حبى له واقتناعى به.

وعندما فكرتُ فى اعتناق الإسلام أخذتُ أبحثُ مَبادِئَه وتعاليمه، ومختلف جوانبه، فاقتنعتُ به ديناً وعقيدة أدين بها، فصممتُ على الدخول فى هذا الدين بدون مساعدة من أحد، وفاتحتُ والدى فى هذا الموضوع، فكان رده لكِ حرية اختيار الدين الذى تُؤمنين به»(١).

وبعد أن أعلنت «سميحة» إسلامها تصف مشاعرها تجاه عقيدتها الجديدة فتقوم: «لقد شعرت بتغيير كبير فى حياتى. . . . عندما كنت أدين بالبوذية كان

(١) يلاحظ أنه لعدم رسوخ عقيدة البوذية فى نفوس من يؤمنون بها تجدهم لا يغارون عليها ومن ثم لا يتحمسون لاتخاذ إجراءات مضادة ضد من يترك ديانة البوذية التى تبدو أنها دين هلامى يفتقد الصلابة والتماسك.

الدين شيئاً، والدنيا شيئاً آخر، فالدين منفصل عن الدنيا.... أما فى الإسلام فإنه يجعل المسلم يجمع بين الدين والدنيا... لقد شعرت أنه منهاج فى الحياة يجب أن ألتزم بتعاليمه».

وتذكر دور «جمعية مسلمي اليابان» فى تعليمها أداء الصلاة وتحفيظها لبعض سور القرآن، فضلاً عمّا استفادته من دروس عن الدين الإسلامى، فتعبر عن ذلك قائلة:

«لقد تعلمتُ الصلاة من الجمعية، واستطعتُ أن أحفظ فاتحة الكتاب، لأنهم علمونى أن الصلاة لا تصح إلا بقراءتها.. كما حفظونى بعض السور القصيرة، مثل «قل هو الله أحد»... وبدأت أنفذ تعاليم الإسلام، فتبتُ عن شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، ودخول الملاهى والبارات... وبعد يوم واحد من إسلامى جاء شهر رمضان، وكان امتحاناً قاسياً بالنسبة لى، حيث لم أتعوَّد أن أجوع يوماً بالكامل، ولكنهم أفهمونى فى الجمعية أنه لكى يكون إسلامى صحيحاً لابد أن أصوم شهر رمضان.. وبالفعل صمتُ شهراً كاملاً لأول مرة فى حياتى، وكنت أشعر بسعادة غامرة عندما ينتهى اليوم ونجتمع فى مقر الجمعية ونتناول جميعاً طعام الإفطار».

وتختتم كلامها قائلة: «إننى سعيدة بإسلامى الذى يَسَّرَ لى أن أنال منحة دراسية من الأزهر لازداد علماً بدينى الجديد «الإسلام»[1].

* * *

(١) يلاحظ أن الإسلام ينتشر الآن بصورة ملحوظة فى اليابان، حتى أن أحد المسلمين البارزين «جسواتا جاكى» عضو فى البرلمان اليابانى، كما أنه عضو هام فى الحزب الحاكم، وقد أطلق على نفسه اسم «عبد العزيز».. وتضم المسلمين فى اليابان لجنة تسمى «المؤتمر الإسلامى اليابانى وهى تعمل على نشر الإسلام.

مع أسرة ألمانية تعتنق الإسلام
الزوج «يحيى شولسكر».. والزوجة «فاطمة شولسكر»
والابنان: «عمر» و«عثمان»

إنهما زوج وزوجة اعتنقا الإسلام بعد تفكير متأنٍ وتأمل متدبر، ورويه يحكى الزوج عن رحلته مع الإسلام فيقول: «هذه قصة تعود إلى بداية الستنيات، عندما كنتُ قد انتهيتُ من دراستى وبدأت أمارس مهام عملى الوظيفى.. فى هذه الفترة مررتُ بمرحلة قلقٍ وشكٍّ متزايد تجاه عقيدتى التى نشأتُ عليها، فقد كانت هناك أمورٌ كثيرة لا تعجبنى فى ديانتى... وكنت أشعر بأن الذين يعملون فى الكنيسة بحكم مهنتهم كل همهم الحفاظ على مناصبهم ومراتبهم دون اهتمام بشئون عقيدتهم، فكنت أراهم يتحدثون عن شئ ويفعلون شيئاً آخر...

ولذا، بعد تفكير طويل، قررت أن أبدأ رحلة البحث عن الحقيقة، فاشتريتُ مجموعة كتب عن الديانات المختلفة، فشدنى ما قرأته عن الإسلام من خلال «ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الألمانية».

ثم يصمت برهة ليستأنف حديثه قائلاً:

«وعلى الرغم من أن الترجمة لم تكن كما يجب.. فإننى وجدتُ من خلال تلك الترجمة لمعانى القرآن الكريم مَعَانِيَ خفية جعلتنى أشعر باطمئنان نفسى...».

ثم يتنهد فى راحة وسكون قائلاً:

«نعم... لأول مرة أجد الحقيقة الغائبة التى كنت أبحثُ عنها... لقد عرفتُ أن هناك إلـهاً واحداً للكون، فتبددت شكوكى التى ثارت فى نفسى منذ زمن بعيد عندما علمونا فى المدارس الأولية غير ذلك... كما وجدت فى ترجمة معانى القرآن الكريم أفكاراً ومبادئَ لم أسمع عنها من قبل، مثل التسامح والعفو والرضا والأخوة. وعرفت أيضاً أن لهذه الدنيا تاريخاً غير التاريخ الذى قرأناه عنها، وأن هناك ديانات ورسالات أخرى نزلت لهداية البشر. كما أدركت أيضاً أن هناك ديانات مهدت لديانة الإسلام... وأيقنت أن القرآن هو دستور هذه الرسالة الخاتمة».

ثم يصمت ليلتقط أنفاسه ليستطرد بعدها فيقول:

«كان علىَّ أن أستمر فى مزيد من البحث عن الحقيقة، فذهبتُ إلى مسجد فى «برلين» وتحدثت مع إمام المسجد فى أمور عديدة، وعرفتُ منه أن للكون خالقاً هو «الله».. وأنه عز وجل يتصفُ بصفات لا تُوجد فى أحد سواه.. وأنه مُنَزَّهٌ عن أشياء كثيرة... كما عرفت من إمام المسجد معانى الرحمة والمغفرة والعفو... وقد كان لتفسيره وتوضيحه أثر كبير فى نفسى، وخصوصاً عن العفو والمغفرة... كما أوضح لى أن الله خلق الإنسان وحباه بالعقل ليميز بين الحق والباطل، وأن يتدبر ما فى الكون من عظيم مخلوقات الله ليقتنع بوجوده دون إكراه».

ويُطَأطِئُ رأسه وهو يهمهم قائلا: «لقد هزت كيانى كلمات إمام المسجد هزاً عنيفاً، وشعرتُ حينها أن الدنيا أُضيئت حولى بأنوار لم أرَ مثلها من قبل، وأحسست أنى فى عالم جديد.. أجل.. لقد وجدتُ ضالتى فى الإسلام، فلم أملك إلا أن أُشهِرَ إسلامى على يد هذا الشيخ إمام المسجد».

أما الزوجة «فاطمة شولسكر» فتحكى قصة إسلامها فتقول:

«أسلمت قبل زواجى.. وقبل أن أتعرف على «يحيى»...كان اسمى «استاى».. بدأتُ أسمع عن الإسلام لأول مرة عندما تعرفتُ على بعض الأُسر المسلمة فى ألمانيا.. شدنى مالمسته فيهم من الترابط الأُسَرِيّ القوى، والروح الاجتماعية السامية، ومن احترام الصغير للكبير، وعطف الكَبير على الصغير، واحترام المرأة لزوجها، وحب وغيرة زوجها لها...

عرفت لأول مرة أن هناك حياة زوجية مقدسة تقوم على رباط متين، ولا تهتز أمام المشاكل وصعوبات الحياة.. كنت أَنْظُرُ إلى المرأة المسلمة فأجدها سعيدة بحياتها مع أولادها وزوجها، قانعة بإمكانياتها المادية... حينئذ كنت أتساءل بينى وبين نفسى: إنَّ ديناً كهذا يصون للمرأة كيانها وكرامتها، ويحفظ لها حقوقها، ويرتفع بها إلى مكانة سامية لابد أن يكون جديراً بمزيد من البحث والدراسة لمعرفة مبادئه وتعاليمه».

ثم تنظر إلى بعيد لتضيف قائلة:

«نعم لقد شعرتُ برغبة جارفة لأن أعرف هذا الدين الذى يُعْرَفُ بـ «الإسلام» فبدأتُ أحاور كثيراً من المسلمين.. وأتناقش معهم.. أطرح عليهم تساؤلاتى المتعددة.. وكانوا يرحبون بها فيجيبوننى عن كل شئ بصراحة ووضوح تام، وذلك بعد أن وجدت بينهم أُلْفَةً ومحبة دفعتنى لأن أتعايش معهم ببساطة، فقد كنتُ أحس براحة نفسية غريبة لم أعهدها من قبل، وخصوصاً فى شهر رمضان الذى يصومون فيه».

ثم لم تلبث أن تبتسم ابتسامة واسعة ملأت وجهها المفعم بالإيمان وهى تقول: «لقد صُمْتُ معهم كما يصومون، فأحسست بنشاط كبير وحيوية واضحة.. وعندما رأيتهم يُصَلّونَ بدأت أصلى معهم.. أفعل مثلما يفعلون قبل أن أُتقن أصول الصلاة وأركانها...».

ثم تعاود ابتساماتها وهى تستطرد قائلة:

«طبعاً. . قبل أداء الصلاة هناك الوضوء، فقد حذقت فعله. . أما الصّلاة فقد أخذتُ أتعلمها حتى عرفت كيف أصلى ولا أكتفى بأداء حركاتها كما كنت أفعل فى بداية معرفتى بالأخوات المسلمات، وقد أهْدَتْ إلىّ إحداهن زيّاً إسلامياً ارتديته من يومها. . ومازلت أحافظ عليه حتى الآن».

وتستطرد «فاطمة شولسكر» فى حديثها فتقول:

«لقلد اقتنعتُ بأن الإسلام هو الدين الذى يوفر لى السعادة والحياة الكريمة. . فقد كنتُ كلما قارنتُ بين ما كنتُ عليه من حياة بلا معنى، وما أصبحت فيه الآن من هدوء وصفاء وراحة نفسية أدركت أننى قد ربحت كثيراً. . . نعم كنت أشعر بأننى فى صراع دائم مع الحياة والناس. . أما الآن فقد عرفت أن للكون خالقاً ومنظماً هو الله الواحد ويجب على كل إنسان أن يؤمن به. . . . لقد وجدتُ فى الإسلام الأمن والراحة النفسية التى افتقدتها طويلا، مما زاد اقتناعى به كعقيدة أدين بها. . عندئذ لم أتردد بعدها فى إشهار إسلامى رسمياً».

وعن قصة زواجهما تقول «استاى» التى صارت «فاطمة المسلمة»:

«كان التعارف بيننا مصادفة. . فقد كان شاهداً على وثيقة إشهار إسلامى، بعدها لم أرَهُ لفترة، حتى علمت أنه قد أسس جمعية للمسلمات الألمانيات، فأسرعت للانضمام إليها. . . ومن يومها ازدادت معرفتى به، تلك المعرفة التى تطورتُ فيما بعد وأثمرت اتفاقاً على الزواج».

ثم تضيف «فاطمة» قائلة:

«والحمد لله قد رزقنا الله بولدين، اخترنا لهما اسمين من أسماء الصحابة رضوان الله عليهم هما: «عمر» و «عثمان». . ونحن نحاول بقدر المستطاع أن

نربيهما تربية إسلامية صحيحة، بالاستعانة بالمركز الإسلامى فى برلين الذى يقوم بتحفيظهما بعض سور من القرآن الكريم، وتعليمهما مبادئ الإسلام وتعاليمه وآدابه على يد مدرسين عرب يقومون بتعليم أبناء المسلمين فى الخارج تطوعاً.

* * *

مع الألمانى كريسان باخن
وزوجته الإيرلندية كاترين و قصة إسلامهما

فى إحدى المدن الألمانية عاش «كريسان باخن» حياته كأى شاب ألمانى فى مثل سنه، لا يفكر سوى فى يومه وكيف يقضيه فى اللهو والمرح.. أو ليس الإنسان يحيا العمر مرة واحدة؟!

هذا كان منطقه وتفكيره قبل أن يهتدى للإسلام الذى تعرف عليه من خلال السلوكيات الحميدة، والأخلاق الطيبة التى يتميز بها بعض الأخوة المسلمين الذين تعرف عليهم فى ألمانيا.

وقد دفعه هذا الإعجاب إلى محاولة التقصى عن سر هذا السلوك الراقى والإيمان العميق، وكانت دهشته عظيمة حينما وجدهم جميعاً يعزون ذلك إلى سبب واحد، هو الإسلام، ذلك الدين القيم الذى يحض على مكارم الأخلاق.. فبدأت تنمو فى داخله رغبة فى التعرف على المزيد من تعاليم هذا الدين.

وفى خلال سنوات قليلة قام بعدة رحلات زار خلالها بلداناً إسلامية، وأخرى توجد بها جاليات إسلامية كبيرة، كتركيا وإيران وأفغانستان وباكستان والهند وغيرها.... وخلال رحلاته هذه وجد المسلمين هناك يتميزون عن غيرهم بنفس الصفات التى أعجبته فى مسلمى ألمانيا، فكان قراره هو ضرورة دارسة الأديان ليعرف أى الديانات هو الحق..

وبالفعل درس الديانات السماوية وغير السماوية، فما شعر بنفسه راضية - كما يقول - إلا حينما بدأ فى قراءة ترجمات معانى القرآن الكريم.. إذ وجد فى أركان الإسلام الخمسة ما لم يجده فى أى ديانة أخرى من معانٍ سامية تطبيقية... فالشهادتان تخلصان العبد من الشِّرك، وتقودانه إلى معرفة الله فى بساطة متناهية.. والصلاة ليست مجرد حركات وسكنات، بل هى توحى بما هو أعمق بكثير، فهى تذكير للعبد بوجود الخالق وإقرار بحق الطاعة والخشوع له.. أما الصوم فليس مجرد امتناع عن الطعام والشراب بل هو عبادة سامية تجعلك تشعر بالفقير وهو أيضا صحة... والزكاة فيها تآلف للقلوب وعون للمحتاجين.. والحج عبادة يتجرد فيها جميع المسلمين - غنيهم وفقيرهم - من زخرف الدنيا ومتاعها ليلتقوا بملبس واحدٍ، وعلى صعيد واحد، طالبين رحمة الله وغفرانه طامعين فى جنته ورضوانه.

كل هذه المعانى قربته أكثر من الإسلام، فبدأ يحس فى قرارة نفسه أنه مسلم، وإن لم يعلن ذلك.. فقد حدث فى أثناء زيارته الثانية للباكستان أن اضطربت نفسه حين فاجأه رجل - وهو غرق فى تفكير عميق - بسؤال: هل أنت مسلم؟ ولدهشته وجد نفسه يرد تلقائياً: نعم، ولكننى لا أعرف كيف أصلى أو أمارس العبادات الأخرى!

عندئذ طلب منه الرجل أن يتبعه باتجاه المسجد حيث لقنه الكثير من مبادئ الإسلام وتعاليمه، واستمرت الدروس لفترة سافر بعدها إلى إنجلترا، وهناك التقى بأحد الأخوة المصريين، وعلى يديه تعليم اللغة العربية، فتحققت له إمكانية القراءة بلغة القرآن الكريم.

الغريب فى الأمر أن يحدث ذلك كله ولم يكن قد أعلن إسلامه بعد، فالقرار لم يكن سهلاً ليُتَّخَذَ فى ليلة أو ضحاها، كما يعترف - أيضاً - أن بعضَ مباهج الدنيا لا تزال تشده، فضلا عن كونه مشغولاً بالبحث عن نصفه الآخر.

وما لبث أن وجد نصفه الآخر، وكانت فتاة إيرلندية تدعى «كاترين». . . وعندما أراد أن يتزوجها أشهر إسلامه ليتزوجها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بعد أن اتفق معها على أن تشهر إسلامها أيضاً.

وبالفعل أشهر إسلامه وتسمى بـ «عبد الحفيظ» نابذاً كل ما كان قبل إسلامه من أسلوب حياة. . . كما أشهرت فتاته «كاترين» إسلامها وتتسمى باسم «قريبة». . ولم يلق «عبد الحفيظ» معارضة من قبل أسرته لدى اعتناقه الإسلام، لإيمانها بحريته فى اتخاذ ما يريد من قرارات، فى حين دخلت «قريبة» فى مواجهة مع أسرتها، ولا سيما مع والدتها التى رفضت بإصرار اعتناق ابنتها الإسلام، فحاولت ـ بكل ما فى وسعها ـ أن تثنيها عن هذا القرار، غير أن تمسك «قريبة» بإيمانها كان كالسد المنيع أمام محاولات الأم.

وتنفرج أسارير وجه «قريبة» التى صارت متمسكة بالحجاب وهى تقول:

«إننى كنت قبل إسلامى كنتُ أعتقد أن الإسلام دين مختص بالشرقيين فقط، وأن الحجاب هو حجر على المرأة، لكننى ما لبثت حين قرأت الكتب الإسلامية، وخاصة ترجمات معانى القرآن الكريم أن أدركت أن الإسلام وحده هو الدين الصالح لكل زمان ومكان، ففيه منهاج متكامل ومنطقى لأمور الدنيا والآخرة، وفيه بساطة متناهية، ودعوة إلى المحبة والإخاء. . . . أما الحجاب الذى كنت أنتقده فقد صرت من أشد المتمسكات به بعد أن أدركت أنه صون وتكريم للمرأة».

وتشير «قريبة» إلى مدى حرص الإسلام على تأكيد حقوق المرأة وما تحظى به من تقدير لم تنله غيرها من النساء فى سائر الأمم.

أما «عبد الحفيظ» فيشير إلى ضرورة تخلُّق المسلمين بأخلاق القرآن الكريم، تلك الأخلاق التى توفرت فى شخص الرسول محمد ﷺ فيقول فى أسًى:

«من المؤسف أن يوجد بعض المسلمين ممن يُحْسَبُونَ على الإسلام يمارسون سلوكيات بعيدة عن روح دينهم. . وأن على المسلمين واجباً يتمثل فى توضيح أن كتاب الله لم يأمر أو يَنْهَ عن شئ إلا وفى أمره ونهيه حكمة ومصلحة للإنسان، ومثال ذلك ماثبت من أضرار شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، وغيرهما من المحرمات التى دعا الله عباده إلى اجتنابها لما فيها من ضرر بالغ».

ثم يضيف قائلاً:

«وإذا نظرنا إلى مسلمى الغرب لجدهم لا يعلمون عن الإسلام سوى أبسط المبادئ ويجهلون أموراً كثيرة عنه من شأنها لو أدركوها أن تعينهم على إنقاذ أرواح كثيرة بهديها إلى دين الحق والسلام».

ويرى «عبد الحفيظ» أن هناك إمكانية كبيرة لتحقق انتشار الإسلام فى الغرب، لو أحسن المسلمون انتهازها لدخل الناس فى دين الله أفواجاً، وهى الاستفادة من مسلمى الغرب المخلصين بتوعيتهم وتدريبهم ليكونوا دعاة للإسلام، وللقيام بهذا الدور الحيوى يجب الاهتمام بدعم الجمعيات الإسلامية، وتوفير الكتب والمجلات التى تتناول قضايا العصر من منظور إسلامى، فضلاً عن الكتب التى تتناول المفاهيم والمبادئ والتعاليم الإسلامية، وذلك بمختلف اللغات، كى تكون عوناً لكل راغب فى مزيد من المعرفة عن الإسلام.

ومن الجدير بالإشارة أن «عبد الحفيظ» وزوجته «قريبة» يعيشان فى بيت عامر بالإيمان، وقد مَنَّ الله عليهما بأربعة أبناء يقومان على تربيتهم تربية مُستمدة من القيم الإسلامية الأصيلة. . . . وأمنيتهما الغالية أن يتمكنا من هداية عائلتيهما وأصدقائهما إلى دين الإسلام[1].

* * *

(١) مجلة الفيصل ـ عدد أكتوبر ١٩٩١ (بتصرف).

الفصل الخامس

اعترافات الأجانب بالدين الإسلامى

* إننى أعتقد أن هناك آلافاً من الرجال والنساء مسلمون قلباً، ولكن خوف الانتقاد منعهم من إظهار معتقداتهم [اللورد هدلى]

* الإسلام هو دين العقلاء.. ولكن الإسلام شئ والمسلمون الآن شئ آخر! [الكاتب الايرلندى برناردشو]

* إن ظاهرة اعتناق الإسلام فى الوقت الحالى أمر يستحق التسجيل وجذب الانتباه [العالمة الفرنسية إيفا لاماك ديمترا]

* ليس محمد نبى العرب وحدهم، وهو أفضل نبى قال بوحدانية الله تعالى [القس الفرنسى لوزون]

* .... واعترافات أخرى.

قالوا عن الإسلام

«. . . الإسلام هو الدين الوحيد الذى يبدو لى أن له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة، وهو صالح لكل العصور.

وفى رأيى أن محمداً يجب أن يُسَمَّى منقذ البشرية، دون أن يكون فى ذلك عداء للمسيح. وأعتقد أنه لو أتيح لمثله أن يتولى منفرداً حكم هذا العالم الحديث لحالفه التوفيق فى حل جميع مشاكله بأسلوب يؤدى إلى السلام والسعادة اللذين يفتقر العالم إليهما كثيراً. . . . وأستطيع أن أتنبأ بأن العقيدة الإسلامية ستلقى قبولاً حسناً فى أورُبا فى الغد، بل قد بدأت تجد أذاناً صاغية فى أوربا اليوم».

[**برنارد شو**]

إن هناك مفكرين منصفين، لا غربيين فحسب، بل عالميين أيضاً، درسوا الإسلام دراسة عميقة فجرى فى نفوسهم تيار تَفَهُّمِهِم له، حتى لقد أخذنا نسمع مدح الإسلام، منهم.

وهؤلاء الكتاب المفكرون، ينقسمون إلى فريقين:

فريق أعلن إسلامه فى غير لبس ولا مراءاة، وجَابَهَ الرأى العام فى بيئته بعقيدته، ثم أخذ يدعو إليها، مكرساً وقته وجهده لنشرها.

وفريق أحب الإسلام واكتفى بمدحه، ولا ندرى ماذا أَسَرَّ فى نفسه؟! . . ويصف هذا الفريق «اللورد هدلى» بقوله:

«إننى أعتقد أن هناك آلافاً من الرجال ـ والنساء أيضاً ـ مسلمون قلباً، ولكن خوف الانتقاد[1] والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشئ عن التغيير منعهم من إظهار معتقداتهم»[2].

وسواء أكان هؤلاء الكتاب المفكرون اعتنقوا الإسلام وأعلنوه أمام الجميع، أم أحبوه وأعجبوا بما فيه من تعاليم ولم يجرءوا على إشهاره... فسنذكر آراء كُلّ واحِدٍ منهم.

* يقول اللورد هدلى ذاكراً بعض التعبيرات التى ترشد القارئ إلى سبب رفضه للمسيحية، وبالتالى سبب اعتناقه للدين الإسلامى:

«عندما كنت أقضى الزمن الطويل من حياتى الأولى فى جو المسيحية، كنت أشعر دائماً أن الدين الإسلامى به الحُسن والسهولة، وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتستانت.... وثبتنى على هذا الاعتقاد زيارتى للشرق[3] التى أعقبت ذلك، ودراستى للقرآن المجيد».

...ثم اسمع إليه يقول:

«يجب علىَّ أن أعترف أن زيارتى للشرق ملأتنى احتراماً عظيماً للدين المحمدى السلس، الذى يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة طوال مدة الحياة، لا فى أيام الآحاد فقط».

ويبدى دهشته من عالمية الإسلام الذى يدعو الناس كافة إلى عبادة إله واحد، هو الله الواحد الأَحَد، فيقول:

«أيمكن إذن، أن يوجد دين يمكن العالم الإنسانى من أن يَجمع أمره على عبادة الله الواحد الحقيقى، الذى هو فوق الجميع، وأمام الجميع بطريقة سهلة خالية من الحشو والتلبيك؟»[4].

(١) وذلك يرجع بالنسبة إليهم للخوف من بطش وانتقام الكنيسة وعدائها لمن خرجوا على دينها، بحيث يجعل كل شخص يريد أن يشهر إسلامه يطيل التفكير قبل ذلك.

(٢) آوربا والإسلام. الدكتور عبد الحليم محمود (بتصرف).

(٣) مما يذكر أنه عندما أراد الحج مر بالإسكندرية، فأقام له أهالي الثغر حِفلة كبرى تحت رعاية أميرها عمر الطوسونى.

(٤) المرجع السابق (بتصرف).

ويدعو البشرية إلى التفكير الصحيح لكى تصل إلى الحقيقة التى وصل إليها بدلا من الافتراءات والأكاذيب التى يروجها الكثيرون عن الإسلام فيقول: «ليس فى وسع الإنسان فى الحقيقة إلا أن يعتقد أن مُدبّحى وناسجى هذه الافتراءات لم يتعلموا حتى ولا أول مبادئ دينهم، وإلا لمَا استطاعوا أن ينشروا فى جميع أنحاء العالم تقاريرَ معروف لديهم أنهم محض كذب واختلاق»(١).

ويتكلم «هدلى» عن محمد ﷺ بإعجاب وحب فيقول:

«كان ﷺ مثابراً، لا يخشى أعداءه، لأنه كان يعلم بأنه مكلفٌ بهذه المأمورية من قبل الله، ومن كلفه بهذا العمل لن يتخلى عنه. . . . لقد أثارت تلك الشجاعة - التى كانت حقاً إحدى مميزاته وأوصافه العظيمة - إعجاب واحترام الكافرين، وأولئك الذين كانوا يشتهون قتله. . . . ومع ذلك فقد انتبهت مشاعرنا، وازداد إعجابنا به بعد ذلك فى حياته الأخيرة، أيام انتصاره بمكة، عندما كانت له القوة والقدرة على الانتقام، واستطاعته الأخذ بالثأر، ولم يفعل، بل عفا عن كل أعدائه. . . . عفا بلا قيد ولا شرط عن كل هؤلاء الذين اضطهدوه وعذبوه. . آوى إليه كل الذين كانوا قد نفوه من مكة، وأغنى فقراءهم. . . عفا عن ألد أعدائه، عندما كانت حياتهم فى قبضة يده، وتحت رحمته.

تلك الأخلاق الربانية التى أظهرها النبى الكريم أقنعت العرب بأن حائزها لا يكون إلا من عند الله، وأن يكون رجلا على الصراط المستقيم حقاً، وكراهيتهم المتأصلة فى نفوسهم قد حولتها تلك الأخلاق الشريفة إلى محبة وصداقة متينة»(٢).

ثم يتابع وصفه لحياة محمد ﷺ فيقول عنها:

«إنها كمرآة أمامنا تعكس علينا التعقل الراقى، والسخاء والكرم، والشجاعة والإقدام، والصبر والحلم، والوداعة والعفو، وباقى الأخلاق

(١) المرجع السابق (بتصرف).
(٢)المرجع السابق (بتصرف). .

الجوهرية التى تكون الإنسانية، ونرى ذلك فيها بألوان وضاءة. . . وبما أننا فى احتياج إلى نموذج كامل يفى بحاجاتنا فى خطوات الحياة، فحياة النبى المقدس تسد تلك الحاجة».

ومما هو جدير بالذكر أن للورد هدلى مؤلفات عديدة، أشهرها «رجل من الغرب يعتنق الإسلام».

* ويقول «كارلايل» أحد كبار كتاب الإنجليز فى كتابه «الأبطال» مدافعاً غيوراً على الإسلام:

«من العار أن يصغى أى إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين بأن دين الإسلام كذب، وأن محمداً لم يكن على حق. . . لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التى دعا إليها هذا النبى ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التى عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذبة، أو خديعة مخادع؟! . . . . ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج لأصبحت الحياة سخفا وعبثا، وكان الأجدر بها ألا توجد. . . .

هل رأيتم رجلاً كاذباً، يستطيع أن يخلق ديناً، ويتعهده بالنشر بهذه الصورة؟!

إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبنى بيتاً من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء، وإذا بناه فما ذلك الذى يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد، فما بالك بالذى يبنى بيتا دعائمه هذه القرون العديدة، وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس؟!»(١).

---

(١) الأبطال: كارلايل ترجمة محمد السباعى.

ثم يخلص بنتيجة لاتقبل جدالاً يقرها فى حزم حين يقول:

«وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمداً رجلاً كاذباً متصنعاً، متذرعاً بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع، وما الرسالة التى أداها إلا الصدق والحق.... وما كلمته إلا صوت حق صادق، وشهاب أضاء العالم أجمع. ذلك أمر الله.. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[1].

ويرد «كارلايل» على مزاعم أعدائه بأن محمداً لم يكن يريد بدعوته غير الشهرة الشخصية والسلطان وأن الطمع وحب الدنيا هو الذى دعا محمداً إلى دعوته، فيقول مفنداً مزاعمهم تلك:

«لقد انطلقتْ من فؤاد ذلك الرجل الكبير النفس، المملوء رحمة وبراً وحناناً ونوراً وحكمة، أفكارٌ غير الطمع الدنيوى، وأهداف سامية غير طلب الجاه والسلطان... لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة، يسطع أمام عينه سر الوجود بأهواله ومحاسنه ومخاوفه، لهذا جاء صوت هذا الرجل منبعثاً من قلب الطبيعة السامية، ولهذا وجدنا الآذان إليه مصغية، والقلوب لما يقول واعية...

لقد كان زاهداً متقشفاً فى مسكنه، ومأكله، وملبسه، وسائر أموره وأحواله، فكان طعامه عادة الخبز والماء، وكثيراً ما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار.. فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟»[2].

ثم يستطرد قائلاً:

«لقد كان فى قلوب العرب جفاء وغلظة، وكان من الصعب قيادتهم وتوجيههم واستطاع «محمد» أن يقودهم ويعاشرهم معظم وقته، ثلاثاً وعشرين حجة وهم ملتفون حوله، يقاتلون بين يديه ويجاهدون معه...

---

(١) المرجع السابق (بتصرف).

(٢) المرجع السابق (بتصرف).

لهذا كان من يقدر على ترويضهم وتذليلهم بطلاً . . . ولولا ماوجدوا فيه من آيات النُّبْل والفضل لما خضعوا لإرادته ، ولما انقادوا لمشيئته .

وفى ظنى أنه لو وضع «قيصر» بتاجه وصولجانه وسط هؤلاء القوم بدل هذا النبى ، لما استطاع «قيصر» أن يجبرهم على طاعته ، كما استطاع هذا النبى فى ثوبه المرقع . . هكذا تكون العظمة . . وهكذا تكون البطولة . . وهكذا تكون العبقرية»[1] .

* * *

* وتقول الدكتورة «سالوناس حسن إسماعيل ، الداعية الإسلامية بالمركز الإسلامى بكاليفورنيا ، والحاصلة على الدكتوراه فى طب أمراض النساء :

«إن المجتمع الأمريكى مُهَيَّأٌ لتقبل الأفكار الإسلامية ، بشرط حُسن العرض ، وأن المرأة المسلمة مطالبة بأن تكون نموذجاً حسناً لإسلامها» .

وتذكر أنها قد تأكدت من هذه الحقيقة من خلال عملها فى المركز الاسلامى بكاليفورنيا الذى يتردد عليه نحو ٣٠٠ ألف مسلم من شتى الجنسيات

والجدير بالذكر أن الدكتورة «سالوناس» من الشخصيات التى اعتنقت الإسلام وتحمست فى الدعوة له .

* ويقول الخبير الأمريكى «مصعب عبد الله» بعد إسلامه :

«ليس إسلام الأمريكان أمراً نستغربه . . وإنما الذى نستغربه ونستنكره ألا يدخل الناس فى دين الله أفواجاً» .

* * *

---

(١) المرجع السابق (بتصرف) . .

اعتراف الأجانب بالدين الإسلامى

*** قال الكاتب الإيرلندى «برنارد شو»:**

«الإسلام دين الديمقراطية وحرية الفكر..... هو دين العقلاء... ولكنّ هناك أمراً مهمّاً يجب ألا أغفله، وهو أن الإسلام شئ والمسلمون الآن شئ آخر!...الإسلام حسن ولكن أين المسلمون؟!.. وليس فيما أعرف من الأديان نظام اجتماعى صالح كالنظام الذى يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية»[1].

***

*** وقال «المستر وينتروب كيهمبال» الإنجليزى:**

«أعجبنى من الإسلام أنه دين بسيط معقول، ليس به مافى غيره من نظريات معقدة، واعتقادات سخيفة، وطقوس لا معنى لها، وقديسين يكادون يبلغون فى ادعائهم الباطل درجة الألوهية!!».

ثم قال:

«وبالرغم من أننى أنتسب إلى الكنيسة الإنجليزية البروتستانتية، فإننى لم أكن عضواً حقيقياً فيها، إلى أن بلغت العشرين من العمر، ولا أزال أرى فى كنيستى فائدة عظيمة يجنيها أعضاؤها، ولكننى لا أتفق معها فى الاعتقاد والإيمان، ولا أقرها على طقوسها الدينية ونظرياتها غير المعقولة».

---

(١) مبشر الطرازى الحسينى: مجلة منبر الإسلام ـ عدد أبريل ١٩٦٦ (بتصرف).

ثم يمضى فى قوله:

«ولا تظن أننى الوحيد الذى يرى فى الإسلام جاذبية تجذبه إليه، فهذا صديق لى يبلغ من العمر الثامنة والعشرين، وهو مسيحى كاثوليكى، ينهمك فى دراسة الإسلام والقرآن، ويرى فيه بغيته المنشودة، فلا عجب أبداً إذا رأيت هذا الكاثوليكى الذى وُلد بمحيط التعصب، يعتنق الدين الإسلامى عن عقيدة ثابتة، ويجتذب إليه بهذه الرغبة والقوة الفائقة، لأننى أعتقد أن الإسلام يوافق عصرنا الحاضر أكثر مما توافقه النصرانية الآن بتعاليمها وطقوسها».

ثم يختتم حديثه قائلا:

«أعتقد أن فى أوربا كثيرين من الناس لا يعتقدون بالمسيحية، ولا يرون فيها ما يوافق روح المدنية، ولو تُبَاحُ لهم معرفة الإسلام، لكننا نراهم يدخلون فيه أفواجاً أفواجاً».

*** وقال السير «لوندرى لوبون»:**

«إنى أعتقد أن دين محمد.. دين متين أُسِّس على قواعد راسخة، وتعليمات تؤدى إلى منافع الإنسان وتدعو إلى مصالحه».

*** وقال المستر «ولر» الإنجليزى:**

«كل دين لا يساير المدنية فى أطوارها المختلفة فاضربه على الجدار، فإنه يؤدى بأصحابه إلى الهلاك، والديانة الحقة التى تساير روح المدنية إنما هى الديانة الإسلامية».

*** وقال المسيو كولان:**

«فى الحقيقة أن الإسلام دين الترقى والحضارة، بدليل أن المسلمين عمروا كل موضع فتحوه، وهم الذين نقلوا حضارة فارس إلى أسبانيا».

*** وقال الكاتب الإنجليزى الشهير المستر ليونارد:**

«أَمْرُ الأوربيين عجيب، فإنهم ما برحوا يقفون موقف الخصم المعادى للمسلمين، ولست أدرى سبباً يدفعهم إلى الإجحاف بحقوق المسلمين، أو إنكار فضائلهم إلى العالم كله، فأوربا لم تعترف حتى الآن بما لهذا الدين القويم من التأثير على التربية الأخلاقية، بل على المدنية الغربية نفسها.

وإن كانت أوربا اعترفت بفضل الإسلام، ولكنه اعتراف فاتر، صدر عن بعض رجالها القدماء والمحدثين، إذ قالوا: إن المسلمين كانوا فى أزهى حضارة عندما كانت أوربا غارقة فى بحر الهمجية، سادرة فى ظلمات الجهالة، ولكن هذا لا يكفى، لأن فضل الإسلام لم يقف عند حد الإحسان إلى أوربا القديمة، بل ظل متفضلاً محسناً عليها، وسيظل كذلك إلى الأبد».

ثم يمضى قائلا:

«ألم يحن أن نعترف ـ نحن الذين بلغنا أعلى قمم الحضارة كما نزعم ـ بأنه لولا التهذيب الإسلامى ومدنية المسلمين وعلومهم وثقافتهم وعظمتهم وحُسن نظام جامعاتهم، لولا هذا كله لبقيت أوربا تتخبط فى ظلام بهيم!.... هل نسينا أن التسامح الإسلامى يختلف كل الاختلاف عن التعصب الذميم الذى اتصفت به أوربا من قبل ولا تزال تتصف به؟

هل نسينا أن الشعوب الإسلامية قد نشطت ونمت وأوجدت حضارة لاتبلى، وذلك تحت ظلال الخلافة.. وأجدادنا لا يدرون من الحياة إلا أن يقتتلوا ويعيشوا عيشة الانحطاط والجهل؟

كيف يمتلئ قلب أوربا حقداً وكراهية للمسلمين منكرة فضلهم عليها، جاحدة الأعمال التى قاموا بها، والآثار التى خلفوها فى بطون الكتب وعلى سطح الأرض؟...

وعلينا أن نذكر - والخزى يغمر وجوهنا - الجناية التى اقترفناها ضد المسلمين، بل اقترفناها ضد حضارة العالم، بإحراقنا مئات الألوف من المجلدات، وإنما ذلك بتحريض من التعصب المسيحى الأعمى!

. فما كان جزاؤنا من قبل المسلمين؟ . . . . إنهم قد صفحوا عنا نزولاً على كرم أخلاقهم، وعلو نفوسهم، كما يصفح الأب الحنون عن ذنوب ابنه الغر الجاهل!

علينا أن نعترف بأن أوربا المسيحية بذلت كل مافى وسعها فى جميع القرون الماضية، لتخفى فضل الإسلام عليها، ولكنها لم تفلح، ولن تفلح:

لأن هذه الأعمال الزاهرة والأخلاق الكريمة لأعْظمْ وأرفع من أن يُستطاع إخفاؤها، أو طمس معالمها، فالشمس وإن حجبتها الغيوم فإن أشعتها وحرارتها تدل على وجودها!

ستعترف أوربا والقارة المسيحية فى المستقبل القريب - بلاشك - بفضل الإسلام والمسلمين، بل أنها ستضطر إلى الاعتراف بدين الأبدية والخلود. . الدين الإسلامى الحنيف».

*** وقال المسيو «أوجين يوغ»(١):**

«نعترف نحن الأوربيين أنه لا يمكننا فى أية حال أن نجزى العرب جزاءهم الأوفَى على خدماتهم للعلم وللمدنية، فهم أساتذتنا الذين تلقينا عنهم شتى العلوم والفنون. . . وأما نحن فقد كانت العلوم لدينا محصورة فى الأديرة وفى الصوامع وفى نطاق ضيق جداً».

ثم مضى قائلاً:

«قد علَّمَنَا العربُ دروساً فى التسامح والكرم، فإنهم لم يرغموا الشعوب التى استعمروا بلادها على تغيير معتقدهم الدينى، كما كان المسلمون

(١) يقظة الإسلام والعرب: أوجين يوغ (بتصرف).

يحترمون جميع الأديان مهما ضعفت وقل عدد معتنقيها. . . . ولا يغرب عن البال أن من خصائص الدين الإسلامى السعى للسلم العالمى. . . وأن من يمتزج بالمسلمين يتأكد من أنهم يحملون قلوباً بيضاء سليمة من كل حقد وضغينة، وهم يسعون إلى تأليف القلوب والأرواح. . . . ولو أن الغربيين درسوا القرآن لمدوا أيديهم لمصافحة المسلمين بدلا من الجور لهم ومعاداتهم».

وفى موضع آخر من كتابه[1] يقول:

«الإسلام دين سهل للبشر أن يعتنقوه، ولهذا فإنه منتشر فى جميع أنحاء العالم، حتى فى مجاهل آسيا وفى أفريقيا وأوربا وأمريكا».

وقال أيضاً:

«إن المسلمين شديدو التعلق بأوطانهم، يضحون بكل غال فى سبيلها، ويعتقدون أن من اللازم على كل مسلم أن يساند أخاه المسلم، ويقدم له المساعدة المستطاعة. . . . وهم شديدو الحرص على معتقداتهم، لا يسمحون لأى كائن أن يعبث بها، وهذه الرابطة التى تجمع ما بين المسلمين هى التى نسميها الجامعة الإسلامية، وهى أن يكون المسلمون تحت راية واحدة، وكلمتهم واحدة. . . . أما القول بأن الجامعة الإسلامية معناها تأسيس إمبراطورية إسلامية فحديث خرافة لا أصل له». . .

ويختتم كلامه قائلاً:

«هذا هو الدين الإسلامى، وهاهم المسلمون، نقول ما نقول عنه وعنهم دون مبالغة».

* * *

---

(١) المرجع السابق.

*** وقال الدكتور شبلى شميل:**

«لايوجد دين من الأديان يتفق مع الرقى الاجتماعى والعلمى، سوى دين الإسلام، وأن محمداً لهو أكمل وأعظم بشر فى الأقدمين والحاضرين، ولا يتصور وجود مثله فى المستقبل أيضاً».

*** وقال المسيو واميرى المجرى:**

«إنى أعتقد فى الحقيقة أن روح نظام المسلمين دين الإسلام، وهو الذى أحياهم، والذى يتكفل لهم بالسلامة، إنما هو الإسلام فقط».

*** وقال المسيو بيرك فى البرلمان الإنجليزى:**

«إن دين الإسلام، هو أحكم وأعقل وأرحم تشريع عرفه التاريخ البشرى».

*** وقال شارل ميزميز الفرنسى المعروف:**

«لو وَجَدَ دَين الإسلام المبلغين المقتدرين، الذين يقدرون المذاكرة والتفاهم مع علماء النصارى فى هذه الأزمنة التى تنتشر فيها مذاهب الضلالة المتفرقة، لأسلم الناس فى أوربا».

*** وقال برنارد شو:**

«سيجئ يوم يعتنق فيه الغرب الإسلام، فإنه مضت قرون كاملة كان الغرب يقرأ فيها كتباً وصحفاً مملوءة بالافتراءات على دين الإسلام ونبيه ﷺ.... أما اليوم فقد تُرجم القرآن وبعض كتب الإسلام بلغات أوربا، خاصة الإنجليزية... ففهم رجال الغرب أن الإسلام الحقيقى ليس الذى كانوا يقرءونه ويعرفونه فى الكتب والصحف السابقة».

ثم مضى قائلا:

«إن الرجل العالم يميل بطبعه إلى الإسلام، لأنه دين وحيد ينظر إلى أمور الدنيا والآخرة على السواء».

*** وقال المستر «إدوارد ورمى» الأمريكى:**

«... ألم يأن لنا أن نعترف - نحن الذين نعد أنفسنا فى أعلى قمة التهذيب - بأنه لولا التهذيب الإسلامى، ومدنية المسلمين وعلومهم وعظمتهم، وحُسن نظام جامعاتهم، لكانت أوربا اليوم تهيم فى ظلام ليل بهيم... ألايمكن أنْ يقال حقّاً: إن أوربا المسيحية بذلت كل ما فى وسعها منذ قرون لتخفى شكرها للعرب المسلمين!... دع أوربا تعترف بخطئها، دعها تعلن للعالم أجمع عن غباوتها الغريزية... أنها ولا شك ستضطر فى يوم للاعتراف بالدِّين الأبدى المدينة به وهو الإسلام».

وقال أيضا:

«قبل أن نشرح علاقة الإسلام بالمدنية الحديثة ونبين المركز الرفيع الذى يحله بين الديانات العالمية المعروفة، يجب علينا أن نرجع إلى الأيام التى سلفت قبل ظهور النبى محمد ﷺ، ونتبين ما كان عليه سكان البادية من عبادة الأصنام وسوء العادات، ثم نبحث عن الإصلاحات التى أدخلها النبى الكريم فى شبه الجزيرة، إذ الأشياء تتميز بضدها... لقد كانت بلاد العرب غارقة قبل نبوة محمد ﷺ فى أحط الدركات، حتى أنه ليصعب علينا وصف تلك الخزعبلات التى كانت سائدة فى كل مكان... والحروب الدائمة بين القبائل المختلفة وعدم وجود حكومة قوية...».

*** وقالت «مدام بيرون» رئيسة جميعة الدفاع عن حقوق المرأة فى باريس:**

«إن محمداً ﷺ لم يكن عدواً للمرأة، كما يظهر من أقوال بعض الذين أساءوا فهم روح التشريع الذى جاء به، فينبغى أن نتصور الزمان الذى عاش فيه، لنعرف قيمة إصلاحه».

*** وقال الباحث الكبير «سنكس»:**

«ظهر محمد ﷺ بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت مهمته ترقية العقول البشرية.... فقد كان يتلقى معارفه من الملأ الأعلى، وهى تعاليم رقت عقول الملايين من الناس، ولا تزال ترقى شعوباً متأخرة».

وقال أيضاً:

«إن المسلمين يزدادون كل يوم عدداً، وذلك دليل على حيوية دين الإسلام وعظمته».

كما قال:

«لم يأت محمد ﷺ لمكافحة التوراة والإنجيل، بل إنه يقول: إن هذين قد أُنْزِلا من السماء مثل القرآن لهداية الناس إلى الحق، وإن تعاليم القرآن جاءت مصدقة لهما، ولكنه لم يأخذ منهما».

ومضى «سنكس» يقول:

«إن الدين المحمدى قد أحدث رُقياً عظيماً جداً فى تدرج العاطفة الدينية، فقد أطلق العقل الإنسانى من قيوده التى كانت تأسره حول المعابد بين أيدى الكهنة من ذوى الأديان المختلفة، فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة أخرى وراء هذه الحياة، يجازى فيها الفرد على أعماله، كما ارتفع إلى مستوى الاعتقاد بإله واحد يمكن أن يعبده ويرتفع بروحه إليه دون أن يتوسط له وسيط.

ثم إن محمداً ﷺ بتحريمه الصُّوَرَ فى المساجد، وكل ما يمثل الله من تمثال، قد خلص الإنسانية من وثنية القرون الأولى الخشنة».

* * *

*** وقالت «إيفالا ماك ديمترا» العالمة الفرنسية المسلمة**

«إن ظاهرة اعتناق الإسلام فى الوقت الحالى أمر يستحق التسجيل وجذب انتباه العالم الإسلامى والعربى، وخاصة أن الإسلام يعد محور بحث وجذب للعقول المستنيرة الباحثة الدارسة».

كما قالت:

«إن التاريخ يسجل أن العلماء والباحثين والأساتذة كانوا فى الماضى ينجذبون إلى الإسلام ويعتنقونه.. أما فى الوقت الحالى فإن الإسلام يعد مصدر جذب لكل الفئات، فيعتنقونه، لأن الدعوة الإسلامية أصبحت ظاهرة وحقيقة واضحة فى الوقت الحالى».

ومضت تقول:

«إن اعتناق الشباب للإسلام فى أوربا يأتى نتيجة لتساؤلات ملحة فى أذهانهم ولا يجدون لها إجابات فيما يدور حولهم، وبالتحديد فى الكنيسة».

ثم أضافت قائلة:

«إنه ربما يكون من أسباب اعتناق الشباب الأوربى للإسلام هو الاقتناع بالإسلام كدين ومعرفة، وخاصة أن الشباب فى أوربا يعيش حياة حرة، وتم تدريبه وتربيته على الفهم وإعمال الفكر، فهو لا يتقبل أموراً يكون للنظم السياسية يد فيها، لما لها من تيارات تثير غضب الشباب إلى جانب ما تمليه عليهم الكنيسة من أوامر ونواهٍ لا يعتبرونها منطقية على الإطلاق».

*** ويقول الأديب الروسى «تولستوى»:**

«لا ريب أن محمداً من كبار المصلحين الذين خدموا المجتمع البشرى، ويكفيه فخراً أنه هَدَى أمة كبيرة إلى نور الحق».

*** ويقول المؤرخ الإنجليزى «مستر ولزآن»:**

«. . . إن محمداً هو الذى استطاع فى مدة وجيزة لا تزيد على ربع قرن أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم، وأن يقلب التاريخ رأساً على عقب، وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكناً لها، والأخذ بالثأر واتباع آثار آبائها، فمن ذا الذى يشك أن القوة الخارقة للعادة التى استطاع بها محمد أن يقهر خصومه هى ليست من عند الله؟».

*** ويقول الشاعر الفرنسى «لامارتين»:**

«إن حياة مثل حياة محمد، وقوة كقوة تأمله وتفكيره وجهاده، ووثبته على خرافات أُمته وجاهلية شعبه، وشدة بأسه فى لقاء ما لقيه من عَبَدَة الأوثان، وإعلاء كلمته، ورباطة جأشه، لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية، إن كل ذلك لَدَليل على أنه لم يكن يضمر خداعاً، أو يعيش على باطل، فهو فيلسوف وخطيب ورسول ومُشرِّعٌ وهادى الإنسانية إلى العقل، ومؤسس دين لافِرْيَة فيه، ومنشئ عشرين دولة فى الأرض، وفاتح دولة روحية فى السماء، فَأى رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدرك؟! . . . وأى إنسان بلغ من مراتب الكمال مثلما بلغ؟».

*** وقال «جوته» الأديب الألمانى الشهير بعد أن درس أصول الإسلام:**

«إذا كان الإسلام هو هذا، أفلا نكون جميعاً مسلمين؟».

*** وقال «ازوالدويرث»:**

«إننى تبينتُ أننى أدين بدين الإسلام بدون شعور منى بذلك».

*** وقال «توماس كارليل» المؤرخ الإنجليزى:**

«لقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور. . . . لقد أرسل الله لهم نبيّاً، فإذا بالخمول قد استحال شهرة، والغموض نباهة، والصنعة رفعة، والضعف قوة، وأشرقت دولة الإسلام حقباً عديدة».

*** وقال القس «لوزون» الفرنسى:**

«ليس محمد نبى العرب وحدهم بل هو أفضل نبى قال بوحدانية الله تعالى».

*** وقال البروفيسور «ليل»:**

«إن حياة محمد التاريخية لا يمكن أن تُوصَفَ بأحسن مما وصفه الله تعالى حيث قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]. . . . إن اليتيم العظيم قد برهن بنفسه على أنه أعظم الرحمات لكل ضعيف، ولكل محتاج إلى مساعدة، لقد كان محمد رحمة حقيقية لليتامى وأبناء السبيل والمنكوبين، وجميع الفقراء والعمال ذوى الكد والعناء».

*** وقال الأديب الفرنسى «فولتير»:**

«إن أكبر سلاح استعمله المسلمون لبث الدعوة الإسلامية هو اتصافهم بالشيم العالية اقتداءً بالنبى محمد».

*** يقول المستشرق «ماكدونالد»:**

«الإقبال على الإسلام فى الغرب يرجع بصورة عامة إلى عاملين اثنين:

الأول: أن المجتمع الغربى فقد إلى حد كبير معانى الدين، فأصبح مجتمعاً لايدين بأى دين، لا بالنصرانية ولا بغيرها، ومن طبيعة الإنسان أن يكون مقتنعاً بدين، ومعتقداً بعقيدة.

---

(١) سورة الأنبياء ـ الآية ١٠٧.

الثاني: إن الإسلام دين سهل يلبى متطلبات الفطرة التى خلق الله الإنسان عليها، فلهذا يقبل الناس فى الغرب على الإسلام أكثر من أى ديانة أخرى، سواء كانت سماوية كالنصرانية واليهودية، أو وضعية كالبوذية وما شاكلها»[1].

*** ويقول المستشرق «باول شمتز»:**

«إن انتفاضة العالم الإسلامى صوت نذير لأوربا، وهتاف يجوب افاقها، يدعوها إلى التجمع والتساند لمواجهة العملاق الذى بدأ يصحو....»

ثم يضيف قائلا:

«إن قوة القرآن فى جَمْعِ شمل المسلمين لم يصبها الوهن، ولم تفلح الأحداث الكثيرة فى زعزعة ثقتهم به... وإن الروح الإسلامية لا تزال تسيطر على تفكير القادة وعواطفهم، وستظل كذلك ما دامت الشعوب الإسلامية قد ربطت مصيرها بتعاليم الإسلام، واعتقدت أنه الرباط الجامع بين أجناسها المختلفة....».

*** اعتراف يهودى:**

أكد عالم الاجتماع اليهودى «أرنست **غلتو**» فى حديث له مع صحيفة «التايمز» الإنجليزية:

«أن الإسلام مناسب لحل الأزمات السياسية والاجتماعية المعاصرة... وأنه نجح فى الصمود أمام المذاهب الإلحادية، مع أن بقية الأديان خسرت الجولة، وخاصة على الصعيد السياسى».

---

(١) نحن كثيراً ما نستشهد بأقوال بعض المستشرقين والمفكرين الأجانب التى انصفت الإسلام ونبى الإسلام ﷺ.. ولكننا لا نسأل لماذا لم يعلن هؤلاء إسلامهم؟.... لأن المهم القول لا القائل، ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فهو القائل: «خذ الحكمة انى وجدتها، لا يضرك اي وعاء خرجت منه».... والقائل «الحكمة ضالة المؤمن ينشدها انى وجدها».... ورحم الله الإمام مالكاً الذى قال: «لا تسلْ من قال؟....ولكن سَلْ: ماذا يقول؟».

ثم أضاف قائلاً:

«إننى أعترف بأن الإسلام دين المساواة، وبأن معطياته عظيمة.... كما أعترف أيضاً بأن العديد من الخرافات غطت على وجهه الحقيقى أمام الغربيين».

*** ... واعتراف آخر متأخر:**

أكد فريق من الأساقفة والعلماء المسيحيين فى الدانمارك بعد مناظرة مع العلماء المسلمين... أن القرآن هو الكتاب الإلـهى الوحيد الذى لم يتعرض للتحريف قَطّ، فى حين أن الكتب السماوية لسائر الأديان قد تعرضت للتحريف على مدى التاريخ.

* * *

مستشرق فرنسى ينصف الإسلام

* يقول الكونت «هنرى كاسترى»[١] فى كتابه «الإسلام خواطر وسوانح»[٢]

«إن غاية ما يرمى إليه هو إطلاع مواطنيه على صورة صحيحة للإسلام ـ حتى يحاطوا بأصدق المعلومات عن العقيدة التى يعتنقها بعض رعاياهم فى القارة الإفريقية، مما يسهل لهم التفاهم معهم والسيطرة عليهم».

ومن الجدير بالذكر أنه قد بدأ كتابه بمقدمة أوضح فيها الظروف التى دعته إلى تأليفه:

«ذات يوم عندما كنت ضابطا فى الجيش الفرنسى بالجزائر. خرجت أجوب الصحراء فى ولاية وهران وخلفى ثلاثون من الفرسان العرب... وعندما حان وقت الصلاة، ترجلوا عن جيادهم واصطفوا لأداء صلاة العصر جماعة» هذا، وقد وصف شعوره ـ عندما اضطر أن يتنحى جانبا حتى يفرغوا من أداء صلاتهم ـ بقوله:

«كنت أود لو أن الأرض انشقت فابتعلتنى، وجعلت أشاهد البرانس العريضة تنثنى وتنفرج بحركات المصلين، وأسمعهم يكررون بصوت مرتفع «الله أكبر. الله أكبر» فكان لهذا الاسم الإلهى أثر عجيب فى نفسى ـ

---

(١) يعد من أكثر المستشرقين الأجانب إنصافا للإسلام، وقد سلط كتابه الأضواء على كثير من الحقائق التى يجهلها الكثيرون.

(٢) الإسلام خواطر وسوانح: الكونت هنرى كاسترى ترجمة أحمد فتحى زغلول (بتصرف).

وكنت أشعر بحرج لست أجد لفظا يعبر عنه بسبب الحياء والانفعال.. كنت أحس بأن أولئك الفرسان الذين كانوا يتدانون أمامى قبل هذه اللحظة، يشعرون فى صلاتهم بأنهم أرفع منى مقاما وأعز نفسا».

ثم ذكر «كاسترى» كيف دفعته تلك الخواطر إلى الاستزادة من التعرف على مبادئ الإسلام، فكان من أهم ما لفت نظره الأسلوب الذى انتشر به الإسلام.. وكيف قاومه العرب فى البداية ، ثم استجابوا له فرادى وأفواجا فيقول:

«لو كان دين محمد انتشر بالعنف والإجبار للزم أن يقف سيره بانقضاء الفتوحات الإسلامية مع أننا لا نزال نرى القرآن يبسط جناحيه فى جميع أرجاء العالم».

ثم ضرب مثلا على ذلك بوجود عدة ملايين من المسلمين فى الصين، مع أن الفتوحات الإسلامية لم تبلغ تلك البلاد!!

كما ضرب المثل بانتشاره بين الملايين من سكان القارة الإفريقية!

ثم قال:

«وهكذا جذب الإسلام قسما عظيما من العالم بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس».

وتحدث «كاسترى» عن تعذر إخراج المسلمين عن دينهم عندما تناول الصعوبات العديدة التى اعترضت سبيل المبشرين الفرنسيين فى مستعمراتهم الإفريقية ومنها الجزائر ـ لحمل المسلمين على نبذ دينهم فقال:

«إن الإسلام ليس فى أهله من يمرق عنه إلى غيره، وبعيد عن فكر المسلمين تصور هذا الأمر، حتى أنهم لا يجدون لفظا يعبرون به عن صفات

من يأتيه، كما أنهم تحيروا فى وصف المسلمين الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية، لأن فيها معنى من معانى الردة. . . .»

بعدها قارن «كاسترى» بين العجز عن حمل المسلمين على ترك دينهم، وما يلقاه المسلمون ـ فى الوقت نفسه ـ من يسر فى إقناع غيرهم باعتناق دينهم. . .

ثم اختتم «كاسترى» كتابه بقوله:

«لو لم يكن للإسلام من فائدة إلا تحويل عبدة الأصنام من وثنيين إلى موحدين، وترقية أخلاقهم ومكانتهم، لكفى بذلك داعيا إلى معاملته بسياسة التلطف والاعتدال، جريا على قاعدة العمل بأخف الضررين». . . . . أنها عبارة تحمل المعانى العظيمة ما يغنى عن الشرح والتعقيب.

كاتب فرنسى يدعو لتدريس الإسلام فى المدارس

صدر فى باريس كتاب بعنوان «فرنسا والإسلام» للكاتب الفرنسى «برونداتيان» تكلم فيه عن الإسلام بإنصاف فقال:

«إن الإسلام قد دخل فرنسا منذ القرن الثامن الميلادى.. وإن انتشاره يرجع إلى أسلوبه فى الدعوة «لا إكراه فى الدين» مما أدخل تحت لوائه الملايين من البشر».

ثم دعا فى كتابه إلى ضرورة تدريس الأفكار الإسلامية فى المدارس والجامعات.. وأن تُقامَ الندوات والمناظرات عبر وسائل الإعلام لتصحيح العديد من الأفكار الخاطئة عن الإسلام.

* * *

نابليون والإسلام

تأثر «نابليون» بالإسلام، وكان يفضله على سائر الأديان وكان يقول:

«إن محمداً انتصر على نصف العالم المعروف فى عشر سنوات، وأن النصرانية أتمت مثل هذا العمل فى ثلاثة قرون»[١].

وقوله أيضاً:

«أنا لا أنسى منظر المصريين[٢]، وهم يركعون ويسجدون فى الصحراء فى اتجاه القبلة بسهولة وبساطة وخشوع، وأن ربهم قوة سامية ليس لها صورة أو تمثال»[٣].

ويقول مرافقُه فى منفاه:

«إن نابليون كان يقرأ القرآن بصوت منخفض، وكان يقول: إن دين محمد هو الأفضل»[٤].

* * *

(١) المجلة العربية ـ عدد اغسطس ١٩٨٥.

(٢) وذلك فى أثناء الحملة الفرنسية على مصر فى عام ١٧٩٨م.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

نهرو والإسلام

كما تأثر «نهرو» رئيس الوزراء الهندى الأسبق بالإسلام فقال عنه:

«إن دخول الإسلام له أهمية كبيرة فى تاريخ الهند، فقد فضح الفساد الذى كان قد انتشر فى المجتمع الهندوكى. . . . إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة التى يؤمن بها المسلمون ويعيشون فى ظلها قد أثرت فى أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً، وكان أكثرهم تأثراً البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندى المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية».

* شاعر نصرانى يُشيد بنبى الإسلام:

بعيداً عن التعصب والعنصرية شارك المسلمين كثيرٌ من الأدباء والشعراء من غير المسلمين. . . ومن بين هؤلاء الشعراء الشاعر النصرانى الكاثوليكى «ميشيل الله ويردى»[1] الذى انطلق مغرداً بقصيدته «وحَىْ البردة» معارض بها «بردة البوصيرى» فيقول:

أنوار هادى الورى فى دَارَة العِلْم — رفت على ذكر جيران بذى مَسَلَمِ
وأرسلت نعم التوحيد عن ملكَ — كالروح منطق كالزهر مبتسم
يمزج روحك بالروح التى ازدهرت — يغنيك عن مزج دمع ساجم بدم
وشمك العطر فواحا بروضتها — ألذ من عشق ريم القاع والأكم

(١) هو احد أبناء عائلة «الله ويردى» الأرمنية. . . وكلمة «الله ويردى» لقب تركى يعنى «عطية الله».

ثم يواصل الشاعر قصيدته ليقول:

فاربأ بنفسك أن تنهارَ من ألمٍ ... واربأ بحسنك أن يُكمَد من السأمِ
واجعلْ هواكَ رسول الله تلقَ به ... يومَ الحساب شفيعاً فائقَ الكرَم
هذا رسول الهدى فارشفْ على ظمأ ... من وِردِهِ العذْبِ عطفا شاقَ كل ظمىءِ
كأنما قلبه ينبوعُ مَرْحَمَةٍ ... مستبشر بالرؤى جذلان بالنَّسَمِ[1]

ثم ينطلق مخاطباً الرسول ﷺ فى رقة تبرز صورته من خلال سجاياه ومنهجه فى الدعوة:

يا أيها المصطفى الميمون طالعه ... قد أطلَعَ الله منكَ النُّورَ للظُّلَمِ
وَحَّدْت ربَّكَ لم تشرك به أحداً ... ولَسْتَ تَسْجُدُ بالإغراءِ للصَّنَمِ
وكيف تُشرك بالرحمن آلهةً ... لا يَستطيعُونَ رَدَّ الروح للرِّمَمِ
عاديْتَ أهلَكَ فى تحطيمِ بِدْعَتِهِم ... مَنْ ينصر الله بالأصنامَ يصطدِمِ

ثم يعود الشاعر إلى مخاطبة النبى ﷺ بصفات تكشف عن سلوكياته وقيمه وموقفه من عناد قومه، فهو أزهد الناس فى الدنيا، لا تخدعه التيجان المرصعة، ولا يستجيب للأهواء، ولا يُقعده الاستهزاء، ويخلص من ذلك فيتوجه إلى الرسول ﷺ بالقول متعجباً بشخصه قائلاً:

أقولُ للمصطفى أعظِمْ بما ابْتَدَعَتْ ... آياتُ بِرِّكَ مِنْ خَيْر ومن نِعَمِ
لو يتبعُ الخلق ما خلدت من سُنن ... لم يفتكَ الجهْلُ والإعْوازُ بالأُممِ
ولم ير الناسُ أحكاماً وفلسفة ... فى الاجتماع ستلقيهم إلى العَدَمِ
مذهب أحدثت فى الأرض بلبلةً ... وأورثتنا بلايا الحرب والأزمِ

(١) مجلة منار الإسلام عدد فبراير ١٩٨٧ (بتصرف).

ثم يعود مرة أخرى فيتجه إلى النبى ﷺ بالتحية لقاء ما قدم لأمته، مشيراً إلى أهم سمات الدين الإسلامى:

فيانبىَّ الهُدَى حُيِّيتَ مِنْ عَلَمٍ   بالطُّهْر متُسَّم بالعدل مدعم
احببتَ دينكَ لما قلت أكرمكم   أتقاكم وتركت الحكم للحكمِ
وقلت: إنى هدًى للعالمين ولم   تلجأ إلى العُنف، بل أقنعت بالكَلِمِ
فى دينك السمح لا جنس ولا وطن   فكل فرد أخ يشدو على عَلِم

ثم يخلص من ذلك ليتجه إلى العرب والمسلمين حاضاً على التمسك بالدين الذى وَحَّدَهُم وهَذَّبَهُم، وأشاع الحب والسلام بينهم:

فاستَجْمعُوا أمْركُم فالله وحَّدَكُم   والمكر فرَّقكُم فى حومة الجسم
وشرْعُ أحْمَدَ بالقرآن هَذَّبَكُم   وجد فى أمركم بالحب والسلم
ياأيها المسلمون الفخر فخركم   ونحن إخوانكم بالنطق والعَلَم
فأيدوا بالفعال الغرِّ دينكم   فقيمة الحب عندى أعظم القيم[(١)]

* * *

(١) المرجع السابق، وهكذا ارتفع هذا الشاعر الكاثوليكى بشعره فوق العصبيات المذمومة واستجاب لداعى الحق فى أعماقه، فانطلق لسانه بهذه الأغرودة.

المراجـــع

* القرآن الكريم.
* ترجمة معانى القرآن: يوسف على.
* أوربا والإسلام: الدكتور عبد الحليم محمود.
* الإسلام خواطر وسوانح: الكونت هنرى كاسترى.
* يقظة الإسلام والعرب: أوجين يونج.
* القرآن والتوراة والإنجيل: موريس بوكاى.
* الدعوة إلى الإسلام: توماس أرنولد.
* المسيحية والأديان العالمية: القس هانس كونج.
* الأبطال: كارلايل.

- مجلات دورية:

* مجلة الفيصل: أعداد مايو ١٩٩١ - يونيو ١٩٩١ - يوليو ١٩٩١ - يناير ١٩٩٢ - سبتمبر ١٩٩٢.
* مجلة المنهل: ديسمبر ١٩٨٩.
* مجلة اليمامة: ذو الحجة ١٤٠٩هـ.
* لواء الإسلام: سبتمبر ١٩٨٨.
* المجلة العربية: أغسطس ١٩٨٥ - يونيو ١٩٨٦.
* مجلة منار الإسلام: أبريل ١٩٨٥ - فبراير ١٩٨٧.
* مجلة الضياء: فبراير ١٩٨٩.
* مجلة الوعى الإسلامى: أكتوبر ١٩٧٠.

- **صحف أسبوعية ويومية :**

* صحيفة المسلمين الدولية : أعداد ٢٣/ ٣/ ١٩٨٥ - ٩/ ١١/ ١٩٨٥ - ١٤/١٢/ ١٩٩٠ - ١٩/ ٤/ ١٩٩١ - ٢/ ٨/ ١٩٩١ - ٢٧/ ٩/ ١٩٩١ - ١٣/١٢/ ١٩٩١.

* صحيفة اللواءالإسلامى: ٢٥/ ١٢/ ١٩٨٦.

* صحيفة الأهرام: ٨/ ٦/ ١٩٨٤.

* مقتطفات من مجلات دورية وصحف غير معلومة المصدر أثبتناها لمقدار أهميتها لموضوع الكتاب.

الفهـــرس

الصفحة

الفصل الثالث: نماذج وأمثلة حية موجزة

هـذا الكتـاب

لقد زاد انتشار الإسلام فى الآونة الأخيرة ، برغم الأضاليل التى ينشرها الغرب عنه لتشويه صورته فى أعين الغربيين وغيرهم ، وبرغم ازدياد النشاط التبشيرى فى كثير من الدول الإفريقية وغيرها ، وبرغم الهجمات الشرسة التى ازدادت ضراوة فى هذه الأيام على أيدى أعدائه .

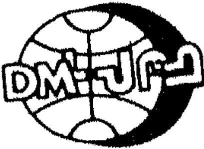
وبرغم كل ذلك فقد جَذَبَ الإسلام كثيرًا من العلماء والمفكرين والجماعات والطوائف من شعوب العالم المختلفة ، ودَفَعَهُم إلى التخلِّى عن دياناتهم ومعتقداتهم، واعتناقه دون غيره من الأديان والمذاهب الوضعية الأخرى . . فما الأسباب التى دفعت هؤلاء إلى اعتناقه والإيمان بتعاليمه ؟ . . وما الدوافع التى جعلت هؤلاء ـ بل جعلت قُرَى بأكملها ـ يدخلون تحت مظلته ؟ . .

إن هذا الكتاب ـ بأجزائه الثلاثة ـ يسجل الجوانب الخفية وراء إسلام هؤلاء ، واهتدائهم إلى هذا الدين الحنيف . .

ويسر الدار المصرية أن تقدم هذا الكتاب الذى يحوى بين دفتيه هذه النماذج التى اهتدت إلى دين الحق ، بعد دراسة متأنية عميقة لهذا الدين، وبعد اقتناع تام بتعاليمه السهلة الميسورة التى تنسجم مع العقل والمنطق ، وتتفق مع الفطرة السليمة التى فُطِرَ الناس عليها ، فساروا على دربه ، وآمنوا به على اختلاف مشابهم وجنسياتهم . .

إنه كتاب يهم كل باحث عن الحقيقة ، ويهم كل قارىء ـ أيًا كانت عقيدته .

الناشر



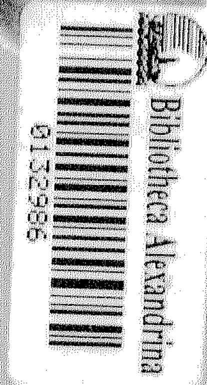
الدار المصرية اللبنانية
طباعة • نشر • توزيع
١٦ شارع عبد الخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة
AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION
16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO

الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء

محمد كامل عبد الصمد

الجزء الثالث





الدار المصرية اللبنانية

الجانب الخفي

وراء إسلام هؤلاء

الناشر : الدار المصرية اللبنانية
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٣٦٢٦ / ٩٥
الترقيم الدولى : 4 - 194 - 271 - 977
جمع : أرتك
العنوان : ٤ ش بنى كعب ـ متفرع من ش السودان ـ الكيت كات
تليفون : ٣٤٦٣٦٣٢
طبع : آمون
العنوان : ٤ فيروز ـ متفرع من اسماعيل أباظة
تليفون : ٣٥٤٤٣٥٦ـ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الأولى : ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م
غلاف : محمد فايد

محمد كامل عبد الصمد

الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء

الجزء الثالث

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿... ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ .....﴾

سورة الأعراف : ٤٣

مقدمة

من الأمورالملفتة للنظر أن يزداد الإقبال على الدخول فى الإسلام من النساء الأجنبيات، ولا سيما نساء الغرب المثقفات بعد أن اقتنعن بما جاء به الإسلام من مبادئ وتعاليم وآداب بدون أن يتعرضن لأية ضغوط أو إكراه من أحد. . . . وهذه ظاهرة استرعت انتباه باحثة بريطانية تدعى السيدة «هـ . بول» قد أسلمت، ولم تكتفِ بذلك، بل قامت بإجراء دراسة ميدانية عن دوافع وأسباب اعتناق المرأة الغربية للإسلام، وتطرقت الدراسة إلى قضية غاية فى الأهمية، فقد كشفت عن جانب من حياة المسلمات الجدد قبل الإسلام وبعده.

وتكمن أهميةتلك الدراسة فى كونها شهادة جاءت من أهلها ـ أو كما قيل: «وشهد شاهد من أهلها»، ولا سيما أن مثل هذه الدراسات والبحوث لايقوم بها فى الغالب سوى الباحثين الإسلاميين الذين يهتمون بمعرفة الجوانب الخفية وراء إسلام الأجانب أو غير المسلمين بوجه عام.

وقد تضمنت دراسة السيدة «هـ . بول» استبياناً وَجَّهَتْ فيه عدة أسئلة لمجموعة من المسلمات الجدد، وكان أولها هذا السؤال:

ـ ما الذى دعاكِ إلى اعتناق الإسلام؟

وكانت أكثرالإجابات عن هذا السؤال تفيد أن الإسلام دينٌ واقعىٌّ يركز ـ إلى جانب عباداته وشعائره ـ على توجيه السلوك الإنسانى، أوأنه دين اجتماعى أخلاقى.

وهناك مَنْ أجَابَتْ عن أن السبب الرئيسى فى اعتناقها الإسلام هو اعتقادها الراسخ بأن القرآن الكريم هو من عند الله، والشعور تجاهه بتآلُفٍ وحُب عميق.

ووَجَدَتْ إجابات تفيد بأن الإعجاب بشخصية النبى محمد ﷺ كانت سبباً مباشراً في إسلامهن، ولا سيما أن شخصيته تذخر بكل الصفات والسمات التى تُجَلُّ وتُحَبُّ... وأضافت بعضهن: أنها شعرت كمن وجد مفتاحاً لقفل مغلق.

كذلك وجَدَتْ إجابات تفيد بأن أخلاق المسلم الملتزم التى لمستها فى تعاملات كثير من المسلمين كانت مدعاة لاعتناق الإسلام الذى يحث أساساً على مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال.

ومن الإجابات الأخرى التى استرعت الانتباه ماصرح به بعضهن من أن الإسلام يتفق مع المنطق والعقل والفطرة التى تميل إلى فكرة وحدانية الله وتنزيهه عز وجل عن وجود شريك له فى ملكوته، حيث أن الإنسان المؤمن العاقل حين يستشعر بقلبه وجود الله ويلمس بحواسه وعقله آيات عظمته عزوجل لايملك إلا الإقرار بأنَّ كوناً عظيماً يسير بمثل هذا النظام الفريد المحكم لايمكن أن يكون إلا من خَلْق إلـه واحِدٍ، وهذا ما أكد عليه دين الإسلام بتقريره كمبدأ جوهرى من مبادئه.

وقد استعرضت الباحثة البريطانية أحوال المسلمات الجدد قبل اعتناقهن للإسلام من خلال ماصرحت به كُلٌّ منهن فى إجاباتهن، وذلك على النحو التالى[1]:

* من بين الأمور غير المقنعة فى طريقة حياتى قبل الإسلام عدم وضوح الهدف والاتجاه.

---

(١) «أسباب اعتناق المرأة الغربية للإسلام» دراسة منشورة بمجلة منار الإسلام الصادرة فى فبراير ١٩٩٠ (بتصرف).

* كنت وحيدة والعواطف سطحية.

* لم يكن لدىَّ إحساس بهدف أو شعور باتجاه أو بموازين دقيقة.

* كنت أشعر بضياع وفراغ.

* حياتى لم تكن مستقرة، فلا مَنْهَجَ ولا يقين، ولم يكن لى هَدَفٌ واضح.

* حياتى كانت متحررة من الالتزام بالمبادئ.

* لم يكن لى دين، ولم يكن لى مقاييس للسلوك لتساعدنى فى وقت الشدائد.

* كنت أبحث عن هدف أَحْيَا مِنْ أَجْله.

* كنت أهدافى دنيوية محددة، وقد استجاب الله لدعائى، فعلمنى كيف أستسلم وأخضع لمشيئته والحمد لله.

وبعد ذلك استعرضت الباحثة البريطانية أحوال تلك السيدات بعد أن أنعم الله عليهن بنعمة الإسلام، وذلك أيضاً من خلال بعض إجاباتهن مثل[1]:

* الإسلام زودنى بما كنت أفتقده، وكشف لى مغزى الحياة، ووهبنى راحة البال.

* أحسست بقيم روحية هائلة فى ظل الإسلام.

* الإسلام أجاب عن كل تساؤلاتى.

* إننى أحيا الآن بالإسلام فى سلام ورضا.

* أننى أرى النور الذى يدلنى على الطريق لا أطمع فى أكثر من أن يثيبنى الله على الإيمان.

---

(١) المرجع السابق (بتصرف).

* أصبحتُ أكثر قدرة على الصبر.

* رسم لى الإسلام الطريق السليم الذى بدونه ينحرف الإنسان بسلوكه إلى الضلال.

* الإسلام حقق لى الحب والعطف والحنان.

* الإسلام أعطانى ثقة كبيرة فى التعامل مع الناس.

* مع المسلمين والمسلمات أشعر بأننى جزء من أسرة كبيرة.

* أعامل الناس الآن بما أحب أن يعاملونى به، فالإسلام قد جعلنى أتخذُ موقفاً إيجابياً تجاه الناس الآخرين.

* الإسلام ينقى الروح لتصبح خالية من الأهواء الذاتية.

* المغزى الأخلاقى فى الإسلام ذو أهمية فائقة، فلو تمسك كل إنسان بهذا المغزى لكان العالم اليوم فى أحسن حال.

وعن وضع المرأة فى الإسلام أشارت إجابات تلك السيدات إلى حقائق كُنَّ يَجْهَلْنَهَا بعد أن اكتشفنها عن تجربة، من تلك الإجابات.

* الإسلام يُمَكِّنُ المرأة من أن تشق طريقها فى الحياة بكرامة بدون الوقوع فى مشاكل أو محظورات.

* المرأة والأطفال يتمتعون بأمان أكثر فى ظل الإسلام.

* وضع المرأة كمتعة جنسية فحسب، ليس له وجود فى الإسلام.

* المرأة تؤدى دورها كإنسان طبقاً لقدراتها الطبيعية؛ والإسلام يقدر حقوقها ويفهم حدود طاقاتها[1].

هذا، وقد عبرت سيدة عن نظرة الإسلام للمرأة فقالت فى ثقة واعتداد: «هناك دُرَرٌ جميلة من الحِكَمِ الفِطْرِية فى التعاليم الإسلامية عَرَفْتُها بعد تخبط

(1) المرجع السابق (بتصرف).

فى ظلام حالك يسمى بـ «المجتمع المتحضر»... وهذه الدُرَرُ هى التى جعلتنى أعشق الإسلام».

ثم أضافت: «..... وأن الدور الذى يقوم به كل من الرجل والمرأة فى الإسلام يكمل بعضه البعض الآخر، أنها مسألة توازن أكثر من أن تكون مساواة، فلقد وضع الإسلام واجبات جميلة وثابتة للرجل ضمن قواعد ونظم وقوانين وتشريعات، والمرأة فى ظل هذه التشريعات فى حماية من الظلم والهوى»[1].

وهكذا نجد أن أى إنسان يملك عقلاً وبصيرة لن يجد صعوبة فى معرفة أسباب ودوافع الإقبال على اعتناق الإسلام، ولكن انتشار الإسلام فى مختلف بقاع العالم - ولا سيما أورُبا - فى حاجة ماسة اليوم إلى إجراء دراسات وبحوث تُعين على فَتْحِ الأذهان، واستنارة النفوس بمبادئ الإسلام وقيمه، وتعطى صورة أكثر صدقاً ووضوحاً عن مختلف القضايا وموقف الإسلام منها، فضلاً عن معرفة حقيقة الدين الإسلامى نفسه.

كما يتطلب الأمر العمل على كشف المشاكل والعقبات التى تواجه المسلمين والمسلمات الجدد، ومحاولة إيجاد الحلول التى تستلزمها، وبذلك نكون قد أسهمنا فى نشر الدعوة الإسلامية فى كل مكان ودفعها إلى الإمام، ومِنْ ثَمَّ آمل أن يكون كتابى هذا إحدى اللَّبِنَاتِ فى صرح المكتبة الإسلامية التى مازالت تفتقر إلى تلك النوعية من الكتب فى مجال اعتناق الأجانب

(١) إن الدراسة التى أعدتها الباحثة البريطانية الدكتورة «هـ. بول» عن دوافع اعتناق المرأة الغربية للإسلام، والتى قام بترجمتها إلى اللغة العربية الدكتور «وليد محمود على» وتولى نشرها «المجلس الإسلامى للشباب» فى بريطانيا و «جمعية المسلمين البريطانيين»، قد تضمنت الإشارة إلى ظاهرة الصحوة الإسلامية، وانتشار الإسلام فى أوربا، مما يتطلب منا - نحن الباحثين - المزيد من إجراء الدراسات والبحوث التى تتناول تلك الظاهرة وكيفية انتشارها..... وما هذه المعالجة التى تضمنها كتابنا هذا سوى حلقة متواضعة من حلقات آمُلُ أن يستكملها غيرى من الباحثين الإسلاميين.

وغير المسلمين للدين الإسلامى، ولا سيما قد أصبح هذا الموضوع يفرض نفسه ويجعلنا نتساءل: ماهو الجانب الخفى وراء إسلام هؤلاء؟

والله أسأل أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله منى يوم العَرْضِ عليه.

«وآخِرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين»

محمد كامل عبد الصمد

الفصل الأول

الإسلام يجذب فئات متباينة

* مع الكاتبة الأمريكية «مريم جميلة»..... بمصادفة محضة كان مدخلها إلى الإسلام من اليهودية.

* مع المهندسة الفرنسية «سيلفى فوزى»..... «عرفت الطمأنينة بعد أن هدانى الله إلى الإسلام».

* مع الطبيبة الهندية «أوشا»..... «عندما نطقتُ بالشهادتين شعرتُ أننى تحررت لأول مرة من قيود الشك التي كبَّلتنى».

* مع أشهر عارضة أزياء «فابيان»..... وكيف صارت مجاهدة مسلمة؟!

* مع الفنانة الألمانية «كارولا»..... وكيف اهتدت للإسلام بعد أن كانت تتربع على قمة المجد والشهرة؟!

* .... و أخريات.

مع الكاتبة الأمريكية المسلمة
«مريم جميلة»

هى سيدة أمريكية من أصل يهودى، اعتنقت الإسلام، وتزوجت من باكستانى، وسافرت لتقيم معه فى بلده.. ونتساءل هنا: لماذا تقبل امرأة على دين يقول عنه قومها فى الغرب إنه يحط من شأن المرأة ويحقرها ويجردها من إنسانيتها حسب مفهومهم للإنسانية؟... وكيف تتجه إلى بلد إسلامى بعيد متخلف بمقاييس قومها، تاركة كل الإمكانيات والعطايا المادية المتقدمة فى مجتمعها المفتوح الذى أعطى المرأة كل شئ من حرية الجنس إلى صعود الفضاء؟!...

الغريب أنها يهودية، وبنو دينها يكرهون أشد الكراهية الإسلام، ويصفونه بأنه نسخة مشوهة من دينهم نَقَلَها بَدَوِىٌّ إلى قومه؟ فلماذا تترك الأصل الواضح إلى الصورة المشوشة؟!

إن «مريم جميلة» لم تترك دينها سعياً وراء زوج، أو هرباً من مشاكل أسرية أو ما شابه ذلك، بل لأنها تبينت ضلاَلَهُ، وضلال البديل الآخر الذى تطرحه الحضارة الغربية، وهو النصرانية.

ولما أيقنت أن الإسلام هو الدين الحق لجأت إليه تاركة كل دين سواه، فهى ليست باحثة عن القوة أو الأمن المادى، بل هى تدور مع الحق حيث وجدته، فتعبر عن ذلك بقولها:

«إننى آمنتُ بالإسلام لأنه الحق، ولم أدخله لأنه يعطينى حقاً كامرأة، افتقدتُه فى بيئتى الغربية أو يمنحنى الملاذ من حضارة لم أتكيف معها»[1].

أما كيف كان مدخلها إلى الإسلام؟.... فقد كان عن طريق القرآن الذى سمِعَتْهُ، فشدَّها وخلَبَ لُبهَّا وصرفَهَا عن موسيقى الغرب. تقول فى ذلك:

«بمصادفة محضة استمعتُ ذات يوم إلى موسيقى عربية فى المذياع فَشَدَّتْنِى، فذهبتُ لشراء بعض الأسطوانات العربية، وبمصادفة أخرى كان بين هذه الأسطوانات تسجيل لآيات من سورة مريم، فانجذبت إلى القرآن».

وتذكر أن أقوى ما أثر فيها أيضاً كان تلاوة استمعت إليها فى مسجد بنيويورك من طفل قادم من «زنزبار»، صوته وتجويده أفضل من كثير من المقرئين المشهورين... وهنا تساءلت عن مصير طفل «زنزبار» هذا بعد أن ذبح الصليبى «جوليوسى نيريرى» قومه، فمَحَا الإسلام من هذه الجزيرة..

ونمضى مع خيط آخر من خيوط رحلة الكاتبة إلى الإيمان، فتذكر «مريم» صراحة أن الذى أقنعها تماماً بصدق الإسلام وصحته هو إجابته الشاملة والواضحة على مشاكل كانت تؤرقها طيلة فترة مراهقتها وشبابها.... تلك التى تتصل بالموت والخوف منه[2] ... كانت لا تجد إجابة عند والديها عندما تسألهما عن المصير بعد الموت، إذ كانا يعجبان من سؤالها ويقولان لها: «إن الحياة أمامها طويلة»... فقد كانا لا يؤمنان بالآخرة وبالبعث

---

(١) رحلتى من الكفر إلى الإيمان: قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة: د. محمد يحيى (بتصرف).
وهذا الكتاب يعد وثيقة فريدة فى تاريخ كتابات الغربيين المعتنقين للإسلام.

(٢) احسنت مريم حينما ذكرت أن معضلة الموت كانت تحيرها، فالموت هو اللغز الذى حير الفلاسفة، وهو ليس بالمشكلة المقتصرة على فتاة فى سن المراهقة تعانى من هواجس ناجمة عن المرحلة الحرجة فى نموها الجسدى والشعورى.. بعد أن أعطت الحضارة الأوربية ظهرها للموت، او للدين عموماً فيما يسمى بعصر النهضة، مختارة طريق الحياة الدنيوية بأوسع معانيها، فأقامت الفلسفات والثقافات، وظنت أنها بالعلم المادى الطبيعى والفكر البشرى الوضعى قد سيطرت على مجرى الحياة إلى خلود أبدى.

والحساب والجنة والنار. . . . . ولم تسعفها التوراة والتلمود برأى، فالجزاء فيهما دنيوى محض، أما الإنجيل فكانت صورة الآخرة فيه مبهمة غير مفصلة. . . ولم يكن هناك غير القرآن يجيبُ عن هذا السؤال فيريح العقل المعذب الحائر الذى يجد فيه معنى الحياة والمآل، والثواب والعقاب.

وهنا جاء الإسلام مرة أخرى ليعين ويستجيب لأعمق الرغبات، معطياً الهدف والمعنى من الحياة وما بعدها[1].

وهناك خيط ثالث دفع الكاتبة إلى الإسلام، وهو التسامح الذى اتسم به فتذكر فى قمة التسامح دفاع الرسول ﷺ عن السيدة «صفية» رضى الله عنها عندما عيرتها السيدة «حفصة» زوج الرسول وبنت عمر بن الخطاب بأصلها اليهودى. عندئذ هَدَّأ النبى من روع السيدة «صفية» وطمأنها بأنها بنت.نبى وعمها نبى وهى الآن زوجة نبى، فلا فخر لحفصة عليها. .

ثم تضيف الكاتبة أنها لم تتعرض قط خلال جولاتها فى العالم الإسلامى، وأثناء إقامتها مع زوجها فى باكستان إلى أى طعن أو تمييز بسبب كونها من أصل يهودى.

وتضيف أيضاً: «أنه فى ظل التسامح الإسلامى عاش اليهود داخل الحضارة الإسلامية أحراراً، وانطلقت ملكاتهم الفكرية تبدع فى إطار عقائدهم وتبرز كثمار لهذا التسامح. . . . . وأشهر شخصية يهودية نبغت تحت حضارة الإسلام هو «موسى بن ميمون» الذى ولد فى الأندلس، ثم اضطر هو وعائلته إلى الهجرة إلى المغرب الذى تظاهر فيها بالإسلام نتيجة لوجوده فى

(١) يلاحظ أن هذا المرجع السابق لايقدم سردا مفصلا لتحول المؤلفة من الكفر إلى الإيمان، ولا ينصب على الإسلام نفسه يشرحه ويحلله، سواء بموضوعية او ليجعله يتمشى مع رؤية خاصة للكاتبة كما نجد فى أعمال جارودى مثلا، لكن هذا الكتاب الذى هو وثيقة فريدة فى تاريخ كتابات المعتنقين للإسلام ـ كما أسلفنا ـ يقدم لنا عظاتٍ وعبراً بالغة الأهمية. . فالمؤلفة لا تكتفى بأن تدخل الإسلام، بل تغار عليه بصورة واضحة، فتقدم لإخوانها فى الدين ما فرضه الله عليها لهؤلاء الإخوة، الا وهى النصيحة الخالصة.

وسط متدين ومتحمس من قبائل البربر.. وبعد أن هاجر إلى مصر عاد إلى اليهودية مؤكداً أنه لم يعتنق الإسلام أصلاً إلا مضطراً، فأقر القاضى المصرى هذا الإدعاء ورفض الحكم بأنه مرتد، لأنه لم يسلم عن اختيار...».

ثم أردفت تقول:

«إن من التسامح الإسلامى أيضاً أن «موسى بن ميمون» كان الطبيب الشخصى لصلاح الدين الأيوبى، فهو مثل غيره من اليهود لم يشعروا بغربة وسط الحضارة الإسلامية مثلما شعروا فى وسط الحضارة الغربية مثلا».

ثم تقارن الكاتبة ذلك التسامح الإسلامى بالطابع العنصرى لليهود بقولها:

«ويتجلى الطابع القومى العنصرى لليهود فى رفضهم للأفراد الداخلين فى اليهودية والتشكك فى دوافعهم»، ثم تضرب أمثلتها من معارفها فى نيويورك، فتحدثنا عن الفتاة الألمانية التى تزوجت من يهودى واعتنقت دينه، ومع ذلك ظلت أسرته تقاطعها.... كما تحدثنا عن الفتاة الأمريكية التى دخلت اليهودية عند زواجها من شاب يهودى لتُفَاجَأ بأن من سُلطة الحاخام عدم قبول هذا الاعتناق للدين[1].

أنها تقارن ذلك السلوك بترحيب المسلمين بها برغم معرفتهم بأصلها اليهودى.

وتذكر «مريم» أنها استمعت إلى حاخام فى نيويورك يقول عقب إقامة إسرائيل فى عام ١٩٤٨: «إن الولاء للشعب اليهودى أهم بكثير فى اليهودية من الإيمان بالإله»[2].... وكان ذلك إجابة عن سؤال وجهه له زعيم

---

(١) تظهر العنصرية لدى اليهود فى المفهوم القائل بأن أى شخص وُلد لأبوين يهوديين هو يهودى على الدوام حتى لو الحد ونبذ العقيدة اليهودية، ولهذا يحب اليهود فرويد وماركس، برغم ابتعادهما عن الديانة اليهودية ويعتبرونهما من قومهم.

(٢) لا يعتبر معظم اليهود المعاصرين التوراة على أنها وحى إلهى، وهى تدرس فى مدارس إسرائيل الحكومية على أنها نص تاريخى أدبى.

صهيونى خلال مقابلة إذاعية حول أيهما أكثر أهمية: الإيمان بالتوراة والالتزام بشريعتها، أم الولاء للشعب اليهودى؟!..

وهى تعلق على هذا التصور من حاخام بَارِزٍ بأنه يعكس مدى ضيق النظرة والانغلاق المميت الذى أدى إليه الطابع العنصرى لليهودية.

وتذكر الكاتبة أيضاً موقف اليهود من الأنبياء الذى اتخذ شكل التشويه، كما اتخذ شكل الاضطهاد مع «يوحنا» مثلا... فنجد عندهم أن «نوحاً» قد ثمل بالخمر ذات يوم واستلقى فى خيمته عارياً، فدخل عليه ابنه «حام»... وعندما شاهد الابن عرى أبيه حلت عليه لعنة الله، وتحول جلده إلى السواد، وحكم على ذريته بالعبودية.

كما جاء فى سفر الملوك فى التوارة أن «داود» أعجب بامرأة جميلة شاهدها تستحم فقتل زوجها كى يستحوذ عليها، وكانت ثمرة هذا اللقاء «سليمان» الذى أولع بالنسوة الوثنيات، وانتهى به المآل إلى عبادة الأصنام..

وتسخر الكاتبة من معتقد بنى دينها من أن اليهودى سينجو فى الآخرة لمجرد كونه مولوداً فى اليهودية، بصرف النظر عمّا يعتقده أو يفعله!.

وفى الوقت نفسه تعجب من بلاغة القرآن فى دقة تصويره لطبيعة اليهود فى حرصهم على الحياة ورغبتهم فيها وغفلتهم عن الآخرة، بالمقارنة بالمسلمين الذين يطلبون فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ويسألون الوقاية من عذاب النار..

وتذكر بسخرية: أن اليهودى يعتبر الحياة أفضل نعم الإله للإنسان، وأن الموت أفظع الشرور التى يمكن أن تحيق بالإنسان، ولذا فهو يعتبر أن أسوأ حياة هى أفضل من أحسن موت..... ويظهر هذا التعلّق بالحياة إلى الالتجاء إلى تغيير اسم المريض المشرف على الموت، والتضرع أمام قبور أسلافه، والبكاء والنواح أمام تابوت العهد فى المعبد حتى «يستصرخونه» من بين أيدى الموت.

وأن من دعاء المريض التى يرددها: «يا إلـهى أنقذ حياتى، ففى الموت لاذكر لك، ومن يفكر فيك فى القبر؟»[١].

وتذكر الكاتبة «مريم جميلة» أن الصلاة عند اليهود كانت فى الماضى البعيد (القرن الثانى الميلادى) تشبه صلاة المسلمين من حيث اشتمالها على السجود وعلى الوضوء قبلها، كما عرفوا الاغتسال بعد الجماع وقضاء الحاجة ليلا والدورة الشهرية عند النساء. . . . وأنه توجد طائفة صغيرة من اليهود هم «السامريون» يصلون ثلاث مرات فى اليوم بوضوء ويركعون ويسجدون، ويضمنون أدعيتهم بعض العبارات الإسلامية، مثل لا إلـه إلا الله لا شريك له. . . . ويبدءون كتبهم بالبسملة الإسلامية، غير أن هذه الطائفة مرفوضة من سائر اليهود لأنها ترفض التلمود وسائر كتب التوراة، ماعدا شريعة موسى عليه السلام.

وتفسر «مريم جميلة» أسباب سقوط هذه الأركان القديمة للصلاة اليهودية وتحولها إلى أدعية مطولة ترتل فى وضع الجلوس على المقاعد أو الأرائك إلى رغبتهم فى مخالفة المسلمين والتميز عنهم. . ولذا تغيرت الصلاة عندهم إلى مايقرب من صلاة النصارى، إلا أنه مازال فيها ما يشبه الصلاة فى الإسلام من حيث الجماعة[٢] وتفضيلها على الانفراد، وعدم ضرورة توجه النساء إلى المعابد لانشغالهن بالواجبات المنزلية.

وعن الصيام عند اليهود تقول «مريم جميلة».

«إن الصيام عند اليهود هو للتكفير وإبداء الندم على الذنوب يوما واحداً[٣] يسمى يوم الغفران، أو يوم «كيبور» وهناك يوم آخر يصومونه هو

---

(١) يلاحظ أن الكاتبة ذكرت نماذج متعددة من صور فكر اليهود ومعتقداتهم التى شابتها العداوة لكل شىء، ولم يسلم منها حتى الأنبياء، فضلا عن الله سبحانه وتعالى.

(٢) أقل نصاب تصح به الجماعة عند الصلاة لدى اليهود هو أحد عشر شخصاً، وأن الصلاة فى أقل من العدد المفروض لا تجوز، كما لا تجوز ممن لم يكن وصل إلى سن البلوغ بعد

(٣) من مغرب الشمس إلى غروب شمس اليوم التالى.

التاسع من شهر آب اليهودى ذكرى تدمير الهيكل للمرة الثانية على يد الرومان عام ٧٠ ميلادى، وهدف صيامه الذكرى والحزن والتضرع لإعادة الهيكل. . أى أن الغرض سياسى مثل الصلاة».

ثم تقارن بين هدف الصيام يوماً واحدا بهدف التطهر من الذنوب بصيام رمضان شهراً كاملا لتقوية الإرادة ومقاومة الوساوس والشهوات والارتقاء بالنفس. . . وتتساءل:

«لماذا ينحصر طلب المغفرة يوماً واحداً فى العام، وفى الإسلام تُطْلَبُ فى كل وقت من كل يوم، وفى الخمس صلوات؟!. . وكيف يكفى يوم واحد للتطهر؟!

وعن الحج عند اليهود تقول الكاتبة:

«لايوجد فى اليهودية حج إلا على شكل زيارة لحائط المبكى الذى يتخلله نواح ودعاء وذكرى عنده. . أى أنه حج سياسى يُضاف إلى الصلاة والصيام من أجل بناء الهيكل وعودة القدس. . . أما الحج فى الإسلام يخلو من أى مظهر وثنى، إنه اجتماع عالمى للمسلمين تتجلى فيه أُخوتهم وتضامنهم، وهذا هو السبب الحقيقى الذى يثير حقد اليهود على هذه الشعيرة ومحاولة تشويهها».

وتضع «مريم جميلة» يدها على تصور غاية فى الخطورة، وهو انغلاق اليهود على أنفسهم وعدم قيامهم بالدعوة إلى دينهم، فهم لا يرحبون بأتباع جددَ، وهكذا صارت اليهودية ديانة عنصرية تقتصر على قومها، ويتعصبون على من عداهم دون دعوتهم إلى دينهم. . . . . وهذا ماكررته الكاتبة[1] وحرصت على التركيز عليه، لتقارن الإسلام بها.

وتنتقل الكاتبة إلى موضوع تحريم ممارسة العمل يوم السبت لدى اليهود والعكوف على العبادة فيه، والتى ترجع إلى تعب الإله فتقول:

---

(١) هذا ما تناولته فى جزئية التسامح الإسلامى.

«إن هذه الفكرة فيها الكفر الصريح بنسبة التعب والإجهاد للإله القوى المقتدر، الذى خلق السموات والأرض ولم يمسه لغوب، فالإله المتعب ليس بإله.. كذلك مما لا يقره الإسلام أن تعزل العبادة عن باقى أيام الأسبوع ليخصص لها يوم واحد... فى حين أن العبادة فى الإسلام متصلة، وممتزجة بالحياة اليومية فى شكل الصلوات الخمس ودوام الذكر».

وتفاجئنا الكاتبة بنظرة مجتمعها إلى تحصيل النساء للعلم الدينى نظرة استغراب كشواذ، لأن العلم بالدين وقدح الذهن فيه نشاط خاص بالرجال وحدهم، وتذكر أن للحاخامات آراءً متشددة فى تعليم الدين للفتيات، إذْ يقول أحدهم معبراً عن رأى شاع وانتشر بينهم: «إن من يعلم ابنته التوراة كمن يعلمها الفحش»... ويرى الأحبار أن الأمر الوارد فى التوراة بتعليم الأبناء ينطبق على الصبيان دون البنات... وقد ذهب أحد الحاخامات إلى القول بأنه يفضل أن تضيع كلمات التوراة عن أن تعلم لامرأة»!!

ولا تدع «مريم جميلة» الفرصة تمر بدون أن تضع موقف الإسلام من تعليم المرأة بجانب الموقف اليهودى مقارنة وموضحة.... فطلب العِلْم فى الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة.

ومن الملفت للنظر أن تنتقل «مريم جميلة» فى موضع آخر من كتابها[1] إلى قضية مهمة، وهى دعوتها إلى الجهاد الإسلامى العالمى، وتنصح لكى يتم النصر للمسلمين أن يتخذوا الخطوات الآتية:

* تسوية جميع الخلافات بين الدول الإسلامية، والتعاون لتكوين جيش إسلامى دولى تحت قيادة موحدة.

* ضرورة تصفية جيوب وحركات الماسونية فى العالم الإسلامى.

(١) المرجع السابق (بتصرف).

* التحرر الكامل من التبعية الاقتصادية لأمريكا أو روسيا، والاكتفاء الذاتى عسكرياً.

* القيام بحملة إعلامية واسعة لإبعاد العالم المسيحى عن تأييد الصهيونية.

* التأكيد على الطبيعة الإسلامية للجهاد أو حرب التحرير، وذلك باستبعاد أية دوافع عنصرية.

ثم تنصح بالدعوة الإسلامية فى أوساط هؤلاء اليهود وأوساط المسيحيين... ولذا ترى ضرورة أن يعرف الباحث المسلم اللغة العبرية، وأن يدرس الكتب اليهودية المقدسة، لاسيما «المدراش»[1].

وتختتم «مريم جميلة» حديثها بقولها:

«الإسلام هو الدين الوحيد الذى يفاخر بكتاب سماوىّ خالٍ من التحريف، نزل بلغة مازالت مقروءة ومفهومة.. أما الآخرون فلَيس عندهم كما يعترفون إلا ترجمات محرفة ومتغيرة عن نصوص أصلية كانت بدورها سيراً عن حياة الأنبياء وضعت بعد وفاتهم بقرون، ولم يكن لهم فيها من نصيب إلا اقتباس بعض الأقوال والأفعال عنهم، ولو أعيدت هذه النصوص إلى لغاتها الأصلية لما فهمها أحد ممن يقولون إنهم يؤمنون بها الآن،.. أما محمد عليه الصلاة والسلام فقد سجلت السيرة كل تفاصيل حياته، حتى أدقها واخصها».

وتؤكد «مريم» بعدها أن الإسلام هو الدين الوحيد فى العالم الذى أوجد أمة تحكمها الدوافع الأخلاقية والدينية، وذلك يكفيها»[2].

* * *

(١) المدارش: هو تفسير تأويلى على هامش التوراة، ويعد المصدر الرئيسى للإسرائيليات المتسربة إلى بعض كتب التفسير الإسلامية.
(٢) المرجع السابق (بتصرف).

مع الكاتبة الإيطالية المسلمة
«إيبيانك مودواودى ساراواك» [خير النساء]

نشأت فى بيئة بروتستانتية تميزت بشدة التعصب، وصلابة التطبيقات للطقوس والشعائر التعبدية، مما أصابها بالملل المميت من جرائها، ودفعها للتخلى عن البروتستانية فقد كانت نفسها تهفو إلى الإيمان الصحيح، ولاسيما أن عائلتها كانت منقسمة بين كنيستين بروتستانيتين، وكانت تحضر المناقشات الحادة التى كانت تدور فى مجالسهما وتعبر عن ذلك فى كتابها[1]:

«. . . وليتصور القارئ تلك التأثيرات العميقة التى كانت تتركها المناقشات الحادة فى دماغ طفلة. . وهكذا كان الدين عندى مسألة غامضة ومحدودة، وكنت لا أرى فيها شيئاً محسوساً. . . . . إن الذكرى الوحيدة التى كانت تسود حداثتى، هى ذكرى مملوءة الالتباس وعدم اليقين. . . كنت أتلو على صفحات قلبى الصلوات المعتادة، وأرتلها فى تلك القاعات الواسعة العارية والمحزنة. . . وكنت أسمع العظات اللامفهومة بكثير من الملل والضجر، والتى كانت معاكسة لبقية الكنائس، حتى فى النقاط الأساسية الحساسة. . . . حينما أفكر الآن، فى تلك الذكريات البعيدة للأحداث بعقل سليم أكثر نضجاً، أقدر أن أقول: كم هى كانت تلك المناقشات الدينية بعيدة عن الحس الدينى الحقيقى، وإنى لأشفق بإخلاص على أولئك الذين يعتقدونها».

(١) لماذا اعتنقت الإسلام: ايبيانك مودوادى ساراواك

ثم أردفت بعدها تقول:

«كنت أستغرق فى تأملاتى طويلاً، وشَعَرَ من حولى باختلاج فى نفسى التَّواقة إلى معرفة الدين الذى يأخذ بمجامع كل قُوَاىَ النفسية... نعم كنت أشعر بحاجة قوية لاعتناق دين قويم قادرٍ على إيجاد الطمأنينة الروحية فى أعماق قلبى، موضحٍ عن عقيدة خالصةٍ للوحى الإلـهى، مُقِرٍّ بوحدانية الخالق كإلـه حقيقى، وليس كما يصفه البعض كأسطورة لا حقيقة لأصلها... ثم حدث أن اعتنق أحد أبناء عمومتى الكاثوليكية، فشعرت برغبته لدراسة الكاثوليكية التى وجدت بين مبادئها وأصول تطبيقها بوناً شاسعاً.. وكم كنت أفضل أن أغمض عَيْنَىَّ عن ذلك محتفظة بالسلام الداخلى الذى كنت أحلم به من أن أرى هذه الشكوك تحوم حولى، والصعاب تعترينى فى حل هذه المسائل المختلطة التى تحتاج إلى تحليل... وأذكر أننى قد طلبت يوماً رأى أحد أصدقائى، وكان ذا إطلاع واسع فى شتى المواد التاريخية والفلسفية حول التعاليم الكاثوليكية فأجابنى قائلا: «عَرِّجى إذا شئت على زيارة كنيسة نوتردام بباريس، وتأملى من بعيد بناءَها الشاهق، والوهاج من شعاع الشمس المنعكس عليها، ودققى فى رسومها وفن عمارتها، وأنعمى النظر، وإذا كنت تستطيعين فحللى تلك الرموز المنقوشة وهذه الخطوط المسطورة والرموز العظيمة، فإنكِ تجدين الحقيقة التى تفتشين عنها، فكل ما ترينه هو كتاب مسطور من جماد لا يقرأه إلا من عرف قيمته».... وهكذا أيقنت أن الكنيسة تحتفظ بمريديها فى وسط مِلْؤُهُ الجهالة، ومناقض للدراسات العلمية وإنارة العقول، فكم من المرات صرحت الكنيسة أنها عدوة للعلوم[1] ولنا فى حادثة حرق مؤلفات «جاليليو» أكبر برهان يظهر فيه عداء الكنيسة للعلم والحقيقة».

ثم تنتقل الكاتبة خير النساء «ساراواك» فى موضع آخر من اعترافاتها فى رحلتها إلى الإيمان إلى القول:

(١) يرجع إلى كتاب «الإفلاسات المعنوية فى الغرب» لمؤلفه رافت شنبور.

«لم يكن تقديس الآثار المقدسة التى هى من تركة القديسين سوى عادة جارية لدى الأقدمين، تبنتها الكنيسة بشكل آخر. . . . . وكم هى كثيرة تلك الآثار والمتروكات المقدسة التى تعود للسيد المسيح. . فهناك المسامير - التى ساعدت على صلب المسيح، ولم تظهر قدسيتها قبل القرن الثانى، وهناك الألبسة والأزياء التى تعود للمسيح، والآلات الصليبية. . . . والأغرب أنهم جَدُّوا حتى فى تصوير عَرَقِ المسيح، كما أنهم توفقوا للحصول على كميات كبيرة من حليب العذراء. . . وخُيل للكنيسة أن الأخشاب التى صُلب عليها المسيح لاتزال باقية. . .».

كما أنه قد وُجدت تصورات عن طبيعة القديسين قد ذكرها الكُتَّابُ المسيحيون الأقدمون، وعن ذلك تقول «ساراواك»:

وجدت معتقدات غريبة مثل أن يكون للقديسين عدة رءوس وأجسام، وكان يعد القديس الواحد بالجملة وبأسماء حكموا بوجودها لكى يسمح بإقامة الأعياد الوثنية وتواتر ذكرياتها. . فللقديس «سان جورج» ثلاثون جسماً. . . وعشرة رءوس للقديس «سان جانْ باتيست» الذى كان بعرف الكنيسة رمزاً دينياً. . . وكان للقديس «جوليان» عشرون جسماً وستة وعشرون رأساً، وخمسة أجسام للقديس «أندره» وستة رءوس وسبعة عشر ساعداً. . وللقديس «إتيان» أربعة أجسام وثمانية رءوس. . . والقديس «لوقا»[1] كان مالكاً - حسب زعم الكنيسة لثمانية أجسام وتسعة رءوس وهكذا دواليك بالنسبة للقديسين. . وهذا ما حَدَا بالعقلاء لانتقاد الكنيسة على استفحال أمرها فى هذا المضمار الشاذ».

ثم استطردت قائلة:

«وكثيراً ما منحت الكنيسة أسماء جديدة للقديسين، فأسمتهم بأسماء الأمكنة الأثرية[2] ونسبت إليها شرف المعجزات والأحداث السالفة التى

(١) وهو الذى يُنسب إليه أحد الأناجيل.

(٢) كانت الأحجار الأثرية لها عبادة خاصة، إما بسبب شكلها، وإما بسبب تركيبها، أو ملكيتها الخاصة

حدثت للأقدمين. . فهناك المياه المعدنية التى ينسبون أصلها الخرافى للقديس «رومان». . . غير أننا نعجب من وضع مثل هذه الينابيع والأمكنة تحت رعاية الرهبنة والقديسين. . . إن الأقدمين كانوا يعتقدون بآلهة هذه الينابيع، وبواسطتها يكون الشفاء، فالكنيسة تابعت حُرمة هذه التقاليد، ولكنها نسبت فضائلها إلى جماعة القديسين، والعذارى ومعجزاتهم. . لقد رأيت الأحلام التى تسود على الحجاج فى هذه الأمكنة، فيسود بين الجموع جو مملوء بالإيمان حتى يتم الشفاء وقضاء الحاجة».

وترى «ساراواك» أن الدين لايمكن أن يكون بشكل مبهم، وتعنى بذلك قولها:

«إن الكنيسة منعت قراءة الإنجيل بدون تفاسير الكهنوت، وهذا ما جعل الكَثْلكَةَ مبهمة. . . إن من أهم القضايا بنظرى ـ قضية التثليث التى حكمت الكنيسة بمنحها أكبر الأهمية، فالكاثوليكى محتم عليه الاعتقاد بثلاث آلهة: الله الأب. . والمسيح الابن. . والروح القدس»(١).

ولكنها تعود فتقول:

«إن نظرية التثليث هى قديمة جدا وليست من مختلقات الكثلكة».

وشعرت «ساراواك» أنها بحاجة إلى دراسة الدين المحمدى(٢)، وذلك بعد أن سمعت عنه أنه آخر الأديان، غير أنها تصورته ديناً شرقياً(٣) لايتفق مع العقلية الغربية وحضاراتها، كما ذهب المستشرقون الذين وصفوا المسلمين بالتالى بأنهم متأخرون، جاهلون، همجيون. . . . وأن الإسلام لا يصلح إلا للشعوب المتأخرة الهمجية. . . وبرغم كل ما سمعته عن الإسلام والمسلمين وافتراءات المستشرقين فإنها وجدت فى الإسلام ضالتها التى كانت تنشدها من زمن بعيد ـ منذ أن وعت ونضج فكرها ـ وتعبر عن ذلك فتقول:

---

(١) تَدَّعى الكثلكة أن بعد موت المسيح بدأت روحه القدسية.

(٢) تعنى به الإسلام، نسبة إلى رسوله محمد ﷺ.

(٣) أى دين قومى كبقية الأديان الصينية.

«جاء الإسلام بأكبر الحقائق عن الله بصورة موجزة وجلية «لا إله إلا الله وحده...» وهذه نظرية حقة، جاءت مع الإسلام لتعلمنا أن الله واحد، حي، صمديّ، أزلي، حاضر في كل مكان... أي مذهب صحيح يرفض الاعتقاد بوحدانية الله كما نقله إلينا نبيه سيد المرسلين؟

ليس في الإسلام رهبان أو إكليروس ديني، فالعلماء ليس لهم إلا صفة الدين والتشريع إذا هم حازوا الصفات المشروعة المسنونة».

ثم أردفت بعدها قائلة في سعادة واطمئنان نفسي:

«لقد أبَى محمد ﷺ أن ينسب إليه شيئا من الألوهية، وقد نزلت الآية الكريمة بهذا المعنى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

وكم هي جميلة ومؤثرة تلك الكلمات التي فاه بها أبو بكر الصدّيق حينما تعالت أصوات النحيب والصراخ عند وفاة النبي ﷺ، حيث قال مخاطباً الناس: «مَنْ كان يعبدُ محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت».

وجميل بالإسلام ذلك الدين الساطع بأضوائه النيرة أن جاء بشريعة امتازت بتأثيرات على العادات المحكمات، فوضعت المرأة في المكانة الاجتماعية اللائقة بها والضرورية لصيانة عناصر أنوثتها، وفي مجمل حقوقها نراها تفوق المرأة المسيحية تفوقاً كبيراً في المعاملات والاعتبارات الذاتية.

وللإسلام تعاليم أخلاقية امتاز بها المسلمون في قوانينهم وشريعتهم ومعاملاتهم، منها التسامح والتساهل، وحفظ الحقوق، ومعاملة الأجنبي بالحُسْنى والرفق بالمرأة...

---

(١) سورة فصلت ـ الآية ٦.

جاء الإسلام بتشريع عادل وقوى حكيم من القرآن والسنة، فحض على الخير ومحبة الناس، والمساواة...»

ثم نظرت بعيداً وكأنها تتأمل دينها الجديد الإسلام لتقول بعدها فى اعتزاز المؤمن:

«إن الإسلام ليس منفصلاً عن الأخلاق البشرية والآداب الإنسانية، لقد جنح الإسلام فى شريعته إلى العدالة الاجتماعية والديمقراطية التى بات يعالجها الغرب عدة قرون ولم يظفر بتطبيقها كما يراد وينبغى.. لقد جاء الإسلام آمِراً بفريضة الزكاة وهى حق على المسلم الذى يتنعم بما أنزله الله عليه من الخيرات، وأن يفكر فى ذويه وأقاربه وفى المحتاجين... وهذه الزكاة فريضة دينية يوجب على كل مسلم مقتدر دفعها سنوياً... كما أن من الواجبات المشددة.. الصلوات.. وهذه الصلوات تختلف عن صلاة الكنيسة الترتيلية، فهى فى الإسلام تأهب للمثول بين يدى الخالق، وهذه حلقة من الاتصال بين العبد وربه.. ويسبق الصلاة أعمال تطهيرية، وعندئذ تكون الصلاة ذات عمل وليست مجرد كلام وأناشيد.

ومن العبادات المفروضة صوم شهر رمضان مرة من كل عام للمقتدر صحياً، ويختلف الصوم فى الإسلام عنه فى المسيحية، وصوم رمضان له معان خاصة به، كما للحج أيضاً معان خاصة به وهو فرض لمن استطاع إليه سبيلا.. يكفى أنه يجمع المسلمين من كل الأصقاع تنفيذاً لأمر الله وطاعته...

ثم أبانت الكاتبة عن إمكانية استفادة الغرب بالإسلام بقولها:

«ليس فى العالم سوى دين واحد يقوم بحاجات البشر كاملة، ويقود البشرية إلى أرقى مجالات العمران والتقدم، ويهذب الأفكار... وهذا الدين هو الإسلام... لماذا لايكون الدين المحمدى.. الدين المتين الأوحد

للحلول المنظور فيها؟... لماذا لا تتخذ التعاليم القرآنية كتعاليم عالمية، وقد أتى القرآن رافعاً منار الحقائق الإنسانية؟... إن الإسلام بتعاليمه الإنسانية الشاملة لهو دين العالم المتمدن الحديث.

ولا يزال الإسلام المخرج الوحيد لأوربا من مأزقها الحرج».

واختتمت حديثها بنداء وجهته للذين يبتعدون عن الإسلام ولا يتبعون منهجه قالت صارخة فيهم:

«لأجل أولئك الذين يتألمون، ولأولئك الذين أظلمت قلوبهم، وأبكمت أفواههم، وصَمَّت آذانهم عقائدُ الكنيسة... فلهؤلاء كلهم أقول من أعماق قلبى:

«اقرأوا القرآن، وأمعنوا النظر فى أحكامه، وتدبروا معانيه، وانسوا ماكنتم تفكرون فيه من ظلامات طاغية، وتأملوا قليلاً فى تعاليم النبى الكريم، فإذا ما قدرتم على تفهم الحقائق النيرة والتبصر على نور تلك الأضواء المنتشرة، فإنكم ستظفرون بطبيعة الأشياء بأجلى معانى الحكمة البليغة».

ومضت فى ندائها تقول:

«تعالوا أيها التائهون والجاهلون، فإذا كان محمداً لا يقرأ ولا يكتب، فإن العلوم غارت فى أحضان تعاليمه، والإسلام هو الطريق النير.. هو الدين الحر البعيد عن الوساطات من بنى الإنسان.... وإذا اعتقدتم بالسعادة فى الحكمة والقوانين، فاقرءوا القرآن.... وإذا كنتم فى ريب من دينكم فسارعوا إلى الإسلام.

وأما أنتن أيتها النساء فاقتربن من الإسلام، لأن محمداً وحده حمى المرأة وعزّز مكانتها، وحررها من قيد الرجل، فى حين كان الغرب يستأسد على المرأة الضعيفة، ويجعلها كالسلعة تباع وتشترى... وأنتم أيها القواد

والجنود.. أو أنتم أيضاً أيها السلميون[1]، تعالوا إلى الإسلام واحتموا به، فالصلح فى مجتمعاته ومخيماته.

إن السلام العالمى لن يعود إلى بنى البشر إلا إذا هم أقلعوا عن التفرقات الإنسانية المصطنعة والممزقة، وهَمُّوا باعتناق دين واحد.. الدين الذى يعرفنا حقيقة الله، وضرورة عبادته وحبه، ألا وهو الله رب العالمين.

إننى اكتب اليكم جميعاً بدون أن أعرفكم، ولكنى أرغب فى أن تكونوا مثلى، وأن تجدوا السلام والسرور والسعادة...؛

أكتب إليكم لأننى ظفرتُ واهتديت إلى طريق العلم، ونور الهداية، والحرية الكاملة».

وهكذا أبانت «سازاواك» بإفصاح عن الإسلام، وأنه الدين القويم الصالح للبشرية على اختلاف مذاهبها وطباعها.. بل أبانت عن غيرتها وتحمسها للإسلام بندائها الصادق للمبتعدين عن هذا الدين، ودعوتها لهم باعتناقه.

* * *

(١) تقصد المدنيين، أى غير العسكريين.

مع الكاتبة الفرنسية المسلمة
«فالنيتين دى سان» التى صارت «روحية نور الدين»

ولدت فى مدينة «ليون» بفرنسا عام ١٨٧٥م ابنة مدللة لأسرة كاثوليكية على قسط كبير من الثراء وعراقة الأصل، فخال جدها هو شاعر فرنسا الكبير «لامارتين» الذى طبقت شهرته الآفاق.

واتجهت «فالنتين» إلى الكتابة منذ نعومة أظفارها مقتدية بخال الجد... ولم يضعف زواجها المبكر من مدرس ثانوى لأن تكون شيئاً يُشار إليه بالبنان، برغم أنها لم تجد سعادتها فى ذلك الزواج، حيث لم يكن زوجها ذلك الرجل الذى يستطيع أن يفهم امرأة على مثل هذا القدر من الذكاء وسعة الاطلاع والطموح، ومع ذلك فقد ظلت وَفِيَّةً له حتى تُوفى.

والتقت بعد ذلك بـ «شارل ديمون» أحد الوزراء الفرنسيين، وظنت أنها وجدت فيه ضالتها.. وتزوجا، واكتشفت بعد الزواج أن للشهرة بريقاً يضفى على الرجل المشهور هالات ليست فيه، ولم تخلُ حياتها الزوجية من منغصات ومشاكل، حتى كان الطلاق الذى لابد منه، لتتفرغ بعد ذلك للكتابة والرسم.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى لتُعَرِّى الوَجْه الأوربىّ عن قناعه الزائف، شاهدت الناس يتحولون إلى ذئاب فى مجتمع مادىّ لايرحم، ويتعاركون كالوحوش الضارية من أجل البقاء.

عذبتها هذه الحقيقة المرة، فلم تطق البقاء فى أوربا، فرحلت نحو الشرق، إلى شمال إفريقيا «المغرب، ومصر».. وهناك وجدت الحياة الروحية التى لم تعرفها وتتذوقها فى بلادها... شَدَّهَا أن ترى أهل الشرق المسلمين ـ الذين طالما وصفهم مواطنوها بالتخلف، ورموهم بالرجعية ـ يحيون حياتهم فى تماسك وتعاطف، وتكافل اجتماعي، ومودة وتراحم، وتعاون على الخير.. ومن خلالهم رأت الإسلام على حقيقته.. فتعبر عن ذلك بقولها:

«لقد رأيتُ ـ ولأول مرة ـ الإسلامَ على حقيقته، وليس كما صورته لى الكنيسة والقسس.. رأيتُ المسلمين وهم ينطلقون إلى المساجد كلما انطلق صوت المؤذن للصلاة.. وعدتُ بذاكرتى إلى الوراء، إلى أيام طفولتى، حينما كنت أذهبُ قسراً إلى الكنيسة لأستمع إلى ترهات القسس، فى حين تتبادل الفتيات والسيدات مع الشباب نظرات لا تخفى وقاحتها على أحد».

ثم تستطرد قائلة:

«لقد عرفت الفرق بين ما يدعو إليه الغرب المادى من مثالية زائفة لاتُطَبَّقُ، وبين ما يمارسه الشرق الإسلامى من سلوكيات حية يترجم فيها قيم ومبادئ الإسلام... فأيقنت أن العبرة تعود إلى الحافز الروحى الذى يتحكم فى النفوس ويوجه الإنسان إلى الخير أو الشر...

لقد قارنتُ بين ما شاهدته من قيم الإسلام ومالَقَّنُوهُ لى من تعاليم المسيحية، فأدركتُ بحسّى عظمة الإسلام، وكونه الدين الوحيد الذى ينظم علاقة العبد بربه، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، بدون حاجة إلى وساطة القسس، أو طلاسم الرهبان وأكاذيبهم».

ولم يكن ذلك فحسب هو الذى شد «فالنتين» إلى الإسلام.. فقد كان هناك سبب آخر، وهو تحطم الصورة المثالية للإنسان الأوربى فى داخلها، وذلك عندما رأت الوجه البشع الحقيقى للإنسان الأوربى المسيحى الذى طالما أدعى أنه حارس حقوق الإنسان، وحامى القيم النبيلة، وراعى الإنسانية المعذبة... عندما رأت ما يفعله مواطنوها الفرنسيون بشعوب بعض الدول

العربية الإسلامية، وما يمارسه الإيطاليون من وحشية فى ليبيا.. وما قام به الإنجليز من مذابح فى دنشواى بمصر... وعن ذلك كله تقول:

«لقد تحطمت الصورة المثالية للإنسان الأوربى فى داخلى بعد أن أدركت كيف يستغل قومى المسيحية واسم المسيح عليه السلام من أجل غايات ومصالح شخصية، ولذلك لم يطل بى الوقت لأعلن كفرى بما يدينون به، وأشهر إسلامى بعد أن أدركت أنه دين الحق».

وبعد إسلامها نذرت حياتها للدفاع عن الإسلام الذى وجدت فيه روحانية غريبة لم تتذوق حلاوتها من قبل، ولذا فقد تَسَمَّتْ باسم «روحية نور الدين»...

واستأنفت «روحية» نشاطها فى مجال الكتابة التى أوقفتها للدفاع عن حرية الشعوب العربية المسلمة والتنديد بالاستعمار الفرنسى والبريطانى، مما حَدَا بُسلطات الاحتلال الإنجليزى إلى المطالبة بطردها من مصر، غير أن مسعى المحتلين خاب لتمسك وإصرار رجال مصر الوطنيين ببقائها، حيث تعرفت وقتئذ على رموز الوطنية والفكر فى مصر وغيرها، مثل «سعد زغلول»، و«أمين الحسينى» و «شكيب أرسلان» وغيرهم.

ولإذكاء الروح الوطنية فى النفوس لمقاومة المحتلين عمدت «روحية» إلى تخصيص صفحات فى مجلتها «فوتيكس» للتعريف بالوطنيين العرب، وتقديم النماذج القدوة للمسلمين، مثال الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - مؤكدة على أنه نموذج للقائد المؤهل لأن يقود العرب والمسلمين على هدى من كتاب الله عز وجل وسُنة نبيه محمد ﷺ.

وتعددت مواقف «روحية» النابعة من غيرتها على الإسلام والمسلمين، وغضبتها على فظائع الاحتلال ومخازيه التى سجلتها فى كتابها «الحقيقة عن سوريه»، وفيه فضحت الاحتلال الفرنسى وما يفعله ضد الشعب العربى السورى من ممارسات يندى لها الجبين، وتتعارض مع أبسط حقوق الإنسان.

ونتيجة لمثل هذه المواقف الشجاعة كان طبيعياً أن تُحارَبَ «روحية» فتغلق مجلتها بعد الإفلاس، وانزوت فى منزلها الذى يقع فى أحد أحياء القاهرة تتعبد لله سبحانه وتعالى فى وحدتها الاختيارية بعدما رفضت الزواج برغم كثرة من تقدموا إليها من أشخاص، فقد نذرت نفسها لله وللإسلام، حتى لبت نداء ربها عن عمر يناهز ٧٨ عاماً.. بعد حياة حافلة بالعطاء الصادق لخدمة الإسلام والمسلمين.

لقد ماتت «روحية نور الدين»، وبقيت ذكراها حية بأعمالها التى تثير فى النفس الإعجاب والانبهار بتلك الفرنسية التى عاشت النصف الأول من عمرها غارقة فى لهو الحياة طولاً وعرضاً.. وعرفت كل ملذات الدنيا وزخارفها، وتقلبت فى أوجه النعيم والمجد والثراء... ولكنها لم تجد نفسها على حقيقتها إلا حينما أسلمت.. فصدقت فى إسلامها الذى تَمَثَّلَ فى غيرتها عليه، وحماسها له وللمسلمين[1].

***

مع المفكرة الفرنسية إيفادوفيتره ميروفيتش

إنها مفكرة فرنسية كبيرة، وأستاذة جامعية بالسربون... أعلنت إسلامها منذ سبعة وعشرين عاماً بعد اعتكافها على دراسة الأديان، ومنها الإسلام الذى تقول عنه:

«إن الإسلام قد أشعرها بالاطمئنان النفسى، والسكون الروحى، خاصة حينما تقرأ القرآن».

ومن المواقف التى تذكرها ولا تنساها أبداً... أنها بعد إلقاء إحدى محاضراتها عن الإسلام فى كنيسة من كنائس «بوردو» طلبوا منها أن تقرأ عليهم من القرآن، فلاحظت رهبة القرآن وجلاله حينما هبت القاعة كلها واقفة بما فيها من الرهبان حتى انتهت من القراءة!.

***

(١) مجلة الفيصل - العدد رقم (١٦٣) بتصرف.

مع الراهبة التقية «جاكرو»
التي صارت «حليمة» المرأة المؤمنة

عُرِفَت «جاكرو» الشابة البريطانية بأديرة «الروم الكاثوليك» راهبَةً تقية، كرست حياتها لخدمة الرب.. كما خاضت تجربة التمريض، إذ سافرت إلى أعماق إفريقيا لتكون فى خدمة فقرائها، ومداواة مرضاها.

وبعد ثمانى سنوات من حياة الرهبنة، قررت «جاكرو» الراهبة التقية أن تترك الدير بعد أن فشلت فى أن تقنع روحها وضميرها بأن هذا هو الطريق السليم.

وتبدأ قصة إسلامها عندما تعرفت على زميلتين مسلمتين من المغرب ـ تعملان معها فى التمريض ـ عندما كانت تعمل ممرضة ـ تحدثتا معها عن الإسلام، وقالت إحداهما لها يوماً: «أنت مسلمة وإنْ كُنتِ لم تنطقى بالشهادة».. فقد حدث فى شهر رمضان أن صامت معهما عدة أيام، وعن ذلك تقول:

«كانت تجربة الصوم عظيمة لى.. شعرت معها بصفاء عجيب يغمرنى، وارتاحت نفسى، وبدأت روحى تسمو، فبحثت عن كتب تعرفنى أكثر بالإسلام»..

ثم تمضى فى حديثها:

«مرت بى الأيام وأنا أتابع قراءاتى عن الإسلام، وأحببت القرآن، وتمنيت أن أجيد اللغة العربية لأتمكن من قراءته فى صورته الصحيحة، وزاد اقتناعى بضرورة الدخول فى دين الإسلام».

وتصمت برهة لتستطرد قائلة:

«ثم حدث أن تزوجت شاباً مسلماً من «موريشيوس» صارحته برغبتى فى إشهار إسلامى، فنصحنى بألا أتعجل.. ولكن أصررتُ على ذلك بعد أن زاد اقتناعى بالإسلام الذى وجدته الدين الذى يسمح بالتقرب إلى الله بغير قيود، فكل واحد حر فى اختيار منهجه الذى يحقق به مرضاة الله، فالإسلام لم يشترط الانعزال عن حياة الناس حتى يكون المرء مؤمناً صالحاً، بل هو يأمرنا أن نمارس حياتنا الطبيعية، وأن نكون خلالها بالقرب من الله.

أما دستور الإسلام - وهو القرآن الكريم - فهو كتابٌ صريح واضح واقعى لا تحتمل نصوصه الالتواء أو الغموض، وتأتى السُّنة النبوية فتفسر الآيات القرآنية وتوضح مضمونها.. ولذلك فقد قررت اعتناق الإسلام، وتسميتُ باسم «حليمة» مرضعة رسول الله محمد ﷺ».

وتستغرق «حليمة» فى لحظة صمت طويلة لتقول بعدها:

«إذا نظرنا إلى مكانة المرأة فى الإسلام نجد أنه قد حفظ كرامتها، بأن ستر جسدها فأصبحت جديرة باحترام نفسها، واحترام الآخرين».

وهكذا استطاع نور الإسلام أن يغزو قلب راهبة فى أحد أديرة الروم الكاثوليك ليحيلها إلى مسلمة مؤمنة، عابدة لله وحده.

***

مع خادمة الكنيسة الأمريكية التى صارت «جهادة أمة الله» الداعية المسلمة

كان مجال اهتمامها - حينما كانت فتاة صغيرة - قراءة حضارة وتاريخ مصر القديم، وتستمتع أكثر بقراءة ما يُكتب عن حياة الملوك القدماء وأسرهم، وبسبب اهتماماتها تلك فقد أشار عليها بعض أصدقائها أن تقرأ أيضاً عن ديانة الشرق.

---

(١) المرجع السابق (بتصرف).

وبدأت حياتها تتغير فى وقت مبكر بعد أن قرأت نسخة من ترجمة معانى القرآن باللغة الإنجليزية، فقد زاد شغفها بتعلم المزيد عن حقائق هذا الدين وتعاليمه. . . وبدأت تحرص على حضور الدروس الدينية التى كان يلقيها بعض علماء الإسلام على الأطفال، واستطاعت من خلالها أن تتفهم الكثير من حقائق الإسلام ومبادئه، وتزداد قُرباً وحُبّاً لهذا الدين، بالرغم من أنها كانت مستغرقة بعمق فى ديانتها المسيحية فى فترة بدايات حياتها التى تتحدث عنها فتقول:

«لقد كنت شديدة التمسك بديانتى المسيحية، بل كنت أنا وأسرتى لنا أنشطة عديدة فى الكنيسة، نقوم بتقديم أى خدمات تطلبها منا الكنيسة.... كما أن طبيعة ونوعية تعليمى المسيحى نتج عن التردد على الكنيسة لمدة عشرين عاماً. . . وكنت أقوم بالتدريس بمدرسة الأحد لأكثر من عشر سنوات، وأعزف البيانو لكل صلاة بالكنيسة، وأنظم وأدير جوقة الأطفال المرتلين فى الكنيسة، وكان أبى وأمى يحضران إلى الكنيسة بانتظام، وقد شغل والدى أحد المناصب الإدارية بالكنيسة، أما جدتى فقد كانت تعمل كراعية. . . إننى أذكر هذه الأمور لكى أعطى صورة دقيقة عن مدى انخراط أسرتى العميق فى الكنيسة وطوائفها وأنشطتها.

وعلى الرغم من الصرامة التى تربينا عليها أنا وأفراد أسرتى على الالتزام بتعاليم الكنيسة، فإننى عندما أرجع بذاكرتى قبل اعتناقى الإسلام أرى مدى سطحية وضحالة بعض تعاليمنا. . كنت ألقن تلاميذى بمدرسة الأحد الكلمات بدون أن أشعر أن الله يمكن أن يعين على حل مشاكل الحياة، فقد كنتُ أعتقد أن المشاركة النشطة فى الكنيسة أيام الأحد والأربعاء تكفى إذا حاولت أن تعمل صالحاً!».

وتصمت برهة ثم تسترسل قائلة:

«لقد أثارت بعض تعاليم الكنيسة الأساسية قلقى، فحضرتُ الكثير من الحلقات الدراسية للمعلمين بالكنيسة، ولكن قضاياى لم تُحَلّ. . . كنتُ أؤمن بقوة أن على كل المسيحيين واجباً لله يتمثل فى أن يعملوا صالحاً، وأن ينصروا الآخرين كلهم من أجل إنقاذهم من دخول جهنم، ومن ثم كان عملى كله مقتصراً على الكنيسة. . . وأذكر أن الكاهن كان يجيب عن أسئلتى بقوله: آمِنى فقط بذلك وعلّمِيها كذلك، لأن الكنيسة والكتاب المقدس يأمران بهذا».

وتمضى «جهادة أمة الله جلكريز». وهذا اسمها بعد اعتناقها الإسلام - فى حديثها لتقول:

«لم تكن لدىَّ أية فكرة عن مدى التحول الذى سيطرأ على حياتى، فقد كان القرآن قوة محركة فى حياتى. . وأننى أحمد الله أننى كنتُ ممن تمتع بنعمة الجلوس مع الأطفال وتعلُّم دين الله الواحد الأحد. ولقد منحنى الله القدرة على احترام والدى بدون الإذعان لرغبتهما فى عودتى إلى المسيحية وإلى معبودهم «ابن الله» المزعوم».

ثم تثير «جهادة أمة الله» قضية مهمة فتقول:

«لقد اكتشفت على مدى السنين أن أغلب المجتمعات المسلمة تلقى بضغوط غير لازمة على المهتدى الجديد، فالكل يريد أن يطمئن إلى أن المهتدى يعمل كل شئ بالضبط وفقاً لفهمه هو عن الإسلام.

كما أن المهتدى الجديد يخضع للنقد لقصورة فى معرفته باللغة العربية، ولعدم قيامه السريع بالواجبات الإسلامية كلها على النحو المفروض، وتنسى هذه المجتمعات المسلمة أن هذه الأمور تكفى لتثبيط همة المهتدى الجديد، إنْ لم يكن المهتدى قوياً مثابراً فى تفهمه وتعلمه ليعرف ماهو الإسلام بحق.

ويجب أن نعلم أن هناك مسئولية جسيمة تقع على عاتق كُلٍّ منا، تتمثل في أن يكون مَثَلاً إسلامياً يُحْتَذَى فيما يجب أن يكون عليه المسلم الصالح في هذا العالم، فالحياة الإسلامية الصحيحة هي نوع من الجهاد يستطيع كل منا أن ينجح فيها إذا أخلص النية».

حقّاً. . . . لقد صدقت «جهادة» في إيمانها، فخرجت كلماتها صادقة واعية، تحمل تفهماً وإدراكاً واضحاً لحقيقة الإسلام كما آمنت بها[1].

* * *

(١) مجلة «هاجر» ـ ملحق المختار الإسلامي عدد فبراير ١٩٩٢ (بتصرف).

مع الفرنسية المهتدية «سيلفى فوزى»

نشأت فى باريس، ودرست الهندسة الكيميائية وحصلت على الماجستير، وتعد لرسالة الدكتوراه، وبرغم الرفاهية المادية التى كانت تعيشها، والمكانة العلمية التى حققتها، فإنها كانت دائماً حزينة، تعانى من القلق والحيرة، تعبر عن ذلك بقولها:

«كنت أعيش فى أزمة مع نفسى، وبداخلى تساؤلات عديدة.. لماذا أعيش؟... وماذا بعد هذه الحياة؟.. لم أكن منسجمة مطلقاً مع ما يحيط بى من تحرر وانحلال.... حياتى اكتئاب دائم، وقلق مدمر.. لم يكن الإسلام مطروحاً أمامى كحلٍّ فى تلك الفترة، فالتشويه الغربى دائم متواصل على الإسلام، يقدمونه باعتباره دينَ جهلٍ وعبودية، لا يستحق التفكير والنظر إليه، وغير جدير بالتقدير، وأن المسلمين دون البشر.

كنت أنظر إلى الناس من حولى فأراهم يعيشون فى حرية مطلقة بلا حدود، ينعمون برفاهية مادية، ويتميزون بمستوى علمى رفيع، يُقبلون على دراسة كل الأديان بموضوعية إلا دين الإسلام!.... ويتعرفون على البوذية، والهندوسية، وكل الأديان الوثنية، فى حين ينكرون الإسلام كدين، فيزعمون أنه دين قد اخترعه محمد الذى ألَّفَ القرآن من بين أفكاره!!

وتمضى «سيلفى» فى حديثها قائلة:

«لقد روَّجَ أعداء الإسلام ـ وأكثرهم من اليهود الذين يسيطرون على الإعلام الغربي ـ أن المرأة المسلمة عَبْدَةٌ مقهورة بلا أدْنَى حقوق. . . وقد فنّد هذا الاتهام والافتراءَ ما لمستُه بنفسي، فقد كانت لى شقيقة تزوجت من رجل عربيٍّ مسلم يتميز بالالتزام الذى يفيض عليه رجولة وصدقاً. . شئ لم أعهده وفوق تصوراتى، فمعظم الرجال فى أوربا مخنثون، يعيشون كالأنعام فى عبث ولا مبالاة، ويتحدثون كلاماً تافهاً كنت أكرهه، فى حين كان النموذج المسلم بمثابة النور الذى من خلاله بدأت أقرأ وأتعرف على الإسلام، ومن ثم بدأت نفسى تهدأ تستريح، فلقد عرفتُ سِرَّ قلقى وحُزنى.

ثم دارت الأيام، وتزوجت من شاب مسلم يعمل مهندساً فى فرنسا، كان له دور كبير فى هدايتى لدين الإسلام، حيث أحضر لى ترجمات لمعانى القرآن بالفرنسية، وبعض الكتب الإسلامية المترجمة، شعرت بعد قراءتها أننى كنت فى ضلال قديم، وأن كل الأسئلة التى كانت تدور فى نفسى لها إجابات شافية فى الإسلام. . فلم أملك إلا أن أعلن إسلامى، وتسميت باسم «سيلفى محمد فوزى». . وتسترسل «سيلفى» فى حديثها وتقول:

«نعم. . لو وجدتُ فى الإسلام منهاجَ حياة يجيب عن كل التساؤلات، وينظم للإنسان حياته وفق ما ينفعه ويتناسب مع فطرته. . ملبسه ومأكله، عمله ونظام زواجه، اختياراته فى الحياة، علاقاته بالآخرين. . ومن ثم فلا عجب أنَّ من يلتزم بالإسلام يستشعر الاطمئنان والأمان النفسى، الذى هو ـ فى رأيى ـ أهم العناصر لاستمرار الحياة، فطفلى الصغير الذى لم يتجاوز السابعة من عمره يدرك معنى وقيمة الحياة بإسلامه أكثر من أمي وجدتى اللتين لا تدينان بالإسلام، فهو يعلم جيداً لماذا يعيش؟. . . وماهى الآخرة؟. . . وماذا يعنى الثواب، والصَّدَقَة، والإحسان إلى الناس؟

إننى بعد أن أسلمتُ عرفتُ الطمأنينة والأمان ولذا عشقتُ هذا الدين

الذى جاء به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وكلى عِزَّة بالإسلام، لأننى كنت فى ضلال، وعشت وسط الضَّالين، فدائماً أشكر الله أن هدانى للإسلام، فأنا أعرفُ قيمة الإسلام فى كل تفاصيل حياتى، وأحاول أن ألتزم بكل أوامر الله وأتجنب نواهيه، فالإستسلام لله أمر عظيم، ومعنى لا إله إلا الله أمرٌ أعظم، ولكن للأسف بعض المسلمين الذينُ ولدوا مسلمين بالوراثة لا يعرفون قيمة الإسلام، ويؤجلون دوماً التعرف على دينهم.

وبعض النساء لا يرتدين الحجاب، وهو شئ بسيط وهين، وَيَّدعين أن الإيمان جوهرٌ وليس مظهراً، وهذه الكلمات تؤلمنى كثيراً».

ثم تضيف: «ولعلها مناسبة لكى أقول لكل امرأة مسلمة إذا كان لديكِ طفل تحبينه هل تعبرين عن هذا الحب بالكلمات فقط أم تقومين على رعايته والسهر على راحته وتقديم جميع الاحتياجات له كدليل على الحب؟. . . . أم سيظل حبك له مجرد كلمات وعواطف فى صدرك لا تترجم إلى أفعال؟ . . وإذا كان حبكِ لأى إنسان يجب أن يترجم إلى عمل وسلوك فكيف بالله الذى خلقنا ونعمه علينا لا تُعَدُّ ولاتُحْصَى؟!. ألا يستحق أن نبرهن له على حبنا وولائنا بالتزامنا بأوامره والبعد عن نواهيه؟

وإذا كان الإيمان فى القلب فهذا صحيح، ولكنَّ جزءاً من الإيمان أشياء ظاهرية يجب أن تترجم إلى عمل وسلوك فعلى ولتعلم المرأة أنها إذا بعدت عن هذا الدين صارت سلعة رخيصة تُبَاعُ وتُشْتَرى، وتُسْتَغَل أسوأ استغلال، يتاجرون بها على كل المستويات».

وعن سبيل عودة المسلمين إلى الإسلام ترى الأخت «سيلفى» المسلمة:

«إنه يجب أن نحدد أولاً الأسلوب الخاطئ فى التربية، ثم نصحح هذا الأسلوب وتلك العادات الخاطئة. . ويجب أن نعلم أن البداية دائماً تحتاج إلى جهود مضنية، ولكننا مطالبون بأن نجاهد أنفسنا، ونفرق بين الحق

والباطل، ونعترف بالخطأ، فالإيمان لا يقوى إلا من خلال المجاهدة والتضحية» .

هذه بعضُ كلمات الفرنسية المهتدية «سيلفى فوزى» التى أصبحت أُختاً ملتزمة ترتدى الزىّ الإسلامى، وتقرأ القرآن، ولا يشغلها الآن سوى قضايا الإسلام وهموم المسلمين، والتفكير والعمل على رفعة شأنهم .

* * *

(١) صحيفة المسلمين فى ١٦ / ٤ / ١٩٩٣ (بتصرف) .

مع الطبيبة الهندية «أوشا»
التى صارت «آمنة قريش»

تلقت دراستها وعلومها فى الهند التى اصطبغت بالعقيدة الهندوكية، التى تقول إن للكون أكثر من إله، وإن الإله لا يمكن عبادته مباشرة، بل لا بد من رجال الدين الذين يوصلوننا إلى تلك الآلهة.....

ولكن لم تك نفس التلميذة «أوشا» التى تدرس فى مدرسة «براتيمك» الثانوية فى بومباى ترتاح إلى تلك العقيدة، ولا سيما أن الشك دَبَّ فى نفسها حيالها... فكيف يكون للكون أكثر من إله؟!... وكيف يكون هناك وسطاء من البشر - أى رجال الدين - موكلون من هذه الآلهة ويصلون بهم إلى مرتبة التقديس؟!...

أجل... لم تقتنع «أوشا» - على صغر سنها وقتئذ - بهذا التعدد فى الآلهة، وهذه الوساطة المناقضة للطبيعة الإنسانية، بل للعقل والمنطق.

وبعد أن أتمت «أوشا» المرحلة الثانوية والتحقت بكلية الطب فى بومباى... بدأت الشكوك تزداد فى نفسها، ولاسيما وهى بصدد مادة «التشريح» التى أظهرت أمامها حقائق لم تكن تعرفها من قبل..... عن ذلك تقول:

«من خلال دراستى لحالات المرض عرفت أن الأمراض التى تُصيب الإنسان سببها ميكروبات وفيروسات دقيقة تعادلها مخلوقات فى جسم الإنسان تقاومها وتتغلب عليها أحياناً، وتفشل فى ذلك أحياناً أخرى... هذه المعركة

التى تحدث فى جسد الإنسان تلقائياً وبدون ترتيب، كنت أقف أمامها وأسأل نفسى: لابد أن هناك سبباً خفياً وراء ذلك.... وازدادت شكوكى وتساءلت أكثر من هذا.... عن هذه الأنسجة الدقيقة التى يتكون منها جسم الإنسان، كيف خُلقت؟... ومن الذى خلقها بهذه الكيفية البديعة النظام؟!! وكيف تلتئم الجروح، وتتجمع الأنسجة بعضها حول بعض من جديد، فيعود نسيج الجروح إلى ماكان عليه من قبل؟!!.... وبرغم أننى كنت أدرس مبررات هذه العملية التى تجرى داخل الإنسان فإننى لم أكن أقتنع بها.. فكنت أقول لنفسى: لابد أن هناك شيئاً مَّا وراء ذلك يخفى علىَّ.... فتركيب جسد الإنسان وتنظيمه على هذه الصورة الدقيقة لابد أن يكون وراءه صانع مبدع».

ومرت الأيام والشهور، وطالبة الطب «أوشا» فى حالة التفكير المضنى بين ما تراه وتدرسه وبين ما ورثته من عقيدة وثنية لم تؤمن بها، حيث لم تقتنع بها فى يوم من الأيام.... وظلت هكذا حتى تعرفت على زميلة لها بالكلية قد سبق أن لاحظت عليها أنها لا تختلط بزميلاتها الطلبة، وتقصر صداقاتها على عدد معين من الطالبات.... ولفت نظرها أنها ترتدى ملابس محتشمة، تختلف عن الملابس التى ترتديها معظم الطالبات، ويبدو عليها الهدوء والوقار.. وجدت «أوشا» فى صحبتها ألفة لم تعهدها فى غيرها من قبل، واطمأنت نفسها إليها... فتعبر عن ذلك قائلة:

«تعرفت على زميلة لى فى الكلية يبدو عليها الهدوء والوقار، ووجدت فى صحبتها أُلْفَةً لم أعهدها فى غيرها من قبل، واطمأنت نفسى إليها... وفى النهاية عرفت السبب فى هذا كله... عندما قالت لى أنها مسلمة».

ثم تصمت برهة لتكمل كلامها:

«لم أناقشها كثيراً فى هذه المسألة... وإنما كنت أسألها نفس الأسئلة الحائرة فى عقلى... هل للكون أكثر من إله؟.... ومن هو الخالق المبدع لجسم الإنسان الذى ندرسه على هذه الصورة العجيبة.. البالغة التعقيد؟».

وتطرق برأسها التى احتشدت بها تساؤلات تبغى الحقيقة لتقول بعدها:

«لقد فهمت زميلتى المسلمة أسباب حيرتى.. فكانت تعيرنى بعض الكتب التى تتحدث عن الإسلام.. وكان أغلبها كتباً علمية عن جسم الإنسان، والدورة الدموية، والتشريح... وعندما سألتها عن مصدر هذه الكتب وواضعيها أخبرتنى أنها لمؤلفين مسلمين ماتوا منذ مئات السنين، وقد ترجمت إلى اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأجنبية».... ولكن كنت كلما قرأت فى هذه الكتب ازدادت دهشتى وتساءلت فى نفسى: كيف عرف هؤلاء هذه الأسرار الدقيقة الموجودة فى جسم الإنسان منذ مئات السنين.. كما قالت لى زميلتى المسلمة، وكما تأكدت بنفسى؟!. مع أن المناهج التى ندرسها الآن قيل لنا إنها اكتشافات لم تُعْرَف إلا فى القرن الحالى!... وبدأت الشكوك تساورنى فى صحة أسانيد العلوم التى ندرسها... فى الوقت الذى كنت أشعر فيه براحة نفسية عميقة عندما أجلس مع صديقتى المسلمة».

وتلتقط «أوشا» أنفاسها وتعود إلى هدوئها الخاص الذى يميزها فى الكلام والحركة، فتأتى الكلمات بطيئة قاطعة، كأنها تقرأها على لوحة خفية لايراها إلا هى... وهى تقول فى نبرة حزن وأسًى:

«... وانتهيت من دراستى فى كلية الطب... كان ذلك منذ ١٣ عاماً... وتزوجتُ من شاب هندوكى باركَتْهُ أُسرتى بدون أَخْذِ رأيى فيه.. وكانت حياتى معه لا تُطاق.. كلها خلافات وشجار دائم، ولا سيما عندما كان يطلب منى أشياء لم أكن مقتنعة بها، مثل ممارسة الطقوس الهندوكية التى لم أمارسها فى حياتى قط.. وكان ذلك موضع الخلاف بيننا فى الغالب....

وبرغم هذا الزواج فلم أقطع صلتى بزميلتى المسلمة... كنت ألتقى بها بدون علم زوجى، فقد كان متعصباً لدينه ومعتقداته الوثنية.... لا يُبارك علاقة الصداقة بزميلتى المسلمة».

وتستأنف حديثها قائلة:

«وبعد فترة وجيزة توفى زوجى، واستبشرت خيراً بعد وفاته... فقد كنت أتوقع مزيداً من الحرية فى حياتى.. ولكن خاب ظنى، فالعادات الهندوكية تحتم على الأرملة أن تبقى فى بيت أهل زوجها إلى الأبد.. من هنا أحسستُ أن هناك طوقاً يلتف حول عنقى إلى الأبد...

ولم يكن لى منقذ فى هذه الحياة التعسة التى أعيشها سوى علاقتى السرية بصديقتى المسلمة وأسرتها... وكانت سعادتى بالغة عندما وجدتها تنصحنى ذات يوم بأن أهاجر خارج الهند، وأخبرتنى أن أفضل بلد أستريح فيه هو ديار الإسلام، وحددت لى «السعودية» لأنها فى حاجة إلى عملى كطبيبة».

وفى نبرة صوت مفعم بالسعادة. قالت:

«وهكذا انفتح أمامى باب الأمل على مصراعيه بعد أن حصلت على عقد عمل بالسعودية.. وهناك تعرفتُ على زميلاتى الطبيبات المسلمات اللاتى وجدتُ منهن مودةً وألفة نسيت معها جو الغربة عن بلدى، فقد انغمستُ معهن فى حياتهن كأنى واحدة منهن... وهنا امتلأ وجدانى بحب الإسلام فأسلمت، ولكنى لم أشهر ذلك رسمياً.... وذات يوم وجدتهن يجرين استعدادات غير عادية للسفر خارج الرياض حيث نعمل.. وعلمت منهن أنهن سيقُمن بزيارة للمدينة المنورة، ثم مكة المكرمة.. ولم أكن أعرف أهمية هذه الزيارة ولا الهدف منها، غير أن زميلاتى لم يُرِدْنَ أن يتركننى بمفردى، فاصطحبننى معهن، لأنهن كن يشعرن برغبتى فى معرفة الكثير عن الإسلام.

وفى هذه الزيارة رأيت ما لم أره من قبل.. وسمعتْ مالم أسمع عنه.. زرتُ المسجد النبوى الشريف، وقبر الرسول الكريم، كما زرت الكعبة المشرفة والبيت الحرام.. وهناك سمعت عن الإسلام كلاماً لم أسمعه من قبل بعد أن رأيتُ الإسلام والمسلمين على الطبيعة..»

وتقطع حديثها بابتسامة سعادة الإيمان ترسم بذلك صورة عالمها النفسى الداخلى الذى يطرب لما هو فيه من رِضًا وراحة نفسية وهى تقول:

«لم أكن فى حاجه إلى شرح وتوضيح أكثر مما رأيتَ وسمعتُ.. لقد عرفتُ أن هذه الأماكن كانت النقطة التى أشرقت منها شمس الإسلام على العالم كله... وفيها ملأت شمس الحقيقة نفسى وقلبى... فكان لابد أن أدخل فى دين الإسلام رسمياً بأن أشهره... وكان ذلك فى منتصف شهر رمضان، وبعد الإفطار... فى يوم لا أنساه أبداً.... وكيف أنساه وقد شعرت أننى قد وُلِدْتُ فيه من جديد؟!...

وتصمت لحظات ليرتفع بعدها صوتها فى حرارة كلماتها وهى تحرك يديها فى حماس واعتزاز بيوم مولدها كمسلمة قد تسمت باسم «آمنة قريش»... فتتذكر ذلك اليوم فتقول عنه:

«فى هذا اليوم توجهت إلى مسجد الريحان المجاور للمستشفى الذى أعمل فيه.. وقلتُ للإمام: إن رغبتى قد استقرت على شَهْرِ إسلامى....».

ثم تتنهد وتستطرد قائلة:

«عندما نطقت بالشهادتين أمامه شعرت أننى تحررتُ لأول مرة من قيود الشك التى كَبَّلَتْنِى ثلاثين عاماً، واخترتُ لنفسى اسم «آمنة قريش» بدلا من اسمى القديم «أوشا».

وفى المركز الإسلامى بمكة المكرمة أخذت «آمنة قريش» تتعلم مبادئ الإسلام من صلاة وصوم، حيث انتظمت فى صوم بقية شهر رمضان بعد إسلامها مباشرة، وغيرهما من مبادئ وتعاليم وآداب زادت عليها بالثقافة الإسلامية التى حرصت على الاستزادة منها كلما استطاعت على ذلك سبيلا.

ومن الطريف الجميل أن تحرص «آمنة» على زيارة بيت الله الحرام أسبوعياً، وتشرب من ماء زمزم. . . وعن دافعها فى ذلك تقول:

«إننى فى كل مرة أشعر بمزيد من الأمان النفسى والاطمئنان الروحى. . فأنا أعتقد أن ذلك وحده هو الكفيل بتكفير الذنوب التى ارتكبتها طوال ثلاثين عاماً عشتها بعيداً عن الإسلام».

وعن أمنيتها تقول وقد دمعت عيناها:

«أتمنى أن أعيش بمكة المكرمة وأُدْفَنُ فى المدينة المنورة».

***

مع الأستاذة الجامعية «سمية كاربراين»

أستاذة جامعية[1]، تبلغ من العمر سبعاً وأربعين سنة[2]. . . سمعت كثيراً عن الإسلام والمسلمين منذ صغرها، وأعجبت بالإسلام لاحترامه المرأة وحفاظه عليها. . .

ولما بلغت مرحلة الشباب اهتمت بقراءة الكتب التى تحكى تاريخ الأديان. . وأُتيحت لها فى تلك الفترة أن تقرأ ماكتبه المستشرقون عن الإسلام والمسلمين، إلا أنها لم تقتنع بكتاباتهم، وفى ذلك تقول:

«لقد أتيح لى فى تلك الفترة أن أقرأ ماكتبه المستشرقون عن الإسلام والمسلمين، إلا أن هذه الكتب كانت للأسف سطحية ولا تعطى صورة صحيحة عن الإسلام، ولذلك حاولت أن أعرف المزيد عن الدين الإسلامى، فبدأت أتعلم اللغة العربية».

---

(١) استاذة للجغرافيا والجيولوجيا بكلية ستيفنج ببريطانيا.

(٢) يلاحظ أن للعمر دلالة مهمة فى تحول المرء إلى دين جديد غير الذى توارثه عن أبويه.

ثم تستطرد قائلة:

«لفت نظرى ذلك التقدم العلمى والحضارى الكبير الذى كان يعيش فيه المسلمون خلال القرون الستة الأولى من بدء الإسلام.. ومن هنا فهمت أن الدين الإسلامى يدعو إلى العلم والتقدم، على عكس أوربا فى تلك الفترة، فقد كانت تعيش عهداً كئيباً مظلماً».

واتسعت ابتسامتها النابعة من ارتياحها النفسى وهى تقول:

«بدأت قراءاتى تزيد وتتعمق فى مبادئ وتاريخ الإسلام، وكنت كلما توغلت فى القراءة يتضح لى أن الإسلام دين العلم والفلسفة والحياة بمعناها الواسع.... فلقد عكفت على قراءة الكثير من الكتب الإسلامية المترجمة باللغة الإنجليزية، فتبينت منها أن الدين الإسلامي يدعو إلى الأُخوة والمحبة بين الناس، وإلى المساواة والعدل بينهم.. كما يركز على الجانب الروحى فى حياة البشر، وبالتالى فهو يمنح المسلم شحنة إيمان قوية تتضح فى علاقة المسلم بربه حيث يتقبل القضاء والقدر بنفس راضية وقلب مطمئن.. كما لفت نظرى احترام الإسلام للمرأة وتكريمه لها، على عكس ما كنت أجده فى المجتمع البريطانى من امتهان لكرامة المرأة، والعلاقة غير الإنسانية بين الرجل والمرأة، لقد وجدت أن هذه الدين يحرص على طهارة ونقاء المرأة والحفاظ على كرامتها وإنسانيتها.. من ذلك كله حرصت على اعتناق الإسلام والالتزام بسلوكياته وتعاليمه».

***

مع الدنمراكية «جنة سالم»

إنها شابة فى الثلاثين من عمرها. . . نشأت فى الدانمارك من أسرة متدينة بسيطة. . وتخرجت فى إحدى كليات «كوبنهاجن» التى مكنتها من ممارسة مهنة التدريس حيث عملت مدرسة للغة الإنجليزية والجغرافيا بالمدارس الثانوية وأتيحت لها الفرصة لأن تزور كثير من البلاد الأوربية والإفريقية، ومنها نيجيريا.

وفى نيجيريا تمكنت من التعرف عن قرب على أحوال المسلمين ومخالطتهم، فضلاً عن دراسة ومطالعة كثير من الكتب التى تتناول التشريع والمبادئ والقوانين والأحكام الإسلامية، خاصة أن أهل نيجيريا فى معظمهم يدينون بالإسلام. . ومنذ ذلك الحين بدأت تزداد معرفتها بالإسلام شيئاً فشيئاً. . فتعبر عن ذلك قائلة:

«بعد رحلة طويلة فى هذه الكتب الإسلامية أيقنت أن العقل البشرى قاصرٌ، وأن الناس فى جميع أنحاء العالم بحاجة إلى تشريع إلـهى محكم، لا توجد فيه ثغرات أو غموض أو تعقيد، فالإنسان مهما أُوتى من عبقرية فى الإدراك قاصر عن وضع القوانين والمبادئ التى تسعده، والدليل على ذلك هو وجود الصراعات المختلفة على الأرض والتى تحتاج إلى قوة تنظيم ترشد الإنسان».

ثم تضيف قائلة:

«لقد وجدت أن بعض التعاليم الدينية فى الغرب تقوى الظنون والشك لتعرضها للتحريف، فضلاً عن أن رجال هذه التعاليم ينقسمون فى الرأى.. ومن هنا كان سفك الدماء والتناحر بين طوائف الدين الواحد، بالإضافة إلى التمييز العنصرى، وتفكك روابط الأسرة، وتدهور العلاقات الإنسانية، والغرق فى الملذات والمحرمات والمنكرات، مما يتعارض مع جوهر الدين الحق الذى يرفضها شكلاً وموضوعاً... وكان هذا هو الإسلام».

وتصمت فى لحظة استغراق وتأمل لتقول بعدها:

«أود أن أشير فى نهاية كلمتى هذه إلى أننى ولله الحمد أشعر كأننى وُلدت من جديد، بين الهُدَى والنور بشهادة الحق أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله».

وبدافع من قوة الإيمان والغيرة على دينها الجديد الإسلام وجهت نداءً ورجاءً للمسئولين على الدعوة الإسلامية على مختلف مستوياتها قالت فيه:

«ارجو أن تركز جميع الحكومات والمنظمات والهيئات الإسلامية والعربية فى عملها على شعوب الدول الأجنبية، وأن تعمل جاهدة على توسيع نطاق نشر الدعوة الإسلامية، بإيفاد الدعاة المسلمين للوقوف فى وجه التيارات المضادة، وتوفير الكتب والمراجع الإسلامية حتى تكون فى متناول يد كل شخص باحث ودارس لهذا الدين الإسلامى القويم.

***

مع «ليلى رمزى» مذيعة التليفزيون الأمريكى(١)

عملت مذيعة فى التليفزيون الأمريكى عقب تخرجها وحصولها على بكالوريوس فى هندسة الإليكترونيات.. ويبدو أن طبيعة عملها استلزم منها

(١) لم يذكر المصدر الذى رجعنا إليه اسمها قبل أن تعتنق الإسلام.

أن تكون على درجة كبيرة من الثقافة، فكانت تطالع كثيراً من الكتب وما يصدر من مؤلفات متنوعة.. وقد مكنها ذلك من قراءة الكثير عن الأديان، مثل دين الإسلام الذى استوقفها مراراً وهى تتأمل وتمعن التفكير فى تعاليمه وآدابه.

وأرادت الاستزادة من المعرفة بالإسلام، فاتجهت إلى قراءة ترجمة بعض سور من القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، وتفاسير سيد قطب، والغزالى، وغير ذلك من كتب إسلامية متعددة.

وبينما هى مستغرفة فى القراءة تنهل من زاد المعرفة الإسلامية، كانت تقارن فى الوقت ذاته بين الأديان كلها وبين الإسلام، حتى شرح الله صدرها للإسلام، فاعتنقته.. فتعبر عن مشاعرها تجاهه قائلة:

«وجدتُ الدين الإسلامى يسيطر على مشاعرى وكيانى.. ويجعلنى أعيش فى الحقيقة بعد وَهْم طويل»

وعندما سُئلت عَمَّا تَعْنيه بالوَهْم الطويل.... قالت:

«البعد عن الحقيقة.. حقيقة الله تعالى وعدم معرفته كما ينبغى هُوَ الوَهْم.. ولذلك كنتُ فى وَهْم طويل قبل أن أتعرف على الإسلام الذى أعطى العَقْلَ تعريفاً بالله وصفاته.... فالعقل لا يقبل أن يُطلق على الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، صفات تتنافى مع وحدانيته... وهو القائل فى كتابه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١).....

كما أن العقل لا يمكن أن يستسيغ ما يتنافى مع وحدانية الله».

ولذا فلاعجب أن تكون سورة الإخلاص التى تجزم بوحدانية الله وتفرده بصفات لا يشاركه فيها أحد الدافع وراء نطقها بالشهادتين وإشهارها للإسلام..... كما عبرت عن ذلك بقولها:

(١) سورة الشورى - من الآية الحادية عشرة.

«كنت أقرأ ترجمة بعض سور من القرآن الكريم، باللغة الإنجليزية، وخاصة جزء «عم»، مثل سورة «الفجر»، و«البينة»، و «الضحى».... حتى وصلتُ إلى سورة «الإخلاص».. فقرأتُ فيها حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾....

فإذا بى أنطق بالشهادتين نطقاً صحيحاً كاملاً باللغة العربية دون سابق معرفة بها.. وكان ذلك منذ أربع سنوات».

وحضرت «ليلى رمزى» إلى القاهرة بعد اعتناقها الإسلام لتدرس اللغة العربية حتى تتمكن من قراءة القرآن الكريم الذى ارتبط بوجدانها، وتتمنى أن تحفظه كله بلغته العربية.

ومن الطريف ـ كما تذكر ـ أنها حصلت على بكالوريوس فى هندسة الإليكترونيات لتمارس عملاً يختلف تماماً مع تخصصها كمذيعة فى التليفزيون، ليكون ذلك سبباً فى هدايتها للإسلام من خلال حرصها على التزود بثقافات متنوعة..

ولم تكتف الأمريكية المسلمة «ليلى رمزى» باعتناقها للإسلام، بل إنها تحرص على إقناع غيرها من بنات جنسها من الأمريكيات لاعتناق الإسلام، حيث قالت:

«سأعمل واعظة فى الدين الإسلامى لتوجيه الناس إلى الطريق الصحيح».

* * *

(١) صحيفة اللواء الإسلامى فى أحد اعدادها الأسبوعية.

مع «فابيان» عارضة الأزياء الفرنسية التى صارت مجاهدة مسلمة

فتاة فرنسية فى نحو الثامنة والعشرين من عمرها، اجتذبتها بيوتات الأزياء العالمية لتعمل عارضة أزياء لها جمالها المبهر، ورشاقتها لفتت الأنظار إليها... وحرضها الجميع - بما فيهم أهلها - على أن تستغل جمالها فى عمل يدر عليها ربحاً كثيراً وشهرة واسعة... وكان لها ما أرادت وما أرادوه منها، فذاع صيتها كعارضة أزياء لا تفهم شيئاً غير حركات جسدها وإيقاعات الموسيقى...

تعلمت «فابيان» أن تكون باردة، مغرورة، فارغة تماماً من الداخل، مجرد جماد يتحرك ويبتسم، ولكنه لا يشعر بأى شئ شأنها فى ذلك شأن كل عارضة أزياء.

وعاشت «فابيان» عارضة لأحدث خطوط الموضة بكل مافيها من تبرج وغرور، ومجاراة لرغبات الشيطان فى إبراز مفاتن الأنثى دون حياء أو خجل.. فعلى من يمتهن ذلك أن يتخلى عن الخجل ويودع الحياء إلى الأبد تذكر فابيان أنها كانت تحيا فى عالم الرذيلة بكل أبعادها الممجوجة، لابد أية واحدة من العارضات ليس فى إمكانها أو باستطاعتها أن تكتفى بعملها فقط، فذلك يعنى القضاء عليها، لأن السادة يريدون أن تمارس كل أنواع الفحش والرذيلة، فهذا فى اعتبارهم مكسبهم الحقيقى.

(١) من عالم الشهرة إلى رحاب الايمان: اسماء أبو بكر الجهينى (بتصرف).

وحدث التحول المفاجئ فى حياة «فابيان».. أثناء رحلتها إلى بيروت بلبنان، ورأت كل شئ ينهار ويتحطم تحت وابل طلقات المدافع والقنابل ... كل شئ ينهار، الفنادق، والمنازل، حتى المستشفيات لم تسلم منها... لقد رأت مستشفى للأطفال ينهار فى دقائق معدودة ويصير كومة من تراب.. .عندئذ صرخت وبكت،*وانقشعت الغشاوة عن عينها... غشاوة. الشهرة والمجد والحياة الزائفة، واندفعت نحو أشلاء الأطفال الأبرياء، كانت تحاول ماوسعها الجهد أن تنقذ من بقى منهم على قيد الحياة

ولم تعد «فابيان» إلى الفندق الذى تقيم به فى «بيروت» حيث تنتظرها الأضواء الخادعة المزيفة التى لا روح فيها ولا حياة.... فقد تاقت نفسها أن ترجع إلى فطرتها النقية التى فطرها الله عليها... النقاء والصفاء... أرادت أن تشعر بإنسانيتها... وأنها إنسانية بمعنى الكلمة.

وتطوعت «فابيان» للعمل كممرضة تعمل ماوسعها الجهد على تخفيف الآلام للأطفال المصابين فى إحدى مستشفيات «بيروت».

وفى أثناء عملها سمعت عن حاجة «أفغانستان» لمساعدتها مما تعانيه من دمار الحروب، فتركت «بيروت» الجريحة وسافرت إلى باكستان لتصل من حدودها إلى «أفغانستان» حيث عاشت الحياة الحقيقية التى طالما تطلعت إليها شوقاً، وتاقت نفسها إليها...

وفى أثناء معايشتها للحياة الأفغانية وما رأته من جهاد الأفغان وتضحيتهم بأنفسهم تَطَلُّعاً إلى مصير بلدهم وتحريره أو الشهادة فى سبيل الله... فأخذت تسأل عن دين الإسلام الذى يعتنقه الأفغان ويدفعهم إلى مثل تلك التضحيات النادرة.

وزاد اقتناعها بالإسلام الذى يلتقى مع أحاسسها وإنسانيتها التى عادت إليها بعد أن رأتْ فى الإسلام حياة حقيقية كانت تفتقدها قبل أن ترى سلوك وتصرفات المسلمين الذى يضحون بأرواحهم فداءً لدينهم وأوطانهم....

لقد بلغ من حب «فابيان» للإسلام أن أرادت أن تقرأ القرآن الكريم بلغته العربية، فأخذت في أثناء تطوعها في رعاية الأُسَر الأفغانية ـ تتعلم اللغة العربية حتى أحرزت في ذلك تقدماً ملموساً بشهادة من حولها.

ولم تلبث أن أعلنت «فابيان» عن إسلامها أمام الأسر الأفغانية التي أحبتها وفرحت بإسلامها.

وبرغم ضغوط الإغراءات التي كانت تصل إليها للعودة كعارضة أزياء، والكم الهائل من الهدايا الثمينة التي أرسلت إليها فإنها أبَتْ أن تعود إلى حظيرة الفسق والضلال بعد أن رأت نعيم الطُّهْرِ والإيمان... فلقد تغير نظام حياتها تماماً وفقاً لمبادئ دينها الجديد «الإسلام» وتعاليمه...

كيف تتخلى عن الروحانيات العظيمة المتفردة التي تعيش في رحابها وتعود للطرقات المظلمة الجافة؟!.

هكذا عبرت «فابيان» عندما حاول أعوان الشيطان أن يستدرجوها مرة أخرى إليهم.

يقول من رأوها وهي تقضي أوقاتها في أعمال شاقة وسط الهضاب والشعاب والجبال في معاونة الأُسر الأفغانية:

«لَكَ أن تتعجب، كيف صارت عارضة أزياء فرنسية ماجنة إلى مجاهدة مسلمة الآن؟.. ولكن يزول العجب إذا أمعنا النظر في دين يدعو إلى إنكار الذات، والتضحية في سبيل الغير... دين يتفق مع فطرة الإنسان التي فَطَرَهُ الله عليها من النقاء والطهارة.. فالرجوع إليها عودة لوجود كائن وليس اختلاقاً لشئ لم يكن... المهم أن ترجع النفس إلى نفسها وبارئها».

***

مع الفنانة الألمانية «كارولا» التى صارت السيدة «سكينة»

كانت تتربع على قمة المجد والشهرة، فقد كانت ممثلة سينمائية ومسرحية يحيط بها الألوف.. ويعجب بها الملايين.... وبالرغم من الشهرة والأضواء، فقد كانت تشعر فى أعماقها بقلق وعدم استقرار... فقد كانت تحس أن شيئاً ما ينقصها، برغم أنها تمتلك كل ما يسعى إليه المرء من متاع مادى.. «الفيلا» و «السيارة».. والسفر إلى معظم بلدان العالم... ومع ذلك تذكر أنها كانت تشعر أنها تعيش حياة بلا طعم.. بفراغ قاتل ووحدة موحشة، برغم أنها تعيش وسط الأضواء، ويطاردها المعجبون فى كل مكان.

وذات يوم، وبينما هى جالسة فى فيلتها التى تقع فى ضواحى «برلين» راحت تفكر فى حياتها التى تعيشها، وقد نسبت تماماً ما تمتلكه من متاع مادى لم يسبب لها السعادة التى تنشدها... فعزمت على أن تبحث عن طريق آخر وحياة أخرى علّها تجد فيها السعادة والطمأنينة وهدوء البال.. فرأت أن أفضل طريق لها أن تبعد عن المجتمع الألمانى الذى تعيش فيه... وأن تزور بعض البلدان الأخرى لتختلط وتعايش أبناءها.... وبالفعل غادرت ألمانيا، وكان ذلك فى عام ١٩٣٤ بمساعدة أحد معارفها الذين يعملون فى الحكومة، فقد كان «هتلر» الذى يحكم ألمانيا وقتئذ يمنع الألمان

من مغادرتها. . . واتجهت إلى «تونس» التى لم تمكث فيها طويلا، حيث شعرت أنه مجتمع لايختلف عن المجتمع الذى كانت فيه، فقد كان الفرنسيون يحكمون هذه البلاد ويسيطرون على كل شئ فيها. . .

ومن تونس توجهت إلى «مصر». . وتسترجع ذكريات حبيبة على نفسها عن مصر، فتحكى قائلة:

«. . كانت أكثر هدوءًا وجمالا من الآن. . . كنت أسير فى شوارعها فتأخذنى مناظر المساجد ومآذنها المرتفعة. . . وذات يوم بينما كنت أتجول فى خان الخليلى. . . سمعتُ صوتاً عالياً مصدره مكبر للصوت يُرَدِّدُ جُمَلاً مكررة بصوت جميل. . كانت تلتقطها أذناى من هنا وهناك. . فقد كانت تتردد فى أكثر من مكان. . . ولما اقتربت من المصدر الذى يأتى منه هذا الصوت لاحظتُ أن الناس يُسرعون مهرولين إلى داخل المبنى الذى عرفتُ فيما بعد أنه «المسجد». . . وأنهم يدخلونه لأداء الصلاة بعد أن يسمعوا هذا النداء الذى لفت انتباهى، وهى «الأذان». . وسألت عمّا سمعتُ ورأيت وعرفت الإجابة».

وتغيم عيناها خلف سحابة ذكريات بعيدة تحاول أن تسترجعها، ثم ماتلبث أن تعود لحديثها فتقول:

«كنت أتجول فى الشوارع أتحدث مع الناس وأطالعهم. . . وترددت على هذا المكان الذى عرفت فيما بعد أنه يسمى بالمسجد. . . . كنت أرى أشخاصاً ـ أشكالهم مختلفة، وملابسهم متمايزة ـ يجلسون فى حلقات ويلتفون حول شيخ مسن يجلس على كرسى عريض. . . وبعد ساعات يقوم شخص فيعتلى مكاناً عالياً فى المسجد، عرفت أنه يسمى «المئذنة»[1] وينادى بالعبارات التى سمعتها وشدت انتباهى من قبل، وسرعان ما يقوم هؤلاء

(١) يلاحظ أنها تتحدث عن فترة لم ينتشر فيها مكبرات الصوت التى تُغْنى الآن عن اعتلاء المآذن كما يفهم من سياق حديثها، فقد كان فى الفترة ما بين ١٩٣٦ إلى أواخر الأربعينيات.

الأشخاص من جلستهم ويقفون فى صفوف منتظمة، ويؤدون حركات متكررة. . . . ولما سألت عن هذه الحركات. . .عرفت أنها «الصلاة». . .

كنت أحرص على المجئ إلى هذا المكان ساعات من كل يوم لأشاهد هذا المنظر».

ثم سرعان ما تبتسم وهى تكمل رسم صورة عالمها النفسى بتحديد أكثر وهى تقول:

«لقد شدتنى حركاتهم، ونظامهم، وسكونهم فى الصلاة. . . . فبدأت أفعل مثلهم وأنا أقف من بعيد[1]. . فلقد كنت أشعر براحة وطمأنينة لهذه الصلاة التى لم أكن أفهم بعد ما الذى يُقال فيها. . . . كما كنت أشعر بهذه الراحة والطمأنينة أيضاً كلما دخلت هذا المكان».

وتصمت للحظات لتؤكد بعدها على ماتريد توضيحه بقوة لاتسمح بأى تصورات أخرى أن تشوبها فتقول:

«وعرفت أن هؤلاء الأشخاص هم «المسلمون» الذين يدينون بدين يسمى «الإسلام» الذى سمعت عنه لأول مرة. . . ودفعتنى رغبة كامنة فى نفسى أن أعرف المزيد عن هذا الإسلام الذى خفقت له جوارحى وأحببته. . .فقد شعرت بأنى أحيا حياة جديدة لم أعرفها من قبل».

وترتفع حرارة الكلمات التى تنطق بها لتعبر عمّا تريد قوله بحماس وإصرار عندما قالت:

«صممت على أن أعيش حياة المسلمين. . . فأعلنت إسلامى على يد أحد الشيوخ، وكان يجلس الناس حوله فى حلقات. . .ويبدو أنه كان يلاحظ الحيرة على وجهى. . . فأخذ بيدى وانتحى بى جانباً. . . وكان قد فرغ لتوه من هذه الجلسة التى يعتادها كل يوم. . . . وردد أمامى كلمات، وطلب منى

(١) لنا أن نتأمل نحن معشر المسلمين مدى سحر الصلاة الذى جذب من هم على غير ملة الإسلام.

أن أكررها وراءه. . . . ولم أنس هذه الكلمات حتى اليوم. . . . قولى: أشهد أن لا إله إلا الله. . . وأشهد أن محمداً رسول الله. . وهكذا أعلنت إسلامى وأنا سعيدة جداً(١).

وشعرت السيدة الألمانية بالطمأنينة والسكينة فى نفسها، فقامت بتغير اسمها من «كارولا» إلى «سكينة» وصارت تعتز بكونها مسلمة. .

إنها تتذكر تلك الأيام التى عاشتها وهى تولد من جديد فى دنيا أخرى كدنيا الأحلام على حد تعبيرها. . . إنها تقارن بين حياة الناس فى الغرب وما يتوافر لهم من وسائل الراحة والمتعة، وبرغم ذلك لا تجدهم سعداء فى حين تذهل عندما ترى أناساً بسطاء فى معيشتهم يعيشون حياة أقرب إلى الحياة البدائية، ولكنهم سعداء فى حياتهم. . . اقتربت منهم أكثر لتعرف السبب. . فوجدت أنهم يعيشون مع الله دائماً. . يجتمعون عند الصلاة. . يؤدون شعائر دينهم برضاً واقتناع. . يتوكلون على الله فى تسيير أمورهم بعد أن يفعلوا ما عليهم من واجبات. . . . أما فى الغرب فلم تر هذه المعانى والمظاهر الإيمانية التى تشعر بها الآن، فتعبر عن ذلك قائلة:

«فى الغرب طغت المادة على كل شئ حتى صارت حياة كل الناس، فأصبحوا جسداً بلا روح. . وكنت مثلهم من قبل. . أعيش جسداً بلا روح. . . . واليوم أصبحت أعيش حياة تختلف تماماً. . . حياة لها قيمة ومعنى».

وتختتم «كارولا» التى صار اسمها «سكينة» حديثها فى نبرة أسى ممزوجة بأمل قائلة:

«فى الغرب لا يعرف الناس عن هذا الدين الحنيف إلا الصورة المشوهة المغلوطة التى يرسمها أعداء الإسلام. . . ولكن من يعرف الإسلام عن قرب يدرك عظمته، ولابد أن يعرف قدره مستقبلا».

---

(١) جريدة اللواء الإسلامى فى أحد أعدادها الأسبوعية من حديث اجراه الزميل محمد صبرة (بتصرف)

وبعد. . . . فهذه رحلة إيمانية كان الدليل فيها إلى دين الحق والهدى النفسُ الصافية التى تحررت من شوائب العناد والتمسك بالباطل، سعياً وراء الحقيقة التى وجدتها فى الإسلام وحده[1].

* * *

مع «كارولين» أشهر لاعبة سلة فى مصر

كانت «كارولين» دائماً تجلس إلى والدتها وتتساءل:

«لماذا نعتنق الدين المسيحى، وغيرنا يعتنق الدين الإسلامى؟

هكذا كانت أمها تتساءل معها فيما يساورها من رغبة فى البحث عن الحقيقة لمعرفة مَنِ الذى يسير على الطريق الصحيح. . . . بل كانت تشجع ابنتها فى البحث عن تلك الحقيقة. . . فقد كانت والدتها قد سبقتها إلى تلك الفكرة منذ أكثر من عامين حيث قرأت معانى القرآن الكريم باللغة الفرنسية، لأنها لا تجيد القراءة باللغة العربية. . كما كانت تقرأ كثير من الكتب عن الإسلام. . . . . وكانت الابنة «كارولين» تحصل منها على بعض هذه الكتب وتقرؤها بتمعن شديد.

منذ ذلك الحين بدأت «كارولين» تنقطع عن زيارة الكنيسة، ولم تجد فى ذلك أى صعوبة، لأنها طوال حياتها لم تكن مواظبة على الذهاب إليها كباقى صديقاتها المسيحيات.

وعن لحظة اهتدائها إلى الإسلام كدين قد تغلغل فى وجدانها وفكرها تقول:

«فى يوم شتوى دافئ تتجلى فيه قدرة الله تعالى على بزوغ الشمس بإشراق ممتع، ويشاء الله أن يكون يوم ٧ يناير، وهو يوافق عيد القيامة عند المسيحيين. . . شعرت برغبة جارفة لإشهار إسلامى بعد أن قرأت أجزاءً من

(١) من عالم الشهرة إلى رحاب الإيمان: أسماء أبو بكر الجهينى (بتصرف).

القرآن الكريم وبعض كتب التفسير. . . من لحظتها قررت بدون أى تردد الذهاب إلى مديرية الأمن بالإسكندرية، وبعدها لمكتب الشهر العقارى، مع أمى، وذلك للقيام بإجراءات إشهار إسلامنا»[1].

وتذكر «كارولين» أنها وجدت صعوبات جمة تمثلت فى معارضة والدها وشقيقها على إسلامها هى ووالدتها. . . . ولكنها لم تأبَه لها، حيثَ انفصلت والدتها عن والدها طبقاً للشريعة الإسلامية، وعاشت مع والدتها فى منزل خاص بها. . . .

لقد تغلغل الإيمان فى وجدان «كارولين» وازداد تمسكها بدين الإسلام كعقيدة، وتسعى للمزيد من المعرفة بمبادئه وتعاليمه، فتكثر من قراءة الكتب الإسلامية، وخصوصاً كتب التفسير القرآنى. . . وعندما تُسْأل عن هذا النهم لمثل تلك النوعية من القراءة تقول:

«إننى أعتزم أن أعمل جاهدة على معرفة كل شئ متعلق بالدين الإسلامى لكيلا أفعل شيئاً ـ مهما كان صغيراً ـ يتعارض مع تعاليم الإسلام بدون أن أدرى».

* * *

---

(١) يلاحظ أن هناك تصرفا ف التعابير التى وردت فى المرجع السابق ذكره فى محاولة منا لتسليط الضوء على الجوانب الخفية وراء اعتناق الإسلام ممن كانوا لا يدينون بالإسلام سلفاً.

الفصل الثاني

مواقف كانت سبب إسلامهن

* مع الدانمركية «ماريانا» التي صرخت فرحة عندما شعرت بتيار خفى يشد من عصب قدميها المشلولتين ثم تنهض وتسير.

* مع البريطانية «ميشيل» التي رأت فى منامها أنها تَرْجُمُ الشيطان، فأسرعت فى الصباح ونطقت بالشهادتين.

* مع الألمانية «موسلر» التى توسل إليها طفلها فى ضراعة وفى عينيه دموع: «يا أمى أريد أن أكون مسلماً».!

* مع اليونانية «فيالو بطرس» التى ناقشت راعى الكنيسة فى الديانة النصرانية فطردها من القاعة.

* .... و مواقف أخرى.

مع السيدة «ماريانا» الدانمركية أو «مريم»

تأثرت بشقيق زوجها[1] الذى كان يُكثر من زيارة شقيقه فى «الدانمرك»، وذلك من خلال تأديته للصلاة، حيث ترك عندها إحساساً وانطباعاً عميقاً دفعها إلى النهج على خطاه، وبالتالى اعتنقت الإسلام، وصارت عضوا بجمعية الشابات المسلمات فى «كوبنهاجن» العاصمة الدانمركية.

وتقارن بين حالتها قبل الإسلام وبعده فتقول:

«قبل إسلامى كان لباسى حسب تقاليد الحضارة الغربية «البنطال، القميص، الفستان).. أما اليوم فإننى أرتدى الجلباب الشرعى والحجاب الذى لا يفارقنى.... كما كنت آكل الأشياء المحرمة كلحم الخنزير... أما الآن فقد أدركت سر التحريم، وامتنعت عنه نهائياً، حيث كنت أشعر بألم فى البطن (مغص) بعد تناول وجبة لحم الخنزير، وهذا الألم كان يصاحبنى يومياً بعد الغروب».

ثم تابعت حديثها عن دافع إسلامها قائلة:

«لقد قادنى اعتقادى بأن الإنسان عندما يموت سيُعاقب، والمسلم سيذهب إلى الجنة، فرغبة منى فى الذهاب إلى الجنة بعد الموت أحببت الإسلام، وأسلمت طمعاً فى الجنة وثوابها، ولقد تأثرت بشقيق زوجى الذى كان يكثر من زيارتنا فى «الدانمرك» وذلك من خلال تأديته للصلاة».

---

(١) يلاحظ أنه كثيراً ما نجد بعض الأزواج المسلمين لا يهتمون كثيراً بالتزام زوجاتهم الأجنبيات وباعتناقهن للإسلام... وهذه السيدة التى نحن بصددها مثال حى على ذلك، فلقد كان تأثرها الأول بشقيق زوجها.

وعن نظرة أهل الغرب للإسلام تقول:

«الأوربيون ينظرون للإسلام نظرة مملوءة بالحقد والعصبية، وكأن فى آذانهم وقراً عن سماع تعاليم الإسلام وأعينهم قد عميت عن رؤية ما يأتى به الإسلام... ولكنى سأبذل كل جهدى لدعوة من أستطيع دعوته إلى الإسلام من فتيات ونساء الدانمرك أثناء وجودى هناك».

وتحكى «ماريانا» أو «مريم» ـ كما تحب أن تُدْعَى به ـ قصة غريبة مرت بها، وهى لمهندسة «دانمركية» تعرفها قد أسلمت وشفيت من الشلل وهى تؤدى صلاتها فتقول:

«هناك مهندسة «دانمركية» كانت قد تزوجت من جندى إنجليزى، وكانت تسافر معه باستمرار... وتوفى الزوج فى إحدى المعارك.... وبينما كانت تسوق سيارتها، وقع لها حادث أدى إلى شللها تماماً، فأمضت عشر سنوات مُقْعَدَةً فى المستشفى... وفى أثناء تلك الفترة أخذت تطالع الكتب والمجلات ولفت نظرها نسخة من معانى القرآن الكريم مترجمة، فشعرت بارتياح لما قرأته منه، وطلبت بإلحاح شديد من جيرانها الأتراك المجاورين لها أثناء زيارتهم لها بأن يأخذوها إلى المسجد لتتعرف أكثر على الإسلام وتعاليمه... وفعلاً تم حملها على أكتاف المسلمين إلى هناك، ودخلت المسجد، وأدت الصلاة مع المصليات بعد أن أعلنت إسلامها...

والشئ الغريب أنه أثناء تأديتها للصلاة وهى جالسة شعرت بشئ خفى يدفع بظهرها ويُسَوِّى من اعوجاجه، حتى استقام ظهرها.. كما شعرت أثناء ذلك بأن هناك تياراً خفياً يشد من عصب قدميها المشلولتين.. عندئذ صرخت بانفعال فرحة ودهشة عما اعتراها من تحسن مفاجئ فى حالتها..

ولم يقتنع أحد بحديثها إلا عندما رأوها وهى تنهض وتسير على قدميها وكأنها لم تكن مشلولة من قبل»[1].

وتروى «مريم» قصة أخرى حدثت مع شقيقها الذى كان يحاول أن يطلع على القرآن ويُمسك به، فى حين كان زوجها يمنعه من ذلك لأنه غير مسلم، فعليه أن يتطهر أولا حتى يمس القرآن.

وحدث أن انتهز شقيقها فرصة غياب زوجها فأمسك به بالإبهام والسبابة من أصابع يديه، فما كان له إلا أن انكسر عظم أصبعيه المذكورين اللذين أمسك بهما القرآن الكريم، وذلك فى اليوم التالى عندما كان يمازح صديقاً له. . .

وتختتم حديثها قائلة: «إننى الآن أمضى أكثر أوقاتى فى المساجد والمراكز الإسلامية أدعو فيها إلى الإسلام، وأُحببه إلى نفوس الآخرين»[2].

* * *

(١) كتبت قصتها صحف «الدانمرك» ومختلف وسائل الإعلام هناك، وأجريت معها مقابلات عديدة لتروى قصتها الغريبة، وقد عزت ذلك إلى فضل الله واعتناقها للإسلام الذى تعتز به، وتسمت باسم إسلامى هو «خديجة».

(٢) المجلة العربية مايو ١٩٨٧ (بتصرف).

مع السيدة البريطانية «ميشيل» أو «جميلة»

في بريطانيا... تعرفت «ميشيل» على شاب سوري مسلم، كان زميلاً لها في العمل.. دعاها إلى وطنه، فسافرت إلى دمشق، وهناك استمعت إلى الأذان لأول مرة.. كانت لاتدري لماذا كانت تستعيده دائماً وهي لا تفهم معنى كلماته.

وتسترجع «ميشيل» ذكريات حبيسة في نفسها، فتذكر أنها كانت تُشارك إحدى زميلاتها في العمل الحديث في موضوعات الأديان، وكانت المناقشة تستغرق ساعات طويلة، ولاحظت زميلتها ـ وقت ذاك ـ أن آراءها تأخذ دائماً جانب الإسلام، فتتعجب لهذا.. وعن سبب هذا الميل للإسلام تصرح «ميشيل» فتقول:

«كنت أرى أن آراء الإسلام أكثر منطقية، وأنها صريحة وواضحة وقريبة من الطبيعة البشرية».

ثم تمضي فتروي قصتها قائلة:

«ذات مساء كنت أقرأ كتاباً عنوانه: «كل ما يجب أن تعرفه عن الإسلام والمسلمين» للأمريكية «سوزان جنيف».. وكانت آخر صفحة قرأتها عن شعائر الحج، وشعرتُ أني أضع قدمي عند أول الطريق، وأخذت أبكي إلى أن غلبني النوم.... ورأيت في منامي أني أَرْجُم الشيطان، وتنبهتُ في الصباح على رنين «التليفون» وكان المتحدث هو زوجي السابق «أمين»..

وأخذت أبكى وأرجوه أن يأتى ويصحبنى إلى المسجد لأنى أريد أن أنطق بالشهادتين أمام مسلم متدين. . . لقد رجمتُ الشيطان وانتصرتُ عليه، ولن أسمح له بأن ينتصر علىَّ مرة أخرى».

وقد كان. . واغتسلت «ميشيل» ونطقت بالشهادتين، وأصبح اسمها «جميلة» وارتدت الزىَّ الإسلامىَّ، وتعلمت الصلاة، وبدأت تقرأ القرآن الكريم. . . ويعيد الإسلام الوئام إلى القلبين اللذين فرق بينهما العناد. . . وتقترن «جميلة» «بأمين» الشاب الذى طلبت الطلاق منه يوماً، لأنها لم تفهم حقيقة سلوكه. . . . . وتبتسم وهى تستعيد كلماته لها بعد إسلامها. . . «أنتِ صِرْتِ مسلمة، وأنا عدتُ إلى تدينى، فلنعد زوجين».

وتتذكر «جميلة» عندما سأله شيخ المسجد عن مهرها الشرعى، فقال له: «سأساعدها على حفظ سورة من القرآن». . .وبالفعل ساعدها «أمين» وحفظت سورة «التين»، وبدأت تتعلم اللغة العربية لتقرأ القرآن الكريم وتفهم معانيه. .وتجرى دموع «جميلة» على وجهها وهى وتقول:

«أشعر كأنَّ أحداً قد غسل عيونى ثم أعادهما إلىَّ مرة أخرى. . لقد تغير العالم فى نظرى. . .هذه دنيا جديدة وحياة مختلفة». .

وتبعث «جميلة» برسالة إلى المرأة فى البلاد الإسلامية تقول فيها:

«يجب أن تعرف المرأة المسلمة أن حرية المرأة فى أوربا ليست حرية حقيقية، فليس لها حقوق متساوية فى الأجر والعمل مثل الرجل. . كما أن الرجل هنا لا ينظر إلى المرأة نظرة تقدير واحترام. . .هو فقط ينظر إلى جمالها وفتنتها، ولا يفكر فيها إلا كشريكة فى الفراش!

لقد أعطى الإسلام المرأة حقوقها الكاملة، وكرم إنسانيتها منذ أربعة عشر قرناً، فى حين أنها لم تحصل على بعض هذه الحقوق فى مجتمعاتنا الغربية

إلا فى هذا القرن الحالى... وعلى المرأة المسلمة ألا تنظر إلى الغرب بحثا عن حريتها، بل أدعوها إلى النظر فى تعاليم الإسلام وقيمه، ففيها الحرية والكرامة الحقيقية للمرأة».

وهكذا لم تكتفِ «جميلة» بإسلامها، بل تدعو المرأة المسلمة ذاتها إلى التمسك بتعاليم دينها وقيمه.

***

مع السيدة الألمانية «أمينة موسلر»

نَشَأَتْ في «دير» ومن ثم فقد تعودت أن تنظر إلى الحياة من زاوية الدين، ولا سيما أنها قد نشأت في بيئة متدينة متمسكة بالعقيدة المسيحية.

ولكن حدث في حياتها - فجأة - موقف غريب لا تنساه أبداً، وتذكره تماماً، فهو أمام مخيلتها حاضِر لا يُفارقها كان كما تروى قائلة:

«ذات يوم سمعتُ ولدى الصغير يتوسل إلىَّ في ضراعة وفي عينيه دموع: «يا أمي لا أريد أن أكون مسيحيّاً بعد الآن، إنني أريد أن أكون مسلماً، وأنْتِ أيضاً يا أمي، يجب أن تنضمى معى إلى هذا الدين الجديد».

وتعقب على ماحدث فتقول:

«كانت تلك هى المرة الأولى التى شعرتُ فيها بوجوب معرفة الإسلام، فاتصلتُ بإمام مسجد برلين الذى شرح لى هذا الدين.. وأننى ما لبثت أن اقتنعت أن الإسلام بالفعل هو الدين الحق الذى أرتضيه، فقد كان الإيمان بالثالوث الذى تدعو إليه المسيحية أمراً مستحيلاً بالنسبة لى، حتى عندما كنت شابة فى العشرين من عمرى.... غير أننى - بعد دراسة الإسلام - اقتنعتُ تماماً أنه لايمكن أن يقبل العقل الصحيح أموراً مثل تقديس البابا، أو الاعتراف بسلطاته العليا، أو بعملية التعميد المسيحية، وما شاكَلَ ذلك من عقائد.. وهكذا أصبحت مسلمة».

ويشرق وجهها بابتسامة عَذْبَة وهى تقول:

«الآن.. ما أسعدنى وأنا جدة! إذْ أستطيع أن أفاخر بأن حفيدى وُلِدَ مسلماً، لأن أبواه مُسْلِمِيْن، والله يهدى من يشاء إلى طريق مستقيم».

***

مع السيدة «هايدى محمود خليل»

بكل المقاييس المادية لم يكن ينقصها شئ، فأسرتها من أثرياء صعيد مصر، وزوجها واحد من مشاهير أعلام الطب وأمراض النساء كانت تتمتع بأسباب السعادة الدنيوية، ومع هذا تستشعر - كلما تحرك لها هاجس الإيمان الروحى - أنها محرومة من كل شئ، فاقدة الإحساس بالحياة وبالناس!

كانت تعلم حجم المضايقات التى سوف تواجهها إن قامت بتنفيذ ما يجول بنفسها، ولكنها فى الوقت ذاته كانت توقن بمدى حجم السكينة والطمأنينة النفسية التى ستنعم بها مع إيمان روحها بما ارتضته ملاذاً لها.

وقررت أن تشهر إسلامها، ونسيت كل شئ فى سبيل ذلك.. نسيت أولادها الثلاثة لتعيش فى معية الله، برغم محاولات أهلها تحطيم أعصابها بأصوات أبنائها وهم يستصرخون من آلام التنكيل بهم لكى تعود إليهم وتبتعد عن سبيل الرشد الذى هداها الله إليه.

تتحدث عن رحلة إيمانها وهى تسترجع صورتها قبل أن تنعم بالإسلام فتقول:

«كنت أعيش فى أسرة شديدة التقاليد، كانت تحدد فكرها فى قالب من التدين الصارم الذى لا يسمح بالخروج على أبسط قواعده ومبادئه، غير أنه تدين سطحى وظاهرى إلى أقصى حد.... ومنذ عشرة أعوام وصل الخواء النفسى مداه، وفى هذه الظروف عايشتُ صوت القارئ الشيخ «عبد الباسط عبد الصمد»... كانت آيات القرآن الكريم تهزنى من الأعماق.

وفى هذه الفترة رأيت رؤيا غير مسبوقة. . . رأيتُ أننى أزور البيت الحرام وأطوف وأتوقف أمام حِجْرِ إسماعيل، وعندما أستيقظ أتساءل: يا إلهى! كيف أفعل هذا وأنا لم أكن مسلمة بعد. . . . . كيف أؤدى المناسك وأنا لا أعرف عنها شيئاً. . . بل الأعجب من ذلك أننى قرأت فى الرؤيا التالية بَعْضاً من آيات القرآن الكريم، ولم تملك نفسى إلا أن تبكى بكاءً حاراً. . .

ومرت فترة من الزمان لاحظتُ خلالها تغييراً واضحاً فى سلوكى، من ذلك اعتزالى الناس، وصار لدىَّ شوقٌ شديد إلى سماع القرآن الكريم. . وازداد تحشمى وتحجبى، وكثرت صداقاتى مع الأخوات المسلمات، مما أصبح الأمر بعده لا يحتمل الكتمان والتستر عليه، فقررت الإعلان عن إسلامى أمام الجميع».

ثم تصمت برهة وقد غامت عيناها خلف سحابة ألم تنذر بدموع لتقول:

«لن أتحدث عن المعاناة والحرب التى لاقيتها من أسرتى، وكيف أنهم قد حرمونى من أولادى الثلاثة، وأسمعونى أصواتهم وهم يستصرخون من آلام الضرب الواقع عليهم حتى أحن عليهم وأعود إليهم تاركة دينى الجديد. . ولكن يكفينى النعيم الذى أستشعره الآن»[1].

* * *

مع الكندية «جاكلين فيمات»

امرأة كندية عادية تقطن بولاية «كيباك». . . نشأت فى بيئة مسيحية متعصبة جداً، فقد كانت تُجْبَرُ على ممارسة الطقوس والشعائر المسيحية، وبرغم ذلك فإنها كانت بعيدة عن المسيحية أو أى دين. . فتتحدث عن تلك الفترة التى سبقت إسلامها قائلة:

(١) صحيفة المسلمين الصادرة فى ١٥ / ١١ / ١٩٩١ (بتصرف).

«قبل أن أسلم كنت ملحدة كافرة بجميع الأديان، مع أننى من بيئة مسيحية متدينة جداً.. فأمى كانت متشددة: تجبرنى على ممارسة الطقوس المسيحية فبعثنى إلى الكنيسة للتعلم حيث بقيت فيها ست سنوات أتربى على أيدى خدمات المعبد، فكنت فى أثناء الدراسة مواظبة ومتفوقة، ولكن عند أوقات العبادة كنت مشاغبة وعنيدة، فكانت مديرة المدرسة تعزلنى عن بقية البنات عند ممارسة الشعائر حتى لا أفسد عقولهن، وتضعنى مع العابدات، فقد كنت مع صغر سنى لا أستسيغ الديانة المسيحية وأرى أن فيها أموراً غير منطقية لا يقبلها العقل والمنطق».

ولكى توضح ما تعنيه قالت:

«صحيح أننى قبلتُ «مريم» والمسيح، ولكن لم أقبل أنه ابن الله.. أو أن يتحول الله إلى رجل وينجب، وهو رب الوجود كله.. رب العالمين».

ولكن كيف حدث تحولها من مرحلة الإلحاد وعدم إيمانها بأية ديانة إلى مرحلة الإيمان بوجود الله الخالق لكل تلك الكائنات والمخلوقات؟!

زفرت زفرة حارة وهى تتذكر ذلك اليوم الذى أحدث انقلاباً حقيقياً فى حياتها كلها.. فتسعيده قائلة:

«كان ذلك يوم السادس والعشرين من أكتوبر ١٩٦٦.. وأذكر ذلك اليوم لأنه عزيز علىَّ، فهو اليوم الذى تبنيتُ فيه طفلى الأول الذى كان عمره وقتها ثلاثة أشهر، حيث لم أنجب أطفالاً مع رغبتى الملحة فيهم، فكنت عندما أقوم بِاستحمامِه وتنظيفه أتساءل فى نفسى: هذا المخلوق الضعيف المسكين لايمكن أن يوجد بدون خالق له، ولكن من هو؟ وكيف هو؟... وظللت أرقب نموه وأفكر.. وكان هذا التفكير هو بداية رحلتى إلى الإيمان بالله أولا قبل الإيمان بديانة معينة».

ثم مضت مستطردة فتقول:

«وعندما كبر طفلى الذى تبنيته واحتجتُ إلى تعليمه صرت أتردد على المكتبة لاستعارة الكتب التى تفيدنى فى تعليمه.. فحدث ذات مرة أن وقع بصرى على قسم الديانات، فاتجهت إله أُقَلّبُ فى صفوفه إلى أن لفت نظرى جزء من القرآن مترجم للإنجليزية، فوجدت نفسى أطالعه بدافع من حُب الاستطلاع والفضول لا أكثر، فلم أكن أتصور حينئذ - أنى سأرسى على بر الإسلام.. ولكن الذى حدث أننى شعرت براحة وميل لما أُطالعه، حتى آمنت بكل شئ يدعو إليه هذا الدين، فلم أجد بداً من اعتناقه عن اقتناع تام».

واعتنقت «جاكلين فيمات» الإسلام بعد تجربة خاضها عقلها الباحث عن الحقيقة.. ونفسها التواقة إلى الإيمان، لما تسكن إليه من طمأنينة... وكان لابد من رد فعل من بيئتها المسيحية المتشددة فعن ذلك تقول:

«وجدتُ مقاومة كبيرة من أمى.. وكان لى أصدقاء من أتباع يهود، فقاطعونى.. ومع أنهم يعادون المسيحيين فقد تمنوا لو بقيت مسيحية ولم أعتنق الإسلام!».

ولم يثنيها موقف الأهل والأصدقاء منها بعد اعتناقها للإسلام الذى آمنت به، وترى أن له مستقبلاً أفضل بعد انتشاره فى العالم، فتعبر عن نظرتها تلك بقولها:

«إن المستقبل للإسلام، فكلما تقدم الزمان ازداد عدد المسلمين، فالمسألة مسألة وقت، وهذا الوقت يقترب، فأنا أتذكر أنه منذ خمسة عشر عاماً لم يكن الناس يعرفون شيئاً عن الإسلام.: واليوم لا أحد يجهل الإسلام أجل.. أعتقد أنه لن يمضى عقد آخر حتى يكون الإسلام أهم ديانة فى شمال أمريكا، إن لم يكن فى العالم أجمع».

* * *

مع السيدة اليونانية «فيانو بطرس»

رَنَتْ بعينيها إلى الماضى البعيد.. منذ أن أسلمت أمها، فقد كان هذا عاملاً مهما دفعها إلى اعتناق الإسلام، فقالت والراحة والهدوء تغمر نفسها:

«فى الواقع أننى منذ صغرى وحُب الإسلام والمسلمين يجرى فى دمى، وخصوصاً أن والدتى قد أسلمت منذ زمن بعيد، وكذلك أولاد خالتى..... فقد كنت أجد فرقاً كبيراً بين الإسلام والمسيحية من جهة قوة العقيدة المتأصلة فى النفس، والتى تظهر واضحة فى تمسك المسلمين بشعائرهم الدينية، وليس أدل على هذا من وقوفهم بين يدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى اليوم خمس مرات.... فى حين أن المسيحيين لايذكرون الله، ولا يفكرون فى الذهاب إلى الكنيسة إلا يوم الأحد.... ومن هنا أحسست بالفارق الكبير بين الديانتين... وعرفت ما للإسلام من قوة ومكانة فى النفوس لاينكرها إلا كل مكابر».

ثم استطردت تقول وهى تضحك فى سخرية:

«إنى لأذكر تلك الحادثة التى حدثت معى وأضحك لها من كل نفسى أسًى، فقد حدث أن كنت فى إحدى المرات فى جمعية قبطية، وكان هناك راعى الكنيسة يلقى موعظة، فوجدته يقول فى أثناء حديثه: أن عيسى ابن الله، وأخذ يقدم الأدلة والبراهين على ذلك، ولكن عقلى لم يقبل هذه

الترهات، وأيقنت أنها أباطيل مكذوبة، فلم أتمالك نفسى، وقلت له: إن عيسى ليس ابن الله، لأن الله واحد وليس له ولد، فصعق الراعى وطردنى من القاعة. . . ».

وسرحت قليلاً لتقول بعد ذلك:

«منذ هذا الوقت وأنا أفكر جدياً فى اعتناق الإسلام. . وقد ساعدنى على ذلك أنه كانت تلازمنى منذ صغرى ظاهرة قوية، وهى أننى كنت أميل إلى سماع القرآن الكريم، فأحس بقوة خفية تدفعنى إلا الإنصات لتلاوته بكل جوارحى، ولهذا فلقد أثرت آيات القرآن فى نفسى، بما تحمل فى معانيها من المبادئ السامية، والمثل العليا، والتعاليم الرشيدة. . . . . نعم الذى يستمع إلى آيات القرآن يجدها قد حوت كل شئ فى هذه الحياة، فلم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا ذكرتها. . . فهل بعد هذا دليل على صدق تلك الرسالة العظيمة التى جاءت على لسان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟».

وعندما سُئِلتَ عن سبب اختيارها لاسم «هدى منصور» الذى تسمت به بعد إشهار إسلامها قالت:

«لقد اخترتُ هذا الاسم بعد أن هدانى الله وشرح صدرى وقلبى إلى نور الحق، فانتصرتُ بقوة إيمانى على ظلمة الشك وترهات الباطل، فقد وقف فى وجهى كل من يحيطون بى، وحاولوا منعى بكل وسيلة، ولكنى كنت مدفوعة بقوة لا أستطيع ردها. . قوة الله التى جعلتنى منصورة عليهم. . . ولذا لم أتردد مطلقاً فى التيمن بهذا الاسم ليكون نبراساً لى عند الشدائد والملمات، وحافزاً لى على السير فى طريق الهدى والرشاد»[1].

***

(١) يذكر محدثها أنها كانت تتحدث بقوة واعتزاز، جعلته يشعر بقوة إسلامها وعُمق إيمانها، ذلك الإيمان الذى يشع من عينيها ومن كل كيانها. . . فهل يتذكر أولى الألباب من الذين يعاندون أنفسهم فى مكابرة كاذبة؟!.

مع السيدة الإنجليزية «مافيز . ب . جولى»

نشأت بحكم المولد فى بيئة مسيحية، والتحقت منذ طفولتها بمدرسة تابعة للكنيسة، وبرغم ذلك فإنها لم تكن تتحمس للمسيحية، مما كان يدفعها إلى التفكير فى البحث عن عقيدة تؤمن بها عن اقتناع، ولذا ظلت ملحدة لاتؤمن بدين لا يتوافق مع منطق العقل الذى به تقيس الأمور، ولاسيما أنها وجدت نفسها أمام أشياء كثيرة لا تقتنع بها. . . .

وتعيش «مافيز» مرحلة البحث عن عقيدة تؤمن بها. . . فتتحدث عن تلك المرحلة فتقول:

«شرعت فى دراسة الأديان الرئيسية فى العالم. . درستُ البوذية، فوجدت أنها وإن كانت تهدف إلى الخير فإنها تفتقر إلى التفاصيل، وينقصها وضوح الاتجاه. . . .

ودرست الهندوسية، ورأيتنى أمام مئات الآلهة لاثلاثة فقط، ولكل منها قصة وهمية مثيرة لا يمكننى قبولها. . . . ثم قرأت اليهودية فى العهد القديم، وخرجت من قراءاتى بأنها تنقصها المقومات التى أرى أنها لابد من توافرها فى الدين. . . . ودرست علم الروحانيات، ولكن بدون جدوى أيضاً».

ثم تضيف قائلة:

«وحدث ذات يوم أن أرسلت بمقال إلى إحدى الصحف المحلية أنتقد فيه إحدى النظريات الدينية فى المسيحية، وهو تاليه المسيح كما ورد فى الإنجيل. . . وكان أن اتصل بى بعض القراء من بينهم قارئ مسلم، كانت

بداية تعارفى عليه بداية لدراستى للإسلام. . . وكنا كلما ناقشنا جانباً منه أشعر بانهيار رغبتى فى مقاومته، حتى اقتنعت تدريجياً بصحة ما جاء به الإسلام، وآمنت بأن أرقى الحكومات فى أواخر القرن العشرين لم تستطع أن ترقى بتشريعاتها إلى ما يفوق رسالة الإسلام بتشريعاته، بل إنها تقتبس أنظمتها باستمرار من النظام الإسلامى. . .».

وتصمت برهة لتستطرد فى حديثها فتقول:

«وبدأتُ فى قراءة القرآن، وبدأ لى للوهلة الأولى عدم استيعابى لما فيه، غير أننى وجدته يصل إلى القلب رويداً رويداً، ومع الأيام أصبح جزءاً منى لا يفارقنى. . وكثيراً ماكان يشغل فكرى هذا التساؤل العجيب:

«كيف يعقل أن يأتى هذا الهدى الكامل للإنسانية بطريق البشر المتصفين بالنقص فى حين لم يقل المسلمون قط أن محمداً صلى الله عليه وسلمْ فوق البشر». . . وتذكر السيدة «مافيز» أنها تعرفت بعد ذلك على عدد من المسلمين، وقابلت بعض السيدات الإنجليزيات اللاتى شرح الله قلوبهن للإسلام، فبذلن قصارى جهودهن لمعاونتها وإطلاعها على مزيد من المعلومات عن هذا الدين الحنيف. . .

وكان يشغلها مع ذلك أسئلة كثيرة تراودها فى تلك الفترة، مثل: لماذا لاينزل الوحى على رسُل فى القرن العشرين؟

وكانت الإجابة تجدها فى القرآن الكريم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين. . . وهكذا كانت تجد الإجابات على تساؤلاتها فى القرآن المجيد الذى وجدته كتاباً شاملاً بحق جاء تبياناً لكل شئ، ومصدقاً لما بين أيدينا. . . وهو باقٍ ثابت إلى الأبد، بلا نَسْخٍ أو عبث، كما يقرر القرآن ذاته ويؤكده الواقع الفعلى.

وتذكر أيضاً أنها كانت متأثرة بما يأخذه غير المسلمين على الإسلام من إباحة تعدد الزوجات. . . ثم اقتنعت أخيراً أن هذه الإباحة فى الحدود الضيقة

المقررة، بل إنها علاج لما يجرى الآن فى الغرب من زيادة الاتصالات السرية بين الجنسين.... كما أيقنت - أنه بعد الحروب بصفة خاصة يصبح عدد النساء فى سن معينة يفوق كثيراً عدد الرجال، ويستتبع ذلك أن نسبة غير قليلة منهن لا تجد فرصة للزواج... فهل خلقهن الله لمعاناة هذا الحرمان ؟!

إنها مازالت تذكر ذلك البرنامج الإذاعى «سيدى العزيز» الذى سمعت فيه يوماً فتاة إنجليزية تطالب بتشريع يبيح تعدد الزوجات.... وقالت إنها تفضل العيش كزوجة أخرى على حياة العانس الموحشة التى يبدو أنها كتبت عليها.

ثم تقطع هذه القضية بقولها: « لقد وجدتُ أنه ليس فى الإسلام مايلزم بتعدد الزوجات إلا عندما تدعو إليه ضرورات الحياة...».

ومما تذكره السيدة «مافيز» أنها سألت القارئ المسلم - الذى تعرفت عليه، وكان بداية معرفتها بالإسلام كما سبق أن ذكرت:

« ولماذا الصلاة خمس مرات فى اليوم... لاشك أن هذا سيجعلها مجرد تقليد عادى لا معنى له؟

وكانت إجابته حاسمة لتساؤلى:

«وماذا عن ممارسة عزف الموسيقى؟ ألا تقضين كل يوم نصف ساعة فى تكرار هذه المقامات الموسيقية سواء نالت منك بسحرها أو لم تنل؟.. لاشك أنها ستفقد جمالها إذا أصبحت مجرد عادة.. إن تفكيرنا فيما نؤديه هو الذى يجعله أعمق أثراً، وحتى فى حالة الموسيقى فإن مجرد العزف بغير تفكير أوقع أثراً فى النفس من الامتناع عن العزف، وهكذا الشأن فى الصلاة».

وتعلق الأخت المؤمنة «مافيز» قائلة:

«كانت مقارنته وحجته حاسمة لى، فكل من يدرس الموسيقى يدرك هذه الحقيقة - خاصة إذا علمنا أن الصلاة فى الإسلام لا يفيد منها إلا من يقيمها، لأن الله غنىٌ عن العالمين، ومن هنا بدأت نفسى تطمئن تدريجياً إلى الحق

الذى جاءت به تعاليم الإسلام، فأعلنت إيمانى واعتناقى إياه. . . لاعن عاطفة خاطفة مؤقتة إلى حين، وإنما عن اقتناع كامل، ودراسة واعية مستفيضة، وتفكير دائب قرابة عامين. . . فلم أجد أمامى إلا أن أسلك هذا السبيل طارحة كل العواطف الأخرى التى كانت تشدنى شداً إلى الطريق المضاد، فالحمد لله رب العالمين».

* * *

الآنسة الكندية «ليز سانت بيير»(١)

نشأت نشأة كاثوليكية فى بيئة ريفية حيث تسكن أسرتها فى مزرعة بعيدة عما يجرى فى المدن. . . وكان والداها يصحبانها إلى الكنيسة كل يوم أحد كأى طفلة فى عائلة متمسكة بدينها. .

وعندما بلغت من العمر سن الرابعة عشرة ونضج عقلها وتفكيرها كثرت فى ذهنها تساؤلات عن الدين والنفس وعن ذلك تعبر بقولها:

«بدأت حيرتى فى سن الرابعة عشرة حين كثرت فى ذهنى أسئلة لم أجد لها إجابة يمكن أن يتقبلها عقلى، سواء عن النفس أو الدين المسيحى الذى أنتسبُ إليه. . . . وقررت حين ذاك الانقطاع عن الذهاب إلى الكنيسة كلية. . . واستمرت هذه الحال زهاء السنوات الثلاث، وحين بلغت حوالى السابعة عشرة من عمرى قمت بمحاولة أخرى للرجوع إلى الكنيسة، عسى أن يتغير الحال، وللأسف لم أجد إجابة مقنعة للأسئلة التى مازالت تبحث عن إجابة شافية».

لقد كانت الأسئلة التى تدور فى نفس «ليز» ترتبط بعلاقة الإنسان بخالقه، وهل تحتاج تلك العلاقة إلى وسيط ـ كما هو معهود فى الكنيسة ـ لتعترف له بالأخطاء حتى يعطيها صك الغفران؟. . . . فتجيب قائلة:

«كنت أعتقد دائماً أن صلتى بالله لا تحتاج إلى إنسان وسيط أعترف له

(١) مجلة الدعوة عدد مايو ١٩٨١ (بتصرف).

بأخطائى، ويملك سلطة الغفران.. كذلك لم أؤمن يوماً بنظرية «التثليث» والتجسيد، فنظام الكون يؤكد أن هناك إلهاً واحداً لا ثلاثة، وإلا لاضطرب نظام الكون».

وعن صَلْب المسيح كتصور كَنَسِيٍّ أثار تساؤلها فتقول:

«... والشئ الآخر الذى أثار تساؤلى هو عدم قدرتى على مجرد تصور كيف يضحى أب بابنه[1] ليقتل على صليب، أو مجرد تقبل فكرة أن هذا القتل كان رحمة من أجل غفران ذنوب البشر جميعاً».

وفى عام ١٩٧٦ انتقلت «ليز» إلى مدينة «أوتاوا»[2]... واشتغلت بالتدريس.. وسكنت فى مبنى شرقى المدينة وكان يسكن فى الدور الأرضى سيدة كندية مسلمة تعرفت «ليز» بها، وارتبطت برباط صداقة معها مكنتها من أن تناقشها كثيراً فى أمر الأديان، ومنها دين الإسلام الذى وجدت فيه إجابات عن تساؤلاتها المتعددة التى طالما حيرتها.... وفى ذلك تقول:

«... ولدهشتى وجدت إجابات لكل الأسئلة التى حيرتنى وشغلتنى طوال حياتى... إجابات يتقبلها العقل سهلة واضحة تناسب طبيعة الحياة وقدرات العقل التى خُلقنا بها.... وأدركت فوراً أنى لم أكن على الطريق السليم، وقررت أن ازداد علماً بهذا الدين.. دين الإسلام، فبدأت فى البحث عن الكتب التى تتحدث عن الإسلام بصدق، وكنت أستشير صاحبتى وأناقشها فيما أقرأ».

وعن الإحساس الذى تشعر به تجاه هذا الدين الإسلامى، والتحول الذى طرأ عليها بالسكينة النفسية، والاطمئنان يوم اعتناقها للإسلام تقول:

«كنت أعلم فى نفسى أن هذا هو الدين الحق، بغض النظر عن الصراع الداخلى بين ما نشأت عليه وبين هذا التحول.... ولو أنى لا أتذكر جيداً

(١) المقصود هنا المسيح عليه السلام حسب المعتقد الكنسى.
(٢) العاصمة الكندية.

الرؤيا التى شاهدتها فى منامى فى هذه الأيام إلا أنى رأيت ملائكة فى ثياب بيضاء، وكانوا كثيرين حولى.. صاعدين إلى حيث أسكن يريدون أن يساعدونى.... وأذكر فى هذه الرؤيا أنى كنت أرى كثيرين غيرى يحتاجون إلى هذه المساعدة.

وكان اليوم الذى أعلنت فيه إسلامى يوماً جميلا أمضيته مع صدبقتى نقرأ ونتحدث عن الإسلام... يومها أحسست بالسلام النفسى، وبالطمأنينة التى غمرت روحى...

وإذا سألتنى عن التحول الذى طرأ على شخصيتى بعد اعتناقى للإسلام فأقول لك: إنى لم أتغير كثيراً، فالأشياء التى رفضتها ورفضها عقلى طوال حياتى كمسيحية جعلتنى مسلمة بدون أن أعرف... فقد كنت مسلمة بقلبى فأصبحت مسلمة بقلبى وعقلى وجوارحى...».

ثم تبتسم وقد فاضت عليها بارقة أمل عريضة وهى تتمنى فتقول:

«أتمنى أن يحصل على هذا الخير[1] كل إنسان يريد طريق الحق، لأنه الطريق السليم، لأنه ما أكثر الديانات التى يرتبط بها الناس، ولكن لايؤمنون بها».

ثم تستطرد قائلة:

«الحمد لله، لقد تبعنى فى إعتناق الإسلام أخى الأصغر «ميشيل» الذى كان شديد التدين، لدرجة أنه كان يأمل أن يصبح قسيساً كاثوليكياً... ولكن حين نصحته أن يقرأ ويدرس الديانات الأخرى قبل أن يتخذ هذا القرار عمل بنصيحتى، ولم يلبث أن تحول إلى الإسلام حين قرأ ترجمة لمعانى القرآن وتمعن فيه، حتى صارت حياته كلها متجهة إلى الله ورسوله».

وتختتم حديثها وهى تهز رأسها فى سعادة وارتياح بالغ قائلة:

«أستطيع أن أقول الآن: إنه ليس بينى وبين الله واسطة...».

***

(١) تقصد نعمة الإسلام واعتناقه.

مع الفتاة الأمريكية «هدى»

فتاة أمريكية ضاقت ذرعاً بماديات الغرب وجفاف المعاملة بين الناس، هَدَى الله قلبها إلى الإسلام، فأطلقت على نفسها اسم «هدى».... تتحدث عن قصة إسلامها فتقول:

«كنت أجلس مع بعض صديقاتى المسلمات اللاتى يدرسن فى أمريكا، وتطرق الحديث إلى الإسلام كدين يصلح لقيادة المجتمع الإنسانى فى وقت كثر فيه حديث الأوربيين والأمريكان عن أنه دين لا يصلح للقيادة، وأنه دين يحض على الإرهاب والعنف، خاصة فى أعقاب بعض الأحداث الدولية.

وبعد عودتى للمنزل عزمت على دراسة الإسلام، فأخذت فى التردد على المركز الإسلامى بـ «لوس أنجلوس» وهناك قرأت ترجمة معانى القرآن، واطلعتُ على بعض المؤلفات الإسلامية التى تتناول بعض الجوانب العقائدية والعبادات والمعاملات.. وفى ذات اليوم سمعتُ صوت المؤذن داخل المركز الإسلامى وهو يؤذن للصلاة، فهمت بعض الكلمات ولم أفهم معظمها، وبرغم ذلك أحسست أن زلزالاً ضخماً حدث فى قلبى، حيث شعرت أن ثمة قوة جديدة أخذت تُخاطب وجدانى، فأخذت انظر إلى المؤذن، ثم اخذت أراقب المصلين الذين كانوا من بلدان مختلفة، وأتعجب وأتساءل فى نفسى كيف تجمع كل هؤلاء واتحدث غايتهم برغم ما بينهم من تباعد فى الأوطان واختلاف فى النُّظُم والعادات».

ثم تضيف فى دهشة استغرقتها:

«أنا لم أعرف إلى الآن ماذا حدث فى ذلك اليوم، لم أعرف ذلك الشئ الذى دفعنى لمراقبة المصلين لمدة سبعة أيام، بعد ذلك اليوم كنت خلالها قد تغيرت تماماً، ووثقتُ صلتى بصديقاتى المسلمات، ثم قررتُ السفر لمصر لإشهار إسلامى، ولكسب المزيد من المعرفة الإسلامية».

وتتحدث «هدى» عن جوانب العظمة التى لمستها فى دين الإسلام، برغم حداثة عهدها به قائلة:

«أول ما شدنى صفاء العلاقة بين العبد وربه، فلا وساطة ولا محسوبية، ولا فَضْلَ لشخصٍ على آخر إلا بالتقوى، وباب العبادة مفتوح أمام الجميع بدون واسطة من أحد.... وما يتميز به من عقيدة التوحيد التى راقت فى نفسى وعقلى، وخصوصاً أن فكرة التثليث لم تدخل عقلى فى يوم من الأيام، فلا يمكن العقل والمنطق أن يقبل أن يكون الله ثلاثة.

إن «وحدانية» الخالق هى صوت الحق الذى يتردد داخل نفس كل داخل إنسان عاقل متعقل، فضلاً عن أنها الفطرة الحقَّة دون أن يعكرها فكر منحرف.

كما أعجبنى فى الإسلام انتظام أبنائه فى العبادات، خاصة الصلاة، حيث يقبل المسلمون عليها كل يوم خمس مرات بدون إجبار من أحد طاعة لله وخوفا منه، والذى يتضح ـ أيضاً ـ فى معاملاتهم فيما بينهم، واعتقادهم أن الله وحده هو الذى كفل لهم الرزق والحياة، وبيده الأمر كله».

وتستطرد فى حديثها وتقول:

«لقد أذهلتنى شدة حرص الإسلام على علاقة الزوج بزوجته، وبيان معايير الاختيار السليم، وأسس الحياة الزوجية نفسها لتكوين الأسرة التى تسودها المودَّةُ والأُلْفة.

والحقيقة أننى شعرت أن الأمريكان يتجنون كثيراً على الإسلام، خاصة فى الحديث عن وضع المرأة داخل المجتمع الإسلامى، والدور الذى تؤديه..

أنا معجبة أشد الإعجاب بتقرير الإسلام أن دور المرأة وعملها الحقيقى هو فى المنزل، فلا تخرج للعمل إلا فى حالة حاجتها الملحة إلى هذا العمل الخارجى».

وتختم الفتاة الأمريكية الحديث بقولها:

«لقد ضقتُ بماديات الغرب، وجفاف المعاملة بين الناس، حتى فى الأسرة الواحدة التى تأخذها مشاغل الحياة بدون أن يشعرون بعضهم ببعض، فلا مكان للمشاعر إلا من باب المصلحة العامة، فى حين يحرص عليها الإسلام كقيمة فى حد ذاتها، وكفضيلة تقصد لذاتها».

***

مع السيدة الإسكتلندية «نانسى أتوال ماكلفى»

برغم أنها من أصل إسكتلندى فإنها عاشت فى ولاية تكساس الأمريكية، حيث كان أبوها رَجُلَ أعمالٍ ناجحاً... إنها تذكر أيام طفولتها عندما اصطرعت أسرتها فى نقاش مع القسيس ذات مرة عن مفهوم «الخطيئة الأولى»، فانتقلت الأسرة فى إثرِها إلى كنيسة «الابسكوبال» بعد أن كانت تتبع الكنيسة «البرسبيتارية».

ومازالت فى ذكريات طفولتها مناقشات أمها التى كانت شديدة التدين، واسعة الثقافة...

كما تذكر أنه كان من دأبها أن تختلى فى أحضان الطبيعة كل مساء ترقب مغرب الشمس وانسدال الليل ومطلع النجوم، وهى تشعر بداخلها ـ وقتها ـ حيرة غامضة، وكأنها تبحث عن ذاتها... حتى التحقت بجامعة «تكساس»، فكان مما درسته الدين المقارن الذى تناول الإسلام بقبح وبصورة سيئة للغاية.

وبعد تخرجها أرادت أن تستزيد من ثقافتها الدينية، يدفعها إلى ذلك رغبتها فى معرفة حقيقة الكون الذى حولها.. وما الموت؟ وما الحياة؟ وماذا

بعد الموت؟ . . . واستهوتها النظرية الكبرى التى تؤكد الصلة بين عالم الغيب وعالم الشهود. . . وتوقفت كثيراً عند عقيدة «التثليث» وناقَشَتْ فيها قسيس الكنيسة التى تتبعها، ثم عديداً من القساوسة بعده، فكانت الإجابة دائما عند مرحلة معينة «إلى هنا وعليك أنْ تؤمنْ فقط».

ولم يرتو غليلها، فانتظمت فى حضور دروس معبد يهودى، شجعها على ذلك حاخام المعبد الذى كان أوسع صدراً، وأسمح بالحوار، فدخلت فى الدين اليهودى، وكان مدخلها فلسفياً محضاً، فهذا دين لا يقول بالتثليث، ولكن بالتوحيد، ولكن لم تلبث أن شعرت بعد ممارسة لشعائرها أنها لم ترو غليلها. . . وعن ذلك تقول:

«الواقع أن الممارسة أسفرت أن اليهودية لم تروِ غليلى، فشعرت أننى مازلت ظَمْأى لمعرفة الصلة بين الله والإنسان، فلم أستسغ فكرة الشعب المختار، ولا تجسيد الله سبحانه وتعالى فى قوالب إنسانية محدودة، وأحياناً غير مقبولة. . وفيما كنت أتلمس الطمأنينة الروحية فى اليهودية اصطدم عندما أجد أن الوعظ قد انحصر فى مرارة ما أصاب اليهود فى ألمانيا، والدعوة إلى الانتقام».

وبينما تحاول «نانسى» التعمق فى دراسة الديانات إذْ ساقتها الدراسة إلى أستاذ مسلم أمريكى أدْرَكَ قَلَقَها، فسألها إنْ كانت قد اطلعت على القرآن. . . وهنا تذكرت أن الحاخام من سنوات سألها إن كانت اطلعت على القرآن. . . وزودها أستاذها بنسخة مترجمة لمعانى القرآن الكريم، وغيره من الكتب التى تتناول الإسلام بالفهم والإيضاح. . وقد لفت نظرها حينئذ رحابة صدر الأستاذ المسلم، وبشاشته، وطيبة قلبه، حيث لم يدفعها إلى أى اتجاه، ولاعاب عليها ماهى عليه، وإنما اكتفى بأن حَدَّثَها عن الإسلام فى بساطة وتدرج منطقى لكى تفهم ما جاء به من تعاليم وماتحلى به من آداب. . . .

وبينما هى تنصت إليه إذْ شعرت بشعور غريب على نفسها. . شعور بالراحة والسكينة يروى روحانيتها. . فتعبر عن ذلك بقولها:

«لقد شعرت ما يروى روحانيتى فى أعماق وجدانى وما أستهدى به فى حياتى بين الناس. . شعرت بحلاوة الصلة بالله، واستشرفت معالم طريق القربى إليه فى رحلة لها بداية ولكنها لا تنتهى. . . وقلت لنفسى: الآن فقط عرفت من أنا. . . إننى مسلمة بعد أن وجدت فى الإسلام الإجابة السلسة عن كل علامات الاستفهام الفلسفية التى حملتها طول السنين. . لقد وجدت ما يرضينى عن مفهوم الله والكون والإنسان».

وبعد. . . ماذا فعلت «نانسى» بعد أن وضحت لها معالم الطريق إلى الإيمان؟

تقول «نانسى» فى نبرة سكينة واطمئنان:

«لم أملك إلا أن أنطق بالشهادتين. . ولكنى كتمتُ إسلامى عن زوجى وحماتى التى تعيش معى، ولكنها استطاعت أن تعلم بأمر إسلامى عندما ضبطتنى وأنا أصلى، فأخبرت زوجى ذات مساء وهو عائد من الخارج ثمل، فمد يده فانتزع قلادة من رقبتى مكتوباً عليها اسم «الله» فألقاها على الأرض وأخذ يدقها بحذائه صارخاً هذا رأيى فى إلـهكِ. . وعليكِ أن تختارى بينى وبين الله هذا، وإلا فسأطردك شر طردة».

وتتساقط دمعات حارة من مآقيها وهى تستطرد قائلة:

«لقد كان من البديهى عندى عندما يكون الخيار بين الله وبين الزوج فليس هناك اختيار. . . وغادرتُ المنزل ليلاً بدون أمتعة أو مال، وذهبتُ إلى صديقة لى استضافتنى حتى أدبر أمر نفسى».

وتذكر «نانسى» التى تسمت فيما بعد باسم «نصيحة» أنها فى أثناء فترة قيامها بإجراءات الانفصال عن زوجها وذهابها إلى المحكمة كانت لا تنسى أن

تردد: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» مؤمنة بأن الأمور بيد الله يُسَيِّرُهَا كيفما شاء، ولذلك كانت تقول:

« لقد وقر فى قلبى أن الأمور بيد الله فلن يصيبنى إلاّ ما قَسَّم الله لى. . فقد كنت أحس فى أحلك الأوقات بالرضا والسكينة. . وكلما صادفت مأزقاً أحسستُ أن الله سيجعل لى منه مخرجاً».

وتم للأخت المسلمة «نصيحة» ما أرادت من الانفصال عن زوجها الشرير لتنعم بحريتها فى عالم الإيمان والدعوة إلى دينه الذى ارتضاه الله لها بعد طول ضياع وحيرة. . إنها ـ الآن ـ تتمسك بالزى الإسلامى وبالأخلاق الإسلامية. . وتدعو غيرها من المسلمين والمسلمات أن يدركوا قيمة الكنز الثمين، وجوهرة الجواهر التى يملكونها ألا وهى «الإسلام». .

* * *

مع المرأة اليهودية «دانئيلا»
التى وجدت خلاصها فى الإسلام

ولدت «دانئيلا» لأسرة يهودية شديدة التعصب، فنمت الصغيرة فى أحضان أسرة تبغض الإسلام، ولا يهمها سوى المال، والتفاخر بأنها تنتمى إلى شعب الله المختار!

وفى سن مبكرة نسبياً زفها والداها إلى عجوز مطلق، له من الأولاد خمسة، ومن المال قسط لا بأس به، فكانت زيجة تجارية بحتة، العجوز يستمتع بشباب الصبية، والأبوان يستمتعان بمال العجوز.

ولبثت «دانئيلا» سنوات قليلة مع زوجها العجوز، الذى جمع مع كبر سنه فظاظة خُلُقه، فحوَّلَ حياتها معه إلى سجن وَدَّتْ أن تتخلص منه، فاستنجدت بوالديها، فلم تجد منهما إلا نصيحة بضرورة العودة لزوجها حتى لا ينقطع عنهما صنبور المال، وعبثاً حاولت إقناعهما، فلما يئست سعت إلى السلطات تطلب تطليقها، فتبين لها استحالة ذلك إلا بموافقة الطرفين معاً.

وظلت «دانئيلا» تبحث عن حل لمشكلتها، خاصة بعدما رفضت المحاكم تطليقها، لكنها لم تيأس هذه المرة، وظلت تبحث عن مخرج ينقذها من المصير المظلم مع زوج عجوز تنفر منه، واقترح عليها بعض أصدقائها وصديقاتها مازحين أن تشهر إسلامها، ففى ذلك طلاقها المؤكد.

وبرغم أن هذا الاقتراح كان مجرد مزحة ودعابة، فإنه مس شغاف قلبها، فلم تُطل التفكير، فهرعت إلى المحكمة الشرعية فى «يافا» ونطقت

بالشهادتين، وأشهرت إسلامها، ومن ثم حصلت على الطلاق، أو بمعنى أصح صك التحرر من عبودية زوجها.

وبعد إشهار إسلامها اختارت «دانئيلا» اسم «أمينة» ليكون اسمها الجديد، ولكنها مع ذلك استمرت سراً فى يهوديتها دون تدين أو اقتناع، فلم يكن الإيمان قد تمكن من قلبها، كما أنها - فى ذات الوقت - لم تكن متعلقة بديانتها اليهودية، بل كانت تنظر إلى الأديان كافة نظرة واحدة.

وكان أمراً متوقعاً أن ينبذها أهلها بعد إشهار إسلامها، وأن تجد صعوبات فى الحياة فى ذات المنطقة، لذلك قر قرارها أن تعمل بعيداً عند البحر الميت، وهناك عملت فى أحد الفنادق، ولم تكن تدرى أن أقدارها سوف تجمعها فى وقت لاحق بشاب مسلم فلسطينى يعمل فى فندق مجاور يسمى «حسن» أيقن كل منهما أنه قد وجد نصفه الآخر، غير أن الارتباط لم يكن سهلاً، فعائلة «حسن» المسلمة ذات النزعة الوطنية لم تكن موافقة أو مقتنعة بارتباط ابنها بفتاة يهودية حتى ولو كانت أشهرت إسلامها انطلاقاً من عاملين: الأول الشك فى صحة إسلامها... والثانى: الخوف من مصاعب ومضايقات قد تنجم عن مثل هذا الزواج، لأن الإدارة العسكرية الصهيونية لن تسكت.

غير أن الشابين واجها كل معارضة بإصرار على ارتباط كل منهما بالآخر، ولم يكن فى وسع عائلة «حسن» أو أهل قريته إلا أن يوافقوا، وتم القران فى حفل كبير حضره أبناء القرية، ولم يحضره - بالطبع - أحد من أسرة «أمينة».

وكان زواج «حسن» و «أمينة» بداية مرحلة طويلة من المضايقات، إذ لم يكد يمضى أسبوع حتى فُوجئا فى الساعة الرابعة من صباح أحد الأيام بمندوب من الشرطة يأمرهما بالذهاب معه إلى المركز، حيث ظلا فى الانتظار حتى الثامنة صباحاً، وجاء شخص يدعى «أبو النور» فاستقبلهما بعصبية واحتقار، وأمر «حسن» أن ينتظر خارجاً، وانفرد بأمينة، وبدأ فى تعنيفها

صارخاً فيها: كيف تزوجتِ من هذا العربىّ القذر؟... وظل يهددها ويسب زوجها، ثم حين لم يجد منها تجاوباً اضطر لصرفها.

وظن «حسن» و «أمينة» أن المشكلة انتهت، لكنهما كانا واهمين، إذ لم تحل الساعة العاشرة من اليوم نفسه حتى فُوجئا بطرقات جنود الاحتلال على باب المنزل، وعلما أنهما مطلوبان فى اليوم التالى لمقابلة الحاكم العسكرى.

ولم تكن المقابلة فى مكتب الحاكم العسكرى الصهيونى بأفضل من سابقتها، إذ صرخ فى وجه «أمينة»: أتُريدين إنجاب طفل من عربى قذر ليكبر ضمن صفوف «فتح»؟! لو كان بيدى الأمر لأمسكتُ بكِ وأجْهَضتُكِ.. ثم انطلق لسانه بأحط عبارات السباب، مُتهماً أمينة فى عفتها وشرفها، ومتوعداً إياها إن لم ترجع إلى حظيرة اليهودية وتُطَلَّق من زوجها وتعود إلى مطلقها اليهودى..ولكن «أمينة» اعتصمت بدينها، وردت بجرأة وثقة على تهديدات الحاكم العسكرى بأنها متمسكة بزوجها، ولا تفكر لحظة واحدة فى أن تتركه... وانتهت المقابلة بإمهالها مدة يومين، وإلا سيتخذ إجراءات شديدة بحقها وحق حسن، ثم أمرها بالانصراف.. وانصرفت «أمينة» وزوجها وتوجها إلى المحامية «فيلسيا لانجر» حيث وكلها «حسن» لإنهاء تلك المشكلات التى تواجهه وزوجته، بعد أن زَوّدَها بكل تفاصيل المضايقات التى تعرضا لها.

وقامت المحامية بدورها بإرسال رسالة إلى وزير الدفاع الصهيونى ـ آنَ ذاك ـ «عيزرا وايزمان» محذرة إياه من أنها سوف تتخذ إجراءات قانونية ضد الوزارة مالم يأمر رجال الحاكم العسكرى بالكف عن مضايقة الزوجين.

وبالفعل توقفت المضايقات، وإن فقد «حسن» و «أمينة» عملهما، لأن أصحاب الأعمال قد خشوا أن يترتب على تشغيلهما مضايقات لهم[1].

(١) مجلة الفيصل ـ عدد يونيو ١٩٩٢ (بتصرف).

ولكن سفينة الحياة سارت بالزوجين بفضل إيمانهما بالله، حيث رُزِقَا ولداً، وبنتاً، أسْمَيَاَ الولد «عرفات»، والابنة «فلسطين». . . وحرصا على تنشئتهما تنشئة إسلامية.

وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1].

* * *

(١) سورة التوبة ـ من الآية ٣٢.

مع السيدة البريطانية «فاليرى»[1]

من بريطانيا تبدأ قصة «فاليرى» مع الإسلام عندما قرر زوجها المصرى المسلم أن يُطلقها، وكانت هى متمسكة به، وبالارتباط بزواجها منه. . . ولما كانت عائلة هذا الزوج تقيم فى مصر وليس له أى أقارب فى لندن، فقد لجأت «فاليرى» إلى المسجد، وطلبت من بعض المسئولين به أن يساعدوها فى إقناع زوجها بألا يطلقها. . . . . وتتكرر زيارتها للمسجد، وتواظب على حضور درس «السبت» حيث كان أول تعارف بينها وبين دين الإسلام.

وبرغم فشل مساعيها للإبقاء على حياتها الزوجية مع هذا الزوج المسلم الذى أصر على تطليقها، فقد مضت «فاليرى» تقرأ عن الإسلام وتسأل عنه الأئمة والعلماء أثناء زياراتها للمسجد.

وتتذكر «فاليرى» يوم العاشر من شهر يونيو عام ١٩٩٢ عندما وقفت أمام شيخ جامع لندن تنطق بالشهادتين ودموعها تجرى غزيرة على وجهها فرحة بالدخول فى الدين الجديد - الإسلام - الذى جعل لحياتها لوناً جميلاً، فتعبر عن ذلك بقولها:

«بعد طلاقى من زوجى كنت أشعر بالضياع، وبأنى فقدتُ كل معنى فى حياتى، بل وفقدت الرغبة فى الحياة نفسها، وتملكنى اليأس. . . . وعندما

(١) مسلمات بريطانيا يتحدثن: تحقيق أجرته سلوى العنانى بمجلة نصف الدنيا فى احد اعدادها.

دخلت الإسلام عادت لى الرغبة فى الحياة، والثقة فى الناس، والإيمان بالله.. لهذا اخترت اسم «أمانى» ليكون اسمى الإسلامى الجديد.

وتضحك «أمانى» وهى تسترجع إصرارها وعنادها مع زوجها السابق عندما أكدت له أنه لايمكن أن تغير دينها الذى ورثته عن آبائها، أو أن ترتدى هذه الثياب الطويلة المحتشمة.. فتقول:

«أنا أتعجب الآن من نفسى.. كيف قلت هذا الكلام؟!.... ولماذا؟!».

***

مع السيدة البريطانية «سلمى خان»[1]

عندما سُئلت عن كيفية إسلامها... أجابت بلا أى مقدمات قائلة:

«كنت أعمل مع إحدى إرساليات التبشير فى إفريقيا.. وحدث أن التقيت بأحد المسلمين، الذى حاولتُ دعوته بشتى الوسائل والطرق إلى ترك دينه، لكنه كان يرد علىَّ بطرح بعض الأسئلة البديهية التى وجدت نفسى عاجزة عن الإجابة عنها.

وفى النهاية اضطررتُ إلى الاعتراف له بعجزى، فدعانى إلى قراءة القرآن الكريم ودراسة معانيه.. وبالفعل عملت بنصيحته... ولما انتهيت من قراءة القرآن وتفاسيره لم أملك إلا أن أعتنقه وأُشْهِرُ إسلامى على الفور، وأَتَسَمَّى باسم سلمى خان».

***

(١) مجلة أسرتى الصادرة فى ٣٠/ ٦/ ١٩٩٠ (بتصرف).

مع السيدة الألمانية «باتينا»

دعته إلى النصرانية حيث تُشارك فى أعمال التنصير من خلال الجمعياتدعته إلى النصرانية حيث تُشارك فى أعمال التنصير من خلال الجمعيات التبشيرية. . . فدعاها هو إلى الإسلام بعد أن أجرى معها سلسلة من المناقشات والحوارات انتهت إلى اقتناعها التام بعقيدة الإسلام، ثم بزواجها منه فى المركز الإسلامى فى «ميونيخ» الذى شهد حفل زفافها إلى الشاب المصرى على حسن عثمان، كما شهد حفل زفافها لدينها الجديد. . . فقد أمسكت بالميكروفون فى المكان المخصص للنساء لتعلن قائلة:

«ثمة شئ مهم قبل وقائع عقد القران والزفاف. . أريد أن أُشْهر إسلامى، وأن يشهد الحضور عليه لأزفّ فى ليلة عُرْسى مرتين. . مرة لزوّجى، ومرة لدينى الجديد. . لقد تركتُ الأهل والأحباب والجيران، وهأنذا أُولَدُ بينكم من جديد».

ثم تلتقط أنفاسها من حرارة انفعال حماسها وفرحتها مما أعلنته لتبدأ فى سرد قصة إسلامها، ويسود المكان سكون تام، والحضور ينصتون وهى تقول:

«والداى لم يكونا يوماً مؤمنين بأية ديانة، وعندما كان عمرى اثنى عشر عاماً كان لدىّ شعور عميق بحتمية أن أعتنق ديناً، ولم يكن أمامى وقتها إلا النصرانية فالتزمت بها، وأردت أن أصوغ حياتى كلها بعد ذلك وفقاً لها، مما أزعج عائلتى كثيراً. . . . وفى بداية التزامى بالنصرانية لجأتُ إلى «البروتستانت»، وجعلت همى كله رعاية الأطفال والاهتمام بهم، ولكن بعد

حين اكتشفتُ أن مجموعة «البروتستانت» التى أحيا بينها لا تحمل من النصرانية غير اسمها، فابتعدتُ عنهم إلى أن التقيت بمجموعة من رجال الكنيسة، فمارستُ حياتى الكَنَسيَّة، غير أننى كنت أشعر أنه مازالت هناك رغبات نفسية لم تأت بها الممارسات الكنسية، لقد كنت أسعى دائماً إلى البحث عن الكمال الذى يشبع كل رغباتى النفسية.. كنت أدعو الله دائماً أن يوفقنى إلى الارتباط برجل مناسب يكون زوجى، والحمد لله وجدته أخيراً».

ثم تضيف «باتينا» وقد ارتفعت حرارة كلماتها وهى تقول:

«كنت أشعر أن علاقاتى مع عيسى عليه السلام لم تتوافق يوماً من الأيام مع التصورات الكنسية عنه عليه السلام، فى الوقت الذى كان الإسلام بالنسبة لى مازال مجهولا تماماً..

ومع نهاية عام ١٩٨٩ عندما كنت أسجل مذكراتى كان لدىَّ إحساس عميق أن عام ١٩٩٠ سيشهد تغيرات جذرية فى حياتى، ولم تكن تلك التغيرات فى تصورى غير تعميق النصرانية فى حياتى ومشاركتى فى أعمال التنصير فى إفريقيا مع إحدى الجمعيات التبشيرية.... وبينما كنت فى قمة علاقاتى الإيمانية بمعتقداتى النصرانية التقيتُ بشاب مصرى - زوجى الآن - فى أثناء ممارستى لعملى الذى أنا بصدده فأحببت أن أدعوه إلى النصرانية كما أفعل مع الجميع... وبالفعل بدأنا سلسلة من المناقشات والأسئلة بيننا عن الرب والإسلام والنصرانية.. وفى البداية وجدتنى عاجزة عن تفسير قضية التثليث، ومن هو الروح القدس، وشخصية عيسى عليه السلام، لأنه لم يذكر حتى فى الأناجيل المحرفة أنه الرب. كما وجدت نفسى أيضاً عاجزة عن الإجابة عن أسئلة كثيرة، فاضطررت أن أقرأ الإنجيل مرة أخرى وأن أتعمق فيه.. ووجدت أن صورة عيسى عليه السلام فى الإنجيل صورة بشرية تماماً، وبحثت عن تطبيق النصرانية فى حياة الناس فوجدتهم يطبقون منها

ما ذكره «بولس»، وهو «أن كل شئ فى الحياة مسموح، وإنْ كان ممنوعا». . . هذا التناقض بالإضافة إلى أننى لم أجد فى النصرانية منهاجاً أو أيديولوجية كاملة أشعرتنى بأن قوة علاقتى مع النصرانية بدأت تقل بالتدريج. . هذه العلاقة التى حاربت الأهل من أجلها. . . وبدأت فى دراسة القرآن، وظللت فترة طويلة بين البحث والدراسة والتردد، فلم يكن أمراً هينا أن أُبدل دينى إلى أن شعرت أخيراً بعد مناقشات وبحث مستمر أن كل العوائق التى كانت تحول بينى وبين الحقيقة قد سقطت، وأن القرآن وحده بما جاء فيه حق، وفى هذه اللحظة كان إحساسى بميلادى الجديد. . . . بعدها بدأت أقترب بالتدريج من الشعائر الإسلامية، فبدأت أقوم بأداء الصلوات الخمس، وصُمْتُ يوم عرفه، وغير ذلك من فروض وسنن. . بعد أن تأكد لى من خلال هذه الممارسات حقيقة أن عقيدة الإسلام هى الطريق الحق».

ثم توقفت «باتينا» فجأة لتقول باللغة العربية المكسرة، وبصوت خافت خاشع أَسَالَ دُموعَ الكثيرين من الحضور فى المركز الإسلامى فى ميونيخ:

«أشهدُ أن لا إلـه إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهم إنى أُشْهِدكُ وأُشهد حَمَلَةَ عَرشكَ وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إلـه إلا أنت، رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبيّاً ورسولاً».

ثم بدأت وقائع حفل الزفاف لزوجها بعد أن أشهرت دينها الجديد الذى تتحمس له بفخر وغيرة.

* * *

مع السيدة الاسترالية «سيسيليا محمودة كانولى»

قبل أن تتحدث عن سبب إسلامها قالت: «أولا وقبل كل شئ أود أن أقول إننى أسلمت لأننى كنتُ فى قرارة نفسى مسلمة بدون أن أعلم ذلك»[1].

وعندما سُئلت ماذا تعنى بالتحديد؟

(١) سبحان الله! صدق من قال إن الإسلام دين الفطرة.

أجابت قائلة:

«منذ حداثة سنى كنت قد فقدتُ الإيمان بالمسيحية لأسباب كثيرة، أهمها أننى ما سألت مسيحياً - سواء كان ممن يقال عنهم رجال الكهنوت والأسرار المقدسة، أو من العامة - عن أى شئ يبدو لى غامضاً فى تعاليم الكنيسة، إلا تلقيتُ الجواب التقليدى «ليس لكِ أن تُناقشى تعاليم الكنيسة، ويجب أن تؤمنى بها». . . وفى ذلك الوقت لَم تكن الشجاعة الكافية لأقول لهم «إننى لا أستطيع الإيمان بشئ لا أعقله». . وأدركت من خلال تجاربى أن غالبية الذين يسمون أنفسهم مسيحيين لا يجدون هذه الشجاعة كذلك».

ولكن ماذا كانت النتيجة؟. . وما فعلته من جراء ذلك؟. .

اعتدلت فى جلستها أكثر لتجيب وتقول:

«كل ما فعلته أننى هجرتُ الكنيسة الكاثوليكية وتعاليمها، وركزت إيمانى فى الإله الواحد الحق، لأن الإيمان به أيسر على النفس من الإيمان بثلاثة آلهة فى وقت واحد كما تقول الكنيسة».

وعن رؤيتها للحياة التى أعقبت إيمانها بإله واحد قالت:

«بدأت أرى الحياة أوسع وأرحب، طليقة من الطقوس والتعقيدات. . كنت حيثما وجهت وجهى أجد آيات الله فى خلقه. . كنت أقف أتأمل كل هذا الإبداع فى خلق الله: الأشجار، الأزهار، الطيور، الحيوانات. . كل شئ حتى الطفل الوليد أصبحت أشعر أنه معجزة رائعة جميلة، وليس كما كانت الكنيسة تصوره لنا. . . تذكرت كيف أننى كنت فى صغرى إذا نظرت إلى طفل حديث الولادة تصورته مغطى بسواد الخطيئة. . . أما الآن فلم يعد لتلك النظرة القاصرة مكان فى نفسى، فقد أصبح كل شئ أمامى جميلاً رائعاً».

وعن أولى خطواتها على درب اعتناق الإسلام بعد أن مهدت لها النفس الإيمان بالله واحد. . قالت:

«كان ذلك عندما عادت ابنتى ـ ذات يوم ـ إلى المنزل ومعها كتاب عن الإسلام الذى أثار اهتمامي بعد أن قرأته معها حتى أتبعتاه بقراءة كتب كثيرة أخرى عنه... وسرعان ما أدركنا أن الإسلام هو نفس العقيدة التى كنا نؤمن بها بالفطرة.

ولم يمض وقت طويل حتى بحثت عن بعض المسلمين لأسألهم عن الأمور التى لم تكن واضحة تمام الوضوح أمامى.. وهنا أيضاً سقطت نهائيّاً تلك الأستار التى كانت تحجب ما بينى وبين الإسلام، فما خطر لى من سؤال إلا كنت أتلقى عنه الجواب المقنع الدقيق، على النقيض تماماً من ذلك الهراء الذى كنت أسمعه حينما كنت أناقش المسيحية».

ثم ابتسمت ابتسامة راضية مطمئنة وهى تقول:

«وبعد طول قراءة ودراسة قررت أنا وابنتى أن نعتنق الإسلام وتسمينا باسم رشيدة ومحمودة».

وعندما سُئلت عن أهم جانب فى الإسلام قد اجتذبها أجابت على الفور بحماسة وسعادة المستغرب لهذا السؤال:

«تسألنى عن أهم جانب فى الإسلام اجتذبنى.. إنها الصلاة، لأن الصلاة فى المسيحية لاتعدو أن تكون دعاء لله بواسطة المسيح عيسى ليمنحنا خير الدنيا.... أما فى الإسلام فهى ثناء على الله وتحميد له على كافة نعمه، وتضرع إليه أن يغفر لنا ويجنبنا الضلال، ويهدينا إلى سواء السبيل».

***

مع السيدة الإنجليزية «أليسون محمود»

سيدة انجليزية نشأت فى أسرة بروتستانتية، تعنى الأم بأمور الدين إلى درجة كبيرة، فتحرص على اصطحاب بناتها إلى الكنيسة لأداء الشعائر والطقوس الكنيسة، ولكن الابنة «أليسون» اختلفت عن أخَواتها الأُخريات، فقد كانت ذات طبيعة خاصة تتميز بولعها بالقراءة، وميلها إلى الانطواء

والانفراد بنفسها، فضلاً عن أنها كانت أكثرهن عَدَمَ اعتقادٍ واقتناع بما يُمارِسْنَهُ فى الكنيسة.

كانت كثيراً ما كانت تفكر: لماذا لا يترك للإنسان حرية اختيار عقيدته. . . لماذا يولد ويُعَمَّدُ ليصير مسيحياً؟ . . . ولماذا يُعد التعميد وثيقة دخول دين جديد؟ . . . ولماذا هذا الفراغ الهائل بداخلها، وهى دائمة الذهاب مع أسرتها إلى الكنيسة؟ . . . لماذا؟ . . . ولماذا؟ . . . . أسئلة كثيرة كانت تتردد بخاطرها من جراء الإحساس بعدم الأمان، ولذا كانت دائمة البحث عن قوة تلجأ إليها تريحها وتستكين إليها. . حتى واتتها فرصة كانت بداية فتح جديد فى حياتها تتحدث عنها فتقول:

«جاءت لى فرصة التعرف على أسرة مسلمة فى منزل أختى الكبرى وزوجها. . . ودارت مناقشات عديدة بينى وبين تلك الأسرة المسلمة، وكثرت بيننا اللقاءات، وكما لو كنتُ قد عثرت على كنز ثمين، فقد أصبحت مشْغُوفَة بكل ما يتصل بالإسلام بعد أن قرأتُ عنه كتباً كثيرة بالإنجليزية، وبدأتُ أجد بين تعاليمه ومبادئه إجابات كثيرة لأسئلتى المتراكمة. . وأتاحت لى هذه الأُسرة فرصة التعرف على مكتبتها الدينية، وصرتُ صديقة لها، كلما قرأت كتاباً زاد نهمى لمعرفة المزيد عن هذا الدين الذى يفترى عليه الكثيرون».

ثم تستطرد بعد برهة من الصمت والتأمل لتقول:

«لا أنكر أبداً فضل تلك الأسرة المسلمة التى أَنسْتُ إليها، ووجدت منها كل الترحاب بأية استفسارات أو إيضاحات حول الإسلام».

ثم لم تلبث أن تبتسم وتزم بشفتيها قائلة:

«. . وبالمناسبة، فقد تعرفت على زوجى عندهم، ووجدنا تفاهماً كبيراً وتقارباً ملموساً بيننا، وقررنا الزواج، غير أننى لم أشهر إسلامى إلا بعد زواجى بستة أشهر، ولم يكن هذا إلا بعد اقتناع كامل ودراسة طويلة لهذا الدين الحنيف».

وعن دوافع اعتناقها الإسلام وبداية رحلتها إلى الإيمان به قالت فى سكينة وطمأنينة:

«لقد بدأت منذ وقت طويل كنتُ فيه دائمة القراءة والاطلاع، تلح علىّ تساؤلات تدور حول الإنسان وحريته فى اختيار عقيدته بنفسه بعد أن تزاحمت فى نفسى أسئلة كثيرة حول الدين والعقيدة التى لم أجد لها جواباً مقنعاً وقتئذ إلى أن وجدتُ فى الإسلام إجابات عن تساؤلاتى، وارتياحاً بعد حيرة وقلق...»

ثم تعود بنظراتها إلى بعيد لتستأنف حديثها قائلة:

«نعم.. لقد وجدتُ الإسلامَ دين المنطق والعقل.. وهو الدين الذى يقنع الإنسان تماماً بردوده المنطقية، والذى يستسيغه العقل ويقبله، وترتاح له النفس وتطمئن إليه..

لقد وجدتُ الإسلامَ دينَ يُسْرٍ، وهو صالح لكل زمان ومكان... يكفى أن القرآن الكريم الذى قرأته كله باللغة الإنجليزية يعد إعجازاً فى حد ذاته... فإذا كان لكل نبى دليل ومعجزة، فإن القرآن يعد معجزة لرسول الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام».

وعندما سُئلت عن محاولة تعلمها اللغة العربية لتقرأ القرآن الكريم بلغته... قالت فى اعتداء وثقة:

«لقد بدأت بالفعل تعلمها كتابة وقراءة بعد زواجى، حيث إننى مشغوفة جداً بتعلمها حتى أستطيع قراءة القرآن الكريم بلغة الأصلية، وخاصة أننى أؤدى الصلاة باللغة العربية.. وإن كنت لا أفهمها، غير أننى أجد فى قراءة الآيات باللغة العربية موسيقى وعمقاً تحببنى كثيراً فى تلك اللغة...».

وعندما سُئلت عن نظرتها للإسلام بعد اعتناقها له... هل وجدته كما سمعت عنه من الآخرين؟

هزت برأسها وزمَّتْ بشفتيها، وقد غامت نظراتها فى أسف وأسى وهى تقول:

«للأسف الشديد، لقد وجدتُ أن هناك افتراءات كثيرة تُنسب إليه من جانب بعض المغرضين، إمَّا عمداً وقصداً، أو عن جهل وعدم فهم منهم...

وكان أعظم ما عرفتُ وضع المرأة فى الإسلام، والمكانة الرفيعة التى تتمتع بها، وهى المكانة التى لم تَرْقَ إليها المرأة الغربية بعد، بلا أية مبالغة.. يكفى أن نعلم أن للمرأة فى الإسلام شخصية لها تقديرها، لقد سُميت سورة باسمها «وهى سورة النساء»، وفيها ما يخص المرأة فى الزواج، والإرث، والطلاق.. وكيف يرعى الإسلام حقوق المرأة التى هى شريكة للرجل فى رحلة كفاحه... فقد قرأت كثيراً عن زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام، وكيف كانت السيدة خديجة رضى الله عنها تقف بجانب الرسول وتشد من أزْره، وتخفف من آلامه، ومن أذى قبائل قريش له.. كما قرأت عن بطولات نسائية كثيرة خرجت للحرب مع الرجال... ألا يكفى ذلك دليلا على مكانة المرأة فى الإسلام التى ينكرها الحاقدون أعداء الإسلام؟!».

وعندما سُئلت عن مدى مواظبتها على أداء فرائض الإسلام... أجابت فى سكينة وطمأنينة قائلة:

«حمداً لله، فأنا أصلى بانتظام، وأصوم شهر رمضان... وقبل هذا وذاك فأنا أرى الإسلام فى جوهره رسالة اجتماعية لتنظيم حياة الناس بعضهم ببعض، حيث إن الإسلام دين المعاملة... وليس أحلى من أن يعيش الإنسان فى سلام مع نفسه ومع الآخرين».

***

الفصل الثالث

سلوكيات الإسلام كانت وراء إسلامهن

* مع الهولندية «ماري» التي أدهشها الترابط الأسري في بيت صديقتها المسلمة أثناء زيارتها لها.
* مع الألمانية «فيلكوفيسكي» التي أعجبت بمجتمع المسلمين الذي يرفض الخطأ ويلفت نظر الآخرين للحلال والحرام.
* مع الفلبينية «أوليفيا» التي أدركت أن الإسلام يصون المرأة ويرتقي بها وبروحها من أن تكون مجرد جسد فارغ.
* مع الهندية «آسيا» التي أدهشها أن الإسلام يجيز للمطلقة أن تتزوج مرة أخرى.
* مع الأمريكية «لمياء» التي رأت أن بعض القيم في الثقافة الغربية المتحضرة تتماثل مع بعض القيم الإسلامية كالحث على العلم والمعرفة.
* .... وأخريات.

مع الفتاة الهولندية «ماري»
التـــي صارت ليلى المسلمـة

كانت الفتاة الهولندية الصغيرة «مارى» - برغم حداثة سنها - تتساءل: لماذا تمنعها أمها من مصاحبة صديقاتها المسلمات اللواتى يُؤْمِنَّ بإله واحد بعيداً عن فكرة الأقانيم الثلاثة التى ابتدعها كُهان وأحبار النصارى؟!

وذات يوم قادتها المصادفة إلى زيارة صديقة مغربية من المسلمات المقيمات مع أهلهن فى بلدها هولندا، وأدهشها ما وجدته من ترابط اجتماعى فى بيت تلك الأسرة تفتقر إليه الأسرة الهولندية، حيث يمكن أن تنفصل البنت عن أسرتها لتقيم بمفردها كما فعلت هى حين أنهت دراستها الثانوية وأقامت بحجرة صغيرة فى أحد أحياء العاصمة الهولندية «أمستردام»، وفى تلك الحجرة عرفت الوحدة والخوف، ولذا فقد أكبرت «مارى» فى الأسرة المسلمة عدم تخليها عن بناتها وهن فى مثل سنها الغض.

وبدأت تتكشف لها مزايا الإسلام وفضائله، وأدركت بفطرتها السليمة أنه دين الحـق، وأن ماسـواه باطـل. . ومن ثـم أقبلت - بشغـف - علـى قـراءة ما تستطيع فهمه من أمور هذا الدين القيم، وما يصل إلى يديها من كتب إسلامية مترجمة، حتى اكتمل إيمانها، وهى بعد تناهز الخامسة عشرة من عمرها، فأشهرت إسلامها عن قناعة واقتناع كامل، وتسمت باسم «ليلى عز الدين».

تقول «ليلى» بعد أن أسلمت:

«إن أكثر ما شدنى إلى الإسلام هى تلك الروحانية التى تظلل حياة المسلمين، إذ رأيت كيف كانت صديقاتى المسلمات يتحملن الجوع والعطش لساعات طويلة تصل إلى مايزيد على ثلاثة أرباع اليوم خلال شهر رمضان المبارك تقرباً ومحبة لله الذى فرض الصوم وخَصَّهُ من دون العبادات بأن جعله له، يجزِى به العَبْدَ يوم القيامة.

كذلك شدنى إلى الإسلام ما رأيته ولمسته من تسامح المسلمين، وما يربطهم ببعضهم من روابط وثيقة مصدرها الأخوة فى الله التى تفرض الأُلفة وتشيع الحب بينهم.

وقد زاد اقتناعى بهذا الدين حين أكد أحد الأطباء أن ما قالته صديقاتى المسلمات عن لحم الخنزير صحيح من أنه يُورث المرض والسقم، ومن ثم تعمق إيمانى بصحة هذا الدين الذى يدعو إلى ترك الخبائث.... لذلك كنت كلما فهمت جانباً جديداً عن الإسلام ازدادت نفسى اقتراباً منه أكثر».

ولأن الزواج سُنة الحياة... فقد تمنت «ليلى» أن يرزقها الله زوجاً مسلماً صالحاً يعمق فى داخلها نور الإيمان بدينها الجديد، ووجدت الصفات المطلوبة فى مهاجر مصرى مقيم فى هولندا يدعى «أسامة عز الدين» وتزوجا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأثمر الزواج أربعة أطفال هم: عبد الله، وفاطمة، وأحمد، ومريم.. وسارت الحياة بالأسرة المسلمة هادئة إلى أن كبر الأطفال، وبدأت «ليلى» تقلق على أطفالها خشية انجرافهم إلى انحرافات المجتمع الهولندى غير المسلم، فألحت على زوجها كى يذهبا بأطفالهم إلى مجتمع مسلم ليشب الأطفال على عقيدة التوحيد والقيم الإسلامية النبيلة.

وكان لها ما أرادت، وحطت الأسرة الصغيرة رحالها على أرض الكنانة مصر» موطن الزوج.

ومن هنا ترى «ليلى» ضرورة العناية بأبناء الجيل الثانى من المهاجرين المسلمين، إذا أن هؤلاء فى زحمة انشغال والديهم بالعمل يضيعون بين قيم الإسلام وماتنهاه عنهم وبين إباحية الغرب وما تدعوهم إليه من سلوك غير قويم، الأمر الذى يؤدى إلى زعزعة الإيمان فى نفوسهم، وانسلاخهم رويداً رويداً عن الإسلام، وذوبانهم فى المجتمع الغربى، ومن ثم طمس الهوية الإسلامية لديهم، ووقوعهم فريسة سهلة للمنصِّرين الذين لا يألون جهداً فى اجتذاب الضائعين وضعيفى الإيمان من أبناء المسلمين.

وتشير «ليلى» إلى نقطة مهمة جديرة بأن تؤخذ فى الاعتبار، ألا وهى حدوث زيجات بين فتيات مسلمات بشباب غير مسلم، لجهل أو تجاهل الكثير من الفتيات المسلمات بأن الشرع لا يجيز مثل هذه الزيجة الباطلة.

وتُطالب الدُّعَاةَ بضرورة التركيز على ما يمنحه الإسلام للمرأة من حقوق ومزايا، لأن هناك فكرة خاطئة شائعة فى المجتمع الغربى، وهى أن الإسلام يهضم حقوق المرأة. . . كما تطالب الدعاة بتوضيح معنى قوامة الرجل على المرأة، وكيف أن هذه القوامة هى عبء على الرجل. . وأن المرأة المسلمة تتمتع بحقوق لا تحصل على نصفها مثيلاتها من الغربيات، اللاتى ينظر إليهن نظرة حيوانية تخدش حياء الأنثى.

وترى «ليلى» أن من الضرورى تعريف المسلمات قبل غير المسلمات أن الحجاب لا يعنى حجراً على المرأة، وإنما هو صيانة وحماية لها، وارتقاء بها من أن تكون مجرد جسد للإثارة والفتنة.

أما بالنسبة للدعوة الإسلامية. . فترى ليلى أنها تعانى من نقص الدعاة، وعدم توفر الكتب المترجمة بالشكل المطلوب، حيث إن الكثيرين ممن يرغبون فى معرفة الإسلام والتعرف عليه تصطدم رغبتهم بجدار اللغة، فضلاً عن عدم توافر الكتب التى تقدم لهم الإسلام بصورة وافية.

كما ترى ضرورة إرسال المزيد من الدعاة الذين لا يقتصر عملهم فى المراكز الإسلامية، بل ينزلون إلى الشارع ليختلطوا بالبشر فى أنديتهم ومقاهيهم، وفى أماكن تواجدهم بوجه عام، وذلك ليقدموا المشورة لمن يرغب ويجيبوا على الاستفسارات التى تُقَدَّمُ إليهم.

وهكذا نجد أنفسنا أمام شابة استشعرت وجود الله بقلبها، فألهمها الرؤية الصحيحة بإسلامها، والمشورة الناصحة بآرائها النافعة[1].

* * *

(١) مجلة الفيصل ـ عدد سبتمبر ١٩٩١ (بتصرف).

مع الفتاة الألمانية «فيلكو فيسكى» أو «فاطمة»

نشأت فى بلدة «بوستورف» بألمانيا من أبوين مسيحيين... وتعرفت على شاب مسلم من مصر فى أحد الأندية من خلال صديقة لها كانت تعرفه..

وفى جلسة تعارف لاحظت عليه أشياء غريبة.. إنه لا يشرب الخمر مثل الشباب الألمانى.. ولما سألته لماذا لا يشربها؟... قال: لأنها حرام....

واندهشت ـ وقتئذ ـ لهذا الرد الذى لم تفهم له معنى إلا بعد أن دخلت الإسلام وعرفت مبادئه وتعاليمه وتوطدت العلاقة بينها وبينه، واتفقا على الزواج.. وكان لهما ما أرادا.

وحضرت إلى «مصر» مع زوجها «جمال»، ولم تكن تعرف شيئاً عن الإسلام.. وبالتالى لم تكن تدرك معنى ماتراه من حولها من أمور تعدها غريبة... فقد كانت ترى أم زوجها «جمال» تقوم قبل طلوع الشمس كل يوم وتؤدى حركات لا تتغير.. تكررها مع مرور الوقت.... تعبر عن ذلك بقولها:

«كنتُ أتساءل فى نفسى: ماهذا الذى تفعله؟.. وزادت حيرتى عندما لاحظت أن أفراد الأسرة يفعلون نفس الشئ!... كنت أسألهم عن هذه الأفعال، فيقولون لى: إنها «الصلوات».. نحن نؤديها خمس مرات كل يوم لأننا مسلمون... وهنا سمعت كلمة «إسلام» لأول مرة...

ثم أضافت تقول:

«وتصادف أن أقبل شهر يُسمى «رمضان» وأنا فى «مصر». . . فبدأتُ ألاحظ تغييراً كثيراً فى حياة الناس بعد أن أخبرنى زوجى أنهم سيمتنعون عن تناول الطعام والشراب طوال النهار خلال هذا الشهر. . فقلت له: وأنا سأفعل مثلكم. . وصُمْتُ معهم الشهر كاملا. . . وبدأتُ أشعر بسعادة نفسية غامرة عندما اكتمل الشهر. . لم أكن أنا وحدى سعيدة، فقد لاحظتْ أن الكل يشعرون بنفس السعادة، وجدتهم يهنئ بعضهم بعضاً. . . ولما سألتهم عن ذلك قالوا لى: إن هذا هو «عيد الفطر» عند المسلمين».

وتغيم عيناها خلف سحابة من الذكريات تقول بعدها:

«كانت أم زوجى تحدثنى دائماً عن الإسلام فى الوقت الذى بدأتُ أتعلم وأعرف كثيراً من الكلمات العربية. . كانت تقول لى: إن الإسلام معناه أن نعبد «الله» الذى خَلَقَنَا. . وأن نطيع الرسول محمد ﷺ الذى أرسله ليرشدنا إلى الحق. . . كانت تقرأ أمامى القرآن الكريم حتى حفظتِ سورة «الفاتحة» و«الإخلاص». . بعدها تعلمت الوضوء والصلاة».

ثم لم تلبث أن تضحك فى تعجب من أمْرِ نفسها حيث تصارح بالقول: «كل ذلك وأنا لم أعتنق الإسلام، فكل ما فى الأمر أننى قد وجدتُ نفسى فى عبادات المسلمين. . أفعلُ ما يفعلون عن غير عقيدة».

ثم أردفت بعد فترة من الصمت لتقول بنظرات سارحة:

«وحدث أن أخذتنى أم زوجى إلى الجامع وقالت لى: سنصلى صلاة الجمعة. . فقلت لها: ولكنى لا أعرف عن الصلاة الجمعة شيئاً. . فقالت: افعلى كما يفعل الناس. . .

وذهبت معها إلى الجامع. . وكنت خائفة، لأننى سأدخل مكاناً لم أره من قبل، ولا أعرف ماذا أفعل فيه؟!. . ولما دخلت الجامع شعرت بسكينة

وطمأنينة وأنا أرى مئات الرجال من مختلف الأعمار يجلسون فى صفوف، والكل ينصت لشخص واحد يقف فى مكان مرتفع عرفت أنه يُسمى «المنبر». . بعدها وقفوا صفوفاً متراصة ليُصَلُّوا. . . فى حين كان السيدات فى مكان منفرد بهن، يفعلن مثلما يفعل الرجال. . وبعد أن انتهينا من الصلاة أخبرتُ أم زوجى برغبتى فى إعلان إسلامى. . . وبالتالى أبلغت أم زوجى إمام وخطيب المسجد برغبتى فى إشهار اسلامى».

وبنبرة سعادة تكشف عما يدور فى نفسها وقد لمعت عيناها بوميض الإيمان عندما استطردت قائلة:

«عندئذ أحضر لى بعضُ المصلين كرسيّاً وقالوا لى: اجلسى عليه. . . وأنا أرى كل الأنظار متجهه إلىّ يهمسون: «الألمانية» ستعلن إسلامها. . الألمانية ستعلن إسلامها».

بعدها جاء إمام وخطيب المسجد وأخذ يردد فى مكبر الصوت كلمات طلب منى أن أرددها خلفه. . أذكر منها «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله». . . . وكلمات أخرى. . .

وما إن فرغت منها. . حتى فوجئت بكل من فى المسجد يهنئوننى، بل إن بعض السيدات عانَقْتَنِى وهُنَّ يُرَدِّدْنَ: «الله أكبر. . الله أكبر».

وقيل لى بعد ذلك: أنتِ أصبحتِ مسلمة من اليوم. . تُصَلِّينَ وتعبدين الله. . . ففرحتُ جداً، وخرجت معهم إلى قسم الشرطة المجاور للمسجد لأوقع على إقرار بأننى صرت مسلمة».

وتندفع حرارة كلماتها وهى تحرك يديها لتأكيد معنى كل كلمة تقولها: «كنت أشعر بجسدى كله يهتز. . وقلبى يخفق من فرط ما أسمع من صياح الناس وتكبيرهم حولى. . . نعم لا يمكن أن أنسى هذه اللحظات أبداً، لأنى لم أرَ مثلها من قبل!

هذا عن مشاعرها لحظة إشهار إسلامها... فماذا عن مشاعرها بعد أن دخلت فى الإسلام وانتظمت فى صفوف المسلمين؟..عن ذلك تجيب «فيلكوفيسكى» التى تسمت باسم «فاطمة» بقولها:

«عندما دخلت فى الإسلام شعرت بالراحة... عرفت أن الرزق من عند الله.. وأن لكل مشكلة حلا... فما دام الإنسان يؤمن بالله فهو معه، ولن يتركه بمفرده.. باختصار أصبح هناك حكم بين الحياة والإنسان بدلا من الصراع المستمر بينهما على المادة.

ويكفى أن أقول إن أعقد مشكلة واجهتنى خلال العام الذى مضى علىَّ فى الإسلام كانت الصلاة كفيلة بحلها.. فبمجرد أن أدخل فى الصلاة أشعر بالراحة وبالبعد عن المشاكل... وما إن أفرغ من الصلاة حتى أشعر بأن المشكلة قد انتهت تماما»[1].

إن قول «فاطمة» التى وُلدت من جديد بشهادة ميلاد إسلامها تعنى أنها لم تكن تقتنع بديانتها المسيحية التى نشأت عليها فى بيئتها...فتعبر عن ذلك بقولها:

«أنا لم أكن أقتنع بديانتى منذ طفولتى عندما كانوا يدرسون لى المسيحية فى المدرسة الأولية.. وكيف أقتنع بمسألة التثليث التى تعنى تعدد الآلهة؟!... ولذلك كنت أطرح كتاب الدين المسيحى جانباً ولا أنظر فيه.. كذلك نادراً ما كنت أذهب إلى الكنيسة... كنت أسأل والدتى: هل من الضرورى أن أذهب إلى الكنيسة؟... فترد علىَّ متعجبة من أمرى فى استنكار: لماذا تقولين ذلك؟!... فكنت أقول لها: لأنى لا أصدق الكلام الذى يقولونه لنا فى المدرسة... فكيف يا أمى يقولون لنا إن النبى عيسى عليه السلام عندما مات استيقظ مرة أخرى وجاءه الحواريون... فقال لهم لا تخافوا فأنا سأذهب عند «بابا»!!!»

---

[1] ليتأمل هذا القول بعض المسلمين الذين ابتعدوا عن الله بتركهم للصلاة وتهاونهم عن أدائها فى أوقاتها.

ثم تصمت للحظات لتعود تؤكد على ما تريد توضيحه فتقول:

«من غير المعقول أن يصدق العقل السليم ما كانوا يقولونه لنا فى المدرسة... أنا أعرف أن السيدة «مريم» لم تكن متزوجة فكيف يكون لعيسى أب؟!.... ولهذا السبب أيضاً لم أكن أذهب للكنيسة».

ولكن هل عدم قناعتها بديانتها المسيحية هوالسبب الوحيد الذى دفعها لاعتناق الإسلام؟ أم أن هناك سبباً آخر؟

تجيب «فاطمة» الألمانية التى شرح الله صدرها للإيمان بقولها:

لا... إننى اقتنعتُ بالإسلام كدين ومنهج حياة لمن ينشد السعادة الحقة... وهو بمبادئه وقيمه أقرب إلى عقول الأوربيين، لأنه يقوم على المنطق السليم فضلاً عن إعجابى بطبيعة المسلمين التى تختلف عن طبيعة الأوربيين من حيث طبيعة العلاقات الاجتماعية التى تربط الناس بعضهم ببعض... فأنا - مثلاً - لم أشعر بالغربة قط بعد أن جئت إلى «مصر» وعشت فى مدينة السنبلاوين[1]...»

ثم تكشف ما يدور فى نفسها من انبهار بحال مجتمع المسلمين قائلة:

«لم أتعود أن أرى تجمع الناس مع بعضهم وهم يتحدثون فى أمورشتى تغمرهم السعادة والسرور... أعجبت بالناس فى عباداتهم المفروضة، من صلاة، وصوم، وزكاة...

أعجبت بمجتمع المسلمين الذى يرفض الخطأ.. فإذا فعل أحد الناس شيئاً خطأً فالكل يلفت نظره ويقولون له: إن ذلك حرام، بعكس ما يحدث عندنا.... فإن كل إنسان يعيش بمفرده.. وكل أسرة تعيش لنفسها فقط.. وإذا فعل إنسان خطأ فلا يسأل فيه أحد، ولا يُقال له: إن ذلك خطأ أو حرام.

---

(١) مدينة بمحافظة الدقهلية.

أُعجبت بتعاون الناس مع بعضهم فى مودة ومحبة. . . ولو أنك ذهبت إلى بلدى «ألمانيا» فلن تجد من يعاونك على شئ. . . أكثر من هذا تجد كل أسرة تغلق مسكنها على نفسها، وتعيش فى حالها، إذ ليس هناك علاقات اجتماعية متميزة كالتى وجدتُها فى مجتمع المسلمين هنا».

وعن الزى الإسلامى وحرصها على ارتداء الحجاب دافعت عنه بحماس وقالت:

«قد ارتديت الحجاب فوجدتُ أننى قد أصبحتُ أكثر احتراماً. . ولذلك فأنا سعيدة بالزى الإسلامى، وبالتالى فأنا لم أشعر إطلاقا بضيق منه».

ثم أنهت «فاطمة» حديثها فأجملته فى كلمات محددة فقالت:

«إننى وجدت فى الإسلام طُمأنينة وراحة نفسية».

* * *

مع الفتاة الفلبينية «أولفيا أبرازادو»
التى صارت غيورة على الإسلام

ولدت لأُسرة نصرانية قلباً وقالباً.. وسمعت من أفواه الكثيرين ـ من بينهم بعض الآباء القسس ـ أن الإسلام دين المتخلفين، لذا لم تكن تفكر يوماً ما فى اعتناقه، أو مجرد التعرف على حقيقته، برغم أنها لم تجد ذاتها فى النصرانية، ولاسيما أن تساؤلات عدة طالما ضاق بها صدرها ولم تجد لها إجابة فى الإنجيل، وتهرب القسس عن مجرد مناقشتها فيها، ولكنها مع ذلك ظلت نصرانية تتردد على الكنيسة كل يوم أحد، تستمع إلى القس، وتشارك فى الإنشاد بطريقة آلية ـ كما يفعل المنوم مغناطيسياً ـ بلا إحساس أو اقتناع.

وشاءت إرادة الله تعالى أن تأتى «أولفيا» إلى المملكة العربية السعودية للعمل بها، وتختلط لأول مرة مع مسلمين ومسلمات من مختلف دول أنحاء العالم، وتجذبها بساطة تعاملهم وصدقهم، وإخلاصهم لدينهم، واعتزازهم به، وحرصهم على أداء الفرائض فى أوقاتها، ولكن الذى جذبها إليهم أكثر هو إيمانهم بأن للكون ربّاً واحداً مُنَزَّهاً عن أية صفة تُشَبِّهُهُ بعباده، فليس كمثله شئ.

وتوقفت «أولفيا» عند هذه النقطة، وقارنت بينها وبين ما تعلمته فى طفولتها وصباها فى الكنيسة من أن الله له ولد.. وأنه عز وجل له ثلاثة أقانيم... فوجدت نفسها تميل إلى ترجيح رأى المسلمين، فمثل هذا الكون البديع المنظم بدقة لا يمكن إلا أن يكون من صُنْعِ إلـه واحِد.

وتداعت إلى ذاكرتها ما فاضت به نفسها من قَبْلُ من تساؤلات لم تجد إجابات لها لدى القسس أو فى الأناجيل المعتمدة لدى النصارى، ولأول مرة وجدت نفسها تتشكك فى صحة الأناجيل، نظراً لما تحويه من طلاسم وخزعبلات، فضلاً عن أنها عرفت أن هذه الأناجيل لم تُدَوَّن إلا بعد رفع المسيح عيسى عليه السلام بقرون، مما ينفى حقيقة كونها نفس الإنجيل الذى نزل على عيسى عليه السلام. . . . ومن ثم تساءلت: لماذا لدى المسلمين كتاب واحد ولدينا أكثر من إنجيل؟!. . . ولماذا تُنْسَبُ الأناجيل إلى أشخاص بعينهم يختلفون فى رواياتهم باختلاف شخصياتهم؟!

تعبر «أولفيا» عن ذلك بقولها:

«كانت هذه التساؤلات مقدمة لرغبة ملحة فى الاطلاع على الدين الإسلامى من المسلمين أنفسهم لمعرفة حقيقته، ومن ثم المقارنة بين الإسلام والنصرانية لمعرفة أيهما أقرب إلى العقل والقلب والمنطق؟».

ثم تصمت للحظات لتستطرد قائلة:

«وبَدأَتْ تصوراتى السابقة عن الإسلام تتَهاوَى، فقد كنت أعتبره دعوة إلى التخلف، وقَيْداً على حرية المرأة يحيلها من نفس إنسانية كريمة إلى جسد لاروح فيه، ولكننى ما إنْ قرأتُ بعض الكتب الإسلامية المترجمة التى زودتنى بها بعض الصديقات المسلمات حتى تهاوى الاتهام الأول، فكيف يكون الإسلام دعوة إلى التخلف وهو الدين الوحيد الذى يحث معتنقيه على طلب العلم الذى جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة؟!. . . ثم أنا أرى بنفسى الفتيات المسلمات يتسابقن إلى مقاعد الدرس فى المدارس والمعاهد والجامعات».

ويجف ريقها فجأة لتندفع بعدها فى قولها وقد استغرقتها الدهشة:

«بل إننى علمتُ أن أول آية نزلت على نبى الله محمد ﷺ كانت «اقرأ». . .

ومع اختلاطها بالمسلمات تَهاوَى الاتهام الثانى حيث تقول:

«لقد عرفت منهن أن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها من الحقوق ما لم تحصل عليه المرأة فى المجتمعات التى تدين بديانات أخرى، وأدركت تماماً أن القوامة لا تعنى انتقاص المرأة، بلْ هى تقدير لظروف أنوثتها وضعفها، لأنها تفرض على الرجل أعباءً قد تعجز المرأة عن تحملها بحكم تكوينها الغريزى الأنثوى الذى لا يتناسب مع أى مهام توكل إليها..

كما أدركت أن الحجاب هو صَوْنٌ وعَفَافٌ للمرأة، وارتقاءٌ بها وبروحها من أن تكون مجرد جسد تنهشه الذئاب البشرية..وإننى أتذكر أن الطبيبة التى عالجتنى حين مرضتُ كانت امرأة مسلمة محجبة، ولم يمنعها الحجاب من دراسة الطب والتفوق فيه».

وحينما وصلت «أولفيا» إلى هذه القناعات كانت روحها قد تشربت بالمبادئ والقيم الإسلامية ورفضت ما عداها، لكنها كانت لا تزال عاجزة عن اتخاذ القرار، فالصراع فى داخلها عنيف بين الحق والباطل... بين عقيدة توارثتها عن أهلها، وأخرى اختارتها بنفسها عن قناعة، ومع توالى القراءات والاطلاع أيقنت تماماً أن الحق والحقيقة فى الإسلام، ومن ثم اتخذت قرارها باعتناق الإسلام... وفى هذه اللحظة أحسست بالسكينة والطمأنينة تملأ قلبها المضطرب، وأن حملاً ثقيلاً انزاح عن صدرها» ـ كما تذكر ونبرة صوت خفية تكشف عما يدور فى نفسها من سعادة لا تسعها..

وكان طبيعيّاً وقد اهتدت «أولفيا» إلى طريق الحق أن تنبذ اسمها وتتخذ اسماً قريباً من الإسلام هو «سارَّة»..وأصبحت «سارة» نموذجاً طيباً للفتاة المسلمة التى تؤدى فرائضها بانتظام وإخلاص، ملتزمة بالقيم الإسلامية النبيلة...

وأمنية «سارة» أن تتمكن من هداية أسرتها وأقربائها إلى اعتناق هذا الدين

الصحيح، كما تتمنى أن يكتب الله لها أن تكون واحدة من دعاته إلى الهدى، وأن يكتب لدينه الانتشار فى أنحاء العالم.

وترى أن فرصة انتشار الإسلام فى بلادها كبيرة، خاصة إذا ما أخذ فى الاعتبار وجود جالية مسلمة تعدادها ليس بالبسيط ، فضلا عن عشرات الآلاف من أبناء جنسيتها يعملون فى كثير من البلدان الإسلامية، مثل المملكة العربية السعودية، ودول الخليج، فهؤلاء من الممكن جذبهم إلى دين الإسلام ببعض الجهد وشرح حقيقة الإسلام لهم، لأن جميع معلوماتهم عن الإسلام مستقاة من مصادر كنسية أو يهودية، وهى - كما هو معروف - لا، تقدم سوى الأكاذيب على حد قولها.

وتدعو «سارة» الجمعيات والمنظمات الإسلامية وأثرياء المسلمين إلى دعم أنشطة الدعوة الإسلامية، ومن أهمها ترجمة الكتب الإسلامية إلى لغات العالم، ليتعرف غير المسلمين على عظمة الإسلام، فضلاً عن إطلاع المسلمين هناك على قيم دينهم والنهل من مناهل الفقه الإسلامى، فمن المؤسف - كما تذكر سارة - أن الكثيرين من المسلمين لا يعرفون عن دينهم إلا أبسط المبادئ والتعاليم، فى الوقت الذى يتعرضون فيه لهجمات تنصيرية شرسة تستهدف اغتيال عقيدتهم وسَلْخهم عن الهوية الإسلامية بجرِّهم إلى السلوك غير الإسلامى، كشُرب الخمر، وتعاطى المخدرات، وممارسة الرذيلة، وغير ذلك من الأمور التى تقتل روح الإسلام داخل الشباب، لتسهل بالتالى عملية تحويلهم عن ديانتهم، وتنصيرهم، أو على الأقل إفساد عقيدتهم.

ومما يدعو إلى الإعجاب بهذه الفتاة الفلبينية أنها استطاعت أن تُحكِّمَ عقلها وتتغلب على شيطان الضلال وهى فى سن صغيرة معرضة للأهواء، لكنها تمكنت - بعون الله - من إنقاذ نفسها باعتناقها للإسلام الذى طالما سخرت منه قبل الاهتداء إليه[1].

***

(١) مجلة الفيصل - عدد نوفمبر ١٩٩١ (بتصرف).

مع السيدة السويسرية «آمال لوليه»

سيدة سويسرية خامرها الشك فى المعلومات الدينية التى تتلقاها. . . . إذ كانت هذه المعلومات تقول لها: إنك إذا اعترفت بذنوبك فسوف يغفرها الرب لك. . . والاعتراف لابد أن يكون عن طريق وسيط بينك وبين الله. . . .

وتملكتها الحيرة والبلبلة. . . إن الله الذى خلَقَ البشر جميعاً قد جعلهم متساوين فى عبادته ومناجاته، فكيف يدعى إنسان ـ كائناً من كان ـ أن له حقَ الوساطة بين الله وبين عباده؟!

ومن هنا كان شك «آمال لوليه» فى معلوماتها الدينية هذه أول خطوة لها على طريق الإسلام. . حيث بدأت تفكر فى عقيدة جديدة يمكن أن يطمئن إليها عقلها وروحها، فتستريح لها مشاعرها ووجدانها بعد أن يستسيغها فكرها الذى ظل رافضاً ما ورثته من دين قد لُقنت تعاليمه قسراً، فقد كانت من بيئة وأسرة مسيحية متدينة.

واصلت «آمال لوليه» دراستها حتى تخرجت وعُينت سكرتيرة بمكتب شرطة الأجانب فى «لوزان» بسويسرا، مما هَيَّأ لها فرصة الاحتكاك بفئات مختلفة من الناس لهم دياناتهم التى يدينون بها، ومن هؤلاء المسلمون الذين وجدتهم يتميزون بسلوكيات وآداب يراعونها فى حياتهم اليومية فى سكينة

وطمأنينة، واعتداد بأنفسهم فى تعاملاتهم مع الغير... فى حين كانت هى تفتقد لتلك الطمأنينة النفسية والاستقرار الاجتماعى، فقد كانت حائرة قلقة، لا تتبين معالم الطريق الذى تنشده... حتى حدث أن رأت برنامجاً عن الإسلام يعرضه التليفزيون السويسرى[1].... وعن ذلك تقول:

«ذات يوم عرض التليفزيون السويسرى برنامجاً عن الإسلام.. فرأيتُ المسلمين وهم يؤدون الصلاة فى خشوع، وبحركات متناسقة... فتمنيت فى تلك اللحظة أن أصلى معهم، فقد أحسست أننى مشدودة إلى الإسلام، وكأنى أهتف من أعماقى أنه الدين الذى أبحث عنه.... ومع ذلك فقد مرت سنتان علىَّ بدون أن أعتنق الإسلام، فقد كنتُ خلال هاتين السنتين أجمع معلومات عن هذا الدين الحنيف حتى أعتنقه عن فهم واقتناع تام.. فأخذتُ أتردد على المركز الإسلامى فى «لوزان» لألتقى بالمسئولين والمسلمين فيه لأعرف منهم المزيد والمزيد من تعاليم الإسلام وأركانه من صلاة وصوم وزكاة وحج وغير ذلك من آداب وسلوكيات قد حث عليها هذا الدين».

وتتوقف لحظة وقد زمت بشفتيها وأطبقت حاجبيها وكأنها تقرأ من لوحة خفية لا يراها إلا هى لتقول بعدها:

لقد كان مقدراً لى أن أعتنق هذا الدين منذ الصغر... فلم أكن أجد فى ديانتى أى حب.. فضلا عن أن المعلومات التى كنت أتلقاها فى المدرسة لا يمكن أن يقبلها عقل متفتح واع... فقد كانوا يعلموننا أن الإنسان إذا اعترف بذنوبه أمام أحد رجال الدين، فإن هذا الاعتراف مبرر لغفران ذنوبه.. وهذا شئ لا يمكننى أن أقتنع به... وبرغم ذلك فإننى أخذت أؤمل نفسى بأننى ربما أقتنع بعد أن يكبر عقلى وينضج فكرى أكثر وأصير امرأة متزوجة، فربما لو تزوجت يزداد اقتناعى بدينى».

(١) هذا يعطينا دلالة واضحة على مدى أهمية دور الإعلام الإسلامى فى التعريف بالإسلام فى البلاد التى لا تدين به.

ثم تصمت فجأة وهى تشير بأصبعها بالنفى القاطع ثم تقول:

«حتى بعد أن كبرت ونضج عقلى أكثر وتزوجت واستمر الزواج عدة سنوات فإننى ظللتُ غير مقتنعة بالدين الذى ورثته ولُقنت تعاليمه.. وكنت من جراء ذلك أتساءل.. ولكن كيف أخرج منه إلى دين جديد.. وهذه هى المشكلة».

وبنبرة سعيدة يضفى على صوتها عندما أجابت على نفسها قائلة:

«وجدت أن حل هذه المشكلة أن أتجه إلى الإسلام، وخصوصاً أننى قد أحسست أننى مشدودة إلى تعاليمه وآدابه وما يحث عليه من واجبات يستتبعها حقوق كتلك الحقوق التى منحها الإسلام للمرأة، والتكريم الذى أضفاه عليها ووصاياه بها، والتى جاءت فى القرآن الكريم، وعلى لسان رسوله محمد ﷺ.... وعندئذ لم أتردد بعدها لحظة فى اعتناق الإسلام بعد أن فهمت رسالته ووعيتها عن اقتناع وحب..... بعدها أحسست بالسكينة تملأ جوانب صدرى.. وأخذت مباشرة فى ممارسة شعائر الإسلام وأركانه كما تعلمتها وعرفتها من قبل».

وفى محاولة لاستقراء قوة إيمانها بدينها الجديد «الإسلام» وما تردد منها من إعجابها به لتكريمه للمرأة وإعطائها لحقوقها والوصية بها.... قيل لها: ولكن الإسلام يبيح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة، فله الحق فى أن يتزوج أربع نساء.. فهل تقبلين أن يتزوج عليكِ زوجك تطبيقاً لمبادئ الإسلام؟».

عندئذ قالت فى حدة وغضب: «إن ذلك ما يردده أعداء الإسلام.. وهم جاهلون أو حاقدون على هذا الدين العظيم... فالإسلام سمح بتعدد الزوجات ولكن قيده بالعدالة التى لا يمكن أن تتحقق إلا قليلا جداً.... وبرغم ذلك فأنا أُفَضِّلُ أن يتزوج الرجل بأكثر من امرأة على أن تكون له عشيقات كما نجد فى معظم أوربا وغيرها من دول العالم البعيدة عن الإسلام، فالرجل فيها يتزوج وفى الوقت نفسه يتخذ له أكثر من عشيقة!!

وفى محاولة أخرى لاستقراء قوة إيمانها بالإسلام قيل لها: ألا تشعرين بأن الإسلام قد فرض قيوداً عليكِ؟

أجابت فى سخرية واستنكار قائلة:

«لا ... لم أشعر بذلك مطلقاً.. فالإسلام لا يمنع المسلم إلا عن الأشياء التى تضره، ولذا حرَّمَها الله تعالى كالتبرج، وسفور المرأة الذى يؤدى بها إلى طمع الغير فيها قد يصل إلى حد الاعتداء عليها باغتصابها كما نسمع كثيراً... ومن هنا جاء حث الإسلام على ارتداء الحجاب... وإذا كانت بعض المسلمات للأسف لا ترتدى الزى الإسلامى المحتشم فهؤلاء لاشك لم يفهمن تعاليم دينهن.. ولو أنهن تمسكن بالقرآن الكريم وتعاليم الرسول ﷺ لَلَبِسْنَ الحجاب على الفور».

ثم استطردت تقول:

«أنا مثلا يمكننى أن أمارس أنشطتى العادية فى إطار مبادئ الإسلام، فلم أشعر بأى قيد علىَّ من تعاليمه، بل بالعكس شعرت بحرية النفس التى تحررت من عبودية الجسد الذى كنت أهتم بإبراز مفاتنه لأنال إعجاب نظرات الغير، ولكن الحمد لله قد هدانى الله إلى الطريق الصحيح، وأنا أشعر بفيض من النور يغمر كيانى كله، بل إننى تحولت إلى إنسانة جديدة».

هذه رحلة مضيئة قطعتها «آمال لوليه» لتصل إلى بر الأمان.. إلى الإسلام، حرصت على أن تؤدى فرائضه كاملة، ومن ذلك فريضة الحج التى جعلتها تشعر بأنها قد تغيرت تغيراً كاملا لتعيش فى عالم الطهر والنقاء والشفافية..

أنها رحلة إيمانية مرت خلالها بمراحل عديدة من الشك والحيرة والتردد، شأن من يؤمنون بعد اقتناع فيدخلون الإسلام بحماس وقوة، ولا يكتفون بإيمانهم، بل يدافعون عنه، كما فعلت «آمال» مع الذين يشككونها فى دين الإسلام.

* * *

مع الفتاة الرومانية «كاترين»
التى تعد نفسها كداعية مسلمة

فتاة فى العشرينيات من عمرها، ذات ملامح شرقية هادئة، تعبر عن نفسها من خلال حركات يديها وبعض مفردات اللغة العربية فتقول:

«نشأتُ فى أسرة متوسطة الحال فى العاصمة الرومانية «بوخارست».. وكانت أسرتى لا تعرف شيئاً عن الدين، ولذا لم أرَ للدين أثراً فى حياتى الأسرية....

انفصلت والدتى عن والدى وأنا فى الخامسة من العمر.... وفى سن الخامسه عشرة تركتُ منزل والدى إلى جنوب العاصمة حيث عملتُ فى إحدى دور النشر، وعن طريقها حصلت على المؤهل المتوسط، وأجدت اللغة الإنجليزية.

ومنذ ثلاثة أعوام عملت فى إحدى شركات السياحة الأوربية، وعن طريقها سمعتُ لأول مرة عن الإسلام عندما التحقت بدورة تدريبية وصحبتنى فيها بعض المضيفات العربيات - من ليبيا والعراق وسورية - اللائى بدأن يُحَدِّثْنِنى عن الإسلام».

ثم تستطرد قائلة:

«لقد لاحظتُ أنه لا توجد بينهن مَنْ تتناول كأساً واحدة من الخمور أو الكحوليات، فسألت إحداهن عن سبب ذلك.. فقالت: لأن دين الإسلام يُحرم تناول الخمور.. ثم أعطتنى كتيباً عن الإسلام باللغة الإنجليزية، ومنه عرفت معنى الإسلام ومبادئه وتعاليمه وعلاقته بالأديان الأخرى.. وبعد ذلك

قرأت ترجمة لمعانى القرآن، فأحسست بالاطمئنان والراحة النفسية وخصوصاً أننى استشعرت بالإيمان الحقيقى يدخل قلبى كلما قرأت كلمة من ترجمة معانى القرآن، لذا عزمتُ على أن أُشهر إسلامى.

وبالفعل نطقت بالشهادتين وأشهرت إسلامى عام ١٩٨٩ عندما زرتُ لجنة الفتوى بالأزهر فى أثناء زيارتى لمصر».

وتصمت برهة لتستكمل حديها فتقول:

«إننى أؤدى العبادات التى جاء بها دين الإسلام، ولكن أشد ما يضايقنى هو عدم وجود المؤلفات الكافية، فضلاً عن عدم وجود ترجمات للقرآن باللغة الرومانية، كما يُضايقنى عدم وجود هيئات تعين الذين يُشهرون إسلامهم فى دولة «رومانيا»، وبرغم أن المسلمين أقلية فى بلادى فإننى أعرف أن كثيراً من المسيحيين لا يحبون دينهم، ويريدون ديناً ببساطة الإسلام ووضوح عقيدته وسمو تعاليمه.

وإننى أرى أن كل امرأة فى أوربا غير آمنة على عرضها وشرفها وأنوثتها، والإسلام هو المنقذ لهن، لأنه يحميها ويصونها ويوفر لها كرامتها».

هذا، وجدير بالإشارة أن «كاترين» توشك أن تتحول إلى داعية إسلامية، ولاسيما أنها قد ألمت بجوانب كثيرة من الأحكام والتعاليم الإسلامية، فضلاً عن تَخَلُّقِها بالآداب والعادات الشرعية التى حثها عليها الدين الإسلامى[1].

***

(١) صحيفة المسلمين ـ العدد الصادر فى ٢٣/ ٨/ ١٩٩١ (بتصرف).

مع الإسكتلندية «باترشياها هاوشن»
التى أسلمت تأثراً بأطفالها

نشأت فى أسرة ريفية من إحدى ضواحى منطقة اسكتلندا بإنجلترا، فى حياة بسيطة بعيدة عن ضجيج المدينة وحياتها المتحررة التى غرقت فيها معظم النساء والأسر الأوربية... لم تكن تعرف مطلقاً أن هناك ديناً اسمه الإسلام.. وتحكى عن بدايات حياتها فتقول:

«كانت أسرتى تنتمى إلى «البروتستانت» وتحرص على ذهابى للكنيسة، فى حين أننى لم يكن فى نفسى قرب أو ميل إلى المسيحية، وأعترف أنه لم يكن يعنينى ما يردده القساوسة أو تحكيه الأناجيل، لأنه كان ديناً غامضاً بالنسبة لى، فى الوقت الذى لم يكن هناك أمامى بديل لرفضه».

ثم تتحدث عن طور جديد من أطوار حياتها عندما تعرفت فى العمل على شاب مسلم فتقول:

«فى مدينة «اسكتلندا» تعرفت على شاب عربى مسلم كان فى مهمة عمل، جذبتنى إليه قوة شخصيته وثقته الشديدة بنفسه، فقد كنتُ أعمل بجانب دراستى فى إحدى الشركات التى يتعامل معها هذا الشاب... وعندما طلب أن يتزوجنى سألته: هل يجوز أن يتزوج مسلم بمسيحية؟ قال: نعم.. عندئذ سألت نفسى: أية سماحة هذه؟!... وتزوجنا.

وبدأ زوجى يشرح لى تعاليم الإسلام وعقيدته ويقول لى: لكِ مطلق الحرية فى ترك المسيحية واعتناق الإسلام».

وتسترسل فى كلامها قائلة:

«كنت أستشعر فى داخلى بحب ورضاء كامل لهذا الدين، ولكن كنت أريد أن أستزيد من القراءة عن الإسلام حتى أتعرف أكثر على جوانب عظمته... وقد عاقنى عن ذلك قصر الفترة التى تزوجت فيها، ثم إنجابى لأطفالى الذين بدءوا يترعرعون أمام عينى ويحبون الإسلام بفطرتهم السليمة التى تُوحّدُ الله ولا تُشرك به شيئاً، فشعرتُ تجاههم بالخزى والحَرَج، إذ كيف أكون علىَ دين غير دين أطفالى، وخصوصاً أننى اقتنعتُ وأحببت هذا الدين بعد أن قرأتُ فى العقيدة وسيرة الرسول الكريم... لقد بدأتُ أحس بسعادة غامرة وأنا أعيش فى عالم لا يعرفه إلا من يتذوق حلاوة الإيمان.

وفى حجرة مغلقة كنت أركع وأسجد... وفى أثناء تجهيزى للطعام نطقت بالشهادة، عندئذ أحسست أننى مستعدة لتحمل تبعاتها والالتزام بمنهاجه، فذهبت إلى إحدى صديقاتى المسلمات لأصحبها معى إلى الأزهر.. وهناك أشهرت إسلامى عام ١٩٨٩، وكانت مفاجأة سارة لزوجى وأولادى الذين اعتبروا إسلامى فتحاً جديداً لهذه الأسرة».

ثم تصمت برهة لتعود تؤكد بانفعال صادق فى قولها:

«إن دخولى فى الإسلام كان عن قناعة تامة من داخلى، وعن دراسة واعية متفحصة، حتى يتسنى لى معرفة حقيقة هذا الدين ومبادئه وتعاليمه».

وللسيدة «فاطمة عزت إبراهيم» - وهو اسمها الذى اختارته بعد اعتناقها الإسلام - آراء حكيمة فى الجوانب الاجتماعية والتربوية بما يتفق مع النهج الإسلامى، فمن ذلك تقول:

«الطفل مظلوم من الناحية التربوية فى المجتمع المسلم - فى وقتنا الحاضر - لأن المرأة المسلمة انجرفت فى بعض البلاد العربية وراء التقليد الأعمى للغرب، وقد فَضَّلَتِ العَملَ الوظيفى على البيت وتربية الأولاد... وعندما تعود من العمل تُعاملَ أطفالها بعصبية إذا بدت منهم أية شقاوة، فى حين أن

هذا أمر طبيعى من الأطفال الذين يحتاجون للين إلى جانب الشدة فى بعض الأحيان.

لقد أصبحت الأم منشغلة بالعمل، ظناً منها أن المستوى الاقتصادى هو الأهم.. ولكننى أضرب لها مثلاً بسيطاً: الأطفال والشباب الأوربى الآن يعيش إلى حد كبير فى مستوى اقتصادى متقدم، ولكن النتيجة النهائية هى الإدمان، وعدم المبالاة، وجرائم العنف، والانحرافات الأخرى، وهذه نتيجة حتمية لغياب القدوة والتربية السليمة... فى حين أن الإسلام - والحمد لله - يتضمن نظاماً تربوياً صحيحاً، إذا التزمت به المرأة كسبت الدنيا والآخرة».

وعن تصورها للأسلوب الأمثل لنشر الإسلام فى أوربا تصرح بقولها:

«من الواضح أن المجتمع الأوربى يختلف عن المجتمع الشرقى فى نظرته للمعتقدات وغيرها من الأمور، ولذا يجب على من يتصدى للدعوة فى هذه المجتمعات أن يكون لديه معرفة تامة بأصول الدعوة ومنهاجها القويم، وطبيعة هذه المجتمعات.. كما يجب أن تكون لديه معرفة تامة بالقرآن والسيرة والتاريخ لكى يعرف الإسلام فى صورته الصحيحة، ويستطيع بالتالى أن يرد على الشبهات والافتراءات التى تُقال عنه من قِبَلِ أعدائه.

وأود أن أشير إلى أن النساء الأوربيات الآن يدخلن فى دين الله أفواجاً، لأن المرأة هى أول من ظُلِمَتْ من قبل الحضارة الأوربية، ويعد الإسلام بالنسبة لها كطوق نجاة يحميها ويعلى من شأنها كما أراد الله لها.

وأنا أحسب أن الإسلام قادم قريباً من قلب القارة الأوربية، وسوف يكون للنساء فضل واسع فى نشر الإسلام».

من هنا نرى أن الأخت المسلمة «فاطمة عزت إبراهيم» قد تعرفت على الإسلام وحقائقه ومنهاجه حتى صار لها فكر سديد فى مجال الدعوة الإسلامية[1].

* * *

(١) صحيفة المسلمين الصادرة فى ٢٦/ ٦/ ١٩٩٢ (بتصرف).

مع السيدة الهندية «آسيا»(١)

عاشت فى بيئة بعيدة كل البعد عن قيم ومبادئ السماء، فهى من أسرة تدين بعقيدة «السيخ». . لفت نظرها للإسلام أحد المسلمين فى لندن ـ حيث تعيش حالياً ـ وقد عرض عليها الزواج. . . . فاستغربت هذا العرض فهى مطلقة من زوج سيخى بل أخذتها الحيرة والعجب من ذلك الذى يريد أن يتزوج بها ولديها ثلاثة أطفال فهى مازالت متأثرة بعقيدة السيخ التى لا توافق على الزواج مرة أخرى. . . فسألته هل يجوز ذلك لديكم؟

فأجابها بقوله:

«إن الإسلام يجيز للمطلقة أن تتزوج مرة أخرى».

ثم ذكرت أنه قد أعطاها مثالاً حياً هو أن نبى الإسلام محمداً ﷺ تزوج بالسيدة «أم سلمة» وقد كانت مطلقة، وشرح لها قصتها كاملة. . .

ومن هذا الموقف بدأت البحث بنفسها عن الإسلام. . . وتعبر عن ذلك بقولها:

«. . . ثم بعد فترة من الزمن حاولت بنفسى البحث عن الإسلام، وفى لحظة واحدة، وبدون أى تخطيط، ذهبت إلى المسجد الكبير بلندن، وأخبرتهم أنى أريد أن اعتنق الدين الإسلامى، وتشهدت الشهادتين هناك، وأنا إلى الآن لا أتذكر ما الذى دعانى إلى الذهاب إلى المسجد لإشهار إسلامى، ولكن أقول بأنه توفيق الله وهدايته. .

---

(١) مجلة عفاف التى تصدر فى لبنان ـ عدد يوليو ١٩٨٨ (بتصرف). .

بعد ذلك اشتريتُ كثيراً من الكتب التى تتحدث عن الإسلام، وحاولتُ أن أتعرف وأقابل المسلمين الملتزمين.. وأبتعد عن المسلمين غير الملتزمين الذين قد يعطونى فكرة خاطئة عن الإسلام ويبعدونى عنه... وبعد ستة أشهر من البحث والقراءة اتضح لى أن الأمة المسلمة الحقيقية غير موجودة، ولكن ولله الحمد قابلت الكثيرين من المسلمين المطبقين لتعاليم الإسلام وسلوكه».

ثم تصمت برهة لتستكمل انطباعها عن المسلمين قائلة:

«لقد آلمنى كثيراً رؤية بعض المسلمين اللاهثين وراء الدنيا وملذاتها، ولكن تعلمتُ أن هذا بينهم وبين ربهم، وهذا لا يضرنى طالما أنى أعيش مع حب الله وخوفه، غير أنى أقول: إنه قد أسعدنى رؤية أقلية مسلمة حقيقية تعيش حياتها كمؤمنين حقيقيين.. وهذا شجعنى كثيراً وأزَالَ عنى ثقل الإحساس بأن هناك مسلمين غير ملتزمين، وجعلنى أدعو لهم بالتوفيق جميعاً.

وعندما تذكر «آسيا» عقيدة «السيخ» التى تدين بها أسرتها تقول فى أسىً وحُزن:

«السيخية ديانة محيرة، فهم يقولون[1] بوجود إله واحد، ولكنك تجد لديهم الكثير من التماثيل التى يقدسونها ويتبركون بها، وهم لا يجيزون أكل الأبقار كالهندوس، ولكن يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمور.. ولا يجيزون للمطلقة أو الأرملة الزواج مرة ثانية... وللطبقة الغنية معبدها الخاص. وللطبقة الفقيرة معابدها، وهذا عامل من عوامل تقسيم الناس، وهو مخالف تماماً للإسلام، فالفقير والغنى كلهم سواسية عند الله».

ثم تقف عند هذا التعبير متأملة وهى تقول:

«قد وجدت هذا الأمر أجمل ما فى هذا الدين، خصوصاً لمسلمة جديدة مثلى».

(١) تقصد: أتباعها.

ثم تهزأ حين تقول:

«الهندوسية والسيخية متصلة بعضها ببعض، والكتاب المقدس لديهم كتبه الرسل التى جاءت إليهم - حسب اعتقادهم - وهو عبارة عن نصائح وتوصيات لعمل الخير وتجنب الشر».

وتختم حديثها قائلة فى إصرار المؤمن:

«لقد فقدت عائلتى بأكملها عندما اعتنقتُ الدين الإسلامى، فقد عاملونى كمجرمة لا تستحق أن يعرفوها، ولذا قتلت شوقى إليهم، فليسوا كل شئ فى الحياة، فأشرف لى أن أموت وأنا مسلمة عن أن أنصاع لمطالبهم».

* * *

مع الأمريكية «لمياء» التى وجدت نفسها فى الإسلام

ظلت سنوات طويلة تبحث عن الحقيقة الكبرى حتى وجدتها فى الإسلام، فلم تتردد فى اتخاذ القرار الصعب باعتناقها الإسلام.. وعن رحلة إيمانها تقول «لمياء» الأمريكية:

«إن إقبالى على الإسلام كان حدثاً مفاجئاً وغير متوقع، بالرغم من أنه جاء فى وقت كنتُ أجد رضًا نفسى يتناقص يوماً بعد يوم تجاه المسيحية.. كان ذلك فى مرحلة التغيير التى تصاحب فترة البلوغ والرشد، ففى الأَشْهُر الأولى من التحاقى بالجامعة قابلت مسلمين - من عدة بلدان - يطبقون إسلامهم، حيث إن هناك مسلمين بالاسم فقط.

وبدأتُ أقرأ كتباً مترجمة عن الإسلام، بجانب ترجمة معانى القرآن الكريم، وكان من نتيجة ذلك أننى اكتشفتُ أن عقيدة التوحيد سلسة وغير معقدة... وأن منهاجه شامل ومتكامل يجمع مختلف أمور الحياة، ويفضل منهاج الحياة فى الغرب وبالرغم من أن بعض القيم فى الثقافة الغربية المتحضرة تتماثل مع بعض القيم الإسلامية، كتشجيع الاجتهاد والبحث عن المعرفة مثلاً، فإن أسبابها ودوافعها مختلفة.

ومن حيث الممارسة والتطبيق، فلقد كان الحجاب والصلاة والصوم عوامل غيرتْ فىَّ مجرى حياتى وسلوكى، فقد وجدت لنفسى كمسلمة حدوداً

وضوابط مريحة ومنطقية أستطيع فى إطارها أن أعيش حياة مطمئنة، لا يهمنى فيها رضاء أحد سوى الله سبحانه تعالى، بدلا من حياة الحرية اللامحدودة التى تعيشها المرأة الغربية، حيث لا تجد أمامها من اهتمامات سوى الموضة والأزياء وتسريحات الشعر و «الماكياج» ـ على سبيل المثال ـ وهى تحتاج عادة ـ إلى أكثر من ساعة قبل الخروج إلى مكان عام للعمل أو الدراسة أو الذهاب للخارج عموماً. فى حين أن المرأة المسلمة تحتاج إلى دقائق معدودة لترتدى حجابها. . هذه هى الحرية التى أحيا فى ظلها كمسلمة، والتى تعلمتُ منها ممارسة القيم الحميدة مثل احترام وطاعة الوالدين، وإكرام الضيف، وغير ذلك من قيم وفضائل».

وعن تصورات «ميَاء» الأمريكية عن الإسلام والمرأة المسلمة تمضى فى حديثها قائلة:

«قبل إسلامى كان لدىَّ انطباعٌ مُبهم من خلال افتراءات وسائل الإعلام الغربية أن الإسلام هو دين الإرهاب، ويضطهد المرأة، ولكننى فى نفس الوقت كنت أشعر أن ذلك الانطباع غريب وغير منطقى، وتأكد لى هذا الشعور عندما وقع فى يدى كتاب مهم جداً، هو «شبهات حول الإسلام» للأستاذ محمد قطب. . . . . وقد ساهم هذا الكتاب فى أن يوضح لى حقيقة الكثير من هذه الشبهات.

ومنذ أن نطقتُ بالشهادتين وحتى الآن لم أرْتَبْ أو أشك لحظة واحدة فى موقف الإسلام من المرأة أو أى قضايا أخرى. . فلقد وجدت أن تعاليم الإسلام منطقية تماماً، ومتزنة، وخالية من التناقض، من ذلك مثلا دعوة الإسلام لتحجب المرأة، وحث الرجل على حفظ حقوقها وعدم التفريط فيها.

وإن أكثر ما يثير إعجابى تلك الروابط الأُسَرية الوثيقة التى تجعل الفرد مطمئناً بأن هناك ـ وعلى الدوام ـ شخصاً ما بالقرب منه، على استعداد لمد يد العون إليه وتقديم الرعاية له، ولذلك قلما يوجد أى إحساس بالوحدة فى المجتمع المسلم».

وتعيش «لمياء» الأمريكية مع زوجها اليمنى فى بلده، تاركة أمريكا وبريق حضارتها المدنية لتنعم بالمعيشة فى كنف زوجها، تؤدى واجباتها الإسلامية نحو ربها وأسرتها[1].

* * *

مع السيدة الألمانية «إيزابيلا الغربيل»

لم تكن مقتنعة من قبل بتعاليم الدين الإسلامى، برغم سماعها عنه كثيراً. . ولكن بعد زواجها من مسلم اقتنعت بسلوكه وآدابه التى تمليها عليه تعاليم الإسلام. . . فماذا كانت النتيجة؟

تقول «إيزابيلا» فى نبرة سعادة خفية:

«انشرح صدرى، وبدأت أقتنع بكل ما يدور حولى، فأشهرتُ إسلامى بعد كثرة التحدث مع زوجى فى بعض الأمور الدينية، فوجدت أن الدين الإسلامى فيه معانٍ سامية، مثل حق المسلم على أخيه المسلم من التواصل والتراحم، والعطفُ على الفقراء والمساكين، وعدم ارتكاب الفواحش، وغير ذلك من معانٍ نبيلة أسعدتنى جداً عندما يتمثل بها الإنسان فى الحياة».

ولم يكن هذا هو الدافع الوحيد لضرورة إشهار إسلامها، ولكن كان هناك شئ آخر يحركها ويدفعها بعيداً عن دينها المسيحى الذى وُلدت وتربت عليه. . . عن ذلك تصرح قائلة:

«المسيحيون يقولون بأن هناك ربّاً وابناً وروحَ قُدس. . ومن الصعب التصديق أو الاعتقاد بهذا الذى يسمونه «الثلاثى المقدس». . . فى حين أن المقنع جداً هو ما جاء به الدين الإسلامى، والذى على أساسه لا يتم الاعتقاد إلا بإله واحد فقط. . ألا وهو الله الفرد الصمد، لا شريك له».

---

(١) صحيفة المسلمين الصادرة فى ٢٧/ ٣/ ١٩٩٢ (بتصرف).

وشئ آخر شدها إلى الإسلام بعد أن شعرت بشعور غريب لم تعرف كنهه.. كل ماتعرفه أنها وجدت نفسها مشدودة إليه.. إلى الأذان.. عن ذلك تقول فى حرارة وحماس:

«سمعتُ الأذان لأول مرة فى «ألمانيا» حيث يوجد مسجدان، أحدهما فى الشمال، والآخر فى الجنوب.. فكنتُ أسمع الأذان ولكن لم أفهم ما يُقال، ومع ذلك فكنتُ أشعر بشئ ما فى داخلى.. شعور غريب لم أشعر به من قبل.. وكان من الصعب علىَّ فهمه، ولكن بعد اعتناقى للإسلام بدأت أعى ما كنتُ أستشعره من قبل».

وتذكر «إيزابيلا» فضل زوجها فى الأخذ بيدها ومساعدتها فى تفهم تعاليم دينها الجديد فتقول فى امتنان وعرفان بالجميل:

«لا أنسى دور زوجى فى إقناعى وإشهارى للإسلام، إذْ كان هو المعلم الأول لى.. كما أن أهل زوجى وقفوا بجانبى، وصاروا يقدمون لى الكتب الدينية، ويساعدوننى فى تعلم القرآن الكريم».

ثم لم تلبث أن تزداد دائرة ابتسامتها وهى تكمل حديثها عن رحلة إيمانها قائلة:

«لقد بدأتُ أتعود على الصيام، كما تعودتُ على الصلاة، لأنه فرض على كل مسلم ومسلمة.. كذلك قمت بأداء فريضة الحج التى كانت أمنية غالية على نفسى طالما تمنيتها من الله جلت قدرته..».

وتصمت فجأة عند ذكر الحج وتغيم عيناها خلف دمعات تحجرت فلم تتساقط من التأثر لترتفع حرارة كلماتها وهى تقول:

«لا يتصور أحد مدى سعادتى وأنا أرى الملايين من البشر متجهة بقلب خاشع لرب العالمين.. وهذا شعور كل مؤمن».

ثم نضيف قائلة:

«إننى كلما تعمقت فى ديننا الحنيف، شعرتُ بأننى أسير فى طريق واضح منير، وخصوصا بعد حفظى للعديد من سور القرآن الكريم».

ومن الطريف المثير للإعجاب والتقدير أن تأسف «إيزابيلا» لعدم قُدرتها على دعوتها للغير بدخول الدين الإسلامى كواجب تستشعره تجاه دينها الجديد، وذلك لعدم تعمقها جيداً فى تعاليم الإسلام، مما يجعلها غير مؤهلة للقيام بالدعوة الإسلامية، كانت تذكر ذلك بأسى عميق(١).

***

مع الفرنسية «إيزابيل بوسون» التى صارت «ياسمين»

هى فتاة فرنسية فى السادسة والعشرين من عمرها، وجدت فى الإسلام ما جذبها إليه بعد أن أسلمت صديقة مقربة إليها... إنها قصة تحكيها فتقول:

«كانت حياتى السابقة أقضيها مع عائلتى التى كنتُ شديدة الارتباط بها، فلم أنفصل عنها مثل غالبية الشباب الأوربى الذى ما إن يصل إلى سن الشباب حتى يهجر عائلته ويعيش مستقلاً.

وكنتُ بطبعى أنفر من اللهو العابث ومظاهر المجون والاستهتار، ولا أشرب الخمر، وقد ساعدتنى على ذلك عائلتى المحافظة والمتمسكة بتعاليم الدين المسيحى».

ثم تضيف:

«لم ألتق طيلة عمرى مع مسلمين أو أتعامل معهم، وبالتالى لم يكن عندى أية معلومات عنهم، إلى أن حدث أن أسلمت صديقة مقربة لى بعد أن تعرفت على شاب مصرى مسلم وتزوجها، ودعتنى لأزورها فى بيتها مرات

(١) نهدى هذا الشعور لرجال الدعوة الإسلامية والهيئات المختصة فى مجال الدعوة وللمسلمين عامة.

كثيرة، حيث شاهدت الأسلوب الراقى الذى يُعامِلُ به الزوج المسلم زوجته، وخلو بيتها من الخمور.. كما لفت نظرى أن صديقتى صارت ملتزمة بآداب سامية فى التخاطب والتعامل مع الناس، فضلاً عن حرصها الشديد على أداء الصلاة فى وقتها، وذكرها الله سبحانه وتعالى كثيراً فى أثناء الحديث العادى مع زوجها.... عندئذ بدت لى أن حياة صديقتى وزوجها تتسم بالاستقرار والهدوء والاحترام المتبادل، بعد أن أخبرانى أن الزواج قائم فى الإسلام على الإخلاص والمودة والرحمة».

ومن هنا بدأت «إيزابيل» تفكر فى الإسلام، ذلك الدين الذى يُحيل الحياة المضطربة إلى استقرار وهدوء ومودةً، إلى أن تعرفت هى الأخرى على شاب مسلم يمتلك مطعماً فى باريس، يُدعى «عبد المجيد سلطان عبد الرحيم»، حدثها كثيراً عن الإسلام، وأجابها على استفساراتها وأسئلتها المتعددة التى دارت حول موضوعات كثيرة، منها نظرة الإسلام للمرأة ومدى احترامه لها، وحفاظه على كرامتها وحقوقها، ومن ذلك حرصه على ألا تختلى المرأة برجل غريب عنها.

كما أوضح لها أن الإسلام هو خاتم الأديان، وأن المسلمين يشهدون أن عيسى نبى له رسالته التى تدخل فى نطاق الإيمان لديهم... وأن للسيدة مريم العذراء مكانة سامية لدى المسلمين، يدافعون عنها أمام الاتهامات الباطلة.. ولاقت هذه الأحاديث المفصلة عن الإسلام والإجابات على استفساراتها ارتياحاً وقبولاً لديها.. كما لاقت طبيعة شخصيتها وما تتميز به من سمو نفسى ارتياحاً وقبولاً لدى هذا الشاب المسلم فتقدم للزواج منها... وعن ذلك تقول بنبرة سعادة تكشف أحاسيسها:

«وتقدم «عبد المجيد» لأهلى طالباً الزواج منى، وأنا سعيدة لرغبتى أنا أيضاً فى الاقتران به، إلا أن الرفض والمقاومة كانت من جانب أهلى، إذ كيف أتزوج شاباً مسلماً وأنا فتاة مسيحية؟!. ولكن استطاع «عبد المجيد» أن يجلس

معهم ويقنعهم بحديثه الهادئ الرزين بأنه لن يرغمنى على اعتناق الإسلام، حيث إنه لا إكراه فى الدين. . فرأوا فى شخصيته وحُسْن حديثه وسلاسته ما طمأنهم. . وتم الزواج».

وتصمت للحظات لتستطرد بعدها فى حديثها قائلة:

«بعد أن سعدتُ بالزواج من «عبد المجيد» أخذ يحدثنى أكثر عن الإسلام كعقيدة ومنهج فى الحياة. . كما أخذ يُزَوِّدنى ببعض الكتب الإسلامية المترجمة إلى اللغة الفرنسية، لعلى أجد فيها إجابات عن أسئلة أخرى تدور فى ذهنى. . وساعدنى فى ذلك أيضاً أحد أقارب زوجى، وهو متعمق فى الدين، فشرح لى سورة الإخلاص التى عرفت منها وحدانية الله، واستكانت نفسى إليها بعد أن اقتنعتُ تماماً بهذا المبدأ الذى هو أول أركان الإسلام، فأشهرتُ إسلامى».

والآن تداوم «ياسمين» ـ وهو الاسم الذى أطلقته «إيزابيل» على نفسها بعد إسلامها ـ على الذهاب إلى جامع باريس لتزداد علماً ومعرفة بدينها الجديد، ولتستطيع أن تصقل نفسها لتقوم بالدعوة إلى الإسلام بين الفرنسيات وغيرهن من الأوربيات[1].

***

(١) جريدة المسلمين الأسبوعية الصادرة فى ١٥/ ٢/ ١٩٩١ (بتصرف).

مع الإنجليزية «نيكولا كلارك»

فتاة إنجليزية نشأت فى أسرة مكونة من أمّ بروتستانتية وأب كاثوليكى. . . تعمل سكرتيرة بإحدى مستشفيات مدينة «برمنجهام» أتاح لها عملها الاختلاط والتعرف على العديد من الجاليات من مختلف البلاد والثقافات.

حدث أن دعتها مريضة مسلمة لزيارتها فى بيتها. . . وعندما ذهبت إليها شاهدت عن كثب نموذجاً للحياة التى تتطلع إليها، حيث الطمأنينة والوئام الروحى بين أفراد الأسرة. . مما جعل «نيكولا» تغيب عن نفسها وقد راحت تبحث عن سر الأمان والسكينة التى تنعم بها تلك المريضة هى ومن حولها من أفراد أسرتها. . وأخذت تتساءل وتقارن بين وضعها الأُسَرى وبين ما شاهدته بالفعل أثناء زيارتها تلك حتى اقتربت من السبب الحقيقى. . وعن ذلك تصرح قائلة فى إيمان:

«لقد عرفتُ أنه الإسلام، فآمنتُ به عن قناعة، وأعلنت إسلامى ولبست الحجاب».

ثم تضيف مبتسمة:

«لما شاهدنى الجيران فى زيى الجديد سألوا أمى: «ما الحكاية؟». . فقالت لهم ببساطة: «لقد أعلنت نيكولا إسلامها»عندئذ قالوا لها: ألست خائفة؟».

وتعلق «نيكولا» التى أصبح اسمها الآن «نائلة» على هذا السؤال بقولها:

«إنه ناتج عن سطحية التفكير الشائع فى إنجلترا، حيث يأخذ الناس

بأسلوب «التعميم» لفهم ما يحيط بهم من أمور، فعندما يرتكب أحد المسلمين خطأ يصبح كل المسلمين فى نظرهم مُدَانِين».

وتستطرد «نائلة» قائلة:

«إنها لا تهتم بهذه السفاسف، وأن مايهمها فى المقام الأول أن يقوى إيمانها، وأن يثبت قلبها على حب الله ودينه، وأن تتمكن من إنقاذ البنت الإنجليزية من الهاوية التى تردت فيها بعد أن أصبحت بسبب التقاليد والسلوكيات الغربية مجرد سلعة».

ومن العجيب أن تقول أم نيكولا - التى لم تعتنق الإسلام بعد - إنها سعيدة بابنتها إلى أقصى حد، بل وفخورة بها بعد أن أكسبها الإسلام توازناً فى حياتها، وقوة فى شخصيتها.

* * *

مع السيدة «آنا» التى صارت «هناء» المسلمة

نشأت فى بيئة مسيحية متعصبة بإحدى مقاطعات ألمانيا.. ورُبيت على الاعتقاد بأن الإسلام دين ابتدعه «راعى غنم» حسب ما يزعمه قومها.. وأن أَتْبَاعَ هذا الراعى يعبدونه.. فهم إذن لا يؤمنون بأن الخلاص لا يكون إلا بعبادة «المسيح» الذى افتدى البشرية بالصَّلْبِ على الصليب كما يقول الآباء والقساوسة على مر السنين.

كما أنها لم تكن تعرف شيئاً عن الإسلام سوى أنه يُمْنَعَ أتباعه من شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، ويبيح للرجال منهم «اقتناء» أكثر من زوجة، فليست المرأة سوى جزء من متاع الرجل.

تلك كانت كل معلومات «آنا» عن الإسلام والمسلمين، حتى جاء يوم رشحها أحد رؤسائها للعمل كممرضة فى مستشفى خاص فى المملكة العربية السعودية.. يومها اعترض زوجها، وترددت هى: أيمكن أن تذهب إلى حمَى الإسلام وهى لا تعرف عن المسلمين سوى ما لا يسرها.. لكنها

ما لبثت أن حسمت التردد حين التقت بذلك الشاب المسلم الذى جاء ليبرم العقود، إذْ أذهلها أدبه الجم، وتواضعه، وعزة نفسه، واعتزازه بعقيدته. . . فوافقت «آنا» على التعاقد. . وفى ذهنها أنها تجربة أو مغامرة أن تذهب إلى تلك البلاد المتخلفة ـ ديار المسلمين ـ إذْ كانت صورة المملكة فى تصورها عبارة عن صحارى بها عدة آبار للبترول لا يعرفون كيف يستخدمونها. . لكنها ما إنْ وصلت إلى المملكة حتى فاجأتها مظاهر العمران الحديث من ناطحات سحاب و «ڤلل» أنيقة، وشوارع متسعة نظيفة، وكبارى تربط بين أنحائها وغيرها من مظاهر التحضر العمرانى. وزادت دهشتها أكثر حين بدأ احتكاكها بالمجتمع السعودى. . فقد عرفت ـ للمرة الأولى ـ أن هناك طبيبات سعوديات، وأن فتيات المملكة يتسابقن إلى العلم حتى يصلن إلى أعلى درجاته، ولا أدل على ذلك من ازدياد أعداد الفتيات الجامعيات. .

ومما أعجبها ـ على حد قولها ـ مارأته فى هذا المجتمع من ترابط أُسرى، وحب الكبير للصغير، واحترام الصغير للكبير، وفوق كل ما يتحلى به المجتمع المسلم من أخلاق رفيعة، وبُعد عن الصغائر، وسوء السلوك.

ومما لفت نظرها أن ترى العمل يتوقف والمحالّ والمنشأت التجارية تغلق أبوابها كلما ارتفع صوت المؤذن فى المساجد بالنداء للصلاة. . كانت ترقب الناس وهم يتركون مالديهم من أعمال وأمور الدنيا ويتجهون إلى المسجد. .

إنها تذكر كيف كانت تنظر إليهم من بعيد وهم يقفون فى صفوف متراصة ـ على اختلاف جنسياتهم ومكانتهم الاجتماعية ـ بسكينة ووقار وهدوء جم ليعلو صوت شخص يتقدمهم فى الأمام وهو يَؤُمُّ الجَمْعَ، والكل يتبع حركاته وسكناته فى اتفاق بعيداً عن أى اختلاف.

لقد شدها هذا المنظر ـ منظر التقاء المسلمين فى الصلاة ـ وقارنت بينه وبين ما يفعله المسيحيون فى أوربا، من عدم احترامهم للكنائس، وقلة اهتمامهم بالصلاة، فضلاً عن عدم التزامهم بأى مسلك دينى أو خُلقى رفيع.

قادها ما رأته ولمسته بنفسها إلى تغيير الفكرة الخاطئة التى كانت منطبعة فى ذهنها عن الإسلام والمسلمين، إذ وجدت المرأة المسلمة على عكس ما صوروه لها... فقد وجدتها امرأة مثقفة، جَذَّابَة، متدينة، تتمتع بالحرية التى كفلتها لها الشريعة الإسلامية، تسمو بنفسها فوق ما يشينها من صغائر وسلوك لا يليق بها كامرأة ملتزمة بآداب منبعها دينها وخُلُقها الفطرى الطيب.. وذلك ما حببها فى الإسلام، فما رأته ولمسته فى المسلمات - ولاسيما زوجة مدير المستشفى التى تعمل بها - كان له تأثيره فى إعادة صياغة نظرتها عن هذا الدين.... فتعبر «آنا» عن ذلك بقولها:

«لقد حببنى فى الإسلام ما رأيته فى المسلمات من خُلُق رفيع، وخصوصاً حين تعرفتُ على زوجة مدير المستشفى التى ارتبطتُ معها بصداقة وثيقة مما يَسَّرَ علىَّ أن أعرف الكثير عن المسلمين وعقيدتهم، وأن ألمس ذلك الأمان النفسى والروحى اللذين يحياهما المسلم والمسلمة فى حين يفتقدهما الإنسان الغربى المسيحى، الذى صارت حياته لا تعرف سوى الضياع والتخبط، والعنف والجريمة، والسرقة، واللهاث المادى، والانحراف الأخلاقى، مهما قيل ويُقال عن ارتقاء حضارة الغرب».

وأخذت «آنا» تقترب من صديقتها زوجة مدير المستشفى محاولة أن تتعرف على الإسلام ومبادئه وتعاليمه.. وكان لها ما أرادت من معرفة وعلم بعقيدة الإسلام، قدمتها لها تلك الصديقة فى بساطة وإيضاح... وكان أكثر شئ شرح صدرها للإسلام هو ما تحكى عنه قائلة:

«لقد عرفت أن المسلمين يعبدون إلـهاً واحداً لا شريك له، وأن محمداً ﷺ وهو رسولٌ كُلِّفَ بإبلاغ الرسالة.. وأن لعيسى عليه السلام وسائر الأنبياء مكانة عالية فى نفوس المسلمين... وكم تأثرت عندما عرفت أن للسيدة مريم العذراء تلك المكانة العظيمة هى ولابنها عيسى عليه السلام حيث لا يذكرهما المسلمون إلا والتقدير والحب الكبير يحيط بهما، فبدأتُ أشعر أن الإسلام هو دين الحق».

ثم تضيف قائلة:

«لقد شعرتُ أن نفسى قد أفاقت على صورة جميلة مغايرة لما كان مستقراً فى عقلى من أكاذيب روَّجَتَ لها الدعاية الصهيونية والحاقدون على الإسلام».

وبرغم ذلك لم يكن ترك «آنا» للنصرانية سهلاً، فكيف تتخلى عن عقيدة عاشت معها سنوات طويلة لتنضوى تحت لواء ديانة أخرى لم يمر عام على تعرفها عليها؟

ثم ماموقف أهلها وزوجها فى «ألمانيا» حينما يعلمون بنبأ دخولها فى الإسلام؟.... هل يقبل زوجها الدخول معها فى دينها الجديد أم يرفض؟... إن معنى رفضه أن ينفصلا، فالمسلمة ـ كما عرفت ـ لا تحل إلا لمسلم، فهل يقبل زوجها طلاقها؟ أسئلة كثيرة اشتعلت بها رأسها فى ليال مسهدة عديدة عاشت فى خضمها.. كما تصف نفسها كَزَوْرَق تتقاذفه أمواج البحر العاتية، تدفعه حيناً إلى الشاطئ، وتجذبه تارة إلى عرض البحر حيث الغرق والموت، وهناك صوت يصرخ فى أعماقها: «آنا».. إلى متى تظلين تتخبطين فى ترددك؟!... أيهما أحب إليكِ: دنياك أم آخرتك؟».

وأخيراً حسمت «آنا» أمرها بعد أن استقر فى وجدانها أن عليها أن تتبع الإسلام ذلك الدين الأحق بالاعتناق، ولاسيما أن ما جاء به يتفق مع قناعة نفسها واقتناع عقلها.. فلم تتردد فى النطق بالشهادتين.. فتصف شعورها حينئذ بقولها:

«لقد شعرت براحة كبيرة، كأنما انزاح عن صدرى كابوس كان يؤرقنى.. أحسستُ بأنى وُلدت من جديد..واخترتُ لنفسى اسم «هناء» للسعادة والهناء الذى أنعم به الآن».

بعدها ذهَبَتْ للقاء صديقتها المسلمة زوجة مدير المستشفى لتعرف منها المزيد عن الإسلام وتعاليمه وآدابه لتخبرها بأمرها، فلم تملك صديقتها الا أن تحتضنها وتمدها بكل معلومة عن الإسلام تسعفها بها خاطرها حينئذ، ومن ذلك ضرورة ارتدائها للحجاب، فارتدت. هناء المرأة المسلمة الحجاب بعد أن

خلعت ثيابها السافرة مع حياتها الماضية عندما كانت تسمى «آنا»... إنها تقول بعد أن ارتدت الحجاب ـ لأول مرة:

«لقد شعرتُ بقيمتى.. فأنا الآن إنسانة مسلمة».

وبادرت «هناء» بالكتابة إلى أهلها وزوجها لتزف إليهم خبر إسلامها، وتدعوهم للدخول فى دين الحق، فجاءها الرد بالاستنكار والرفض، وأرسل زوجها إليها مطالبا إيَّاها بالعودة إلى «ألمانيا»، والارتداد فوراً عن دين الإسلام.. ولكنها قامت بدورها بالكتابة إليه شارحة له معنى الإسلام، وحقيقته، ومزاياه، وتعاليمه.. ولكنه أَبَى واستكبر إلا أن يظل على ضلالته، فلم تملك «هناء» إلا أن تأسَى على موقفه المتعنت مُرَدِّدَةً فى نفسها ما حفظته من قوله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾[1].

وبالتالى كتبت إلى زوجها مرة أخرى ساءلة إياه أن يُطلقها مادام لا يرغب فى اعتناق دين الحق، لأنها لم تَعُدْ تَحلُّ له، ولم يعد يحل لها وهى المسلمة وهو غير مسلم.

وطلقها زوجها، فلم تحزن أو تضعف فإيمانها بدينها الجديد جعلها تعرف أن الله عز وجل كبير لا ينسى عباده.. وهو ماحدث، إذْ لم تمر فترة على انتهاء عدتها حتى قيض الله لها زوجاً صالحاً، مصرىَّ الأصل، أمريكى الجنسية، يدعى «محمد سلامه».

والآن يعيش الزوجان المسلمان فى سعادة أسرية، يرفرف عليهما روح الإيمان والسكينة وطمأنينة البال.

ومن الطريف أن «هناء» لم تكتف باعتناقها للإسلام، وإنما تقوم بشرح مبادئ الإسلام ومزاياه لكل من تجد فيها خيراً من صديقاتها الغربيات، حتى

(١) سورة القصص ـ من الآية ٥٦.

أنها تمكنت بالفعل من إقناع صديقة لها تدعى «أرسولا» فاعتنقت الإسلام هي الأخرى وتسمت باسم «عبير».

وترى «هناء» أن هناك قصوراً فى الدعوة الإسلامية فى الغرب، وأن على الدعاة أن يتغلغلوا فى المجتمعات، ولا يكتفون بالدعوة على المنابر وعبر المراكز الإسلامية، كما أن عليهم أن يُفهموا الغربيين حقيقة موقع المسيح عليه السلام وأمه العذراء فى الشريعة الإسلامية، وكيف يوقره المسلمون باعتباره نبياً من أنبياء الله، بَشّرَ بمقدم محمد ﷺ.

إن أمنية «هناء» ـ كما تقول ـ أن يكتب الله لها من العمر مايسمح لها أن تعوض ما فاتها من سنى حياتها قبل إسلامها بالدعوة إلى الله فى وطنها، وبين قريباتها وصديقاتها لعل الله يكتب خلاص أرواحهن على يدها بإسلامهن[1].

* * *

مع الإنجليزية «وندى سميث»[2]

هى فتاة إنجليزية تعرفت على الإسلام من خلال تعرفها على شاب عربى (أردنى) مسلم، كان يدرس فى بريطانيا.... جذبها للإسلام بأخلاقه السامية وورعه الذى اتسم به سلوكه وتصرفاته مع من حوله، وما تحلى به من صفات لم تجدها فى غيره، من الصدق والأمانة والتواضع.

وعندما رغبت «وندى» أن توطد علاقتها وتقترن به كزوجة. أرادت أن تكون على شاكلته من الخصال الحميدة والسلوك الرفيع الذى يتميز به، وعرفت أن دينه الإسلام هو الذى يحثه على ذلك، فهو يدعو إلى مكارم الأخلاق.... عندئذ قررت أن تعتنق الإسلام.

وأخذت «وندى» تتعرف على تعاليم الإسلام وسلوكياته من خلال هذا الشاب المسلم الذى اقتنع بإيمانها وحُسن إسلامها، فأبدى رغبته فى الزواج منها، فرحبت بذلك، فقد كانت هى رغبتها من قبل، منذ أن تعرفت عليه.

(١) مجلة الفيصل العدد رقم (١٦٧) (بتصرف).

(٢) مجلة المسلمين ـ العدد الأربعون / نوفمبر ١٩٨٥ (بتصرف).

وبعد إتمام الزواج ازداد حبها للإسلام كعقيدة ومنهج للحياة، فألزمت نفسها بسلوكياته بعد أن عاشت متحررة طليقة من أى قيد أو التزام أخلاقى فى بيئتها الغربية، كأى فتاة غربية، ولذا فهى تندم على مافات من عمرها قبل أن تتعرف على الإسلام وسلوكياته، فتقول بصراحة وبدون مواربة:

«إننى نادمة على كل يوم أفنيته من حياتى قبل أن أعرف الإسلام وأعتنقه... فلقد كنت أتمنى لو أننى كنت أعرف هذا الدين منذ ولادتى»....

ثم تتعجب باستنكار قائلة فى موضع آخر من حديثها:

«كيف بالعرب والرسول محمد عليه الصلاة والسلام منهم، والقرآن بلغتهم.. والمساجد كثيرة... كيف يبتعدون عن هذا الدين؟!... كيف يقلدون الغرب...؟!

وصار إيمان «وندى» نابعاً من وجدانها وفكرها، وحرصت على تطبيق تعاليم الدين وسلوكياته فى حياتها بعد أن ازداد رسوخ إسلامها فى نفسها، حتى إنها رفضت الرجوع إلى أهلها الذين لم يرضوا عن إسلامها، برغم العروض العديدة التى قدموها لها، وبرغم التهديدات والوعيد لكى ترضخ لهم... ولكنها لم تُبَالِ ولم تستجب لهم.. لقد رفضت بإصرار أن تعود لملتها التى تركتها، فقد كانت مسيحية بروتستانتية... كما رفضت أن تعود فتاة غربية فكراً وسلوكاً.... وهى التى كانت متمشية مع سلوكيات الغرب بكل ما فيه من تحرر وإباحية... فلقد تغير كل شئ فيها بعد اعتناقها للدين الإسلامى.

وتذكر «وندى» أنها ـ الآن ـ لا تشعر بالغُربة بعد أن ابتعدت عن أسرتها التى تكره دين الإسلام، فناصبوها العداء... فتقول باطمئنان وسكينة:

«لا أحس بالغربة، ولا أشعر بها على الإطلاق.. الغُربة عندى هى أن أعيش بعيداً عن مجتمعى الإسلامى لا أن أعيش بعيداً عن أهلى.... فأهلى

الآن هم المسلمون. . . أهلى زوجى، وأقاربه، وأسرته. . . . أهلى أهل البلد المسلم الذى أقيم فيه».

ثم تبتسم فى استحياء قائلة:

«. . ولكن لا أنسَى أن ديننا الإسلامى يحثنا على ألا نُقاطِعَ الوالدين، فالله يقول: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ... ﴾[1]

لقد صارت «وندى» بعد أن أنعم الله تعالى عليها بالإسلام راضية كل الرضا تطلب من ربها أن يغفر لها ماتقدم من ذنبها وما تأخر. . . . إنها سعيدة بإسلامها، تشكر وتحمد الله على نعمته عليها. . نعمة الإسلام.

* * *

مع الآنسة الإنجليزية «مسعودة مستينمان»[2]

ذكرت هذه الآنسة فى تبرير اعتناقها للإسلام، بأنها لم تعرف ديناً آخر سواه يقبله العقل، وتنجذب إليه نفوس الناس بهذا القدر، وهذه السهولة.

إنها ترى الإسلام أكمل الأديان لأنه ـ أولاً وقبل كل شئ ـ يهدينا إلى معرفة الخالق الواحد، ويقنعنا القرآن الكريم بوحدانيته، فهو الخالق الأحد، الذى لا تدركه الأبصار. . العليم، القادر، القاهر، الأول، الآخر، الظاهر والباطن، الدائم، الرءوف، الرحمن، الرحيم، العفو، الغفور، الحكم، العدل.

وهكذا يصبح الكمال حقيقة.

ثم ذكرت أنه بينما يقرر الإسلام أنه هو الدين الصحيح، فإنه يعترف بالأديان السابقة، فيؤيد فى الوقت نفسه الحق الذى جاءت به تلك

---

(١) سورة الإسراء ـ من الآية ٢٤.

(٢) مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر عن أسباب اعتناقهم الإسلام: ترجمة مصطفى جبر، وتعليق إبراهيم الفحام (بتصرف).

الأديان. . . . وهذا التوجيه الحكيم الذى جاء به القرآن الكريم، واضح، تقبله العقول، وهو يرشدنا إلى طريق تحقيق الصلة السليمة بين الخالق والمخلوقات، وبذلك يتحقق الربط الوثيق بين الجانبين: المادى، والروحى، وهو ما يحقق التوازن بين قوتنا الذاتية، والقوة الخارجة عن إرادتنا. . . . وهذا بدوره يحقق الرضا والطمأنينة فى قرارة النفس. . . .

وليس هناك ماهو أقوى أثراً من هذا العنصر الهام فى الانسجام بين أى كائن حى وبين غيره. . . وبدون ذلك لا تستطيع البشرية السير بخطوات ثابتة فى طريق الكمال.

وتقول «مسعودة مستينمان» فى اعتزاز وإيمان: «إن الاسلام يدعونا إلى تقديس الله، وأن نخضع لشريعته، وفى ذات الوقت يدعونا ويشجعنا على استعمال العقل، مع مراعاة عواطف الحب والتفاهم جنباً إلى جنب».

* * *

مع السيدة الأمريكية «شهيرة سبيرز»

فى الفترة الأولى من حياتها كانت تباشر نشاطاً تطوعياً عن طريق فريق الكشافة الذى انضمت إليه، فكانت تعمل بدون أجر فى مهنة التمريض بالمستشفيات. . وفى الكنائس. . وطافت بأغلب بلاد العالم، ومنها باكستان، وإيران، وهناك تعرفت على بعض الأسر المسلمة، واختلطت بهم، وفهمت طريقة حياتهم كمسلمين، وكيفية العبادة فى الإسلام. . . فوجدت أن العبادة فى الإسلام بسيطة سهلة ميسرة. . . فعملية الوضوء والتطهر. . وطريقة أداء الصلاة فى خشوع فيها تطهير للنفس من شوائب الكبرياء والغرور، وتطهير للبدن من كل دنس. . فالصلاة وسيلة الاتصال المباشر بين الإنسان وربه.

كما وجدت أن الصيام فى الإسلام بسيط، وفيه فائدة صحية، ورياضة أخلاقية.

وذكرت السيدة «شهيرة سبيرز» أن الإسلام يدعو للأُخُوَّة بين الناس، مهما

اختلفت ألوانهم وأجناسهم، فهو دين الإنسانية فى كل مكان وزمان.. ولذا فقد أخذت تختلط بالأسر المسلمة أينما كانت.. بدافع خفى.

وقد حرصت على أداء فريضة الحج.. وعن مشاعرها أثناء ذلك قالت:

«عندما كنت فى طريقى إلى مكة، استولى على مشاعرى إحساس روحانى غامر، رُحْتُ أتخيل كيف سأرى الكعبة والمدينة بعينى... كيف سأجد نفسى وسط ملايين المسلمين بثوبهم الأبيض الطاهر، والكل يبتهل إلى الله ويقول.. الله أكبر.. الله أكبر...

ولما وجدت نفسى فى هذا المكان المقدس بكيتُ من شدة التأثر، ونبض قلبى بإحساس الفرحة والرضا... إن إحساسى فى تلك اللحظات لا يمكن بأى حال أن أعبر عنه بأى لغة كلامية.... لم أستطع أن أطلب من الله شيئاً، فقد كنت فى حالة من الذهول والدهشة والأخذ بروعة وقداسة اللحظة.

كل ما استطعت أن أطلبه من الله هو أن يغفر لى ماتقدم.. وأن يقبل إسلامى.. ويقبلنى من المسلمين التائبين».

وعندما سُئلت عن الإسلام فى أمريكا قالت:

«إن اعتناق الدين الإسلامى أصبح الآن ظاهرة واضحة ومنتشرة فى أمريكا بعد القراءة عنه، ومن هنا تأتى أهمية وجود كتب إسلامية وفيرة لدينا فى بلادنا.. وخصوصاً أن معظم الشباب الأمريكى لادين له، أو خارج عن دينه.. لكنه عندما يقرأ عن الدين الإسلامى فإنه يكتشف أنه أفضل من جميع الوجوه عن أى دين آخر، فيندفعون إلى اعتناقه...

ثم استطردت تقول بأسى واضح:

«ومما يؤسف له أن الإسلام هنا من الأديان التى بلا دعاية، ولا منشورات كثيرة عنها ولا مبشرين بأعداد كبيرة كما يحدث فى الدين المسيحى مثلا».

* * *

مع السيدة الإنجليزية «سعدية حسن شاه»

سيدة إنجليزية اعتنقت الإسلام عن رضا واقتناع تام.... عندما سُئلت عن سبب تحولها إلى دين الإسلام واعتناقها له قالت في هدوء وسكينة:

«لقد وجدتُ في الإسلام طمأنينة القلب، ووجدتُ أن الناس أكثر إخلاصاً تجاه بعضهم البعض.. كما أن هناك ثقة متبادلة بين المسلمين على اختلاف هويتهم ومشاربهم... وبرغم أن هناك تفاوتاً في درجات الغنى والفقر فإنني لمستُ إحساساً بعدم وجود أي تفاوت طبقي بمعنى الكلمة، خاصة فيما يتعلق بالمسائل والعلاقات الإنسانية...

ولم أر في حياتي أي مسلم في مكانة اجتماعية مرموقة يشعر بالحرج أو الخجل من زيارة العائلات المسلمة المتواضعة في مكانتها الاجتماعية، وإقامة علاقات إنسانية وطيدة معها.... في حين أن هذه الأمور في بلادنا - في الغرب - تبدو مختلفة تماماً».

***

مع اليابانية الآنسة «فاطمة كازو»

كانت ترقب فى قلق ذلك التدهور السريع فى إيمان قومها بدينهم، عندما أخذوا يألفون الحياة الأمريكية، فتشعر فى أعماق نفسها بأن هنالك شيئاً ما قد فقدته معهم.. ولكنها لم تستطع أن تحدد كنه ذلك الشئ فى بادئ الأمر.... وظلت روحها تستصرخها لتضع حداً لهذا القلق.

وتمضى الأيام وتشاء الأقدار أن تتعرف على رجل مسلم يقيم فى «طوكيو» منذ فترة.. كان سلوكه وأسلوبه فى الحياة وطريقته فى العبادة يثيران دهشتها... فسألته عن أمور كثيرة عن دينه.. وكان يثير دهشتها أن إجاباته عنها لديها شافية مقنعة، تشبع العقل والروح معاً.

هكذا كان أمرها فى بدايات الطريق للإسلام كما تحدثت... ولاسيما أنها تذكر كيف عَلَّمَها ذلك الرجل المسلم أن تحيا وفق القواعد التى رسمها الله لعباده الذين يرضى الله عنهم... وتذكر فى الوقت ذاته ما كان يدوْر بخلدها قبل أن تلتقى به من نظرتها إلى الحياة والناس، وكيف تغيرت عندما انتهجت منهج الحياة الإسلامية وهى تشعر بأنها على وئام مع خالقها ومع نفسها... تعبر عن ذلك قائلة:

«إننى لتستهوينى طريقة الحياة الإسلامية فى صفائها وبساطتها وانطباعها بالسلام.. انظُرْ مثلاً إلى تحية المسلم: «السلام عليكم ورحمة الله

وبركاته» . . إنها دعاء للسلام من عند الله، ودعاء بالسعادة الأبدية، وشتان ما بين هذه التحية وغيرها من «صباح الخير» و «مساء الخير» تلك التحيات الموقوتة بتمنى الخير صباحاً ومساءً، ليس فيها معنى الرجاء الدائم، وليس فيها دعاء لله نستمطر به رحمته وبركاته».

ثم تقول فى ارتياح يعبر عن إعجابها بأسلوب الحياة الإسلامية فى بساطتها وصفائها:

«إننى مقتنعة تماماً بأن الإسلام هو وحده الكفيل بالأمن والطمأنينة فى حياة الأفراد والجماعات على السواء، وأنه وحده هو الذى يقدم للبشرية السلام الحقيقى الذى طال سعيها وتشوقها إليه. . ويسعدنى أننى وفقت إلى هذا السلام، وكم أتمنى لو استطعت أن أنشر الإسلام بين قومى ما استطعت إلى ذلك سبيلاً» .

* * *

الفصل الرابع

سيدات تعرفن على الإسلام من خلال الزواج

* مع الزوجة الأمريكية «إدناياجى»... «بعد أن تزوجت حرصت على أن أتعرف على دين زوجى، فوجدته ديناً حقيقياً».

* مع الزوجة الألمانية «دورنيه امبغ»... «عند هذا الزوج المثالى عرفت دين الإسلام بأخلاقياته الحميدة».

* مع الزوجة البريطانية «عائشة عبد الله»... «أعجبنى من زوجى هذا القول» «لا أكْرِهُكِ على أن تكونى مسلمة لله ثم لك الأمر».

* مع الزوجة الإيطالية «مريم باتريس»... بعد أن أنجبت طفلى الأول قررت أن أعرف شيئاً عن الإسلام حتى اقتنعت به».

* .... وزوجات أخريات.

مع السيدة الأمريكية «إدناياجى» بعد عشرين عاماً من إسلامها

نشأت فى أسرة نصرانية بالولايات المتحدة الأمريكية. تقابلت مع زوجها فى بداية الستينيات، حيث كان يكمل دراسته الجامعية واتفقا على الزواج... طلب منها أن تتعرف على الدين الإسلامى... وبالفعل بدأت البحث عن الكتب المتوفرة عن الإسلام باللغة الإنجليزية... وتسترجع «إدناياجى» ذكريات حبيسة فى نفسها فتحكى قائلة:

«بعد أن تزوجتُ حرصتُ على أن أتعرفَ على الإسلام دين زوجى، فكثفتُ من قراءاتى فى الكتب المتوفرة عن الإسلام، وشعرت باقتناعى به، فلم أجد صعوبة فى ذلك قط، فقد وجدته دينا حقيقياً لابد أن يدخل قلب وقناعة أى إنسان بسهولة، فأعلنتُ إسلامى... وتعرضتُ فى تلك الفترة لبعض المضايقات، خاصة فى المستشفى الكاثوليكى الذى أنجبتُ فيه طفلى الأول، بالرغم من أننى لم أكن أرتدى الحجاب فى ذلك الوقت».

وتمضى «إدنا» قائلة:

«مازال بعض الناس حتى الآن يستغربون تمسكى بالإسلام وتعاليمه برغم كونى أمريكية، بل يتوقعون منى أن أتصرف تصرفات منافية للتقاليد الإسلامية، ولا يقتصر هذا التصور على من أعرفهم من غربيين، بل على العرب والمسلمين أيضاً الذين يقلدون الغرب تقليداً أعمى، وأنا لا أفهم لماذا يتصورون ذلك برغم كونه خطأ؟!».

ثم تضيف مستنكرة:

«الأغرب من ذلك أن بعض العزب والمسلمين لا يعجبهم أننى أرتدى الحجاب، وأنا حزينة لذلك، فمن المفروض أن يكونوا أكثر تمسكاً بتعاليم دينهم!».

ومن الجدير بالذكر أن «إدناياجى» قامت بمراسلة بعض الصحف التى تصدر باللغة الإنجليزية، وكتبت عن الإسلام وقدمته وعَرَّفَتْهُ للأجانب، كما ناقشت عدة قضايا خاصة به، وطالبت بمنع تقديم الخمور فى الدول الإسلامية.

وكانت ترد ـ كذلك ـ على كافة ادعاءات أعداء الإسلام فى تلك الصحف، فضلاً عن أنها قامت بكتابة القصة القصيرة ذات العبرة الإسلامية بطريقة غير مباشرة.

وعن التزامها بالسلوك الإسلامى تقول «إدنا»:

«مضى علىَّ ـ الآن ـ أكثر من خمسة عشر عاماً منذ بدأت المداومة على الصلاة وارتداء الحجاب، ولم أقصر منذ ذلك الحين. كما يوجد عندى نسخة لمعانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، وأداوم على قراءتها».

ثم تصمت برهة وقد غامت عيناها خلف سحابة حزن وألم لتقول:

«لكننى ـ أحياناً ـ أشعر بالإحباط عند مواجهة الناس، ففى أمريكا ينظر إلىَّ الجميع باستغراب، وقد تعرضتُ لعدة حوادث مزعجة بسبب ارتدائى الحجاب واعتقاد البعض أننى غريبة... كذلك لا أشعر بالراحة مع بعض العرب والمسلمين الذين يحيطوننى باستغرابهم لأننى أرتدى الحجاب والتزم بتعاليم الدين، ولكننى أحمد الله على أن أهل زوجى يعاملوننى معاملة طيبة جداً، وهم يلتزمون بروح الإسلام وتعاليمه، وقد تعلمت منهم الكثير، ولذا فأشعر بالراحة والطمأنينة معهم».

وتختتم «إدنا» حديثها بحمد الله كثيراً على أن أنعم الله عليها بنعمة الإسلام، وبأسرة مسلمة مكونة من ثلاثة أولاد وثلاث بنات، وبزوج مسلم يخاف الله، وجميعهم يلتزمون بالتعاليم الإسلامية، ويداومون على الصلاة، وأداء جميع الفروض التى فرضها الله على عباده، حتى ابنتها التى تدرس فى أمريكا تداوم على جميع الشعائر الإسلامية، لا يثنيها عنها الانحرافات والفساد الذى استشرى فى مجتمعاتها[1].

* * *

مع السيدة «جين مانسفيلد»
التى صارت «فاطمة الشرقاوى»

هى سيدة أمريكية الجنسية، بدأت رحلة الشك منذ رحل عنها زوجها الأول وترك لها صبياً فى الثانية من عمره، وقتها فكرت فى الأسباب، وتجسم لها الموت، وراحت تبحث عما وراءه، حتى التقت بشاب مصرى مسلم يدعى «فؤاد الشرقاوى» يدرس الهندسة الميكانيكية فى إحدى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية... تحدثت معه عن حيرتها بعد أن هجرت الكنيسة ولم تعد تؤمن بها، وبرغم أنها كانت تؤمن بالله فإنها لم تكن تدرى كيف تصل إليه.. فحدثها عن الإسلام كعقيدة لها مبادئ وتعاليم وآداب، وبدأ يجلب لها الكتب التى تزيد من معرفتها بالإسلام وصحة وجهته فى معالجة أمور الحياة..

وفى هذه الفترة التى سبقت اعتناقها للإسلام شعر كل منهما بعواطف جياشة بالحب والود تجاه الآخر، مما دفع هذا الشاب «فؤاد الشرقاوى» لأن يخبرها برغبته فى الزواج منها بعد أن رأى فيها الزوجة الصالحة التى يمكن أن تشاركه الحياة، متيقناً بأنها يمكن أن تتغير عندما تدرك حقيقة الإسلام التى مازالت - وقتها - مشوهة فى داخلها بفعل الدعايات المضادة للإسلام فى

(١) صحيفة المسلمين فى عددها الصادر فى ٢٧/ ٩/ ١٩٩١ (بتصرف).

أمريكا، آملاً بأنها مع مرور الوقت والتوجيه السليم سوف تؤمن، لأنها كانت فى حالة حيرة شديدة.. وتم زواجها بـ «فؤاد» الذى سعدت به.. ويتعامله معها فى مودة ورفق واحترام لشخصيتها كامرأة لها حقوق عنده كما لها واجبات، فازدادت له حباً وإعجاباً، وتغيرت نظرتها عن الرجل فى المجتمعات الشرقية.. فتعبر عن ذلك بقولها:

«لقد كنت أعتقد أن الشعوب الشرقية تنظر للمرأة على أنها خاضعة للرجل، مُكَرَّسة لخدمته وخدمة بيته، وليس لها شخصية حقيقية فى مواجهة الزوج، لا داخل المنزل ولا خارجه.. فى حين كنت أرى أنه يجب أن تكون لى شخصيتى المستقلة غير الخاضعة بأى مقياس للزوج، حيث إن الحياة الزوجية مشاركة بين الزوجين، بمعنى التكامل وليس التنازع.. وعندما تزوجت بـ «فؤاد» بدأت أتفهم ماقدمه الإسلام للمرأة من حقوق، وكيف ساوى بينها وبين الرجل فى كثير من الحقوق والواجبات، كما بدأت أتفهم العادات العربية الإسلامية».

ثم أردفت قائلة:

«لقد أخذت أقرأ كل ما يُتاح لى من الكتب لأقترب بوجدانى وعقلى من فكرة كانت بعيدة فى نفسى وبدأت تقترب من السطح.. ومن خلال هذه القراءة تفتحت أمامى أبواب كانت مغلقة، وظهرت لى علامات استفهام عديدة كان لابد من الإجابة عنها بصدق وموضوعية، وقد تولى ذلك زوجى، فقد كنا نتناقش بموضوعية، ويعرض كل منا وجهة نظره».

وتمضى السيدة «جين مانسفيلد» فى بيان خطواتها على طريق الإيمان فتقول:

«بعد أن انتهى زوجى من دراسته فى الجامعة قرر أن ننتقل للحياة فى مجتمع عربى ليتسنى لى الاختلاط بالمجتمع العربى المسلم، ولأرى المرأة العربية المسلمة على الواقع، لأستيقن بنفسى أنها شريكة للرجل فى حياته،

وكانت مفاجأة بالنسبة لى أن وجدت المرأة تشارك الرجل فى كل شئ، وتناقشه بحرية، وتعيش فى كنفه بأمان واستقرار وسعادة، شاهدت ذلك فى بيوت أهل زوجى وأصدقائه فى القاهرة، ثم فى سلطنة عُمان التى انتقلنا إليها لظروف عمل زوجى فيما بعد... لقد تكونت لى صورة مغايرة تماماً عمَّا كان مرسوماً فى ذهنى عن العرب والمسلمين، حيث إن المجتمع الأمريكى يرى أن المجتمع العربى المسلم مجتمع شرس، يُحب القتل، ويستعبد المرأة...

ولذلك ما رأيته وعايشته بنفسى فى المجتمعات العربية المسلمة قد أعاد التوازن لهذه الصورة الرديئة التى رسمها الإعلام الأمريكى عنها».

ويشير زوجها «فؤاد الشرقاوى» إلى التحولات الجذرية التى انتقلت إليها زوجته نتيجة قناعتها التدريجية بالإسلام فيقول:

«بعد فترة قصيرة من الزواج طلبتُ من زوجتى أن تكف عن العمل وتتفرغ للبيت، باعتبار أن مهمة الرجل فى الإسلام أن يكفل بيته وأسرته، غير أنها اعترضت بشدة على هدا الطلب فى البداية.. فلم أُلزمها به، وإنما طلبتُ منها أن تخوض التجربة ثم تقرر بنفسها.. وبالفعل توقفت عن العمل لفترة، ثم عادت إليه، ولكنها لم تبق به سوى خمسة أيام فقط قررت بعدها أن تتوقف عن العمل لتتفرغ للبيت ولتربية الأطفال بطريقة سليمة... فقد شعرت ـ بعيداً عن أى عناد وتصلب فى الفكر ـ أن البيت فى وجودها أكثر استقراراً.. رأتنى ورأت طفلها من زوجها الأول «آدم» أكثر سعادة وارتباطاً، فقد كنتُ أُعامل «آدم» كابنى تماماً، وكان هو يشعر أننى والده، وارتبط كُلٌّ منا بالآخر.

وقد أحب «آدم» العرب والمسلمين من خلالى، فكان يشجع أمه على القراءة عن العرب والإسلام، وخصوصاً أنها تحب القراءة والمعرفة والتعليم...

ومن الطريف أن زوجتى كان تسعد جداً عندما ترى ابنها «آدم» يصلى كما أصلى[1] ويتحدث كما أتحدث، مما شَكَّلَ ذلك دافعاً قوياً جداً للأم لتقترب من الإسلام أكثر. . .».

ويضيف زوجها «الشرقاوى» الذى تسمت به بعد إسلامها:

«. . وحتى عندما تزوجنا وتمت المراسم على الطريقة الإسلامية أمام مأذون حقيقى، سألها عن المهر حتى يسجله فى عقد الزواج، أبدت دهشتها وقالت: أنها لا تريد مهراً. . وعندما أكد لها ضرورة أن تطلب مهراً، طلبت دولاراً واحداً مقدماً، ودولاراً آخر كمؤخر، بعد أن حاول المأذون أن يفهمها أن هذا حقٌ من حقوقها، ويمثل ضماناً لها. . . قالت له: إنها إذا قررت الانفصال فلن تكون فى حاجة لأموالى. . وهذا يوضح أنها كانت تفكر للمستقبل البعيد ولا تفكر فى الزواج كمرحلة وقتية».

وأخذت «جين مانسفيلد» تقرأ كثيراً عن الإسلام، وقد شجعها على ذلك زوجها الذى أتاح لها فرصة القراءة المكثفة. . وربما كان من أبرز الكتب التى تركت تاثيراً واضحاً على شخصيتها كتب الداعية الإسلامى «أحمد ديدات» الذى قالت عنه:

«أنه لايحاول أن يُرَغّبَ القارئ فى الإسلام فى البداية، ولا يستدل بآيات القرآن الكريم للتدليل على توجهه، وإنما يظل حديثه مُنْصَبّاً على ما تذكره الكتب السماوية الأخرى، وكيف تقود هذه الكتب إلى أمر آخر مكمل لها، ومتمم لما جاءت به، وعندما يبدأ فى التحدث عن الإسلام تكون الأرض قد مهدت أمام القارئ ليتفهم عن وعى ويقين».

وكان آخر ما قرأته من كتب هو سيرة حياة الرسول ﷺ، ونسخة كاملة من تفسير القرآن الكريم باللغة الإنجليزية قررت بعدها ـ كما يذكر زوجها ـ أن تعلن إسلامها رسمياً.

---

(١) هذا يعطينا انطباعاً قوياً على أن الإسلام دين الفطرة.

وذهبت «جين ما نسفيلد» إلى مفتى سلطنة عمان ـ حيث كانت وقتها هى وزوجها يقيمان بها ـ وقد ارتدت الحجاب لتعلن إسلامها بعد رحلة شاقة قطعتها بين أمريكا ومصر وسلطنة عمان، لتصل فى النهاية إلى اليقين الذى يرتاح قلبها إليه.. وما إن نطقت بالشهادتين «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» حتى انفجرت باكية بدموع سعادة تغمر وجهها، لتجد ساعدى زوجها تضمانها بحنان ورفق، وتباركان لها إسلامها.

وصارت «جين مانسفيلد» «فاطمة الشرقاوى»... فاطمة على اسم ابنة الرسول الكريم.. و «الشرقاوى» على اسم زوجها المصرى «فؤاد الشرقاوى» الذى مَهَّدَ الطريق أمامها لتكون مسلمة ملتزمة، تؤدى الفروض الخمسة فى أوقاتها ببعض الكلمات العربية القليلة التى حفظتها..

ويذكر زوجها «فؤاد الشرقاوى».. أنه قبل أن يؤذن للصلاة تكون قد توضأت وأصبحت مستعدة للصلاة فى ميقاتها.. والأمر المثير أنها كلما استمعت للمؤذن تبكى بحرارة وتقول إن هناك أمراً ما يجذبها للأذان ويجعلها تتأثر بنغمته وكلماته ودعوته للناس للعبادة بشكل رائع... والكلام هنا مازال على لسان زوجها.

وتبكى «فاطمة الشرقاوى» بحرارة كلما تذكرت ضلالها منذ سنوات بعيدة عندما كانت مسيحية تذهب إلى الكنيسة لتؤدى طقوس وشعائر لم تكن تؤمن بها توقفت عنها فيما بعد لتبدأ رحلة شك تقطعها لتصل إلى بر الطمأنينة وسكينة النفس عندما تعرفت على عقيدة الإسلام التى جعلتها ـ كما تقول ـ تشعر باستكمال ماينقصها، فلم يعد هناك ما تبحث عنه بعدما وجدت الحقيقة.

إنها تذكر فترة ضلالها عندما كانت ترتدى ملابس «الجينز والبلوز» وسفورها بالثياب المكشوفة، مما كان يجلب عليها معاكسات الشباب بنظرتهم النهمة لمفاتن جسدها... ثم تقارن ذلك بوضعها الآن كامرأة متحجبة تحفظ

نفسها من الناس، وهذا ما يريده الإسلام للمرأة على حد تعبيرها. . . ومن هنا فهى تعتز بالزى الإسلامى الذى يصون المرأة، ولذا فعندما سُئلت: هل ستبقين على هذه الملابس عندما تعودين لأمريكا؟ . . أجابت بحماس واعتداد بالنفس: «نعم. . لن أخلعها أبداً. . . لأننى مقتنعة، ولأن لدىَّ هدفاً أريد أن أحققه، ولن أهتم بأننى سأكون مختلفة. . . يكفينى أننى سعيدة جداً بها، لأن فيها ما يحفظ المرأة من أعين المتطفلين».

وهكذا صارت «فاطمة الشرقاوى» المرأة المسلمة حريصة على ارتداء الحجاب، مما جعل وجهها يشع بنورانية مضيئة. . نورانية الالتزام بمنهاج الإسلام الذى رسمه للمرأة فى ثيابها. . . كما هى حريصة على الالتزام بواجباتها نحو ربها، بقيامها بأداء الفرائض التى فرضها على المسلم، فتذكر أنها حريصة على أداء الصلوات الخمس التى أمرنا الله بها حيث تقول:

«إننى أُصَلّى لأن الله أمرنا بأن نصلى. . والصلاة تَعَوُّدٌ، ولابد أن أتَعَوَّدَ عليها، ثم إن الله خَلَق الناس لكى يعبدوه، وهو يختبرهم فى الدنيا، وكثيرون منهم ينصرفون عن العبادة، ولكن من ينجح فى الاختبار فسوف يدخل الجنة فى النهاية. . وأنا أريد أن يرضى الله عنى، وأن أدخل الجنة، لذلك أصلى، وحتى يحقق الإنسان هدفاً كبيراً فى حياته لابد أن يتعب».

وتحرص «فاطمة الشرقاوى» أيضاً على قراءة القرآن الكريم بلغته العربية التى تواظب الآن على تعلمها وإتقانها، فتعبر عن ذلك بقولها: «يجب أن أتعلم اللغة العربية وأتقنها، لأنه يجب أن أقرأ القرآن الكريم بها. . . »

وعن موقف أهلها بعد إعلان إسلامها. . قالت فى هدوء وراحة نفس:

«الحمد لله، سارت الأمور معهم بشكل طبيعى وبلا مشاكل، فقد أرسلت إليهم جميعاً أخبرهم بإسلامى، وأكدت لهم أننى اخترتُ الإسلام بإرادتى الحرة، ولم أتعرض لأية ضغوط. . ».

ثم ابتسمت وهى تضيف:

«وقد دعوتهم إلى اعتناق الإسلام، بل وعرضت عليهم أن أساعدهم إذا أراد أحد منهم أن يؤمن بالله وبالدين الصحيح.... كذلك دعوتُ صديقاتى فى أمريكا لاعتناق الإسلام، بعد أن أوضحتُ لهن أننى وجدتُ فيه السعادة الحقيقية التى يبحثن عنها جميعاً...

وصمتت برهة لتلقط أنفاسها وهى تكرر قولها:

«لقد دعوت صديقاتى لأن يقتربن من الإسلام.. دين الحقيقة.. وأن يعلن رفضهن لأسلوب حياتهن لأن لن يصل بهن فى النهاية إلى شئ سوى الخسارة والهلاك».

وعن سبب محاربة الإسلام واستهدافه فى الغرب دائماً... كانت للمرأة المسلمة «فاطمة الشرقاوى» رؤية صادقة عبرت عنها بقولها:

«معظم أماكن العبادة تقوم فى الغرب بعمليات تجارية.. أو هم يجعلون من العبادة عملية تجارية من أجل الكسب، ولذلك فهم يحاربون الإسلام كما يحاربون أى دين آخر من أجل مصالحهم.. وكل هذا يرجع إلى سبب واحد، هو أنهم لا يريدون أن يفهموا الحقيقة، أوهم يفهمونها ثم ينكرونها».

هذه هى السيدة «جين مانسفيلد» المرأة الأمريكية التى تنعم بإسلامها الآن بعد أن هتفت من أعماقها:

«آمنت بالله ربّاً.. وبالإسلام ديناً... وبمحمد ﷺ نبياً ورسولا»(١).

***

(١) مجلة سيدتى الصادرة فى ٤/ ٣/ ١٩٩٠ (بتصرف).

مع السيدة الألمانية «دورنيه أمبغ»
أو «عائشة عبد الله»[1]

برغم أنها ولدت عام ١٩٥٠ فإنها تصر على أنها وُلدت عام ١٩٨٦، وهو العام الذى اعتنقت فيه الإسلام، وارتدت الحجاب، وشعرت بالغربة فى بلدها الأصلى «ألمانيا» فاستقرت بأولادها الأربعة فى مصر، حيث البساطة، وصلة الرحم، وقوة الإيمان... لقد تركت عملها فى معمل التحاليل الطبية «بميونيخ» وتطلعت إلى دور اجتماعى أفضل بعد أن استقر فى وجدانها أن كنوز الدنيا لا تغنيها عن نسمة إيمان، وقطرة طمأنينة، وابتسامة زوج حانية.... فتروى «دورنيه أمبغ» عن رحلة إيمانها فتقول:

«إنها كانت بين زوجين: الأول رجل ألمانى عاشت معه بضعة أعوام وهو على سكره وعربدته واستهتاره الذى انتهى إلى أن طلقها فى لحظة واحدة، وكأنه يبدل أحد أثوابه...

والزوج الثانى رجل مصرى مسلم يعمل متخصصاً فى جراحة المخ والأعصاب فى «ألمانيا»، وهو نموذج للرجل الحقيقى، حُسْن أخلاق، وعفَّةُ نفسٍ، لا يتعامل مع الخمور أو المخدارات كزوجى السابق.. وعند هذا الزوج المثالى دخل الإيمان قلبى، فقد عرفتُ من خلاله دين الإسلام بأخلاقياته الحميدة.. ثم تسرب الإيمان بداخلى أكثر وأنا أسمع آيات القرآن

---

(١) صحيفة المسلمين فى عددها الصادر فى ١٠./ ١ / ١٩٩٢ (بتصرف).

تتلى، فأشعر بهزة عنيفة فى نفسى، برغم أننى لم أفهم لغته العربية وقرأت ترجمة عن تفسيره، فعرفت الله والرسول، والحق والباطل، والدين والدنيا».

ثم تتوقف برهة قصيرة لتندفع بعدها فى الكلام قائلة:

«إن أعظم ما وجدتُه فى القرآن أن كل مشاكل الحياة النفسية والمادية وضع لها حلاً مطمئناً، وأعظم تلك الحلول أن القرآن يُعَلّم الإنسان التسليم لمشيئة الله سبحانه وتعالى، فصرتُ لا أُفارقه ولا يفارقنى، وأشعر بآياته تسرى فى كيانى، فتدب الحيوية فى عروقى وحياتى كلها.... ولذا لم أجدُ بّداً من اعتناق الإسلام الذى انجذبت إليه، فأشهرتُ إسلامى، وحملتُ اسم «عائشة» بدلا من «دورنيه أمبغ» الذى يذكرنى بحياتى قبل إسلامى التى كان فيها اهتمامى مقصوراً على الأنا الذاتية فقط بدون أَدْنَى مراعاة لأى فرد آخر.. ولكنى تعلمتُ العطاء والقناعة، والإحساس بالرضا من المسلمين الذين تعاملت معهم، وخصوصاً زوجى الدكتور «عدلى العطار»، فهذه هى أخلاق الإسلام التى يأمرنا بها».

وتسترسل «عائشة» فى حديثها لتقول:

«إننى أعيش الآن فى مصر أرعى أبنائى «ياسر» وعمره ست سنوات، و«سارة» وعمرها أربع سنوات من زوجى المسلم، بالإضافة إلى أبنائى من زوجى السابق «محمد» وعمره أربعة عشر سنة، و «أمير» وعمره خمسة عشر سنة، و «تسنيم» عمرها ستة عشر عاماً».

ولم تلبث أن تستدرك قائلة:

«لقد نسيت أن أذكر أن ابنتى «تسنيم» كان اسمها «كريستينا» قبل أن تسلم معى، وقد اخترت لها هذا الاسم، لأننى عرفت أنه اسم عين من عيون الجنة... كما اخترت لابنى «جاك» اسم «محمد».. ولابنى الآخر «إدوارد»

اسم «أمير» ويقوم ابناى «محمد» و «أمير» بتفسير وترجمة ما يستعصى علىَّ فهمه من القرآن. . وهما يتبادلان يوميّاً موقع الإمامة فى الصلاة معها. . . . وبعد ذلك أخذت فى التردد على المسجد، فعجبتُ وسعدتُ بهذا المكان الذى كلما دخلته هدأت نفسى وشعرت بالاطمئنان والراحة.

كما نسيت أن أذكر أنه بمجرد ارتدائى للحجاب صرت أجنبية عن بلادى، بل إنهم تمنوا طردى، وهذا يرد على مزاعم الغرب بتعصب المسلمين، فالغرب أشد تعصباً ضد الإسلام والمسلمين، فى حين أننى لا أشعر ـ الآن ـ بالغربة فى مصر أبداً منذ وطئتها قدماى، بل أجد كل عَوْنٍ وبسمة على الوجوه، فتزيل كل إحساسى بالتعب، وخصوصاً من أُسرةَ زوجى التى تساعدنى فى رعاية أبنائى، ولا تنقطع زيارتهم لى، مما يشعرنى بالأمان التام، وهذا ما لم أشعر به فى بلدى، سواء قبل إسلامى أو بعده، فيعجبنى جداّ صلة الرحم التى يحث عليها الإسلام ويضعها فى مرتبة عالية ضمن سلوكيات المسلم. .

كما لم أشعر بفراغ قط، فالفراغ لم يكن يوماً فى الوقت، بل إنه فراغ فى الفكر والروح والشخصية. . . وصحيح أن مراحل أبنائى مختلفة، مما يتطلب القيام بمجهود أكثر فى رعايتهم، ولذا فأنا أؤمن بأن رسالة المرأة الحقيقية فى بيتها، وهذه أعظم رسالة».

وبعد. . فهذه امرأة ألمانية اعتنقت الإسلام بعد أن استشفت أخلاقياته التى يدعو إليها، والتى تمثلت فيمن تزوجته، ومع غيره الذين تعاملت معهم، وهذا ليس بعجيب أو جديد، ولاسيما لو تفحصنا قصص الذين اعتنقوا الإسلام فى الماضى أو الحاضر.

* * *

* مع الفتاة الألمانية «آنى ليزا» أو «أم عمّار»

كانت الفتاة الألمانية «آنى ليزا» تعيش حياة الرفاهية غير أنها كانت قلقة. . . ولم يمنعها صغر سنها من التساؤل والاستفسار حول معنى «التثليث» و«الصَّلْب» و«الخلاص» وغيرها من الطلاسم الغامضة، غير المفهومة.

وظلت فى حيرة من أمرها حتى التقت برجل الأعمال المسلم «مصعب صلاح الدين» تزوجته، وأنجبت منه «ياسراً» و «عماراً». . ولم تمنعها عدم قدرتها على التحدث باللغة العربية من قراءة القرآن والتعرف على الإسلام. . فتحكى قصة إسلامها فتقول:

«كنت كاثوليكية قلقة قبل إسلامى، غير مقتنعة بما يدور حولى، لذلك لم يطل بى الوقت لأصبح مسلمة، لقد وجدت فى ترجمة معانى القرآن بالألمانية منهاجاً شاملاً لكل شئ.

كنت مشغوفة جداً بمعرفة كل شئ عن الإسلام، فأحرص على سماع الكثير من المسلمين وهم يتحدثون عن مبادئه ومنهاجه وتعاليمه وآدابه. . فقد كانت هناك أمور كثيرة تدور بخلدى، ووجدت الإجابة عنها فى القرآن، ولذلك فهو أعظم كتاب قرأت تفسيره باللغة الألمانية. . وينصحنى زوجى أن أتقن اللغة العربية حتى يتسنى لى قراءته بلغته لأستمتع أكثر بمعانيه، وهذا ما أحاوله الآن».

ثم تضيف:

«إن أسعد لحظاتى تلك التى أقضيها بين يدى الله فى قراءة ترجمة معانى القرآن، ومحاولتى الجادة فى تعلم العربية لكى أقرأ القرآن وأستمتع به كما نصحنى زوجى. . وحتى أستطيع أن أساهم فى مجال الدعوة إلى الإسلام».

وتستطرد «أمل حسنى» وهو اسمها بعد إسلامها قائلة:

«إننى أحب أن يُنادينى الناس بـ «أم عمار» تيمنا بأم عمار بن ياسر... ولقد ارتديت الحجاب امتثالاً لتوجيهات الرسول محمد ﷺ الذى أمر نساء المسلمين بالاحتشام، وألا يظهر منهن سوى الوجه والكفين... ولايهمنى الاستياء العام الذى تعرضت له من الألمان لارتدائى الحجاب، كما أننى لا أستطيع العمل فى أية مؤسسة إلا المؤسسات الإسلامية الموجودة فى ألمانيا».

كما لا يفوتنى أن أذكر أننى قد تحديتُ أسرتى، التى هى من عائلة معروفة فى «ألمانيا»، فقد حاولوا منعى بكل الوسائل، بدءاً من الإرهاب والتهديد، وانتهاءً بالمقاطعة النهائية، ولكن ذلك أيضاً لا يضيرنى طالما اطمأنت نفسى للإيمان بهذا الدين الجديد»[1].

* * *

(١) صحيفة المسلمين الصادرة فى ٢٤/ ١/ ١٩٩٢ (بتصرف).

مع السيدة الإنجليزية «عائشة عبد الله»

سيدة إنجليزية نشأت نشأة مسيحية متدينة مثل ملايين غيرها من الإنجليزيات، ولكنها كانت تختلف عنهن فى شئ أساسى ومهم، وهو أنها كانت تنشد الحياة الطاهرة النقية، من فرط ما ضاقت بمظاهر وصور الضياع المختلفة المحيطة بها.

لقد كانت دائمة التأمل والتفكير فى ألغاز عقيدة التثليث، ومبدأ تكفير الذنوب التى تعتنقها بيئتها المسيحية.... ومن هنا بدأت رحلتها إلى التفكير فى صحة معتقداتها، وهى تشعر أن هناك شيئاً ينقصها، لم تلبث أن وجدته عندما تعرفت على شاب مسلم فى هيئة المواصلات فى لندن التى تعمل بها، وصار فيما بعد زوجاً لها، لم يشأ أن يكرهها على الدخول فى دين الإسلام، وكان ذلك مما أعجبها منه، فتسترجع ذكريات. حبيسة فى نفسها، فتحكى عن ذلك قائلة:

«.. كم كانت حاجتى ورغبتى فى أن أعرف الحق كاملا غير منقوص، فقد كنت أشعر أن هناك شيئاً ينقصنى، حتى تعرفت على شاب مسلم صار زوجى فيما بعد، لم يكن يعرف هذه الرغبة والحاجة التى أبحث عنها، قال لى: أنتِ مسيحية وأنا مسلم، والدين لله سبحانه وتعالى، لا أُكْرِهُكِ على أن تكونى مسلمة، لله ثم لكِ الأمر... أعجبنى منه هذا القول، وبدأنا حياتنا الزوجية.. كان يصلى، ويصوم، ويستقبل أصدقاءه فى البيت.. يقرءون

القرآن، ويتحدثون فى أمور الإسلام والمسلمين، وأنا أخدمهم، ولا أشاركهم، ولكن كنت أستمع إلى مايدور من أحاديثهم.. كان إنصاتى لهم تصنتاً عليهم فى قراءة القرآن وتفسيره.. فى الصلاة والقيام... كنت أجمع الأوراق التى يقرءون منها وآخُذها معى إلى مصلحة العمل لأطبع منها نسخة لى أدرسها وأفكر فيها وحدى..»..

من هنا كانت بداية رحلتها إلى نور الإسلام الذى أشرق فى قلبها بعد تأمل طويل عميق، شأنها فى ذلك شأن كل من هداهم الله تعالى إليه.. فما حل الإسلام بقلب إلا أشرق بالإيمان بالله، وبالخير للناس، وجعل منه قلباً سليماً حيّاً، رافضاً لكل ما يميته من معتقدات الكفر ومبادئه، كالتثليث، ومبدأ تكفير الذنوب، وغيرها مما تكتنفه الديانة المسيحية المحرفة عمّا جاء به عيسى عليه السلام.

لقد كانت من تلك النماذج الطيبة السيدة «عائشة عبد الله» التى نشأت فى أسرة إنجليزية متدينة ومتعصبة للمسيحية.. قضت مرحلة الطفولة فى إحدى المدارس الدينية التابعة للكنيسة، فتعلمت كل المواد والموضوعات اللاهوتية التى كانت تدرس فيها.... تقول «عائشة»:

«لا أذكر أننى سمعتُ فى أى يوم من أيام طفولتى أى ذكر لاسم الله... ولم أكن مقتنعة بما أتلقاه من مبادئ رئيسية فى الديانة المسيحية، وخاصة فكرة التثليث، ومبدأ تكفير الذنوب الذى يزعم أن المسيح ابن الله قد قَدَّمَ نفسه فِدْيَةً للناس، فَرضِىَ أن يُصْلَبَ تكفيراً عن جميع الذنوب التى اقترفوها.. وبرغم ما سمعت من مناقشات وتفسيرات حول هذه المعتقدات فلم أقتنع بشئ منها...

لقد شدنى إلى الإسلام أن الله واحدٌ ليس له ثانٍ، وأن له أسماء عديدة، حيث عرفتُ أن الله سبحانه وتعالى له ٩٩ اسماً»

وتتحدث السيدة «عائشة» عن مرحلة المخاض التى سبقت ميلادها كامرأة مسلمة فتقول:

«ليلة أن عرفت أن الله سبحانه وتعالى له ٩٩ اسماً لم أنَمْ حتى الصباح، صرت أقرأ وأتمعن فى هذه الأسماء التى هى صفات له عز وجل.. وكان هذا فاتحة اهتمامى بالإسلام.. أحسست أننى وجدتُ ماكنت عنه أبحث، وما كانت نفسى إليه تتوق.... نعم.. صرتُ أقرأ وأتمعن فى هذه الأسماء التى هى صفات له عز وجل... سألنى زوجى ليلتها: ماذا بكِ؟ قلت: لا شئ سوى أننى أعانى من قلق، فلم أكن أريده أن يعلم شيئاً، خشَيتُ أن يتضايق، وربما أتضايق أنا... لم أكن متأكدة من شئ، كنتُ مازلتُ فى الطريق أواصل البحث والاقتناع بالإسلام كعقيدة لى، برغم لو كان زوجى غير مسلم لكان الأمر أهون...».

ثم تصمت للحظات، ثم تعود لتؤكد على ما تريد توضيحه بقوة لا تسمح بأى تصورات أخرى فتقول:

«قلت فى البداية إننا اتفقنا أن يمارس كل منا حياته بمقتضى الدين الخاص به... وبرغم ذلك فقد عشتُ أنا - بعد الزواج - حياة المسلمين حينما كنت مسيحية، حُبّاً فى هذه الحياة الطاهرة النقية، ولاقى هذا من زوجى استحساناً وإعجاباً، وبرغم هذا لم يَدْعُنِى للإسلام.... فلم يسألنى مثلاً أن أشاركه صيامه، وبالتالى لاقى هذا أيضاً استحساناً وإعجاباً منى.

لقد كانت الحدود التى وضعها كل منا بالعقل والإيمان هى التى منعتنى أن أعلن شيئاً.. كنت أريد أن يكون إسلامى لى باجتهادى أنا وبحثى واقتناعى بدون مساعدة من إنسان.. إنها إرادة الله تجاه الدين الحق».

وتأتى مرحلة الميلاد... مولدها كمسلمة، فكيف أصبحت مسلمة بالتصريح المعلن بعدما كان خفياً فى نفسها، تُعبر عن ذلك بقولها:

«من خلال زيارة الأصدقاء وزوجاتهن لنا، أصبحتُ مقربة إلى إحداهن، يومها أمسكَتْ بيدى وسألتنى: ماذا قرأت؟ وما هى حدود اقتناعك بما تقرئين؟ فأجبتُها عمَّا تريده، ولكن اشترطتُ عليها ألا تقول لزوجى، وأصبحت هى مرشدتى، والمجيبة على كل استفساراتى وأسئلتى... بعد أن علمتنى الوضوء والصلاة... وكنت قد حفظت بَعْدُ قصَارَ السُّوَر.. وصمتُ شهر رمضان كاملاً.. وبوجه عام عملتُ بوصايا وتعاليم الدين الإسلامى قبل آن أعتنقه بعد أن تأكدت تماماً أنه هو الدين الحق، فالشئ يُعْرَفُ بضِدّه، فلقد عرفتُ المسيحية كعقيدة ومنهاج، ثم عرفت الإسلام كعقيدة ومنهاج، فتبين لى بالمقارنة الفرق الجلى الواضح بين هذا وذاك.

ثم حدث أن اتفقتُ مع إحدى الأخوات المسلمات أن أذهب للإمام للنطق بالشهادتين... وذهبنا بالفعل إلى المسجد وقابلناه، فسألنى عن الأسباب التى تحملنى على الإسلام وتجعلنى أريد اعتناقه، فقلت له: هذه رغبتى وشعورى الصادق تجاهه.... وكانت معى ابنتى «أسماء» طفلة فى الثامنة من العمر، نظر اليها الإمام ثم سألنى: وماذا عن ابنتك؟ قلت له: إنها مسلمة والحمد لله. قال: ماشاء الله، ستكون العائلة كلها مسلمة.... بعدها طلب منى قراءة فاتحة الكتاب، ثم سورة قل هو الله أحد، ثم نطق ونطقتُ معه بالشهادتين، ثم أوصانى ببعض الوصايا، ودعا لنا بالتوفيق وانصرفنا...».

وتواصل حديثها قائلة:

«إننى أقول إن فرحتى فى هذا اليوم لم ولن تماثلها فرحة من قبل ومن بعد.. نعم.. إن ذلك الارتياح وإثلاج الصدر لم ولن أنساه مدى حياتى... إنه كان ـ ولا يزال ـ شعوراً فيه رهبة وفرحة، والحمد لله، دخلت فى دين الله وأصبحتُ من أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وتستكمل السيدة عائشة صورة حديثها المفعم بالإيمان، فتقول فى نبرات تقفز بالسعادة:

«بعد أن نطقت بالشهادتين وأعلنتُ إسلامى فى المسجد، نصحتنى صديقتى بأن أصلى لله صلاة شكر. بمجرد وصولي إلى بيتى «فقد هداك للإسلام» هكذا قالت لى. . . وبالفعل عندما وصلتُ إلى البيت أخذت «أسماء» ابنتى إلى صلاة الجماعة معى. . . . وفى هذا اللحظة وصل زوجى، وكانت هذه أول مرة يرانا فيها نصلى. . كانت المفاجأة كبيرة بالنسبة إليه، ولا أستطيع أن أصف كيف كانت فرحته، وكيف كان رد فعله لما رآنا نصلى أنا وابنتى».

وتنحدر من مآقيها دمعات وهى تتمتم وتقول:

«لقد سألنى وسألنى. . . كان موقفاً حلواً وسعيداً والحمد لله».

وعندما سُئلت عن شعور والديها وأخواتها بعد أن أشهرت إسلامها. . أجابت فى أسى:

«لقد شعرتُ أن والداى قد صُدمَا عندما اعتنقتُ الإسلام. . ولم يكن ذلك بالنسبة لى مفاجأة، وخصوصاً وأن صدمتهما الأولى كانت عندما تزوجت مسلماً، فقالوا لى يومها: سوف يشدك زوجك للإسلام، فَطَمْأَنْتُهُمَا بأنه لن يحدث إلا بإرادتى، ولهذا كانت صدمة لهما، برغم أننى أوضحت لهما أن زوجى لم يتدخل فى مسألة إعتناقى الإسلام، ولم يعلم بإسلامى إلا بعد أن نطقتُ بالشهادتين».

ثم هزت رأسها وكأنها ترثى موقف والديها منها وقالت:

«ولكن والدتى تحبنى جداً، ومتمسكة بى وبذهابى إليها، وعندما تأتى إلينا تخلع الحذاء على الباب[1]، وتأكل معنا طعامنا الحلال الخالى من اللحوم المحرمة فى حين ظل والدى غير راضٍ عنى، غير أننى أذهب إليهما، وعندما يأتى موعد الصلاة يتركوننى فى حجرة وحدى لأصلى».

(١) يلاحظ من العادات والآداب الإسلامية الأصلية عادة خلع الحذاء على عتبات المنزل قبل الدخول، وهذه العادة تكاد تكون قد اندثرت بحكم التأثر بالعادات الغربية.

أما عن تأثير اعتناقها للإسلام على طبيعة عملها والعاملين معها فتبتسم وهى تقول:

«إنهم ينادوننى بالسيدة المسلمة، لأنى ألبس الحجاب، وبرغم أنهم كانوا يمزحون ويستخفون بما أرتدى ولكن الآن زال هذا كله بفضل الله... والآن أشعر بالاحترام يتزايد بالنسبة لى من الجميع... وهم لا يَدْعُوننى الآن - وأحمد الله على ذلك - لحفلات عيد الميلاد أو للحفلات التى يشربون فيها الخمور، وذلك بعد أن عرفونى جيداً واحترمونى، وهذا أعتبره احتراماً لدينى الحنيف.

وأذكر أنه عندما حل شهر رمضان قلت لهم: لن أخرج للغذاء، لأنى صائمة لمدة شهر كامل، فاستغربوا منى ذلك فى البداية كيف أتحمل هذا لمدة شهر كامل؟ بعدها انهالت الأسئلة علىّ حول أسباب الصيام لمدة شهر كامل بدون مأكل أو مشرب، أو غير ذلك مما يفسد الصيام حتى وقت المغرب من كل يوم».

ثم تضيف فى حماس واضح:

«إننى أحاول دائماً الارتفاع بحياتى وسلوكى وعملى إلى المستوى اللائق بالدين الإسلامى، وخصوصا أننا نعيش فى مجتمع جاهلى قد سيطرت عليه الأهواء والغرائز والماديات..

إن حديثى عن الإسلام مع زملائى فى العمل لا ينقطع، ولكن أى حديث هو دفاع عن الإسلام الذى لا يعرفون عنه إلا التشنيع والتلفيق.. أين الدليل لنضعه أمامهم؟.. إن سلوكى وحياتى كمسلمة هو الدليل الذى أملك أنا أدعو الله للجميع بالهداية، وأدعو للمسلمين بالقوة والتكاتف».

ثم ارتفعت حرارة كلماتها أكثر وهى تلوح بيديها وكأنها تريد تأكيد معنى كل كلمة تنطقها وهى تقول:

«نحن ـ المسلمين ـ فى بريطانيا بحاجة ماسة إلى حماية ورعاية على كافة المستويات. . فنحن بحاجة ماسة إلى علماء يعيشون معنا يعلموننا الدين، ويعرفوننا بالحضارة الإسلامية ويعينوننا على فهمٍ أكثر للإسلام وتعاليمه وآدابه. .

ومما يُؤْسَفُ له أن المراكز الإسلامية لا تفعل لنا شيئاً، نحن المسلمين الذين لا نقرأ ولا نفهم العربية إلا من اجتهادات بعض الإخوان معنا الذين درسوا فى القاهرة وعـادوا يحملـون العلم ويترجمون لنا، محاولين معنا من خلال ما يتسع لهم من الوقت. . .

نحن نقطع فى الصخر لنكوّن بيئة إسلامية صالحة تمكننا من العيش وفقاً لتعاليم الإسلام، داعين الله عز وجل أن يغفر لنا حياتنا السابقة، إنه نعم المولى ونعم النصير».

ثم توقفت عن الكلام برهة تلتقط فيها أنفاسها، ثم تعود إلى هدوئها الذى يميزها فى الحديث لتقول بعدها:

«أمّا عن نفسى فأدرس أكثر فى علوم القرآن الكريم، واستزيد فى دراسة الدين الإسلامى بمشيئة الله، فأنا مازلتُ فى البداية فقيرة إلى العلم والمعرفة بعد أن وُلدت من جديد، وأُريد أن ينمو معى إسلامى، عقيدتى الجديدة التى أعتز بها الآن، وأحمد الله عليها».

هكذا قطعت «عائشة عبد الله» رحلتها إلى نور الإسلام الذى أضاء لها الطريق من حولها بعد أن كانت تتخبط فى دروب الضياع والحيرة والقلق.

* * *

مع السيدة الإيطالية «مريم باتريس»

زوجة مسيحية إيطالية لزوج مسلم عربى.. تحدَّتْ أهلها وقاطعتهم من أجل إتمام هذا الزواج الذى تبلور إلى اقتناعها بالإسلام كعقيدة تدين بها وتحمست لها، لدرجة أنها طلبت الطلاق من زوجها لأنه لا يؤدى الفروض الدينية كما ينبغى.

وبين الزواج والطلاق محطات كثيرة قطعتها الزوجة «مريم» وجعلت منها امرأة أخرى غير تلك المرأة الأوربية التى كانت قبل الزواج.... ونترك «مريم» تحكى بنفسها «مشوارها» مع تلك المحطات فتقول:

«إننى من «روما»، تعرفتُ على شاب مسلم من «تونس» عَرَضَ علىَّ الزواج، فلم أجد سبباً للرفض، ففيه كل مميزات الزوج التى تتمناها أية فتاة، ولكن أهلى عارضوا بشدة عندما علموا بذلك، ولم يكن عندهم مبرر لهذه المعارضة سوى أنه مسلم وعربى.. ولكننى رأيتُ أن هذا مبرر غير مقبول، فأصررتُ على الزواج منه، فقاطعنى الأهل بسبب ذلك».

ثم تضيف مريم قائلة:

«وانتقلتُ إلى عش الزوجية، وعشنا حياتنا الأولى من الزواج متفاهمين سعيدين.. وبعد أن انجبت طفلى الأول قررت أن أعرف شيئاً عن الإسلام الذى هو دين زوجى وطفلى، فطلبتُ منه أن يحضر لى كتباً عن الإسلام، فأحضر لى بعض الكتب الإسلامية، بالإضافة إلى ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الإيطالية..

فوجدتُ نفسى أقرأ ترجمة معانى القرآن الكريم وهذه الكتب الإسلامية بشغف شديد، بعدما أحسستُ أن قلبى يتفتح للإسلام شيئاً فشيئاً ويضئ نفسى نور هذا الدين الجديد».

ثم تصمت للحظات لتعود قائلة:

«نعم... أنا لا أنسى عندما كنتُ حاملاً فى طفلى الثانى مدى عظمة الأحاسيس الحالمة والسعادة الغامرة، وقد شرح الله صدرى لهذا الدين الحق، فلم أتردد فى اعتناقى له... فقد كانت لحظة التغير الكبرى فى حياتى عندما اعتنقتُ الإسلام.. فبعد إسلامى شعرتُ أننى أُولَدُ من جديد، وأن كل السنوات التى قضيتها كامرأة مسيحية لا تدخل فى سنوات عمرى».

وتستكمل قصة رحلة إيمانها بعد اعتناقها للإسلام فتقول:

«بعد إسلامى ومعرفتى الكثير عن الإسلام لاحظتُ أن زوجى لا يطبق التعاليم الإسلامية كما يجب، لقد وجدتُهُ مُتَهاوناً فى أداء الصلاة، وأحياناً لا يصوم، وقد علمتُ أن الصلاة والصيام من أركان الإسلام الخمسة.... وحاولت أن أقنعه بأداء الفرائض، ولكنه لم يستجب، بل حاول أن يفهمنى تعاليم الإسلام وفق هواه، ولكنى لم أقتنع بمحاولاته المغلوطة، وأصبح الأمر مثار خلاف يومى بيننا، انتهى إلى أن طلبتُ الطلاق، وحصلت عليه أخيراً...».

ثم تتنهد وهى تهتز برأسها أسىً وحُزناً وهى تستطرد قائلة:

«ولم تنته المعاناة التى ذُقْتَها عند هذا الحد، إذْ كانت رئيستى فى العمل بمصنع للملابس الجاهزة من أعدى أعداء الإسلام، فاضطهدتنى فى عملى... وتحملتُ فى جَلَدٍ وصبر، وبذلتُ فى عملى أضعاف طاقتى، لدرجة أذهلت صاحب العملِ نفسه، ورأى الفارق كبيراً بين إتقانى لعملى وانشغال الأخرى بمحاربتى على حساب عملها، فأقصاها عن رئاستها

للعاملات، وأصبحت أنا رئيستها ولم أنتقم منها كما كانت تتوقع، فالعفو عند المقدرة من الأخلاق الإسلامية!».

ولم يتوقف مسلسل معاناة «مريم» من جراء إسلامها والتزامها بالتعاليم الإسلامية عند هذا الحد، فقد واجهت الكثير من المتاعب والصعوبات، أبسطها ما كانت تلاقيه من سخرية واستهزاء لتمسكها بالزى الإسلامى وعن ذلك تقول:

«مما يثير الدهشة أن أتعرض إلى السب وتوجيه الشتائم لى حين يرانى البعض أرتدى الحجاب وأحرص على الزى الإسلامى، فأضطر إلى نهرهم برفق بلهجة أهل «روما»، فيتحول هذا العدوان إلى دهشة.. امرأة منهم تدين بالإسلام.. كيف؟!... ولماذا؟!»

ولكن لم تلبث أن تعلو وجهها ابتسامة عريضة وهى تقول:

«وهكذا جعلت من مظهرى الإسلامى راية من رايات الإسلام ترتفع بالدعوة لعلهم يهتدون».

وهكذا أيضاً تمضى «مريم» فى قافلة الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإسلام، تعيش مع طفليها المسلمين «محمد» و «خديجة»، تعلمهما الكثير من أمور دينها الجديد الذى تعتز به، وضحت من أجله بزوجها الذى تهاون فى أداء فرائضه كما ينبغى....

كما أنها تحرص على اصطحابهما إلى المركز الإسلامى هناك، حيث تواظب على حضور المحاضرات التى ينظمها المركز، إلى جانب دروس اللغة العربية التى تحرص على إتقانها ليتسنى لها قراءة القرآن الكريم بلغته التى أنزل بها[1].

***

---

(١) مجلة «المسلمون» فى عددها الصادر فى ١٩ / ١٠ / ١٩٩٠ (بتصرف).

مع «اليزابيث إنجستروم» أو «خديجة إنجستروم»

جمعتها الأقدار بمسلم يُدْعَى «أحمد» فى إحدى المجتمعات الإسكندنافية «السويد».. أبدى اهتماماً بها وطلبها للزواج، وافقت على الزواج منه بدون أن يكون لاختلاف الجنسية أو العقيدة حائل يمنع ذلك، فقد كان اللقاء بينهما لقاء بين إنسان وإنسان.

وبعد أن تم الزواج.. لم يحاول زوجها بأى شكل من الأشكال أن يحملها على اعتناق ديانته «الإسلام» برغم أنه رجل شديد التدين.

فعرفت أن هذا الدين الإسلامى لا يعرف التعصب، فزوجها لم يحاول قط فى أى لحظة أن يرغمها على اعتناق الإسلام[1]... عَرَّفها أنه لا إكراه فى الدين، هكذا كان منهج الإسلام فى دعوته.

عرَّفها أن الإسلام يؤمن بكل الأنبياء والرسل، ويدعو المسلمين إلى احترام وإجلال الأنبياء والديانات السماوية، ولكن مع التأكيد بضرورة الإيمان بأن محمداً رسول الله وخاتم أنبيائه... وأن الدين عند الله هو الإسلام بعد أن بعث الله برسالته إلى النبى محمد ﷺ ليبلغها للناس أجمعين بعد مضى الأديان السابقة.

لم تكن تعرف شيئاً عن الإسلام أكثر مما يعرفه أى شخص سويدى يعيش فى مجتمعها من أنه دين يؤمن به عدد من شعوب الشرق الأوسط، وبعض

(١) وهذا ما لا تتفق فيه مع زوجها، فالمفروض على المسلم الحق أن يدعو أهله إلى دين الحق بلا إكراه، ولكن دون تفريط فى الدعوة لدين الله، فكل راعٍ مسئول عن رعيته.

شعوب إفريقيا وآسيا، وأنهم يتبعون نبيّاً اسمه «محمد»، ولذا فإنهم يُطْلَقُ عليهم «المحمديون».

وتذكر أيضاً أنها لم تكن عندها أى أفكار مسبقة عن هذا الدين، لأنه لم يكن يعنيها أن تعرف شيئاً عن الديانات، حتى ديانتها المسيحية البروتستانتيه التى ولدت عليها، فلم تكن تمارس عبادتها أو الذهاب إلى الكنيسة.... فكل معتقداتها أن كل إنسان حر فى اختيار ما يشاء من المعتقدات، وفى ممارسة حياته كما يروق له وكما يريد[1].

ولكنها كانت تتعجب كثيراً فى نفسها كلما ترى زوجها يقوم بأداء حركات فى أوقات معينة، عرفت أنها الصلاة التى يؤديها المسلمون خمس مرات كل يوم فى مواعيد معينة.. وتندهش أكثر كلما يهم زوجها بغسل وجهه وذراعيه وقدميه مهما كان نظيفاً لأنه سيصلى.

أخذت تلاحظه وهو فى الصلاة وقد غمرته سكينة نفس أثارت انتباهها، وخصوصاً وهو يرفع يديه بعبارة «الله أكبر» وهو يلقى بالدنيا كلها وراء ظهره ويتجه بكليته إلى هذه العبادة التى تستغرقه، فلا يرد على أحد أثناء صلاته...

كما أثار انتباهها عندما ينتهى زوجها من صلاته وقد ازداد وجه إشراقاً، ونفسه رضاً وسكينة.

واستمرت «اليزابيث» أو «خديجة» تراقب زوجها فى صلاته... حتى اقتربت منه ذات يوم تسأله عن عقيدته التى تسمى «الإسلام».... والتى تجعل منه هذا الإنسان المختلف عمَّا تعرفه من الناس، وما اعتادته من أحوالهم، وخاصة فى مجتمعها الأوربى هذا.

وهنا وضعت «خديجة» يدها على بداية طريق هدايتها إلى دين الله.. الإسلام... فبدأ زوجها المسلم يشرح لزوجته معنى الإسلام وعباداته

(١) مجلة «المسلمون» الصادرة فى ٩ ـ ١٥ نوفمبر ١٩٨٥ (بتصرف).

وأحكامه وسلوكياته. . . عَرَّفها أن الإسلام دين يدعو إلى المحبة والتسامح وحُب الخير للآخرين، وتعاون الناس فيما بينهم، ومساعدة الأغنياء للفقراء، لدرجة أنه فرض عبادة تسمى «الزكاة».

وأخذت «اليزابيث» أو «خديجة» تسمع وتقتنع بكل مايقال، وخصوصاً أنها تفتقد فى مجتمعاتها الأوربية الحديثة ـ ولاسيما المجتمعات الإسكندنافيه ـ روح التحاب والتكافل الاجتماعى، وصارت الأنانية وعدم الاهتمام بمساعدة الغير هى السمة الغالبة فى مجتمعاتها، ولذا أصبح الانتحار ظاهرة متفشية، بل وعادية جداً. . . فالإطمئنان النفسى والسكينة التى بها تشيع السعادة فى النفس من الأمور التى يفتقدها الناس فى مجتمعها.

لقد رأت «خديجة» فى الإسلام ديناً يعطيها ما تتمناه من الناس فى مجتمعها من التعاطف والتراحم والتكافل الاجتماعى. . . إنه دين يدعو أهله للحب والتسامح والتعاون فيما بينهم، ومساعدة بعضهم بعضاً. . .دين يحث على حب الخير للناس كما نحبه لأنفسنا. . . لقد آمنت أن الإسلام ـ حقيقة ـ دين يرفض الأنانية بكل صورها.

هكذا حدثها زوجها عن الإسلام وتعاليمه. . . فلم تجد «اليزابيث» بعد ذلك بُداً من أن تعلن تحمسها للإسلام فتعتنقه بعد اقتناع وفهم لطبيعة أحكامه وتعاليمه. . . . فتقول عن ذلك:

لقد وجدتُ كل شئ مقبولاً ومعقولاً ومنطقياً تماماً. . حقاً إن الإسلام هو دين الفطرة الطبيعية. . . لقد أعجبت بالدين من خلال زوجى وسلوكياته كمسلم، وبعد ذلك اقتنعتُ تماماً به عن طريق ما قدمه لى من شرح وإجابات على استفساراتى وأسئلتى العديدة».

ثم تصمت خديجة برهة وهى تتطلع إلى بعيد بنظرات مستكينة حالمة لتقول بعدها:

«إننى ـ الآن ـ لا أخشى الموت. . . . وكيف أخشاه وأنا أعلم أن بعد هذه الحياة الدنيوية الفانية حياة أخرى باقية خالدة ينعم فيها من عاشوا حياتهم الدنيوية متمسكين بالمبادئ السامية والفضائل النقية السليمة، متجنبين الخطايا وارتكاب المعاصى والذنوب؟! .».

ويشرق وجهها بعد أن تلتقط أنفاسها لتؤكد إيمانها بماسبق أن ذكرته فتقول:

«أجل. . إننى مؤمنة تمام الإيمان أنه بعد الموت حياة، وأننى سأعيش فى جنات النعيم، وسأسعد بالجنة التى وعد الله بها عباده المؤمنين بكل ما بها من خيرات». . . ثم قرأت قول الله تعالى:

﴿ ...وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾(1).

إن هداية «اليزابيث» إلى دين الحق. . دين الإسلام يرفض زوجها أن يكون له فضل فى ذلك، فالفضل كله يرجع إلى الله تعالى الذى كتب لها الهداية، وهيأ لها أسبابها. . . . هكذا يعتقد زوجها، وهكذا نقل إلى زوجته هذا الاعتقاد بعد أن ترجم لها الآية الكريمة:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾(2).

ولكن كل ما يعنيها الآن. . أنها قد وجدت حياتها قد أصبح لها معنى أكبر وأعمق بعد أن ازداد اقتناعها تماماً بهذا الدين وإعجاباً به. . . وبعد ازدياد معرفتها بالإسلام وأدائها للعبادات المفروضة، والالتزام بسلوكياته، صارت روحها أكثر صفاءً، وضميرها أكثر راحة.

* * *

(1) سورة التوبة ـ من الآية ٧٢.

(2) سورة القصص ـ من الآية ٥٦.

الفصل الخامس

قراءات كانت سبب إسلامهن

* مع الأمريكية «قرة العين الكيلانى»..... التى لم تتحول من ديانتها إلى الإسلام إلا بعد أن قرأت عنه خمس سنوات كاملة!

* مع الألمانية «الكسندرا براون»..... التى استغرقت مساء ذات يوم فى القراءة فى كتب إسلامية حتى رغبت أن تصبح مسلمة.

* مع الأسبانية «روساليا» التى تعرفت على الإسلام من خلال عملها فى طباعة الكتب.

* مع السويدية «آن صوفيا»..... التى كانت نوعية دراستها فى قسم تاريخ الأديان نقطة البداية فى رحلتها من المسيحية إلى الإسلام.

* مع الإنجليزية «أميلدا» التى آمنت بالإسلام وهى تقرأ ترجمة لمعانى القرآن الكريم.

* .... وحالات أخرى.

مع الأمريكية «قرة العين الكيلانى»

سيدة أمريكية، لم تتحول من ديانتها إلى الإسلام إلا بعد أن قرأت عنه خمس سنوات كاملة، فاعتنقته عن اقتناع بأنه يحقق السعادة للإنسان، ويرسم له الطريق السليم للحياة الطيبة... فقد أجابت عندما سئلت عن الوقت الذى استغرقته فى رحلتها مع البحث والتفكير فى الإسلام... فقالت:

«خمس سنوات كاملة من الدراسة والقراءة والبحث والتصور والتفكير المتعقل.. وفى النهاية اعتنقته، ونطقت بالشهادتين والحمد لله».

ثم أردفت قائلة:

«كنت أقرأ قراءة واعية فى القرآن الكريم، وفى الحديث الشريف، وفى كتب التاريخ والحضارة الإسلامية، فضلاً عن دراسة سيرة شخصيات إسلامية كثيرة، كالخلفاء الراشدين، والصحابة».

ثم تصمت للحظات لتؤكد على ما تريد توضيحه بصورة لا تسمح بأى تصورات أخرى فتقول:

«لقد بحثت عن ترجمة لمعانى القرآن الكريم.. ثم توالت اهتماماتى بقراءة كتب السيرة النبوية، والأحاديث الشريفة والفقه»....

ولكن ألم تجد صعوبة فى فهم ماكانت تقرؤه عن الإسلام؟....

تجيب «قرة العين» قائلة: «نعم لم أجد صعوبة فى فهم الإسلام.. فهو دين يقوم على العقل والمنطق والقدرة على الإقناع.... لقد كنت أشعر أن ما أقرؤه يقنعنى عقلياً، ويملأ فراغاً روحياً فى كيانى.... وكانت القراءة تجيب بالمنطق والحجة عن تساؤلات كثيرة تدور فى نفسى، ولا أعرف لها إجابة».

ثم لم تلبث أن تصمت تارة أخرى لتؤكد ماسبق أن ذكرته:

«لقد وجدتُ نفسى أقرأ... ثم أعيد قراءة ما قرأت... وكنت فى كل مرة أخرج بشئ جديد، وبتفاصيل أكثر... وهكذا بدأت معلوماتى عن الإسلام تزيد أكثر فأكثر».

وتعود «قرة العين» للبداية.. إلى بداية خط قصة إسلامها لتقول:

«أود أن أشير إلى نقطة مهمة، فاعتناقى الإسلام يرجع إلى سنوات عديدة خلت، فمنذ طفولتى وأنا أهوى دراسة تاريخ الأديان والتعرف عليها.. وقد قرأت كثيراً فى هذا المجال.... وبعد انتهاء المرحلة الثانوية أقمت فى اليابان... وهناك أتيحت لى فرصة التعرف على ديانات الشرق.... عرفتُ الكثير عن البوذية، وعن الكونفوشيوسية... وبدأت أعرف معلومات عن الإسلام لفتت نظرى...

ثم عدت إلى «بنسلفانيا»[1] والتحقت بالجامعة.... وفى مكتبتها واصلت القراءة لمعرفة المزيد عن الأديان... وبطريق المصادفة وقع تحت يدى كتاب لمؤلف مسلم اسمه «جلال الدين العطاردى».... ماكدت أقرؤه حتى بدأت أفكر فى هذا الدين...

وتلتقط أنفاسها لتواصل قصة إسلامها، وما حدث لها بعد مرحلة القراءة فتقول: «وجدت أن اهتمامى بالإسلام تجاوز مرحلة الاطلاع والقراءة، أو

(١) إحدى الولايات الأمريكية.

الاستماع.... إلى مرحلة الارتباط والتعلق والعشق لهذا الدين....- فقد عرفت أشياء كثيرة كانت تسبب لى حيرة وقلقاً.... كيف أتعامل مع الناس؟!... وكيف أعيش فى هذه الدنيا عيشة تحقق لى السعادة المادية والروحية؟.

وتهز رأسها وتشير بأصبعها وهى تهدهد قائلة:

«نعم.. وجدت الإجابة عن كل هذه الأسئلة فى الإسلام... لقد وجدته ديناً يضع منهج الحياة السعيدة للإنسان.

وإذا كانت «قرة العين» لم تجد صعوبة فى فهم ما تقرؤه عن الإسلام.. فلماذا أمضت خمس سنوات قبل نطقها بالشهادتين؟

تندفع فى الرد وكأنها تتخلص من قسوة اتهام بجمود مشاعرها تجاه الإسلام، فترتفع نبرة صوتها قائلة:

«لقد كنت أرغب فى مزيد من المعرفة عن الإسلام ... فقد قررتُ فيما بينى وبين نفسى ألا أدخل هذا الدين إلا بعد أن أقتنع بـه تماماً.... فأنا أعرف بعض الناس يعلمون الكثير عن الإسلام ويحبونه جـداً... ولكنهـم لا يعلنون ذلك حرصاً على دينهم ودين أجدادهم ودين المجتمع الذى يعيشون فيه.

إذ ليس سهلاً أن يترك الإنسان دينه ليدخل فى دين آخر إلا إذا كانت إرادته قوية، واقتناعه راسخاً بالدين الجديد... لهذا تأخر قرار اعتناقى للإسلام... لقد كان قراراً يعنى حياتى نفسها، ولذا لم يكن من الحكمة أن أتعجل فيه».

وعن موقف أسرتها بعد أن اعتنقت الإسلام تقول فى ابتسامة مقتضبة:

«أهلى لم يعرفوا عن الإسلام إلا الصورة المشوهة التى تنقلها إليهم وسائل الإعلام التى يملكها ويديرها اليهود.... من هنا كان اندهاش أسرتى لهذا

التحول الذى طرأ على حياتى.... من دين الآباء والأجداد إلى دين الإسلام!! فبدءوا يتساءلون: ماهو الإسلام؟... وماهى أركانه؟... وماهى تعاليمه؟ إلى آخر هذه التساؤلات.... فى الوقت الذى كان يجب علىَّ أيضاً أن أصحح لهم المفاهيم الخاطئة التى عرفوها عن الإسلام من وسائل الإعلام المعادية له.

ثم أوضحت لهم أن الإسلام دين ثابت، له مبادئ وأحكام... وأنه يقوم على تشريع إلـهى من الله عز وجل بَلَّغَهُ إلينا محمد ﷺ عن ربه، ويسير على مناهجه البشر فى الدنيا لكى يفوزوا برضاء الله فى الآخرة، حيث الحساب والجزاء يلقى فيه الجميع جزاء ما قدموا من أعمال فى الدنيا.... كما بينتُ لهم أنه دين يقوم على الإقتناع والعقل، واحترام إرادة البشر، فلا إكراه فى الدين...

ثم أخبرتهم بقصة إسلامى كاملة، والتى جاءت بعد اقتناع تام وفهم لفحوى الإسلام وتعاليمه.. وقلت لهم: إنها خطوة مهمة بالنسبة لى ولحياتى، ودافعت عن رأيى..... ولقيت منهم تفهماً واستحساناً، عندما أدركوا أننى مقتنعة تماماً بالإسلام».

وتتنهد «قرة العين» فى أسف وأسىً عندما تستطرد قائلة:

«إن المشكلة مع جيل الآباء والأجداد أنهم نَشَئُوا على ديانة رسخت معتقداتها فى أذهانهم منذ الصغر، ولذا أصبح من الصعب تغييرها، ولهذا لم يعتنق الإسلام والدى ووالدتى برغم أنهما يحترمان كل التقاليد والطقوس والشعائر الإسلامية التى أقوم بها فى منزلى، من ذلك الصلاة خمس مرات فى اليوم.. والصوم عن الأكل والشراب شهراً كاملا أكثر من اثنتى عشرة ساعة يومياً، فضلاً عن اندهاشهم للحجاب والزىّ الإسلامى المحتشم الذى ارتديته بعد أن هدانى الله إلى الإسلام».

ومن الجدير بالذكر أن «قرة العين» قد تزوجت من شاب مسلم كان يدرس معها فى نفس الجامعة للحصول على الدكتوراه، وعندما علمت بعض صديقاتها باعتناقها للإسلام نصحنها بالالتقاء به، ولاسيما أنه فى الوقت ذاته إمام مسجد المركز الإسلامى القريب من الجامعة... فكتبت إليه رسالة تسأله عن كيفية الاستزادة من المعلومات عن الإسلام.. وكيف يمكنها تعلم شعائره؟.

فرد عليها ينصحها بالالتحاق بفصل دراسة اللغة العربية والدين الإسلامى للأمريكيات، وكان يدرس فيه..

ومن هنا بدأ التعارف الذى أسفر عن زواجهما... ذكرت ذلك وهى تبتسم فى خفر وحياء المسلمة المؤمنة.

لقد حسن إيمان «قرة العين» بدينها الجديد «الإسلام»، وتبلور إلى حماس ودفاع عنه، وهى تقوم بنشره بين بنات جنسها من الأمريكيات، فضلاً عن أنها فخورة بكونها مسلمة، وزوجة لإمام المركز الإسلامى[1].

* * *

(١) صحيفة اللواء الإسلامى فى أحد أعدادها الأسبوعية (بتصرف).

مع السيدة الألمانية «بريجيت» التى صارت «ثريا»

كانت «بريجيت» وثيقة الصلة بالكنيسة وأنشطتها، حتى عُدت من الفتيات النشيطات فى مجال الدعوة الكَنَسيَّة، ومشاركتها الفعالة المجدية فى أنشطتها التنصيرية، فضلاً عن التزامها بأداء صلاة الأحد وغيرها من الطقوس التى تقوم بها الكنيسة، كل ذلك وهى لا تزال فى المرحلة الثانوية.

فلما انتقلت إلى المرحلة الجامعية وتابعت دراستها فى كلية الزراعة فى جامعة بلدتها «شتوتجارت» واصلت نشاطها الدينى بالحماسة نفسها التى لازمتها وهى لم تزل فى المرحلة الثانوية.

ولكن حدث فجأة أن وقع فى يدها نسخة من القرآن الكريم مترجمة إلى اللغة الألمانية، فقرأتها باهتمام بدافع حب المعرفة والعلم بالشئ غير أنها لم تلبث أن شعرت ـ كما تذكر ـ بانجذاب غير عادى تجاه الإسلام.. وكانت هذه هى نقطة البداية التى قادتها إلى إعلان إسلامها فى يوم من أيام شهر رمضان المبارك.

وفى أثناء هذه الفترة تعرفت «بريجيت» على شاب مسلم يعمل بالمركز الإسلامى «بميونيخ» حيث كانت دائمة التردد عليه لحضور الندوات واللقاءات التى يطرح فيها كثير من الاستفسارات والأسئلة التى تهم من يرغب فى معرفة الإسلام كدين له تعاليمه ومبادئه وآدابه، ولذا كانت «بريجيت» تجد بغيتها عندما تتواجد بالمركز الإسلامى، يساعدها فى ذلك «ثروت» الشاب المسلم الذى توج معرفته بها بالزواج منها، بالرغم من الحملة التى تشنها وسائل

الاعلام الألمانية على الإسلام والمسلمين هناك.. ومن ذلك ما تصوره بعض الأقلام الحاقدة فى الصحف من المذلة والإهانة التى تلقاها الألمانيات المتزوجات من مسلمين..

وتعقب «بريجيت» أو «ثريا» المرأة المسلمة على ذلك بقولها:

«إنْ صَحَّتْ بعض هذه القصص التى ترويها الصحف عن الألمانيات المتزوجات من مسلمين، فإنه من المؤكد أن هؤلاء المسلمين ليسوا من المتمسكين بتعاليم الإسلام، وما أكثر هؤلاء... إضافة إلى أن الأسرة الألمانية تعانى من مشكلات كثيرة، ولعلها أكثر حتى من مشكلات الأسر التى ليس لها من الإسلام سوى خط يسير».

وبعد الزواج الميمون، انصرفت «ثريا» إلى التزود بثقافة إسلامية لكى تساعدها فى الدعوة إلى الإسلام، حتى كادت أن تقرأ كل ما نُشِرَ عن الإسلام باللغة الألمانية، فقرأت كتاب «مبادئ الاسلام» لأبى الأعلى المودودى، وكتاب «هذا الدين» للشهيد سيد قطب.. و «المعجزة الخالدة» للأستاذ خالد محمد خالد، وغير ذلك من كتب عديدة صدرت عن المركز الإسلامى فى «ميونيخ»..

وتفخر «ثريا» بامتلاكها نسخة من القرآن الكريم باللغة العربية، ونسخة من معانيه مترجمة باللغة الألمانية، ولكنها تحرص أكثر على قراءته بلغته العربية التى أُنزل بها، وبالتالى تحرص على تعلم اللغة العربية وإجادتها فى المركز الإسلامى الواقع فى بلدتها «شتوتجارب»... فهى برغم استطاعتها قراءة بعض آيات القرآن الكريم وفهمها بمعاونة زوجها، فإنها تأمل أن يأتى اليوم الذى تستطيع فيه قراءة القرآن الكريم كله باللغة العربية.

وتذكر «ثريا» مدى تاثرها بسيرة نبى الإسلام محمد ﷺ فتقول:

«من خلال قراءة سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام تأثرتُ بكثير من المواقف التى تُظهر عظمة النبى الكريم، وتؤكد أنه رسول الله، ومنها موقف

الناس من أمانة النبى قبل البعثة، وثقتهم بصدقه، حتى كانوا يضعون عنده أماناتهم، ولم يستردوها بعد بعثته عليه الصلاة والسلام، برغم عدم اتباعهم له وإيمانهم برسالته، إلى أن جاء يوم هجرته فصار يرد الأمانات إلى أصحابها».

وتضيف أيضاً:

«كما تأثرت جداً بموقف «النجاشى» حين رَحَّبَ بالمسلمين المهاجرين إليه فى الحبشة بعدما سمع منهم ما قالوه عن الإسلام، فآمن به بعد أن قال إنَّ هذا وما جاء به عيسى على السلام يخرجان من مشكاة واحدة».

كذلك تتحدث «ثريا» عمَّا قرأته عن مولده عليه الصلاة والسلام، وعلامات نبوته حين أخذته مرضعته «حليمة السعدية».. كما تتحدث عن أعظم ما أثر فى نفسها، وزاد فى رغبتها فى الدخول إلى الإسلام.. عن مؤاخاة النبى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار فى المدينة، وما شعرت تجاه ذلك من شوق وأمل أن تسعى لتجديده فى مجتمعات المسلمين المعاصرة.

وعن موقف الناس المحيطين بها من إسلامها تقول المرأة المسلمة «ثريا»:

«إنهم فريقان.. فريق يسلم بأن للإنسان أن يختار عقيدته الموافقة لقناعته.. وفريق آخر يلومها باستمرار ويسألها: لماذا تحرمين نفسك من متع الحياة، فلا تأكلين لحم الخنزير، ولا تحتسين الخمر، ولا تزاولين السباحة، ولا ترتادين النوادى، ماذا تكسبين من حياتك إذن إذا كنت لا تفعلين هذا كله؟!».

ولا تجد «ثريا» من يساندها فى موقفها من دينها الجديد «الإسلام» سوى القلة القليلة من الناس، حيث إن الاتجاه العام هو مناصبة الإسلام العداء، غير أن ذلك لا يضيرها طالما وجدت الأمان والطمأنينة فى إسلامها.

ولم تكتفِ «بربجيت» بإسلامها وتحولها إلى «ثريا» المسلمة، بل حرصت على أن تكونَ أيضاً داعية للإسلام، فهى ترى أن ما ينقص العمل الإسلامى الآن هو ضعف فاعلية السيدات المسلمات، وقيامهن بدورهن المناسب لطبيعتهن. . ولذلك انتقلت «ثريا» من «شتوتجارت» إلى «ميونيخ» حيث وجدت فرصتها للعمل لخدمة الإسلام هناك فالأُسَر المسلمة كثيرة، والنساء الألمانيات يترددن على المركز باستمرار يسألن عن الإسلام، يشد من أَزْرِهَا فى ذلك زوجها الذى يعمل أيضاً فى المركز الإسلامى، ويرى أن هذا يحقق لزوجته «ثريا» أملها فى الدعوة إلى دين الله الذى أشرق قلبها بنوره، وهكذا تحولت «بريجيت» النصرانية المتعصبة إلى «ثريا» الداعية المسلمة!

* * *

مع الآنسة الألمانية «الكسندرا براون» أو «كريمة»

فتاة فى الرابعة عشرة من عمرها، قادها عقلها قبل عاطفتها إلى الدخول في الاسلام والاعتزاز به والإيمان بأحكامه، ولم يستطع غسيل المخ الذى مُورِسَ على شباب جيلها من الغربيين من تشويه صورة الإسلام فى نفسها، فلم تنطلِ عليها الافتراءات والأكاذيب التى دأب رجال الكنيسة على ترديدها. . . . ولم يمنعها عدم إجادتها للغة القرآن عن محاولة فهمه ومعرفة إعجازه.

عندما أحست بأنوثتها ساءها ما يحدث لبنات جنسها فى المجتمعات الغربية. . كانت تتطلع إلى أخلاقيات تعصمها من التردى فى الانحرافات التى استشرى أمرها فى مجتمعها، ومن ثم إلى دين صحيح، فتعبر عن ذلك قائلة:

«منذ الطفولة كنت دائمة البحث عن الدين الصحيح، وكنت أذهب للكنيسة باختيارى، وأذهب إلى مدارس الأحد لدراسة الإنجيل، ثم فكرت فى الانضمام إلى الكنيسة البروتستانتية، لكن الله تعالى أنقذنى فلم أنضم إليها.

كنت أقرأ كثيراً من الكتب التى تتناول الحضارات والديانات الأخرى، ولكن كلما قرأت عن المعتقدات والأخلاق الإسلامية كنت أتأثر بها، وخصوصاً ترجمة معانى القرآن الكريم وسيرة الرسول ﷺ».

وعن بداية تحولها إلى الإسلام تقول:

«فى مساء كريسماس عام ١٩٦٢ وأنا مستغرقة فى القراءة فى كتب إسلامية أهديت إلىَّ، شعرتُ - عند منتصف الليل - أن المسيحية ليست هى الصواب، وأننى أريد أن أصبح مسلمة، وقد خلوتُ إلى نفسى وشهدتُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. . .

لقد أيقنتُ أن ما يقدمه الغرب عن الإسلام مُشَوَّهٌ، وأن ماسبق أن اطلعتُ عليه من كتب ألفها المستشرقون كانت تمدنى بمعلومات خاطئة، كالافتراء بأن الإسلام قد ظلم المرأة، وأنه يحارب الغرائز الطبيعية فى الإنسان، بدليل أنه حَرَّمَ الزنى!»

ولم تجد الفتاة الألمانية «الكسندرا براون» إلا أن تعتنق الإسلام عن اقتناع تام، وتشهر إسلامها، وتتسمى باسم «كريمة». . . .

والملفت للانتباه أن «كريمة» تكره استرجاع ذكرياتها الماضية حتى لا تطغى على استمتاعها الحاضر بسعادة إيمانها بدين الإسلام، تُعبر عن ذلك بقولها: «دعونى أستمتع بسعادة حاضرة بعيداً عن آلام الماضى وقلقه»[1].

* * *

مع الآنسة الإنجليزية «زهراء»

كانت تعيش مع أسرتها فى حى من أحياء لندن الهادئة. . وهى المسلمة الوحيدة فى عائلتها التى لم تعارض أسرتها فى اعتناقها للإسلام، بل باركته من منطلق حرية العقيدة.

قامت «زهراء» بزيارة أكثر من دولة فى جنوب شرق آسيا للدراسة والبحث عن الحضارات القديمة، وعلاقة الأديان بسلوكيات الأفراد، وانتهت هذه الزيارة بإشهار إسلامها على يد واحد من علماء الدين فى الهند. . وذلك

(١) صحيفة المسلمين فى عددها الصادر فى ٢٨/ ٢/ ١٩٩٢ (بتصرف).

بعد أن قرأت سلسلة من القراءات المختلفة فى أمور الإسلام، فضلاً عن تفسير كامل للقرآن الكريم، غير الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، وسير الصحابة والخلفاء الراشدين، وكتباً أخرى كثيرة عن الإسلام كنظام اجتماعى واقتصادى وسياسى شامل. . . . وعن تأثير ذلك تقول:

«لقد وجدت فى القرآن الكريم رسالة شاملة لتفسير الخلق، وتسيير الكون، أو قوانين الطبيعة. . لقد أفقت على حقيقة هزتنى من الأعماق، وهى أن كل ما قرأته عن الإسلام لهو الحق والمنطق والشمول كله بشتى نواحى الحياة، ولذلك فقد اتخذتُ قرارى بإشهار إسلامى».

ثم تستطرد قائلة باعتزاز:

«قرأت القرآن الكريم مرات كثيرة منذ إشهار إسلامى، وهناك آية تستوقفنى كثيراً من سورة «مريم» وهى : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

ثم الحوار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وأبيه ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[2].

وقوله:

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾[3].

وغير ذلك من آيات كثيرة:

---

(١) سورة مريم ـ الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٢) سورة مريم: الآية ٤٢ .

(٣) سورة مريم: الآية ٤٤ .

وعندما سُئلت عن أهم شئ أقنعها به القرآن الكريم . . أجابت على الفور:

«وحدانية الله . . فأنا لا أؤمن بالثالوث فى المسيحية، حيث لا أجدها منطقية أن يكون المسيح هو ابن الله . . فالله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون أكبر وأعظم وأجَلّ من أن يكون له صفات البشر . . وحقيقة لقد تناولت سورة مريم هذه القضية بصورة رائعة لا يمكن الشك فيها.

وعن تعاليم الإسلام التى وجدت فى نفسها صَدىً عميقاً قالت بحماس وقوة:

«قضية تعدد الزوجات . . فبلأسف الشديد يأخذ الكثيرون فى الغرب هذه القضية بمفهوم سطحى، ويبدءون منها للهجوم على الإسلام . . . . إلا أن هذه القضية لو نظرنا إليها بعمق وبدون تعصب لوجدناها تعد حلاً إنسانياً واجتماعياً فى كثير من الأحوال والظروف، كظروف الحرب المتواليه التى ينتج عنها موت الكثير من الرجال، وترك أسَر بأكملها ـ نساءً وأطفالاً ـ بدون عائل أو مسئول ينظر فى أمورهم، ويضمن لهم حياة كريمة، ويبعدهم عن الانحراف والفساد . . ولذا فإن قضية تعدد الزوجات تُعَدُّ حلاً إنسانياً فى كثير من الأحيان».

ثم أضافت قائلة:

«إن من أعظم تعاليم الإسلام هو عدم التفرقة بين الناس على أساس من اللون أو الجنس، وحثه على احترام الآخرين».

ثم تختتم حديثها بنداء للمسلمين:

«يا أيها المسلمون فى كل مكان، اتحدوا، فالاتحاد قوة، وأول طريق التقدم والنهوض، فعالم اليوم هو عالم التكتلات القوية التى تستطيع أن تفرض رأيها بما تتمتع به من وحدة الرأى ووحدة المسالك»[1].

* * *

(١) جريدة «المسلمون» الصادرة فى ٣١ أغسطس ١٩٨٥ (بتصرف).

مع السيدة الأمريكية «فرجينيا جراى هنرى»

نشأت فى مدينة «لوى فيل كنتكى» بالولايات المتحدة الأمريكية.. وتخرجت من جامعة «كولومبيا»... لم تكن راضية عن هذه الحياة التى تحيط بها، فقد كانت تبحث عن سبيل للاستقرار الروحى والطمأنينة النفسية والاقتناع بدينها، فهى مسيحية بروتستانتية تذهب دائماً إلى الكنيسة التى تنتمى إليها أسرتها... فتعبر عن ذلك قائلة:

«كنت منذ صغرى متدينة، أذهب دائماً إلى الكنيسة البروتستانتية التى أنتمى إليها.. وكان من تعاليم هذه الكنيسة أن أؤمن بالحياة الآخرة... ولكن أية حياة هذه ومعظم الناس لا يفكرون فى الموت إلا عندما يتقدمون فى السن؟!

وقد حدث فى صغرى أنْ شاهدتُ كثيراً من قريناتى وأقرانى فى السن يموتون فى بعض الحوادث، فبدأت أفكر فى مصيرهم، وماذا يحدث لهم بعد موتهم؟.... كما أن طريقة الحياة الأمريكية تجعل المرء يشعر فى قرارة نفسه أنه سيموت عندما يبلغ الستين من عمره، فعليه أن ينتهز فرصة هذه الحياة لينفقها فى المتعة والملذات قبل أن ينتهى كل شئ!!

ولم أكن راضية عن هذه الحياة التى تحيط بى.... فأخذت أبحث عن سبيل للاستقرار الروحى، فالتقيت بحركة كبيرة تسمى «الروحية» تؤمن بالحياة بعد الموت.... وعند بعضهم ـ كما يقولون ـ مقدرة على الاتصال بعالم الأموات.. ويرون أن هؤلاء من الموهوبين!!... ولكن عندما تتفحص

وجوههم أثناء غيبتهم واتصالهم بهذا العالم الذى يقولون عنه إنه عالم روحى تجدهم لا يسألونه إرشاداً عن الحياة الروحية، ولاعن الحياة الطيبة الصالحة، ولكنهم يسألونه عن النواحى المادية التى لاصلة لها بالدين.. كما يعتقدون أن كل شئ له تعليل فى حياتهم المادية يكون فى عالم الأرواح، أو يكون من عالم الأرواح!».

ثم تبين كيف أن دراستها لعالم الأرواح لايكفيها للوصول إلى مبتغاها من الاستقرار الروحى، فاتجهت إلى دراسة الأديان، فتقول عن ذلك:

«.... غير أننى لم أكن واثقة من ذلك[1]، وشعرت بأنه ينبغى علىَّ أن أجمع البراهين العقلية الكافية لإثباته.. فدرست فى الجامعة مقارنة الأديان لمدة أربع سنوات، باستثناء الدين الإسلامى الذى لم يكن يدرس لنا، لأن رئيس القسم كان أستاذاً يهودياً يدعى «موريس فريدمان».

ووجدت كل شئ حولى يبدو غير حقيقى، حتى الكتب التى تنشر عن الأديان... فمؤسسة مثل مجلة «لايف» التى تشرف عليها هيئة يهودية تنشر كتباً عن الأديان مثل البوذية والهندوكية والإسلام وكأنها أديان أثرية غير حية، لذلك كان إطلاعى على الإسلام ضعيفاً»

ثم تصمت فجأة لتبتسم فى ارتياح نفسى قد ترك أثره على محياها وهى تقول:

«لم أشعر بوجود الإسلام فى نفسى إلا بعد أن أسلم زوجى، فبدأت أقرأ الكتب الإسلامية وأسأل المسلمين عن تعاليمه، حتى وجدت فيه الهداية والإقناع النفسى والعقلى، والعثور على الحقيقة التى أبحث عنها.. حقيقة الحياة والموت.. فشعرت بالاستقرار الروحى، والطمأنينة النفسية، فأسلمت

(١) تعنى هنا دراسة عالم الأرواح..

بعد أن اقتنعت به كدين استطاع أن يغير نظرتى إلى الحياة.. فقد تغير كل شئ فى حياتى.. عندئذ شعرت أن الله قد أنعم علىَّ بأعظم نعمة حين هدانى إلى الإسلام».

ثم تتمتم قائلة:

«إنها معجزة كبرى»[1].

***

مع الليدى إيفيلين «زينب كوبولد»

عندما سُئلت: متى أسلمت؟...

أجابت فى مرح متزن: ومتى كنتُ غير مسلمة؟!.. قل متى اعتنقت الإسلام رسمياً؟.. فإننى كنت مسلمة منذ البداية.. لا تعجب.. ألم يكن الإسلام دين الفطرة الذى يشب عليه الطفل إذا تُرِكَ على فطرته؟!

وعن اعتناقها للإسلام وكيف كانت بدايته تقول:

«كانت البداية الحقيقية عندما زادت دراساتى وقراءاتى عن الإسلام، عندئذ زاد يقينى فى تميزه عن الأديان الأخرى من حيث أنه أكثرها ملاءمة للحياة العملية، وأقدرها على حل مشكلات العالم العديدة والمعضلة، وعلى أن يسلك بالبشرية سبل السعادة والسلام... لهذا لم أتردد فى الإيمان بأن الله واحد، وبأن موسى وعيسى ومحمداً عليهم صلوات الله وسلامه ومَنْ سبقهم كانوا أنبياء أوحى إليهم من ربهم....وبأننا لا نحتاج إلى من يحمل عنا خطايانا أو يتوسط بيننا وبين الله... وبأنه حتى محمداً وعيسى عليهما السلام لايملك أحدهما لنا من الله شيئا، فنجاتنا إنما هى وقف على سلوكنا وأعمالنا».

وعندما سُئلت: ماذا تعنى كلمة الإسلام عندك؟

(١) مجلة الوعى الإسلامى ـ عدد أكتوبر ١٩٧٠ (بتصرف).

أجابت قائلة: كلمة الإسلام ـ كما عرفت وآمنت به ـ تعنى الخضوع والاستسلام لله، كما أنها تعنى السلام فالمسلم هو الذى يعيش فى سلام مع الله ومع خلق الله.

وعن أجمل شئ وجدته فى الإسلام.. قالت:

«إنه ليس فيه شئ من العقائد اللاهوتية المعقدة الثقيلة، ومن ذلك وحدانية الله لاثالوث، وكذلك الأخوة الشاملة بين البشر، ومبدأ السواسية بينهم بدون تفرقة ولا أفضلية إلا بالعمل الصالح».

ثم استطردت بعد برهة من الصمت لتقول:

«أما عن فريضة الحج، فكل قول يقصر عن وصف تأثيرها فى النفس.. يكفى أن يرى الإنسان نفسه فرداً فى الجموع الضخمة التى وفدت من أنحاء العالم المختلفة ليُشارك إخوته ـ فى هذه المناسبة المقدسة ـ بكل خشوع فى تمجيد الله، فيسرى فى روحه جلال المثل العليا فى الإسلام، وهو يزور موطن نشأة الإسلام، وفى ارتياد اماكن عظيمة كالكعبة، وقبر الرسول، وغار حراء وغيرها من الأماكن التى فيها بعث للحياة فى الأفئدة، وإحياء لسيرة الرسول فى جهاده الطويل لنشر دعوة الإسلام.

ثم لم تلبث أن أخذت تردد قائلة:

«لا.. لا.. لاأستطيع أن أصف ذلك اللهيب السماوى الذى يصهر ويثير الروح بأشجان الحب للإسلام وأركانه أثناء الحج.... ألم يكفِ أنه فوق كل شئ تحقيق للوحدة بين المسلمين.. فإذا كان هناك ما يصبغهم بصبغة الأخوة والعواطف المشتركة فإن الحج هو الذى يؤدى لذلك، حيث لا يقيمون وزناً لتباعد ديارهم، ويطرحون جانباً خلافاتهم الطائفية والمذهبية، وتتلاشى بينهم فوارق اللون والجنس أمام الإخاء فى العقيدة التى تجمعهم جميعاً فى إخوة شاملة».

***

مع الآنسة الأسبانية «مونتسدات بايا روفيرا» التى صارت «زينب» المسلمة

ولدت فى مدينة «برشلونة» الأسبانية من عائلة مسيحية عادية تجهل أى شئ عن الإسلام، سوى ما تسمعه من أن المسلمين كان لهم تاريخ حافل فى هذا البلد..

كانت دائماً تستشعر بأن شيئاً ما ينقصها ويدفعها للتساؤل عن مسألة التثليث وألوهية عيسى عليه السلام، لم تَرُقْ فى نفسها نظرة النصرانية لله... وظلت الحيرة تلازمها حتى اطلعت على عقيدة الإسلام التوحيدية المطلقة، ونظرتها المتكاملة الواضحة لله تعالى، والتى يسهل على المرء المتفتح العقل أن يقبلها ويقتنع بها، شأن كل المسائل العقائدية الأخرى فى الإسلام التى تخلو من الأسرار التى لم يستوعبها العقل، والتى على المرء أن يؤمن بها بدون جدال.

وحرصت «مونتسدات بايا روفيرا» ـ هذا اسمها ـ على أن تتعرف أكثر على الإسلام، فطلبت من صديقتها الأسبانية التى لديها اهتمامات بالإسلام أن تحدثها عنه، وتشرح لها عقيدته ومزاياه، فأحضرت لها ترجمات لمعانى القرآن الكريم وبعض الكتب الإسلامية المترجمة، وبدأت تقارن بين القرآن والإنجيل، فوجدت اختلافاً تاماً بينهما، فضلاً عن التناقض بين العهد القديم والعهد الجديد، فالعهد القديم ـ مثلاً ـ يقول للنبى موسى عليه السلام: قل

للناس هذا حرام، والعهد الجديد يقول للنبى عيسى عليه السلام قل للناس عكس ما قيل للنبي موسى عليه السلام، أى افعلوا ما تشاءون! . . . . كانت هذه المسألة وأمثالها تتضح لها يوماً بعد يوم كما تذكر.

وعلى العكس من ذلك كانت كلما توسعت فى قراءة الكتب الإسلامية كانت تجد حلولاً وأجوبة مقنعة للمسائل العقائدية التى تبحث عنها. . ثم بدأت «مونتسدات» تلتقى بعد ذلك بأشخاص مسلمين ملتزمين، ومن خلالهم تعرفت أكثر على الإسلام، قيمة، ومبادئه، وتعاليمه، حتى اقتنعت تماماً بعظمة الإسلام، فاعتنقته. . وعن ذلك تقول:

«ليس سهلاً اعتناق الإسلام، بل الأمر يحتاج إلى جهد كبير وإرادة صلبة، خاصة لمن نشأ فى مجتمع غربى مادى، ولكن مع الصبر يصل الإنسان إلى ما يريد، خاصة أن الجائزة كبيرة جداً، وهى سعادة الدنيا والآخرة».

ثم تستطرد قائلة:

«بعد اعتناق الإسلام عن وعى، يحس الإنسان باطمئنان وسكينة نفسية كان يفتقدها قبل ذلك خاصة إذا كان يعيش فى مجتمع تسود فيه القيم المادية، كالمجتمع الذى عشت فيه».

وترتفع حرارة كلماتها فجأة، وتحرك يديها لتأكيد معنى كل كلمة وهى تقول:

«لقد أحسست بالراحة النفسية عندما لا مَسَتْ روحى شفافية الإسلام المتجلية فى عقيدته السمحاء، وعباداته التى تنمى الروح الخيرة المحبة الصادقة فى الإنسان، فتغيرت نظرتى للمجتمع، وللكون، والحياة تبعاً لذلك، فأصبحت أكثر تفاؤلا ورغبة فى العمل من أجل الغير».

والجدير بالإشارة أن «مونتسدات» اتخذت اسم «زينب» بعد اعتناقها

الإسلام من منطلق إعجابها بالسيدة «زينب» رضى الله عنها، وشخصيتها الفذة على حد قولها.

وتسعى «زينب» لتعلم اللغة العربية لتتمكن من قراءة وتفهم القرآن الكريم والكتب الإسلامية، وحتى تتمكن بالتالى من العمل فى مجال الدعوة الإسلامية بين الفتيات غير المسلمات بصفة خاصة، وغيرهن بصفة عامة.

وكذلك تود أن تخاطب الفتيات المسلمات المبتعدات عن الدين بسلوكهن، لتبين لهن الفرق بين أن يكون الإنسان مسلماً حقيقياً يتمتع بنعمة الإسلام والإيمان بتعاليمه وقيمه، وبين أن يكون بعيداً عن ذلك... وتشير إلى أنها قد لاحظت هذا الفرق وعايشته، وتدلل على ذلك بقولها:

«إن النساء والفتيات اللواتى يبتعدن فى سلوكهن عن الإسلام ويُقَلِّدْنَ فى ذلك - وبأسلوب فاشل - المرأة الغربية التى لا تعيش التحرر الحقيقى، إن هؤلاء الفتيات محرومات من السعادة الحقيقية التى أستشعرها بعد أن هدانى الله تعالى للدين الحق، وأنقذنى من ظلمات الضلال».

ثم تستغرقها الحماسة والانفعال وهى تضيف:

«إننى أريد أن أقول للمسلمين بشكل عام: إنكم تَحْظَوْنَ بأغلى جوهرة ألا وهى الإسلام، فحافظوا عليها كى لا تفقدوا نعمة وجودها وتكونوا أنتم الخاسرين.. إن للإسلام فى نظرى أهمية عظيمة، إنه كالماء للحياة، إذا بقى الإنسان بلا ماء يذبل ويموت، وكذلك الإنسان بدون إسلام لاقيمة له ولا لحياته.

* * *

مع الفتاة المدللة «سوسن هندى»

نشأت فى أسرة مسيحية شديدة التعصب لعقيدتها..... كانت الابنة الوحيدة بين أربعة أشقاء من الذكور، ولذا كانت مدللة للغاية..

وكانت منذ الصغر تَتَّصِفُ بِنَهَمٍ للاطلاع والقراءة فى كل أنواع المعرفة، كما كانت حريصة على حضور دروس الدين الإسلامى لمعرفة ماهيته وأحكامه وتعاليمه...

تتذكر مرحلة طفولتها قبل أن تصل لمرحلة التفكير فتقول:

«فى المرحلة الابتدائية كنت المسيحية الوحيدة فى الفصل إلى جانب مسيحى آخر.. وكنتُ أحرص على حضور درس الدين الإسلامى مع زميلاتى وزملائى، وكان مدرس اللغة العربية والدين بأسلوبه المحبب وشرحه المبسط يأسرنى بما يرويه عن الإسلام.

وفى المرحلة الإعدادية كنت أحرص على استعارة كتاب الدين الإسلامى المقرر وبى شغف شديد لاستيعاب كل مافيه، كذلك كان حالى فى المرحلة الثانوية، حيث تأثرت بكتاب «عبقرية عمر» للأستاذ عباس محمود العقاد الذى كان مقرراً علينا وقت ذاك، حيث يمثل نقطة تحول فى تفكيرى، فشخصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه أذهلتنى، وقد كان علىّ كَرَّمَ الله وجهه محقّاً عندما قال: عقمت الأمهات أن يَلِدْنَ مثل عمر.. وإن كان أبو بكر الصديق أرسى الدولة المسلمة سياسيّاً فقد أرساها عمر سياسيّاً وفكريّاً معاً».

وتضيف سوسن:

«إنه برغم تشبث أبى بمسيحيته وتردده المنتظم على الكنيسة فإن مكتبته الخاصة بمنزلنا كان بها عدد كبير من الكتب الإسلامية. . . وكنت أتسللُ إلى المكتبة فى غيبته لأشبع نهمى للاطلاع المجرد بلا هدف، وبالتدريج تكونت لدَىَّ الرغبة فى المزيد من البحث عن المجهول بالنسبة لى، من أجل مزيد من العلم والمعرفة.

والغريب فى الأمر أننى كنت فى هذه المرحلة مسيحية شديدة التعصب، مواظبة على التردد على الكنيسة، وكنت أشعر بالغيرة على عقيدتى وهى تتضاءل أمام الإسلام. . . وكنت أتمنىٰ أن أرى فى عقيدتى المسيحية من القيم والمبادئ القويمة ما هو موجود فى الإسلام».

وتمضى «سوسن» قائلة:

«لم تكن أسرتى تشعر بشئ، بل كان والدى لا يرى مانعاً من مطالعتى للكتب الإسلامية لزيادة المعلومات لا أكثر. . . غير أنه كان هناك إنسان واحد يحس بى وبحيرتى، هو «قس» شاب متفتح، حر التفكير، يقول لى: «أنتِ مُلْزَمَة بما ترين ولست ملزمة بنصوص الإنجيل التى تقلقك، إنى أراكِ باحثةً عن الحقيقة». . . . وعندما علم بحزنى لعدم التحاقى بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، ـ حيث لا يتسنى لغير المسلم أن يلتحق به ـ أشار علىَّ بالالتحاق بقسم التاريخ الذى تخرج منه هذا القس. . . وعندما التحقت بالجامعة، حملت معى فكراً قلقاً بالنسبة لمسيحيتى، وفقدت الثقة فى الأناجيل وشروحها الكثيرة، وكلها على طرفى نقيض، ولكننى أعترف بأنها كانت عاملاً مساعداً لى على اعتناق الإسلام. . وطالما وضعتُ الإنجيل أمام القرآن الكريم فى إطار المقارنة فأرى بأن لا وجه للمقارنة».

وتستمر «سوسن هندى» فى حديثها لتستكمل رحلة إيمانها:

«وكان الحوار بيني وبين الشباب المسلم داخل الجامعة على أشده، ولكن بروح سمحة، وما إن ينتهي الحوار حتى نعود أصدقاء.. وفي السنة الأخيرة قررتُ أن يكون حواري مع أستاذ بالكلية كان على بينة من دينه في غير تعصب.. وقبل امتحان السنة النهائية فاجأت الأستاذ بعزمي على الدخول في الإسلام عن اقتناع تام، ولكن دهشتُ عندما طلب مني أن أتريث حتى أنتهي من أداء الامتحان، لكنني أصررتُ على موقفي.

وغادرت منزلي لأعيش في ضيافة أسرة إحدى زميلاتي حتى استطعتُ إشهار إسلامي.. وجُنَّ جُنون أُسرتي التي فقدت كل أمل في أن أعود إليها، وأبلغوا عني أنني مخطوفة، فذهبت إلى الأجهزة المختصة وكتبت إقراراً بأنني لست مختطفة».

وتتزوج «سوسن هندي» من شاب مسلم ملتزم من الذين كانت تحاورهم في الجامعة، ولم تتعد أو تتجاوز علاقتها به حدود الحوار، ولكن ما إنْ علم بإشهار إسلامها حتى بادر بالتقدم لخطبتها، فقبلت على الفور، حيث كانت تعرف فيه دماثة الخُلُق وهدوء الطبع، بالإضافة إلى استقامته والتزامه بدينه..

وقد رحبت أسرته بها ترحيباً شديداً، حتى أحست ـ كما تقول ـ بأنها في أمان بين هذه الأسرة المؤمنة.. فقد عوضها الله عن أسرتها التي لفظتها وقاطعتها ورفضت أن تتصل بهم[1].

* * *

(١) صحيفة المسلمين في ١٢/ ٧/ ١٩٩١ (بتصرف).

مع الآنسة «روساليا» الأسبانية

تعرفت على الإسلام من خلال عملها فى طباعة الكتب، فقد هَيَّأ لها الفرصة للقراءة والاطلاع، حيث يتيح العمل لمن يعمل فى هذا المجال لأن يقرأ ويتمعن أكثر من غيره.

وقد أدت قراءاتها ـ كما تذكر «روساليا» ـ إلى تبينها الواعى للتناقضات الجمة بين كتب العهدين التى يؤمن بها المسيحيون ويقدسونها، ولا يقبلون فى كلامها شكاً ولا تبديلا، بل يقبلون بها كحقائق مُسَلَّمٌ بصحتها، حتى لو تعارضت مع العقل، أو سُنة الحياة، أو الثابت والمنقول تاريخياً، أو الفطرة الإنسانية.

وجدت «روساليا» أن العهد القديم يدعو إلى عبادة إله واحد، وينبذ التماثيل، فى حين أن العهد الجديد ـ على العكس ـ يحتفى بها، ويجسد فيها ما يزعمون أنها صور الإله والملائكة زوراً وبهتاناً وكذباً، ويدعو إلى التثليث أو الأقانيم الثلاثة: «الأب، والابن، والروح القدس».

فى هذه الفترة كانت «روساليا» تحيا حياتها الروتينية كأية مسيحية أسبانية، تُقِرُّ بالتثليث، وتمارس فى روتين ممل طقوس المسيحية، ليس لإيمان متعمق فى نفسها، ولكن لأنها تعودت هذا النمط من الحياة منذ طفولتها، وبرغم ذلك فإنها كانت فى داخلها تحيا شكاً خفياً فى طبيعة وحقيقة المسيحية، ذلك أنها قرأت «التوارة»، أو كُتب العهد القديم ـ كما يسمونها ـ والأناجيل، أو

كتب العهد الجديد، فوجدت بينها تناقضات كثيرة، برغم أن الذين حَرَّفُوا «الإنجيل» فى العهدين ينتمون إلى شعب واحد.

لقد وجدت فى الإسلام وحده من بين الأديان ضالتها، فتعبر عن ذلك بقولها:

«لقد رأيتُ فى هذا الدين القيم ما يلبى حاجاتى الروحية، ويجيب عن إستفساراتى العقلية، رأيتُ فيه تقريره بوحدانية الله عز وجل، وتأكيده المتكرر على ذلك، وهذا ما يتماشى مع الأدلة العقلية التى لا يمكن أن تقبل القول بتعدد آلهة الكون الواحد، وإلا لَفَسَد نظامه المحكم، واختلت موازينه، ونظرتُ إلى مبادئه الخالدة التى تجعل علاقة الإنسان بربه علاقة مباشرة لاتحتاج إلى وساطة الكهان، ولا تباع فيها «صكوك الغفران». . لقد رأيتُ فى هذه المبادئ ما يُشكل ميثاقاً لحرية الإنسان، فهى تحرره من كافة الوصايات التى يفرضها الكهنة باسم الدين، ولم يأت بها شرع من الله، وتفرض عليه رقيباً داخلياً من ذاته، يتمثل فى ضميره، وإيمانه بالله، وخوفه من يوم الحساب، يوم لاينفع مال ولابنون، إلا من أَتَى الله بقلب سليم».

وتضيف «روساليا» فى بيان انجذابها لدين الإسلام فتقول:

«لقد زاد إعجابى بالإسلام حين وجدت أنه أرسى مبادئ حقوق الإنسان قبل أن يَدَّعِيها مفكرو وفلاسفة الغرب لأنفسهم بنحو ثلاثة عشر قرناً، حين دعا فى كتابه المحكم إلى المساواة بين البشر، وجعل أكرم الناس عند خالقهم أتقاهم وأحسنهم عملا، فالكل سواسية أمام الخالق المتعالى كأسنان المشط، والكل فى النهاية ـ كما قال النبى محمد ﷺ ـ «لآدَمَ، وآدَمُ من تراب».

لكل هذا لم تجد الفتاة «روساليا» أية صعوبة فى ترك معتقدها القديم الباطل، والدخول فى دين الله عن قناعة واقتناع كاملين، فتتحمس لتنطق بالشهادتين: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله». . وعن ذلك تقول وقد اغرورقت عيناها بالدموع فرحة وحبوراً:

«إننى لم أفعل ذلك إلا لإكمال إيمانى، لأنى بالفعل كنت قد آمنتُ بالله ربّاً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً وعقيدة، وسلوكا وحياة».

ولم تكتفِ «روساليا» بإشهار إسلامها والالتزام بتعاليم الدين الإسلامى فى حياتها وعمَلها، وإنما عمدت أيضاً إلى التعامل مع السلبيات التى تواجهها فى حياتها بصفتها مسلمة تعاملاً إيجابيّاً حازماً، فعلى سبيل المثال اعترضتها مشكلات الأوراق الرسمية، ذلك أن التعليمات المعمول بها فى أسبانيا ترفض صورة المرأة وهى محجبة على بطاقات الهوية وجوازات السفر، مما يضطر المسلمات إلى مخالفة الشرع والتصوير بدون حجاب من أجل استخراج مثل هذه الأوراق الرسمية الضرورية...

ولكن حين واجهت الفتاة المسلمة «روساليا» هذه المشكلة لم تستكن مثل غيرها وتقبل بالأمر الواقع قبول المضطر الذى لا حيلة له، وإنما تصرفت بسلوك استمدته من إيمانها بالله القوى لتقاوم ما يملى عليها من تعليمات تتعارض مع ما تؤمن به الآن... فماذا فعلت؟

تجيب «روساليا»:

«لقد مكثتُ ساعات طويلة فى قسم الشرطة الذى تتبعه منطقة سكنى أناقش مَسئُوليه بالحجة تلو الأخرى، وبنود القوانين موضحة حقى فى أن أرتدى ما يتوافق مع عقيدتى، رافضة أى شكل من أشكال إجبار المسلمة على الاتيان بما لاتحب، ومخالفة أوامر دينها، حتى اضطرتهم إلى الاتصال بهيئتهم العليا، وجاءت الاستجابة أمام إصرارى».

أجل.. لقد جاءت الاستجابة أمام إصرار النفس المؤمنة، واستحقت «روساليا» أن تكون أول امرأة أسبانية مسلمة تصدر لها بطاقة هوية وبها صورتها وهى ترتدى الحجاب.

و«روساليا» - اليوم - لا تزال تمارس عملها فى طباعة الكتب، وإن كانت - بعد إسلامها - قد اتجهت إلى طباعة الكتب الإسلامية... وتقوم إلى

جانب ذلك بالدعوة الإسلامية بتنوير صويحباتها بحقيقة الإسلام وجوهر قِيَمِهِ النبيلة التى بدلت حياتها كلياً، وسَمَتْ بروحها فوق رياح الانحلال الغربى التى انتشرت فى أوربا كنتيجة مباشرة لفساد العقيدة، وغياب الوازع الدينى الصحيح الذى يسلح المرء ضد مفاسد الحياة ومباذلها، ويكون له بمثابة المربى والموجه، كما تذكر دائماً فى معرض حديثها عن دينها الجديد.. الإسلام.

ولذا فهى تشعر - على حد تعبيرها - بأنها جزء من أمتها الكبرى.. أمة المسلمين، فتناقش بوعى وفكر متفتح مشكلات المسلمين فى بلدان الغرب بعامة، وأسبانيا بخاصة، بهدف إلقاء الضوء عليها، مما يؤدى فى النهاية إلى حلها.. وأولى تلك المشكلات - كما تراها «روساليا» من واقع تجربتها الشخصية - افتقاد المسلمين غير الناطقين بالعربية إلى المراجع الدينية الموثوق بها بلغاتهم فى مجالى الفقه والعقيدة، مما يحول بين المسلم غير العربى وبين التعرف على عقيدته تعرفاً كاملا، والإلمام بأصولها وفروعها وكل دقائقها، بما يجعله قادراً على إقناع غيره بعقيدته، والتصدى لكل الدعايات الخبيثة المغرضة التى تحاول الادعاء بأن الإسلام دين العرب فقط وليس رسالة عالمية[1].

إن نقص المراجع الدينية المترجمة إلى اللغات التى يتكلم بها مسلمو الغرب - كما تقول «روساليا» من أكبر العوائق التى تعترض سبيل الدعوة الإسلامية فى أوربا وأمريكا، وغيرها من المناطق التى يتزايد فيها عدد المسلمين.

.. ولكن ما الحل فى نظر «روساليا»؟

تقترح «روساليا» أن يسير الحل فى اتجاهين متوازيين[2]:

---

(١) نذكر مثل تلك المشكلات فى سياق عرضنا للنماذج التى أكرمها الله تعالى بالهداية إلى دينه الحق، بهدف أن يضطلع المسئولون فى أجهزة الدعوة الإسلامية بدورهم فى حل لها، من خلال تلك المراكز الإسلامية المنتشرة فى بلاد الغرب.

(٢) من الأمور العجيبة التى تسعد المرء أن يتحمس أحد الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً فى التفكير المضنى لانتشار الإسلام، وحل ما يعترضه من صعوبات بطرح آراء وتصورات عملية منطقية كالتى نحن بصددها الآن.

الاتجاه الأول: توفير هذه المراجع بشتى لغات العالم الكبرى، إما على نفقة الحكومات والهيئات الإسلامية، أو على نفقة أثرياء المسلمين الذين نراهم متقاعسين عن خدمة دينهم، فى وقت يتبارى أثرياء الغرب فى التبرع لصالح أنشطة الكنيسة وأعمال التنصير بدون الضن بالمال والجهد من أجل تحقيق أهدافهم فى بسط المسيحية على سائر أقطار المعمورة، حتى بات المسلمون أنفسهم فى الكثير من البلدان ـ ولاسيما الفقيرة ـ عرضة لهذا النشاط التنصيرى.

ويتمثل **الاتجاه الثاني:** فى ضرورة السعى لتعليم أكبر عدد ممكن من مسلمى العالم اللغة العربية.. لغة القرآن الكريم كى يمكنهم أن يحملوا أمانة تبليغ وإيضاح العقيدة لذويهم وإخوانهم من غير المسلمين، وذلك عبر الاطلاع على كتب الدين الإسلامى من مصادرها ومراجعها الأصلية، وتلك مهمة ينبغى أن يقوم بها العرب المسلمون على وجه الخصوص، باعتبار أن اللغة العربية لغتهم، وأن الله شَرَّفَهُم على غيرهم بأن جعلها لغة كتابه الحكيم».

ومن هنا ترى «روساليا» أن العرب المسلمين مقصرون فى هذا المجال، ولا يولون اهتماماً كافياً لتعليم إخوانهم فى الدين لغة القرآن الكريم.. ولذا فإن أملها ـ كما تقول ـ ألاَّ تقتصر هذه المهمة على الجامعات والهيئات والمنظمات الإسلامية وحدها، وإنما يجب أن يشارك فيها كل عربى مسلم يقيم فى المهجر، ولو بتخصيص ساعتين من وقته كل أسبوع من أجل هذا الهدف النبيل الذى يعزز الإحساس بالوحدة الإسلامية، ويؤاخى بين المسلمين على اختلاف بلدانهم ولغاتهم[1].

***

(١) إننا نستصرخ ـ ولا نقول نشارك اختنا المسلمة «روساليا» فى هذا النداء ـ أن يتمثل العرب المسلمون روح الغيرة على دينهم الإسلام، فيعملوا على نشر لغته، ليتسنى لهم فهم كتابه الحكيم، وذلك يتبنى هذا الاقتراح الطيب.

مع الفتاة السويدية «آن صوفيا» التى صارت «أسماء»(١)

فتاة سويدية درست فى «النرويج» لمدة ست سنوات فى الآداب قسم تاريخ الأديان.. وكانت نوعية دراستها هى نقطة البداية فى رحلتها من المسيحية إلى الإسلام، التى تقول عنها:

«لقد درست فى الجامعة «مقارنة الأديان» ومنها الإسلام، ولكنه لم يعجبنى أولاً، لأن تعرفى عليه كان من خلال كتب المستشرقين.... وهؤلاء المستشرقون يشوهون صورة الإسلام ويعطون صورة غير صحيحة عنه، مثال ذلك: أن الإسلام دين العنف والإرهاب... وأن المرأة فى الإسلام مقيدة ومغلوبة على أمرها.. أو أن محمداً ﷺ أخذ من المسيحية واليهودية وصاغ ديناً جديداً لذلك يسمونه هناك الدين المحمدى»...

ثم صمتت برهة لتلتقط أنفاسها لتستطرد فى حديثها، ولماذا اعتنقت دين الإسلام، فتقول:

«لقد كانت لى أستاذة مشرفة فى الجامعة نصحتنى أن أدرس الإسلام من منابعه، من القرآن والسنة، وأن أقرأ لعلماء المسلمين أنفسهم... فشاء الله لى أن أقرأ رسائل الإمام الشهيد حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان

(١) مجلة لواء الإسلام فى أحد أعدادها

المسلمين[1]، وكتاب «معالم فى الطريق» لسيد قطب. . ومبادئ الإسلام «لأبى الأعلى المودودى. . »:

وأكدت على أهمية هذه الكتب فى تحولها للإسلام قائلة:

«كانت هذه الكتب الثلاثة، وخصوصاً كتاب «معالم فى الطريق» هى سبب تحولى من المسيحية إلى الإسلام، فقد عرفتُ أن الإسلام دين الواقع والعمل، وليس دين نظر وخيال»[2].

وبمناسبة تطرقها والإشارة إلى تأثرها بالإخوان المسلمين، فقد ذكرت أنه قد أعجبها فى هذه الجماعة البساطة والتواضع، وأسلوبها فى الدعوة إلى الله ودينه «الإسلام». . . . ثم تبتسم فى سعادة قائلة:

«لا أنسى أننى قد أعلنت إسلامى على يد أحد دعاة الإخوان المسلمين فى كوبنهاجن[3]. . . وبعد ذلك وفى أحد المؤتمرات التى عقدت فى «كوبنهاجن» حضر أحد الإخوة المسلمين العرب هذا المؤتمر، وكان يبحث عن عروس، فأخبره داعية الإخوان أن لديه الأخت المناسبة ـ وكان يقصدنى. . . فجاء الأخ ورآنى، ثم صلى صلاة الاستخارة وصليت أنا أيضاً صلاة الاستخارة. . . . وَوَفَّقَ اللهُ، وتزوجنا فى اليوم التالى[4].

وتذكر «آن صوفيا» أن بعد إسلامها قد واجهتها عقبات ومشاكل، ولكنها لم تزعزع إيمانها. . . فتعبر عن ذلك بقولها:

(١) وليتأمل هذا القول المعادون لجماعة الإخوان المسلمين من المسلمين أنفسهم.

(٢) مما هو جدير بالذكر أنها الآن تعد رسالة دكتوراه فى إحدى جامعات السويد عن التربية الإسلامية فى القرآن والسنة.

(٣) عاصمة الدانمرك.

(٤) مما هو جدير بالذكر، والذى نسوقه لفتياتنا المسلمات، أن الفتاة السويدية التى اسلمت قد كان مهرها بسيطاً جداً لا يتجاوز ٢٠٠٠ كورن أى ما يعادل مائة جنيه مصرى، وليست هناك شبكة أو شئ من هذا القبيل. . . أما عن الشقة فتقول: لقد كان فراشها عبارة عن موكيت مفروش على الأرضية، وبعض الغطاء، بالإضافة إلى مكتبة. . . هذه شقة زواج «آن صوفيا» التى صارت «أسماء» وهذا مَثَلٌ أردنا أن نثبته هنا ليطلع عليه شباب وشابات المسلمين الذين يغالون فى مثل هذه الأمور.

«.... ولقد واجهتنى مشاكل لم تزعزع إيمانى، بل كنت أجد سعادة غامرة لشعورى أننى أتشبه بالمسلمين الأوائل الذين عُذِّبُوا وسُجِنُوا فى سبيل الإسلام، والحمد لله لقد مرت هذه الظروف.

ولنتأمل إلى أى مَدى وصل إيمان المرأة السويدية التى خلعت عن نفسها ثوب الكفر لترتدى بدلا منه ثوب الإسلام لدرجة أنها تستعذب العقبات والمشاكل فى سبيل إيمانها بدينها الجديد «الإسلام».

ولاعجب، فتعبر عن مشاعرها بعد دخولها الإسلام قائلة فى نشوة وسعادة:

«إننى - الآن - أحس بالراحة والطمأنينة والسلام، وأحس بأن الحياة لها معنى، وأننى أصبح لى دور فى هذه الأرض، إذ أننى من الذين استخلفهم الله فيها.... على حين كنت - قبل الإسلام - قلقة متضايقة، لا أعرف للحياة معنى، ولا أجد تفسيراً لماذا أعيش؟».

ولم تكتف «أسماء» بدخولها للإسلام، بل تريد أن تكون داعية مخلصة له، فتقول بترجمة بعض الكتب الإسلامية لخدمة الدعوة إلى الدين الإسلامى، خاصة الكتب المؤلفة من علماء الإخوان المسلمين، كذلك تقوم بإلقاء دروس ومحاضرات تشرح فيها الإسلام الصحيح كما عرفته وتعلمته.

* * *

مع السيدة الإنجليزية «أميلدا»

عندما ذَهَبَتْ للقائها محررة صحفية[1] لإجراء حوار معها وتسألها السؤال التقليدى المعتاد: لماذا وكيف أسلمت؟

قالت وهى تبتسم ابتسامة رقيقة:

«وُلِدْتُ فى أسرة مسيحية، ونشأت نشأة عادية، وفى مرحلة من مراحل حياتى شعرت أنى فى حاجة إلى الجانب الروحى فى الحياة، فبدأت أقرأ فى الأديان، وأهدانى أخ مسلم كتاباً كريماً «ترجمة لمعانى القرآن» لأقرأ فيه.. فقرأته، وتجاوَبَتْ معه فِطْرَتِى، فشعرتُ بأننى قد أسلمتُ لله رب العالمين.. وكنت حينئذ أعمل فى المطار بلندن فى عمل إدارى، فوجدتُ أن طبيعة عملى لا تتلاءم مع إسلامى، فتركت العمل، وبحثت عن وظيفة فى إحدى المؤسسات الإسلامية المنتشرة فى لندن.. والحمد لله وفقنى الله للعمل بمركز دراسات إسلامية».

ولم تكتفِ «أميلدا» باعتناقها للإسلام، بل سعت للدعوة إليه، كما سعت لتقديم المساعدة للنساء المسلمات وحل ما يعترضهن من مشكلات... وعن ذلك تقول:

---

(١) تذكر تلك الصحفية «هبة سعد الدين» أنها عندما ذهبت إليها وطرقت الباب لم تشعر بالترقب لغريب، بل كان إحساس ألفة ومَودّة، فتقول حين فتحت لى الباب أسرعت ألقى السلام وأقبلها، وكأننا تلاقينا مئات المرات من قبل، وكذلك سارعت باحتضان ابنها الصغير طارق الذى جاء مسرعاً بفضول طفل لم يتجاوز العامين ليرى مَنْ بالباب (مجلة هاجر ملحق المختار الإسلامى ـ العدد الأول).

«شعرتُ بعد مدة بمشكلات تواجهها المرأة المسلمة فى المجتمع البريطانى.. ووجدت عندى مساحة من الوقت، فقررت الخروج لخدمة مجتمعى الإسلامى، فكونتُ مع عدة أخوات لى فى الله مكتباً لتقديم المساعدات للنساء المسلمات يُعَدُّ بمثابة مكتب اتصال يُساعد فى حل المشكلات التى تنجم عن عدم معرفة البعض باللغة الإنجليزية، فنقوم بمساعدة الأخت فى أى إجراءات رسمية، كذلك نعرف الأخت المسلمة بأماكن المؤسسات الإسلامية المختلفة، وأماكن تصلح لنزهة أطفالها، ونُعلمها بالمؤتمرات الإسلامية التى تعقد فى العاصمة البريطانية، ونحاول الرد على أى أسئلة.. ونحن نستعين فى عملنا بأطباء، ومحامين، ومترجمين، وعلماء نفس، للرد على الاستفسارات المختلفة التى تَرِدُ إلينا».

ثم أضافت فى بيان أنشطة هذا المكتب قائلة:

«كذلك خصص المكتب خطاً تليفونياً نسميه «خط المساعدة»، له مواعيد محددة يتفرغ فيها لسماع المشكلات الخاصة للأخوات المسلمات والرد عليها بالرجوع لعلماء الدين وحكم الشرع فيها.. وهى نوع من المساعدة المعنوية فى مجتمع ربما لا تعرف فيه الأخت أحداً تبثه همومها[1].. ومن هنا يكون هدفنا التخفيف من الضغوط النفسية التى تتعرض لها الأُخت فى الغربة، وتوفير المساعدة اللازمة لها بدون إصدار أحكام عليها ومحاكمتها على ظروفها، وهو ما يفعله للأسف البعض حين ينشغلون بالحكم على الأشخاص، فلا يبحثون للمشكلة عن حل».

ثم صمتت للحظات لتؤكد بعدها على ماتريد توضيحه فتقول:

«إنَّ هناك مؤسسات ترعى أبناء دولها، أما مكتبنا فهو يحاول الوساطة بين كل المؤسسات الموجودة كحلقة اتصال لتقديم الخدمات.. كما أنه لا يتعامل مع جنسية بعينها، بل يتعامل مع أى امرأة مسلمة.. ولقد أكرمنا الله فأصبحت

(١) إننى أتساءل هنا فى بلاد المسلمين: ما الذى يمنع أن تقوم مثل تلك الأنشطة بصورة دائمة منتظمة؟

بعض المؤسسات الإنجليزية تلجأ إلينا فى حل مشكلات بعض روادها من المسلمين، نظراً لعدم معرفتهم بالثقافة الإسلامية، وحاجتها إلى استشارتنا فى كيفية تعاملها مع المسلمين».

أجل. . . إن للمرأة المسلمة ـ فى أية بقعة من بقاع الأرض ـ دوراً إيجابيّاً تجاه دينها وأبناء دينها، وذلك إذا فهمت الإسلام كعقيدة وسلوك ومنهاج عملى يرسم خطاها فى الحياة.

فما بالنا إذا كانت تلك المرأة لم تكن مسلمة بحكم النشأة، ولكن بحكم الإيمان والاقتناع، بعد البحث والدراسة والفهم، كالنموذج الذى نحن بصدده؟!

لاشك أن قَدْرَ دورها يتعاظم فى النفوس.

***

مع الإنجليزية «كاثلين»(1)

سيدة إنجليزية لم تقتنع بمذهبها «البروتستنانتية» فى ديانتها المسيحية، فتحولت إلى المذهب «الكاثوليكى». . فلم تجد أيضاً ما تبحث عنه.

سمعت كثيراً عن الدين الإسلامى فكتبت إلى المركز الإسلامى فى العاصمة البريطانية «لندن» تطلب بعض الكتب والمطبوعات الإسلامية كى تتعرف على الإسلام كدين.

وبالفعل تلقت بعض الكتب التى عكفت على دراستها بإمعان وتدبر، فشعرت بارتياح غريب، فلقد وجدت ضالتها المنشودة التى كانت تبحث عنها منذ أمد بعيد. . . . فتقول عن ذلك:

«لقد بحثت فى جميع الديانات السماوية علنى أجد ما أبحث عنه، فلم أجد ذلك إلا فى الإسلام».

(1) مجلة «المسلمون» الصادرة فى نوفمبر ١٩٨٥ العدد الأربعون (بتصرف).

واعتنقت «كاثلين» الإسلام بعد أن آمنت إيماناً راسخاً بعظمته كدين شامل صالح لجميع المجتمعات فى كل زمان ومكان. . . .

إنها تذكر أن الدين الجديد قد زادها وقاراً واحتراماً، بل قد ساعدها - على حد قولها - على اختيار الزوج المناسب، فقد تزوجت «كاثلين» من شاب عربى أردنى مسلم، وكان ذلك بعد فترة من دخولها دين الإسلام ومعرفتها الدقيقة بتعاليمه وآدابه. . . .

وفى الوقت ذاته فهى لا تنكر أن لزوجها فضلاً كبيراً فى تفقهها لأمور الدين المختلفة، حتى صارت تعرف الواجبات الدينية وكيفية تأديتها، حيث أنها تؤدى الصلاة، وتصوم رمضان، وتؤدى الزكاة وتتصدق قدر طاقتها. . كما قامت بأداء العمرة إلى بيت الله الحرام، وتسعى لأداء فريضة الحج.

وتقول «كاثلين» وهى سعيدة بالفرائض التى تؤديها:

«على المسلم الصادق فى إسلامه أن يؤدى جميع الفرائض التى فرضها الله تعالى عليه، بنفس راضية مطمئنة».

ولم تكتف «كاثلين» باعتناقها لدين الإسلام، فهى تتمنى أن يعتنقه والداها وأسرتها، بل أن يعتنقه أهل الغرب ومن لا يدينون به بوجه عام. . . . . لدرجة أنها تفكر فى ذلك كثيراً، ولكنها تعلم أنه لا إكراه فى الدين.

لقد بلغ رضاها بالمجتمع المسلم الذى تعيش فيه أنها تتمنى أن تكون كل المجتمعات الأخرى - وخصوصاً المجتمعات الغربية - مثله، حيث تنتشر حالات الضياع والاغتراب التى يعانى منها المواطن فى تلك المجتمعات ذات التحضر والمدنية الزائفة.

* * *

مع السيدة الدانمركية «هدى سيد»[1]

شابة تجاوزت العقد الثالث من عمرها.. تخرجت من جامعة كوبنهاجن بالدانمارك، حيث نشأت وترعرعت فى أسرة متدينة، مماجعلها حريصة على أداء الصلاة فى الكنيسة كل يوم أحد، وغيرها من شعائر دينية، وعن ذلك تقول:

«كنت حريصة على أن أؤدى الصلاة فى الكنيسة كل يوم أحد، وأشارك فى حضور تراتيل الترانيم الدينية ومختلف الطقوس.. ولكن عندما كبرت ووعيت عَمّاً يدور حولى، بدأت الأفكار تتضارب فى ذهنى، وكثرت التساؤلات التى لم أجد لها جواباً شافياً، وظلت الحيرة تلازمنى حتى مهدت لى عملية دخولى الجامعة أول الطريق الصحيح حيث تمكنت من قراءة كتب عن مختلف الأديان».

وعن بداية طريقها إلى الإسلام وكيف جذبها بتعاليمه تقول:

«فى عام ١٩٦٦ قرأت ترجمة لمعانى القرآن الكريم - وضعها أستاذ دانمركى يسمى «مكش» قد اعتنق الإسلام هو وجميع أفراد عائلته - فلما فرغت من قراءاتها اكتشفت أن القرآن الكريم هو دستور كبير للحياة الدينية والإنسانية، وأن الإسلام لايُكْرِهُ أحداً على اعتناقه، حيث يقول ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾... وأن الإسلام لا يعترف بالتفرقة، بلون أو جنس، فالبشر جميعاً سواسية.. إذْ يقول رسوله الكريم «لا فَضْلَ لعربيٍّ على أعجمى إلا

(١) تسمت بهذا الاسم بدلا من الاسم الاجنبى «آنى نيش» الذى تمقته من كل قلبها على حد قولها.

بالتقوى»، فضلاً عن أن القرآن الكريم يقول: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾.... وأعجبنى أكثر أن الإسلام يحرص على احترام الأديان والكتب السماوية الأخرى، بعكس الافتراءات الكاذبة التى تروج ضد هذا الدين الحنيف الواضح الصريح».

وتستطرد فى بيان كيف أن الإسلام دين تشريع شامل فتقول:

«...وواصلت البحث والدراسة فى الكتب السماوية، وخرجت بنتيجة فحواها أن الدين الإسلامى هو التشريع الشامل لكل وجوه الحياة فى الماضى والحاضر والمستقبل.. وأنه المرشد الوحيد للفرد والجماعات على هذه الأرض.... أعظم ما فيه أنه دين واضح لاغموض فيه يصلح لكل الأزمان والعصور».

ثم تختتم حديثها بابتسامة عريضة وهى تعلن فى سعادة غامرة:

«... أحمد الله أنْ هدانى إلى طريق النور فأشهرت إسلامى فى الأزهر الشريف الذى حرصت على الحضور إليه من أجل ذلك».

***

مع الآنسة الإيطالية «مويرا» التى أصبحت «نوال»

هى فتاة إيطالية، تبلغ من العمر ٢٣ عاماً... نشأت فى أسرة مسيحية متدينة متوسطة الحال، حيث يعمل والدها عاملاً فى هيئة السكة الحديد، ووالدتها فى التجارة.... تتحدث عن ظروف اعتناقها للإسلام فتقول:

«لقد ظلت علامات الإستفهام تراودنى طويلاً حول ما يدعى بـ «صَلْب المسيح»، و «التثليث»... وكذلك ظواهر الأنانية التى يعيشها الفرد فى المجتمع الإيطالى، وما ينجم عنها من علاقات اجتماعية متفسخة، مما جعلتنى أتشكك فى جدوى تعاليم الكنيسة وما تدعو إليه...

وفى ذلك الوقت حدث أن قرأتُ ترجمة معانى القرآن الكريم أكثر من مرة.. وكنت أشعر مع كل قراءة بنوع من الروحانية السامية التى تدخل قلبى، وتمنيت أن أجيد اللغة العربية التى تتيح لى فرصة قراءة القرآن الكريم بلغته الأصلية التى نزل بها، كما تتيح لى أيضاً فرصة معرفة الفقه الإسلامى وفهم أحكام الشريعة».

وعندما سُئلت عن أمانيها الشخصية والعامة... رنت بعينيها إلى بعيد وهى تقول:

«كم أتمنى أن أوفق فى تأسيس حياة أسرية سعيدة.. أتزوج شاباً مسلماً صالحاً يُساعدنى على تنشئة أولادنا على حب الإسلام والالتزام بتعاليمه والقيام بواجباته وفرائضه التى فرضها علينا.

ثم أردفت قائلة:

«أما على المستوى العام.. فكم أتمنى أن يقوم العالم الإسلامى بطبع عشرات الكتب التى تدفع عن الإسلام ما يردده الغرب من أكاذيب حاقدة عن أحكام الدين الحنيف، خاصة ما يتعلق بالمرأة، خاصة أن لديهم تصورات عديدة يختلقونها كذباً عن المرأة المسلمة».

وبعد.. فإننا إذا تأملنا الكلمات الموجزة التى وردت على لسان فتاة إيطالية كانت تدين بالمسيحية ندرك مدى قوة الإيمان التى تغلغلت فى وجدانها، لدرجة أن أمانيها ـ سواء كانت شخصية أو عامة ـ دارت فى فَلَكِ الإسلام.. فنجدها تمنت زوجاً مسلماً لينشئ معها بيتاً مسلماً.. ثم انطلقت بأمانيها نحو العالم الإسلامى لأن تجد فيه من يدافع عن الإسلام ضد أعدائه بما يروجونه عنه من أباطيل وأكاذيب.

***

مع الأمريكية «سندرا ستيرلنج»
التى صارت «علياء ستيرلنج»

فتاة أمريكية تميزت عن كثير من بنات جنسها فى حبها للبحث عن الحقيقة حتى وجدتها فى القرآن الكريم، الذى رأته بين يديها مصادفة.. كيف؟... تجيب «علياء» فتقول:

«وجدت فى حوزة والدتى بعض الكتب عن اللغة العربية وعن الدين الإسلامى، ومن بينها القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، حيث كان جدى لأمى يعمل بالسفارة الأمريكية بالقاهرة... وفى الحقيقة فتحت لى هذه الكتب أبواباً جديدة كانت بداية لتَعَلُّقِى بالإسلام...

كذلك من مكتبة المركز الإسلامى بواشنطن زادت حصيلتى عن الإسلام...».

ثم أردفت قائلة:

«لقد وجدتُ فى الإسلام كثيراً من الإجابات عن أسئلة كانت تدور فى ذهنى قبل إشهار إسلامى، كما وجدته يختلف عن غيره من الأديان السماوية التى تربيت على معرفتها من حيث التوحيد فى العبادة، لاثالوث كما فى المسيحية، أو أن الرب الواحد قد اختص الشعب اليهودى دون غيره باعتباره شعب الله المختار كما تذهب اليهودية الآن...».

ولكن هل صورة الإسلام فى الولايات المتحدة الأمريكية واضحة بلا تشويه؟ . . عندما سُئلت هذا السؤال أجابت بأسىً:

«للأسف!! إن صورة الإسلام مشوهة عندنا، كما هى مشوهة فى الغرب، فالغالبية لا تعرف أن الإسلام يدعو إلى التوحيد، بل إن طلبة المدارس فى المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية عندنا فى أمريكا يدرسون الإسلام على أنه دينٌ بدائى انتشر بالسيف. . وأن النبى محمداً ﷺ كان تاجراً غنيّاً. . . إلى آخر هذه الصور المهزوزة التى شبت عليها أجيال فى الولايات المتحدة».

لوحظ أن «سندرا» أو «علياء» ـ كما تحب أن تُعْرَفَ به ـ كانت تتحدث بلغة عربية سليمة. . وعندما سُئلت عن سر ذلك أجابت ضاحكة فى سرور:

«منذ صغرى وأنا أهتم بتعلم اللغات الأجنبية، وقد تعلمت الفرنسية والأسبانية. . أما اللغة العربية فقد بدأ اهتمامى بها منذ صغرى عند عثورى على الكتب العربية لدى والدتى ورغبتى فى معرفة ما تتضمنه، وخصوصاً تلك الكتب التى تتناول الدين الإسلامى. . . . ولذلك حرصت على دراستها فى الجامعة، بل زاد اهتمامى بها لدرجة أننى قمت بتغيير دراستى من الطب إلى اللغة العربية، حتى وصل بى الأمر إلى إعداد رسالة الماجستير فى الأدب العربى، بالإضافة إلى قيامى بتدريس العربية هناك».

ثم استرسلت فى حديثها قائلة:

«لقد ساعدتنى دراستى للغة العربية فى البحث والتعمق فى الدين الإسلامى وفهمه بشكل حقيقى واضح بلا لبس أو تزييف. . . .».

وعن رد فعل من حولها بعد اعتناقها للإسلام. . . قالت وهى تنظر إلى بعيد تسترجع ذلك:

«لقد اعتقد من حولى فى البداية ـ أهلى وأصدقائى ـ أنها نزعة عارضة سرعان ما تزول وأنساها، ولكن بعد مرور أكثر من عامين على تمسكى بعقيدتى الجديدة «الإسلام» استغربوا منى ذلك، بل إن بعض الأصدقاء تحولت أسئلتهم من أسئلة سخرية إلى أسئلة جادة حول طبيعة الإسلام ومبادئه وتعاليمه، وذلك بهدف البحث والتفكير فيه كعقيدة نالت اهتمامهم بشكل مكثف».

* * *

مع السيدة النرويجية «رابية»

هى سيدة نرويجية تعمل فى المكتب الإعلامى الإسلامى بستوكهولم.. توجز قصة إسلامها بقولها:

«كنت أبحث دائماً عن حلول لأسئلة وجودية تبحث عن سر الخَلْق.. لماذا خلقت؟.. وما الهدف من الحياة؟.. وماذا بعد الحياة؟

صحيح أننى قرأت الإنجيل، ولكنه لم يعطنى الإجابة التى أريدها.. ثم قرأتُ تعاليم بعض الديانات الأخرى، إلى أن قرأت كتاباً شافياً كافياً عن القرآن الكريم..

وبعد الانتهاء من قراءة هذا الكتاب الحكيم سمعتُ عن المكتب الإعلامى الإسلامى.. وهناك تعرفت على السيدة «منجية» وزوجها، وعدد آخر من المسلمين، وقد ساعدونى كثيراً على التعرف على الإسلام وتعاليمه وآدابه، ولم يكن أمامى إلا أن أعلن إسلامى ونطقتُ بالشهادتين».

وأردفت تقول:

«ثم تزوجتُ من شاب أردنى قد تعرفت عليه من خلال المكتب الإسلامى.. وقد أنجبت منه طفلة والحمد لله، فإننى أشعر بسعادة غامرة

بحياتى الجديدة التى أشعر أننى فيها قد ولدت من جديد، ولذا فإننى أدعو غيرى ممن لايدينون بالإسلام أن يقدموا عليه، وعلى استعداد أن أمهد الطريق لهم كما مَهَّدَهُ لى الغير».

* * *

مع السيدة السويدية «منجية»

هى سويدية تبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً، استهوتها فكرة دراسة الدين الإسلامى بعد أن تعرفت على شاب عربى مسلم يعمل فى السويد، برغم أن بيئتها التى نشأت فيها لا تهتم كثيراً بمسألة الديانات واعتناقها.. فتعبر عن ذلك بقولها:

«لقد كنتُ فى الأصل لادينَ لى، حالى حال أسرتى وكثير من الأُسَر هناك الذين يعتقدون أن الديانات السماوية تدعو إلى التخلف..».

ثم تضيف:

«وعندما وصلتُ إلى العشرين من عمرى تعرفتُ على شاب تونسى مسلم لم يكن متديناً، واستهوتنى فكرة دراسة الدين الإسلامى.. وبالفعل بدأت بقراءة بعض الكتب المترجمة للإنجليزية، ولكنها لم تكن وافية، وبالتالى لم تعطنى معلومات كثيرة عن الإسلام... ولكن كان من حُسن حَظِّى أننى تعرفتُ على مكان مكتب الإعلام الإسلامى[1].

وذهبت إليه لأجد داعية مصرياً قام بإعطائى كل ما أريد عن الدين الإسلامى...

(١) يوجد هذا المكتب فى «استوكهولم» ويُعَدُّ الهيئة الإسلامية الوحيدة الموجودة فى البلاد الإسكندنافية، وهو يقوم حالياً بمتابعة الكتب والنشرات والمقالات التى تتهجم على الإسلام والرد عليها، وبالتالى تقديم معلومات صحيحة عن الإسلام للمهتمين بذلك.

ومنذ هذا الوقت وأنا أستشعر كأن شيئاً شدني إلى هذا الدين الذى أعطى لى تفسيرات كثيرة للحياة ومعناها لم أكن أعرفها».

وتواصل «منجية» قصة دخولها الإسلام فتقول:

«وفى ذلك الوقت قررتُ ارتداء الحجاب.. وطلبتُ من صديقى التونسى إما الزواج أو الانفصال نهائيّاً.. وتزوجنا، وأنجبتُ طفلاً.. ولكن زوجى كان غير راضٍ عن إسلامى للأسف الشديد[1].. ولم يكتف بذلك بل منعنى من الخروج معه فى أى مكان بالحجاب، الأمر الذى دفعنى إلى طلب الطلاق منه بعد كل المحاولات اليائسة لإصلاحه».

ثم تهز برأسها فتستطرد قائلة:

« وتم لى الانفصال عنه.. وتزوجتُ بعد ذلك من رجل تونسى آخر، ولكن متدين، يعرف حق دينه وواجباته كمسلم يخاف ربه».

هكذا عرفت «منجية» طريقها إلى ربها باعتناقها لدينه الذى ارتضاه لعباده، بل لم تكتفِ بذلك، حيث أرادت أن تكون داعية مسلمة لدينها الجديد «الإسلام» فالتحقتَ بالعمل فى المكتب الإعلامى الإسلامى بستوكهولم، لتقوم بترجمة الكتب والنشرات الخاصة بالإسلام إلى اللغة السويدية، كما تكتب المقالات فى الصحف وتقدم فيها معلومات صحيحة عن الإسلام، برغم أن المعلومات المتوفرة عن الإسلام فى المكتب الذى تعمل فيه ضئيلة لا تكفى، فضلاً عن مساهمتها فى إصدار مجلة باللغة السويدية اسمها «السلام»، بجانب مساهمتها أيضاً فى إقامة حلقات دراسية عن الإسلام للمسلمين الجدد وغيرهم من المهتمين بالإسلام.

* * *

(١) للقارئ أن يتأمل صورة مسلم غير ملتزم بدينه، أو قُلْ إنه مسلم بشهادة الميلاد فحسب، لدرجة أنه لم يرض بدخول زوجته فى دين الإسلام، ثم يمنعها من أن تلتزم بتعاليم الدين وتوجيهاته... إنها صورة مقززة للنفس أن يكون المسلم عدواً لدينه.

مع الآنسة الأمريكية «ياميلا»

فتاة أمريكية طالبة فى قسم علم الاجتماع، بجامعة «ميزورى بولاية كولومبيا»... لم تجد فى الثقافة المادية الأمريكية الحقيقة التى كانت شغلها الشاغل عن الكون والوجود والحياة، فعن ذلك تتحدث قائلة:

«منذ مدة طويلة كانت تدور فى ذهنى تساؤلات عن الكون والوجود والحياة... وقد أضنانى البحث والتفكير عن أجوبة لهذه التساؤلات الفلسفية، ولكنى لم أجد لها تفسيراً مقنعاً من خلال دراستى فى الثقافة الأمريكية المادية».

كانت تسمع عن عقيدة دينية تسمى «الإسلام» قائمة على القسوة وتفرق بين الرجل والمرأة ـ كما يقولون تشويهاً لصورته كدين ـ وبرغم ذلك فقد كان فى أعماقها شئ يدفعها لدراسته والبحث فيه... فتعبر عن ذلك كله بقولها:

«كنت أسمع عن الإسلام، ولكن صورته كانت غامضة فى ذهنى، بل ومشوهة، فهو دين ـ كما يقولون ـ يُفَرِّقُ بين الرجل والمرأة، وقائم على القسوة والغلظة فى المعاملة... وبقيتُ جاهلة بحقيقة الإسلام، حتى بدأت أشعر بحاجة فى نفسى لدراسته والبحث فى تعاليمه ومبادئه... وبالفعل كان لى ما أردت، فأدركتُ نقاء الإسلام وتحديه للقوى المادية.. فبدأت من حينها أدرس وأبحث أكثر وأكثر عن الإسلام...».

وتلتقط أنفاسها لتعاود كلامها موضحة تجربتها فى البحث عن حقيقة الإسلام فتقول:

«كان البحث فى البداية شاقاً جداً، فليس هناك كتب أمينة عن الإسلام باللغة الإنجليزية، ولكن بالرغم من ذلك شعرت منذ البداية بحبى للإسلام... يكفى أنه دين عدل وإنصاف، يعطى الفرد حريته، ويحمله مسئولية أقواله وأفعاله، وهكذا بمرور الوقت ازددت وعياً وفهماً بالإسلام».

وبعد عامين من الدراسة والبحث والتأمل أعلنت «ياميلا» اعتناقها لعقيدة الإسلام، ولتقطع صلتها بعهد الضلال الذى كانت تعيش فيه قامت بتغيير اسمها إلى «هاجر» وأوعزت سبب اختيارها لهذا الإسم لكونه مرتبطاً بالإسلام، ولذا فهو محبب إلى نفسها كما تذكر.

وكما غيرت «هاجر» اسمها غيرت أسلوب حياتها، فارتدت الزى الإسلامى، وبدأت تؤدى الصلوات الخمس فى مواقيتها، كما أخذت تبذل جهداً غير عادى فى تعلم وإتقان اللغة العربية، ليتسنى لها حفظ آيات القرآن الكريم.. وهى بصدد ذلك تواجه مصاعب جمة، ولكنها تصبر عليها فى سبيل دينها الجديد فتقول:

«أستَطيبُ المصاعبَ فى سبيل عقيدتى، وهذا جدير بالنسبة للمسلمين والمسلمات، لقد سبق أن عُذِّبَ الكثير منهم، ولكنهم لم يضعفوا ويتحولوا عن إيمانهم بعقيدتهم، ولذلك فأنا أصبر على أية مصاعب تواجهنى فلم أعد أبالى إلا بالإسلام».

ومما هو جدير بالذكر أن «هاجر» منذ أن أعلنت إسلامها أخذت على عاتقها أن تقوم بالدعوة للإسلام ونشره بين الأمريكين والأمريكيات الذين يجهلون حقيقة الإسلام، وذلك بفعل الصورة المشوهة التى صُوِّرَ الإسلام بها من خلال أعدائه الحاقدين.

وبعد أن أمعنت «هاجر» النظر والبحث فى الإسلام ودراسته بدقة وعمق ـ كما تقول ـ وجدت أن الإسلام هو السبيل إلى خلاص البشرية من مشاكلها ومتاعبها. . وعندما سُئلت: كيف؟

أجابت على الفور فى قوة بداهة ومنطق:

«إنه يقدم حلولاً لقضايانا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعاصرة. . إنه نظام حياة دقيق مترابط متناسق دون إخلال فى أجزائه ومكوناته. . ».

ثم تختم حديثها بابتسامة وهى تقول:

«يكفى أننى وجدتُ فيه إجابة شافية على تساؤلات فلسفية كانت تقلقنى وتقض مضجعى».

***

خاتمة

إن المتأمل للدوافع والأسباب التى حدت بهؤلاء الأشخاص الذين أسلموا يجد أن كُلاً منهم ينظر من رواية، أو من زوايا لا تستطيع أن تحيط بالإسلام كله، ومع ذلك لم تجد قلوبهم الصادقة، وعقولهم الواعية، وإرادتهم الخالصة فى البحث عن الحق والحقيقة إلاَّ أنْ تسلم لله رب العالمين، فتنطق بالشهادتين: «لا إله إلا الله. محمد رسول الله».

أجل .. كان إيمان هؤلاء بالإسلام مسبوقاً بالبحث والتحرى عن الحقيقة، وكأنهم قد أدركوا أن الإيمان ليس بالتمنى. ولكن ما وَقرَ فى القلب وصَدَّقَهُ العمل.

هؤلاء الأشخاص الذين أسلموا، ما علم الواحد منهم من سُمُوِّ الإسلام إلا بعض أركانه وتشريعاته، ولاعن عظمة الرسول ﷺ إلا بعض صفاته ومواقفه فى كفاحه وحياته، ولكنهم مع ذلك وقفوا مبهوتين أمام جلال هذا القليل مما عرفوا من الحق والحقيقة... فيقول بعضهم إن سبب اعتناقه للإسلام هو التوحيد، أى الاعتقاد بوحدانية الله جل شأنه... فى حين قال غيرهم: إن عظمته فى بساطته التى تقبلها العقول ويستسيغها المنطق، فتعاليمه بسيطة وواضحة مفهومة.... وآخرون يقولون: إن سبب اعتناقهم للإسلام يكمن فى كمال الإسلام، وعدم فصله بين المادة والروح، بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة تشملهما معاً، فالإسلام لا يقر الفصل بين المادية والروحية

وإنما يؤلف بينهما حتى يتسنى للإنسان أن يمارس الحياة بكل طاقاته على أسس صحيحة سليمة.. ويقول غيرهم: إن عظمة الإسلام فى الأخوة التى يجمع الناس فى نطاقها، بعد أن وجدوا أن الإسلام رسالة من الله إلى الجنس البشرى بأسره، وأن النبى ﷺ رسول الله إلى الناس كافة.. ومن هنا كان الإسلام ديناً عالمياً فى تناوله للأمور وعلاجه لها.. إنه دين يهدف إلى جمع البشر كافة تحت راية واحدة.

والبعض الآخر منهم رأى فى الإسلام احتراماً لحقوق الفرد والجماعة، والتنسيق بين هذه الحقوق والتوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة بحيث لا يعبث بأى منها أو ينتقص شئ من حقوقها الأساسية، فهو لا يؤيد مبدأ ضياع الكيان الفردى فى الكيان الجماعى، أو العكس..

وآخرون غير هؤلاء أو أولئك رأوا فى الإسلام حقيقة ثابتة لم يتطرق لكتابها المنزل «القرآن الكريم» أى تحريف كالذى مس غيره من الكتب المنزلة الأخرى.. فوجدوا بذلك تعاليم الإسلام باقية على أصولها ونصوصها كما أنزلها الله رب العالمين...

وهكذا كُلٌّ نظر من زاوية، أو زوايا جذبته إلى الإسلام لكى يعتنقه ويرتضيه ديناً، كما ارتضاه الله لهم بعد أن بهرتهم طبيعة هذا الدين وملامحه الفريدة التى تؤكد وتبرهن على أنه الدين الأكمل للإنسان، وأن المستقبل لهذا الدين.

***

المراجـــع

* القرآن الكريم.
* قصة إسلام الكاتبة الأمريكية «مريم جميلة»: الدكتور محمد يحيى.
* من عالم الشهرة إلى رحاب الإيمان: أسماء أبو بكر الجهينى.
* الإفلاسات المعنوية فى الغرب: رأفت شنبور.
* مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر عن أسباب اعتناقهم الإسلام: ترجمة مصطفى جبر، تعليق إبراهيم الفحام.

- مجلات دورية:

* مجلة الفيصل: أعداد سبتمبر ١٩٩١ - نوفمبر ١٩٩١ - يونيو ١٩٩٢.
* الوعى الإسلامى: أكتوبر ١٩٧٠.
* المجلة العربية: مايو ١٩٨٧.
* مجلة سيدتى: الرابع من مارس ١٩٩٠.
* مجلة أسرتى: ٣٠ يونيو ١٩٩٠.
* مجلة الدعوة: مايو ١٩٨١.
* مجلة هاجر «ملحق المختار الإسلامى»: عدد فبراير ١٩٩٢.
* مجلة عفاف اللبنانية: عدد يوليو ١٩٨٨.

- **صحف أسبوعية:**

* صحيفة المسلمين* الدولية: أعداد ٣١/ ٨/ ١٩٨٥ ـ ٩/ ١١/ ١٩٨٥ ـ ١٩/ ١٠/ ١٩٩٠ ـ ١٥/ ٢/ ١٩٩١ ـ ١٢/ ٧/ ١٩٩١ ـ ٢٣/ ٨/ ١٩٩١ ـ ٢٧/٩/ ١٩٩١ ـ ١٥/ ١١/ ١٩٩١ ـ ١٠/ ١/ ١٩٩٢ ـ ٢٤/ ١/ ١٩٩٢ ـ ٢٨/ ٢/ ١٩٩٢ ـ ١٦/ ٤/ ١٩٩٣.

* مقتطفات من مجلات دورية وصحف غير معلومة المصدر أثبتناها لمقدار أهميتها لموضوع الكتاب.

الفهــــرس

الصفحة

الفصل الثانى : مواقف كانت سبب إسلامهن

الفصل الثالث: سلوكيات الإسلام كانت وراء إسلامهن

الفصل الرابع: سيدات تعرفن على الإسلام من خلال الزواج

الفصل الخامس: قراءات كانت سبب إسلامهن

هذا الكتاب

لقد زاد انتشار الإسلام فى الآونة الأخيرة ، برغم الأضاليل التى ينشرها الغرب عنه لتشويه صورته فى أعين الغربيين وغيرهم ، وبرغم ازدياد النشاط التبشيرى فى كثير من الدول الإفريقية وغيرها ، وبرغم الهجمات الشرسة التى ازدادت ضراوة فى هذه الأيام على أيدى أعدائه .

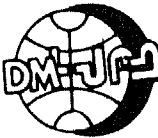
وبرغم كل ذلك فقد جَذَبَ الإسلام كثيرًا من العلماء والمفكرين والجماعات والطوائف من شعوب العالم المختلفة ، ودَفَعَهُم إلى التخلّى عن دياناتهم ومعتقداتهم، واعتناقه دون غيره من الأديان والمذاهب الوضعية الأخرى . . فما الأسباب التى دفعت هؤلاء إلى اعتناقه والإيمان بتعاليمه ؟ . . وما الدوافع التى جعلت هؤلاء ـ بل جعلت قُرًى بأكملها ـ يدخلون تحت مظلته ؟ . .

إن هذا الكتاب ـ بأجزائه الثلاثة ـ يسجل الجوانب الخفية وراء إسلام هؤلاء ، واهتدائهم إلى هذا الدين الحنيف . .

ويسر الدار المصرية أن تقدم هذا الكتاب الذى يحوى بين دفتيه هذه النماذج التى اهتدت إلى دين الحق ، بعد دراسة متأنية عميقة لهذا الدين ، وبعد اقتناع تام بتعاليمه السهلة الميسورة التى تنسجم مع العقل والمنطق ، وتتفق مع الفطرة السليمة التى فُطِرَ الناس عليها ، فساروا على دربه ، وآمنوا به على اختلاف مشاربهم وجنسياتهم . .

إنه كتاب يهم كل باحث عن الحقيقة ، ويهم كل قارىء ـ أيًّا كانت عقيدته .

الناشر



الدار المصرية اللبنانية

طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبد الخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً دار شادو - ص ب. ٢٠٢٢ - القاهرة

AL DAR AL MASRIAH AL-LUBNANIAH — PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743 3923525 FAX 3909618 CABLE DARSHADO